٣١

١٨٧ ٣١

كتاب المثل السائر

في ادب الكاتب والشاعر

تاليف المولى الصدر الكبير الكامل

ضيا الدين فخر الاسلام ابو الفتح

نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الشهير

بابن الاثير طاب ثراه وجعل الجنة

ماواه بمحمد واله وتابعي منواله

انه على ما يشا قدير وبالاجابة جدير

آمين

SÜLEYMAN E. C. KÜTÜ...
Kısmı Yeni Cami
Yeni Kayıt No.
Eski Kayıt No. 993
Tasnif No. 892.7-8

[illegible] على المثل السائر
لعز الدين ابي حامد

فهرست ما يتضمن هذا الكتاب من الانواع ويشتمل على مقدمة ومقالتين

المقدمة تشتمل على اصول علم البيان وهي محصورة في عشرة فصول	والمقالتان يشتملان على فروع علم البيان فاما المقالة الاولى فهي الصناعة اللفظية وهي تنقسم على قسمين	المقالة الثانية في الصناعة المعنوية وهي تنقسم على قسمين
الاول في موضوع علم البيان	الاول في اللفظة المفردة	القسم الاول في الكلام على المعاني مجملا
الثاني في آلات علم البيان وادواته	الثاني في الالفاظ المركبة ومدارها على ثمانية انواع	الشيخ ضياء الدين بن الاثير رحمه الله تعالى هو اخو الاخوين المحدث اللغوي فخر الدين صاحب النهاية وجامع الاصول والعلامة عز الدين علي بن محمد رحمهم الله تعالى اجمعين
الثالث في الحكم على المعاني	الاول السجع	
الرابع في الترجيح بين المعاني	الثاني التجنيس	
الخامس في جوامع الكلم	الثالث الترصيع	
السادس في الحكمة التي هي ضالة المؤمن	الرابع لزوم ما لا يلزم	
السابع في الحقيقة والمجاز	الخامس الموازية	
الثامن في الفصاحة والبلاغة	السادس اختلاف صنع الالفاظ	
التاسع في اركان الكناية	السابع تنافر الالفاظ	
العاشر في اي الطريق الى علم الكناية	الثامن تكرير الحروف	

القسم الثاني من المقالة الثانية في الكلام على المعاني مفصلا ويشتمل على ثلاثين نوعا

١ الاستعارة	٢ التشبيه	٣ التجريد	٤ الالتفات	٥ توكيد الضمير	٦ عطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده
٧ في التفسير بعد الابهام	٨ في استعمال العام في النفي والخاص في الاثبات	٩ في التقديم والتأخير	١٠ في الحروف العاطفة والجارة	١١ في الخطاب	١٢ في قوة اللفظ والقوة للمعنى
١٣ في عكس الظاهر	١٤ في الاستدراج	١٥ في الايجاز	١٦ في الاطناب	١٧ في التكرير	١٨ في الاعتراض
١٩ في الكناية والتعريض	٢٠ في المغالطة المعنوية	٢١ في الاحاجي	٢٢ في المبادي والافتتاحات	٢٣ في العاص والاقتضاب	٢٤ في التناسب بين المعاني
٢٥ في الاقتصاد والتفريط	٢٦ في الاستئناف	٢٧ في التضمين	٢٨ في الارصاد	٢٩ في التوشيح	٣٠ في السرقات الشعرية

قال الشيخ عبد الله الدنوشري رحمه الله مادحا هذا الكتاب وكتب من خطه

هذا كتاب مثل روض زها	أضاء مثل القمر الزاهر
تضرب به الامثال في جمعه	في أدب الكاتب والشاعر
يا من ارادوا جمع فضل علا	عليكم بالمثل السائر
ونزهوا الابصار في روضه	فهو لعمري نزهة الناظر

بين

المثل السائر في آداب الكاتب والشاعر

للعلامة الأديب الصاحب الوزير
ضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن عبد الكريم
ابن الأثير الشيباني الجزري الموصلي
تغمده الله برحمته وأسكنه
بحبوح جنته

٩٩٤

وفيه الفلك الدائر على المثل السائر

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة
الفاضل الأوحد الكامل عز الدين
أبي حامد عبد الحميد الشهير
بابن أبي الحديد رفع الله درجته

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ
Kısmı: Yeni Cami
Yeni: 983
Eski: 882.7-8
Tasnif N:

بسم الله الرحمن الرحيم • نسأل الله ان يبلغ بنا من الحمد ما هو اهله • وان يعلمنا من البيان ما تقصر عنه مزية
النطق وفضله • وحكمة الخطاب وفصله • ونرغب اليه ان يوفقنا للصلوة على رسوله محمد الذى هو افصح من نطق بالضاد • وسنح
لهديه شريعة كالهاد • وعلى اله وصحبه الذين منهم من سبق وذاد • ومنهم من صابر وصبر • ومنهم من اوى ونصر • اما بعد • فان علم
البيان لتأليف النظم كمنزله اصول الفقه لاستنباط ادلته لاحكام وقد الف الناس فيه كتبا • وجلبوا ذهبا وحطبوا حطبا •
وما من الف الا وقد نصفحت سبيته وثنيته • وعلمت غثه وسمينه • فلم احد ما ينفع به فى ذلك الا كتاب الموازنة لابى القاسم الحسن
بشر الامدي وكتاب سر الفصاحة لابى محمد عبد الله بن سنان الخفاجي غير ان كتاب الموازنة اجمع اصولا واجرى محصولا وكتاب
فانه قد اكثر مما قاله مقدار كتابه من ذكر الاصوات والحروف والكلام عليها ومن الكلام على اللفظ المفرد وصفاتها مما لا حاجه
الى اكثره ومن الكلام فى مواضع اخر شذ عنه الصواب فيها وسيرد بيان ذلك كله فى مواضعه من هذا الكتاب على ان كلا الكتابين
قد اهمل من هذا العلم ابوابا • ولربما ذكر فى بعض المواضع قشورا وترك لبابا • وكنت عثرت على ضروب كثيرة منه فى غضون القرآن
الكريم ولم اجد احدا ممن تقدمنى تعرض لذكر شئ منها وهى اذا عدت كانت من هذا العلم بمقدار شطره • واذا نظر الى فوائده وجد محتوه
عليه باسره • وقد اوردتها ههنا وشفعتها بالضروب الاخر المدونة فى الكتب المقدمة بعد ان حذفت منها ما حذفته • واضفت
اليها ما اضفته • وهدانى الله لابتداع اشياء لم تكن من قبلى مبتدعة • ومنحنى درجة لا تهتدى الى امثالها بعدى الا متمكلون
متسعة • وكل ذلك يظهر عند الوقوف على كتابى هذا وعلى غيره من الكتب • وقد بنيته على مقدمة ومقالتين • فالمقدمة تشتمل على
اصول علم البيان • والمقالتان تشتملان على فروعه فالاولى فى الصناعة اللفظية والثانية فى الصناعة المعنوية •
ولا ادعى فيما الفته فضل الاحسان ولا السلامة من زلل اللسان • فان الفاضل من تعد سقطاته • وتحصى غلطاته •
ويسيئ بالاحسان ظنا لا كمن • هو بابنه وبشعره مفتون • واذا تركت الهوى فلنا ان هذا الكتاب مديع فى اعرابه •
وللسرى له صاحب من الكتب فضل انه مفرد من سيره اعجابه • ومع ذلك فانى اتيت بظاهر من هذا العلم وزاهر منه وجمعت حوله حماه ولم
اقع فيه • اذ الغرض انما هو الحصول على علم الكلام التى بها تنظم العقود فترصع • وتخلب العقول فتخدع • وذلك شئ تجبل عليه
الخواطر • لا سطق به الدفاتر • فاعلم ايها الناظر فى كتابى هذا ان مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم • الذى هو انفع من
ذوق المعلم • وهذا الكتاب وان كان من ما بلغتك اليه استاذا • واذ اسالت عما تنفع به فى فنه قبل ذلك هذا فان الدربة
والادمان اجدى عليك نفعا • واهدى بصرا وسمعا • وما يريانك الخبر عيانا • ويجعلان عسرك من القول امكانا • وكل حارجه منك
قليبا ولسانا • فحذ من هذا الكتاب ما اعطاك • واستنبط بادمانك ما اخطاك • وما تشكل فما مهدته لك من هذا الطريق الاكمن
طبع سيفا ووضعه بيمينك لتقاتل به اذ ليس عليه ان يحلق لك قبلا فان عمل النضال غير مباشرة القتال •
وانما بلغ الانسان غايته • ما كان ما شيته بالرجل شمالا له • ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول اما مقدمة هذا الكتاب فانها
تشتمل على عشرة فصول • الفصل الاول فى موضوع علم البيان موضوع كل علم هو الشئ الذى يبحث فيه عن احواله
التى يعرض لذاته فموضوع الفقه هو افعال المكلفين والفقه يبحث عن احوالها التى يعرض لها من الفرض والنفل والحلال والحرام
والندب والمباح وغير ذلك • وموضوع الطب هو بدن الانسان والطبيب يبحث عن احواله التى يعرض له من صحته وسقمه •
وموضوع الحساب هو الاعداد والحاسب يبحث عن احوالها التى يعرض لها من الضرب والقسمة والنسبة وغير ذلك • وموضوع
النحو هو الالفاظ والمعانى والنحوى يبحث عن احوالها فى الدلالة مركبة ومفردة وكذلك يجرى الحكم فى كل علم من العلوم
وهذا الضابط الفرد كل علم برأسه ولم يختلط بغيره وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة وصاحبه يبحث
عن احوالها اللفظية والمعنوية وهو والنحوى يشتركان فى ان النحوى ينظر فى دلالة الالفاظ على المعانى من جهة الوضع اللغوى

ولكن

وتلك دلالة عامة وصاحب علم البيان ينظر فى فضيلة تلك الدلالة وهى دلالة خاصة والمراد بها ان تكون على هيئة مخصوصة
من الحسن وذلك امر وراء النحو ولاعراب الا ترى ان النحوى لو فهم معنى الكلام المنظوم والمنثور وعلم مواقع اعرابه
ومع ذلك فانه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة ومر ههنا غلط مفسروا الاشعار فى اقتصارهم على شرح المعنى وما
فيه من الكلمات اللغوية وتبيين مواضع الاعراب منه دون شرح ما تضمنه من اسرار الفصاحة والبلاغة **الفصل**
الثانى فى الات علم البيان وادواته اعلم ان صناعة ما للفظ الكلام من المنثور والمنظوم تفتقر الى الات كثيرة وقد قيل
ان للكاتب ان تتعلق بكل علم حتى قيل ان كل علم يسوغ له ان ينتسب اليه فيقول فلان النحوى وفلان الفقيه وفلان
المتكلم ولا يسوغ ان ينتسب الى الكاتبة فيقول فلان الكاتب وذلك لما تفتقر اليه من العلوم الخوض فى كل فن • وملاك هذا كله الطبع
فانه اذا لم يكن طبع فانه لا يعنى تلك الالات شيأ وشال ذلك كمثل النار الكامنة فى الزناد والحديدة التى تقدح فانها الا ترى
انه اذا لم يكن فى الزناد نار لم تقدح تلك الحديدة شيأ وكثيرا ما رأينا وسمعنا من عراه الطباع وتعلم العلوم حتى ان بعض الناس
يكون له نفاذ فى تعلم علم مشكل المسلك صعب المأخذ فاذا كلف تعلم ما هو دونه من سهل العلوم نكص على عقبيه ولم يكد فيه
نفاذا • واعلم من ذلك ان صاحب الطبع فى المنظوم يجيد فى المديح دون الهجاء وفى الهجاء دون المديح او فى احدى القرائن
دون الثانية وفى الثانية دون القرائن وكذلك صاحب الطبع فى المنثور هذا ابن الحريرى صاحب المقامات وكان
على ما ظهر عنه من تعميق المقامات واحدا فى فنه فلما حضر بغداد ووقف على مقامات بديع الزمان استصلح الكتابة الانشائية
فى ديوان الخلافة وتحسن اثره فيه فاحضر وكلف كتابة كتاب فاقحم ولم يحر لسانه فى طوله ولا قصير فقال فيه بعضهم
شيخ لنا من ربيعة الفرس • نتف عثنونه من الهوس • انطقه الله بالمشان وقد • الجم فى بغداذ بالخرس •
وهذا مما يتعجب منه وسئلت عن ذلك فعللت لا عجب لان المقامات مدارها كلها على حكاية تخرج الى مخلص واما الكتابات
فانها بحر لا ساحل له لان المعانى تتجدد فيها بتجدد حوادث الايام وهى متجددة على عدد الانفاس الا ترى انه اذا خطب الكاتب
المفلق عن دولة من الدول الواسعة التى كور لسلطانها سيف مشهور وسعى مذكور ومكث على ذلك برهة من سنين
فانه يدون عنه من الكتابات ما يزيد على عشرة اجزاء كما جرى لابن العميد فى كتابته عن ركن الدولة ابى على الحسن بن بويه
مركبته اكثر من هذه العدة المشار اليها فاذا تخللت وغربلت واختير الاجود منها اذ لا يكون كلها جيدا فيخلص من التصفح
وهو حسبة احراء ولله در علما ما اشتملت عليه من المحاسن والغرائب وما حصل فى ضمنها من المعانى المستدعة على ان الحريرى قد
كتب فى اثناء مقاماته رقاعا فى مواضع عدة فجاء بما يخط عن كلامه فى حكاية المقامات لابل جاء بالغث البارد الذى
لا نسبة له الى ما فى كلامه فيها ولو ادم كتابة انشاء خارجة عن المقامات واذا وقف عليها اقسم ان قائلها ليس قائل هذه
لما بينهما من التفاوت البعيد • ويلتحق بالشيخ ابى محمد احمد بن الخشاب رحمه الله كان يقول ابن الحريرى رجل مقامات اى انه لم
يحسن من الكلام المنثور سواها وان اتى بغيرها فلا تقول شيأ فانظرها المتأمل الى هذا التفاوت فى الصناعة الواحدة
من الكلام المنثور • ومن اجل ذلك قيل شيآن لا نهاية لهما البيان والجمال • وعلى هذا فاذا ركب الله فى الانسان طبعا
قابلا لهذا الفن فليقترح الى ما بين انواع من الالات النوع الاول منها علم العربية من النحو والتصريف الثانى معرفة ما
يحتاج اليه من اللغة وهو المتداول المالوف استعماله فى فصيح الكلام غير الوحشى الغريب ولا المستنكر المعيب النوع الثالث
معرفة امثال العرب واياهم ومعرفة الوقائع النوادر فى حوادث خاصة لاقوام وفاز كل بحرى بحرى لامثالهم النوع الرابع
لما طلاع على البقاع من تقدمه من ارباب هذه الصناعة المطبوع منه والمنثور والتحفظ للكثير من النوع الخامس معرفة الاحكام السلطانية
من امامة وقضاء والحسبة وغير ذلك • النوع السادس حفظ القرآن الكريم والتدرب باستعماله واد راجه فى مطاوى

كلامه النوع السابع حفظ ما يحتاج اليه من الاخبار الواردة عن النبي ص والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال
النوع الثامن وهو مختص بالناظم دون الناثر وذلك علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر ولنذكر بعد ذلك
فائدة كل نوع من هذه الانواع ليعلم ان معرفته مما يمس الحاجة اليه فنقول اما علم النحو فانه في علم البيان من المنظوم
والمنثور بمنزلة ابجد في تعليم الخط وهو اول ما ينبغي اتقان معرفته على انه ليس مختصا بهذا العلم خاصة بل بكل علم لا بل ينبغي
معرفته لكل من ينطق باللسان العربي ليأمن معرة اللحن ومع هذا فانه اذا احتيج اليه في بعض الكلام دون بعض لضرورة
الافهام فان الواضع لم يخص شيئا منه بالوضع بل جعل الوضع منه عاما والا فاذا نظرنا الى ضروبه واقسامه المدونة وجدنا
اكثرها غير محتاج اليه في افهام المعاني الا ترى انك لو امرت رجلا بالقيام فقلت له قوم باثبات الواو ولم يجزم لما اختل من فهم
ذلك شيء وكذلك الشرط لو قلت ان تقوم اقوم ولم يجزم لكان المعنى مفهوما والفضلات تجري هذا المجرى كالحال والتمييز
والاستثناء فاذا قلت جاء زيد راكب وما في السماء قدر راحة سحاب وما قام القوم الا زيد فلزمت السكون في ذلك كله ولم يبين
اعرابا لما توقف الفهم على نصب الراكب ولا على نصب زيد وهكذا يقال في المجرورات وفي المفعول له والمفعول فيه والمفعول
معه وفي المبتدا والخبر وغير ذلك من اقسام اخرى لا حاجة الى ذكرها لكن قد خرج عن هذه الامثلة ما لا يفهم الا بقيود تقيده
وانما يقع ذلك في الذي تدل صيغته على معان مختلفة ولنضرب لذلك مثالا يوضحه فنقول اعلم ان من اقسام
الفاعل والمفعول ما لا يفهم الا بعلامة كتقديم المفعول على الفاعل فانه اذا لم يكن ثم علامة تبين احدهما من الآخر والا
اشكل الامر كقولك ضرب زيد عمرو ويكون زيد المضروب فانك اذا لم تنصب زيدا وترفع عمرا والا فلا تفهم ما اردت وعلى
هذا ورد قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكذلك لو قال قائل ما احسن زيد ولم يبين الاعراب لما علمنا غرضه اذ
يحتمل ان يريد به التعجب من حسنه او يريد به الاستفهام عن اي شيء منه احسن ويحتمل ان يريد به الاخبار بنفي الاحسان
عنه ولو بين الاعراب في ذلك فقال ما احسن زيدا او ما احسن زيد او ما احسن زيد علمنا غرضه وفهمنا معنى كلامه
لانفراد كل قسم من هذه الاقسام الثلثة بما يعرف به من الاعراب فوجب بذلك معرفة النحو اذ كان ضابطا لمعاني
الكلام حافظا لها من الاختلال واول من تكلم في النحو ابو الاسود الدؤلي وسبب ذلك انه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت
له يا ابتاه ما اشد الحر متعجبة ورفعت اشد فظنها مستفهمة فقال شهر ناجر فقالت له يا ابت انما اخبرتك ولم اسألك
فاتى علي بن ابي طالب ع فقال يا امير المؤمنين ذهبت لغة العرب ويوشك ان تطاول عليها زمان ان تضمحل فقال
له وما ذاك فاخبره خبر ابنته فقال هلم صحيفة ثم املى علي الكلام لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ثم رسم له
رسوما فنقلها النحويون في كتبهم وقيل ان ابا الاسود دخل على زياد بن ابيه بالبصرة فقال اني ارى العرب قد
خالطت العجم وتغيرت السنتها افتاذن لي ان اضع لهم ما يقيمون به كلامهم فقال لا فقام من عنده ودخل عليه رجل فقال
ايها الامير مات ابانا وخلف بنون فقال زياد مات ابانا وخلف بنون ردوا علي ابا الاسود فردوه فقال اصنع ما كنت
نهيتك عنه فوضع شيئا ثم جاء بعده ميمون الاقرن فزاد عليه ثم جاء بعده عنبسة بن معدان المهري فزاد عليه ثم جاء بعده عبد الله بن
ابي اسحق الحضرمي وابو عمرو بن العلاء فزادا عليه ثم جاء بعدهما الخليل بن احمد الازدي وتتابع الناس واختلف البصريون
والكوفيون في بعض ذلك وهذا ما بلغني في امر النحو في اول وضعه وكذلك العلوم كلها يوضع منها في مبادي امرها شيء يسير
ثم يزاد بالتدريج الى ان يستكمل اجزاء فان قيل اما علم النحو فمسلم اليك انه يجب معرفته لكن التصريف انما هو معرفة
اصول الكلمة وزيادتها وحذفها وابدالها وهذا لا يضر جهله ولا ينفع معرفته ولنضرب لذلك مثالا كيف اتفق فنقول
اذا قال القائل رايت سرداحا لا يلزمه ان يعرف الالف في هذه الكلمة زائدة هي ام اصلا لان العرب لم ينطق بها الا كذلك

ولو

ولو قلت سرداح بغير الف لما جاز لاحد ان يزيد الالف فيها من عنده فيقول سرداح فعلم بهذا انه انما ينطق
بالالف كما سمعت عن العرب من غير زيادة فيها ولا نقص وليس يلزم بعد ذلك ان تعلم اصلها ولا زيادتها لان ذلك
امر خارج عما يقتضيه صناعة تاليف الكلام الجواب عن ذلك انا نقول اعلم انا لم نجعل معرفة التصريف
كمعرفة النحو لان الكاتب والشاعر اذا كان عارفا بالمعاني مختارا لها قادرا على الالفاظ مجيدا فيها ولم يكن عارفا بعلم
النحو فانه يفسد ما يصوغه من الكلام ويختل عليه ما يقصده من المعاني كما اريناك في ذلك المثال المتقدم واما
التصريف فانه اذا لم يكن عارفا به لم يفسد معاني كلامه وانما يفسد عليه الاوضاع وان كانت المعاني صحيحة وسياتي بيان
ذلك في تحرير الجواب فنقول اما قولك ان التصريف لا حاجة اليه واستدلالك بما ذكرته من المثال المضروب
فان ذلك لا يستمر لك الكلام فيه الا ترى انك مثلت كلامك في لفظة سرداح وقلت انه لا يحتاج الى معرفة الالف فيها
زائدة هي ام اصلا لانها انما نقلت عن العرب على ما هي عليه من غير زيادة ولا نقص وهذا لا يطرد الا فيما هذا سبيله من نقل
الالفاظ على هيئتها من غير تصرف فيها بحال واما اذا اريد تصغيرها او جمعها او النسبة اليها فانه اذا لم يكن يعرف الاصل في
حروف الكلمة وزيادتها وحذفها وابدالها يضل عن السبيل وينشا من ذلك مجال للعائب والطاعن الا ترى انه اذا قيل
للنحوي وكان جاهلا بعلم التصريف كيف تصغير لفظة اضطراب فانه يقول ضطيرب ولا يلام على جهله بذلك لان
الذي يقتضيه صناعة النحو قد اتى به وذلك ان النحاة يقولون اذا كانت الكلمة على خمسة احرف وفيها حرف زائد
ولم يكن حذفه نحو قولهم في منطلق مطيلق وفي جحمرش جحيمر فلفظة منطلق على خمسة احرف وفيها حرفان زائدان
هما الميم والنون الا ان الميم زيدت فيها لمعنى فلذلك لم يحذف وحذفت النون واما لفظة جحمرش فخماسية لا
زيادة فيها وحذف منها حرف ايضا ولم يعلم النحوي ان علماء النحو انما قالوا ذلك مهملا اتكالا على تحقيقه من علم
التصريف لانه لا يلزمهم ان يقولوا في كتب النحو اكثر مما قالوا وليس عليهم ان يذكروا في باب من ابواب النحو شيئا من التصريف
لان كلا من النحو والتصريف علم مفرد براسه غير ان احدهما مرتبط بالآخر ويحتاج اليه وانما قلت ان النحوي اذا سئل عن
تصغير لفظة اضطراب يقول ضطيرب لانه لا يخلو اما ان يحذف من لفظة اضطراب الالف او الضاد او الطاء او الراء او
الباء وهذه الحروف المذكورة غير الالف ليست من حروف الزيادة فلا يحذف بل الاولى ان يحذف الحرف الزائد ويترك الحرف
الذي ليس بزائد فلذلك قلنا ان النحوي يصغر لفظة اضطراب على ضطيرب فيحذف الالف التي هي حرف زائد دون
غيرها مما ليس من حروف الزيادة واما ان يعلم ان الطاء في اضطراب مبدلة من تاء وانه اذا اريد تصغيرها تعاد الى الاصل
الذي كانت عليه وهي التاء فيقال ضتيرب فان هذا لا يعلمه الا التصريفي وتكليف النحوي الجاهل بعلم التصريف معرفة
ذلك كتكليفه ما لا يعلمه فثبت بما ذكرناه انه يحتاج الى علم التصريف لئلا يغلط في مثل هذا ومن العجب
ان يقال انه لا يحتاج الى معرفة التصريف الم يعلم ان نافع بن ابي نعيم وهو من اكبر القراء السبعة قدرا وافخمهم شانا
قال في معايش معائش بالهمزة ولم يعلم الاصل في ذلك فاخذ عليه وعيب من اجله ومن جملة من عابه ابو عثمان المازني فقال
في كتابه في التصريف ان نافعا لم يدر ما العربية وكثيرا ما يقع اهل العلم في مثل هذه المواضع فكيف الجهال الذين لا
معرفة لهم بها ولا اطلاع لهم عليها واذا علم حقيقة الامر في ذلك لم يغلط فيما يوجب قدحا ولا طعنا وهذه لفظة
معائش لا يجوز همزها باجماع من علماء العربية لان الياء فيها ليست مبدلة من همزة وانما الياء التي تبدل من الهمزة في هذا
الموضع يكون بعد الف الجمع المانع من الصرف ويكون بعدها حرف واحد ولا يكون عينا نحو سفائن وفي هذا الموضع غلط
نافع لانه لا شك انه اعتقد ان معيشة بوزن فعيلة وجمع فعيلة هو على فعائل ولم ينظر الى ان الاصل في معيشة معيشة

على وزن مفعله وذلك لان اصل هذه الكلمة من عاش التي اصلها عيش على وزن فعل ويلزم مضارع فعل المعتل العين
يفعل لتصح اليا نحو يعيش ثم ينقل حركة العين الى الفا فيصير يعيش ثم يبني من يعيش مفعول مقالة معيوش به كما يقال مسير به
ثم يخفف ذلك بحذف الواو فيقال معيش به كما يقال مسير به ثم يونث هذه اللفظة فيصير معيشه ومع هذا فلا ينبغي
لصاحب هذه الصناعة من النظم والنثر ان يهمل من اكثر العربية ما يخفى عليه باهماله اللحن الخفي فان اللحن الظاهر قد كثرت
فيه مفاوضات الناس حتى صار يعلمه غير النحوي ولا شك ان قلة المبالاة بالامر واستشعار القدرة لو وقع صاحبه فيما لا
يشعر انه وقع فيه فيجهل بما يكون عالما به الا ترى ان ابا نواس كان معدود في طبقات العلماء مع تقدمه في طبقات الشعراء وقد غلط
فيما لا يغلط فيه مثله فقال في صفة الخمر • كان صغرى وكبرى من فواقعها • حصباء در على ارض من الذهب •
وهذا لا يخفى على مثل ابي نواس فانه من ظواهر علم العربية وليس من غوامضه في شي لانه امر نقلي يحمل ناقله فيه على النقل من غير تصرف
وقول ابي نواس صغرى وكبرى غير جائز فان فعلى افعل لا تجوز حذف الالف واللام منها وانما تجوز حذفهما من فعلى التي لا
افعل لها نحو حبلى الا ان يكون فعلى افعل مضافه وههنا قد عريت عن الاضافة وعن الالف واللام فانظر كيف وقع ابو نواس
في مثل هذا الموضع مع قربه وسهولته وقد غلط ابو تمام في قوله • يا ايها الملك المستخلف طادت • قواعد الملك ممتدا لها الطول •
الا ترى انه قال اطادت والصواب نطدت لان التاسيد من الواو في موضعين احدهما مقيس عليه كهذا الموضع لانك اذا
بنيت فعل من الوعد قلت نعد ومثله ما ورد في هذا البيت فانه من وطد يطد كما يقال وعد يعد فاذا بنيت منه افعل قيل
انطد ولا يقال اطاد • واما غير المقيس ففي قولهم وجاه تجاه وقالوا في يكلان واصله الواو لانه من وكل يكل فابدلت الواو
تاء للاستحسان فهذه الامثلة قد اشرت اليها ليعلم مكان الفائدة في امثالها وتوقى على اني لم ار احدا من الشعراء المفلقين
يسلم من ذلك فاما ان يكون لحن لحنا ظاهرا دل على جهله بمواقع الاعراب واما ان يكون اخطاء في تصريف الكلمة ولا اعني بالشعراء
من هو قريب عهد بزماننا بل اعني بالشعراء من تقدم زمانه كالمتنبي ومن كان قبله كالبحتري ومن تقدمه كابي تمام ومن سبقه
كابي نواس والمعصوم من عصمه الله تعالى على ان المخطي في التصريف اندر وقوعا من المخطي في النحو لانه قل ما يقع له كلمة يحتاج
في استعمالها الى الابدال والنقل في حروفها • واما النحو فانه يقع فيه لحظ اكثر حتى انه ليشذ ظاهره في بعض
الاحوال فكيف خافيه كقول ابي نواس في الامين محمد رحمه الله • يا خير من كان ومن يكون • الا النبي الطاهر الميمون •
فرفع في الاستثناء من الموجب وهذا من ظواهر النحو وليس من خافيه في شي وكذلك قول ابي الطيب المتنبي

> اراتك همة ناقتي في ناقة • نقلت يدا سرحا وخفا مجمرا •
> تركت دخان الرمث في اوطانها • طلبا لقوم يوقدون العنبرا •
> وتكرمت ركباتها عن مبرك • تقعان فيه وليس مسكا اذفرا •

فجمع في حالة التثنية لان الناقة ليس لها الا ركبتان فقال ركبات وهذا من اظهر ظواهر النحو وقد خفي على مثل المتنبي
ومع هذا فينبغي لك ان تعلم ان الجهل بالنحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة ولكنه يقدح في الجاهل به نفسه لانه رسوم
قوم تواضعوا عليه وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم • واما الادغام فلا حاجة اليه للكاتب لكن الشاعر ربما
احتاج اليه لانه قد يضطر في بعض الاحوال الى ادغام حرف او الى فك ادغام من اجل اقامة الميزان الشعري • واما
النوع الثاني وهو قولنا انه قد يحتاج الى معرفة اللغة مما بدا ولا استعماله فسيرد بيانه عند ذكر اللفظة الواحدة
والكلام على جيدها ورديها في المقالة المختصة بالصناعة اللفظية • ويفتقر ايضا مولف الكلام الى معرفة عدة اسماء لما يقع
استعماله في النظم والنثر ليجد اذا ضاق به موضع وكلامه بارار بعض الالفاظ فيه العدول عنه الى غيره مما هو في معناه

وهذه الاسماء تسمى المترادفة وهي اتحاد المسمى واختلاف اسمائه كقولنا الخمر والراح والمدام فان المسمى بهذه الاسماء شي
واحد واسماؤه كثيرة وكذلك يحتاج الى معرفة الاسماء المشتركة ليستعين بها على استعمال التجنيس في كلامه وهي اتحاد
الاسم واختلاف المسميات كالعين فانها تطلق على العين الناظرة وعلى ينبوع الماء وعلى المطر وغير ذلك الا ان الاسماء المشتركة
تفتقر في الاستعمال الى قرينة تخصصها كيلا تكون مبهمة لانا اذا قلنا عين وسكتنا وقع ذلك على محملات كثيرة من العين الناظرة
والعين النابعة والمطر وغير ذلك مما هو موضوع بازاء هذا الاسم واذا قرنا اليه قرينة تخصصه زال ذلك الابهام بان تقول
عين حسنا او عين نضاخة او عين ملثة او غير ذلك وهذا موضع للعلماء فيه مجاذبات جدلية فمنهم من ينكر ان يكون اللفظ المشترك
حقيقة في المعنيين جميعا ويقول ان ذلك يخل بفائدة وضع اللغة لان اللغة انما هي وضع الالفاظ في دلالتها على
المعاني اي في وضع الاسماء على المسميات ليكون منبئة عنها والاشتراك لا بيان فيه وانما هو ضد البيان لكن الطريق الى البيان
ان يجعل احد المعنيين في اللفظ المشترك حقيقة والاخر مجازا فاذا قلنا هذه كلمة واطلقنا القول فهم منه اللفظة
الواحدة واذا قيدنا اللفظ فقلنا هذه كلمة شاعر فهم منه القصيدة المقصدة من الشعر وهي مجموع كلمات كثيرة ولو اطلقنا
من غير تقييد واردنا القصيدة من الشعر لما فهم مراد بالبتة هذا خلاصة ما ذهب اليه من ينكر وقوع اللفظ المشترك على المعنيين
بالحقيقة وفي ذلك ما فيه وساير ما يدخله من الخلل فاقول في الجواب عن ذلك ما استخرجته بفكري ولم يكن لاحد فيه
قول من قبلي وهو اما قولك ان فائدة وضع اللغة انما هو البيان واللفظ المشترك يخل بهذه الفائدة فهذا غير مسلم بل فائدة
وضع اللغة هو البيان والتحسين اما البيان فقد وفي به الاسماء المتباينة التي هي كل اسم واحد دل على مسمى واحد فاذا اطلق
اللفظ في هذه الاسماء كان بينا مفهوما لا يحتاج الى قرينة ولو لم يضع الواضع من الاسماء شيئا غيرها لكان كافيا في البيان • واما
التحسين فان الواضع لهذه اللغة العربية التي هي احسن اللغات نظر الى ما يحتاج اليه ارباب الفصاحة والبلاغة فيما
يصوغونه من نظم ونثر وراى ان من مهمات ذلك التجنيس ولا يقوم به الا الاسماء المشتركة التي هي كل اسم واحد دال على معنيين فصاعدا
فوضعها من اجل ذلك وهذا الموضع يتجاذبه جانبان يترجح احدهما على الاخر وبيانه ان التحسين يقضي بوضع الاسماء المشتركة
ووضعها يخل بفائدة البيان عند اطلاق اللفظ وعلى هذا فان وضعها الواضع ذهب بفائدة البيان وان لم يضعها ذهب
بفائدة التحسين لكنه ان وضع استدرك ما ذهب من فائدة البيان بالقرينة وان لم يضع لم يستدرك ما ذهب من فائدة
التحسين فترجح جانب الوضع فوضع فان قيل فلم لا تنسب الاسماء المشتركة الى اختلاف القبائل لا الى وضع واحد
قلت في الجواب هذا تعسف لا حاجة اليه والدليل على ان هذه الاسماء من واضع واحد انا نرى قد ورد من الجموع ما يقع
على مسمين اثنين كقولهم كعاب جمع كعب الذي هو كعب الرجل وجمع كعبة وهي البنية المعروفة فاذا اطلقنا اللفظ فقلنا كعاب
من غير قرينة لا يدرى ما المراد من ذلك الكعب الرجل ام البنية المعروفة وكذلك ورد واحد وجمع على وزن واحد كقولهم راح اسم
الخمر وراح جمع راحة وهي الكف وقولهم عقاب وهو الجزاء على الذنب وجمع عقبة ايضا وفي اللغة من هذا شي كثير وهو بالاجماع
من علماء العربية انه لم يجر فيه خلاف من القبائل فاتضح بهذا ان الاسماء المشتركة من واضع واحد • وكان قد افتى بعض الفقهاء
في قوله تعالى في سورة البقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وقال ان لون البقرة كان اسود والاصفر هو الاسود وانكرت عليه
هذا القول فاخذ يجادل مجادلة غير عارف ويعزو ذلك الى تفسير النقاش وتفسير البلاذري فقلت له اعلم ان هذا
الاسم الذي هو الاصفر لا يخلو في دلالته على الاسود من وجهين اما انه من الاسماء المتباينة التي يدل كل اسم منها على مسمى واحد
كالانسان والاسد والفرس وغير ذلك واما ان يكون من الاسماء المشتركة التي يدل الاسم منها على مسميين فصاعدا ولا يجوز
ان يكون من الاسماء المتباينة لانا نراه متجاذبا من لونين احدهما هذا اللون الذي في الشكل والاخر اللون المظلم الشكل وعلى هذا

فانه يكون من الاسماء المشتركه واذا كان من الاسماء المشتركه فلا بد له من قرينه تخصصه باحد لونيه ويرى ذلك الفرس مخصصه له باللون الزعفراني دون اللون المظلم لان الفرس قد يصفر فاقع لونها والفاقع من صفات اللون الزعفراني خاصه لانه قد يرد للالوان صفات متعدده لكل لون منها صفه فصفه البياض يقق واسود حالك واحمر قان واصفر فاقع ولم يقل اسود فاقع ولا اصفر حالك فعلم ح ان لون البقره لم يكن اسود واما كان اصفر فلما تحقق عنده ذلك لفقيه ما اشرت اليه اذ عن لي للسليم • واما النوع الثالث فهو معرفه امثال العرب وامثالهم ومعرفه الوقايع التي وردت في وقايع خاصه باقوام وقولي هنا لا تعصى كل الامثال الوارده عنهم فان منها ما للاحسن استعماله كما ان من الفاظهم ايضا ما للاحسن استعماله وكنت جردت مركبات الامثال للميداني وراقا خفيفه يشتمل على الحسن من الامثال التي يدخل في باب الاستعمال وسبيل المتصدي لهذا الفن ان سلك ما سلكته ولعلم ان الحاجة اليه شديده وذلك ان العرب لم تضع كل امثال لا لاسباب وجيهة وحوادث قضتها فصار المثل المضروب للامر مشهورا بورود عندهم كالعلامه التي يعرف بها الشيء فليس في كلامهم اوجز منها ولا اشد اختصارا وسبب ذلك ما اذكره لتكون من معرفته على يقين فاقول قد جاء العرب من جمله امثالهم ان تبغ علبك قومك لا تبغ علبك القمر وهو مثل يضرب للامر الظاهر المشهور كما قال المفضل محمد انه بلغنا ان نبيا تعلبه سعد رضية في الجاهلية ترا هنوا على الشمس والقمر لليله اربع عشره من الشهر فعالت طائفه تطلع الشمس والقمر يرى وقالت طائفه بغيب القمر فعال ان تطلع الشمس فترا ضوا برجل جعلوه بينهم حكما فعال واحد منهم ان قومي سغون على فقال الحكم ان تبغ علبك قومك لا تبغ علبك القمر فذهبت مثلا • ومن المعلوم ان قول القائل ان تبغ علبك قومك لا تبغ علبك القمر اذا اخذ على حصفته من غير نظر الى القرائن المنوطه به والاسباب التي قيل من اجلها لا تعطى من المعنى ما قد اعطاه المثل وذلك ان المثل له مقدمات واسباب قد عرفت وصارت مشهوره بين الناس معلومه عندهم وحيث كان الامر كذلك جاز ايراد هذه اللفظات في التعبير عن المعنى المراد ولولا تلك المقدمات المعلومه والاسباب المعروفه لما فهم من قول القائل ان تبغ علبك قومك لا تبغ علبك القمر ما ذكرناه من المعنى المقصود بل ما كان يفهم من هذا القول معنى مفيد لان البغي هو الظلم والقمر ليس من شانه ان يظلم احدا فكان نصر معنى المثل ان كان يظلمك قومك لا يظلمك القمر وهذا الكلام يحتمل المعنى ليس بمستقيم فلما كانت الامثال كالرموز والاشارات التي يلوح بها على المعاني تلويحا صارت من اوجز الكلام واكثره اختصارا وحيث هي لهذه المكانه فلا ينبغي الاخلال بمعرفتها • واما ايام العرب فانها تنوع وتشعب فمنها ايام فخار ومنها ايام محاربه ومنها ايام منافره ومنها عدك ولائح الناظم والناثر من الاسباب لوصف يوم يمر به في بعض الاحوال شبيها سوم من ذلك الايام ومماثلا له فاذا جاء ذكر بعض تلك الايام المناسبه لمراده الموافقه له وقاس عليه يومه فانه يكون في غايه الحسن والرونق وهذا لم اخفايه • واما الوقايع التي وردت في حوادث خاصه باقوام فانها كالامثال في الاستشهاد بها وسايرلك منه فيها حتى يعلم مقدار الفائده بها • ومن ذلك انه ورد في النبي ص حديث بيعه الحديبيه تحت الشجره وكان ارسل عمر ص الى مكه في حاجه عرضت له ولم يحضر البيعه فضرب رسول الله ص بيده الشمال على اليمين وقال هذه عثمان وشمالي خير من يمينه • وقد استعملت انا هنا في عمل كتاب فعلت ولا يبعد البر برا حتى يلحق الغيث بالحضور • ونصل من لم نصل بحرا ولا شكوه فرية الغائب بالشاهد مكرم لاحسان • ولهذا نابت شمال رسول الله ص عن عمر عثمان • ومن ذلك انه ورد عن عمر الخطاب ص انه استدعى ابا موسى الاشعري ومر بليمر العمال وكان مهم الربيع زياد الحارثي فمضى الى البريد فمشى مولى عمر وساله عما يروج عنده ويتفق عليه فاشار الى حشونة العيش فمضى ولبس جبه صوف وعمامه دكنا وخفا مطارفا وحضر بين يديه في عمل العمال فصوب عمر نظره وصعده فلم ينفع لا عليه فاذناه وساله عن حاله ثم اوصى ابا موسى الاشعري به

وقد

وقد استعملت انا هنا في جمله تقليد لبعض الملوك من دواوين الخلافه فعلت اذا استعنت احثا على عملك فاضرب عليه لا رصاك • والارض بما عرفت من مبدء حاله فان الاحوال تتنقل سفل الاحساك • واياك ان تخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر الخطاب بالربيع بن زياد • فانظر كيف فعلت في هاتين الفصلتين وكيف اوردتهما في الغرض الذي قصدته وامض انت على هذا النهج فانه من محاسن هذه الصناعه • وعرض على كتاب كتبه عبد الرحيم بن علي البيساني رحمه الله الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله في دواوين الخلافه سعداذ في سنه احدى وسبعين وخمسمايه وضمنه ما ابلاه في خدمه الدوله من فتح الديار المصريه ومحو الدوله العلويه واقامه الدوله العباسيه وشرح فيه ما قاساه في الفتح من الاهوال • ولما املته وجدته كتابا حسنا قد وفى فيه الخطابه حقها الا انه اخل بشيء واحد وهو ان مصر لم تفتح الا ان قصدت من الشام ثلث مرار وكان الفتح في المره الثالثه وهذا له نظير في فتح رسول الله ص مكه فانه قصدها عام الحديبيه ثم سار اليها وعمره القضاء ثم سار اليها عام الفتح ففتحها • وقد سالني بعض الاخوان ان انشيء له ذلك كتابا الى ديوان الخلافه معارضا للكتاب الذي انشاه عبد الرحيم رحمه الله فاجبته الى سواله وعدت مساعي صلاح الدين يوسف ابن ايوب رحمه الله • ومن جملتها ما فعله الخادم في الدوله المصريه وقد قام بها منبر وسرير وقالت منا امير ومنكم امير • فرده الدوله العباسيه الى معاده • واذكر المنابر ما نسيته بها من زهو اعواده • وكانت احرقت منها اخلاع الشيء مرقيته • وعدى الشطان على حقها ساطله وعلى صدقها بفريته • ثم طوتها الليالي طي السجل للكتاب • وكثر عليها مرور الدهر حتى نسي لها عدد السنين والحساب • ولم تعد الى وطنها حتى تغربت لها الرواجع اوطانها • وشهرت لها اجفان السوف سهر العيون اجفانها • وتطاردت الاراء في سهيل امر قبل مطارده اوانها • وحتى بعدها عرفات ملث كلها ذوات غروب • وكل خطب مرخطوبها ذو خطوب • الى ان تمخض لبلهاء صبيحه • واصبحت الاسلام كعام حديثه وعمره فضائه وعام فسحه • وقد ذكرت اخبارا مما يطبع الاسنه بروس الاقلام • وذهب سامعها ولم ينله شيء مما ذكروها سوى الكلام • ونودها للدوله هو الذي ارخ فيه معاك نضرتها ومعاك نشرها • واذا عدت ليالها السالفه كانت كساير الليالي وهذه ليلة قدرها • فهذا فصل من فصول الكتاب فانظر كيف مالت سير الفتح المصري وفتح مكه وذكرت انضاف حديث الحجاب ابن المنذر الانصاري حيث قال بعد وفاه النبي ص منا امير ومنكم امير وذلك لما حضر ابو بكر وعمر وابو عبيده بن الجراح رضي الله عنهم في سقيفه بني ساعده والقصه مشهوره فقال الحباب بن المنذر منا امير ومنكم امير فقال ابو بكر بل نحن الامراء وانتم الوزراء وهذا الذي ذكره هو بكنه الفتح الذي عليها المعول ومركزه الذي عليه يدور • وعجبت من عبد الرحيم رح البيساني مع تقدمه في الكتابه كيف فاته ان ياتي بالكتاب الذي كتبته • وكذلك وجدت لابن زيادة البغدادي كتابا كتبته الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف المقدم ذكره في كذا وكذا وعشرين وخمسمايه وضمنه فصولا اشتمل على امور انكرت عليه مرد دواوين الخلافه ومن تلك الامور التي انكرت انه تلقب بالملك الناصر وذلك خاصه هو لقب لامير المومنين خاصه فانه لم يتلقب به احد من الائمه الناصر لدين الله فلما وقفت على ذلك الكتاب وجدته كتابا حسنا قد اجاد فيه كل الاجاده ولم اجد فيه مغمزا الا في هذا الفصل الذي هو بسبيل حديث اللقب فانه لم يات بكلام مناسب باقي الفصول المذكوره بل اتى بكلام فيه غثاثه كقوله ما يستصلحه المولى فهو على عبده حرام او كشيام هذا المنسق وكان الاليق والاحسن ان يختم بحجه فيها روح ويذكر كلاما فيه ذلاقه ورشاقه • وحضر عندي في بعض الايام بعض اخواني وجرى حديث ذلك فسالني عما كان ينبغي ان يكتب في هذا الفصل وذكرت ما عندي وهو • وعلم ان للابنيا والحلفا خصائص يختصون بها على حكم الانفراد • وليس لاحد من الناس ان ينشارككهم فيها مشاركه الانداد • وقد اجرى رسول الله ص ذلك في اشيا نص عليها بحكمه • ومن جملتها انه نهى عمرو ان يجمع بين كنيته وبين اسمه

معرفه امثال العرب

ان تبغ علبك قومك لا تبغ علبك القمر

٢ والاصل فيه

وقد اجاء ذلك مثل في معنى المثل انه المثل الذي يحتاج الى ان يعمل عليه ص

وقد

وهذا مسوغ لامير المومنين ان يختص بامر يكون به مشهورا وعلى غيره محظورا وقد وسم نفسه بسمة نزلت عليه من السما وتميزت
به من بين المسميات والاسما ثم استمرت عليها الايام حتى خوطب بها من اطراف البلاد وعرفه بها الحاضر والباد ورفعها
الخطباء على المنابر في ايام الجمع ومواسم الاعياد وقد شاركته انت فيها غير مراقب لمزية التعظيم ولا فارق بين فسحة
التحليل وحرج التحريم والشرع والادب يحكمان عليك بان تلقى ما فرط منك بالمتاب والا تحوج فيه الى التقريع الذي
هو اشد العتاب ومثلك من عرف الحق فامسك بيده ونسج اغفال امسه باستيناف التيقظ في غده ولله قد رفع المواخذة
عمن اتى الشي خطاء لا عمدا وقبل التوبة ممن اخذ على نفسه بالاخلاص عهدا فانظر ايها المتامل كيف جيت بالخبر النبوي
وجعلته شاهدا على هذا الوضع ولا يمكن ان يحتج في مثل ذلك بمثل هذا الاحتجاج ولا اعلم كيف شذ عن زيادة ان ياتي به
مع انه كاتب مفلق ارضتني كتابته ولم اجد في البغداديين من يماثله في هذا الفن واما النوع الرابع وهو
الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور فان في ذلك فوايد جمة لانه يعلم منه اغراض الناس ونتايج افكارهم ويعرف
به مقاصد كل فريق منهم والى اين ترامت به صنعته في ذلك فان هذه الاشيا مما يشحذ القريحة ويذكي الفطنة واذا
كان صاحب هذه الصناعة عارفا بها تصير المعاني التي ذكرت وتعب في استخراجها كالشي الملقى بين يديه ياخذ منه ما اراد
ويترك ما اراد وايضا فانه اذا كان مطلعا على المعاني المسبوق اليها قد ينقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق اليه
ومن المعلوم ان خواطر الناس وان كانت متفاوتة في الجودة والرداة فان بعضها لا يكون غاليا على بعض او منحطا عنه
الا بشي يسير وكثيرا ما تتساوى القرايح والافكار في الاتيان بالمعاني حتى ان بعض الناس قد ياتي بمعنى مصوغ بلفظ
ثم ياتي الاخر بعده بذلك المعنى واللفظ بعينهما من غير علم منه بما جاء به الاول وهذا الذي تسميه ارباب هذه الصناعة وقوع
الحافر على الحافر وسياتي لذلك باب مفرد في اخر كتابنا ان شا الله تعالى واما النوع الخامس وهو في معرفة الاحكام السلطانية
من الامامة والامارة والقضا والحسبة وغير ذلك فانما اوجبنا معرفتها والاحاطة بها لما يحتاج اليه الكاتب في تقليدات
الملوك والامراء والقضاة والمحتسبين ومن يجري مجراهم وايضا فانه قد يحدث في الامامة حادث في بعض الاوقات بان
يموت الامام القايم بامر المسلمين ثم يتولى من بعده من يتكامل فيه شرايط الامامة او يكون كامل الشرايط غير ان الامام الذي كان
قبله عهد بها الى اخر غيره وهو ناقص الشرايط او يكون قد تنازع الامامة اثنان او يكون ارباب الحل والعقد قد اختاروا
اماما وهم غير كاملي الشرايط التي يجب ان توجد فيهم او يكون امر غير ما ذكرناه فيختلف الاطراف في ذلك وينتصب ملك من
الملوك له عناية بالامام الذي قام للمسلمين فيامر كاتبه ان يكتب كتابا في امره الى الاطراف المخالفة له واذا لم يكن الكاتب
عند ذلك عارفا بالحكم في هذه الحوادث واختلاف اقوال العلماء فيها وما هو رخصة في ذلك وما ليس برخصة فانه لا يكتب
كتابا ينتفع به ولسنا نعني بهذا القول ان يكون الكاتب مقصورا على فقه محض لانا لو اردنا ذلك لما كنا نحتاج فيه الى كتب
كتاب بلاغي بل كنا نقتصر على ارسال مصنف من مصنفات الفقه عوضا عن الكتاب وانما قصدنا ان يكون الكتاب الذي يكتب
في هذا المعنى مشتملا على الترغيب والترهيب والمسامحة في موضع والمحاققة في موضع مشحونا بالنكت الشرعية المبرزة
في قوالب الفصاحة والبلاغة كما فعل الكاتب الصابي في الكتاب الذي كتبه عن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه الى
الامام الطايع لما خلع المطيع فانه من محاسن الكتب الذي يكتب في هذا الفن واما النوع السادس وهو حفظ
القران الكريم فان صاحب هذه الصناعة ينبغي له ان يكون عارفا بذلك لان فيه فوايد كثيرة منها انه يضمن كلامه بالايات
في اماكنها اللايقة بها ومواضعها المناسبة لها ولا شبهة فيما يصير الكلام بذلك اليه من الفخامة والجزالة والرونق
ومنها انه اذا عرف مواقع البلاغة واسرار الفصاحة المودعة في تاليف القران اتخذه بحرا يستخرج منه الدرر والجواهر

ويودعها

ويودعها في مطاوي كلامه كما فعلته انا فيما انشاته من المكاتبات وكفى بالقران الكريم وحده آلة واداة في استعمال افانين
الكلام فعليك ايها المترشح لهذه الصناعة بحفظه والفحص عن سره وغامض رموزه واشاراته فانها تجارة لا تبور
ومنبع لا يغور وكنز يرجع اليه وذخر يعول عليه واما النوع الثامن وهو ما يختص بالناظم دون الناثر وذلك معرفة
العروض وما يجوز فيه من الزحاف وما لا يجوز فان الشاعر محتاج اليه ولسنا نوجب عليه المعرفة بذلك لينظم بعلمه فان
النظم مبني على الذوق ولو نظم بتقطيع الافاعيل لجاء شعره متكلفا غير مرضي وانما اريد للشاعر معرفة العروض لان
الذوق قد ينبو عن بعض الزحافات وقد يكون ذلك جايزا في العروض وقد ورد للعرب مثله فاذا كان الشاعر غير عالم به لم
يفرق بين ما يجوز من ذلك وما لا يجوز وكذلك ايضا يحتاج الشاعر الى العلم بالقوافي والحركات ليعلم الروي والردف
وما يصح من ذلك وما لا يصح فاذا اكمل صاحب هذه الصناعة معرفة هذه الالات وكان ذا طبع مجيب وقريحة مواتية
فعليه النظر في كتابنا هذا والتصفح لما اودعناه من حقايق علم البيان ونبهنا عليه من اصول ذلك وفروعه على ان
الذي ذكرناه من هذه الالات الثمان هو كالاصل لما يحتاج اليه الخطيب والشاعر ومعرفته ضرورية لا بد منها وههنا
اشياء اخر هي كالتوابع والروادف وبالجملة فان صاحب هذه الصناعة يحتاج الى التشبث بكل فن من الفنون حتى انه
يحتاج الى معرفة ما تقوله النادبة بين النسا والماشطة عند جلوة العروس وحمل الكلام في ذلك انه مؤهل لان يهيم
في كل واد فيحتاج ان يتعلق بكل فن

الفصل الثالث في الحكم على المعاني

وفايدة هذا الفصل الاحاطة
باساليب المعاني على اختلافها وتباينها وصاحب هذه الصناعة مفتقر الى هذا الفصل والذي يليه بخلاف غيرهما من هذه
الفصول المذكورة ولا سيما مفسري الاشعار فانهم به اعني اعلم ان الاصل في المعنى ان يحمل على ظاهر لفظه ومن
يذهب الى التاويل يفتقر الى دليل كقوله وثيابك فطهر فالظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس ومن تاول ذهب الى ان المراد
هو القلب لا الملبوس وهذا لا بد له من دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ وكذلك ورد عن عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام
انه قال اذا اردت الصلوة فادخل بيتك واغلق بابك فالظاهر من هذا هو البيت والباب ومن تاول ذهب الى انه اراد انك
تجمع عليك همم قلبك ويمنع ان يخطر به شي سوى امر الصلوة فعبر عن القلب بالبيت وعن منع الخواطر التي تخطر له باغلاق
الباب وهذا يحتاج الى دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ فالمعنى المحمول على ظاهره لا يقع في تفسيره خلاف والمعنى
المعدول عن ظاهره الى التاويل يقع فيه الخلاف اذ باب التاويل غير محصور والعلماء متفاوتون في هذا فانه قد ياخذ
بعضهم وجها ضعيفا من التاويل فيكسوه بعبارته قوة تميزه على غيره من الوجوه القوية فان السيف بضاربه

ان السيوف مع الذين قلوبهم • كقلوبهن اذا التقى الجمعان •
تلقى الحسام على جراءة حده • مثل الجبان يكف كل جبان •

وذهب بعضهم في الفرق بين التفسير والتاويل الى شي غير مرضي فقال التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة كتفسير الصراط
بالطريق والتاويل اظهار باطن اللفظ كقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد فتفسيره من الرصد يقال رصدته اذا رقبته وتاويله تحذير
العباد من تعدي حدود الله ومخالفة امره والذي عندي في ذلك انه اصاب في الاخر ولم يصب في الاول لان قوله التفسير
بيان وضع اللفظ حقيقة لا مستند لجوازه بل التفسير يطلق على بيان وضع اللفظ حقيقة ومجازا لانه من الفسر وهو الكشف
كتفسير الرصد في الاية المشار اليها بالرقبة وتفسيره بالتحذير من تعدي حدود الله ومخالفة امره واما التاويل فانه احد قسمي التفسير
وذلك انه رجوع عن ظاهر اللفظ وهو مشتق من الاول وهو الرجوع يقال آل يؤول اذا رجع وعلى هذا فان التاويل خاص والتفسير
عام فكل تاويل تفسير وليس كل تفسير تاويلا ولهذا يقال تفسير القران ومن تفسيره ظاهر وباطن وهذا الفصل الذي نحن بصدده

ذكره ههنا اكثره يرجع الى التاويل لانه ادق ولا يخ تاويل المعنى من ثلثة اقسام اما ان يفهم منه شي واحد لا يحتمل غيره واما
ان يفهم منه الشي وغيره وتلك العبرية اما ان يكون ضدا او لا يكون ضدا وليس لنا قسم رابع فالاول يقع عليه اكثر الاشعار ولا
يجري في الرقة واللطافة مجرى القسمين الاخرين واما القسم الثاني فانه قليل الوقوع جدا وهو من اطراف التاويلات المعنوية
لان دلالة اللفظ على المعنى وضده اغرب من دلالته على المعنى وغيره مما ليس بضده • فمما جا منه قول النبي ص صلوة في مسجدي هذا خير من
الف صلوة في غيره من المساجد الا المسجد الحرام فهذا الحديث يستخرج منه معنيان ضدان احدهما ان المسجد الحرام افضل من
مسجد رسول الله ص والاخر ان مسجد رسول الله ص افضل من المسجد الحرام اي ان صلوة واحدة فيه لا تفضل الف صلاة في المسجد
الحرام بل تفضل ما دونها بخلاف المساجد الباقية فان الف صلوة فيها تقصر عن صلوة واحدة • وكذلك جاء قول النبي ص ايضا
من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فافعل ما شئت وهذا يشتمل على معنيين ضدين احدهما ان المراد به اذا لم تفعل فعلا
تستحي منه فافعل ما شئت والاخر ان المراد به اذا لم يكن لك حيا يزعك عن فعل ما تستحي منه فافعل ما شئت وهذان معنيان
ضدان احدهما مدح والاخر ذم • ومثله ورد في الحديث النبوي ايضا وذلك انه ذكر شريح الحضرمي عند النبي ص فقال لا يتوسد
القران وهذا يحتمل مدحا وذما اما المدح فانه لا ينام الليل عن القران فيكون القران متوسدا معه لم يتهجد به • واما الذم
فالمراد به انه لا يحفظ من القران شيا فاذا نام لم يتوسد معه القران وهذان التاويلان من الاضداد فكثيرا ما يرد امثال ذلك
في الاحاديث النبوية ويجري على هذا النهج من الشعر قول ابي الطيب المتنبي من قصيدة يمدح بها كافورا •
واظلم اهل الظلم من بات حاسدا • لمن بات في نعمائه يتقلب • وهذا البيت يستخرج منه معنيان ضدان احدهما ان المنعم عليه يحسد
المنعم والاخر ان المنعم يحسد المنعم عليه وكذلك ورد قوله ايضا من قصيدة يمدحه •
فان نلت ما املت منك فربما • شربت بماء يعجز الطير ورده • فان هذا البيت يحتمل مدحا وذما واذا اخذ بمفرده من غير
نظر الى ما قبله فانه يكون بالذم اولى منه بالمدح لانه يتضمن وصف نواله بالبعد والشذوذ وصدر البيت مفتتح بان الشرطية
وقد اجيبت بلفظة رب التي معناها التقليل اي اني لست من نوالك على يقين فان نلته فربما وصلت الى مورد لا يصل اليه الطير
لبعده • واذا نظر الى ما قبل هذا البيت دل على المدح خاصة لارتباطه بالمعنى الذي قبله وكثيرا ما كان يقصد المتنبي هذا القسم في
شعره كقوله من قصيدة اولها • عدوك مذموم بكل لسان • ولو كان من اعدائك القمران •
ولله سر في علاك فانما • كلام العدى ضرب من الهذيان •
ثم قال فيها • فما لك تعني بالاسنة والقنا • وحدك طعان بغير سنان •
فان هذا بالذم اشبه منه بالمدح لانه يقول انك لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل بجد وسعادة وهذا لا فضل فيه لان
السعادة تنال الخامل والجاهل ومن لا يستحقها • واكثر ما كان المتنبي يستعمل هذا القسم في قصائده الكافوريات • وحكى ابو الفتح
ابن جني قال قرات على ابي الطيب المتنبي ديوانه الى ان وصلت الى قصيدته التي اولها •
اغالب فيك الشوق والشوق اغلب • فاتيت منها على هذا البيت وهو • وما طربي لما رايتك بدعة • لقد كنت ارجو ان اراك فاطرب •
فقلت له يا ابا الطيب لم تزد على ان جعلته ابا زنة فضحك لقولي • وهذا القسم من الكلام يسمى الموجه اي له وجهان وهو
مما يدل على براعة الشاعر وحسن تاتيه • واما القسم الثالث فانه يكون اكثر وقوعا من القسم الثاني وهو واسطة بين طرفين
لان القسم الاول اكثر الوقوع والثاني قليل الوقوع وهذا القسم الثالث وسط بينهما فمما جاء منه قوله تع ولا تقتلوا انفسكم فان هذا
له وجهين من التاويل احدهما القتل الحقيقي الذي هو معروف والاخر هو القتل المجازي وهو الاكباب على المعاصي فان الانسان
اذا اكب على المعاصي قتل نفسه في الاخرة • ومن ذلك ما ورد في قصة ابرهيم وذبح ولده عليهما الصلوة والسلام فقال الله تعالى حكاية عنه

وقال

يزدعك صح

فالمراد به صح

فيك صح

ابو زنة قرد قاموس

القسم صح

وجهان صح

وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في
المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين وناديناه
ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الاخرين
كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فقوله تع وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قد يكون
بشارة بنبوته بعد البشارة بميلاده وقد يكون استينافا بذكره بعد ذكر اسمعيل عليه السلام وذبحه والتاويل متجاذب بين هذين
الامرين فلا دليل على الاختصاص باحدهما ولم يرد في القران ما يدل على ان الذبيح اسمعيل ولا اسحق عليهما السلام وكذلك لم يرد في الاخبار
التي صحت عن رسول الله ص • واما ما يروى عنه انه قال انا ابن الذبيحين فخارج عن الاخبار الصحيحة • وفي التورية ان اسحق عليه السلام
هو الذبيح • ومن ذلك قول النبي ص لازواجه اطولكن يدا اسرعكن لحوقا بي فلما مات النبي ص جعلن يطاولن ايديهن حتى ينظرن ايتهن
اطول يدا ثم كانت زينب اسرعهن لحوقا به وكانت كثيرة الصدقة فعلمن ح انه لم يرد الجارحة وانما اراد الصدقة فهذا القول
يدل على المعنيين المشار اليهما • ومن ذلك ما روي عن انس بن مالك رض انه قال خدمت رسول الله ص عشر سنين فلم يقل لشي فعلته
لم فعلته ولا لشي لم افعله لم لا فعلته وهذا القول يحتمل وجهين من التاويل احدهما وصف رسول الله ص بالصبر على خلق من
يصحبه والاخر انه وصف نفسه بالفطنة والذكا فيما يقصده من الاعمال كانه متفطن لما في نفس رسول الله ص فيفعله من غير حاجة
الى استيذانه • ومن ذلك ما ورد في الادعية النبوية فانه ص دعا على رجل من المشركين فقال اللهم اقطع اثره وهذا يحتمل ثلثة اوجه من
التاويل الاول انه دعا عليه بالزمانة لانه اذا زمن لا يستطيع ان يمشي على الارض فينقطع ح اثره • الوجه الثاني انه دعا
عليه بان لا يكون له نسل من بعده ولا عقب • الوجه الثالث انه دعا عليه بان لا يكون له اثر من الاثار مطلقا وهو ان لا يفعل فعلا
يبقى اثره من بعده كائنا ما كان من عقب او بنا او غراس او غير ذلك • وظفرت الحرورية برجل فقالوا له ابراء من علي وعثمن فقال
انا من علي وعثمن بري فهذا يدل على معنيين احدهما انه بري من عثمن وحده والاخر انه بري منهما جميعا والرجل لم يرد الا الوجه الاول
ومن ذلك ما يحكى عن عبد المسيح بن نفيلة لما نزل بهم خالد بن الوليد على الحرة وذاك انه خرج اليه عبد المسيح فلما مثل بين يديه قال انعم
صباحا ايها الملك فقال له خالد قد اغنانا الله عن تحيتك هذا بسلام عليكم ثم قال له من اين اقصى اثرك قال من ظهر ابي قال فمن
اين خرجت قال من بطن امي قال فعلام انت قال على الارض قال ففيم انت قال في ثيابي قال ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال
خالد ما رايت كاليوم قط انا اساله عن الشي وهو ينحو في غيره وهذا من توجيه الكلام على نمط حسن وهو يصلح ان يكون جوابا
لخالد عما سال ويصلح ان يكون جوابا لغيره مما ذكره عبد المسيح بن نفيلة • وقد ورد في التورية النهي ان يوكل الجدي بلبن امه وهذا
يحتمل التحريم فيه وجهين احدهما ما دل عليه ظاهر لفظه وهو تحريم لحم الجدي بلبن امه خاصة واذا اكل بلبن غير لبن امه جاز ذلك
ولم يكن حراما وهذا لا ياخذ به احد من اليهود • الوجه الاخر وهو الذي يوخذ به عند اليهود جميعهم ان اكل اللحم باللبن حرام كائنا
ما كان من اللحوم الا طائفة منهم يسمون القرائين فانهم تاولوا واكلوا لحم الطير باللبن وقالوا انما حرم اللحم باللبن من اللحوم ذوات
الالبان والطير من ذوات البيض لا من ذوات الالبان • ومما يجري على هذا المنهج ما يحكى عن افلاطن انه قال ترك الدوا دوا
فذهب بعض الاطبا الى انه اراد الطف المزاج وانتهى الى غاية لا يحتمل الدوا فتركه ح والاضراب عنه دوا وذهب اخرون الى انه
اراد بالترك الوضع اي وضع الدوا على الداء دوا يشير بذلك الى حذق الطبيب في اوقات علاجه ومثله في الشعر قول الفرزدق
اذا جعفر مرت على هضبة الحما • فقد اخرت الاحيا منها قبورها • وهذا يدل على معنيين احدهما ذم الاحيا والاخر ذم الاموات
اما ذم الاحيا فهو انهم خذلوا الاموات يريد انهم تلاقوا في قتالهم وقوم اخرون ففر الاحيا عنهم واسلموهم او انهم استنجدوهم
فلم ينجدوهم • واما ذم الاموات فهو ان لهم مخازي وفضائح توجب عارا وشنارا فهم يعدون بها الاحيا ويلصقونها بهم

سلام على ابرهيم

ترك الدواء دواء

وعلى هذا ورد قول ابي تمام • بالشعر طول اذا اصطكت قصائده • في معشر وبه عن معشر قصر • فهذا البيت يحتمل
تاويلين احدهما ان الشعر يتسع مجاله بمدحك ويضيق بمدح غيرك ولفظة الطول يفهم منها ضد القصر ويفهم منها الفخر من
قولنا طال فلان على فلان اي فخر عليه • ومما ينتظم بهذا السلك قول ابي كثير الهذلي •
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها • فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر • وهذا يحتمل وجهين من التاويل احدهما انه اراد بسعي الدهر
سرعة تقضي الاوقات مدة الوصال فلما انقضى الوصل عاد الدهر الى حالته في السكون والبطء الاخر انه اراد بسعي الدهر
سعي اهل الدهر بالنمايم والوشايات فلما انقضى ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السعاية وهذا من باب وضع المضاف
اليه مكان المضاف كقوله واسئل القرية اي اهل القرية • ومن الدقيق المعنى في هذا الباب قول ابي الطيب المتنبي في عضد
الدولة من جملة قصيدته التي اولها • اوه بديل من قولتي واها • فقال
لو فطنت خيله لنايله • لم يرضها ان تراه يرضاها • وهذا يستنبط منه معنيان غيران احدهما ان خيله لو
علمت مقدار عطاياه النفيسة لما رضيت له بان يكون من جملة عطاياه لان عطاياه انفس منها • والاخر ان خيله لو
علمت انه يهبها في جملة عطاياه لما رضيت ذلك اذ تكره خروجها عن ملكه وهذان الوجهان انا ذكرتهما وانما المذكور منهما
هو احدهما وهذا الذي اشرت اليه من الكلام على المعاني وتاويلاتها كاف لمن عنده ذوق وله قوة على اشباهها ونظايرها

الفصل الرابع في الترجيح بين المعاني

وهذا الفصل هو ميزان الخواطر الذي يوزن به نقد درهمها ودينارها
بل المحك الذي يعلم منه مقدار عيارها ولا يزن به الا ذو فكرة منقدة ولمحة منتقدة • فليس كل من حمل ميزانا سمي صرافا
ولا كل من وزن به سمي عرافا • والفرق بين هذا الترجيح والترجيح الفقهي ان هناك يرجح بين دليلي الخصمين في حكم شرعي
وههنا يرجح بين جانبي فصاحة وبلاغة في الفاظ ومعان خطابية وبيان ذلك ان صاحب الترجيح الفقهي يرجح بين خبر
التواتر مثلا وبين خبر الاحاد وبين المسند والمرسل او ما جرى هذا المجرى • وهذا لا يعرض اليه صاحب علم البيان لانه
ليس من شانه ولكن الذي هو من شانه ان يرجح بين حقيقة ومجاز او بين حقيقتين او بين مجازين ويكون ناظرا في ذلك كله الى الصناعة
الخطابية ولربما اتفق هو وصاحب الترجيح الفقهي في بعض المواضع كالترجيح بين عام وخاص وما شانه ذلك وكنا قدمنا
القول في الحكم على المعاني وانقسامها ولنبين في هذا الفصل مواضع الترجيح بين وجوه تاويلاتها فنقول اما القسم
الاول من المعاني فلا تعلق للترجيح به اذ ما دل عليه ظاهر لفظه ولا يحتمل الا وجها واحدا فليس هو من هذا الباب في شيء والترجيح انما
يقع بين معنيين يدل عليهما لفظ واحد ولا يخ الترجيح بينهما من ثلثة اقسام اما ان يكون اللفظ حقيقة في احدهما مجازا في الاخر
او حقيقة فيهما جميعا او مجازا فيهما جميعا وليس لنا قسم رابع والترجيح بين الحقيقتين او المجازين يحتاج الى نظر واما الترجيح
بين الحقيقة والمجاز فانه يعلم ببديهة النظر لمكان الاختلاف بينهما والشيئان المختلفان يظهر الفرق بينهما بخلاف ما يظهر
بين الشيئين المشتبهين • فمثال الحقيقة والمجاز قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد
عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فالجلود ههنا تفسر حقيقة ومجازا اما الحقيقة فيراد بها الجلود مطلقا
واما المجاز فيراد بها الفروج خاصة وهذا هو المانع البلاغي الذي يرجح جانب المجاز على الحقيقة لما فيه من لطف الكناية عن
المكني عنه • وقد يسئل ههنا في الترجيح بين الحقيقة والمجاز عن غير الجانب البلاغي ويقال ما بيان هذا الترجيح فيقال ان طريقه
ان لفظ الجلود عام ولا يخ اما ان يراد به الجلود مطلقا او يراد به الجوارح التي هي ذوات الاعمال خاصة ولا يجوز ان يراد
به الجلود على الاطلاق لان شهادة غير الجوارح التي هي الفاعلة شهادة باطلة اذ هي شهادة غير شاهد والشهادة ههنا يراد بها
الاقرار فتقول اليد انا فعلت كذا وكذا وتقول الرجل انا مشيت الى كذا وكذا وكذلك الجوارح الباقية تنطق مقرة باعمالها

فترجح

فترجح بهذا ان يكون المراد به شهادة الجوارح واذا اريد به الجوارح دخل تحته السمع والبصر ولم يكن لتخصيصهما بالذكر فائدة
وان اريد به البعض فهو بالفرج اخص منه بغيره من الجوارح لامرين احدهما ان الجوارح كلها قد ذكرت كلها في القرآن الكريم
شاهدة على صاحبها بالمعصية ما عدا الفرج فكان حمل الجلد عليه اولى ليستكمل ذكر الجميع • الاخر انه ليس في الجوارح ما
يكره التصريح بذكره الا الفرج فكني عنه بالجلد لانه موضع يكره التصريح فيه بالمسمى على حقيقته فان قيل ان تخصيص
السمع والبصر بالذكر من باب التفضيل كقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان والرمان من الفاكهة قلت في الجواب هذا القول
عليك لا لك لان النخل والرمان انما ذكر التفضيل لهما في الشكل او الطعم والفضيلة ههنا في ذكر الشهادة انما هي تعظيم لامر
المعصية وغير السمع والبصر اعظم في المعصية لان معصية السمع انما تكون في سماع غيبة او في سماع صوت مزمار او وتر او ما
جرى هذا المجرى ومعصية البصر انما يكون بالنظر الى محرم وكلا المعصيتين لا حد فيها واما المعاصي التي توجد من غير السمع
والبصر فاعظم لان معصية اليد توجب القطع ومعصية الفرج توجب الجلد مائة او الرجم وهذا اعظم فكان ينبغي ان
يخص بالذكر دون السمع والبصر واذا ثبت فساد ما ذهبت اليه فلم يكن المراد بالجلود الا الفروج خاصة • واما
مثال المعنيين اذا كانا حقيقتين فقول النبي ص التمسوا الرزق في خبايا الارض والخبايا جمع خبية وهو كل ما يخبا
كائنا ما كان وهذا يدل على معنيين حقيقيين احدهما الكنوز المخبوة في بطن الارض والاخر الحرث والغراس وجانب الحرث
والغراس ارجح لان مواضع الكنوز لا تعلم حتى يلتمس والنبي ص لا يامر بذلك لانه شيء مجهول غير معلوم فيبقى المراد بخبايا الارض
ما يحرث ويغترس وكذلك ورد قوله ص اذا ابتلت النعال فالصلوة في الرحال وهذا الحديث مرخص في ترك صلوة
الجماعة بسبب المطر وله تاويلان احدهما انه اراد نعال الارض وهو ما غلظ منها والاخر انه اراد الاحذية والوجه هو الثاني
لظهوره في الدلالة على المعنى واكثر العلماء عليه ولو كان المراد به ما غلظ من الارض لخرج عن هذا الحكم كل بلد يكون ارضه سهلة
لا غلظ فيها • واما مثال المعنيين المجازيين فكقول ابي تمام • قد بلونا ابا سعيد حديثا • وبلونا ابا سعيد قديما •
• ووردناه ساحلا وقليبا • ورعيناه بارضا وجميما • فعلمنا ان ليس الا بشق النفس صار الكريم يدعى كريما •
فالساحل والقليب يستخرج منهما تاويلان مجازيان احدهما انه اراد بهما الكثير والقليل بالنسبة الى الساحل والقليب والاخر
انه اراد بهما السبب وغير السبب فان الساحل لا يحتاج في وروده الى سبب والقليب يحتاج في وروده الى سبب وكلا هذين
المعنيين مجاز فان حقيقة الساحل والقليب غيرهما والوجه هو الثاني لانه ادل على بلاغة القائل ومدح المقول فيه
اما بلاغة القائل فالسلامة من هجنة التكرير بالمخالفة بين صدر البيت وعجزه فان عجزه يدل على القليل والكثير لان البارض
هو اول النبت حين يبدو فاذا كثر وتكاثف سمي جميما فكانه قال اخذنا منه تبرعا ومسئلة وقليلا وكثيرا • واما مدح المقول
فيه فليعد ادخالاته الاربع في تبرعه وسواله واكثاره واقلاله وبين المجاز والمجاز وبين الحقيقة والمجاز وههنا ترجيح اخر
لا يتعلق بما اشرنا اليه او هو خارج عما تقتضيه المعاني الخطابية من جهة الفصاحة والبلاغة وذلك ان يرجح بين معنيين
احدهما تام والاخر مقدر ويكون احدهما مناسبا لمعنى تقدمه او تاخر عنه والاخر غير مناسب او بان ينظر في الترجيح بينهما
الى شيء خارج عن اللفظ فمثال المعنيين اذا كان احدهما تاما والاخر مقدرا فهذا الموضع من ادق معاني الترجيح والطفها
والفرق بين المعنيين المشار اليهما ان المعنى التام هو الذي يدل عليه لفظه بل يستدل عليه بقرينة اخرى وتلك القرينة قد
يكون من توابعه وقد لا يكون • فمما جاء من ذلك قول النبي ص في سائمة الغنم زكوة فهذا اللفظ يستخرج منه معنيان احدهما
تام والاخر مقدر فالتام دلالته على وجوب الزكوة في السائمة لا غير واما المقدر فدلالته على سقوط الزكوة عن المعلوفة
الا انه ليس مفهوما من نفس اللفظ بل من قرينة اخرى هي كالتابعة له وهي انه لما خصت السائمة بالذكر دون المعلوفة

علم مرمفهوم ذلك ان المعلوفه لازكوة فيها وللفقهاء فى ذلك محاذبات جدلية بطول الكلام فيها وليس هذا موضعها
والذى يرجح عندى هو القول بفحوى المعنى المقدّم وهو الذى يسميه الفقهاء مفهوم الخطاب وله فى الشعر اشباه
ونظاير • فمما ورد من ذلك سعر اقول عروة بن الورد الفقعسى من سعراء الحماسه وقد خطب اليه ابن كوز بنته وردّه

تبغى ابن كوز والسفاهه كاسمها • ليستنادا منا ان تشتونا ليا ليا •
ولا تطلبنها يا ابن كوز فانه • غنا الناس مذ قام النبى الجواريا •

وهذا البيت الثانى يشتمل على المعنيين التام والمقدّم اما التام فان ابن كوز سال اباها هذه الجارية ان يزوجه اياها فى سنه
والسنه الجدب فردّه وقال غنا الناس البنات مذ قام النبى ص وانا اصم اغدو وهذه ولود لذلك لو اردتها كما كانت الجاهليه
تفعل • وقد روى اخر وهو انهم كانوا يادون البنات قبل الاسلام فلما جاء النبى ص نهى عن ذلك فقوله غنا الناس مذ
قام النبى الجواريا اى ان النساء كثر فتروج بعضهن وخل ابنتى وهذان المعنيان هما الذى دل عليهما ظاهر اللفظ •
واما المعنى المقدّم الذى يعلم من مفهوم الكلام فانه يقول ان النبى ص امر باحياء البنات ونهى عن الواد ولو اطعتها لكنت قد
وادتها اد لا فرق بين الكاف والياء ويروى اردتها وهذا دم للخاطب وهو معنى دقيق • ومحى المعانى المستخرجه من المفهوم قليل
فى الشعر • واما ما استدل عليه بقرينه لفظيه مقترنه به فاردّ لك اذ قى من الاول والطف ماخذا مما ورد منه قول النبى ص من
جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين فهنا يستخرج منه المعنيان المشار اليهما فالتام هو ما دل على انه من جعل قاضيا فقد
عرض نفسه لخطر عظيم كالذبح بغير سكين • واما المقدّم فانه يدل على انه من جعل قاضيا فقد امر بمفارقه اهواء وهذا لا
يدل عليه اللفظ نفسه بل يستدل عليه بقرينه اخرى ولكنها للسنه مرتوابعه ووجه ذلك ان لفظ الحديث عام يشمل
القضاء على الاطلاق والاخ اما ان يراد به عداك الدنيا او عداك الاخره والمحذور ان يكون المراد به عداك الاخره لانه ليس على قاض
معذبا فى الاخره بل المعذب منهم قضاه السوء فوضح لهذا ان المراد بالحديث عداك الدنيا وعلى هذا فالاخ اما ان يكون
العداك صورة او معنى والمحذور ان يكون صورة لانا نرى الانسان اذا جعل قاضيا لا يذبح ولا ناله شى من ذلك فبقى ان يكون
المراد به عداك معنويا وهو الذبح المجازى عن الحقيقى ونحوى ذلك ان نفس الانسان مركبه على حب هواها فاذا جعل قاضيا
فقد امر بترك ما جبل على حبه من اتباع عن الرشوه والحكم لصديقه على عدوه ورفع الحجاب بينه وبين الناس والجلوس للحكم فى
اوقات راحته وغير ذلك من الشيا المكروهه التى تشق على النفس وتحدها المؤبرجا والذبح هو قطع الحلقوم والاخ حاصل به
وكذلك قطع النفس هواها هو ذبح بمعنوى والالم الناشى حاصل به وهو كالذبح الحقيقى بل هو اشد منه لان الم الذبح الحقيقى
كموت لحظه واحده لم ينقضى ونزول والم قطع النفس هواها ندوم ولا تنقضى وهو اشد العذاب فالمعنى وصل فى عذاب
اهل النار وجيل بنهم وبين ما يشتهون وفاتح فى نعيم اهل الجنه فيما يشتهى الانفس وتلذ الاعين • وكثيرا ما راى وسمعنا
من حمله حب الشى على اتلاف نفسه وطلبه وركوب الاهوال فى تحصيله فاذا امتنع عنه مع حبه اياه فقد ذبح نفسه اى قطعها
عنه كما يقطع الذابح حلق الذبيحه ولهذا قال النبى ص استقلنا عن الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فسمى جهاد الكفار الجهاد
الاصغر وسمى جهاد النفس الجهاد الاكبر فكما ان مجاهده النفس هواها قتال يغمد السيف فكذلك قطعها عن هواها ذبح بغير
سكين وهذا موضع غامض والترجيح فيه مختص بالوجه الاخر لاشتماله على المقصود وهو المراد من القضاه على الاطلاق •
واما متا الاحسن اذا كان احدهما مناسبا المعنى تقدمه او المعنى باخر عنه والاخر غير مناسب فالاول هو ما كان مناسبا
لمعنى تقدمه كقوله تع لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا فالدعاء هنا دل على معنيين احدهما النهى ان يدعوا
الرسول باسمه فيقال يا محمد كما يدعو بعضهم بعضا باسمائهم وانما يقال له يا رسول الله او يا نبى الله • والاخر النهى ان يجعلوا

حضورهم

حضور هم عنده اذا دعاهم لامر من الامور كحضور بعضهم عند بعض لا يتادبون معه بان لا يفارقوا مجلسه الا باذنه
وهذا الوجه هو المراد لمناسبه معنى الاية التى قبله وهو قوله تع انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه
على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه • واما الثانى وهو ما كان مناسبا لمعنى اخر عنه كقوله تع والتين والزيتون
وطور سنين فالتين والزيتون هما هذا الشجر المعروف وهما اسما جبلين انبتا وليهما بالحمل اولى للمناسبه بينهما وبين ما فى
بعدهما من ذكر الجبل الذى هو الطور وعلى هذا ورد قول الشاعر فى اسات الحماسه •

ولو كنت مولى قيس عيلان لم تجد • على لانسان من الناس درهما •
ولكننى مولى قضاعه كلها • فلست باعلى ان ادين وتغرما • فاذا نظرنا الى البيت الاول
وجدناه لم يتمم مدحا وذما اى انهم كانوا يعطونه لعطائهم ان يدين او انه يخاف الدين حذرا ان لا يقوموا عنه بوفائه
لكن البيت الثانى حقق ان الاول ذم وليس بمدح فهذا المعنى لا يحقق فهمه الا باخره واما الذى يكون الترجيح
فيه بسبب خارج عن مفهوم اللفظ فقوله تع وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم فهذا يستنبط منه
معنيان احدهما ان الله يعلم السر والجهر فى السموات والارض وقد ذكر تقديمه وتاخيره اى يعلم سركم وجهركم فى السموا
وفى الارض • والاخر انه فى السموات وانه يعلم السر والجهر فى الارض من غير ادم لان الوقف يكون على السموات من يستانف الكلام
فيقول يعلم سركم وجهركم فى الارض الا ان هذا ممنوع منه اعنى التجسيم وذلك شى خارج عن مفهوم اللفظ **الفصل الخامس فى جوامع الكلم** قال النبى ص اوتيت جوامع الكلم • فالكلم جمع كلمه والجوامع جمع جامعه والجامعه اسم فاعله
مرجعت فهى جامعة كما تقال فى المذكر جمع فهو جامع والمراد بذلك انه ص اوتى الكلم الجوامع للمعانى وهو عندى ينقسم
قسمين الاول منهما استخرجته ونبهت عليه ولم يكن لاحد فيه قول سابق وهو ان لنا الفاظا تضمر من المعنى ما لا يضمره
اخواتها مما يجوز ان يستعمل فى مكانها • فمن ذلك ما انا فى على حكم المجاز ومنه ما انا فى على حكم الحقيقه اما ما انا فى على حكم المجاز
فقوله ص يوم حنين الان حمى الوطيس وهذا لم يسمع من احد قبل رسول الله ص ولو اننا تمجاز عنه لك فى معناه فعلمنا استعرت
الحرب لما كان موديا من المعنى ما تؤديه حمى الوطيس والفرق بينهما ان الوطيس هو التنور وهو موطن الوقود ومجتمع الناس
وذلك يخيل الى السامع ان هنالك صورة تسهد بصورته فى حميها وتوقدها وهذا لا يوجد فى قولنا استعرت الحرب
او ما جرى مجراه وقد ورد شى من ذلك فى اقوال الشعراء المفلقين ولقد تصفحت الاشعار قديمها وحديثها وحفظت
ما حفظته منها وكنت اذا مررت بشعر فى دوان من الدواوين وبلوح لى فيه مثل هذه الالفاظ اجدها بشوقه كشوقه
الخمر وطربا كطرب الالحان وكثير من الناظمين والناثرين يمر على ذلك ولا يتفطن له سوى انه بمحسنة من غير نظر فيما نظر انا
فيه ويظنه كغيره من الالفاظ المستحسنة فمما جاء من ذلك قول ابى تمام •

كم صارم عضب انا فى على قنى • مبهم لاعباء الوغا حمال •
سبق المشيب له حتى ابتزه • وكمن النهى من مفرق وقذال •

فقوله وطر النهى من الكلمات الجامعه وهو عبارة عن الراس ولا نجد مثلها فى معناها مما تسد مسدها وكذلك ورد
قول المتنبى • قليل نظر على افكاره ويد • يعنى الامور ونفس لهوها التعب • فقوله قليل نظر على افكاره من
الكلمات الجوامع ومراده بذلك ان قلبه لا تملاه الافكار ولا تحيط به وانما هو عال عليها بصفة تذلك عدم احتفالهم
بالقوادح وقلة مبالاته بالخطوب التى تحدث افكارا تسترق القلوب وهذه عبارة عجيبة لا توتى بمثلها مما تسد مسدها
واما ما انا فى على حكم الحقيقه فكقول ابن الرومى • سقى الله اوطانا لنا وما ربا • تقطع مراقا لها ما تقطعا •

ليالى تنسينى الليالى حسانها ● بلهنية انضى بها الحول اجمعا ●
سدى غرة لا اعرف اليوم باسمه ● واعمل فيها اللهو مرأى ومسمعا ● فقوله لا اعرف اليوم باسمه من الكلمات التى معه اى انى قد شغلت باللذات عن معرفة الليالى والايام ولو وصفا سعاله باللذات مهما وصفه لم يات بمثل قوله لا اعرف اليوم باسمه ● واما القسم الثانى من جوامع الكلم فالمراد به الايجاز الدى مدلوله الالفاظ القليلة على المعانى الكثيرة اى ان الفاظه صلوات الله عليه ورسالته جامعة للمعانى المقصوده على الحازها واختصارها وجزالة كلامه جار هذا المجرى ولا يحتاج الى هذه الامثلة بد وكيانى فى باب الايجاز ما فيه كفاية ومقنع فان قيل فما الفرق بين هذين القسمين الذين ذكرتهما فانهما فى النظر سواء قلنا فى الجواب ان الايجاز ان يولى الفاظه الله على معنى من غير ان تزيد على ذلك المعنى ولا تسترط فى تلك الالفاظ انها لا تظهر لها فيما يعبره عن معنا اخر ان كانت لا تظهر لها فانها تكون قد اتصفت بوصف اخر خارج عن وصف الايجاز وح تكون ايجازا وزياده واما هذا القسم الاخر فانه الفاظ افراد فى حسنها لا تظهر لها فيما يكون موجزة وبان لا تكون موجزة وليس العرض منها الا الايجاز وانما العرض كونها من الحسن الذى لا تظهر له فيه الا تزيد الى قول اى تمام وطال الذهبى فان ذلك عبارة عن الراس ولا شك ان الراس واحد لفظه واحدة ووطن النهى لفظتان لان وطن النهى احسن فى التعبير عن الراس فبان لهذا ان احد هذين الاسمين غير الاخر ● الفصل السادس فى الحكمة التى هى ضالة المؤمن قال النبى ص الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فهو احق بها اذا وجدها فالمراد بذلك ان الحكمة وتستفيدها اهلها من غير اهلها كما يقال رب رمية من غير رام ● وهذا لا يخص علما واحدا من العلوم بل يقع فى كل علم والمط منه ههنا هو ما يخص علم البيان من الفصاحة والبلاغة دون غيره ومتى سمعت هذا الخبر النبوى جعلت وكدى فى تتبع اقوال الناس فى مفاوضاتهم ومحاوراتهم فانه قد تصدر الاقوال البليغة والحكم والامثال ممن لا يعلم مقدار ما تقوله فاستفدت بذلك فوائد كثيرة لا احصرها عددا وانا اذكر منها طرفا تستدل به على اشباهه ونظائره ● من ذلك انى سرت فى بعض الطرق وفى صحبتى رجل بدوى من الاباط لا يعتد بقوله وكان يقول علما تدخل البلد وشغل عنى وكان الامر كما قال فدخلت مدينة حلب وشغلت عنه اياما ثم لقينى فقال لى ● مرتزوى فترت عظامه ● وهذا القول من الاقوال البليغة وهى من الحكمة التى هى الضالة المطلوبة عند من لى الفصاحة والبلاغة ● ثم انى سمعت منه بعد ذلك شيئا شابه قوله لا تزل فانى سفرت له الى صاحب حلب فى شئ اخرته منه فاستقله وقال ● المل اروى لشدوقا لينب ● وهذا القول من الحكمة فى بابها ● وسافرت مرة اخرى على طريق المناظرة وكان فى صحبتى رجل بدوى فسالته عن مسافة ما بين تدمر وارك فقال ● اذا خرج سرحاها تلاقيا ● فعبر عن قرب المسافة بينهما بوجز عبارة وابلغها ● ثم سالته ليلة من الليالى عن الصبح لنرحل موصوعنا فقال قد ظهر الصبح الا انه لم يملك الانسان بصره ● وهذا القول من الحكمة ايضا ● وكان تزوج غلام من عمانى بدمشق فوقعت المراة منه بموقع وشغفت بها ثم انى سافرت عن دمشق لمهم عرض لى وسافر ذلك الغلام فى صحبتى فلما عدنا من السفر شغلنا بامراته والمقام عندها وسالته عن حالها فقال انها قد طالت وحسنت وهى كما نا وكذا واخذ يصفها فقال لا خير له فى كان حاضرا يولى هى ملك لم تزده شيا وانما هى فى عينه جبار من الجبابرة ● وهذا القول مذكور فى بعض امثال الحماسة ● وهو معدود من ابيات المعانى اهابك اجلالا وما بك قدرة ● على ولكن ملأ عين حبيبها ● وسمعت ما جرى هذا المجرى من بعض العبيد لا يجابيش الذين لا يستطيعون تقويم صيغ الالفاظ فضلا عما وراء ذلك وذلك انه راى صبيا فى يده طاقة ريحان فقال هذه طاقة اس يحمل طاقة ريحان فلما سمعت ذلك منه اخذنى هزة التعجب وذكرت شعر ابى نواس الذى نواصفه [illegible] فى هذا المعنى وهو قوله

ذكر

ووردة جاء بها شادن ● فى كفه اليمنى فحيانا ● بتحت زنى حير بصرتها ● وريحانه تحمل ريحانا ●
وحضر عندى فى بعض الايام رجل نصرانى موسوما بالطب وكان لا يحسن يقوم كلمة واحدة وهو اقلف اللسان سيى العبارة فسالته عن زيارة شخص وهل هو مترد الدار فقال ● ظلام الليل اهدنى الى باب مراوده وضوء النهار يضل عن باب مراوده ● وهذا من الطف المعانى واحسنها وهو من الحكمة المطلوبة ● وكنت قصدت زيارة بعض الاخوان من الاحداث وهو من الاغتام فى الاحكام فسالته عن حاله وكان نوالت عليه نكبات طالت ايامها وعظمت الامها فقال فى الجواب ما معناه انه لم يستو عندى ارتياح لوقوع نائبة من النوائب ● وهذا معنى لو اتى به شاعر مفلق او كاتب بليغ لاستحسن منه غاية الاستحسان ● وكنت فى سنة عمان وعشرين وخمسمائة بارض فلسطين فى الجيش الذى كان قبالة العدو الكافر الفرنج لعنهم الله وتقابل الفريقان على مدينة يافا ● وكان الى جانبى بلتة فرسان من المسلمين فتعاقدوا على الحمله الى الخندق العدو فلما عملوا صدق منهم اثنان وتلكا واحد فقال له فى ذلك فقال الموت طعام لا تجشئة المعدة فلما سمعت هذه الكلمة استحسنتها واذا هى صادرة عن رجل من اهل البدو قديم من الاقدام ● ولو احدث فى ذكرها سمعته من هذا الاطلت وانما الذى سيرت ما ذكرته على المراد وهو انه يجب على المتصدى للشعر والخطابة ان يتتبع اقوال الناس فى محاوراتهم فانه لا يعدم مما سمعه منهم حكما كثيرة ولو اراد استخراج ذلك بفكره لاعجزه ● ومتى عرى فى تمام انه لما نظم قصيدته البائية التى اولها على مثلها من اربع وملاعب ● انتهى منها الى قوله ● يرى قبيح الاشيا اوبة آمل ● كسته يد المامول حلة خائب ● ثم قال واحسن من برؤ يفتحه الصبا ● وقف عند صدة البيت ترده واذا اسال على الباب وهو تقول من رياض عطاياكم فى سواد مطالبنا فقال لو تمام ● ساض العطايا فى سواد المطالب ● فانظر صدر البيت الذى كان ترده من كلام السائل ● وسمعت امراة قد توفى لها ولد وهو اول اولاد فقالت كيف لا احزن لذهابه وهو اول درهم وقع فى الكيس ● فاخذت انا هذا المعنى واودعته كتابا من كتبى فى التعازى واهو كتاب كتبته الى بعض الاخوان وقد توفى ولده فعملت ● وهو اول درهم ذخرته فى كيس الادخار ● واعددته لحوادث الليل والنهار ● ولغنى عن الشيخ ابى محمد احمد المعروف بابن الخشاب البغدادى وكان اماما فى علم العربية وغيره فضل انه كان كثيرا ما يقف على حلق القصاص والمشعبذين فاذا اتاه طلبة العلم لا يجدونه اكثر اوقاته الا هناك فليم على ذلك وقيل له انت امام الناس فى العلم وما الذى يحملك الى الوقوف لهذه المواقف الرديلة فقال لو علمتم ما اعلم لما لمتمونى ولطالما استفدت من هؤلاء الجهال فوائد كثيرة فانه يجرى فى ضمن هذيانهم معانى غريبة ولوادرة ناوعمرى ان ما الى تمثلها ما استطعت فاذلك ولا شك ان هذا الرجل راى ما رايته ونظر الى ما نظرت اليه ● الفصل السابع فى الحقيقة والمجاز وهذا الفصل مهم كبير من مهمات علم البيان باجمعه لانه هو علم البيان باجمعه فان فى تصريف العبارات على الاسلوب المجازى فوائد كثيرة سيرد بيانها فى مواضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد نبهنا فى هذا الموضع على جملتها دون تفصيلها اما الحقيقة فهى اللفظ الدال على موضوعه الاصلى واما المجاز فهو ما اريد به غير المعنى الموضوع له فى اصل اللغة وهو ماخوذ من مجاز هذا الموضع الى هذا الموضع اذا تخطاه اليه فالمجاز اذن اسم للمكان الذى يجاز الله كالمعاج والمزار واشباههما وحقيقته هى الاستقرار من مكان الى مكان فمعنى ذلك ان لفظ المجاز انما هو محل الى محل كقولنا زيد اسد فان زيدا انسان ولا اسد هنا هو الحيوان المعروف وقد جرنا من الانسانية الى الاسدية اى عبرنا وانما عبرنا من هذه الى هذه لوصله بينهما وتلك الوصله هى الشجاعة وقد تكون الصورة غير وصله وذلك هو لا تساع كقولهم فى كتاب كليله ودمنه قال الاسد وقال الثعلب فان القول لا وصلة بينه وبين هذين بحال من الاحوال وانما اجرى عليهما اتساعا محضا لا غير

ولهذا مثال في المجاز الحقيقي الذي هو المكان المجاز فيه فلا تخ اما ان يجاز من سهل الى سهل او من وعر الى وعر او من سهل
الى وعر والجواز من سهل الى سهل او من وعر الى وعر هو كقولنا زيد اسد فالمشابهة حاصلة في ذات بينهما كالمشابهة الحاصلة
في المكان والجواز من سهل الى وعر كقولهم قال الاسد وقال الثعلب فكما انه لا مشابهة بين القول وبين هذين فكذلك لا
مشابهة بين السهل والوعر وسياتي كشف الغطاء عن ذلك واشباع القول في تحقيقه في باب الاستعارة فليوخذ من هناك
وقد ذهب اخرون الى انه كله مجاز لا حقيقة فيه وكلا هذين المذهبين فاسدين عندي وساجيب الخصم عما ادعاه فيهما •
فاقول محل النزاع هو ان اللغة كلها حقيقة او انها كلها مجاز ولا فرق عندي بين قولك انها كلها حقيقة او انها كلها مجاز
فان كلا الطرفين عندي سوا لاني منكرهما غير مسلم لهما وانا بصدد ان ابين ان في اللغة حقيقة ومجازا والحقيقة اللغوية هي
حقيقة الالفاظ في دلالتها على المعاني وليست بالحقيقة التي هي ذات المعنى اي نفسه وعينه فالحقيقة اذا هي دلالة
اللفظ على المعنى الموضوع له في اصل اللغة والمجاز هو نقل المعنى عن اللفظ الشيء الموضوع له الى لفظ اخر غيره • وتقرير ذلك
بان اقول المخلوقات كلها تفتقر الى اسماء تستدل بها عليها لتعرف كل منها باسمه من اجل التفاهم بين الناس وهذا يقع
ضرورة لا بد منها فالاسم الموضوع بازاء المسمى هو حقيقة له فاذا نقل الى غيره صار مجازا ومثال ذلك انا اذا قلنا
شمس اردنا به هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء وهذا الاسم له حقيقة لانه وضع بازائه وكذلك اذا قلنا بحر اردنا به
هذا الماء العظيم المجتمع الذي طعمه ملح وهذا الاسم له حقيقة لانه وضع بازائه فاذا نقلنا الشمس الى الوجه المليح استعارة
كان ذلك له مجازا لا حقيقة وكذلك اذا نقلنا البحر الى الرجل الجواد استعارة كان ذلك له مجازا لا حقيقة فان قيل
ان الوجه المليح يقال له شمس وهو حقيقة فيه وكذلك البحر يقال للرجل الجواد وهو حقيقة فيه فالجواب عن ذلك
من وجهين احدهما نظري والاخر وضعي اما النظري فهو ان الالفاظ انما جعلت ادلة على افهام المعاني ولو كان ما ذهبت اليه
صحيحا لكان البحر يطلق على هذا الماء العظيم الملح وعلى الرجل الجواد بالاشتراك وكذلك الشمس ايضا فانها كانت تطلق على
هذا الكوكب الكثير الضوء وعلى الوجه المليح بالاشتراك وح اذا ورد احد هذين اللفظين مطلقا بغير قرينة تخصصه فلا
نفهم المراد به ما هو من احد المعنيين المشتركين المندرجين تحته ونحن نرى الامر بخلاف ذلك فاذا قلنا شمس او بحر واطلقنا
القول لا نفهم من ذلك وجه مليح ولا رجل جواد وانما نفهم منه ذلك الكوكب وذلك الماء المعلوم لا غير فبطل اذن ما
ذهبت اليه بما بيناه واوضحناه فان قلت ان العرف يخالف ما ذهبت اليه فان من الالفاظ ما اذا اطلق لم
يذهب الفهم منه الا الى المجاز دون الحقيقة كقولهم الغائط فان العرف خصص ذلك بقضاء الحاجة دون المطمئن
من الارض قلت في الجواب هذا شيء ذهب اليه الفقهاء وليس كما ذهبوا اليه لانه ان كان اطلاق اللفظ فيه بين عامة
الناس من اسكاف وحداد ونجار وخبار ومن جرى مجراهم فهولاء لا يفهمون من الغائط الا قضاء الحاجة لانهم لم يعلموا
اصل وضع هذه الكلمة وانها المطمئن من الارض • واما خاصة الناس الذين يعلمون اصل الوضع فانهم لا يفهمون عند
اطلاق اللفظ الا الحقيقة لا غير الا ترى ان هذه اللفظة لما وردت في القران الكريم واريد بها قضاء الحاجة قرنت
بالفاظ تدل على ذلك كقوله تعالى او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فان قوله او جاء احد منكم دليل انه اراد قضاء
الحاجة دون المطمئن من الارض فالكلام في هذا وامثاله انما هو مع من علم اصل الوضع حقيقة والنقل عنه مجازا واما
الجهال فلا اعتبار بهم ولا اعتداد باقوالهم والعجب عندي من الفقهاء الذين دونوا ذلك على ما دونوه وذهبوا الى ما
ذهبوا اليه • واما الوجه الوضعي فهو ان المرجع في هذا وما يجري مجراه الى اصل اللغة التي هي وضع الاسماء على المسميات
ولم يوجد فيها ان الوجه المليح يسمى شمسا ولا ان الرجل الجواد بحرا وانما اهل الخطابة والشعر توسعوا في الاساليب المعنوية

فنقلوا

فنقلوا الحقيقة الى المجاز ولم يكن ذلك من واضع اللغة في اصل الوضع ولهذا اختص كل منهم بشيء اخترعه في التوسعات
المجازية هذا امرؤ القيس قد اخترع شيئا لم يكن قبله • فمن ذلك انه اول من عبر عن الفرس بقيد الاوابد ولم يسمع ذلك لاحد قبله
وقد روي عن النبي ص انه قال يوم حنين الان حمي الوطيس واراد بذلك شدة الحرب فان الوطيس في اصل الوضع هو التنور
فنقل الى الحرب استعارة ولم يسمع هذا اللفظ على هذا الوجه من غير النبي ص وواضع اللغة ما ذكر شيئا من ذلك فعلمنا ح ان من
اللغة حقيقة بوضعه ومجازا بتوسعات اهل الخطابة والشعر • وفي زماننا هذا قد يخترعون اشياء من المجاز على حكم الاستعارة
لم يكن من قبل ولو كان هذا موقوفا من جهة واضع اللغة لما اخترعه احد من بعده ولا زيد فيه ولا نقص منه • واما الفرق بينه
وبين الحقيقة فهو ان الحقيقة جارية على العموم من نظائره الا ترى انا اذا قلنا فلان عالم لما صدق على كل ذي علم واحد صدق على
كل ذي علم بخلاف واسل القرية لانه لا يصح الا في بعض الجمادات دون بعض اذ المراد اهل القرية لانهم ممن يصح السوال لهم ولا
يجوز ان يقال واسال الحجرة والتراب وقد يحسن ان يقال واسل الربع والطلل • واعلم ان كل مجاز له حقيقة لانه لم
يصح ان يطلق عليه اسم المجاز الا لنقله عن حقيقة موضوعة له اذ المجاز هو اسم للموضع الذي ينتقل فيه من مكان الى مكان
فجعل ذلك لنقل الالفاظ من الحقيقة الى غيرها واذا كان كل مجاز لا بد له من حقيقة نقل عنها الى حالته المجازية فكذلك
ليس من ضرورة كل حقيقة ان يكون لها مجازا فان من الاسماء ما لا مجاز له كاسماء الاعلام لانها وضعت للفرق بين الذوات لا
للفرق بين الصفات • وكذلك فاعلم ان المجاز اولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة لانه لو لم يكن كذلك
لكانت الحقيقة التي هي الاصل اولى منه حيث هو فرع عليها وليس الامر كذلك لانه قد ثبت وتحقق ان فائدة الكلام
الخطابي هي اثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر اليه عيانا الا ترى ان حقيقة قولنا
زيد اسد هي قولنا زيد شجاع لكن فرق بين القولين في التصوير والتخييل واثبات الغرض المقصود في نفس السامع لان قولنا
زيد شجاع لا يتخيل منه للسامع سوى انه رجل جري مقدام واذا قلنا زيد اسد تخيل عند ذلك صورة الاسد وهيئته
وما عنده من البطش والقوة ودق الفرائس وهذا لا نزاع فيه • واعجب ما في العبارة المجازية انها تنقل السامع
عن خلقه الطبيعي في بعض الاحوال حتى انها ليسمح بها البخيل ويشجع بها الجبان ويحلم بها الطائش المتسرع ويجد
بها المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمر حتى اذا قطع عنه ذلك الكلام افاق وندم على ما كان منه من بذل مال
او ترك عقوبة او اقدام على امر مهول وهذا هو فحوى السحر الحلال • المستغني عن القاء العصا والحبال • واعلم
انه اذا ورد عليك كلام يجوز ان يحمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه فانظر فان كان لا مزية
لمعناه في حمله على طريق المجاز فلا ينبغي ان يحمل الا على طريق الحقيقة لانها هي الاصل والمجاز هو الفرع ولا يعدل عن الاصل الى
الفرع الا لفائدة مثال ذلك قول البحتري • مهيب كحد السيف لو ضربت به • ذرى اجاء طلت واعلامها وهد •
ويروى لو ضربت به طلا اجاء جمع طلية وهي العنق فهذا البيت لا يجوز حمله على المجاز لان الحقيقة اولى به الا ترى ان
الذرى جمع ذروة وهو اعلى الشيء يقال ذروة الجبل اعلاه والطلا جمع طلية وهي العنق والعنق اعلا الجسد ولا فرق
بينهما في صفة العلو ههنا فلا يعدل اذن الى المجاز اذ لا مزية له على الحقيقة • وهكذا كلما يجيء من الكلام المجازي هذا
المجرى فانه ان لم يكن في المجاز زيادة فائدة على الحقيقة والا فلا يعدل اليه

الفصل الثامن في الفصاحة والبلاغة

اعلم ان هذا باب متعذر على الوالج ومسلك متوعر على الناهج ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول
فيه والبحث عنه ولم اجد من ذلك ما يعول عليه الا القليل وغاية ما يقال في هذا الباب ان الفصاحة هي الظهور والبيان
في اصل الوضع اللغوي يقال افصح الصبح اذا ظهر ثم انهم يقفون عند ذلك ولا يكشفون عن السر فيه ولهذا القول لا يتبين

اول من عبر عن الفرس بقيد الاوابد اجراء القيس

كل مجاز له حقيقة

المجاز ابلغ من الحقيقة

حقيقة الفصاحة لانه يعترض عليه بوجوه من الاعتراضات احدها انه اذا لم يكن اللفظ ظاهرا بينا لم يكن فصيحا ثم اذا ظهر
وتبين صار فصيحا • الوجه الاخر انه اذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين فقط صار ذلك بالنسب والاضافات
الى الاشخاص فان اللفظ قد يكون ظاهرا لزيد ولا يكون ظاهرا لعمرو فهو اذا فصيح عند هذا وغير فصيح عند هذا وليس
كذلك بل الفصيح هو فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحال من الاحوال لانه اذا تحقق حد الفصاحة وعرف ما هي لم يبق في
اللفظ الذي يختص به خلاف • الوجه الاخر انه اذا جيء بلفظ قبيح ينبو عنه السمع وهو مع ذلك ظاهر بين ينبغي ان يكون
فصيحا وليس كذلك لان الفصاحة وصف حسن في اللفظ لا وصف قبيح فهذه الاعتراضات الثلثة واردة على قول القائل
ان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين من غير تفصيل ولما وقفت على اقوال الناس في ملكتي الحيرة فيها ولم يثبت عندي فيها ما
اعول عليه ولكثرة ملابستي هذا الفن ومعاركتي اياه انكشف لي السر فيه وسأوضحه في كتابي هذا واحقق القول فيه فاقول
ان الكلام الفصيح هو الظاهر البين واعني بالظاهر البين ان تكون الفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها الى استخراج من كتاب
لغة وانما كانت هذه الصفة لانها تكون مالوفة الاستعمال بين ارباب النظم والنثر دائرة في كلامهم وانما كانت مالوفة الاستعمال
دائرة في الكلام دون غيرها من الالفاظ لمكان حسنها وذلك ان ارباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار الفاظها وسبروا
وقسموا واختاروا الحسن من الالفاظ فاستعملوه ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه فحسن الالفاظ بسبب استعمالها دون
غيرها واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها والفصيح اذن من الالفاظ هو الحسن فان قيل من اي وجه علم ارباب
النظم والنثر الحسن من الالفاظ حتى استعملوه وعلموا القبيح منها حتى نفوه ولم يستعملوه قلت في الجواب ان هذا من
الامور المحسوسة لان الالفاظ داخلة في حيز الاصوات فالذي يستلذه السمع منها ويميل اليه هو الحسن والذي يكرهه
وينفر عنه فهو القبيح الا ترى ان السمع يستلذ صوت البلبل من الطير وصوت الشحرور ويميل اليهما ويكره صوت الغراب
وينفر عنه وكذلك يكره نهيق الحمار ولا يجد ذلك في صهيل الفرس والالفاظ جارية هذا المجرى فانه لا خلاف في ان لفظ
المزنة والديمة حسنة يستلذها السمع وان لفظة البعاق قبيحة يكرهها السمع وهذه اللفظات الثلث من صفة المطر وهي
تدل على معنى واحد ومع هذا فانك ترى لفظتي المزنة والديمة وما جرى مجراها مالوف الاستعمال وترى لفظة البعاق
وما جرى مجراها متروكة لا تستعمل وان استعمل فانما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة او من ذوقه غير ذوق سليم لا جرم انه
ذم وقدح فيه ولم يلتفت اليه وان كان عربيا محضا من الجاهلية الاقدمين فان حقيقة الشيء اذا علمت وجب الوقوف
عندها ولم يعرج على ما خرج عنها واذا ثبت ان الفصيح من الالفاظ فاقول ان الفصاحة مختصة بالالفاظ
دون المعاني فان قيل ما الدليل على ذلك قلت في الجواب لو تاملت ما ذكرته بالنظر الصحيح لما اوردت على هذا السؤال
ولكنه اذا اوردته فسأجيب عنه من وجهين • الوجه الاول اني قد قدمت القول بان الفصاحة في اصل الوضع اللغوي من
الظهور والبيان فاللفظ الفصيح هو الظاهر البين وانما كان ظاهرا بينا لانه مالوف الاستعمال وانما كان مالوف الاستعمال
لمكان حسنه وحسنه مدرك بالسمع والذي يدرك بالسمع انما هو اللفظ لانه صوت يتألف من مخارج الحروف فما استلذه السمع
منه فهو الحسن وما كرهه فهو القبيح والحسن هو الموصوف بالفصاحة والقبيح غير موصوف بالفصاحة لانه ضدها
لمكان قبحه وقد مثلت ذلك في المثال المتقدم بلفظة المزنة والديمة ولفظة البعاق ولو كانت الفصاحة لامر يرجع
الى المعنى لكانت هذه الالفاظ في الدلالة عليه سواء ليس منها حسن ومنها قبيح ولما لم يكن كذلك علمنا انها تخص اللفظ
دون المعنى وليس لقائل ههنا ان يقول لا لفظ الا لمعنى فكيف فصلت انت بين اللفظ والمعنى فاني لم افصل بينهما وانما
خصصت اللفظ بصفة هي له والمعنى يجيء فيها ضمنا وتبعا • الوجه الثاني ان وزن فعيل هو اسم فاعل من فعل

نفتح

نفتح الفاء وضم العين نحو كرم فهو كريم وشرف فهو شريف ولطف فهو لطيف وهذا مطرد في بابه وعلى هذا فان
اللفظ الفصيح هو اسم فاعل من فصح فهو فصيح واللفظ هو الفاعل للابانة عن المعنى فكانت الفصاحة مختصة به فان
قيل انك قلت ان الفصيح من الالفاظ هو الظاهر البين اي المفهوم وترى كثيرا من ايات القران ما لا يفهم ما تضمنه من المعنى
الا باستنباط وتفسير وتلك الايات فصيحة لا محالة وهذا بخلاف ما ذكرته الجواب عن ذلك اني اقول لا ينقض على
ما ذكرته لان الايات التي تستنبط وتحتاج الى تفسير ليس شيء منها الا ومفردات الفاظه كلها ظاهرة واضحة وانما التفسير
يقع في غموض المعنى من جهة التركيب لا من جهة الفاظه المفردة لان معنى المفردة يتداخل بالتركيب وتصير له هيئة تخصه
وهذا ليس قدحا في فصاحة تلك الالفاظ المفردة التي تركب منها المركبة واضحة كلها واذا نظر اليها مع التركيب احتاجت
الى استنباط وتفسير وهذا لا يختص به القران وحده بل في الاخبار النبوية والاشعار والخطب والمكاتبات كثير من ذلك
وسأورد ههنا منه شيئا فاقول قد ورد عن النبي ص انه قال صومكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون واضحاكم يوم
تضحون وهذا الكلام مفهومة مفردات الفاظه لان الصوم والفطر والاضحى مفهوم كلها واذا سمع هذا الخبر من غير فكرة
قيل قد علمنا ان صومنا يوم نصوم وفطرنا يوم نفطر واضحانا يوم نضحي فما الذي اعلمنا به مما لم نعلمه واذا انعم الناظر
نظره فيه علم ان معناه يحتاج الى استنباط والمراد به انه اذا اجتمع الناس على ان اول شهر رمضان يوم كذا ولم
يكن ذلك اليوم اوله فان الصوم صحيح واوله هو ذلك اليوم الذي اجتمع الناس عليه وكذلك يقال في يوم الفطر ويوم
الاضحى ولهذا الخبر المشار اليه اشباه كثيرة تفهم معاني الفاظها المفردة واذا تركبت تحتاج في فهمها الى استنباط
واما ما ورد من ذلك شعرا فكقول ابي تمام • ولهت فاظلم كل شيء دونها • واضاء منها كل شيء مظلم •
فان الوله والظلمة والاضاءة كل ذلك مفهوم المعنى لكن البيت بجملته يحتاج في فهمه الى استنباط والمراد به انها
ولهت فاظلم ما بيني وبينها لما نالني من الجزع لولهها كما تقول الجازع اظلمت الارض علي اي اني صرت كالاعمى الذي لا
يبصر واما قوله واضاء منها كل شيء مظلم اي وضح لي منها ما كان مستترا عني من حبها اياي وكذلك ورد قول ابي عبادة
البحتري في منهزم • اذا سار شهبا عاد ظهرا عدوه • وكان الصديق بكرة ذلك الشهب • فان المسير والشهب
والظهر والعدو والصديق كل ذلك مفهوم المعنى لكن البيت بمجموعه يحتاج معناه الى استنباط والمراد به ان
هذا المنهزم يرى ما بين يديه محبوبا اليه وما خلفه مكروها عنده لانه يطلب النجاء فيؤثر البعد مما خلفه والقرب مما
امامه فاذا قطع شهبا وخلفه وراءه صار عنده كالعدو وقبل ان يقطعه كان له صديقا اي يطلب لقاءه ويحب
الدنو منه فانظر ايها المتامل الى ما ذكرته من هذه الامثلة حتى يثبت عندك ما اردت بيانه • واما البلاغة فان
اصلها في وضع اللغة من الوصول والانتهاء يقال بلغت المكان اذا انتهيت اليه ومبلغ الشيء منتهاه وسمي الكلام بليغا من ذلك
اي انه قد بلغ الاوصاف اللفظية والمعنوية والبلاغة شاملة للالفاظ والمعاني وهي اخص من الفصاحة كالانسان من الحيوان
فكل انسان حيوان وليس كل حيوان انسانا وكذلك يقال كل كلام بليغ فصيح بليغا ويفرق بين الفصاحة والبلاغة من وجه
اخر غير الخاص والعام وهو انها لا تكون الا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب فان اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة
ويطلق عليها اسم الفصاحة اذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن واما البلاغة فلا توجد فيها لخلوها
من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاما • مسئلة يتعلق بهذا الفصل هل اخذ علم البيان من ضروب الفصاحة
والبلاغة بالاستقراء من اشعار العرب ام بالنظر وقضية العقل الجواب عن ذلك انا نقول لم يوخذ علم البيان
بالاستقراء فان العرب الذين الفوا الشعر والخطب لا يخ امرهم من حالين اما انهم ابتدعوا ما اتوا به من ضروب الفصاحة

في بدنك التي قال الله فيها قل الروح من امر ربي ● وليس كل خاطر براق الى هذه الدرجة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ● ومع هذا فلا تطرحها الناظر في كتابي اذا رددت هذا القول اما اجانب المعاني حيث يوتى باللفظ الموصوف بصفات الحسن والملاحة ولا يكون تحته من المعنى ما يماثله ويناسبه فانه اذا كان كذلك كان كصورة بديعة حسنة وجسم ليس له روح ● ولما كان صاحبها بليد ابله والمراد ان يكون هذه الالفاظ المشار اليها جسما لمعنى شريف ● على ان تحصل المعاني الشريفة على الوجه الذي اشرت اليه ايسر من تحصيل الالفاظ المشار اليها ● وقد حكي عن المبرد رحمه الله انه قال ليس احد في زماني الا وهو يسألني عن مشكل من معاني القرآن ومشكل من معاني الحديث او غير ذلك من مشكلات علم العربية فانا امام الناس في زماني هذا واذا عرضت لي حاجة الى بعض اخواني واردت ان اكتب اليه كتابا في امرها احتجم عن ذلك لاني اريد ان اتعب المعنى في نفسي ثم احاول ان اصوغه بالفاظ مرضية فلا استطيع ذلك ● ولقد صدق في قوله هذا وانصف غاية الانصاف ● ولقد رايت كثيرا من الجهال الذين هم من السوقة ارباب الحرف والصنايع وما منهم الا من يقع له المعنى الشريف وتطمح مخاطره المعنى الدقيق ولكنه لا يحسن ان يزوج بين لفظتين فالعبارة عن المعاني هي التي تجلت بها العقول ● وعلى هذا فالناس كلهم مشتركون في استخراج المعاني فانه لا يمتنع الخامل الذي لا يعرف علما من العلوم ان يكون ذكيا بالفطرة ● واستخراج المعاني انما هو بالذكا لا بتعلم العلم ● وبلغني ان قوما ببغداذ من رعاع العامة يطوفون بالليل في رمضان على الخارات وبنادون بالسحور ويخرجون لك في كلامهم موزونا على هيئة الشعر وان لم يكن من بحار الشعر المنقولة عن العرب وسمعت كثيرا منه فوجدت فيه معاني حسنة عربة مليحة ومعاني عربية وان لم يكن الالفاظ التي صيغت بها صيغة وهذا الركن ايضا يشترك فيه الكاتب والشاعر ● الركن الخامس الالمام بالكتاب

من معنى من معاني القرآن والاخبار النبوية فانها معدن الفصاحة والبلاغة واريد بذلك ان تكون في الفصل الذي يلي هذا الفصل من معاني القرآن والاخبار النبوية احسن من ايراده على وجه التضمن وتوخي ذلك في كل كتاب عسر جدا واذا انفردت بذلك دون غيري من الكتاب فاني استعملته في كل كتاب حتى انه لما اتى في الكتاب الواحد في عدة مواضع منه ولقد اشتهت نفسي ان اقتدي بعض الملوك مما كتب مروان الخليفة مما اتى عنه من معاني الآيات والاخبار النبوية فكان ما زهد على الجمهور وهذا لا اكلفه بكلفا وانما اتى على حسب ما يقتضيه الموضع الذي يذكر فيه وقد عرفتك ايها الكاتب كيف تستعمل ما استعملته من ذلك في الفصل الذي يلي هذا الفصل الذي بعده فخذ من هذا كله ● الركن المختص بالكاتب دون الشاعر لان الشاعر لا يلزمه ذلك اذ الشعر اكثر مدايح واياه فانه لا يتمكن من وضع معاني القرآن والاخبار في المنظوم كما يتمكن منه في المنثور وانما امكن ذلك في الشيء اليسير في بعض الاحيان واذا استكملت معرفة هذه الاركان الخمسة واتيت بها في كل كتابي بلاغي ذي شان فقد استحقيت ان تسمي نفسك كاتبا

الفصل العاشر في الطريق الى تعلم الكتابة

هذا الفصل هو كنز الكتابة ومنبعها وما رايت احدا تكلم فيه بشيء ولما حببت الي هذه الفضيلة وبلغني الله فيها ما بلغني وجدت الطرق اليها تنقسم الى ثلاث شعبا الاولى ان يتصفح الكاتب كتابة المتقدمين ويطلع على اوضاعهم في استعمال الالفاظ المعاني ثم يحذو حذوهم وهذه ادنى الطبقات عندي ● الثانية ان يمرن كتابة المتقدمين مما يستحسنه لنفسه مرارا كثيرة حسنة اما في تحسين الالفاظ او في تحسين معان وهذه هي الطبقة الوسطى وهي على مراتب قبلها ● الثالثة ان لا يتصفح كتابة المتقدمين ولا يطلع على شيء منها بل يصرف همه الى حفظ القرآن الكريم وكثير من الاخبار النبوية وعدة من دواوين فحول الشعراء مع غلبة على شعر الجاهلية في المعاني والالفاظ ثم اخذ في الاقتباس من هذه الثلاثة اعني القرآن والاخبار

والبلاغة بالنظر وقضية العقل اواخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم فان كان ابتدعوه عندوقوفهم على اسرار اللغة ومعرفة حيدها من رديها وحسنها من قبيحها فذلك هو الذي اذهب اليه وان كانوا اخذوه استقراء ممن كان قبلهم فهلما نتسلسل الى اول من ابتدعه ولم يستقه فان كل لغة من اللغات الى اخر من وصفني الفصاحة والبلاغة المختصين بالالفاظ والمعاني الا ان للغة العربية مزية على غيرها لما فيها من التوسعات الخطابية التي لا توجد في لغة اخرى سواها ● مسئلة اخرى تتعلق بهذا الفصل انه هل علم اللسان من الفصاحة والبلاغة جار مجرى علم النحو ام لا النحو انما هو عن ذلك بالنقول الفرق بينهما ظاهر وذلك ان اقسام النحو اخذت عن واضعها بالتقليد حتى لو عكس القضية فيها لجاز له ذلك ولما كان العقل يابا ه ولا ينكره فانه لو جعل الفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا لقلد في ذلك كل كما قلد في رفع الفاعل ونصب المفعول واما اقسام علم البيان من الفصاحة والبلاغة فليست كذلك لانها استنبطت بالنظر وقضية العقل من غير واضع اللغة ولم يفتقر فيها الى التوقيف منه بل اخذت الفاظ ومعان على هيئة مخصوصة وحكم لها العقل بمزية من الحسن لاشتراكها فيه غيرها فان كل عارف باسرار الكلام من اي لغة كانت من اللغات يعلم ان اخراج المعاني في الفاظ حسنة رائقة يلذها السمع ولا ينبو عنها الطبع خير من اخراجها في الفاظ قبيحة مستكرهة ينبو عنها السمع ولو اراد واضع اللغة حلا ذلك لما قلدناه ● فان قيل لو اخذت اقسام النحو التقليد من واضعها لما اقمت الادلة عليها وعلم بمقتضاه ان الفاعل ينبغي ان يكون مرفوعا والمفعول منصوبا الجواب عن ذلك ان نقول هذه الادلة واهية لا تستند الى محل الجدل فان هؤلاء الذين تصدوا لاقامتها سمعوا عن واضع اللغة رفع الفاعل ونصب المفعول من غير دليل ابداه لهم فاستحجوا لذلك ادلة وعللا والا فمن اين علم هؤلاء ان الحكمة التي دعت الواضع الى رفع الفاعل ونصب المفعول هي التي ذكروها ●

الفصل التاسع في اركان الكتابة

اعلم ان للكتابة شرايط واركانا اما شرايطها فكثيرة وهذا التاليف موضوع لمجموعها وللقسم الاخر من الكلام المنظوم ● وليس يلزم الكاتب ان يأتي بالجميع في كتاب واحد بل ياتي كل نوع من انواعها في موضعه الذي يليق به كما اريناه فيما ياتي من هذا التاليف واما اركان التي لا بد من ايرادها في كل كتاب فهي ذوي شان مخمسة الاول ان يكون مطلع الكتاب عليه جزالة ورشاقة فان الكاتب من اجل المطلع والمقطع اذ يكون هو بعينا على مقصد الكتاب ولهذا باب يستمى باب المبادي والافتتاحات فلنحد حذوه وهذا الركن يشترك فيه الكاتب والشاعر ● الركن الثاني ان يكون ايداعه الموضع في فصل الكتاب مستفادا من المعنى الذي بني عليه الكتاب وقد نبهنا على طرف من ذلك في باب تحصيل المطلب من هذا الكتاب وهو مما يدل على حذاقة الكاتب وفطانته وكثيرا ما اجده في مكاتباتي التي انشاتها فاني قصدت فيها وتوخيته بخلاف غيري من الكتاب لانه ربما يوجد في كتابتي كثيرا ● الركن الثالث ان يكون خروج الكاتب من معنى الى معنى مرتبطا لكون قد اتى المعاني آخذا بعضها بعضا ولا يكون منقضبا ولذلك باب مفرد ايضا سميناه باب التخلص والاقتضاب وهذا الركن ايضا يشترك فيه الكاتب والشاعر ● الركن الرابع ان يكون الفاظ الكتاب غير مخلولقة كثيرة الاستعمال ولا اريد بذلك ان تكون الفاظا غريبة فان ذلك عيب فاحش بل اريد ان تكون الالفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غريبا ينظر السامع انها غريبة ما في ايدي الناس وهي ما في ايدي الناس ● وهذا ايضا معترك الفصاحة التي تظهر فيه الخواطر ما هيتها ● والاقلام سجاياها كما قال البحتري ● باللفظ تقرب فهمه في بعده ● عنا وسعد نيله في قربه ● وهذا الموضع يعد المناكر لكثرة الاشكال الجماح الى التطفيف وقلة مساهمة خاطر وهو شبيه بالشيء الذي يقال له انه لا داخل العالم ولا خارج العالم فلفظه هو الذي يستعمل اي ان مفردات الفاظه هي المستعملة المالوفة ولكن سبكه وتركيبه هو الغريب العجيب ● واذا سموت ايها الكاتب الى هذه الدرجة واستطعمت طعم هذا الكلام المشار اليه علمت انه ح كالروح السالكة

٦ وليس بالذي يستعمل

• لوكنت مرمازن لم تستبح ابلى • بنو اللقيطه مزهل رشيبانا • وقد نثرت ذلك فقلت • لستُ مرمستبيح ابله
بنو اللقيطه • ولا الذى اذا اتهم بامر كانت الامال الديه وسيطه • ولكنى احمى الهمل • وافوت الامل • واول سبق السيف
العذل • فذكرنى اللقيطه ههنا لاتدمنه على حسب ماذكره الشاعر وكذلك الامثال السائره فانه لابد مرذكرها على
ماجات فى الشعر • واما القسم الثانى وهو سطير الاول والثالث فى المرتبه فهو ان نثر المعنى المنظوم
بعض الفاظه وتقدم على بعض الفاظ اخر هناك مطهر الصنعه فى الجمله والمشابهه ومواخاه الالفاظ الفاظه الا
المرتجله فانه اذا اخذ لفظا لشاعر مجيد قد نقحه ووضحه فقد نه مما لابد له كان كمن جمع بيرا لوءلوءة وحصاه ولاحفا مما
ذلك مر الاتصاب للقدح والاستهداف للطعن • والطريق المسلوك الى هذا القسم ايضا خذ بعض بيت مرالابيات الشعريه هو
احسن ما فيه مما ثله وساورد ههنا مثالا واحدا مرذلك ليكون قدوه للمتعلم فاقول • قد ورد هذا البيت مرسعر الاقدام
فى وصف قصيده له • حدا تملا كل اذن حكمه • وبلاغة وتدركل وريد • فقولى تملا كل اذن حكمه هو الكلام الحسن وهو
احسن ما فى هذا البيت فاذا اردت ان تنثر هذا المعنى ولابد لك مراستعمال لفظه بعينه لانه فى الغايه القصوى مر
الفصاحه والبلاغه فعليك ح ان تواصه بمثله وهذا عسر جدا وهو عندى اصعب منالا مرنثر الشعر بغير لفظه لانه
مسلك مضيق لما فيه مرالتعرض لمماثله ماهو غايه الحسن والجوده واما نثر الشعر بغير لفظه فذلك تصرف ونثره
على حسب ماراه ولا بكره مقدافه مثالا يضطر الى مواخاته • وقد نثرت هذه الكلمات المشار اليها وانت بها فى جمله
كتاب فقلت • وكلامى قد عرف بير الناس واشتهر • فلو قلت قال لى من هنا قيل وهل يخفى القمر • واذا عرف الكلام صار
المعرفه له علامه • ولم يخش عليه سرقه اذ لو سرق لدلت عليه الوسامه • ومرخصائص صفاته انه ملاء كل اذن حكمه •
وبحصر فصاحه كل لسان عجمه • واذا جرت بفتاته فى الافهام • قالت هذه بنت فكر امبنت كرمه • فانظر كيف فعلت فى
هذا الموضع فانى لما اخذت تلك الكلمات مرالبيت الشعرى الترمت بان اوافيها بما هو مثلها او احسن منها فجئت
لهذا الفصل كما تراه وكذلك ينبغى ان يفعل فيما هذا سبيله • واما القسم الثالث وهو اعلى مرالقسمين الاولين وهو
ان يوصل المعنى فصاع بالفاظ غير الفاظه وتوبتين حذق الصايغ فى صياغته • ويعلم مقدار تصرفه فى صناعته •
فان استطاع الزياده على المعنى فسلك الدرجه العاليه • والا احسن التصرف واتقن المالف لتكون اولى بذلك
المعنى مرصاحبه الاول • واعلم ان مرابيات الشعر ما لا تتسع المجال لنثره فيورده بضروب مرالعبارات وذلك عندى
شبيه بالمسايل السياله فى الحساب التى يحاب عنها بعده مرالاجوبه • ومرابيات ما لا تضيق فيه المجال حتى ليكاد الما
فى هذه الصناعه لا يخرج عرذلك اللفظ وانما يكون هذا لعدم النظر فاما ما تتسع المجال فى نثره فكقولى
الى الطيب المتنبى • لا تعذل المشتاق فى اشواقه • حتى يكون حشاك فى احشائه • وقد نثرت هذا المعنى مرذلك
قولى • لا تعذل المحب فيما يهواه • حتى تطوى الفلك على ما طواه • ومرذلك وجه اخر • وهو اذا حلفت العينان فى
النظر • فالعذل ضرب مرالهذر • ومرهذا الباب قول الى الطيب المتنبى ايضا •
ان القتيل مضرجا بدموعه • مثل القتيل مضرجا بدمائه • اخذت هذا المعنى فنثرته • فرذلك قولى القتيل بسيف
العيون كالقتيل بسيف المنون • غير ان هذا لا يجرد عرغمده • ولا نقاء صاحبه بعمده • على المعنى الذى يضمنه البيت
وغيرت اللفظ • ومرذلك وجه اخر وهو • دمع المحب ودم القتيل متفقان فى التشبيه والتمثيل • فلا يجد سبيلا بونا
سوى انهما مختلفان لونا • وهذا احسن مرالاول • واما ما لا يضيق فيه المجال فعسر على الناثر تبديل الفاظه فكقولى
الى تمام • تردى ثياب الموت حمرا فما اتى • لها الليل الا وهى مرسندس خضر • وقولى الى الطيب المتنبى

التنوه والاشعار وعموم ونفع وخطى ونصب ونضل ويهتدى حتى يستقيم على طريق يصيبها لنفسه واخلق بذلك ان
يكون مبتدعه غريبه لاشركه لاحد مرالمتقدمين فيها وهذه الطريقه هى طريقه الاجتهاد وصاحبها يعد اماما فى فن الكتابه
كما يعد الشافعى وابوحنيفه ومالك وغيرهم مرالائمه المجتهدين فى علم الفقه الا انها مستوعرة جدا ولا يستطيعها الامن
رزقه الله لسانا مقحاما وخاطرا قحاما • وقد سهلت لى صعابها • وذللت لى جماحها • وكنت اشحذ باطهارة ذلك لما عانيت فى نيله والعنا
فانى سلكت اليه كل طريق حتى لغته اخرا واما اكون نفاسه الاشيا لعزة حصولها • ومشقة وصولها •
• ليس الحلو وجود ذلك الشئ سهلا ولا حتى يعز طلابه • ولقد مارست الكتابه ممارسه كشفت لى عر اسرارها واطرفتنى
بكنوز جواهرها اذ لم يطرف غيرى باحجارها فما وجدت اعون لانشا عليها الا الاحاديث الدراز الغريبه والاخبار النبويه وكلام الصحابه
والشعر • وقد حصرت هذا الفصل على ذكر وجوهها وتقسيمها وتعهيد الطريق الى تعلمها ثم وقفت على ما ذكرته علم ان لم
آت شيا فريا • وان الله قد جعل لحت خواطرى مرسنات الافكار سريا • وهذه الطريق لجهلها اكثر متعاطى هذه الصناعه
والذى يعلمها منهم يرضى بالحواشى والاطراف • وتقنع مرلثا لتها بمعرفه ما فى الاصداف • ولو اكتفى منها ما استخرجت
واستنتج ما استنبطت لهام بها فى كل واد • وترود الى سلوك طريقها كل زاد •
لو سمعون كما سمعت كلامها خروا للعزة ركعا وسجودا • ولا اريد بهذا الطريق ان يكون الكاتب مرتبطا فى كتابته بما
يستحجه مرالشعر والدراز والاخبار النبويه بحيث انه لا ينشى كتابا الا مرذلك بل اريد انه اذا احفظ الدراز واكثر مرحفظ
الاخبار النبويه والاشعار لم تقبع عرذلك تنقيب مطلع على معانيه مفتش عرد فانه وقلبه ظهرا لبطن عرف ح مراين
تؤكل الكتف فيما ننشده مرذات نفسه واستعان بالمحفوظ على الغريزه الطبيعيه الا ترى ان صاحب الاجتهاد كم الفقها
نفتقر الى معرفه ايات الاحكام واخبار الاحكام والى معرفه لغات الاحكام والناسخ والمنسوخ مرالكتاب والسنه والى
معرفه علم العربيه والى معرفه الفرايض والحساب مرالمعلوم والمجهول مراجل مسايل الدور والوصايا وغير ذلك والى معرفه
اجماع الصحابه فهذه ادوات للاجتهاد فاذا عرفها اكتفى ح بفكره فيما يودى اليه اجتهاده كما فعل ابوحنيفه والشافعى ومالك
وغيرهم مرائمه كاجتهاد فكذلك يجرى الحكم فى الكاتب اذا احتاج الترقى الى رتبه الاجتهاد فى الكتابه فانه يحتاج الى اشياء كثيره
قد ذكرتها فى صدر كتابى هذا الا ان رءاسها وعمودها ومدروء سنامها بلا مدافعه هى حفظ القرار الكريم والاكثار مرحفظ
الاخبار النبويه والاشعار وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضع فاقول ما ابدأ به على عقب ذلك ان اقول
حل ابيات الشعريه ينقسم الى ثلثه اقسام الاول منها وهو ادناها رتبه ان ياخذ الناثر بتمام الشعر فنثره
بلفظه مرغير زياده وهذا عيب فاحش ومثاله • كمر اخذ عقدا قد نظم نظمه • واحسن بالفه فاوهاه وبدده وكان
يقوم عذره فى ذلك ان لو نقله عركونه عقدا الى صوره اخرى مثلها واحسن منه واصفا فانه اذا نثر الشعر بلفظه كان
صاحب مسهور السرقه فيقال هذا شعر فلان بعينه لكون الفاظه باقيه لم يغتر منها شى وقد سلك هذا المسلك بعض
العراقيين محاماتهجنا لا مستحسنا كقوله فى بعض ابيات الحماسه • وهى

والذى حنق على كاظمى • تغلى عداوه صدره فى مرجل •
ارحضه عنى فابصر قصده • وكوبته فوق النواظر مرعل • فقال فى نثره هذين البيتين
فكم لقى الذى احنق كأنه نظر الى الكواكب مرعل • وتغلى عداوة صدره فى مرجل • فكواه فوق ناظريه • فاكبه لفمه وبديه •
فلم يزد هذا الناثر على ان زال رونق الحزن وطلاوة النظم لاغير • ومرهذا القسم ضرب محمود لا عيب فنه وهو ان
يكون البيت مرالشعر قد تضمر شيا لا يمكن تغييره لفظه فح يعذر الناثر اذا اتى بذلك اللفظ ومثاله قول الشاعر فى اول الحماسه

لو كنت

المنقول عنهم هو الشعر فادعوا اشعارهم كل المعانى كما قال الله تعالى لم تراتهم فى كل واد يهيمون ٥ من جاء الطائر الذى
من الحضر من فلم يكن لهم الا الشعر ثم استمرت الحال على ذلك وكان الشعر هو اكثر الكلام المنثور بالنسبة له قطرة من
بحر ولهذا صارت المعانى كلها مودعة فى الاشعار وحيث كانت هذه الصورة وكان حتى على حفظها واستعمال معانيها
فى الخطب والمكاتبات لهذا السبب وقد نثرت فى هذا الوضع ابياتا تكون قدوة للمتعلم وذلك قولى فى فصل من فصول
الكلام تتضمن ذكر السياده وهو الشريف مشرف بنفسه لا بما دفن مع ابيه فى رمسه فان سلك مكارم انت فيحمل الزمان
بمآثاها ثم مات قد فنت مع موتاها ولو ساد الناس بآبائهم لكانت السياده للطينة الاولى ولكان خلق الابناء مرلابا مجبولا
وهذا المعنى ماخوذ من قول الشاعر وما الفخر الا للعظم الرميم وانما فخار الذى مضى الفخار بنفسه غير ان الفصل الذى ذكرته
تتضمن المعنى زيادة على ما تضمنه هذا البيت ومن ذلك ما كتبته فى فصل من كتاب تتضمن معاتبة اخ لاخوته وتتصل بهم
هذا فعلت حرجوا قلبى وجعلوا يذهب بالم الجراحة وطرفوا عينى وهم يزيدون فى نظرها ملاحة واذا صدرت الاساءة
عن الاحباب لم نكروها وقرا واصبحت وهى منسية اذا تجددت الاساءة بالذكرى ومن هم الامر بسيط دمى يردعه وتحمى لحمه
ولولا ان للاسماء معارف للاشخاص لكان وارد اعلى اسمه ولكنى اخشن عليهم وقد جبلنى الله لهم على اللين ام كيف اذود
النفس عنهم وهى مشقه منهم وادم بير الماء سمى الطير ومتى وتمر شجرتى اغصانا كهذه الاغصان وقد اصيبت جرثومتها
بالجداد ولهذا قيل ان الاخوة تتعذر الاعتياض عنهم ولا يتعذر الاعتياض عن الاولاد اخر هذا الفصل ماخوذ من شعر ابن
الرومى وهو قوله تعزيت عمن اثمرتك حياته ووشك التعزى عن ثمارك اجدر
تعذر ان نعتاض عن امهاتنا وابائنا والنسل لا نتعذر عمران بر الرومى وكر ذلك فى
تعزيه انسان بابنه فتصرفت انا فى هذا المعنى ونقلته الى هذا الفصل فى ضمن معاتبة اخ لاخويه ومن ذلك ما
ذكرته فى فصل من كتاب تتضمن ذكر المشيب فعلت والعيش كله العلش فى سن الحداثة ومابانى بعدها ولا ادعى
الابسن العباءة ولسن بعدا لاربعين مصيف للذة ولا مربع وهى نهاية القوة الصالحة من الطبائع الاربع اذا تجاوزها
المرء اشفت ثمار عمره على خرصها وصارت زيادته كزيادة التصغير التى هى زيادة تدل على نقصها ويصح بعد ذلك ان يدعى
ابا لعدان كان يدعى ابنا ونقص ثوبا من المشيب لا يجر ذيله خيلا ولا يرهى به حسنا وان قل ان احسن الثياب شعارا
البياض فيا لله هذا الثوب فانه مستثنى وكفنه ليطاعه ان سطا لاحباب الله نظر القال ولولا ان الخمود بعد لما
استعمله لفظه لاشتعال ومن الناس من رد ليس لونه بصبغه الخضاب ولبس ذلك لاحداد على فقد الشباب وهو
فعله هنا كاذب ولا يخفى انس الصدق ووحشه الكذاب وصاع النفس منعها ان تسلو عرس المعطله وقصر المشيد
وحسن لها الخروج فى ثوب مرقوع وهى راه بغير الثوب الجديد وبعض هذا ماخوذ من شعر ابن الرومى وهو قوله
رانت خضاب المرء بعد مشيبه حدادا على شرخ الشبيبة يلبس عمران فى هذا الفصل معانى كثيرة لطيفة لا
توجد فى كلام احد ومن ذلك قولى فى وصف الجود والسخاء وهذا الفصل تشتمل على معان متعدده فمنها قولى فى
العطا وهو شاف هتنى اسباب الغنا برؤيته حى كادت تنطق واخضرت اكنافى منزلى بعطاه حى كادت تورق
ومن فضيلة برء انه لا يانى به على اعين الناس واذا عرسه اعين الناس رب ذلك العراس فلا استكثر ما حادت به سحاب يده
ولا تمنعه عطاء يومه من عطاء غده وبعض هذا المعنى ماخوذ من شعر ابن الرومى نواس
كانوا اذا اغرسوا سقوا واذا بنوا لا يهدمون لما نووه اساسا ومن هذا المعنى ايضا قولى وهو ماخوذ من المكارم من
سمايها وارضها وقام نقلها فى الناس وفرضها وحلا سعض اسماء الشهور حتى اصبح بعضها حاسدا لبعضها فالمحرم للعايذ

وكان بها مثل المجنون فاصبحت ومرحشا لقتلى عليها تمائم واشباه هذا لا يانى الا قليلا وسببه ان
المعنى يحضر فى مقصد من المقاصد حتى لا يكاد يانى الا فذا هذين البيتين لا ترى ان باتمام قصد المواخاه فى
ذكره لونا الشباب من الاحمر والاخضر وحاذلك واقعا على المعنى الذى اراده مرلون شاب لقتلى وشاب المحنه فاذا اقدم
نظم هذا البيت واريد صوغه بغير لفظه لا يمكن ذلك وبنت الى الطيب جار هذا المجرى فانه ناه على واقعه من الوقايع
وذا اراد حصنا من حصون سيف الدوله قصده الروم وانتزعوه واخربوه فهند سيف الدوله الله واسترجعه
وحدد ناه وهزم الروم ونصب مرحشا لقتلى على السور فنظم المتنبى فى هذا قصدا اوله على قدر اهل العزم تاتى
العزائم فلما انهى الى ذكر الحصر جاء لهذا البيت فى جملة ابيات فشرح صورة الحال فى انزعاج الحصر بالقتال وتعلق
القتلى عليه وابرز ذلك فى معنى التمثيل بالمجنون والتمائم فاركان عنده قوة تصرف وبسط عباره فانه بانى بها حسنا
رائقا وقد نثرت هذين البيتين اما بتانى بمعانيهما فى فلك نثره لم تكسه المنايا نسج شفارها حتى كسته الجدة نسج
شعارها فدل احمر ثوبه باخضره وكاس حمامه كاس كوثره وهذا من المحسن على غايه قد حسودها من حيث شهودها واما
بيت ابى الطيب فانى فلت فى نثره سرى الى حصركما مستعدا منه نتزعها العدو اخلاسا واخذها اخذ عه
لا افتراسا فما نزلها حتى استفادها ولا ازالها حتى استعادها وكما كان لها حصون فنعتها بمعزائمه عزائم وعلق
عليها مرؤوس القتلى تمائم وفى هذا من الحسن ما لا اخفا به مرشا ان نثر شعرا فليتنره هكذا والا فليترك وقد حيث
لهذا المعنى على وجه اخر وابرزته فى صورة اخرى وداعى الى صفتها لهذا البيت الذى قبله وهو بناها فاعلا والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم وما نثرت هذين البيتين قلت فى نثره ما اذكره
وهو بناها ولا سنه فى بنائها متخاصمه وامواج المنايا فوقها مدى النأس متلاطمه وما احلت الحرب حتى زارها اقطارها
تركض الحياك واصيبت ممثل الجنون فعلقت عليها تمائم من الرؤس والاجساد ولا شك ان الحرب يعرد عمن عز جانبه
ويقول الا هكذا فلتكسب المجد كاسبه وهذا احسن من الاول واتم معنى وقد تصرفت فى هذا الموضع زياده فى معناها
ونثرته على اسلوب احسن من هذا الاسلوب فعلت بناها ودون ذلك لبنا شواء الاسل وطوقان المنايا الذى لا
نفال يسأوى منه الحبل ولم نكرنا ولم الا بعدان هدمت رؤس عراعناق فكانما اصيبت الحصون فعلقت العلى عليها مكان
التمائم وشبهت بعطل فعلقت مكان الاطواق وهذا الفصل فيه زيادة على الذى قبله واذا انهى بنا الكلام الى
ههنا فى التنبيه على نثر الشعر وكيفيته نثره وذكر ما يسهل منه وما يعسر فلنتبع ذلك بقول كلى فى هذا الباب فنقول
من اراد ان يكون كاتبا وكان عنده طبع مجيب فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ولا نفع بالعليل من ذلك بما خذ فى نثر
الشعر من محفوظاته ولطريقه ان يبتدى فياخذ قصدا من القصايد فينثره بيتا بيتا على التوالى ولا يستنكف فى الابتدا
ان ينثر الشعر بالفاظه او اكثرها فانه لا يستطيع لاذ لك واذا مرنت نفسه وتدرب خاطره ارتفع عن هذه الدرجه
وصار ياخذ المعنى ويكسوه عباره من عنده ثم يرتفع عن ذلك حتى يكسوه ضروبا من العبارات المختلفه وح يحصل الخاطر عبا شره
المعانى لقاح فيستنتج منها عن ذلك معانى والمعانى كسبله ان اكثر الادمان ليلا ونهارا ولا ارا على ذلك مده طويله حتى يصير له ملكه
فاذا كتب كتابا او خطب خطبة ندفقت المعانى فى اثناء كلامه وجات الفاظه معسوله لا مغسوله وكان عليها جده
حى يكاد يرقص رقصا وهذا شى خبرته بالتجربه ولا يشك مثل خبيره فان قال الكلام منظوم فلم خصصت هذا المنظوم
وجعلته مادة للمنثور وهلا كان الامر بالعكس قلت فى الجواب ان الاشعار اكثر وا لمعانى فيها اعز وكسبه لذلك ان
العرب الذين هم اهل الفصاحة كان جل كلامهم شعرا ولا لحدا الكلام المنثور فى كلامهم الا يسيرا ولو كثر فانه لم ينقل عنهم فهو له

حرمه وصف للطامع فی متاعه قدمه وسع لرامد نواله ورحب لاقوال عذاله وهذا ماخود من قول الفرزدق

بدار ابن هند سع الناس فیها وفی الاخر الشهود من الحرام وقد قال الشعراء فی ذلک کثیرا الا انی انا نصرفت فی هذا المعنی تصرفا لم یتصرفه احد غیری ومر هذا المعنی ما ذکرته فی فصل من کتاب وهو ولقد سوی بین اعدائه فی البغض وبین اموله فهذه مفنیه توقایع رضاله وهذه مفنیه تصنایع نواله ولو احب المال لکان احبته لانه ما بذله کما احب الناس الیه من یسئاله ومن احسن بیاسنة الکرم انه جاء حتی بدّ لرغبة العافین زهدا ورای الحمد عوضا من الصنیعة فابتای ارتفاض مرصناعه عمدا وبعض هذا ماخود من قول مسرع الی نواس وهو لست اعدای کانوا لالی سخطی مالا ومر ذلک قولی فی وصف القتال وموطن الحرب ووصف الشجاعة والنجاح وما تتعلق بذلک وبحری معه وهذا الفصل یشتمل علی معان مختلفة فمر ذلک ما ذکرته فی وصف العسکر وهو فسرنا فی غمامة من الکتائب تظلها غمامة من الطیور الاسایب فهذه یضمها بحر مرصد وهذه یضمها بحر مرصعید وما مرت بارض الا ادالت ارضه من سمائه والبست نهار ثوب ظلامه وبدلتا حران بعیده وحرارته ماءه وکذلک فعلت عدینه فلانه وقد ضرب الامر علیها اسوارا وبعد عهدها بالنوایب فلم تدخل لها دیارا وهی بحری بالمنیة الحفض ولم تزع عنه بالانتقال ولا ارات السیف وقد التقی لونه فی ذوایب الاطفال فما شعر اهلها الا وقد رجمها الجیش بکاهله ورماها بوابله قبل اطلاله وظل السحاب قبل وابله وبرز خیل القوم ولهازی فرسانها وهی مستبقه الی الطرد کاستباقها الی صیدانها ومامنهما الا من تناوده القناه فی بدء یرلهذ من فسقل السرح منه ومن حواده بین مطهمین فجرتا المعاور الی المعاور وتلاقت الرماح بالاعاصیر فکان الطعن بینهم عناقا والکبت فواقا وکبق الموت الرمح الجراح ونفذت عزمة مقتضبة لسرعتها اسنة الرماح وحصل القوم فی القبضة وذعروا عقبی النهضة وجمع الاسری مقترنا بالاصفاد موقنین ان روسهم عوار علی تلک الاجساد فلو استطاع راس احدهم ان ینکر عنقه لانکره ولا یود وهو العظیم ان نقایا اعظه یلقایا احقه وتصرفت ایدی المسلم بین القتل والنهب وکان للسیف رقاب وللسبی رقاب وفی هذا الفصل معان کثیرة مستحسنة ومنها ما احد من شعر المتنبی کقوله

سحاب من العقبان ترجف لحتها سحاب اذا استسقت سقتها صوارمه وکقوله

واستعار الحدید لونا والقنی لونه وداوی الاطفال ومر ذلک ما ذکرته فی وصف المشرکین فی فصل من جملة کتاب یضم البشری بهزعة الکفار وهو فسلبوا وعاضتهم الدماء اللباس فهم فی صورة عار ونهم زی کاس وما اسرع ما خیط لهم لباسها المحمر غیر انه لم یحک علیهم ولم یبرز واما البسوه حتی لبس الاسلام شعار النضر الباقی علی الدهر وهو شعار نسجه السنان الحارق لا الصنع الحاذق ولم یغب عن لابسه الا رشحا غاث البیض والطلی والهام والف الطعن بین الف الخط واللام وهذه معان حسنة رائقه ومنها معنی واحد ماخود من شعر البحتری وهو

سلبوا واشرقت الدماء علیهم محمرة فکانهم لم یسلبوا ومر ذلک ما ذکرته فی صدر کتاب تضمن فتحا وهو اصدر هذا الکتاب والفتح غض طری لم تنصل حمرة یومه ولا اغمدت سیوف قومه فسطوره متربة بغبار محاته مملة بخط صریه واعجام زجاجه وهذا المعنی ینظر الی قول ابی تمام

کتبت اوجههم مشقا ونسمة ضربا وطعنا لهاما والصلفا
کتابه ما تثنی مقروة ابدا وما خططت بها لاما ولا لفا

الا ان ابا تمام مثل اثار الضرب والطعن فی الوجوه بالکتابة وانا مثلت خط الکتاب واعجامه بالضرب والطعن فکانی عکست المعنی الذی ذکره ابو تمام وهذا مقصد فی حل الابیات الشعریة حسن فان استخراج المعنی من عکسه ادق من استخراجه

من

مرنفسه وقد بینت علی ذلک فی مواضع اخر من هذا الکتاب ومر ذلک ما ذکرته فی فصل من کتاب تضمن فتحا من فتوح الکفار وهو واقبلت اجزاب الکفر وهی معتصمة بصلیبها ورفعته علی اعواد عالیة کهیئة خطیبها ولو یعلم ان الله کتب علیه الثواب بعسیب تلک الکراهة وانه ذو شعب اربع والتربع یجنس فی حکم التحامة فکیف برجو کفرها طهورا ولها من معنی الاحتفاء والاسلام معنی السلامة ولما التقی الجمعان اصطفت یمن وشمال ورجفت جبال الی جبال وکثر التهوس علی المنایا حتی کادت الاتقی للاجال واقدمت الخیل اقدام فرسانها واظلم النقع فلم تبصر الا باذانها واثاثلت البحور ثارها مرکبوا الرماح واستبکت الاسنة فلا طریق منها الا بقب الریاح واستوصلت سحر الکفر بالقطع الا بالجداد وحارد السیف من حدیده الا بالصفاح ونقلوا الی جهنم یصلونها وبئس المهاد واقفلت المسلمون وقد ملاوا الاغماد نصرا والصحایف اجرا ولا یدی وقرا والقلوب جذلا ولا لسنة شکرا وکان ذلک الیوم فی الایام علما وفی الاقسام قسما ولو یره الزمان منسوبا الیه لکان راجع شبابا بعد ان ناهز هرما فی هذا الفصل شی من معانی الشعر وذلک من قول ابی الطیب المتنبی

اتاهم ما وسع مرارضهم طوال السبیب فصار العسب
یغیب الشواهق فی حشه وبید وصغارا اذا المرتعب
ولا یعثر الریح فی جوه اذا لم تخطا القنا او تثب

ومن قوله ایضا فی جحفل ستر العیون غباره فکانما تبصرن بالاذان ومر ذلک ما ذکرته فی الخاتمة واجابة الصریخ وهو اذا استصرخ اصرخ نغرمه عدة صحبة الجیش عرلة العیش فهو مستعر حر الثغور علی برد الثغور ولهو بالبیض الذکور عن بیض الخدور ولا طیب عنده الا ریح العجاج ولا عناق الا اطلاق الرماح ولا ارب له فی الرقاد الا علی صهوات الجیاد فعسکر قلبه یمضی فی الوغا مر عسکر ویجذه بأسه بانی لها کالترب فی درع او مغفر وهذه المعانی ماخوذه من امراة الحماسة ومر شعر مسلم بن الولید ومر ذلک ما ذکرته فی وصف المخبرین المنطر وهو اذا سموا لامر فکر فی مکانک ولا ترض بکثرة الشرکاء فیقال فلان من اقرانک الم تر الی الحرباء وهی دویبة حقیر الشان ضعیفة لا رکان فانه ارتفع فی هواه عن الارض وانثنها الی السماء وشمسها وقال لا احب من تفسد الایام مرحسنة ولا من تیسر احد اسم خله ولا اخذنه والهم لیست منوطه بحفاة المناظر والتعویل علی الحر المستتر فی الافئدة الباطنة لا علی الظواهر ومر ههنا قیل ان وضاءة النفوس انضر من وضاءة الاجساد ومر ذلک الشیم احسن من رقم الابراد واخر هذا الفصل ینظر الی قول سحیم عبد بنی الحسحاس ان کنت عبدا ففسی حر کریما واسود اللون انی ناصع الخلق الا انا ولد الفصل تضم معنی غریبا لم یستقص الیه احد ومر ذلک ما ذکرته فی الحسد فی فصل من کتاب وهو حاسد کتدانا نظر الی زهرة دنیاه ولا نظر الی استحقاقه وهو کالناظر الی الاطواق الموضوعة فی الجید ولا یدری ان الجید احسن من الطوقة ولو قاس الدنیا بالاستحقاق لذهب الحسد من صدره وقال ما الی احسد من لم ینله ودر دنیاه الی معشار قدره ومر ذلک ما ذکرته فی فصل کتاب تضمن اعتذارا عن تواتر المکاتبات وهو اذا اعتذر من انقطاع الکتب اعتذر الخاکم من اتصالها ولو کانت واردة علی غرة ذلک الباب الکریم الخافی من املالها وقد عدا حتما ان یثقلها من حمله الایادی التی اثقلته واراد ان یجری معها بسوابق شکره فاعجلته وما املته وهو الان مرتهن ببر قد مر منها وحدیث واصبح کحراش اذ نکاثرت علیه الظباء فلم یدر لکثرتها ما یصید فان امسک کیدنا مرادیه والا فلیتفصاء الشکر بالانهار ولعلها ان ذمة وفاءة کذمته دیون المال فی الاعسار وهذا فصل فی هذا المعنی قلما یوتی بمثله وفیه معنی واحد من قول الشاعر

تکاثرت الظباء علی حراش فما یدری حراش ما یصید ومر ذلک ما ذکرته فی اصطلاح مودة فقلت کنت

التوله

وثبات النحور

وانقلب

لمع

المحمل بعدم الجیم علی الجار ومعنی العسکر الله

لقاء الاقران

الجراد بالضم الواحد جرادة بتاء الجمع جمل ورود وارباد کجلود احمر

عنده بالمنزله التي آمرُ منهما ما اجتنبه فصرت اخاف ما الم اجتنه • وكان لا تقبل على شهاكه عينه فاصبح الآن وهو نقيل
شهاك اذنه • لكن لم يجعل الله الطلوب يراصبعين مراصانعه الا لمذهب بها كل واد • ومرهبا كانت تشعل مرود اداني قلبي
ومرقلبي الى وداد • ولا شك ان لها نيرالحالتين عمرا سمى الله كما سمى اعمار الاجساد • والصبر حرما استعل في جفا الاخوان
والماء اذا جرى في نكان نما خرف عنه فلا يدان تعود الى ذلك المكان • وبعض هذا ما خود مرشعر ابن الرومي •

عهدتك لا تعتد بالعين شاهدا • على قلم اصبحت بعتد بالاذن • ومرفلكما ذكره في فصل كتاب الى الملوك على يدي
بعض العفاه وهو الشيخ الكريمة تمنزله المسك في سرة الغزلان • غير ان طيب هذه تعبق بالانوف وطيب هذه تعبق بالاذان
وقد جعل بقاء ذات المزينة بين هذين الطيبين فرقا • فاحدهما يتقوى دائما ولا يذهب ولا خر يذهب فلا يبقى • ونصيب مولانا من
الطيب الباقي نصيب ذكت معادنه وكثرت خزائنه • وسارت في الارض محاسنه • ورفعه الله به الى محل سعد شاؤه على
الطالب • فلا يرى الا في لسان شاعر او لسان خاطب • وهو مما اسدى مرخلق الناس الذي هو مطر للارزاب • ومراجل ذلك يرون
اشباهاً ما عداه • ومما فهم الامر بقدر فضله ولو كان مرحسان او عداه • وقد اصبحوا وهم يقلون لذته حي يكثرون • ويقول
كل واحد منهم لصاحبه فسحر هذا امر انتم لا تبصرون • هذا الفصل وان نضم شيا من القرآن الكريم فليس المراد ههنا القران
بل منه شي ما خود من الشعر وهو قول المتنبي • الناس ما لم يروا اشباهه • والدهر لفظ وانت معناه • ومرفلكما
ذكره في وصف الخمر وهو • الخمر لا تنفي لذة اسكارها • بتنغص خمارها • فهي خرقا البنان • بذنة اللسان • وتاينها يد لذ
انها مزاج صفات لعقول ولاديان • وقد عرف منها سنة الجور في احكامها • ولو لا ذلك لما استثارت مرالروس بجنايته
اقدامها • وهذا احسن مرقول الشاعر واعزه والطف لانه قال

ذكرت حقائدها القديمة اذ غدت • وهنا بداس يا رحل القصار •
لانت لهم حتى انتشوا فتحكمت • فيهم فادت فيهم بالثار • وكذلك قلت في

وصفها انها وهو • مدامة تنفي خواطر الهموم • وتسري مسرى الارواح في الجسوم • وتشهدان الكرم مستمد مرسماء الكروم
وتمثل حبيبها لجنوما الا انها مضلة والهداة للنجوم • وبعض ما خود مرقول ابي نواس

• اذا هي حثت في الاناء مزالفتى • دعاهمه مرصدره برحيل • وما زال السعر تتوارد دون على هذا المعنى حتى سمح لكر الذي
ذكره بعد هذا المعنى مرمحاسن المعاني في وصفها • وكذلك ما ذكره في وصفها انها وهو • الخمر كالعذراء في نفورها •
وملازمة خدورها • ولهذا تشمأز مرمكاح المزاج • وتصخب مرلمس الماء صخب الابكار لمس الازواج • ومرشانها ان تلبس عند
المزاج فلا كملا على راسها • وكذلك شان العرائس عند رفعها الى اعراسها • وهذه المماثلة بين الخمر وبين البكر عاهذا النسق
لم يات بها احد غيري • وانما وصفت لها بكرا لقول ابي نواس • فقلت لشيخ منهم متكلم • له دين قسيس وفي نطقه كفر •
• اعندك بكر مزة الطعم قرقف • صنيعة دهقان تراخى له العمر • فقال عروس كان كسر ريطها • معتقة مردونها الباب والستر •
ووصفت بالنكاح والزواج كقوله انفا • وفهوة كالعقيق صافية • تظر مركاسها لها شرر •
زوجتها الماء كي تذل له • فامتعضت حين مسها الذكر • ومرذلك ما ذكره في الخزم وهو لا سغنى للحازم ان يساور المورد
الموذن بمضيقة • وان افضى الصدر الى رحيبة • فان توقى الذا خير مرالتعرض له مع وجود طيبة • وليدع قول مرتقعد على
تل السلامة • ولبس الكتاب بالكائب • وقول لبس للعزم الا تمام الصدور ولبس له تمام العواقب • بعض هذا ما خود
مرقول الى تمام • وركب كالطراف الاسنة عرسوا • على مثلها والليل تسطو فياهبه •
لا مر عليهم ان تتم صدوره • ولبس عليهم ان تتم عواقبه •

ومرذلك

ومرذلك ما ذكره في وصف الراي والكيد وهو • اخفى على العدو كيده حتى لم يدع كائدا • واعمى عليه سبل الطريق
حتى ظنه حايدا • فسيوفه تسطو على بعدها • ولا تقطع الا وهي في عدها • وبعض هذا المعنى اخذ مرشعر ابي تمام وهو
• سكن الكيد فهم ان مراعظم كيدان لا تتما اريبا • وكذلك قولي في هذا المعنى وهو • اخذ سمع العدو وبصره
وسد مطلع ورده وصدره • فيدا مغلوله مع انها مطلقة السراح • ومقاتله ما ديه على انها شاكية السلاح • وهذا
المعنى نظر الى المعنى الذي قبله • وكذلك قولي انفا وهو • يثبت برايه العدو قبل جيشه • ولقاه بطش قبله الذي
كل الحكيم في طيشه • فاذا اظلمت وجوه الاراء كان رايه لها صباحا • واذا اجرمز الجحافل للحرب كان قبله لها سلاحا •
وبعض هذا المعنى ما خود مرشعر البحتري • وهم المرء ما غرا لمدا بالراي لا كفاه غزو الجنود • ومرذلك ما ذكره في وصف
السير والركاب والحمل والقفار وما تتعلق بها فمنه ما تتعلق بالسير وهو • ركب ظهر الليل يباري مشيرة بسير
اشهبية • وستقرب نعدا لمدا في نيل مطلبة • غير ان ذلك تفري اديم العنيا كهب • وهذا تفري اديم السباسب • وهذا ما خود
مرقول المتنبي • يباري بحوم القذف في كل ليله • بخوم له منهن ورد واديم • ومرهذا المعنى قولي انفا وهو
اتخذ الليل ظهرا • واستلان خشونة المشرى • فلم يزل يقذف صبغة سواده بصبغة جواده حتى بدت في اديم الليل
شيات صباحه • وشامة الاديم في غرته واوضاحه • فعند ذلك اخذ احدهما في رحيله • واخذ الاخر في نزوله • وهذا
المعنى نظر الى الذي قبله وفيه مرشرف الصنعة ما لا خفاء به • ومرذلك ما ذكرته انا في فصل مرالكتاب • سرت وتحتي بنت قومه
لا ذهب السري بحاجاتها • ولا سبر بد الحادي مرمراحها • فهي طموح باناء الزمام • واذا سارت سر الاكام • فما هذه واحده
مرالاكام • ولم تسم جسرا الا لانها تقطع عرض الفلاة كما تقطع الجسر عرض الماء • ولا سميت حرقا الا لانها حاتت لمعنى
في الغرار لا لمعنى في الافعال والاسما • وطفها جنيب مرالحمل بقبل بجنبه ويدبر بضخم • ونظر مرعرحطه وسمع
نادن حشرة • ويحري مع الريح الزعزع فيد زعها وقد طمر فيها اثر الفترة • وما قد حلفها الا هو هو هدى نها في
المسالك المضله • ويطا على اثارها فترقم وجوه البدور باشكال لا اهله • هذا والليل قد القى حرانه فلم يبرح
والكواكب قد ركدت فنه فلم تسبح • وانا اود لو زاد طوله • ولم يطهره غرامه ولا محوله • فقد قيل انه ادنى
للبعد واكثر للاسرار • ودل عليه القول البنوي بان الارض يطوى فيها ما لا يطوى بالنهار • وما زلت اسري
مرتديا بثوبه حتى كاد ينضولون السواد • وظهر سلسرحان فاغار على سرح السماء كما يغير السرحان على سرح
النقاء • فعند ذلك هتفت لعين مرالكرى هتفة الطائر • ولم يكرذلك على طهر الارض المطمئنة وانما كان على
الطهر السارة • في هذا الفصل كلمة ملحية مرالمعاني • ولو لم يكرر في الكتاب سواه لكان كافيا • وبعضه ما خود من
الشعر كقول ابي تمام • طموح ما شاء الزمام كانما • تخال لها مرعبد وها طيف جنة • وكقوله
ما لشد قميات العتاق كانما • اشباجها مرام الاكام اكام • ومرذلك ما ذكرته في النسب في فصل مرالكتاب
وهو لهم نسب لا يحله لام التعريف • وهو موضوع لا يجري على سنن التوقيف • فاذا ذكروا اوله وقفت مرن
عرفانه على طلل • ووجدته مهملا في جملة الهمل • وان قيل انه مرنجوم السما قلت لكنه يخرج عرالثريا والحمل • فما
ارهف لوصفه الانا • ولا اقدح له زاد خاطر الاخبا • وهم منه كاوى القلب مرى الناس له ابنا ولا رون لابنه ابا • وهذا
مراغرب ما يوتى به في ذم المنسوب وهو مرباب توليد المعاني لدى سما الكيما وبعضه مستولد مرقول ابي نواس •
• وما جده الا كاوى يرى البنه • ولو راوى في الحزون ولا السهل • فابو نواس في خبر الخصب وعدم روته
وانا نقلت في ذلك الى النسيب فجاء الطف واحسن واليق وادخل في باب الصنعه واذا حققت النظر فيما ذكره ابو نواس

فصل من كتاب

وهذا المعنى لم يوجد مناسبًا فان الخبر عدم رويته لا لحمل على ابراوى وانما المناسب يقع فى النسب مراجل ذكر الابن والاب • ومن ذلك ماذكرته فى ذم قوم وهو • تركت قومًا لم ينفعوا صدى • ولم يجروا الى مدى • واعراضهم فكرة العار واموالهم حنظلة الناقف لا تمطر بحجبهم على كثرة مائها • ولا تزكوا الذريعة بارضهم على نمائها • وبعض هذا المعنى ماخوذ من شعر الشريف الرضى • تركت اناسًا لم يهشوا المنة • ولم ينقعوا طل الظماء الخوامس • على القرب منهم انني غير طامع • ومنك على بعدى لمعا غير آيس • ومن هذا الباب ايضًا قولى وهو • تركت قومًا يسلون الجيب ويملون القرب • لا يرعون مرير عاتهم • ولا يدرا للبن على مرعاتهم • فنوالهم تحايا • واعراضهم ضحايا • ومن احسن صفاتهم انهم يعاقبون الظنة • ولا يتاحون لمنة • فالذرايع لديهم مدفونة • والصنايع مصونة • وبعض هذه المعانى ماخوذ من شعر الى الطيب •

راعيكم لا يصون العرض جاركم • ولا يدر على مرعاكم اللبن •
جزاء كل ريب منكم ملل • وحظ كل محب منكم ضغن • ومن ذلك ماذكرته فى الحث على الاغتراب وهو • لولا التغرب لما ارتقت بنات الاصداف الى ثرى الاعناق • ولا ابقى تراب الاحجار الى فوة الاحداق • وكذلك قولى فى هذا المعنى وهو • فى الانتقال تنويه لخامل الاقدار • ولو ذلك لم يكس الهلال حلله الابدار • والمندل الرطب حطب اوطانه • والمسك دم فى سرة غزلانه • ولولا فراق السهم وتره لم يحظ بفضل الاصابه • ولولا فراق الوشيج مكسره غاب منبته لم يتحل بعز السنان ولا شرف الذؤابه • وهذا الفصل فصل من القول فى معناه • ومما لم ينسج للخواطر ابتنا مبتناه • ومنه ماهو ماخوذ من الشعر ومنه ماسنح به الخاطر على غير مثال وهو شهد لنفسه • ومن ذلك ماذكرته فى وصف ايام وهو • ايام تعدا عوام لقصر اعمارها • وشهور لا يشعر بانصافها ولا باسرارها • فالاوقات بها اصايل والمحاسن فيها شمايل • والماء رب فى ساعاتها رياض وخمايل • فما ادرى اهى خيالات احلام غرت • ام حديث اماني مرت • وبعض هذه المعانى ماخوذ من ابيات الحماسه • شهور ينقضين وما شعرنا • بانصاف لهن ولا سرار • ومن ذلك ما ذكرته فى وصف الاخوان وهو • ليس الصديق من رعد سقطات قرينه • وجازاه بغشه وخيبته • بل الصديق من رماشى اخاه على عرجه • واستقام له على عوجه • فذلك الذى ان راى سيئة رفعها على علم • وبعض هذا المعنى ماخوذ من ابيات الحماسه • ان يسمعوا ريبة طاروا لها فرحًا • عنى وما سمعوا من صالح دفنوا • الا ان الذى ذكرته هو ضد هذا المعنى وقد يستخرج المعنى من ضده وهو احسن مما يستخرج من نفسه • ومن هذا قولى ايضًا ليس الصديق من يرى خلاف وده • وغش فى صفقة عهده • بل الصديق من لا يرد سلعه وده باقالة ولا عيب • ولا يخص محافظة اخائه بشهادة دون غيب • فذلك اخى من غير نسب • وكثير من غير نشب • وهذا ماخوذ من الفقه فى نصرة ضرع الشاة عند البيع وذلك يوجب الرد • ومما ينتظم فى هذا السلك قولى وهو • لا سعا لجلة الوداد • كالانتقال عن نسب الميلاد • فكما حرم هذا فى نص الحكم المشروع • فكذلك يحرم هذا فى خلق الكرم المطبوع • على ان نسب الخلة الذى يميله القلب الى القلب • اوصل من نسب الرحم الذى يميله الابن الى الاب • ولهذا كانت مودة سلمان قربى • ونسبا فى لهب سببًا ونبا • وبعض هذا ماخوذ من شعر الى فراس وهو • كانت مودة سلمان لهم نسبًا • ولم يكن بين نوح وابنه رحم • ومن ذلك ما ذكرته فى وصف الديار وصفته فى ذكر الديار وهو • دار كانت مقاصر جنة • فاصبحت وهى ملاعب جنة • ولقد عمست اخبار قطانها • واثار اوطانها • حتى شاهدت حداها الاخرس العفا • وكنت اظن انها لا تبكى بغمام • ولا ترفع عنها جلباب الظلام غمران السحاب • بكاهم فجرت لها سوانح دموعه • والليل شق عليهم ثوبه فطهر الصباح من خلال صدوعه • وهذه معان لطيفة حقا وبعضها

ماخوذ

شق

ماخوذ من شعر الشريف الرضى رحمه الله • امراتع الغزلان غيرك البلا • حتى غدوت مراتع الغزلان • ومما يلتئم لهذا المعنى قولى الخ وهو • دار اصبحت مراتع اذواد نعمان كانت مناجع رواد • ولو صورت الاهال التى مثلت بفنائها كما تصورت الاثار لما يليه مرينا لها • لرايت رسومها مع رسوم القباب • وعلمتكم غادرها مربع ونضب مرسحاب • وهذا معنى حسن له من نفسه متن وجامد ومرسا معه يمر وشاهد • وهو من المعانى المستخرجة • ومن ذلك قولى الخ وهو • النفس موكلة بحب النفع • ولذلك كان لوم من يقترنا بالمرعى والما • وقلما ترى ثمرة الا ومعها زنبور • ولا لذة الا والى جانبها شئ محذور • وكذلك قولى الخ وهو • لا يظفر المرء بمطالبه شفعا • ولا يانيه من كل جهة نفعا • بل ربما مرعى بلا ماء وماء بلا مرعى • ولذلك كانت النخلة مع الشهد • والشوكة مع الوردة • وبعض هذه المعانى ماخوذ من قولهم ارض لها عشب ولا ماء ولا عشب • الا ان الكلام المشهور زيادة على ما تضمنه من الشعر وكانه نظر الله نظرا بعيدًا • ومن سبيل المتصدى لهذا الفن ان ياخذ المعنى من الشعر فيحمله مثل الاكسير وصناعة الكيميا يخرج منه الوانا مختلفة من جوهر وذهب كما فعلت انا فى هذا الموضع فانى اخذت معنى هذا البيت من الشعر فاستخرجت منه ما ليس منه وهذا اعلى الدرجات فى نثر المعانى الشعرية وقد بسطت القول فى هذا الموضع وكشفت عن دفائنه فى الكتاب الذى وسمته بالوشى المرقوم فى حل المنظوم • وهذا كتاب مفرد لهذا الغرض الخاص • ومن هذا الضرب الذى هو الكيميا فى تولد المعانى ماذكرته فى نثر فى وصف الربيع وهو • احد مبانى عامه • والمستفيد لشامه مرجانه • وقد وصف بانه ميعاد نطق الاطيار • وميلاد اجنة الازهار • والذى يستوفى فيه حقها سلافه العقار • فاذا سلت السحب فيه سيوفها كان ذلك للرضى لا للغضب • واذا اعملت على الارض غلالتها البدكنا لبست منها ديباجه منسوجه بالذهب • وهذا المعنى مستولد من قول تمام فى وصف السحاب • وقد سبقته الجنوب والدبور والدنيا وصافى الحيوة فى سكبه • ومن ذلك ماذكرته فى لين القول واعادته وما يجرى مجراه كقولى فى فصل من كتاب وهو • لم اعد عليه القول لانه لا يبلغ مدى بيدانه • الا تحريك سوطه وعنانه • بل اخذا بادب الله فى ايراد القرآن • واتباعا لسنة نبيه فى تثويب الاذان • وبعض هذا ماخوذ من شعر الى تمام • لو رايتنا التاكد خطة عجز • ما شفعنا الاذان بالتثويب • وكذلك قولى الخ وهو • ورعلم ان لين القول انجع قبولا • ومراد بكلمة لسداذ نعته الى فرعون رسولا • الا ترى ان الحداء يبلغ من المطايا بلطفه ما لا يبلغ السوط بعنفه • وبعض هذا المعنى ماخوذ من شعر الى تمام •

وخذ بالرفق ان المهارى • يهيجها على السير الجداء • ومن ذلك ماذكرته فى ذم الدنيا وهو • انكاد الدنيا مشوبة بالاشياء التى جعلت النفوس على حبها • وكما استلذ الانسان مرتعا كلما فانه نضرتها مرجعة طبعها • ولهذا دمم من منفعة الهليلج ومضرة اللوز نبيح • واعجب من ذلك انها لا تنفع الانسان بشئ من ذاتها الا اضرته من وجه ثوابه • وقد ضرب لذلك مثل من الاشياء • وقيل ان كل ما ينفع الكبد يضر بالطحال • وهو ماخوذ من الاشا لا العربية والموله • ومن ذلك ماذكرته فى الزهد وهو • الناس فى الدنيا ابناء الساعة الراهنة • وكما ان النفوس لا تستقر فيها بقاطنه فكذلك الاحوال لا تستقر فيها بقاطنه • ولهذا كانت المآتم لها كالاعراس سفرق ندى جمعها • فهذه ينسى ما مضى من زمانه سرور • وهذه ينسى ما مضى من الم فجعها • ولا اشبه لها على ذلك الا احلام التى يلاشى خيالها عاجلا • ويحل اليقظة حقها باطلا • وما ينبغى ان نفرح لها مقبله ولا نوسى عليها مدبرة • وكما تراه العين منها يذهب فكانها لم تره • وغاية مطلوب الانسان منها ان تملله مدة عمره • وعمله فى امتداد كثره • اما تعمير وصعة رضه المشيب الذى هو عدم فى وجود • وهو اخو الموت فى كل شئ الا فى سكنى اللحود • فالجوارح التى يدرك بها الشهوات ترى وكل منها قد تحول • واصبح كالطلل الدارس الذى

يدرس

ماخوذ من قوله

الروة والذهاب المجر

المماثلة لحم

وهو

نقلت فصل الربيع ح

فهو كالذى يرتبع بطلا النار واس محرقة لاثوابه ح

اليقظة ه

ليس عنده مرمعوّل • ولا ليلى بليلى ولا النوار نوارُه • ولا لاسماع اسماع ولا لابصار ابصار • واما ان ماله فان
امسكه فهو عرضة لوارث يأكله • او لحادث يستأصله • وان انفقه كان عليه في الحلال حسابا • وفي الحرام عقابا •
فهذه زهرة الدنيا الناضرة • وهذه عقباها الخاسرة • وبعض هذا المعنى ماخود من شعر صالح بن عبد القدوس
• واذا الجنازة والعروس تلاقيا • الفيت جمعًا كلهم يتفرق • ومن قوب الى العتاهية •
• انما انت طول عمرك ما عمرت • في الساعة التي انت فيها • ومن ذلك ماذكرته في فصل من كتاب يتضمن تعزية وهو
كيف نظم الله اللحد وبه مراعمال ساكنه انوار • ام كيف يجذب وبه مرفض عينه سحاب مدرار • ام كيف توحش فظاعة
والملكة داخله عليه مرتلك الافطار • ام كيف يخفيه طولا لعهد على زوّاره وطيب ثراه هادٍ للزوّار • وما اعلم ما قوله
وهذا الخطب الجليل • الدى ذوق منه الحزن الجليل • وسمحت له النفوس بالفدية على حب الحيوة وذلك من الغبا القليل •
وتحيرانه لم يحلق الدمع الا انذار بان نوائب الزمان ستنوب • وقد جعله الله ذخرا للقائها • وانما ندخر السلاح للقاء
الحروب • فالدى وخزته منه لمر بعن غنى في هذه النائبة • واى جنة لقوم في وجه سهامها الصائبة • لاجرم انى اصبحت
بير يد يها هدفا للرمًا • ولم يبق مني الا دماء الحشاشة ومر العجب بقاء تلك الدماء • وشي من هذا الفصل ماخود من
شعر ابن الرومي • لم يحلق الدمع لامرئ عبثا الله ادرى بلوعة الحزن • وكذلك ذكرت فصلا من كتاب احرضمن
تعزيه وهو • فناوبج ايدا سلمته الى الثرا وما كان سلمها الى الاعدام • والبسته ظلمة اللحد وطالما جلا عنها غيابة
الظلم والاظلام • وغادرته بوحدته مستوحشا وقد كان يونسها نوافل الانعام • ومثله للانوارى لقبر الاصوره
بدر كها النفاد • وسلى كما يبلى فخرها من الاجساد • ولكنه لا تستطيع موارات الذكر الخالد الدى دهت بسمائه الحساد •
وتمثيل السماء بصورة الكواكب وفي الارض بصورة الاطواد • وبعض هذا ماخود من شعر الحماسة • ومن ذلك
ما ذكرته في وصف كلام ما فصاحه وهو فصل من كتاب فقلت • وله البيان الذى يغض من نسق الفريد • ولا لخلق تضرة
لباسه الجديد • وهو فوق كلام المجيد • ودون القران المجيد • واذا اختصروا صفته قالوا انه تستميل سمع الطروب وتستخف
وقار القلوب • وتمثل ايات بيضًا مرغرضها الى الجيوب • وتسرى في الارض غير لاغب اذا مس عنده فتره اللغوب • ولا زال
الناس في عشو معانيه ضربًا واحدًا والعاشقون ضروب • ولما وقفت عليه قلت سبحان من اعطاه سرا ولم يبخل وخصه
بنبوة البيان كما انه لو يرسل • ولولا ان الوحي قد سد بابه لقيل هذا كتاب منزل • ولقد غار الله لا ولى الفصاحة ادلم يحيوا الى
عصره • ولم يبتلوا فيه بداء الحسد الدى يصليهم بتوقد جمره • ولين سلموا من ذلك فما سلمت اقوالهم من اقواله التي تمحتها محو المداد
وقد كانت باقية بعدهم فلما انها صارت كما صاروا في الالحاد • وفي هذا الفصل شي من المعاني الشعرية كقوله المحترز
• مسمل يسمع الطروب المغنى • عراني في معبد وعقيد • وكقوله الشريف الرضي
• عشقت وما لي بعلم الله حاجة • سوى نظري والعاشقون ضروب • وفيه ايضا شي من معاني القران الا انها جات تبعا
وضمنا وموضعها يأتي بعد من الابيات الشعرية • وكذلك ذكرت فصلا اخر من هذا الاسلوب وهو • وان لكل طعما
تعرف مذاقه من سر الكلام • وخفة الارواح معلومه من سر ثقل الاجسام • فلو لم تعرفه بطعمه عرفناه بوسمه •
والصباح لا تماري في اسفاره • ولا تفتقر الى دليل على اشراق انواره • وقد علم ان لعرق تعرف بغصنه • فان القول
يعرف بلحنه • ونفاس هذه العقود لا يمر الا نفاسة • فدررها لفظه وسلوكها قرطاسه • ومن هذا الباب قولي
انف وهو • الفاظ كحدق البنود • وزرا كالسود • ومعان تدل على اثارها فيها ابها من السوف وان فلولها عنها هي الغمود
فيخالها المتامل جومة الطعان • او حلبة رهان • وبعض هذا ماخود من شعر البحتري •

• يقظان ينتخب الكلام كانه • جيش لديه بريدان يلقيه • ومن ذلك ماذكرته في فصل من كتاب الى بعض الاخوان
من اهل الكتابة كان اعتدى عليه شخص يدعى الكتابة وليس من اهلها فقلت • وقد نبيط بستدنا قلما الخط اللذان
نسب احدهما الى المداد • ونسب الاخر الى الصعيد • فهو يدير هذا في معركة المقال • وهذا في معركة الطراد • جنسه ونوعه
ولربما سهل اخذ قليه من فوق صفحات الدروج كما تسهل الجياد مرتحا عواد السروج • فله اختفال المواطر والمجالس
واليه عنا اصحاب العمائم والقلانس • لا كمن لا كم له ولا زهمة طرق ردائه • واد انودي للفضيلة قيل انه لم يسمع الحي نداءه • غناء
وكم في الناس من صور لا تجد لمعناها اثرا • واذا رايتها قلت اري مخيلة ولا ارى مطرا • واي جمال عند من ليس له لا جمال ثيابه
وهل ينفع السيف الكهام ان يحمل من الدهر حليه قرابه • وكم هو لاء دنيء يسعى بالراس • ولا هم له الا على عليشه الطاعم الكاس
واذا اعتبر حاله وجد من الهائم وان كان منسوبًا الى الناس • والسباده للسبع وشي الشباب • ولا وطيب للطعام
والشراب • وانما هي شيئين اما شهامة قلم تفرق لها قلوب الغمود • او شهامة رمح تفرق لها قلوب الاسود • وكاني بقوم
يسمعون هذا وكلهم تمعض امتعاض المغضب • وتتابع المتعب • وتعترض المتحي في حلقه حتى يغض مرغدان بشربه •
ولم ينزل بالحساد مرتداد اء نورثهم ارقا • ويوسعهم شرقا • فكثيرا ما تعرق له جباههم • ولذلك الميت بيدي جيرانه عرقا •
وما ارى لهولاء دواء الا ان يطرحوا منا كبهم ثقل المساجله • والحسد انما يكون ممن يجري مع صاحبه في مضمار المماثله •
وكنت احب ان اقام على الكتابة مختلسا حتى يفلس منها خلق كثير • ويستريح بجياد كثيره مركوب حمير • وفي مثل هذا
السوق مطهر اهل الخلابة والنجش • ومنهم الامر هو في الحضيض الاسفل • وقد اجلس نفسه على قامة العرش • وناد
لا له العمر به تميز خالص النقود من زيفها • ولا حيف في هذا المقام على مراسرقت في عواء الكادنة في صفها • وبعض
وبعض هذا الفصل ماخود من شعر عبد السلام بن رغبان • لهو الملقب ذلك الجحاساتي •

نزهي به القلمان الا ان ذا • لدن المحش وان ذا مكعوب •

عود ان يقضب ذا الطلا بلعابه • وجبوب ذا المهجات بالتركيب • وبكفك الها المترشح

لنثر الشعر ان نظر الى هذا الفصل وتامل الموضع الدى اخذت منه معنى هذر البتين ووضعته فنه فان فنه
غنى ومقنعًا • واما حل ايات القران العزيز فليس كنثر المعاني الشعرية لان الفاظه ينبغي ان
يحافظ عليها لمكان فصاحتها الا انه لا ينبغي ان يوخذ لفظ الاية بجملته فان ذلك مرباب التضمين وانما يوخذ بعضه فاما
ان يجعل اولًا الكلام او اخرا على حسب ما يقتضيه موضعه • وكذلك يفعل بالاخبار النبوية على انه ويوخذ معنى الاية
والخبر فيكسى لفظا غير لفظه وليس لذلك من الحسن ما للقسم الاول وللفائدة التي اشرنا اليها • وقد سلكت في ذلك طريقا
اخترعتها وكنت اباعد رها • وعند تاملي ما اوردته في هذا الكتاب يظهر للمتامل صحة دعواي ولئن كان مرتقد مني اتى
بشي من ذلك فاني ركبت فيه جوادًا او ركبت جملًا • ونال مرموزه نهلة واحدة ونلت منها نهلًا وعللًا • ومراتاه لسر القران
بصيرة فانه نسلك الفاظه ومعانيه في كلامه • ويستغني عن غيره الا انه ينبغي ان يكون فيه صواغا تخرج منه ضروب
المصوغات • اوصرافا يتجبذ في نقوده المختلفه من الدهما المحلف الالوان • ولا اقول من الفضة فليس فيه من الفضة
شي وهو اعلى من ذلك او يكون فيه ماجر ابدرهم على يده ويتصرف في ارباحه ويخرج من الامتعة المجلوبة من هناسجه كان غريبه
عجيبه • وكل هذا لفهمه من عرف فلزم وحكم بما علم • وما كل من قال القريض يشاعر • ولا كل من عانى الهوى بمتيم •
واعلم ان المتصدى لحل معاني القران يحتاج الى اكثر الدرس فانه كما ادير على درسه ظهر من معانيه ما لا يظهر من قبل
وهذا شي جربته وخبرته فاني كنت اخذ سورة من السور واتلوها وكلما مر لي معنى منها اثبته في ورقة مفرده حتى انتهى

الى اخرها ثم اخذ في حل تلك المعاني التي اثبتها واحدًا بعد واحد ولا اقنع بذلك حتى اعاود تلاوة تلك السورة فافعل بها
مثل ما فعلته اولا وكلما صقلتها التلاوة مرة بعد مرة ظهر في كل مرة من المعاني ما لم يظهر في المرة التي قبلها وساورد
في هذا الموضع سورة من السور ثم اردف بها ايات اخرى من سور متفرقة حتى يتبين لك ايها المتعلم ما فعلته فتجد ذو
حذق وقريحات بالسورة اولا وهي سورة يوسف عليه السلام لانها قصة مفردة براسها وفنها معان كثيرة فالاولى
ما ذكرته في دعاء كتاب من الكتب وهو وصل كتاب الحضرة السامية احسن الله اثرها واعلى خطرها وقضى من العلياء
وطرها واظهر على يديها ايات المكارم وسورها واسعدها الكواكب السيارة في سمتها وقمرها وهذا اول معنى في السورة
وقد نقلته من قصة المنام الى الدعاء ثم ادرت هذا المعنى في صورة اخرى وهو اكرم النعم ما كان فيه ذكرى للعابدين
وتقدمه اني رايتها احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين فهذه النعمة التي بتيسير العسير وتجلو ظلمة
الخطب الصباح المنير فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير ثم تصرفت
في هذا المعنى فاخرجته في معرض اخر وهو فصل من رسالة نقلته بكتب مرديوان الخلافة لبعض الوزراء فقلت وقد
علم ان امير المومنين ادنى مجلسه من سمائه والسنه على وجه لا تفاد بحفل نعمائه ورفعه حتى ودت الشمس لو كانت من
اتربه والقمر لو كان من ندمائه وذلك مقام لا تستطيع الجدود ان ترتقي الى رتبته ولا الاعمال ان تطوف حول كعبته
ولا الشفاه ان تشرف بتقبيل تربته فلتزد امحابا بما نالته مواطئ اقدامه ولتنظر الى سجود الكواكب له في نقطته
ومنامه ومن هذا ما ذكرته في ذم بخيل وهو لم اركم واهب فلان ملاءات املى بطمع وعود دم وفرعت ندى من نيل
جوده فلم احظ الا بلامع سرابها وكانت كدم القميص في كذبها ومن ذلك ما ذكرته في تزكية انسان مما رمي به وهو لم يزمر
مدنبا لا نابتا لمراة له منا ب الشهود وحتى مراهلها بشهادة القميص المقدود ومن ذلك ما ذكرته في عذر الهوى وهو
لم يهو جبينا الا كان لاهل التقى قدوة ولا ليمم راجله الا اعتد عذر امراة العزيز الى النسوة ومن ذلك ما ذكرته في
فصل من جواب كتاب الى بعض الاخوان وهو ان كان الكلام كما قيل ذكرا والحوادث انثى فحوادي هذا عروس تتلى في حلها
المحبرة وعقود لها المشذرة وتزهى بما اتاها الله من الحسن الذي ليس المجلوب والارض بمقطع الادى دون بعض
القلوب ولم تدارسها الى سدارحى يعلم ان نتايج خاطري على الفطن فاتها معشوقة الصور فكل الناس في هواها
بنو عذرة وفي هذا الفصل معنى الاناة والخبر البنوي والبت من الشعر ومن ذلك ما ذكرته في تقلب الايام وهو لقينا ايامًا
ضاحكات وليتها ايام عابسات وكانت كسبع سنبلات حضر واخر يابسات ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم وهو
لمس ممن رفت عجف الزمان فيذكرنا الجدب في سنبله ولكنه ستانف الصبر في اخره فيستهلك المال في اوله فلا يبقى من يومه
لغده ولا يتهم بهبة في يده ومن ذلك ما ذكرته في حب الرشوة وهو الرشوة تحل عقد القلوب وبهون وراق المحبوب الا
ترى ان رد البضاعة حكم على اخي يوسف بالاضاعة ومن ذلك ما ذكرته في الاستسلام لحكم الاقدار وهو لا تحترس من
حنود لا قدار بالاراء المعصمة وسواء عندها الباب الواحد والابواب المتفرقة ومن ذلك ما ذكرته في تتابع الاساءة
وهو لم يزل ترشقني بقوارضه حتى تكاثر النبل واستحكم التبل ولم يكفه لا لقاء في غيابة الجب حتى قال ان سرق فقد
سرق اخ له من قبل ومن ذلك ما ذكرته في التوكل وهو اذا طلب امرًا اجمل في السعي للمطلوب ووكله الى الذي بيده
مفاتيح الغيوب وتاسى في حاشته منه بالحاة التي كانت في نفس يعقوب ومن ذلك ما ذكرته في وصف الكيد وهو
لم يات امرًا الا اخفا اسبابه واخيه وبداء فيه لا وعيه قبل وعاء اخيه فهذه ثلثة عشر معنى من سورة يوسف عليه السلام
واما الايات المحكمات التي في سور متفرقة فاولها ما كتبته في صدر كتاب الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه وهو ورد

كتابه

كتابه عشية يوم كنا فعرض علي عرض الجياد على سليمان وتساونا في الاشغال عنه ومنها بالاستحسان عن ان الجياد وان
حسنت فانها لا تبلغ في الحسن مبلغ الكتاب لكن قلت كما قال انى احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب
ولئن قضى الاسعاد هنا لمسح سوق واعناق فانه لم يقض هنا لمسح صدور ولا اوراق وانما استغلت عن
عرض عبادة بعباده ولو شئت لقلت عن افادة بافادة وهذا ما خود من قصة سليمان عليه السلام في سورة ص وهي قوله
وهب لنا داود سليمان نعم العبد انه اواب ثم عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربي
حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق فانظر كيف اخذت هذه القصة وقابلت بها بين
الكتاب ثم صرفت فيها بالموافقة بينهما تارة والمخالفة بينهما اخرى وهكذا فتنعى ان يفعل فيما هذا سبيله ومن ذلك
ما كتبته عن الملك الافضل على يوسف الى الديوان العزيز البنوي سغداذ في فصل من كتاب وهو وقد علم ان المال
الذي يختزن كالماء الذي يجتقن وكما ان هذا يا جن بتعطيل الاذي عن امتياح مشاربه فكذلك ياجن هذا بتعطل
الاذي عن امتياح مواهبه واي فرق بين وجوده وعدمه لو ان مالك به القلوب وتقلب به الخطوب وركب به ظهر
العزم الذي ليس بركوب ومرتبط به فرس قبضها بخله فانه نقف دون الرجاء مغمورا وبقعد عن نيل المعالي
ملومًا محسورا واذا ادركته منيته مضى وكانه لم يكن شامذكورا ومتاط لتسد الخاكم ما ناطه مرام بلاده
لم يدخر منها الا مربط اشقر ومركز اسمر وما علاها فانه مصروف الى قوم لا سلام في سد ثغوره وكبت جنوده
وايقاع حرب عدو قد خمدت نارها واستباحه جمرها عند وقودها وما نفضل عن ذلك فانه للناس يشتركون فيه وشكله
والمسلم اخو المسلم يساويه في حقه من بيت المال وان خالفه في مزية قدره ولا سبيل الى الخادم وهو نفع ما نفعله
ان يدنس عرض هذا المال بتبعة المطلوب او يلتحق القوم الذين يكنزونه فيجزون عليه بكي الجباه والظهور والجنوب
ولم يات به الله على فترة من مثله الا ليمحو به مساءات الزمن ويعيد به لا سلام الى وطنه بعد ان طال عهده بمفارقة
الوطن ولا زال كوكب حسنة من حسنات امير المومنين يرفعها الدنيا وديوانه وثقل لها في الاخرة كفة ميزانه وفي هذا
الفصل بعض اتين احدهما في سورة هل اتى والاخرى في سورة براة ومن ذلك ما كتبته عنه الى عمه عضد الملك العاد
الى كهر ابوب من كتاب تتضمن استعطافه والتنصل اليه وهو مرشحة الاقدار ان يذهب بصارد وي الالباب وتمثل
لهم الخطا في مثال الصواب ولولاء لك لما زال الحلم واعوج المستقيم والمملوك يقبل يد الكريمة المولوية الملكية
العادلة لا زالت اعرفها ما مولا واحسانها عند الله مقبولا وفعلها في المكرمات مبتدعا اذا كان فعل الاذى مفعولا
ويستعتب فاسعفت الى عفوها الذي يكفف قذعه لعطفه الاعذار ولا بعد مواظبة الاضرار ولو عرف ذنبه بادئا لقرع سن الندامة
وعاد على نفسه بالملامة ولو كان عجبًا ان يكون مولانا كريما وحلما وان يكون مولانا كريما وحلما واصرم الدنس وهو يرى عرضها وحاف
ان يكون هذه كاخواتها التي سلفت من قبلها والامور المتشابهة تقاس البعض منها على البعض والمسوغ للاستطاع
ان يرى مجرجل على الارض ولم تحترم المملوك الا ان حرمه سوا ان فر الى الاعتصام والقى بيده الى اقوام لم يكونوا له
باقوام واذا ضاق عن المرء اقربه كان الابعد له مرد وى الارحام ولست اول مرد هذا المذهب ولا اول من حمل نفسه على ركوب
هذا المركب ولئن قال بعض الناس انه عجل في اعتصامه وفراره وانه لو صبر لحمد عقبة اصطباره فهذا قول لم يعرف
حال المملوك فيفهم له عذرا ولا ابتلى بما ابتلي به من قوارض مولانا من قبل اخرى ولقد تكاثرت عليه هذه الاقوال المؤنبة
حتى ملاءت طرفه كحل السهاد وحنبه شوك القتاد واصبح وهو يرى انه زلق في خطيئة زلقا وعض يديه من الحاسرة قا
وبدت له سوءاته فطفق يخصف عليها ورقا ومع هذا فانه واثق ان حلم مولانا لا يوفى من الزلل وان حصاه الذنوب لا تخف

ولا ينفذ

ولم يجرم

بوزن ذلك الجبل وها هو قد جاء نازعا وللنازع المعتبى وعاد مستشفعا ولا تشفع اكرم من القرنى ثم مضيت على
هذا النهج الى اخر الكتاب وفى الدى اوردته من هذا الفصل معنى اية من القرآن فى سورة التكوير وهى قوله تعرفت لهما
سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ومن ذلك ما كتبته عن الملك القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان بن
مسعود صاحب الموصل الى الديوان العزيز بغداد بعد وفاة والده تشكل فى القلنسوة وكان عمره اذ ذاك سبع عشرة سنة
فلما جاء وصله الكتاب بعد الدعاء فولى وهو اذا توفى ولى من اولياء الدولة من الستة ان تعزى بفقده فستخرج اذنها فى
سليله القائم من بعده حتى لا تخلو ارضها من مرد واسى الجبال ولا سيما وهاهنا من مطالع الكواكب التى تجلو ظلمة الليال وقد مضى
والد العبد الى رحمة الله وهو متزود من الطاعة خير زاد غير خائف من الرقيب لعتيد اذ جعلها له من العتاد وما علم وقد
ثقلت ميزانه ما كان فى الكفة الاخرى من السجلات الكثيرة الاعداد ومضمون وصيته التى عهد بها ان يمشى فى الطاعة على آثره
ويهتدى بالاوامر الشريفة فى مورد الامر ومصدره وقد جعلها العبد نجى فكره اذا قام واذا قعد وتوجه صلوته اذا
ركع واذا سجد وهو يرى انه لو عمر والده حتى ابقى للدولة من يثبت قدمه موضع قدمه وعدد لكفالة ان عصر الشجر كالشجر
فى ثبات اصله وقوة معجمه وهذا مقام لا متنازعة له الا بآء الابنا وليست المزية لاكهال السن وانما هى لشبيبة الغنا
وقد اولى الحكم يحيى قبل ان يجرى القلم فى كتابه وشهد له بالتركة قبل ان ينتصب فى محرابه وكذلك قد امر رسول الله ص
اسامة على فتا عمه وشهد انه خلق بما اسبدى له من امره والعبد وان بسط له اسحقاق لسانه فان الادب يحكم بانقباضه
ويريه ان التفويض الى انعام الديوان العزيز اسرع فى نجح اغراضه ولا شك ان منتهى الامال لا يبلغ ادنى ملك المواهب
ولو جمعت فى صعيد واحد لم ترسالت مطالبها لما نقصت حزاين العطايا من ملك المطالب وهذا الفصل من اول الكتاب
وفيه معنى اثنين من سورة من القرآن اما الاول فى قوله تعز عند ذكر يحيى عليه السلام وايتاه الحكم صبيا واما الثانى فهو قوله
حنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وفى هذا الفصل ايضا معانى ثلثة اخبار من اخبار النبوة وليس هذا موضعها وانما جات
ضمنا وتبعا ومن ذلك ما ذكرته فى وصف العنبر فى الحرب وهو عقد العجاج سقفا فانعقد واراه كيف رفع
السماء بغير عمد غير انها سماء بنيت بسنابك الجياد وزينت بنجوم الصعاد ففيها ما يوعد من المنايا لاما توعد من الارزاق
ومنها نقذف شياطين الحرب بالشياطين الاستراق وهذه المعانى ماخوذة من سورة الرعد وسورة الصافات وسورة
والذاريات ومن ذلك ما ذكرته فى وصف طعام وهو فصل من كتاب فقلت طعام لا يملأ اذا شيئت الا طعمة يملها
وكانما تولته يد الخلقة ولم تباشره الايدى يعملها فهو من بقايا المائدة التى تبرئت من السما وقد طار حتى لا المحاج من بعده
الى استيعاب الما وماراه ذو شبع الا راى تركه غبنا ووددت لو زيد الى بطنه بطنا وبعض هذا ماخوذ من سورة المائدة
ومن ذلك ما ذكرته فى فصل من كتاب الى الديوان الخلافة وهو وقد كاثرت وسائل الخادم حتى لا ادرى ما يجعله
لطلابه سفيرا وما منها الا ما يقال انه اول وليس فيها ما يجعل اخيرا فمرانه لا يذكرها الا ما هو تو أم ايمانه
والذى لا ينظر لسر ابن ادم الا الى مكانه ومن ذلك كاف عن الوسائل التلبد والطريفة وقول لا اله الا الله لا يعدله شئ من
الحسنات المودعة فى الصحيفة وقد يحدد الان للخادم مطلب هو النسبة الى مواهب الديوان العزيز سيبين ولو قامت
مطالب الناس فى صعيد واحد لاعطى كلا منها مرامه ولم يقل ذلك كثرة وكابه هذا سائر الى تلك المواهب التى يضيق عنها
صدر الارض وتتساعه وليس الذى يسأله ممتنعا فيحال على النظر الى الجبل فى امتناعه وكان عبيد الديوان العزيز
اطوار كذلك مطالبهم اطوار وقد جعل الله شاسفا وبه فى مرابها وكل شئ عنده بمقدار هذا الفصل من احسن
ما كتب فى استنجاز مطلوب وفيه معانى ثلثة اخبار بنوته ومعنى اثنين من القرآن وليس هذا موضع الاخبار وانما جا ضمنا

وتبعا

وتبعا فالاية الاولى من سورة الاعراف والاية الثانية فى سورة الرعد ومن ذلك ما ذكرته فى وصف كاتب وهو
اذا جاء ليل قبله وطلعت فى نجوم كلمه لم تعد لها شطار اللاغة مقعدا الا وجد له شهابا مرصدا فاشرارها
مصونة عن كل خاطف مطوية عن كل قائف وهذا المعنى ماخوذ من سورة الجن ومن ذلك ما ذكرته فى وصف كاتب
اذا فعلت له نفث فكر ما مخضت لمعنى الا نتجته مرغوب ما تمثله واتت به قومها تحمله ولو عرض على ملاء من
البلغاء الا القوا اقلامهم ايهم يستعين لا ايهم يكفل وهذين السطرين من القرآن الكريم الاولى فى سورة مريم على لسان
فى قصتها وقصة ولدها عليه السلام وهى قوله فاتت به قومها تحمله والثانية فى سورة ال عمران فى قوله اذ يلقون اقلامهم
ايهم يكفل مريم ومن ذلك ما ذكرته فى فصل من كتاب تضمن وصف القلم وعلته وقد اوحى ربك الى النحل فمن ابنها تاوى الى المكان الوعر وهو ماوى الى البيان السهل ومن شانه ان يجتنى من ثمرات ذات ازواج لا ذات
الكام ويخرج من بين شرابه شراب مختلف طعمه وفيه شفاء للناس فهذا من قوله تعالى فى الحشب مما تنبته كثا وفى الحشب مما تنبته لطافه المعنى ولا
يسوى نضاره هذا التمر وهذا التمر ولا طيب هذا المجنى وهذا المجنى وقد رخص لسر ما كثر وجوده فصار فى لهوات
الافواه واعلى ما يعز وجوده فبقى حالدا على السنة الرواه وكل هذه الاوصاف لا تصح الا فى قلم ستذا الذى اذا خلا
لخاطره امتلات لحرشه المحافل واذا اجلا كتابه وجدت الكتب الخالية من قبله وهى عواطل فله ح ان نظر الى غره لعين
ما حقاره ولو اصفه ان يسهب وهو قائم مقام الاختصار هذا الفصل غريب عجيب وقد جمع من الاضداد
فما له بعيد وفهمه قريب وهو ماخوذ من سورة النحل ومن ذلك ما ذكرته فى وصف خيل وهو شيمه فى الجود لا يشام
نائلها واذا هز لسايلها قال كلا انها كلمة هو قائلها وهذا ماخوذ من سورة المومنين ومن ذلك ما ذكرته فى صدر كتاب وهو
وصل كتابه فوقف منه على اللفظ الرخيم والمعنى الذى فى كل واد سهم وما انها الملك فانى القى الى كتابك من احد
اعلا قدره وتنويه ذكره ولم يسفت الملاء الاعلى فى الاذعان ولا اهدى فى قبلته سوى هديه لسانه وصدره لا حرم انها
تقبل ولا ترد ويقتدى بها ولا تعد فانها مال لا سفه ولا نفاق وجوهر يتحلى بها لا اخلاق ولا اعناق وهذا ماخوذ من قصه
سليمان فى كتابه الى بلقيس وهى مذكورة فى سورة النمل وفى هذا من شرف الصنعة انه خولف بين معانيه ومعانى ما اتى فى
القرآن الكريم ومن ذلك ما ذكرته فى صدر كتاب تضمن ذكر حرب الجمل والكفار وهو اذا خط القلم عن الرمح الذى
هو بريده قام مختفلا وانهبت مقرونا ومرتجلا حتى يأتى فى خطابه بالمعانى الاخير واصدق القول ما صدع عن شها
الضرائر للضرائر وكانا هنا نصف معركة احمرت ضبابتها وضاقت بالاسود غابتها فالطعن بها مختصر والنصر
كلا الفريقين مقتسر وكان الاسلام هناك يرجو السيوف وفوز الفتح المنيح ولبس الذى يرقب المعونة من الذى هو
رب المسيح كمن يرقبها من المسيح ولقد بعثت الرماح فى اعداء الله حتى اعتدلت من جانبى الصدور والظهور وتركت النابح
منهم وهو لا ينظر الى الصليب الا نظر الخائف المذعور فليس لهم من بعدها جيش يجمع ولا لواء يرفع وقد كانت بلاد بهم
مرقبا منيعة وهى الآن لا تذب عنها ولا تمنع وهذه معركة قلت بها الرقاب الماسورة وكثرت النفوس المقتولة وقر
لها القرآن التى تاء كلها النار لانها مقبولة ومعنى الاية فى هذا الفصل ماخوذ من اعمران الا انه خالفه وذاك
ان القربان كان تقبل فتنزل النار تاكله واجسام هولاء الكفار قربان تاكل النار لكنها لا تاكل لانه مقبول وبالعكس
الفصل تضمن معنى حسنا دقيقا ومن ذلك ما ذكرته فى وصف كتاب تضمن الشكوى من خلق بعض الاخوان وانه
ولقد صبرت على اخلاقه العابثة وعاملته بالخليقة الراشة وعالجته بضروب من المعالجات فلم ينفع فيه رقى الراقية
ولا نفث النافثة ولما اعيا على اصلاحه اخذت بقاله الخضر لموسى فى المرة الثالثة وهذا حوى من قصه موسى عليه

وقصة الخضر في سورة الكهف • ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب وهو • فجمعوا في نار الندم يعرضون عليها
غدوا وعشيا • وصار الامر الذي كانوا يرجونه مخشيا • واضحوا كاهل النار الذين صاروا اعدا وكانوا شيعا •
وقال ضعفاؤهم للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا • وهذا ماخوذ من سورة حم المؤمن ومن سورة سبا • ومن ذلك ما ذكرته
في ذم غلام ابله كنت اقاسي من بلهه نكدا فكتبت يوما من الايام الى بعض اخواني كتابا عرضت فيه بذكره فقلت ولقد
ملكه النسيان حتى كانه يقظ في صورة نائم • وحتى حقق قول التناسخ في نقل ارواح الاناسي الى البهائم • فما ارسل
في حاجة الا ذهبت عن قلبه يمنة ويسرة • ولا طلب منه ما استحفظه الا قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة • وهذا
فصل يشتمل على عدة معان منها ما هو ماخوذ من القران من سورة الكهف • ومن ذلك ما ذكرته في تقليد قاض وهو
فصل منه فقلت والفضائل ما بقيت موجودة ولم تفقد • فهي حية وان اودى اربابها ولا يموت من لم يولد • ومن
اكرم ما اوتيه منها فضيلة التقوى التي الكرم من شعارها • والعاقبة والحسنى كلاهما من اثارها • وما نقول الا انه
اتخذها حارسا يمنع الخصم من تسور محرابها • ويؤمن قلبه من الفتنة الداعية الى استغفاره ومنابه • وقد قرن الله له
هذه الفضيلة بالعلم الذي اعلمه بعلامته • ووسمه بوسامته • وقذف في روعه ما لا يسال معه عن السفينة وخرقها
والغلام وقتله والجدار واقامته • وعلى ما بلغه منه فانه فيه احد المنهومين اللذين لا يشبعان • واذا كان لغيره
فيه نظر واحد وسمع فله نظران وسمعان • في هذا الفصل المختصر معاني عدة ايات وخبر من الاخبار النبوية اما
الاية الاولى فقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم واما الاية الثانية فقوله تعالى والعاقبة للتقوى واما الثالثة فقوله تعالى
فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها وكذلك الى اخر القصة وهذا من احسن ما ياتي في هذا الباب • ومن ذلك
ما ذكرته في جملة كتاب تتضمن عناية ببعض الفقراء فقلت بعد الابتداء بصدر الكتاب • وقد علم منه انه يعتد
لطالب فضله فضلا • ويرى التبرع بمعروفه فرضا اذا راه غيره مع المسئلة نفلا • وما ذاك الا لمزية خلق توحد
بطيب التربة • وشرف الرتبة • واوتي من كنوز الكرم ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة • ولهذا خرج على قومه من الاخلاق في
زينة • وفضل الخلق بطينة غير طينة • ومن فضله انه يسال عن السائلين • ويحتال في استنباط امل الاملين •
ثم مضيت على هذا النهج حتى انهيت الكتاب الى اخره • والغرض ان تعلم ايها المتعلم كيف تضع يدك في اخذ ما
تاخذه من بعض الاية ثم تضيف اليه كلاما من عندك وتجعله مسجوعا كما فعلت انا في هذا الموضع الا ترى اني اخذت بعض
هذه الاية في قصة قارون من سورة القصص وهي قوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناه من الكنوز
ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين فهذه الاية اخذت بعضها
واضفت اليها كلاما من عندي حتى جاء كما تراه مسجوعا وكذلك فعلت بالاية الاخرى من هذه السورة ايضا
وهي قوله تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ
عظيم وهكذا ينبغي لك اذا اردت ان تسلك هذه الطريق وقدرت على سلوكها وهي من محاسن الصناعة البلاغية وليس
فوقها من الكلام ما هو اعلى درجة منها والله يختص برحمته من يشاء من عباده • وفيما ذكرته من نثر هذه الايات كفاية •
واما الاخبار النبوية فكالقران في حل معناها فان قلت ان الاخبار النبوية لا يجري فيها الامر مجرى
القران اذ القران له حاصر وضابط وكل اية تدخل في الاستعمال كما قال بعضهم لو ضاع مني عقال لوجدته في القران
الكريم واما الاخبار فليست كذلك لانها كثيرة لا تنحصر ولو انحصرت لكان منها ما يدخل في الاستعمال وما لا
يدخل ولا بد من بيان يمكن الاحاطة به والوقوف عنده قلت في الجواب عن هذا انك اول ما تحفظه من الاخبار هو

كتاب

كتاب الشهاب فانه كتاب مختصر وجميع ما فيه يستعمل لانه يتضمن حكما وادابا فاذا حفظته وتدربت فيه باستعماله
كما اريتك ههنا حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وبما لا يدخل وعند ذلك يتصفح كتاب
صحيح البخاري ومسلم والموطا والترمذي وسنن ابي داود وسنن النسائي وغيرها من كتب الحديث وياخذ ما يحتاج اليه
واهل مكة اخبر بشعابها والذي تاخذه ان امكنك حفظه والدرس عليه فهو المراد لان ما لا يحفظ فليست منه على ثقة
فان كان لك محفوظات كثيرة كالقران الكريم ودواوين كثيرة من الشعر • وما ورد من الامثال السائرة وغير ذلك
مما اشرنا اليه فعليك بمداومة المطالعة للاخبار والاكثار من استعمالها في كلامك حتى يرتقم على خاطرك فيكون اذا
احتجت منها الى شيء وجدته وسهل عليك ان تاتي به ارتجالا فتامل ما اوردته عليك واعمل به وكنت جردت من
الاخبار النبوية كتابا يشتمل على ثلثة الاف خبر كلها يدخل في الاستعمال وما زلت اواظب مطالعته مدة تزيد على عشر سنين
فكنت انهي مطالعته في كل اسبوع مرة حتى دار على ناظري وخاطري ما يزيد على خمسمائة مرة وصار محفوظا لا يشذ عني منه
شيء • وهذا الذي اوردته ههنا في حل معاني الاخبار هو من هناك وساذكر ما دار بيني وبين علماء الادب في هذا الاسلوب
الذي انا بصدده ههنا وذلك انه استوعره وانكره وقال هذا لا يتهيا الا في الشيء اليسير من الاخبار النبوية فقلت لا
بل يتهيا في الاكثر منها فقال قد ورد عن النبي صلعم انه اختصم اليه في جنين فقضى على من اسقطه بغرة عبد او امة فاين
يستعمل هذا فافكر فيما ذكره ثم انشات هذا الفصل من الكلام واودعته فيه وهو • قد كثر الجهل حتى لا يقال فلان
عالم وفلان جاهل • وضرب المثل بباقل وكم في هذه الصور الممثلة من باقل • ولو عرف كل انسان قدره لما مشى الا تحت
راسه • ولا انتصب راس الا على بدنه • ولكان صاحب العمامة احق بعمامته • وصاحب الرسن احق برسنه • وكنت سمعت
بكاتب من الكتاب كلمه الى غثاثة • وقلمه بغاثة لا تستنسر واي بطش لبغاثة • واذا وجب الوضوء على غيره بالخارج
من السبيلين وجب عليه من سبل ثلثة • هذا وهو يدعي انه في الفصاحة امة وحده • ومن قس اياد او سحبان وائل عنده •
واذا كشف عن خاطره وجد بليدا لا يخرج عن العمه والكمه • وان رام ان يستنتجه في حيز من الاخبار قضى عليه بغرة عبد او امة
وكثيرا ما يتقدم ونقيصته هذه على الافاضل من العلماء • وقد صار الى زمان يعلو فيه حضيض الارض على هام السماء •
فلما اوردته عليه ظهرت امارة الحسد على صفحات وجهه وفلتات لسانه مع اعجابه واستغرابه اياه ثم قال وقد ورد
عن النبي صلعم هذا الحديث وهو لا يدخل الملئكة بيتا فيه صورة ولا تمثال فاين هذا يستعمل في المكاتبات فتروت في قوله
ترويا يسيرا ثم قلت هذا يستعمل في المكاتبات الى ديوان الخلافة واملت عليه الكتاب فجاء هذا الحديث في فصل منه
وهو • اذا افاض الخادم في وصف ولاية نكصت همم الاولياء عن مقامه • وعلموا انه اخذ الامر بزمامه • فقد اصبح وليس
بقلبه سوى الولاء والايمان • فهذا يظهر اثره في طاعة السر وهذا في طاعة الاعلان • وما عداهما فان دخوله الى قلبه
من الاشياء المحظورة • والملئكة لا تدخل بيتا فيه تمثال ولا صورة • فليعول الديوان العزيز منه على سيف من سيوف
الله يفري بلا ضارب ويسري بلا حامل • ولا يسل الا بيد حق ولا يغمد الا في ظهر باطل • وليعلم انه كرشه وعيبته
في تضمن الاسرار • وانه احد سعديه اذا عدت مواقف الانصار • فلما راى هذا الفصل بهت له وعجب منه • ثم اني
لم اقنع بايراد ذلك الحديث حتى قرنت به حديثا اخر وهو قول النبي صلعم الانصار كرشي وعيبتي • وحيث عرفتك ايها
المتعلم ما تقتدي به في هذا الموضع فقد ذكرت لك امثلة كثيرة تتدرب بها • فمن ذلك ما ذكرته في دعاء كتاب من الكتب
وهو • اعاذ الله ايامه من الغير • وبين بخطر مجده نقص كل خطر • وجعل ذكره زادا لكل ركب وانسا لكل سمر • ومنحه من
فضله ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر • وهذا المعنى ماخوذ من الحديث في وصف نعيم الجنة

فقلت الى الدعاء ومن ذلك ما ذكرته في وصف الحلم وهو تركته حتى جال في الميدان وامتدح الاسطان ولم
انتصر خوفا من قيام الملك وقعود الشطان والحلم لا يظهر اثر حلمه الا عند تلدده والكظم هو ما اشتد ما تخاف
مرتبده وهذا المعنى اخذته من قصته الى بكر رضي الله عنه في خصامه فانه بغى عليه ثلثا وهو ساكت ففي الثالثة
انتصر فقال النبي ص كان الملك جالسا الى جانبي بكر يكذب خصمه بما يقول فلما انتصر قام الملك وقعد الشطان
ومن ذلك ما ذكرته في النصر على العدو في موطن القتال وهو اخذنا بسنة رسول الله ص في النصر الذي نرجوه
ونبذنا في وجه العدو كفار التراب وقلنا شاهت الوجوه فثبت الله ما تزلزل من اقدامنا واقدم جيوم فاغنى
عن اقدامنا وهذان المعنيان احدهما ماخوذ من غزوة حنين وما فعله رسول الله ص في اخذ قبضة من التراب والقائها
في وجوه الكفار وقوله شاهت الوجوه والمعنى الاخر ماخوذ من حديث غزوة بدر وذلك ان رجلا من المسلمين لا قرطلا
من المشركين واراد ان يضربه فحر على الارض مستلقيا قبل ان يصل اليه وسمع الرجل صوتا من فوقه وهو يقول اقدم حيزوم
فجاء النبي ص فاخبره فقال ذلك مدد من السماء الثالثة ومن ذلك ما ذكرته في ضيق مجال الحرب وهو وضاق الصدر بس
الفريقين حتى اتصلت مواقع البيض الذكور وتصافحت الغرر بالغرر والصدور بالصدور واستظل حسد السيوف
لاشتباك مجالها وتبوأت مقاعد الجنة التي هي تحت ظلالها وهذا ماخوذ من الحديث النبوي وقول النبي ص الجنة تحت
ظلال السيوف ومن ذلك ما ذكرته في حمله كتاب اذم فيه الزمان فقلت ولكنها الايام تبدي لنا مرجوزها كل
عربه وتسوسنا سياسة العبد المجدع الذي كان راسه زبيبه وليس للمرء فيما يلقاه من احداثها نعمى كانت ولا بوسى
الا ان كل الامور الى وليها فسقول لحاج ادم موسى وهذا ماخوذ من الخبر النبوي في قوله صلى الله عليه وسلم حاج ادم موسى فقا
له موسى انت اخرجت الناس بخطيئتك من الجنة واشقيتهم فقال ادم انت اصطفاك الله برسالته وكلامه اتلومني على
امر كتبه الله علي من قبل ان يخلقني قال رسول الله ص فحج ادم موسى ومن ذلك ما ذكرته في وصف بعض الكتاب وهو
فصل من كتاب كتبته اليه فقلت ولقد سردت عليه احاديث البلاغة فاستغنى عن بسط رداءه وهديا الى جوامع
كلمها واقتدى الناس باهتدائه فاذا اشتبهت عنده مسالك طرقها لم يملكه سلطان الحيرة وان اغرب في اساليبها لم تقل فيه
ما قيل في رواة ابي هريرة وهذا الفصل من احسن ما توشيه في صناعة نثر المعاني وهو ماخوذ من حديث ابي هريرة قال قلت
يا رسول الله اسمع منك شيأ فلا احفظها فقال ابسط رداءك فبسطته فحدث حديثا كثيرا فما نسيت شيأ حدثني به واما
رواية ابي هريرة فشك فيها قوم لكثرتها وقد اجتمع في هذا الفصل معنى الحديث النبوي وغيره ومثل هذا لا سفطن له عند
الوقوف عليه الا من تبحر في الوقوف على الاخبار النبوية ومراجاة لك جعلته كذا من اركان الكتابة في الفصل الماسح ومن
ذلك ما ذكرته في ذم بعض البلاد الوخمة فقلت ومن صفاتها انها مستوبلة الطينة مجموع لها بين حر مكة ولأواء
المدينة الا انها لو نوزع جمرها من الخطفة ولا نقلت حماها الى المجحفة وفي هذه الكلمات اقتصار اية من القرآن وجزء من
الاخبار النبوية فالاية من سورة العنكبوت وهي قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم
وهذا موضع يختص بالاخبار لا بالايات عدا ان الاية حاشا ضمنا وتيقا واما الجزآن فالاول منهما قول النبي ص من صبر
على حر مكة ولأواء المدينة كنت له على الله شفيعا او شهيدا واما الثاني فقوله صلى الله عليه وسلم في دعاءه للمدينة اللهم
حببها الينا كما حببت الينا مكة وانقل حماها الى المجحفة فانظر ايها المتعلم الى هذه الحكمة حتى تعلم ان عدها
مصوغة من الاية والخبر سواء لسواء وهذا طريق اذ عنت الافراد لسلوكه لما اخلف على الاعراف به ثنان
ومن ذلك ما كتبته في كتاب الى بعض الاخوان هو ابا عن كتاب ورد منه وكان كتابه تاخر عني زمانا طويلا

فعلت

والخبر وهو مما يدل على الاكثار من المحفوظ واستحضاره عند الحاجة اليه على الفور ومن ذلك ما ذكره في صدر كتاب وهو جواب عن كتاب تضمن لحوظا وهذيانا فقلت ورد الكتاب متضمنا مر الوعد والوعيد ما انس نفس المملوك واوحشها ونفع صلوعه واعطشها واقام له من الظنون السيئة حودا قاتلة وناحد عليه شعب الافكار فلا ارى له وكانت كلمانة طوالا وواردة ثقالا وما افلت من سطر من سطوره الا كان الاخر له عقالا ولما استكمل الوقوف عليه ثقلت طوارق الخوف والرجا مراطوان وعرضت عليه الجنة والنار في قرطاسه كما عرضت على رسول الله ص في عرض جداره ولولا وثوقه بأناة مولانا لدهشت نفسه فرقا وابتغى في السماء سلما وفي الارض نفقا لكنه قد توسم في كرمه محاسن الصفح الوسيم وعرف منه ما غره به الكريم وعلم ان خلق حلمه تغلب خلق غضبه اذ هذا حادث وذاك قديم وفي هذا الفصل معنى خبر من الاخبار النبوية وهو انه كان صلوات الله عليه يوما يخطب فمال بصره الى الجدار وقال عرضت علي الجنة والنار في عرض هذا الجدار فلم ار كالسوم في الخير والشر ومن ذلك ما ذكره في صدر كتاب الى بعض الاخوان وهو الخادم نواصل الدعا الذي لا زال لفلسه وضيلا وللسانه ذميلا واذا رفع ادنته الملتكه قربانا ذاعت عن غيره ميلا ولا اعتداد بالدعاء الا اذا اصاب عن اكرم مصلى ووجه له فوق السماء مظهرا وان لم يكن هنالك مرمظهر ووصف باطنه بانه الابيض الناصع الذي هو خير من ظاهر الاشعث الاغبر ولا تعامل الخادم اهل وده الا هذه المعاملة ومن خلقه المجازفة في بذل المودة اذا اصاب الناس سنة المكايلة وفي هذا الفصل معنى خبر احدهما قول النبي ص اذا كذب الكاذب تباعد الملك عنه ميلا لنتن كذبه والاخر قوله ص رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره ومن ذلك ما ذكره في صدر كتاب وهو جواب عن كتاب ضمن خطبه مودة فابتدات الكلام فيه بعد تصدره بالدعاء فعلت لولا العاده لرفع الخادم كتابه هذا ان يسطر في ورقه وليس ذلك الا لارساله في خطبة مودة راى صورتها في سرقه وما املتها فال ان ذلك مرعند الله مصمة وابدى لها صفحة الرضى وان كانت كل مودة لم ترضه وخير المودات ما ليس لها ضرة تشاركها في وسامتها ولا ضاهيها في درج كرامتها فملك التي ترد هي الالهة ابوة وجمالا ولم تغله مهرها ولو ذل فيه نفسا لا مالا وما يظنها الخادم الا هذه المودة التي خطبها وقد علت عليه ان تكون راغبة ولكره هو الذي رغبها على انه لم يترشح عليها الامر هو مراكفاتها وليست الكفاءة ههنا الا ما تبذله الضمائر في صفائها وقد اتاح لله لها كفوا يكثر مراتياسها ويضعها من البر في محله ناسها ويجعل كل يوم من ايامها عرسا حتى يتصل مواسم اعراسها ثم مضيت على هذا النهج الى اخر الكتاب والمعنى الماخوذ فيه من الخبر النبوي في موضعين الاول ان النبي ص قال لعائشة رض ان جبريل عليه السلام عرض علي صورتك في سرقه والسرقه حرير بيضا وقال هذه زوجتك في الدنيا والاخرة فعلمت ان ذلك من عند الله يمضه فاخذت انا هذا المعنى ونقلته الى خطبه مودة ولا اراني في خطبة المودات شيا احسن منه ولا الطف ولا اشد مقصدا والخبر الثاني قول النبي ص انما تنكح المراة لاربع لحسبها او لدينها او لمالها او لجمالها فعلمت انا الى ذي درة هي الالهة ابوة وجمالا اي قد جمعت الحسب والجمال ومن ذلك ما ذكره في سبب حب المال وهو بيت المال علاقة وكيده وبين القلوب وهي له منزله المحب ولولها منزله المحبوب وليس ذلك الا لان الله قبض قبضة من جميع الارض فخلق ادم من تلك القبضة وتوشج ان صور قلبه تكونت من صوت معدن الذهب والفضة ولولا ان تكون منهما عنصرا ابتدائه لما حملها الا طبا دواء دائه فلا تستغرب اذا ان تكون حبها محمولا اذ كان منهما مصنوعا وهذا المعنى من قول النبي ص ان الله خلق ادم من

قبضه

قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو ادم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك الحزن والسهل والخبث والطيب فمن ان استنبطت معنى حب المال من هذا الحديث وذلك معنى غريب لم اسبق اليه ومن ذلك ما ذكرته في وصف كلام وهو لبس السحر ما اودع في جفف طلعه بل ما اودع في صوغ معنى او نظم سجعه ولذلك كان لبيد في شعره اسحر من لبيد في سحره وكلا صنعهما من الغرائب العجيب فمن ان ما استنبط من القلب اعجب مما يدرس في القليب وهذا المعنى ماخوذ من قصته لبيد الاعصم في سحره النبي ص ومن عرف قصته وصورتها علم ما ذكرته في نثر هذه الكلمات لبيد بعده ومن ذلك ما ذكرته في وصف المخنث من حمله كتاب فعلت ونقلت المخنث فجشم سر يدي السور منا صبا ونسط كفه اليه مواثبا ثم تولى عقوبته بعصاه التي نفتك باجحاره واذا عصر عليها بلا اخذت في ادبي سواره فما كان الا ان استمرت عقوبتها حتى صار قائمه حصدا وعاصيه مستقبدا وقال لم اكن نهى عن المد والتحريد مما لي لا اري الا مدا وتحريدا وعند ذلك دعن بفتح الابواب وبل هوله لكل اجل كتاب وكذلك لم يات صعبا الا استسهل ولا حيثيا طائعا الا استعجل ولطالما وقف غيرها في هذا البلد فشفه طول الانتظار ولم يحظ منه للسائله الصب احاز الديار وفي هذا الفصل معنى حمر من اخبار النبوة وهو قول النبي ص في الهي عن ضرب المجدود لا تمدد ولا تجرداي لا تمدد على الارض ولا تجرد عنه ثوبه ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب الى الديوان العزيز النبوي خلد الله دوله الديوان العزيز النبوي ولا زالت اكافها وادعه وعليها جامعه وحدودها كالنجوم التي يرى في كل حيز طالعه واما مها كالما لنا الى ساكنه وليالها كالايام تا صعه واوليها كالوان الجنه التي يقال فيها ما مر ثوا منه اذا قيل في عنرها سابع وسابعه وهذا الدعاء وان استجابه الله قبل ان يرفع اليه يدا وينطق به ضمير واذا دعا له الخادم وجد صبح الله قد سبقه اولا وحاهو في الزمر الاخير فليس له ح الا ان يدعو لما خوله الديوان العزيز الدوام وان يعده من النقص بعد التمام ثم يستهدي لما نوهل له من الخدم التي يعتدها من لطائف الاحسان واذا بدت لبكلف امرها قال والحمد والشكر يسحدان ولا شك ان درجات الاوليا متفاوت في الصفات والاسماء فمنها ما كور سطن الارض ومنها ما ري كالكواكب في افق السما ولولا النهي عن تزكية المرء نفسه لادعا الخادم ان له اعلاها وجبا الاولياء من بعده فقال والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها لكنه لا يمت مما اعده عند الله مرد خزه وسر الولاء في هذا المقام اكرم من ان يهدى لئيم وصيامه كالدي تمت بسر وقرح ضدره وليس لا نسط الى الاعمال وانما نسط الى القلوب وفرق بين المطبع لمحض الشهاده وبين المطبع نظر الغيوب ولو اطلع الديوان العزيز على ضمير الخادم في الطاعة لسترة وعلم انه لا اشعث الاغبر الذي لو اقسم على الله لابره وفي هذا الفصل من الاخبار النبوية والايات عده مواضع وهذا الموضع مختص بالاخبار فلنذكرها دون الايات اما الاول منها فقول النبي ص انكم ترون اهل الدرجات العلى كما ترون الكواكب في افق السماء واما الخبر الثاني ففي قوله ص ما فضلكم ابو بكر بصلوه ولا صيام ولكن فضلكم بشي وقر في صدره واما الخبر الثالث ففي قوله ص رب اشعث اغبر ذي طمرين لو اقسم على الله لابره وفيما اوردته من الايات والشعرة وايات القران والاخبار النبوية طرق واضح لمن يقوى على سلوكه ولله الموفق للصواب

المقاله الاولى في الصناعه اللفظيه

وهي تنقسم قسمين القسم الاول في اللفظه المفرده اعلم انه حاج صاحب هذه الصناعه في بالنفه الى ثلثه اشيا الاول منها اختيار الالفاظ المفرده وحكم ذلك حكم اللاي المبددة فانها تتخير وتنتقى قبل النظم الثاني نظم كل كلمه مع اختها المشاكلة لها الثالث الغرض المقصود من ذلك

الكلام على اختلاف انواعه وحكم ذلك حكم الموضع الذى يوضع فيه العقد المنظوم فانه يجعل كاملا على الراس
وبانه يجعل قلادة فى العنق وبانة تجعل شنفا فى الاذن وكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تختص
فهذه ثلثة اشيا لابد للمخطيب والشاعر من العناية بها وهى الاصل المعتمد عليه فى لفف الكلام من النظم والنثر فالاول
والثانى من هذه الثلثة المذكورة هما المراد بالفصاحه والثلثة بجملتها هى المراد بالبلاغه وهذا الموضع يفصل لك
سلوك طريقه العلما صناعة صوغ الكلام من النظم والنثر فكشفا لهما لذين لم تنفجهم منه راحه ومن الذى يؤتيه
الله فطره ناصعه تكاد زنتها تضئ ولو لم تمسسه نار حتى ينظر الى اسرارها يحتمله من الالفاظ فيضعها ومن عجب
دلك انك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد وكلاهما حسن فى الاستعمال وهما على وزن واحد وعلة الا انه للاحسن
استعمالا هذه فى كل موضع تستعمل فيه هذه بل نفرق بينهما فى مواضع السبك وهذا لا يدركه الا مرهف فى فهمه وجلا
نظره ومن ذلك قوله لعمر ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وقوله ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع فاستعمل الجوف
فى الاولى والبطن فى الثانيه ولم يستعمل الجوف فى موضع البطن ولا البطن فى موضع الجوف واللفظتان سوا
فى الدلاله ومما لا ثنيتان على عدد واحد ووزن واحد فانظر الى سبك الالفاظ كيف تفعل ومما يجرى هذا المجرى
قوله تعالى ما كذب الفواد ما راى وقوله ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فالقلب والفواد
سواء فى الدلاله وان كانا مختلفين فى الوزن ولم يستعمل فى القران احدهما فى موضع الاخر وعلى هذا ورد قول
الاعرج مرايتا لحماسه • نحن بنو الموت اذا الموت نزل • لا عار بالموت اذا الموت اجل • والموت احلى عند نا من العسل •
وقال ابو الطيب المتنبى • اذا شئت حفت بى على كل سابح • رجال كانا الموت فى فمها شهد • فهما ان للفظتا
بمعنا العسل والشهد وكلاهما حسن مستعمل الا شك فى حسنه واستعماله وقد ورد ت لفظة العسل فى القران
دون لفظة الشهد لانها احسن منها ومع هذا فان لفظة الشهد وردت فى بيت ابى الطيب فجاء احسن من لفظة
العسل فى بيت الاعرج وكثيرا ما تجد امثال ذلك فى اقوال الشعراء المفلقين وغيرهم من بلغاء الكتاب ومصقعى
الخطبا وكتبه دقائق ورموز اذا عثرت عليها اشباهها ونظائرها كان صاحب الكلام فى النظم والنثر قد
انتهى الى غاية القصوى فى اختيار الالفاظ الكثيرا ما تقع فى مفرداتها لان التركيب اعسر واشق لا ترى ان الفاظ
القران الكريم من حيث انفرادها قد استعملتها العرب ومن بعدهم ومع ذلك فانه تفوق جميع كلامهم وتعلو علته وليس
ذلك الا لفضله التركيب وهل تشك ايها المتامل لكتابنا هذا اذا فكرت فى قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا
سما اقلعى وغيض الما وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين تجد ما وحدته لهذه الالفاظ
من المزية الظاهره الا لامر يرجع الى تركيبها وانه لو عرض لها هذا الحسن الا من حيث لا فت الاولى الى الثانيه والثالثه
بالرابعة وكذلك الى اخرها فان ارتبت فى ذلك فتامل هل ترى لفظه منها لو اخذت من مكانها وافردت من بين اخواتها
الا نت لا سته من الحسن ما كسته فى موضعها من الآية ومما تشهد لذلك وتوجبه انك ترى اللفظة ترد قلقا فى كلام ثم
تراها فى كلام اخر فتمكن هناك ولا يروقك طعم الفصاحه ولا عرف اسرار الالفاظ فى تركيبها وانفرادها
وسا ضرب لك مثلا لا يشهد لصحة ما ذكرته وهو انه وردت لفظه واحده فى اثنتين وستين من القران وستين من الشعر فجاءت فى
الآية من القران جزلة متينة وفى الشعر ركيكه ضعيفة ثم التركيب فيها هذين الوصفين الضدين اما الآية فهى قوله تعالى
فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يوذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق
واما بيت الشعر فهو قول ابى الطيب المتنبى • بلذله المروة وهى بوذى • ومن يعشق يلذ له الغرام • وهذا البيت

عجلت ج
وضعت فى مواضعها الاجتهاد والعلم
ان تفاوت التفاضل فيقع فى تركيب
الالفاظ ه

طمئنة ج

مرايتا المعانى الشريفه الا ان لفظه توذى قدحات فيه وهى الآتية من القران فحطت من قدر البيت لضعف تركيبها
وحسن موضعها فى تركيب الآية فانصف بها المتامل لما ذكرناه واعرضه على طبعك السليم حتى يعلم صحته وهذا
موضع غامض فحاج الى فضل فكر وامعان نظر وما تعرض للنبيه على احد قبلى وهذه اللفظه التى هى توذى اذا
حات فى الكلام سغى ان تكون مندرجه تحت ما تعدها متعلقه به كقوله تعالى انكم كان يوذى النبى وقدحات فى قول
المتنبى منقطعه الا ترى انه قال بلذله المروة وهى توذى ثم قال ومن يعشق يلذ له الغرام فجا الكلام
مستانف وقدحات هذه اللفظه بعينها فى الحديث النبوى واضفها اليها كما فى الخطاب فازالها من الضعف
والركة وذلك انه اشكى النبى فجاءه جبريل عليه السلام وقال بسم الله ارقيك من كل داء يوذيك فانظر الى هذا السر
فى استعمال اللفظه الواحده فانه لما زيد على هذه اللفظة حرف واحد اصلحها وحسنها ومن ههنا تراد الها
فى بعض المواضع كقوله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا وهم اقرؤا كتابيه انى ظننت انى ملاق حسابيه ثم قال
ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه فان الاصل فى هذه الالفاظ كتابى وحسابى ومالى وسلطانى فلما
اضيف الها اليها وتسماها اسكنت اضافت اليها حسنا زائدا على حسنها لطافه ورشاقه وكذلك ورد فى القران
قوله تعالى هذا اخى له تسع وتسعون نعجه ولى نعجه واحده فلفظه لى انضم مثل لفظه توذى وقدحات فى الآية
مندرجه متعلقه بما بعدها واذا حات منقطعه لا تجى لا تقد كقول ابى الطيب المتنبى
• تمسى الامانى صرعى دون مبلغه • فلا تقول لشئ لست ذلك لى • وربما وقع بعض الجهال فى هذا الموضع
فادخل فيه ما ليس منه كقول ابى الطيب المتنبى • ما اجد الايام والليالى • بان تقول اماله ومالى • فان
لفظه لى ههنا كالحاجات فى البيت الاول الكائنة منقطعة عن النظر والشبيه فكان تعلوها الصعف والركة •
ويرى ورودها ههنا وورودها فى البيت الاول فرق تحكم له الذوق السليم وههنا من هذا النوع لفظه اخرى قد
وردت فى آية من القران وفى بيت من شعر الفرزدق فجاءت فى القران حسنة وفى البيت الشعرى غير حسنة وتلك اللفظه
هى لفظه القتل اما الآية فقوله تعالى فقاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين
البيت الشعرى فقول الفرزدق • من عزة احتجرت كليب عنده • زرر اكاليم لديهم القتل • واما حسنت
هذه اللفظة فى الآية دون البيت من الشعر لانها جات فى الآية مندرجه فى ضمن كلام ولم تنقطع الكلام وجاءت فى الشعر
قافية اخرا انقطع الكلام عندها واذا نظرنا الى حكمة اسرار الفصاحه فى القران غصنا منه فى بحر عميق لا قرار له
من ذلك هذه الآية المشار اليها فانها قد تضمنت خمسة الفاظ هى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
واحسن هذه الالفاظ الخمسه هى الطوفان والجراد والدم فلما وردت هذه الالفاظ الخمسه بجملتها قدم منها
لفظتا الطوفان والجراد واخرت لفظه الدم اخرا وجعلت لفظتا القمل والضفادع فى الوسط ليطرق السمع
اولا الحسن من الالفاظ الخمسه وينتهى اليه اخرا ثم ان لفظه الدم احسن من لفظتى الطوفان والجراد واخر
فى الاستعمال ومراجل ذلك حتى جيها اخرا ومراعاة مثل هذه الاسرار والدقائق فى استعمال الالفاظ ليس من القدر
البشرية • وورد كر من تقدمنى من علماء البيان للالفاظ المفرده خصائص وهيات تتصف بها واخلفوا فى ذلك
فاحسن احديم شا فحولف فيه وكذلك استقبح الاخر شيا فحولف فيه ولو حققوا النظر ووقفوا على السر فى اتصاف
بعض الالفاظ بالحسن وبعضها بالقبح لما كان بينهم خلاف فى شى منها وقد اشرت الى ذلك فى الفصل الثامن من مقدمة
كتابى هذا الذى اشتمل على ذكر الفصاحه وفى الوقوف عليه والاحاطه به غنى عن غيره لكن لا بد ان نذكر ههنا فصلا الما

والسبب فيها • فان لفظة ما ههنا وردت تعريفا وفخما ما له مرادفا ما فى الكلام على نسق واحد لفظة ما ههنا

اوصاف الكلمة

فاذا استعملتها العرب لا كسوا استعمالهم اياها مخرجا لها عن القبح ولا لسمت اذا الى استعمالهم اياها بل يعاب مستعملها ويعلط له النكير حيث استعملها • وقد ذكر الخفاجي ما تعلق بالفظة الواحدة من الاوصاف وقسمها الى عدة اقسام كتباعد مخارج الحروف وان تكون الكلمة جارية على العرف العربي غير شاذة وان تكون مصغرة في موضع تعبر به عن شيء لطيف او خفي او ما يجري مجراه وان لا تكون مبتذلة بين العامة وغير ذلك من الاوصاف وفي الذي ذكره ما لا حاجة اليه • اما تباعد المخارج فان معظم اللغة العربية دار عليه لان الواضع قسمها في وضعه ثلثة اقسام ثلاثيا ورباعيا وخماسيا فالثلاثي من الالفاظ هو الاكثر ولا تجد فيه ما يكره استعماله الا الشاذ النادر واما الرباعي فانه وكد من الثلاثي والخماسي في الكثرة عددا واستعمالا واما الخماسي فانه الاقل فلا يوجد فيه ما يستعمل الا الشاذ النادر وعلى هذا التقدير فان اكثر اللغة مستعمل غير مكروه فلا تقتضي حكمة هذه اللغة الشريفة التي هي سيدة اللغات ذلك ولهذا اسقط الواضع حروفا كثيرة في تاليف بعضها مع بعض استثقالا واستكراها فلم يوالف بين حروف الحلق كالحا والحا والعين وكذلك لم يوالف بين الجيم والقاف ولا بين اللام والراء ولا بين الزاء والسين وكل هذا دليل على عنايته بتباعد المخارج دون المتقاربة • ومن العجب انه كان يحل بمثل هذا الاصل الكلي في تحسين اللغة وقد عنى بامور اخرى جزئية كمماثلته بين حركات الفعل في الوجود وبين حركات المصدر في النطق كالغلبان والضربان والنقصان والنزوان وغير ذلك مما يجري مجراه فان حروفه جميعها متحركات في الفعل في الوجود • ومن بطرح حكمة وضع اللغة الى هذه الدقائق التي هي كالاطراف والحواشي فكيف كان يحل بالاصل المعول عليه في تاليف الحروف بعضها مع بعض على انه لو اراد الناظم والناثر ان يعتبر تخارج الحروف عند استعمال الالفاظ وهل هي متباعدة او متقاربة لطال الخطب في ذلك وعسر ولما كان الساعر ينظم قصيدا ولا الكاتب ينشيء كتابا الا في مدة طويلة يمضي عليه ايام وليال وآونات عديدة كثيرة ونحن نرى الامر بخلاف ذلك فان فطرة الذوق السليم هي الحاكمة في هذا المقام بحسن ما حسن من الالفاظ وقبح ما قبح وساعرك في هذا مثالا فاقول — اذا سئلت عن لفظة من الالفاظ وقيل لك ما تقول في هذه اللفظة احسنة هي ام قبيحة فاني لا ارى لك عند ذلك الا التوقف لحسنها او قبحها على الفور ولو كنت لا تتوقف بديهة ذلك حتى تقول للسائل اصبر علي الى ان اعتبر مخارج حروفها فاقتيك بعد ذلك بما فيها من حسن او قبح لصح لابن سنان ما ذهب اليه من جعل مخارج الحروف المتباعدة شرطا في اختيار الالفاظ وانما شذ عنه الاصل في ذلك وهو ان الحسن من الالفاظ كون حروفه متباعد المخارج فحسن الالفاظ اذن ليس معلوما من تباعد المخارج وانما علم قبل العلم بتباعدها وكل هذا راجع الى ذوق الفطرة السليمة فاذا استحسنت لفظا او استقبحته وجدت ما يستحسنه متباعد المخارج وما يستقبحه متقارب المخارج فاستحسانها واستقباحها انما هو قبل اعتبار المخارج لا بعده على ان هذه قاعدة قد شذ عنها شواذ كثيرة لانه قد يجيء من المتقارب المخارج ما هو حسن رائق لا نزى الجيم والشين واليا متخارج متقاربة وهي من وسط اللسان بينه وبين الحنك ويسمى ثلاثتها الشجرية واذا ركب منها شيء من الالفاظ كان حسنا رائقا فان — جاء جيش كانت لفظة محمودة او ورد منا لسن على الجيم فقيل شجي كانت ايضا لفظة محمودة • ومما هو قريب مخرجا من ذلك الباء والميم والفاء وثلاثتها من الشفة ويسمى الشفهية واذا نظم منها شيء من الالفاظ كان حسنا كقولنا فم فهذه اللفظة من حرفين هما الفاء والميم وكقولنا ذقته بفمي وهذه اللفظة مؤلفة من الثلاثة بحملتها وكلاهما حسن لا عيب فيه • وقد يرد من المتباعد المخارج شيء قبيح ايضا ولو كان المتباعد سببا للحسن لكان

حسنة السمع

ان ٣ ثلاثتها

ولبس في ما حرف ساكن بين متحركات

٢

٣

مثل

يستجيدهم

٤ الاوتار

الآن ٤

فاذا

سببًا للقبح اذ هما ضدان لا يجتمعان • فرق لكانه تقال ملح اذا عدا فليم من الشفه والعين من حروف الحلق واللام مروسط اللسان وكل ذلك متباعد ومع هذا فان هذه اللفظه مكروهه لاستعمال بنوعنها الدوق السليم ولا تستعملها مرعنده معرفه بفن الفصاحه وههنا نكته غريبه وهو انا اذا عكسنا حروف هذه اللفظه صارت علم وعند ذلك تكون حسنة لا مزيد عليها وما ادري كيف صار ذلك القبح حسنا لانه لم يتغير من مخارجها شيء وذلك ان اللام لم تزل وسطا والميم والعين لم تتغيا مخارجها ولو كان مخارج الحروف معتبرا في الحسن والقبح لما تغيرت هذه اللفظه في ملح وعلم فان فصل اذا خراج الحروف من الحلق الى الشفه ايسر من ادخالها من الشفه الى الحلق فان ذلك اختيار وهذا صعود ولا يختار سهل الحواس عن ذلك انى اقول لو استمر لك هذا لصح ما ذهبت اليه لكانى من الالفاظ ما اذا عكسنا حروفه من الشفه الى الحلق او من وسط اللسان او من اخره الى الحلق لا تتغير كقولنا غلب فان العين من حروف الحلق واللام من وسط اللسان واليام الشفه واذا عكسنا ذلك صار بلغ وكلاهما حسن مليح • وكذلك نحو اجلم من الجلم وهو ذاناة واذا عكسنا هذه الكلمة صارت ملجم على وزن فعل بفتح الفا وضم العين وكلاهما ايضا حسن مليح • وكذلك نحو اعقور وقع وعرف وفرع وحلف وفلح وقلم وملق وكلم وملك ولو ثلثت لاوردت من ذلك شيئا كثيرا يضيق عنه الاذواق ولو كان ما ذكرته مطردًا الكلما اذا عكسنا هذه الالفاظ صار حسنها قبيحا وليس الامر كذلك • واما ذكره ابن سنان من جريان اللفظه على العرف فليس ذلك مما يوجب لها حسنًا ولا قبحا وانما تقدح في معرفه مستعملها فيما ينقله من الالفاظ فكيف يعد ذلك من عمله الاوصاف الحسنه • واما تصغير اللفظه فما يعتبره عن شيء لطيف وخفي او ما جرا مجراه فهذا مما لا حاجه الى ذكره فان المعنى يسوق اليه وليست معاني التصغير من الاشياء الغامضه التي يفتقر الى التنبيه عليها فانها مدونه في كتب النحو وما مر كتاب الا وا لتصغير باب من ابوابه ومع هذا فان صاحب هذه الصناعه مخير في ذلك ان شاء ان يورده بلفظ التصغير وان شا بمعناه كقولهم بعضهم

• لو كان يخفى على الرحمن خافيه • من خلقه خفيت عنه بنو لبد • وهل كان يمكن هذا الشاعر ان يصغر هؤلاء القوم ويحقر من شانهم بالفاظ التصغير ويحكي هكذا كما حاك بيته هذا فالوصيه به اذن ملغاة لا حاجة اليها • واما الاوصاف الباقيه التي ذكرت فهي التي ينبغي ان ينبه عليها فمنها ان لا تكون الكلمة وحشيه وقد خفي الوحشي على جماعه من المتمرنين في صناعة النظم والنثر فطنوا المستقبح من الالفاظ وليس كذلك بل الوحشي ينقسم قسمين احدهما غير حسن والاخر غريب قبيح ودليل انه منسوب الى سمر الوحش الذي يسكن القفار فليس بانيس وكذلك الالفاظ التي لم تكن مانوسه لاستعمال وليس من شرط الوحشي ان يكون مستقبحا بل ان يكون نافرا لا يالفه الانس فحينئذ يكون حسنا وبارد يكون قبيحا وعلى هذا فان احد قسمي الوحشي وهو الغريب الحسن يخالف الغريب القبيح بالاضافات والامثله

القسم الاخر من الوحشي الذي هو قبيح فان الناس في استقباحه سواء ولا يخالف فيه بادي ولا قروي متحضر واحسن الالفاظ ما كان مالوفا متداولا لا لانه لم يكن مالوفا متداولا الا لامكان حسنه وقد تقدم الكلام على ذلك في باب الفصاحه فان رام احد تخطابه والشعر نظروا الى الالفاظ وتقبوا عنها ثم عدلوا الى الاحسن منها فاستعملوه وتركوا ما سواه وهو ان منفارت في درجات حسنه فالالفاظ اذن تنقسم ثلثه اقسام قسمان حسنان وقسم قبيح فالقسمان الحسنان احدهما ما يدار ل استعماله الاول والاخر من الزمن القديم والى زماننا هذا ولا يطلق عليه انه وحشي والاخر ما يدار ل استعماله الاول دون الاخر ويخالف في استعماله بالنسبة الى الزمن واهله وهذا هو الفرق الذي لا

يعاب استعماله على العرب لانه لم يكن عندهم وحشيا وهو عندنا وحشي وقد تضمن القران الكريم منه كلمات معدوده هي التي يطلق عليها غريب القران وكذلك تضمن الحديث النبوي منه شيا وهو الذي يطلق عليه غريب الحديث • وحضر عندي في بعض الايام رجل متفلسف فجرى ذكر القران الكريم فاخذ في وصفه وذكرها اشتملت عليه الفاظه وتعانيه من الفصاحة والبلاغه فقال ذلك الرجل واي فصاحة هناك وهو يقول تلك اذن قسمة ضيزى فهل في لفظه ضيزى من الحسن ما توصف فقلت له اعلم ان لاستعمال الالفاظ اسرارا لم تقف عليها انت ولا امثالك مثل ابن سنا والفارابي ولا امثالهم مثل ارسطاطاليس وافلاطن وهذه اللفظه التي انكرتها في القران وهي لفظ ضيزى فانها في موضعها لا يسد غيرها مسدها الا ان السورة كلها التي هي سوره النجم مسجوعه على حرف الياء فقال ايمر والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وكذلك الى اخر السورة فلما ذكر الاصنام وقسمه الاولاد وما كانوا يزعمه الكفار قال لهم الذكر وله الانثى تلك اذن قسمه ضيزى فجاءت اللفظه على الحرف المسجوع اليه جاءت السورة جميعها عليه وغيرها لا يسد مسدها في مكانها واذا زلنا معك ايها المعاند على ما تريد فقلنا ان غير هذه اللفظه احسن منها ولكنها في هذا الموضع لا تؤدي مؤداة لاخواتها ولا مناسبة لانها تكون خارجه عن حرف السورة وسايرة ذلك فاقول اذا جئنا للفظه في معنى هذه اللفظه قلنا قسمه جائرة او ظالمه ولا شك ان جائر او ظالمه احسن من ضيزى الا ان اذا نظمنا الكلام فقلنا الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمه ظالمة لم يكن النظم كالنظم ولا صار الكلام كالشيء المعور الذي يحتاج الى تمام وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفه بنظم الكلام • فلما سمع ذلك الرجل ما اوردته عليه رد بلسانه في فمه افحاما ولم يكن عنده في ذلك شيء سوى الغناء الذي مستنده تقليد بعض الزنادقه الذين يكفرون تشهيا ويقولون ما يقولونه جهلا واذا حوققوا عليه ظهر عجزهم وقصورهم • وحيث انتهى بي القول الى ههنا فاني راجع الى ما كنت بصدد ذكره فاقول واما القبح من الالفاظ الذي يعاب استعماله فلا يسمى وحشيا فقط بل يسمى الوحشي الغليظ وسيأتي ذكره واذا نظرنا الى كتاب الله الذي هو افصح الكلام وجدناه سهلا سلسا وما تضمنه من الكلمات العربيه يسير جدا وقد انزل على زمن العرب العربا والفاظه كلها من اسهل الالفاظ واقربها استعمالا وكفى به قدوة في هذا الباب قال البتي ما انزل الله في التوريه والانجيل مثل ام الكتاب وهي السبع المثاني يريد بذلك فاتحة الكتاب واذا نظرنا الى ما اشتملت عليه من الالفاظ وجدناها سهله قريبه الماخذ يفهمها كل احد حتى صبيان الكتاب وعوام السوقه وان لم يفهموا ما تحتها من اسرار الفصاحة والبلاغة فان افضل الكلام ما عرف الخاصة فضله وفهم العامة معناه وهكذا فليكن الالفاظ في سهولة فهمها وقرب متناولها والمقتدى بالفاظ القران يكفي بها عن غيرها من جميع الالفاظ المستورة والمنظومه • واما ما ورد من اللفظ الوحشي في الاخبار النبويه • فمن جمله ذلك حديث طهفه بن زهير النهدي وذلك انه لما قدمت وفود العرب على النبي ﷺ قام طهفه بن زهير فقال اتيناك يا رسول الله من غوري تهامة على اكوار الميس نرتمي بنا العيس بجلب الصنين ونستلب الحنين ونستعضد الوبر ونستحيل الرهام ونستنيل الجهام في ارض عابله الفظا غليظه الموطا قد نشف المدهن وبس الجعثن وقط الملوح ومات العسلوج وهلك الهدي وفاك الودي فبينا النظاه بحبها الك يا رسول الله من الوثن والعتن وما تحدث الزمن لما ادعوه السلام وشريعة الاسلام ما طما البحر وقام بعارضتنا نعم هملج اغفال العقاب ما تبض ببلال ووقير كتيبة الرسل فقيل الرسل اصابتها سنة حمر اموزله ليس لها علل ولا نهل فقال رسول الله ﷺ اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومدقها ومرقها وابعث راعيها في الدثر تتابع التمر وافجر له النمد وبارك له في المال والولد فراقام الصلوه كان

مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله وحده كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك
ووضائع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب معه كتابا الى بني نهد في
الوظيفة الفريضة ولكم العارض والقريش وذو العناب الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد
طلحكم ولا يحبس دركم ولا يوكل اكلكم ما لم تضمروا الاماق وتاكلوا الرباق من وفى بما في هذا الكتاب فله من رسول
الله الوفا بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة وفصاحة رسول الله لا تقتضي استعمال هذه الالفاظ ولا
يكاد يوجد في كلامه الا جوابا لمن خاطبه بمثلها كهذا الحديث وما جرى مجراه على انه قد كان في زمنه متداولا بين العرب
ولكنه لم يستعمله الا يسيرا لانه اعلم بالفصيح والافصح وهذا الكلام هو الذي بعده في زماننا نحن وحشيا لعدم
الاستعمال فلا تظن ان الوحشي من الالفاظ ما يكرهه سمعك ويثقل عليك النطق به وانما هو الغريب الذي يقل
استعماله فتارة يخف على سمعك ولا تجد به كراهة وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة وذلك في اللفظ عيبان
احدهما انه غريب الاستعمال والاخر انه ثقيل على السمع كريه على الذوق واذا كان اللفظ على هذه الصفة فلا يزيد على
غلاظته وفظاظته وهو الذي يسميه الوحشي الغليظ ويسمى ايضا المتوعر وليس وراه في القبح درجة اخرى ولا
يستعمله الا اجهل الناس ممن لم يخطر بباله شي من معرفة هذا الفن اصلا فان قلت فما هذا النوع من الالفاظ
قلت قد بينت لك انه ما كرهه سمعك وثقل على لسانك النطق به وساضرب لك في ذلك مثالا فمنه ما ورد
لتابط شرا كقوله في كتاب الحماسة يظل بموماة ويمسي بغيرها جحيشا ويعروري ظهور المسالك فان
لفظة جحيش من الالفاظ المنكرة القبيحة ويا لله العجب اليس انها بمعنى فريد وفريد لفظة حسنة رائقة ولو
وضعت في هذا البيت موضع جحيش لما اختل شي من وزنه فتابط شرا ملوم من وجهين في هذا الموضع احدهما انه استعمل
القبيح والاخر انه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنها ومما هو اقبح منه ما ورد لابي تمام كقوله
قد قلت لما اطلخم الامر وانبعثت عشوا تاليه عيسا دهاريسا فلفظة اطلخم من الالفاظ المنكرة التي جمعت
بين الوصفين القبيحين في انها غريبة وانها غليظة في السمع كريهة على الذوق وكذلك لفظة دهاريس ايضا وعلى هذا قوله
من ابيات يصف فرسا فمن جملتها نعم متاع الدنيا حباك به اورع لا جيدر ولا جبس فلفظة جيدر وحشية
غليظة واغلظ منها قول ابي الطيب جفخت وهم لا يجفخون نهاهم شيم على الحسب الاغر دلائل فان لفظة
جفخ مرة الطعم واذا مرت على السمع اقشعر منها وابو الطيب في استعمالها كاستعمال تابط شرا لفظة جحيش فان
تابط شرا كان له مندوحة عن استعمال تلك اللفظة كما اشرنا اليه فيما تقدم وكذلك ابو الطيب في استعمال هذه اللفظة
التي هي جفخت فان معناها فخرت والجفخ الفخر يقال جفخ فلان اذا فخر ولو استعمل عوضا عن جفخت فخرت لاستقام
وزن البيت وحظي في استعماله بالاحسن وما اعلم كيف يذهب هذا وامثاله على هولاء الفحول الشعراء وهذا
الذي ذكرته وما يجري مجراه من الالفاظ هو الوحشي الغليظ الفظ الذي ليس له ما يدانيه في قبحه وكراهته وهذه الامثلة
دليل على ما اوردناه فالغريب اذن لا يلام على استعمال الغريب الحسن من الالفاظ لكن يلام على استعمال الغريب القبيح
واما الحضري فانه يلام على استعمال القسمين معا وهو في احدهما اشد ملامة من الاخر على ان هذا الموضع يحتاج
الى قيد اخر وذلك شي استخرجته انا دون غيري فاني وجدت الغريب الحسن يسوغ استعماله في الشعر ولا يسوغ في
الخطب والمكاتبات وهذا ينكره من يسمعه حتى ينتهي الى ما اوردته من الامثلة ولربما انكره بعد ذلك اما عنادا واما
جهلا لعدم الذوق السليم عنده فمن قول الفرزدق ولولا حيا زدت راسك شجة اذا سبرت طلت جوانبها نعلي

شرنبثة شمطاء من رمابها يشبه ولو بين الجماسي والطفل فقوله شرنبثة من الالفاظ الغريبة التي يسوغ استعمالها
في الشعر وهي ههنا غير مستكرهة الا انها لو وردت في كلام منثور من كتاب او خطبة تعيبت على مستعملها وكذلك
وردت لفظة مشمخر فان بشرا قد استعملها في ابياته التي يصف فيها لقاءه الاسد فقال
واطلقت المهند عن يميني فقد له من الاضلاع عشرا فخر مضرجا بدم كاني هدمت به بناء مشمخرا
وعلى ورد قول البحتري في قصيدته التي يصف فيها ايوان كسرى فقال
مشمخر يعلو له شرفات رفعت في رؤس رضوى وقدس فان لفظة مشمخر لا يحسن استعمالها
في الخطب والمكاتبات ولا باس بها ههنا في الشعر وقد وردت في خطب الشيخ الخطيب ابن نباتة كقوله في خطبة
يذكر فيها اهوال يوم القيمة فقال اقمطر وبالها واشمخر نكالها فما طابت ولا ساغت ومن هذا الاسلوب لفظة
الكنهور في وصف السحاب كقول ابي الطيب
يا ليت باكية سحابي دمعها نظرت اليك كما نظرت فتعذرا
وترى الفضيلة لا ترد فضيلة الشمس تشرق والسحاب كنهورا
فلفظة الكنهور لا تعاب نظما وتعاب نثرا وكذلك يجري الامر في لفظة العرمس وهي اسم الناقة فان هذه
اللفظة يسوغ استعمالها في الشعر ولا يعاب مستعملها كقول ابي الطيب
ومهمه جبته على قدمي يعجز عنه العرامس الذلل فانه جمع هذه اللفظة ولا باس بها ولو استعملت
في الكلام المنثور من المكاتبات والخطب لما ساغت ولا طابت وقد جاءت موحدة في شعر ابي تمام كقوله
هي العرمس الوجناء وابن مسلمة وجاش على ما يحدث الدهر خافض وكذلك ورد في قوله ايضا
يا موضع الشذنبة الوجناء فان الشذنبة لا تعاب شعرا وتعاب لو وردت في كتاب او خطبة وهكذا يجري
الحكم في امثال هذه الالفاظ المشار اليها وعلى هذا فاعلم ان كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنثور من الالفاظ
يسوغ استعماله في الكلام المنظوم وليس كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنظوم يسوغ استعماله في الكلام المنثور
وذلك شي استنبطته واطلعت عليه لكثرة ممارستي لهذا الفن ولان الذوق الذي عندي دلني عليه فمن شا فليقلدني
فيه والا فليدم النظر حتى يطلع عليه والاذهان في مثل هذا المقام تتفاوت وقد رايت جماعة من مدعي هذه
الصناعة يعتقدون ان الكلام الفصيح هو الذي يعز فهمه ويبعد متناوله واذا راوا كلاما وحشيا غامض
الالفاظ يعجبون به ويصفونه بالفصاحة وهو بالضد من ذلك لان الفصاحة هي الظهور والبيان لا الغموض والخفا
وسابين لك ما يعتمد عليه في هذا الموضع فاقول الالفاظ تنقسم في الاستعمال الى جزلة ورقيقة ولكل
منهما موضع يحسن استعماله فيه فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب وفي قوارع التهديد والتخويف
واشباه ذلك واما الرقيق منها فانه يستعمل في وصف الاشواق وذكر ايام البعاد وفي استجلاب المودات وملاينات
الاستعطاف واشباه ذلك ولست اعني بالجزل من الالفاظ ان يكون وحشيا متوعرا عليه عنجهية البداوة بل اعني
بالجزل ان يكون متينا على عذوبته في الفم ولذاذته في السمع وكذلك لست اعني بالرقيق ان يكون ركيكا مسفسفا وانما
هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس كما قال ابو تمام
يا عمات الاطراف لو انها تلبس اغنت عن الملا الرقاق وساضرب لك مثلا للجزل من الالفاظ والرقيق فاقول
انظر الى قوارع القرار عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا وما جرى هذا

المجرى فانك لا ترى شيا من ذلك وحشي الالفاظ ولا متوعرا ثم انظر الى ذكر الرحمة والرافة والمغفرة والملاطفات في
خطاب الانبيا وخطاب المنيبين والتائبين من العباد وما جرى هذا المجرى فانك لا ترى شيا من ذلك ضعيف الالفاظ
ولا مستفسفا فمثال الاول وهو الجزل من الالفاظ قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا
من شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجي بالنبيين والشهدا
وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى
اذا جاوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى
ولكن حقت كلمة العذاب على الكفرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبيس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم
الى الجنة زمرا حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا فنعم اجر العاملين فتامل هذه الايات المتضمنة ذكر الحشر
على تفاصيل احواله وذكر النار والجنة وانظر هل فيها لفظة الا وهي سهلة عذبة على ما بها من الجزالة وكذلك ورد قوله تعالى
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم
فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون • واما مثال الثاني وهو الرقيق من الالفاظ فقوله تعالى في
مخاطبة النبي ص والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى الى اخر السورة وكذلك قوله تعالى في ترغيب المسئلة واذا سالك
عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وهكذا ترى سبك القران الكريم في كلا الحالين من الجزالة والرقة •
وكذلك كلام العرب الاول في الزمن القديم مما ورد عنها نثرا ويكفي من ذلك كلام قبيصة بن نعيم لما قدم على امرء القيس
في اشياخ بني اسد يسالونه العفو عن دم ابيه فقال له انك في المحل والقدر من المعرفة بتصرف الدهر وما تحدثه ايامه
وتنقل به عن احواله بحيث لا تحتاج الى تذكير من واعظ ولا تبصير من مجرب ولك من سودد منصبك وشرف اعراقك •
وكرم اصلك في العرب مجتد يحتمل ما حمل عليه من اقالة العثرة ورجوع عن الهفوة ولا تتجاوز الهمم الى غاية الا رجعت
اليك فوجدت عندك من فضيلة الراي وبصيرة الفهم وكرم الصفح ما تطول رغباتها وتستغرق طلباتها وقد كان
الذي كان من الخطب الجليل الذي عمت رزيته نزارا واليمن ولم يخصص بذلك كندة دوننا للشرف البارع كان يحجر •
ولو كان يفدى هالك بالانفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا بها على مثله ولكنه مضى به سبيل لا يرجع اخراه على
اولاه ولا يلحق اقصاه ادناه فاحمد الحالات في ذلك ان تعرف الواجب عليك في احدى خلال ثلث اما ان اخترت
من بني اسد اشرفها بيتا واعلاها في بنا المكرمات صوتا فقدناه اليك بنسعة يذهب مع شفرات حسامك •
يتاقى قصرته فنقول رجل امتحن بهالك عزيز فلم يسل سخيمته الا بمكينه من الانتقام او فدا بما يروج على بني اسد من
نعمها فهي الوف يجاوز الخمسة فكان ذلك قد ارجعت به القضب الى اجفانها لم يرددها تسليط الاجن على البراء •
واما ان وادعتنا الى ان نضع الحوامل فتسدل الازر وتعقد الخمر فوق الرايات • قال فبكى ساعة ثم رفع
راسه فقال لقد علمت العرب انه لا كفو لحجر في دم واني لن اعتاض بها حملا ولا ناقة فاكتسبت به سبة الابد وقت
العضد • واما النظرة فقد اوجبتها للاجنة في بطون امهاتها ولن اكون لعطها سببا وستعرفون طلائع كندة بعد
ذلك تحمل في القلوب حنقا وفوق الاسنة علقا • اذا جالت الحرب في مارق تصافح فيه المنايا النفوسا •
اتقيمون ام تنصرفون قالوا بل ننصرف باسوا الاختيار وابلى الاجترار بمكروه واذية وخزي وبلية ثم نهضوا
عنه وقبيصة يتمثل • لعلك ان تستوخم الورد ان عدت كتائبنا في مارق الحرب تمطر • فقال امرء القيس

هذين ح

كلام قبيصة لامرء القيس

تسليه

بد ح

لا والله

لا والله ولكن استعدنه فرويدا ينفرج لك دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير ولقد كان ذكر غير هذا بي
اولى اذ كنت نازلا بربعي ولكنك قلت فاجيب فقال قبيصة ما يتوقع فوق قدر المعاتبة والاعتاب فقال امرء
القيس هو ذاك • فلينظر الى هذا الكلام من الرجلين قبيصة وامرء القيس حتى يدع المتعمقون تعمقهم في
استعمال الوحشي من الالفاظ فان هذا الكلام قد كان في الزمن القديم قبل الاسلام بما شا الله وكذلك هو كلام
كل فصيح من العرب مشهور وما عداه فليس بشي وهذا المشار اليه ههنا هو من جزل كلامهم وهو على ما تراه من السلاسة
والعذوبة واذا تصفحت اشعارهم ايضا وجدت الوحشي الالفاظ قليلا بالنسبة الى المسلسل في الفم والسمع
الا ترى الى هذه الابيات الواردة للسموءل بن عاديا وهو •

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه • فكل رداء يرتديه جميل •
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها • فليس الى حسن الثناء سبيل •
تعيرنا انا قليل عديدنا • فقلت لها ان الكرام قليل •
وما ضرنا انا قليل وجارنا • عزيز وجار الاكثرين ذليل •
يقرب حب الموت اجالنا لنا • وتكرهه اجالهم فتطول •
وما مات منا سيد حتف انفه • ولا طل منا حيث كان قتيل •
علونا الى خير الظهور وحظنا • لوقت الى خير البطون نزول •
فنحن كماء المزن ما في نصابنا • كهام ولا فينا يعد بخيل •
اذا سيد منا خلا قام سيد • قوول لما قال الكرام فعول •
وايامنا مشهورة في عدونا • لها غرر معلومة وحجول •
واسيافنا في كل غرب ومشرق • بها من قراع الدارعين فلول •
معودة ان لا تسل نصالها • فتغمد حتى يستباح قتيل •

فاذا نظرنا الى ما تضمنه من الجزالة خلناها زبرا من الحديد وهي مع ذلك سهلة مستعذبة غير فظة ولا غليظة وكذلك
قد ورد للعرب في جانب الرقة من الاشعار ما يكاد يذوب لرقته كقول عروة بن اذينة •

ان التي زعمت فوادك ملها • خلقت هواك كما خلقت هوى لها •
بيضاء باكرها النعيم فصاغها • بلباقة فادقها واجلها •
حجبت تحيتها فقلت لصاحبي • ما كان اكثرها لنا واقلها •
فاذا وجدت لها وساوس سلوة • شفع الضمير الى الفواد فسلها • وكذلك ورد قول
الاخر • اقول لصاحبي والعيس تهوي • بنا بين المنيفة فالضمار •
تمتع من شميم عرار نجد • فما بعد العشية من عرار •
الا يا حبذا نفحات نجد • وريا روضه غب القطار •
واهلك اذ يحل الحي نجدا • وانت على زمانك غير زار •
شهور ينقضين وما شعرنا • بانصاف لهن ولا سرار •
فاما ليلهن فخير ليل • واطيب ما يكون من النهار •

ومما يرقص الاسماع له ويرق على صفحات القلوب قول يزيد بن الطثرية في محبوبته من بني جرم •

سقتني من لو من برد بنانه • على كبدي كانت شفاء انامله •

ومن هابني في كل شي وهبته • فلا هو يعطيني ولا انا سائله •

فاذا كان هذا قول ساكن في الفلاة لا يرى الا شيحه او قيصومه ولا ياكل الا ضبا او يربوعا فما بال قوم سكنوا الحضر ووجدوا رقة العيش يتعاطون وحشي الالفاظ وشظف العبارات ولا يخلد الى ذلك الا ما جاهل باسرار الفصاحة واما عاجز عن سلوك طريقها فان كل احد ممن سدا شيا من علم الادب يمكنه ان ياتي بالوحشي من الكلام وذاك انه يلتقطه من كتب اللغة او يتلقفه من اربابها واما الفصيح المتصف بصفة الملاحة فانه لا يقدر عليه ولو قدر عليه لما علم اين يضع يده في تاليفه وسبكه وان ماري في ذلك ممار فلينظر الى اشعار علما الادب ممن كان مشارا اليه حتى تعلم صحة ما ذكرته • هذا ابن دريد قد قيل انه اشعر علماء الادب واذا نظرت الى شعره وجدته بالنسبة الى شعر الشعراء المحدثين منحطا مع ان اولئك الشعراء لم يعرفوا من علم الادب عشر معشار ما علمه • هذا العباس ابن الاحنف قد كان من اوائل الشعراء المحدثين وشعره كممر نسيم على عذبات اغصان او كلؤلؤ طل على طرر ريحان • وليس فيه لفظة واحدة غريبة يحتاج الى استخراجها من كتاب من كتب اللغة • فمن ذلك قوله

واني لترضيني قليل نوالكم • وان كنت لا ارضى لكم بقليل •

بحرمة ما قد كان بيني وبينكم • من الود الا عدتم بجميل •

وهكذا ورد قوله في فوز التي كان يشبب بها في اشعاره •

يا فوز يا منية عباس • قلبي يفدي قلبك القاسي •

اسات اذا احسنت ظني بكم • والحزم سوء الظن بالناس •

تقلقني شوقي فاتيكم • والقلب مملو من الياس •

وهل اعذب من هذه الابيات او اعلق بالخاطر او اسرى في السمع ولمثلها تخف رواجح الاوزان • وعلى مثلها تسهر رواقد الاجفان • وعن مثلها تتاخر السوابق عند الرهان • ولم اجرها بلساني يوما من الايام الا ذكرت قول ابي الطيب المتنبي •

اذا شا ان يلهو بلحية احمق • اراد عباري ثم قال له الحق •

ومن الذي يستطيع ان يسلك هذه الطريق التي هي سهلة وعرة قريبة بعيدة • وقد كان ابو العتاهية ايضا في غرة الدولة العباسية وشعراء العرب اذ ذاك موجود كثير اذ كانت مدائحه في المهدي بن المنصور واذا تاملت شعره وجدته كالماء الجاري رقة الفاظ ولطافة سبك وليس بركيك ولا واه • وكذلك ابو نواس ولهذا قدم على شعراء عصره وناهيك بعصره وما جمعه من فحول الشعراء ويكفي منهم مسلم بن الوليد الذي كان فارس الشعر وله الاسلوب الغريب العجيب غير انه كان يتغنجه في اكثر الالفاظ • ويحكى ان ابا نواس جلس يوما الى بعض التجار ببغداد وجماعة من الشعراء فاستسقى ماء فلما شرب قال

عذب الماء وطابا • ثم قال اجيزوه فاخذ اولئك الشعراء يترددون في اجازته واذا هم بابي العتاهية مجتازا فقال ما شانكم مجتمعين فقالوا هو كيت وكيت وقد قال ابو نواس • عذب الماء وطابا • فقال ابو العتاهية •

حبذا الماء شرابا • فعجبوا لقوله على الفور من غير تلبث وكل شعر ابي العتاهية سهل الالفاظ • وساورد منه ههنا نبذة يستدل بها على سلاسة طبعه ورقرق خاطره • فمن ذلك قصيدته التي يمدح فيها المهدي • ويشبب بجارية

الا ما لسيدتي ما لها • تدل فاحمل ادلالها •

الا ان جازئة للامام • قد اسكن الحسن سربالها •

لقد اتعب الله قلبي بها • واتعب في اللوم عذالها •

كان يعيني في حيثما • سلكت من الارض تمثالها •

فلما وصل الى المديح قال من جملته •

اتته الخلافة منقادة • اليه تجرر اذيالها •

فلم تك تصلح الا له • ولم يك يصلح الا لها •

ولو رامها احد غيره • لزلزلت الارض زلزالها •

ولو تطعه نيات القلوب • لما قبل الله اعمالها •

ويحكى ان بشارا كان شاهدا عند انشاد ابي العتاهية هذه الابيات فلما سمع المديح قال انظروا الى امير المومنين هل طار عن اعواده يريد هل زال عن سريره طربا بهذا المديح ولعمري ان الامر كما قال بشار وخير القول ما اسكر السامع حتى ينقله عن حالته سواء كان في مديح او غيره وقد اشرت الى ذلك فيما ياتي من هذا الكتاب عند ذكر الاشعار فليوخذ من هناك • واعلم ان هذه الابيات المشار اليها ههنا من رقيق الشعر غزلا ومديحا وقد اذعن لمديحها الشعراء من اهل ذلك العصر ومع هذا فانك تراها من السلاسة واللطافة على اقصى الغايات وهذا هو الكلام الذي يسمى السهل الممتنع فتراه يطمعك ثم اذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب • وهكذا ينبغي ان يكون من خاض في كتابة او شعر فان خير الكلام ما دخل الاذن بغير اذن • واما البداوة والعنجهية في الالفاظ فتلك امة قد خلت ومع انها قد خلت وكانت في زمن العرب العاربة فانها قد عيبت على مستعملها في ذلك الوقت فكيف الان وقد غلب على الناس رقة الحضر وبعد هذا فاعلم ان الالفاظ تجري من السمع مجرى الاشخاص من البصر فالالفاظ الجزلة تتخيل في السمع كاشخاص عليها مهابة ووقار والالفاظ الرقيقة تتخيل كاشخاص ذي دماثة ولين اخلاق ولطافة مرح • ولهذا ترى الفاظ ابي تمام كانها رجال قد ركبوا خيولهم واستلاموا سلاحهم وتاهبوا للطراد • وترى الفاظ البحتري كانها نساء حسان عليهن غلايل مصبغات قد تحلين باصناف الحلي • واذا انعمت نظرك فيما ذكرته ههنا وجدتني قد دللتك على الطريق وضربت لك امثالا مناسبة • واعلم انه يجب على الناظم والناثر ان يجتنبا ما يضيق به مجال الكلام في بعض الحروف كالثاء والخا والذال والشين والضاد والطا والظا والغين فان في الحروف الباقية مندوحة عن استعمال ما لا يحسن من هذه الاحرف المشار اليها والناظم في ذلك اشد ملامة لانه يتعرض لان ينظم قصيدة ذات ابيات متعددة فياتي في اكثرها بالبشع الكريه الذي يمجه السمع لعدم استعماله كما فعل ابو تمام في قصيدته الثائية التي مطلعها

قف بالطلول الدارسات علاثا • وكما فعل ابو الطيب في قصيدته الشينية التي مطلعها •

مبيتي من دمشق على فراش • وكما فعل رهاني المعري في قصيدته الخائية التي مطلعها •

سرى وجناح الليل اقتم افتخ • والناظم لا يعاب اذا لم ينظم هذه الاحرف في شعره بل يعاب اذا نظمها وجات كريهة مستبشعة • واما الناثر فانه اقرب حالا من الناظم لان غاية ما ياتي به سجعتان او ثلث او اربع على حرف من هذه الاحرف وما يعدم في ذلك ما يروق اذا كان بهذه العدة اليسيرة فان كلفت ايها الشاعر ان ينظم شيا على هذه الحروف فقل هذه الحروف هي مقابل الفصاحة وعذري واضح في تركها فان واضع اللغة لم يضع عليها الفاظا تعذب في الفم ولا تلذ في السمع والذي هو بهذه الصفة منها فانما هو قليل جدا ولا يصاغ منه الا مقاطيع ابيات من الشعر • واما القصائد المقصدة فلا يصاغ منه فان صيغت جاء اكثرها بشعا كريها على ان هذه الحروف متفاوتة في كراهة الاستعمال

فاشدكرا هه اربعه احرف وهى الخا والضاد والغين والظا واما الثا والذال والشين والطا فان الامر فيهن
اقرب حالا وهذا موضع ينبغى لصاحب هذه الصناعة ان ينعم نظره فيه وفيما اشرنا اليه كفاية للمتعلم فليعرفه وليقف
عنده • ومرادنا بقولنا اوصافا لكلمة **ان لا تكون مبتذلة** تدبير العامة وذلك ينقسم الى قسمين الاول ما كان من
الالفاظ دالا على معنى وضع له فى اصل اللغه فغيرته العامة وجعلته دالا على معنى اخر وهو ضربان الاول ما يكره
ذكره كقولهم الى الطيب • اذاق الغوانى حسنه ما اذ قتنى • وعفت فجاز اهن عنى بالصرم • فان اصل
لفظه الصرم فى وضع اللغه هو القطع يقال صرمه اذا قطعه فغيرتها العامة وجعلتها دالة على المحل المخصوص
دون غيره فاهملوا السين صادا ومن اجل ذلك استكره استعمال هذه اللفظه وما جرى مجراها لكن المكروه منها ما
يستعمل على صيغه الاسميه كما جاء فى هذا البيت • واما اذا استعملت على صيغه الفعل كقولنا صرمه وصرمته وتصرمه
فانها لا تكون كرهه لان استعمال العامة لا يدخل فى ذلك وهذا الضرب المشار اليه لا يعاب البدوى على استعماله كما يعاب
المتحضر لان البدوى لم يغير الالفاظ فى زمنه ولا تصرف فى زمن المتحضر من الشعراء ومن اجل ذلك عيب استعمال لفظه
الصرم وما جرى مجراها على الشاعر المتحضر ولم تعب على الشاعر المتبدى الا ترى الى قول ابى صخر الهذلى •
• وكان صرم فى الممات لنا • فعجلت قبل الموت بالصرم • فان هذا لا يعاب على ابى صخر كما عيب على المنبى قوله فى
البيت المتقدم ذكره • وقد صنف الشيخ ابو منصور بن احمد البغدادى المعروف بابن الجواليقى كتابا فى هذا الفن
ووسمه باصلاح ما تغلط فيه العامة فمنه ما هذا سبيله وهو الذى انكر استعماله لكراهته ولانه مما ينقل عن العرب
فهذان عيبان • واما الضرب الثانى وهو انه وضع فى اصل اللغة لمعنى فجعلته العامة دالا على غيره الا انه
ليس مستقبحا ولا مستكرها وذلك كتسميتهم الانسان ظريفا اذا كان ممن الاخلاق حسن الصورة او اللباس وما هذا
سبيله والظرف فى اصل اللغه مختص بالنطق فقط وقد قسم صفات خلق الانسان ما اذكره ههنا وهو •
الصباحة فى الوجه الوضاءة فى البشرة الجمال فى الانف الحلاوة فى العينين الملاحة فى الفم الظرف فى اللسان
الرشاقة فى القد اللباقة فى الشمائل كمال الحسن فى الشعر • فالظرف انما تعلق بالنطق خاصة فغيرته العامة عن
بابه • ومن غلط فى هذا الموضع ابو نواس حيث قال

اخصم الجود والجمال • فتك فصارا الى جدال •
فقال هذا يمينه لى • للعرف والبذل والنوال •
وقال هذا لك وجهه لى • للظرف والحسن والكمال •
فافترقا فتك عن تراض • وكلهما صادق المقال • وكذلك غلط ابو تمام

فقال

لك هضبة الحلم التى لو وازنت • اخا ادب ثقلت وكان خفيفا •
وحلاوة الشيم التى لو مازجت • خلق الزمان لقدم عاد ظريفا •

فابو نواس غلط ههنا فى انه وصف الوجه بالظرف وهو من صفات النطق وابو تمام غلط فى انه وصف الخلق بالظرف
وهو من صفات النطق ايضا الا ان هذا لا يوجب فى هذه اللفظة قبحا لكنه جهل بمعرفه اصلها فى وضع اللغه • •
القسم الثانى مما تبتذله العامة وهو الذى لم تغير عن وضعه وانما انكر استعماله لانه مبتذل منهم لا لانه مستقبح
ولا لانه مخالف لما وضع له وفى هذا القسم نظر عندى لانه ان كان عاما كثيرا وله بين العامة فان من الكثير المتداول بينهم
الفاظا فصيحه كالسما والارض والماء والنار والبحر والطير واشباه ذلك وقد نطق بها القرآن الكريم فى مواضع كثيرة

منه

العامة فيها كما تقدم

صفات خلق الانسان

الهضبة الجبل المنبسط على الارض او جبل صغير منبسط على الارض واحد هضاب

علط ح

٢٢

منه وجاء فى كلام الفصحاء نظما ونثرا والذى ترجح فى نظرى ان المراد بالمبتذل من هذا القسم انما هو الالفاظ السخيفه
الضعيفه سواء تداولها العامة او الخاصة • فمما جاء منه قول ابى الطيب المتنبى
• ومولمه بسيفيه ربعيه • تصيح الحصا فيها صياح اللقالق • فان لفظة اللقالق مبتذله عند العامة جدا •
وكذلك قوله • ومر الناس مرجوم عليه • شعراء كالهنا الخازباز • وهذا البيت من مضحكات الاشعار وهو من جملة
البرسام الذى ذكره فى سعر حيث قال

ان بعضا من القريض هراء • ليس شيا وبعضه احكام •

فمنه ما يجلب الراعة والفهم ومنه ما يجلب البرسام • ومثل هذه الالفاظ اذا ورد فى
الكلام وضعت من قدره ولو كان معناه شريفا • وهذا القسم من الالفاظ المبتذله لا يكاد يخلو منه شعر شاعر لكن
منهم المقل ومنهم المكثر حتى ان العرب العاربة قد استعملت ذلك لكنه فى اشعارها اقل • من ذلك قول النابغة الذبيانى
فى قصيدته التى اولها • امن آل ميه رائح او مغتدى • فقال

• او دمية فى مرمر مرفوعه • بنيت باجر يشاد بقرمد • فلفظه اجر مبتذله جدا واذا شئت ان تعلم شيا من
سر الفصاحة التى يضمنها القران الكريم فانظر الى هذا الموضع فانه لما جئ فيه بذكر الاجر لم يذكر بلفظه ولا بلفظ القرمد
ايضا ولا بلفظ الطوب الذى هو لاهل مصر فان هذه الاسما مبتذله لكن ذكر فى القران على وجه اخر وهو قوله بعد وقال
وعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا • فعبر عن الاجر بالصرح
ومن هذا القسم المبتذل قول الفرزدق فى قصيدته التى اولها • عرفت باغشاش وما كدت تعرف •

الغش بالضم لغة ضعيفة كمسه سبنده وسبنله

فقال واصبح مبيض الضريب كانه • على سرواة الليت قطن مندف • فقوله مندف من الالفاظ العاميه
ومن هذا القسم قول البحترى • وجوه حسادك مسودة • ام صبغت بعدى بالزاج • فلفظة الزاج
من اشد الفاظ العامة ابتذالا وقد استعمل ابو نواس هذا المعنى فى شعره كثيرا كقوله

النوع ح

• يا مرحبا بى ومهلا • نسيت اهلا وسهلا • ومات مرحب لما • رأت مالى قلا • اى اطنك فيما فعلت تحكى الفرزدقا •

وكقوله واثر الجلدة صيرة فى الكف اذا استقرا قال ما رأت اجر كلكل ناقة حتى رأيت اثر كلكل ناقتى

وكقوله • وملحة العذل تحسبانى • بالجهل اترك صحبة الشطار • وقد استعمل لفظه الشاطر والشاطرة
والشطار والشطارة كثيرا وهى من الالفاظ التى ابتذلتها العامة حتى سمت من اراد لها • وهذه الامثله تمنع الواقف
عليها من استعمال اشباهها وامثالها • ومن اوصافا لكلمة **ان لا تكون مشتركة** بين معنيين احدهما يكره ذكره فاذا
وردت وهى غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت وذلك اذا كانت مهملة بغير قرينه تميز معناها عن القبيح فاما اذا
جاءت ومعها قرينة فانها لا تكره كقوله تعالى • الذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه
اولئك هم المفلحون • الا ترى ان لفظ النور لفظه مشتركة مطلقة على التعظيم والاكرام وعلى الضرب الذى هو دون الحد
وذلك نوع من الهوان وانما معنيان ضدان فحيث وردت فى هذه الاية جامعها قران من قبلها ومن بعدها فخصصت
معناها بالحسن وميزته عن القبيح ولو وردت مهملة بغير قرينة واريد بها المعنى الحسن لسبق الى الوهم ما اشتملت
عليه من المعنى القبيح مثال ذلك لو قال قائل لقيت فلانا فعزرته لسبق الى الفهم انه ضربه واهانه ولو قال لقيت
فلانا فاكرمته وعزرته لعرف من ذلك اللبس • واعلم انه قد جاء من الكلام ما معه قرينة اوجبت قبحه ولو لم يجئ معه لما
استقبح كقول الشريف الرضى • اعزز على بان اراك وقد خلا • عرابيك مقاعد العواد • وذكر ابن سنان
الخفاجى فى كتابه فقال ان ايراد هذه اللفظة فى هذا الموضع صحيح الا انه موافق لما يكره ذكره ومثل هذا الشعر لا يسما

ملحة

وقد اضافه الى مر يحتمل اضافة اليه وايم العواد ولو انفرد لكان الامر فيه سهلا فان الاضافه الى مذكر ففيها قبح لا خفا
به هذا حكاية كلامه وهو مرضى واقع فى موقعه • ولنذكر ما عندنا فى ذلك فنقول قد جاءت هذه اللفظه المعيبه
فى الشعر فى القرآن الكريم مجاءت حسنه مرضيه وهى قوله تعوذ عدوت مرا هلك تبوى المومنين مقاعد للقتال وكذلك
قوله تعوذ وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الا ترى انها فى هاتين الايتين غير مضافه الى مر يقبح اضافته اليه كما جاءت فى
الشعر ولو قال الشاعر لا مر مقاعد العواد مقاعد الزناء او ما جرى مجراها لذهب ذلك بالقبح وزالت تلك المعجنه ولهذا
جاءت هذه اللفظة فى الاستين على ما تراه من الحسن وجاءت على ما تراه من القبح فى قول الشريف الرضى وعلى هذا ورد قول
تابط شرا • اقول للحمان وقد صفرت لهم • وطاى ونومى صنتو الجر معور • فانه اضاف الى الموم فازال عنه بجعنه
الاشتباه لان الجر يطلق على كل ثقب كبيت الحيه والربوع وعلى المحل المخصوص من الحيوان فاذا ورد مهملا بغير قرينة تخصصه
سبق الى الوهم ما يقبح ذكره لاشتهاره دون غيره • ومر هنا ورد قول البنى الموم للمسيح مرجحا مرتين • وحيث قال
يلسعنى زال اللبس لان للمسيح لا تكون الحيه او غيرها مر ذوات السموم • واما ما ورد مهملا بغير قرينه فقول ابى تمام
• اعطيتنى ديه القتيل وليس لى • عقل ولا حق عليك قديم • فقوله ليس لى عقل بظنه مر عقل الشئ اذا علمه ولو
قال ليس لى عليك عقل لزال اللبس • فيجب ادن على صاحب الصناعة ان يراعى كلامه مثل هذا الموضع وهو مر جمله الالفاظ
المشتركه التى يحتاج فى ايرادها الى قرينه تخصصها ضرورة • ومر اوصاف الكلمة ان تكون مؤلفه مر اقل من اثنين وان تركبا
وهو مما ذكره ابن سنان فى كتابه ثم مثله بقول ابى الطيب • ان الكرام بلا كرم منهم • مثل القلوب بلا اسويدا واتها •
وقال ان لفظه سويدا واتها طويله فلهذا قبحت ولس الامر كما ذكره فان قبح هذه اللفظه لم يكن بسبب طولها وانما هو
لانها فى نفسها قبيحه وقد كانت وهى مفرده حسنة فلما جمعت قبحت لا بسبب الطول • والدليل على ذلك انه قد ورد
فى القرآن الكريم الفاظ طوال وهى مع ذلك حسنة كقوله تعو فسلكيهم الله فان هذه اللفظه تسعه احرف وكقوله
لمستخلفنهم فى الارض فان هذه اللفظه عشر احرف وكلتا هما حسنه رائقه ولو كان الطول مما يوجب قبحا لقبحت
هاتان اللفظتان وليس كذلك الا ترى انه لو اسقط مر لفظه سويدا واتها الها ولا لف التنين هما عوض عر الاضافه
لبقى منها ثمانيه احرف ومع هذا فانها قبيحه ولفظة لمستخلفنهم عشرة احرف وهى اطول منها بحرفين ومع هذا فالها
حسنه رائقه والاصل فى هذا الباب ما ذكره وهو ان الاصول مر الالفاظ للحسن الا فى الثلاثى وفى بعض الرباعى
كقولنا عدس وعسجد فان هاتين اللفظتين احداهما ثلاثيه والاخرى رباعيه واما الخماسى مر الاصول فانه قبيح ولا يكاد يوجد
منه شئ حسن كقولنا صهصلق وجحمرش وما جرى مجراهما • وكان ينبغى على ما ذكره ابن سنان ان تكون هاتان اللفظتان
حسنتين واللفظتان الواردتان فى القرآن قبيحتين لان تلك تسعة احرف وعشر وهاتين خمسة وخمسة وترى الامر
بالضد مما ذكره ولهذا لا يعتبر فيه طول ولا قصر وانما يعتبر نظم تالف الحروف بعضها مع بعض وقد تقدم الكلام على
على ذلك ولهذا لا يوجد فى القرآن الخماسى الاصول شئ الا ما كان مر اسم بنى عرب اسمه ولم يكر فى الاصل عربيا كحوابر هيم
واسمعيل • ومما يدخل فى هذا الباب ان يجتنب الالفاظ المولفه مر حروف تثقل النطق بها سواء كانت طويله او قصيره
ومثال ذلك قول امرئ القيس فى قصيدته اللاميه التى مر جمله القصائد السبع الطوال فقال
• غدائره مستشزرات الى العلى • تضل المدارى فى مثنى ومرسل • فلفظه مستشزرات مما يقبح استعمالها لانها
ثقيل على اللسان وتشق النطق بها وان لم تكر طويله لانا لو قلنا مستكرات او مستنفرات على وزن مستشزرات لما
كان بها تين اللفظتين مر ثقل ولا كراهة • وانما اعترض بعض الجهال فى هذا الموضع وقال ان كراهه هذه اللفظة انما هو

لطولها

لطولها وليس الامر كذلك فانا لو حذفنا منها الالف والتا وقلنا مستشزر لكان ثقيلا ايضا وسببه ان السين
قبلها وبعدها زاى فتثقل النطق بها والا فلو جعلنا عوضا مر الزاى فا فقلنا مسدشرف لزال ذلك الثقل • ولقد
رانى بعض الناس وانا اعيب على امرئ القيس هذه اللفظة المشار اليها فانكر ذلك لوقوفه مع شبهه التقليد فى
ان امرأ القيس اشعر الشعراء فعجبت مر تباطه بمثل هذه الشبهة الضعيفه وقلت له لا تمنع احسان امرئ
القيس مر استقباح ماله مر القبيح ومثال ذلك كمثال غزال المسك فانه يخرج منه المسك والبعر ولا تمنع طيب
ما يخرج مر مسكه مر خبث ما يخرج مر بعره ولا تكون لذاذه ذلك الطيب حاميه للخبيث مر الاستكراه فاسكت الرجل عند
ذلك • وحضر عندى فى بعض الايام رجل مر اليهود وكنت اذ ذاك بالديار المصريه وكان للهود فى هذا الرجل اعتقاد
لما كان علمه فى دينهم وغيره وكان لعمرى كذلك فجرى ذكر اللغات وان اللغه العربيه هى سيده اللغات والها
اشرفهن مكانا واحسنهن وضعا فقال ذلك الرجل كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخرا وصفت الفصيح مر اللغات
قبلها واخذت الحسن ثمان واضعها تصرف فى جميع اللغات السالفه فاختصرها اختصارا وحذفت ما خف
مر ذلك اسما الجمل فانه عندنا فى اللسان العربى كوميل على وزن فوعيل فجاء واضع اللغه العربيه وحذف هذا
الثقل المستبشع وقال اجعل فصار خفيفا حسنا وكذلك فعل فى كذا وكذا وذكر اشيا كثيره • ولقد صدق فى
الذى ذكره وهو كلام عالم به • ومر اوصاف الكلمة ان تكون مبنيه مر حركات خفيفه لتخف النطق بها وهذا الوصف
مرتب على ما قبله مر تالف الكلمة ولهذا اذا توالى حركتان فى كلمه واحدة لم تستقل وكلما وقعت تلك الحركات
المتقابلة اذا توالى منها حركتان فى كلمة واحدة استثقلت ومر اجل ذلك استثقلت الضمه على الواو والكسره على الياء
لان الضمة مر جنس الواو والكسرة مر جنس الياء وكمر عند ذلك كانها حركتان تثقلتان ولهذا مثالا
لهتدى به فى هذا الموضع وهو انا نقول اذا اردنا لفظة مؤلفه مر ثلثه احرف وهى حَ رَ عَ فاذا جعلنا الجيم مضمومه
فقلنا الجرع او مكسورة فقلنا الجرع كان ذلك احسن مر ان لو جعلنا الجيم مضمومه فقلنا الحرع • وكذلك
اذا والينا حركه الفتح فقلنا الحرع كان ذلك احسن مر موالاته حركة الضم عند قولنا الحرع • ومر المعلوم ان هذه
اللفظه لم يكن اختلاف حركاتها مغيرا لمخارج حروفها حتى ينسب ذلك الى اختلاف الالف المخارج بل وجدنا هاتا
تكتسى حسنا او قبحا بسبب ذلك الحسن عنها فعلمنا ان ذلك حادث عر اختلاف الالف حركاتها • واعلم انه قد
توالت حركة الضم فى بعض الالفاظ ولم يحدث فيه كراهه ولا ثقلا كقوله تعو لقد انذرهم بطشتنا فتماروا
بالنذر وكقوله تعو ان المجرمين فى ضلال وسعر وكقوله تعو وكل شئ فعلوه فى الزبر وحركة الضم فى هذه الالفاظ متوالية
وليس لها ثقل ولا كراهه وكذلك ورد قول ابى تمام • نفس تجنشه نفس • ووقوع ليس يحتبس •
• ومغان للكرى دثر • عطل مر عهده درس • شهرت ما كنت اكتمه • ناطقات بالهوى خرس •
فانظر كيف جاءت هذه الالفاظ الاربعه مضمومات كلها وهى مع ذلك حسنه لا ثقل لها ولا تنبو السمع عنها
وهذا لا نقض ما اشرنا اليه لان الغالب ان تكون الى حركه الضم مستثقلا فاذا اشذ عر ذلك شئ يسير لا ينقض
الاصل المقيس عليه • القسم الثانى فى الالفاظ المركبة قد قدمنا القول فى شرح احوال اللفظ
المفرده وما يختص بها واما اذا صارت مركبة فان تركيبها حكما اخر وذلك انه يحدث عنه مر فوائد لما لم تكن
ولا مترجات ما يخيل للسامع ان هذه الالفاظ لست تلك التى كانت مفرده ومثال ذلك كمن احد لاعلى ليست
مر دوات القيم الغالبيه فالفها واحسن الوضع فى تالفها فخيل للناظر الحسن بالفه واتقان صنعته انها ليست

تلك التي كانت منثورة مبددة وفي عكس ذلك من يأخذ لآلئ من ذوات القيم الغالية فيفسد تأليفها فانه يضيع من حسنها وكذلك
يجري حكم الالفاظ الغالية مع فساد التأليف وهذا موضع شريف ينبغي الالتفات اليه والعناية به • واعلم ان
صناعة تأليف الالفاظ تنقسم الى ثمانية انواع هي السجع ويختص بالكلام المنثور والتصريع ويختص بالكلام المنظوم
وهو داخل في باب السجع لانه في الكلام المنظوم كالسجع في الكلام المنثور والتجنيس وهو يعم القسمين جميعا والترصيع
وهو يعم القسمين ايضا جميعا ولزوم ما لا يلزم وهو يعم القسمين ايضا والموازنة ويختص بالكلام المنثور واختلاف
صيغ الالفاظ وهو يعم القسمين جميعا وبيان الالفاظ وهو يعم القسمين جميعا وتكرير الحروف وهو يعم القسمين
جميعا **القسم الاول في السجع** وحده ان يقال هو تواطؤ الفواصل من الكلام المنثور على حرف واحد وقد ذمه
بعض اصحابنا من ارباب هذه الصناعة ولا ارى لذلك وجها سوى عجزهم ان يأتوا به والا فلو كان مذموما لما ورد في
القرآن الكريم فانه قد اتى منه بالكثير حتى انه ليأتي بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما
وبالجملة فلم يخل منه سورة من السور • فمن ذلك قوله تعالى ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون
وليا ولا نصيرا وكقوله تعالى في سورة طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات
العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه
يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى • وكذلك قوله تعالى في سورة ق بل كذبوا بالحق لما جاءهم
فهم في امر مريج افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج • وكقوله تعالى والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات
صبحا فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا وامثال ذلك كثيرة • وقد ورد على هذا الاسلوب من كلام النبي ص شيء كثير
فمن ذلك ما رواه ابن مسعود قال قال رسول الله ص استحيوا من الله حق الحياء قلنا انا نستحيي من الله يا رسول الله قال ليس
ذلك ولكن الاستحياء من الله ان تحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن اراد الآخرة
ترك زينة الحيوة الدنيا • ومن ذلك ما رواه عبد الله بن سلام فقال لما قدم رسول الله ص المدينة انجفل الناس قبله وقيل
قدم رسول الله ص فجئت في الناس لانظر اليه فلما تبينت وجهه علمت انه ليس بوجه كذاب فكان اول شيء تكلم به ان
قال ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام • فان قيل
ان النبي ص قال لبعضهم منكرا عليه وقد كلمه بكلام مسجوع اسجعا كسجع الكهان ولولا ان السجع مكروه لما انكره
النبي ص الجواب عن ذلك انا نقول لو كره النبي ص السجع مطلقا لقال اسجعا ثم سكت وكان المعنى يدل على
انكار هذا الفعل لم كان فلما قال اسجعا كسجع الكهان صار المعنى معلقا على امر آخر وهو ان انكار الفعل لم كان
على هذا الوجه فعلم انه انما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان لا غير وانه لم يذم السجع على الاطلاق وقد ورد
به القرآن الكريم وهو ص قد نطق به في كثير من كلامه حتى انه قد غير الكلمة عن وجهها اتباعا لها باخواتها من اجل السجع فقال
لابن ابنته عليهما السلام اعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة وانما اراد ملمة لان الاصل فيها من الم فهو ملم وكذلك
قوله ص ارجعن مأزورات غير مأجورات وانما اراد موزورات من الوزر فقال مأزورات لمكان مأجورات طلبا
للتوازن والسجع وهذا مما يدلك على فضيلة السجع على ان هذا الحديث النبوي الذي يتضمن انكار سجع الكهان
عندي فيه نظر فان الوهم يسبق الى انكاره ويقال فما سجع الكهان الذي يعلق الانكار به ونهى عنه رسول
الله ص والجواب عن ذلك ان النهي لم يكن عن السجع نفسه وانما النهي عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع الا ترى

انه

انه لما امر رسول الله ص في الجنين بغرة عبد او امة قال الرجل آدي من لا شرب ولا اكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك
يطل فقال رسول الله ص اسجعا كسجع الكهان اي اتبع سجعا كسجع الكهان وكذلك كان الكهنة كلهم فانهم كانوا
اذا سئلوا عن امر اجابوا بالكلام المسجوع كما فعل الكاهن في قصة هند بنت عتبة فانه قال لما امتحن قبل السؤال عن
قصتها • ثمرة في كمرة فقيل له نريد ابين من هذا فقال حبة بر في احليل مهر والحكاية مشهورة • فلهذا اختصرنا
ههنا وكذلك قال سطيح فانه قال عبد المسيح جاء الى سطيح وهو موف على الضريح لرؤيا الموبذان وارتجاس الايوان
واتم الكلام الى آخره مسجوعا والحكاية مشهورة ايضا فلهذا اختصرناها فالسجع اذن ليس بمنهي عنه وانما المنهي عنه
الحكم المتبوع في قول الكاهن فقال رسول الله ص اسجعا كسجع الكهان اي احكما كحكم الكهان والا فالسجع الذي اتى
به ذلك الرجل لا باس به لانه قال آدي من لا شرب ولا اكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك يطل وهذا كلام حسن من
حيث السجع وليس بمنكور لنفسه وانما المنكور هو الحكم الذي يتضمنه في امتناع الكاهن ان يدي الجنين بغرة عبد او
امة • واعلم ان الاصل في السجع انما هو الاعتدال في مقاطع الكلام والاعتدال مطلوب في جميع الاشياء
والنفس تميل اليه بالطبع ومع هذا فليس الوقوف في السجع عند الاعتدال فقط ولا عند تواطؤ الفواصل على
حرف واحد فقط اذ لو كان ذلك هو المراد من السجع لكان ادنى ادب من الادباء شجاعا وما من احد منهم ولو شيئا يسيرا
من الادب الا ويمكنه ان يؤلف الفاظا مسجوعة ويأتي بها في كلامه بل ينبغي ان تكون الالفاظ المسجوعة حلوة حادة
طنانة رنانة لا غثة ولا باردة واعني بقولي غثة باردة ان صاحبها يصرف نظره الى السجع نفسه من غير نظر الى
مفردات الالفاظ المسجوعة وما يشترط لها من الحسن ولا الى تركيبها وما يشترط له من الحسن فهو في الذي يأتي به
من الالفاظ المسجوعة كمن ينقش اثوابا من الكرسف او ينظم عقدا من الخزف الملون وهذا مقام تزل عنه الاقدام ولا
يستطيعه الا الواحد من ارباب هذا الفن بعد الواحد ومن اجل ذلك كان اربابه قليلا فاذا صفا الكلام المسجوع من
العثاثة والبرد فان وراء ذلك مطلوبا آخر وهو ان يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى لا ان يكون المعنى فيه تابعا للفظ
فانه يجيء عند ذلك كظاهر مموه على باطن مشوه ويكون مثاله كمثال عمد من ذهب على نصل من خشب وكذلك يجري الحكم
في الانواع الباقية اللاتي ذكرها من التجنيس والترصيع وغيرهما وسأبين لك في هذا مثالا يتبعه فاقول اذا
تصورت في نفسك معنى من المعاني ثم اردت ان تصوغه بلفظ مسجوع ولم يوائك ذلك الا بزيادة في ذلك اللفظ
او نقصان منه ولا يكون محتاجا الى الزيادة ولا الى النقص وانما تفعل ذلك لان المعنى الذي قصدته يحتاج الى لفظ
يدل عليه واذا دللت عليه بذلك اللفظ لا يكون مسجوعا الا ان تضيف اليه شيئا آخر او تنقص منه فاذا فعلت ذلك
فانه هو الذي يذم من السجع ويستقبح لما فيه من التكلف والتعسف واما اذا كان محمولا على الطبع غير متكلف فانه
يجيء في غاية الحسن وهو اعلى درجات الكلام فاذا تهيأ للكاتب ان يأتي به في كتابته كلها على هذه الشريطة فانه يكون
قد ملك رقاب الكلم يستعبد كرائمها ويستولد عقائمها وفي مثل ذلك فليتنافس وعن مقامه فليتقاعس ولصاحبه
اولى يقول ابي الطيب المتنبي • انت الوحيد اذا ركبت طريقة • ومن الرديف وقد ركبت عصنفرا •
فان قيل فاذا كان السجع اعلى درجات الكلام على ما ذهبت اليه فكان ينبغي ان يأتي القرآن كله مسجوعا وليس الامر
كذلك بل منه المسجوع ومنه غير المسجوع قلت في الجواب ان اكثر القرآن مسجوع الا انه سلك به مسلك
الايجاز والاختصار والسجع لا يوافي في كل موضع من الكلام على حد الايجاز والاختصار فترك استعماله في جميع
القرآن لهذا السبب وههنا وجه آخر اقوى من الاول وهو انه قد ثبت ان المسجوع من الكلام افضل من غير المسجوع وانما

يضمن القران غير المسجوع لان ورود غير المسجوع معجزا ابلغ في باب الاعجاز من ورود المسجوع ومن اجل ذلك يضمن القران
القسمين جميعا • واعلم ان للسجع سرا هو خلاصة لمطلوبه فان عرى الكلام المسجوع منه فلا يعتد به اصلا
وهذا شيء لم ينبه عليه احد غيري وسابينه ههنا واقول فيه قولا هو ابين مما تقدم وامثل لك فيه مثالا اذا
وجدته امنت الطاعن والعاتب • وقيل في كلامك ليبلغ الشاهد الغائب • والذي اقوله في ذلك هو ان
تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير الذي اشتملت عليه اختها فان كان المعنى فيهما سوا فذلك
هو التطويل بعينه لان التطويل انما هو الدلالة على المعنى بالفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها واذا وردت سجعتان
يدلان على معنى واحد كانت احداهما كافية في الدلالة عليه وجل كلام الناس المسجوع جار عليه • واذا تاملت كتابة
المفلقين ممن تقدم كالصابي وابن العميد وابن عباد وفلان وفلان فانك ترى اكثر المسجوع عنه كذلك والاقل منه
على ما اشرت اليه اولا • ولقد تصفحت المقامات الحريرية والخطب النباتية على غرام الناس بهما واكبابهم عليهما
فوجدت الاكثر من السجع فيهما على الاسلوب الذي انكرته • والكلام المسجوع يحتاج اذن الى اربع شرائط الاولى
اختيار مفردات الالفاظ على الوجه الذي اشرت اليه فيما تقدم • الثانية اختيار التركيب على الوجه الذي اشرت
اليه ايضا فيما تقدم • الثالثة ان يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعا للمعنى لا المعنى تابعا للفظ • الرابعة
ان يكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه اختها فهذه اربع شرائط
لا بد منها وساورد ههنا من كلامي امثلة يحتذى حذوها فاني لما سلكت هذه الطريق وابيت بكلامي مسجوعا توخيت
ان يكون كل سجعة منه مختصة بمعنى غير الذي تضمنته اختها ولم اخل بذلك في مكاتبتي كلها واذا تاملتها علمت صحة ما
ذكرته • فمن ذلك ما كتبته في صدر كتاب عن بعض الملوك الى دار الخلافة وهو • الخادم واقف موقف راج هائب •
لازم بكتابه هذا وقار حاضر عن شخص غائب • موجه وجهه الى ذلك الجناب الذي يقسم فيه ارزاق العباد • ويتادب به
الزمان تادب ذوي الاستعباد • ويستمد المملوك من خدمته شرف الجدود كما يستغني بنسبها اليه عن شرف الاجداد •
ولو ملك الخادم نفسه لقصرها على خدمة قصره • واحظاها من النظر اليه ببرد العيش الذي عمرها محسوب من
عمره • وهذا القول بقوله وكل ماجد فيه حاسد • وبتامله راكع وساجد • والديوان العزيز محسود الاضراب •
وهو موطن الرغبات الذي الاغتراب اليه ليس باغتراب • وما ينافس في القرب من ابوابه الكريمة الا ذوو الهمم الكريمة •
وقد ودت الكواكب باسرها ان يكون له منادمة فضلا عن ندماني جذيمة • ومن ذلك ما كتبته من كتاب يتضمن العناية
ببعض الناس وهو • الكريم من اوجب لسائله حقا • وجعل كواذب اماله صدقا • وكان خرق العطايا منه خلقا •
ولم ير بين ذممه وبين رحمه فرقا • وكل ذلك موجود في كرم مولانا اجراه الله من فضله على وتيرة • وجعل همه على تمام
كل نقص قديرة • واوطاه من كل مجد سريرا كما بواه من كل قلب سريرة • ولا زالت يده بالمكارم جديرة • ومن الايام مجيرة
ولضرائرها من البحار والسحائب مغيرة • ولا برحت تستولد عقائم المعاني وتستجد ابنيتها حتى يشهد الناس منها
في كل يوم عقيقة او وكيرة • ومن صفات كرمه انه يسبك الاموال ماثر • ويتخذها عند السؤال ذخائر • فهي تفنى لديهم
بالانفاق • وذكرها على مرور الايام باق • ومن اربح منه صفقة وقد باع صامتا بناطق • وما هو معرض لحوادث
السرقات بما لا تصل اليه يد سارق • ومثله من عرف الدنيا فرغب عن اقتنائها • وجد في ابتناء المحامد يهدم بنائها •
وعلم ان مالها ليس عند الضنين به الا احجارا • وان غناه منها لا يزيده الا افتقارا • فهو لماله عبد يخدمه ولا
يستخدمه • وام ترضعه بسعيها ولا تفطمه • ومن ذلك ما كتبته في جواب كتاب يتضمن اباق غلام • وهو اول كتاب

ورد

للسجع

حذوته

في صدر كتاب

الاقتراب

ورد من المكتوب عنه الى المكتوب اليه فقلت • واما الاشارة الكريمة في امر الغلام الابق عن الخدمة فقد
يفر المهر من عليقه • ويطير الفراش الى حريقه • وغير بعيد ان ينبو عنه منعه • او يكبو عنه مطمعه • فرجع وقد
حمد من رجوعه ما ذمه من ذهابه • وعلم ان الغنيمة كل الغنيمة في ايابه • فما كل شجرة تحلو لذائقها • ولا كل دار ترحب
بطارقها • ومن ابق عن مولاه مغاضبا • وجانب محل احسانه الذي لم يكن له مجانبا • فانه يجد من مفارقة معاهد
الاحسان • ما يجده من مفارقة معاهد الاوطان • وهل اضل سعيا ممن دفع في صدر العافية وغدا يسال عن الاسقام
والقى الثروة من يده ومضى في طلب الاعدام • ومع هذا فان الخادم يشكره على ذنب الاباق الذي اقدم على اجتراحه •
وليس ذلك الا لانه صار سببا لانفتاح باب المكاتبة الذي لم يطمع في انفتاحه • ولا جزاء له عنده الا السعي في
اعادته الى الخدمة التي تقلب في انشائها • وهي ابر به من امه التي تقلب في احشائها • ومن فضلها انها تلقاه من
حلمها بوسيلة الشافع • ومن كرمها بالوجه الضاحك والفضل الواسع • فانظر ايها المتامل الى هذه الاسجاع
جميعها واعطها حقها من النظر حتى تعلم ان كل واحدة منها تختص بمعنى ليس في اختها التي يليها وكذلك فليكن
السجع والا فلا • وسنورد ههنا من كلام الصابي ما تراه فمن ذلك تحميده في كتاب فقال الحمد لله الذي
لا تدركه الاعين بالحاظها • ولا تحده الالسن بالفاظها • ولا تخلقه العصور بمرورها • ولا تهرمه الدهور بكرورها •
ثم انتهى الى الصلوة على النبي ص فقال لم ير للكفر اثرا الا طمسه ومحاه • ولا رسما الا ازاله وعفاه • ولا فرق بين
مرور العصور وكرور الدهور • وكذلك لا فرق بين محو الاثر واعفاء الرسم • ومن كلامه ايضا في كتاب وهو •
وقد علمت ان الدولة العباسية لم تزل على سالف الايام • وتعاقب الاعوام تعتل طورا وتصح اطوارا • وتلتاث
مرة وتستقبل مرارا • من حيث اصلها راسخ لا يتزعزع • وبنيانها ثابت لا يتضعضع • وهذه الاشجاع كلها متساوية
المعاني فان الاعتلال والالتياث والطور والمرة والرسوخ والثبات كل ذلك سوا • وكذلك ورد في جملة كتاب كتبه
عن عز الدولة بن بويه جوابا عن كتاب وصل من الامير عبد الكريم بن المطيع لله فقال • وصلني كتابه مفتتحا من الاعتزاء
الى امارة المومنين • والتقليد لامور المسلمين • بما اعراقه الزكية مجوزة لاستمراره • وارومته العلية مسوغة لاستقراره
له ولكل نجيب احد بحظ من نسبه • وضارب بسهم في منصبه • اذ كان ذلك جاريا على الاصول المعهودة والاسباب
العاقدة له من اجماع المومنين كافة • فان تعذر اجتماعهم مع انبساطهم في الارض • وانتشارهم في الطول
والعرض • فلا بد من اتفاق اشراف كل قطر وافاضله • واعيان كل صقع واماثله • وهذا الكلام كله متماثل المعاني
في اسجاعه فان امارة المومنين والتقليد لامور المسلمين سواء في المعنى وكذلك الاعراق والارومة والتحوير والتسويغ
والاشراف والافاضل والاعيان والاماثل والقطر والصقع كل ذلك سوا وعلى هذا جاء كلامه في اخر كتاب
فقال يسافر رايه وهو دان لم ينزح • ويسير تدبيره وهو ثاو لم يبرح • وكلا هذين سوا ايضا وما احسن
هذا المعنى لو قال يسافر رايه وهو دان لم ينزح • ويثخن الجراح في عدوه وسيفه في الغمد لم يبرح فانه لو قال مثل
هذا سلم من هجنة التكرار فامثال ذلك في كلام الصابي كثير • وعلى منواله نسج الصاحب بن عباد • فمن ذلك ما ذكره في
وصف مهزومين فقال طاروا واقين بظهورهم صدورهم • وباصلابهم نحورهم • وكلا المعنيين سواء •
وكذلك قوله في هذا الكتاب يصف ضيق مجال الحرب فقال مكان ضنك على الفارس والراجل ضيق على الرامح
والنابل • ومن كلامه في كتاب وهو لا تتوجه همته الى اعظم مرقوب الا طاع ودان • ولا تمتد عزيمته الى افخم مطلوب
الا كان واستكان • وكل هذا الذي ذكره شي واحد • وله من كتاب وهو • وصل كتابه جامعا من الفوائد اشدها للشكر

مضجعه

وسنورد

تستقل

التقلد

لم يجرح

استحقاقا واتمها للحمد استغراقا وتعرفت من احسان الله فيما وقره من سلامته وهناه من كرامته انفس موهوب
ومطلوب واحمد مرقوب ومخطوب وهذا كله متماثل المعاني متشابه الالفاظ وفيما اوردته ههنا مقنع
فانعم نظرك ايها الواقف على هذا الكتاب فيما بينته لك ووضعت يدك عليه حتى تعلم كيف تاتي المعاني في الالفاظ
المسجوعة والله الموفق للصواب فان قيل انك اشترطت ان يكون كل واحدة من الفقرتين في الكلام المسجوع
دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه اختها وانما اشترطت هذه الشريطة فرارا من ان يكون المعنيان شيئا واحدا
وترى قد ورد في القران لفظتان بمعنى واحد في اخر احدى الفقرتين المسجوعتين كقوله تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل انه
كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكل رسول نبي قلت في الجواب ليس هذا كالذي اشترطته انا من اختصاص
كل فقرة بمعنى غير المعنى الذي اختصت به اختها وانما هو ايراد لفظتين في اخر احدى الفقرتين بمعنى واحد وهذا لا
باس به لمكان طلب السجع الا ترى ان اكثر هذه السورة التي هي سورة مريم عليها السلم مسجوعة على حرف اليا وهذا
يجوز لطالب السجع ان ياتي به وهو خلاف ما ذكرته الا ترى ان النبي ص قد غير اللفظة عن موضعها طلبا للسجع فقال ما زورات
وانما هو موزورات وقال العين اللامة وانما هي الملمة الا انه ليس في ذلك زيادة معنى بل يفهم من لفظة ما زورات
انها قائمة مقام موزورات وكذلك يفهم من لفظة لامة انها بمعنى ملمة فالسجع قد اجيز معه تغيير وضع اللفظة
واجيز معه ان يورد لفظتان بمعنى واحد في اخر احدى الفقرتين ومع هذا فلم يجز في استعماله ان يورد فقرتان
بمعنى واحد لانه تطويل محض لا فائدة فيه وبين الذي ذكرته انت وبين الذين ذكرته انا فرق ظاهر والذي قدمته
من الامثلة المسجوعة للصابي والصاحب بن عباد ربما كانت يسيرة اتهم فيها بالتعصب ويقال اني التقطتها
التقاطا من جملة رسائلهم وقد خرجت من عهدة هذه التهمة وذاك اني وجدت للصابي تقليدا بنقابة الاشراف
العلويين ببغداد وكنت انشات تقليدا بنقابة الاشراف العلويين بالموصل وقد اوردت التقليدين ههنا
ليتاملها الناظر في كتابي هذا ويحكم بينهما ان كان عارفا ويسال عنهما العارف ان كان مقلدا وقد اوردت
تقليد الصابي اولا لانه المتقدم زمانا وفضلا وهو هذا ما عهد امير المومنين الى محمد بن الحسن بن
موسى العلوي الموسوي حين وصلته به الانساب وتاكدت له الاسباب وظهرت دلائل عقله ولبابته ووضحت
مخايل فضله ونجابته ومهد له بهاء الدولة وضياء الملة ابو نصر عضد الدولة وتاج الملة مولى امير المومنين
ما مكن له عند امير المومنين من المحل المكين ووصفه به من الحلم الرزين واشاد به فيه من رفع المنزلة وتقديم المرتبة
والتاهيل لولاية الاعمال والحمل للاعباء الثقال وحيث رغبه فيه سابقة الحسين ابيه في الخدمة والنصيحة
والمواقف المحمودة والمقامات المشهودة التي طابت بها اخباره وحسنت فيها اثاره وكان محمد متخلقا بخلائقه
وذاهبا في طرائقه علما وديانة وورعا وصيانة وعفة وامانة وشهامة وصرامة بالحظ الجزيل من الفضل الجميل
والادب الجزل والتوجه في الاهل والايقاء بالمناقب على لذاته واترابه والابراز على قرائنه واضرابه فقلده
ما كان داخلا في اعمال ابيه من نقابة نقباء الطالبيين اجمعين بمدينة السلم وسائر النواحي شرقا وغربا وبعدا وقربا
واختصه بذلك حذبا بضبعه وانافة لقدره وقضاء لحق رحمه وترفيها لابيه واشعافا له بايثاره فيه
الى امير المومنين فيما امر ودبر وبحسن العاقبة فيما قضى وامضى وما توفيق امير المومنين الا بالله عليه يتوكل
واليه ينيب امره بتقوى الله التي هي شعار المومنين وسنا الصالحين وعصمة عباد الله اجمعين وان يعتقدها
سرا وجهرا ويعتمدها قولا وفعلا وياخذ بها ويعطي ويسر بها وينوي وياتي ويذر ويورد ويصدر فانها السبب

واستخلافه عليه من النظر في المظالم وتسيير الجحيم في المواسم والله يعقب امير المومنين صح

المتين

المتين والعقل الحصين والزاد النافع يوم الحساب والمسلك المفضي الى دار الثواب وقد خص
الله اولياءه عليها وهداهم في محكم كتابه اليها فقال عز من قائل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
وامره بتلاوة كتاب الله مواظبا وبصفحه مداوما وملازما والرجوع الى احكامه فيما احل وحرم ونقض وابرم
واثاب وعاقب وباعد وقارب فقد صحح الله برهانه وحجته واوضح منهاجه ومحجته وجعله نجما في الظلمات طالعا
ونورا في المشكلات ساطعا فمن اخذ به نجا وسلم ومن عدل عنه هوى وندم قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وامره بتنزيه نفسه عما تدعو اليه الشبهات وتطلع اليه التبعات
ان يضبطها ضبط الحليم ويكفها كف الحكيم ويجعل عقله سلطانا عليها وتمييزه امرا ناهيا لها ولا يجعل
لها عذرا الى صبوة ولا هفوة ولا يطلق لها عنانا عند ثورة ولا فورة فانها امارة بالسوء منصبة الى الغي
فمن رفضها نجا ومن اتبعها هوى فالحازم متهم عند تحرك وطره واربه واهتياج غيظه ولا يدع ان يعظها
بالتسليم ويعركها عرك الاديم ويقودها الى مصالحها بالجرائم ويعتقرها عن مفارقة المآثم والمحارم كما
يعز تبذيلها ويجل برياضتها وتقويمها والمفرط في امر يطمح به اذا طمحت ويجمح به اذا جمحت ولا يلبث ان
يورده حيث لا يصدر ويلجئه الى ان يعتذر ويقيمه مقام النادم الواجم ويتنكب به سبيل الراشد السالم
واحق من تحلى بالمحاسن وتصدى لاكتساب المحامد من ضرب بمثل سهمه في نسب امير المومنين الشريف ومنصبه المنيف
واجتمع معه في ذوابة العترة الطاهرة واستظل باوراق الدوحة الفاخرة فذلك هو الذي يتضاعف له به المآثر ان اثرها
والمثالب ان اسف اليها ولا سيما من كان مندوبا بالسياسة ومترشحا للتقليد على اهله اذ ليس يفي بالصلاح لمن ولي عليه ولا
يفي باصلاح ما بين جنبيه ومن اعظم الهجنة عليه ان يامر ولا ياتمر ويزجر ولا يزدجر قال الله تعالى ذكره اتامرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وامره ان يتصفح احوال من ولي عليهم من استقراء مذاهبهم والبحث
عن بواطنهم ودخائلهم وان يعرف لمن تقدمت قدمه منهم وتظاهر فضله فيهم منزلته ويوفيه حقه ورتبته
وينتهي في اكرام جماعتهم الى الحدود التي يوجبها انسابهم واقدارهم ويقتضيها مواقعهم واخطارهم فان ذلك يلزمه
لشيئين احدهما يخصه وهو النسب الذي بينه وبينهم والاخر يعمه والمسلمين جميعا وهو قول الله جل ذكره قل لا اسالكم عليه
اجرا الا المودة في القربى فالمودة لهم الاعظام لاكابرهم والاشتمال على اصاغرهم واجب متضاعف الوجوب عليه
متاكد اللزوم له ومن كان منهم في دون تلك الطبقة من احداث لم يحتنكوا وجدعان لم يقرحوا ومجرين الى ما يزري
بانسابهم ويغض من احسابهم عذلهم ونبههم ونهاهم ووعظهم فان نزعوا واقلعوا فذاك المراد بهم والمقصد فيهم
وان اصروا وتتابعوا نالهم من العقوبة بقدر ما يكف ويردع فان نفعوا لا يجاوزه الى ما يلذع ويوجع من غير تطريق لاعراضهم
ولا امتهان لاحسابهم فان الغرض منهم الصيانة لا الاهانة والاذالة لا الاذالة واذا وجبت عليهم الحقوق او
تعلقت بهم دواعي الخصوم قادهم الى الاعفاء بما يصح منها ويجب الخروج الى سنن الحق فيما تشتبه وتلتبس ومتى
لزمتهم الحدود اقامها عليهم بحسب ما امر الله فيها بعد ان تثبت الجرائم وتصح وتبين وتتضح وتتجرد عن الشك وتتخلى
من الظن والتهمة فان الذي يستحب في حدود الله عز وجل ان تدرا عن عباده مع نقصان اليقين والصحة وان تمضي
عليهم مع قيام الدليل والبينة قال الله عز وجل ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وامره بحياطة اهل النسب
الاطهر والشرف الافخر عن ان تدعيه الادعياء او يدخل فيه الدخلاء ومن انتمى اليه كاذبا وانتحله باطلا ولم يوجد له بيت
في الشجرة ولا مصداق عند النسابين المهرة اوقع به كذبه وفسقه وشهره شهرة ينكشف بها غشه ولبسه وينزع

انفوا

بالشكيم

وتاويبها

بلغ

من

المعروفه باللطف المتصونه عن التلطف وبجعل لهم من الارتزاق الكفاية والاجرة الوافيه ما يصدهم عن
المكاسب الدنيه والماء كل الوخيمه فليس يجب عليهم الجهد الامع اعطاء الحاجه فالله تعروان ليس للانسان
الا ماسعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وامره ان يكتب لمن يقوم بسته عنده ويتكشف له
حجته الى اصحاب المعاون ما لشده على يده ويصل الحقه اليه وحسم الطمع الكاذب وقبض اليد الطالمه عنه اذ
هم مندوبون للتصرف بامره ونهيه والوقوف عند رسمه وحده هذا عهدنا من المومنين اليك وحجتنا عليك
فدابان منه سبيلك واوضح دليلك وهداك لرشدك وجعلك على بينه من امرك فاعمل به ولا تخالفه واسئله ولا
تحاوزه وان عرض لك عارض يعجزك الوفا به وتبينه عليه الخروج منه الهيته الى امير المومنين مبادرا وكنت الى
مريامرك به صابرا ان شاء الله وهذا التقليد الذى انشانه انا فقد اوردته بعد هذا التقليد وهو
اما بعد فان كل كلام لا يبدا فيه بحمد الله فهو اجذم وكل كتاب لا يرقم باسمه فليس بمعلم وعلى هذا فان حمده
منزل من الكلام منزله الاعضاء من الاجسام واسمه بمنزل من الكتاب منزله الرقوم من الثياب وقد جمعنا في كتابنا
هذا بين التسمية والتحميد وجعلنا احدهما مفتاحا للثاني والاخر سببا للمزيد ثم اردفنا هما بالصلوة على سيدنا محمد
الذى ايده الله بالقرآن المجيد وجعل شهادته قبل كل شهيد وعلى اله وصحبه الذين هدوا الى الطيب من القول وهدوا
الى صراط الحميد ومما يقترن بهذه الصلوة في ثوابها ويحسن في اعقابها النظر في امر الاسرة النبوية التي وصل الله
بوده وجعلها احد الثقلين المخلفين من بعده وقد تقادم الان زمانها وتشعبت اغصانها ونسي ما لها في الرقاب من
مرعهدة الامانة ولم يوضع فيما وضعها الله ورسوله من المكانة واولى الناس بها من اضر ولاها حقا واحبان يرد
معها الحوض حيران قال الوارده سحقا وكان ممن بحث يده منها بارا رفقا حتى لا يسأله قرا ولا رفقا ويحرز جوان نفوز
بفضيلة هذه الحسنة وان يسبق الها سبق المقرب في الجمعه بدنه ومن اهم امورها ان نختار له رعيه من اف بها
رافه الوالد بولده ويقوم بامرها قيام الراس الحسده حتى يالف اصولها كلها في مغرسها ولا تحكم عليها من ليس من انفسها
وقد اخترنا لها من وقفنا احتياره واخذنا فيه ببيان الراي وحرمه لا شبهه الهوى واغتراره ولو لم يكن من
الفوم الدين ولوها لكان استحقاقه لها منا والتعويل عليه متعينا فكلف وقدمه فيها قدمه السلاد
ووراثته اياها عن سياده الجدود وسوده الاجداد وهو انت ايها السيد الاجل الحسب النسيب ولان بن
فلان الحسيني ولو شئنا لاسندنا هذه النسبه كابرا عن كابر ونضدناها اخرا بعد اول قبل اخر حتى
وصلنا هذا الفرع بشجرة الطيبه وهذا القطر بسحابة الصيبه وشرف الانساب اصدقه ما كان لدهره شهدا
واجده ما كان قدما واخلقه ما كان جديدا وما تولى الروح الامين مدحه قرانا اكرم مما تولى الشعرا مدحه
قصدا ولا فضل للمعترى الى هذا النسب حتى يلحق البنوة بالابوة ويضيف درجه الفضله الى محتد النبوة
وح يقال لها اقرب هذا الشبه على قدم عهده وهذا ماء الورد بعد ذهاب ورده وانت ذلك الرجل الذى مرده
الشرف في مناسبه مرد القمر في منازله وزهى المجد بمناقبه زهو الروض في خمائله فلا آحسبك تعتنى بسوال
مرومها وتملا بودك وجدك قلبا وفما والحسب ما حفظت واحرز اوائله واوصحت الليالى والايام دلائله واوقرت
به الاعباء فجاوزت فضائله وهذه هى المآثر التى اذا نطقت عارت الشعرى علمها من الشعر واذا نثرت وحدت في محكم
الذكر وانت صاحبها وابن صاحبها ومن لم يوتها عن اباعد هابل عن اقاربها ولو جانبت رياستها مصانعا ومشيت بها الضرا
متواضعا لدل على صفها وعرف منك عرفها وقد قلدناك امر هذه الاسرة الطاهره التى هى اسرتك وامرناك

في ج
اولاد ورجد البعيد عليه
نضا مجا لا يجتبى آزلا

نها غير مرتسول له مثل ذلك نفسه وان يحصن الفروج عن مناكحة من ليس كفوءا لها في شرفها وفخرها حتى لا
تطمع في المراه الحسبيه النسيبه لامر كان مثلا لها مساويا ونظيرا موازيا فقد قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا وامره بمراعاه متنسكي اهله ومتهجديهم وصلحايهم ومجاوريهم واراملهم واصاغرهم
حتى يسد الخله مراحوالهم ويدر المواد عنهم وتعادل اقساطهم فيما يصل اليهم من وجوه اموالهم وان يزوج الايامى
ويربى اليتامى وليراعهم المكاتب فيتلقنوا القرآن ويعرفوا فرائض الاسلام والايمان ويتادبوا بالاداب اللائقه
بذوى الاحساب فان شرف الاعراق محتاج الى شرف الاخلاق ولا حمد لمن شرف حسبه وتخفض ادبه اذكان لو اكتسب
الفخر الحاصل بفضل سعى ولا طلب ولا احتهاد لم يضع لسله ومزيه في المنه عليه وحسبه ذلك لزوم ما يلزمه
من شكره كمنه على هذه العطيه والاعتداد بما فيها من المزيه واعمال النفس في حيازه الفضايل والمناقب والترفع عن
الرذايل والمثالب وامره باجمال النيابه عن شيخنا الحسن بن موسى فيما امره امير المومنين باستخلافه عليه من النظر
في المظالم والاخذ للمظلوم وان يجلس للمترافعين جلوسا عاما ويتامل كلا منهم تاملا تاما فما كان منها متعلقا بالحكم
رده الله ليحمل الخصوم عليه وما كان من طريقه الغشم والظلم والتعلب والغصب قبض عنه الدا لمبطله وثبت فيه
الدا المستحقه ويحرى في قضاياه ان يكون موافقه للعدل ومجانبه للخذل فان عادى الحاكم وصاحب المظالم واحد وهو
اقامة الحق ونصرته وابانته واثارته واما يختلف سبيلاها في التراد كان الحاكم يعمل لما بانت عنده وظهر وصاحب
المظالم يفحص عما غمض واستتر وليس له مع ذلك ان يرد لحاكم حكومه ولا يعارله قضيه ولا يتعقب ما ينفذه ويمضيه
ولا يسع ما حكم به ويقضيه ولتشهد به وتوفقه وتسدده وترشده وامره ان يستير بحسن بنت لله عز وجل في
مقصدهم وحكمهم في بدئهم وعودهم ويبرتبهم في مسرحهم ومسلكهم ويراعيهم في ليلهم ونهاريهم حتى لا يناهم شده ولا تصل
اليهم مشقه وان يرتبهم في المنازل ويوردهم المناهل ويناوب بينهم في النهل والعلل ويمكنهم من الارتواء ولا يكلفهم تحمل
في الصيانه لهم ومعذرا في الذب عنهم ومتلوما على متاخرهم ومتخلفهم ومنهضا للضيعف منهم ومهيضهم فانهم حجاج بيت الله
الحرام وزوار قبر رسوله عليه الصلوة والسلام قد هجروا الاهل والاوطان وفارقوا الجمره والاخوان وكشموا المغارم
الثقال وتعسفوا السهوله والحبال يلتمسون دعاء الله ويطمعون ان يعود ون فرضه ويرجون ثوابه وحقيق على
المسلمين ان يحرسهم متبرعا وكوطهم متطوعا فكلف مرعاية ذلك وضمنه وتقلده واعسفه قال الله سبحانه لله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا وامره ان يراعى امور المساجد عندنه للسلم واطرافها واقطارها واكنافها وان يجرى امورها وقوفها
ويستقصى جميع حقوقها وان يلم شعثها ويسد خللها مما يحصل من هذه الوجوه قبل الاخلال ومن رسم جرى فيها ولا ينقص
عادة كانت لها وان يكتب اسم امير المومنين على ما يعمره منها ويذكر اسمه بعده بان عمارتها جرت على يديه وصلاحه
اداه قول امير المومنين في ذلك تنويها باسمه واشاعه لذكره وان يولى ذلك من قبله من حسنت امانته وظهرت عفته
وصيانته فقد قال عز من قائل انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا
الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وامره ان يستخلف على ما يرى استخلافه عليه من هذه الاعمال في الامصار
النائيه والنائيه والبلاد القريبه والبعيده من يثق به من صلحاء الرجال وذوى الوفاء والاستقلال وان يعهد اليهم
مثل الذى عهد اليه ويعتمد عليهم في مثل ما اعتمد عليه ويستقصى في ذلك آثارهم وتتعرف اخبارهم فمن وجده محمود
قريه ومن وجده مذموما صرفه ولم يمهله واعتاض عنه من يرتجى الامانه عنده ويكون الثقه معهوده منه وان يختار
لكتابته وحجبته والتصرف فيما قرب منه وبعد عنه من يزينه ولا يشينه وينصح له ولا يغشه ويجله ولا يبتذله من الطبقه

المعروفه

لك قصده ولناشرعه وصاحب الاحسان مرسن سُبل الاحسان ولم نرض ان ارتاك مكانه حتى امده بما لا يقصر
ما لا يمكان فاعطه مرما لنا وعلمه مرسُنتا فضا لنا ولد ولتنا مذلك ثوب جمال كما لبس زاد جدّه وعُمّر دكرُ كلما
مصت عليه مُدد الايام طار مذه ولا ملك من الدنيا لمن لم يحعل مُلكه حديثا حسنا ونشترى المحامد بماله فيجعل
لها ثمنا ومرعرف قدر الثناء جدّ في تحصيله ولو انفق الكثير في سبيله فكم مرد وله اعدمت منه فدرست آثار
معالمها ولو كانت منه مثريه لما ذهبت مع بقا مكارمها واذ ذكرنا هذا فلنختمه بما لا يكون قلادة لصاحب
هذا التقليد وهو ان يجرد العناية توجاهته حتى يلبس تقدّما مذلك التجريد ونحوى ذلك ان يعلم الناس ما له في
الدوله مرمنزله الكرامة ويعرفوا انه فيها ابن جلا غرمحتاج الى وضع العمامة ونحن مرنوابنا وولاتنا واصحابنا
ان يوفوه حق نوبته الشريفة وفضيلته التي رُدّ فيها فاضحت وهي لها رداء نفيه وان يعطوه ما شا مرا علا شانه
ويمضوا فعل يده وقول لسانه ان شا الله تعالى وقد وحدت للضابي انضر تقليدا انشاه لفخر الدوله ابي الحسين
ابن ركن الدوله ابي علي رُوَيْبَع الخليفه الطايع رحمه الله وهو مثبت ههنا على صورته وكان عرض على تقليد كتب
للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب مر الخليفه المستضي بامر الله رحمه الله سنه احدى وتسعين وخمسمائه فوجد
فيه كلامًا نا زلا المرّة وسالني بعض الاخوان ممدينة الموصل ان اعارضه فعارضته بتقليد انشاه ههنا وكلا التقليدين باسم ملك كبير وفيهما نظير ما نظير مرفصاحه وبلاغه **فاما التقليد الذي انشاه**
الضابي فهو هذا عهد عبد لسر عبدا لكريم الطايع لله امير المومنين الى فخر الدوله ابي الحسن بن ركن الدوله
ابي علي مولى امير المومنين جبر عرف غناه وبلاه واستصح دينه ويقينه وديمي قديمه وحديثه واستنجح عوده وبداه
واثنى عز الدوله ابو منصور بن معز الدولة ابي الحسين مولى امير المومنين عليه واشا ربالمزيد الصنيعه اليه
واعلم امير المومنين اقتداه به في كل مذهب هو فيه مرالخدمه وعرض رعي اليه مرالنصيحه دخولا في زمره الاولياء المنصوح
وخروجا عن جماعة الاعداء المبجوح ومتصرفا على موجبات البيعه التي هي بعز الدوله الى منصور منوطه وعلى سايرما تشتمل وتتبعه ماخوذه مشروطه **فقلده** الصلوة واعمال الحرب والمعاون والاحداث والخراج والاعشار
والضياع والجهبذه والصدقات والحوالي وسايروجوه الجبايات والضياع والعطا والنفقه في الاولنا والمطالم
واسواق الرقيق والعيارة دور الضرب والطرز والحسبه بكورهما ن واستباذ والدينور وقرميسين والدينا
واعمال ادربجان وارّان والبحابين وسوقان واثقا منه باسبان اسدا متها والاستزاده مالشكر منها والتجنب
لغمطها وجحودها والتنكب لايحاشها ونفورها والتعهد لما مكن له مرالحظوه والرافي وحرس علة الاره والقرف
بما نظهره ويضمره مرالوفا الصحيح والولا الصريح والغث للامين والصدر السليم والمقاطعة لكل مرقطع العصمة
وفارق الجمل والمواصله لكل مرجمي البيضه واخلص النيه والكور بحت طا امير المومنين ودمته ومع عز دولته الى
منصور وفي حوزته ولتجعل اسمه تعرف للامر المومن حسن العقبى فيما ابرم ونقض وسدا في الراي فيما رفع
وحفض وبجعل غزائمه مقرونه بالسلامه محبوبه عن موارد الندامه وحسب امير المومنين الله ونعم الوكيل امن
شقوى لله التي هي العصمه المتينه والجنه والطود الارفع والمعاذ المنيع والجانب الاعز والملجا الاحرز وان
يستسر هاسرا وجهرا ويستعملها قولا وفعلا ويتخذها ذخرا فاقعًا لنوايب القدر وكهفا حاميا مرحوادث الغير
فانها اوجب الوسايل واقرب الذرايع واعودها على العبد بصالحه وادعاها الى كل منا جحه وانها بالاستمرار
على هدايته والنجاة مرعوايته والسلامة في دنياه حير توبق موبقاتها وتردى مُرديا تها وفي احرزه حين تروع رايعاتها

عليها واحرزها امريك فتولها تولي مرحفض لها جناحه وافاض عليها سماحه وامضى فيها عدقه ورواحه حتى يقال
انك الراعي الذي تناول ثلثه فاراح جسرها وجبر كسيرها فاريتاك لها حصبا واورد هارفها لاغبًا واذكى كلا
كلا تها عينًا وقلبا ومرحقها عليك ان تنظر الى ذات شما لها وذات يمنها وتنصفها حوالها في امر دنياها ودينها
فاول ذلك ان تعلمها كتاب الله الذي لا تعلمه فخر الصواب وفي تلاوته مضاعفه حسني الثواب وقد مثل قاريه
بالبيت العامر وتاركه بالبيت الخراب وهو كتاب امتاز عن الكتب بنجوم التنزيل وتولى الله حفظه مر التحريف والتبديل
وافتتحه بالسبع المثاني التي لم ترنزل مثلها في التوريه ولا في الانجيل وهو موصوف بانه النور المتضايه في غيابة
الظلما والحبل الممدود مر الارض الى السماء والبحر الذي لا تستخرج لوءلوء ومرجانه الا الراسخون مر العلماء وكذلك
فجز هذه الاسرة تعلم الفضايل التي تفاوتت بها القيم وسُنتها برياضه الادب وتهذيب النفس فلا تتركها
فوضى لا تتسم احدها بسمة القدر المنسف ولا ترجع الى حسب بليد ولا الى سعي طريف وكوعاية ما عندهم الفضيله
ان تقال فلان الشريف ومرحفظ اسرة رسول الله ص ان توفي فضل بكائها وبحالف بين شان غرها مر المسيء وشانها
فلا تبتذل مجالس الولاه في انتزاع ظُلامة ولا في اقامه حد تسلب معه رداء الكرامة راعت مولى ذلك منها ما وجب عليها
مرحق تحذها ما قضاته وامض فيها حكم الله الذي امر بامضائه ولكن ذلك على وجه الرفق الذي يسلس له القياد وتتوطا
له المهاد وان امكنك اقتداء بشي مرهذه الطلامات التي توجه عليها فنا كد وقد انزل الله فضلها عند كرامها الامر كوهة
لاذاته وبمعصيه ولا اعتراضه وبحجره وهو الذي ان فاته شرف النوه في مغرسه فلم يفته شرف السوه في معشره واذا
تباينت الاقدار فلا فرق بين المناكح المحطوبه وبين الاسلاب المسلوبه فاحفظ لاسرتك حرمه هذه المنزله واجعلها
في كتاب الوصايا التي وصيت بها كان بالسمله وكما امرنا ك بالنظر في صون اقدارها فكذلك نامرك بالنظر في حفظ
مادة درهمها ودنانيرها وقد علمت ان لها اوقافا وقفها قوم فحطوا باجرها واسمها وتخطى انت بالعدل في
قسمها فاجر على كل منها رزقه واعط كل ذي حق حقه وفي الناس طايفه ادعيا ترومون الحاق الراس بالذنب والتبع
بالعرب ويخلقون ابا بالغير ابن وابنًا بالغير اب كل ذلك رغبه في سحت يا كلونه لا في نسب يوصلونه فتنقب عن حال هولاء
تنقيبًا واجعل السبب نسبًا والغريب غريبا حتى تخلص لسلالة مرطرأ قها وتبقى السحته قامعة على اعراقها ومرعلمت
كذبه فاخرجه بالبيم الازجار واعلمه انه قد تبوا مقعده مرالنار واشهره في الناس حتى ينتهي وينتهي غيره بذلك للاستبصار
وههنا وصيتين هما مرهذه الوصيه اعزا واعظم اجرا واجدر ان تكون هي الاولى وتكون هذه هي الاخرى وهي الاخذ
على السنه السفها مرالخوض فيما سجر بين ال النبي واصحابه واظهار العصبيه التي ترجح الحق عن نصابه وترجعه على اعقابه
وليس مستندها الا مغالاة ذوي الجهل وربما نشا منها فتنه والفتنه اشد مرالقتل فوكل بها ولا آغرا قاطعا وهيا قامعا
وكن في ذلك شارعًا لما كان الله شارعا قا ولئك السادات هم النجوم الذين بايهم كان لا هدا كان لا قتدا وقصارى الحسن
في هذا الزمان ان يعتلق منهم سببًا وباخذ عنهم دنا وادبا ولا سلغ مدا حدهم ولا نصيفه ولو انفق مثل احد ذهبا
وتحر بعلم انك واقف على سنن اقتصاد لك فان هذه الوصيه هي محض اعتقادك والمنصف في هذا المقام مرمقه
بنظر جلي ووفا بابكر وعمر حقهما وان كان مرنسل علي فكل قد ذكره رسول الله ص بفضله فهو لا مر الصحابه وهذا مر اهله
ونعوذ بالله لا هواء الرابغه وتلا قول التي ليست بسابغه ولا محه الا الحق ولله الحجه البالغه وجعلنا لك في
مالنا عطاء دارا تستعين به على لوازم النفقات وتخرج نافلته في وقافه عرضك التي هي محسونه مرالصدقات
فان مرساك قومًا تفتقر الى تحمل اثقالهم والافاضه مرحاله على احوالهم وهذا بر يكون منا اصله ومنك فرعه وثواب يكون

وتخيف محفاظها وان تناديا باداب الشرع المواضع والاخبات والسكنه وصدق اللهجه اذا نطق وغض الطرف اذا
رمق وكظم الغيظ اذا احفظ وضبط اللسان اذا غضب وكف اليد عن المأثم وصون النفس عن المحارم وان
تذكرا الموت الذى هو نازل به والموقف الذى هو صائر اليه وتعلم انه مسؤل عما اكتسب مجرى عما تزملوا واحتقب وتتزود
مرهنا المم لذلك المفر وتستكثر من اعمال الخير لتسفعه ومرمسا عى البرّ لتنقذه وبادرا بالصالحات قبل ان يأمرها
ويردجرع السيات قبل ان يرجر عنها ويبتدي باصلاح نفسه قبل اصلاح رعيته فلا يبعثهم على ما ماتى صدّه
ولا نهاهم عما يقترف مثله ويجعل ربه رقيبا عليه فى خلوته ومروته مانعه له من شهواته فان احق من رعل سلطان
الشهوة واولى من اضرع اعداء الحميّة من ملك ازمّة الامور واقتدر على سياسية الجمهور فكان مطاعا فيما يرى
متبعا فيما يشائ على الناس ولا يلون عليه وتقتص منهم ولا تقتصون منه فاذا اطلع الله على نقاجيبه وظهاره
-ذيله وصحة سريرته واستقامة سريرته اعانه على حفظ ما استحفظه والهضه ثقل ما حمله وجعل له محلصا
من الشبهة ومخرجا من الحيرة قال الستر ومرتق الله يجعل له مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال عز من قائل يا
ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون وقال اتقوا الله وكونوا مع الصادقين الى
اى كثير خضنا بها على اكره الخلق واسلم الطرق والسعيد من رضبها ازاء ناظره والشقى من ربذها وراء ظهره
واشقى منهما من بعث عليها وهو صادف عنها واهاب لها وهو بعيد منها وله ولامثال تقول الله تعالى اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وامره ان تحد كتاب الله اماما متبعا وطرقا تقوفا
وتكثر مرلاوته اذا خلا فكره ويملا ثنا ملته ارجاء صدره فيذهب معه فيما اباح وحظر وتقتدى اذا هى وامر
وتستبين ببيانه اذا استغلقت دونه المعضلات وتستضى بمصابيحه اذا غم عليه المشكلات فانه عروة الاسلام
الوثقى ومحجته الوسطى ودلالته المقنع وبرهانه المرشد والكاشف لظلم الخطوب والشافى من مرض القلوب
والهادى لمن ضل والمتلافى لمن زل فمن يحابه فقد فاز وسلم ومن لها عنه فقد حاب وندم قال الله وانه لكتاب عزيز
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وامره ان يحافظ على الصلوات ويدخل فيها فى حقائق
الاوقات قائما على حدودها متبعا لرسومها جامعا فيها بين نيته ولفظه متوقيا لطامح سهو ولحظة منقطعا
اليها عن كل قاطع لها مشغولا بها عن كل شاغل عنها متنيبا فى ركوعها وسجودها مستوفيا عدد مفروضها ومسنونها
موفرا عليها ذهنه صارفا اليها همه عالما بانه واقف بين يدى خالقه وراز قه ومحييه وممسته ومعاقبه ومثيبه
لا تسترد ونه خائنة الاعين وما تخفى الصدور واذا قضاها على هذه السبل مذكرة الاحرام الى خاتمة التسليم
انتهز بدعاء يرفع بارتفاعها ويستمع باستماعها لا تعدى فيه وسايل الابرار ورغائب الاخيار من استصفاح
واستغفار واسقاله واسترحام واستدعاء لمصالح الدين والدنيا وعوائد الاخرة والاولى فقد قال الشعبى الصلوة
كانت على المومنين كتابا موقوتا وقال ابراهيم الصلوة نهى عن الفحشا والمنكر وامره بالسعى فى ايام الجمع الى المساجد
الجامعة وفى الاعياد الى المصليات الضاحية بعد التقدم فى فرشها وكسوتها وجمع القوام والموذنين والمكبرين
فيها واستدعاء الناس اليها وحضهم عليها اخذين الاهبة مستظهرين بالزينة موذنين لفريضة وبالعين فى ذلك
اقصى الاستقصا معتقدين خشيته لله وخيفته مقدرين عن نقواه ومراقبته ملتمسين من مرد عائه عروجل وسواله
مصلين على محمد وعلى اله تقلوب على اليقين موقوفة وهمم الى الدين مصروفة والسن بالتقديس والتسبيح فصيحة
واعمال فى المغفرة والرحمة فسيحة فان هذه المصليات والمتعبدات بيوت الله التى فضلها ومناسكه التى شرفها

وفيها

وفيها تتلى القران ويعوذ العائذون وتتعبد المتعبدون وتتهجد المتهجدون وحقيق على المسلمين اجمعين
مراوالى ومولى ان يصونها وينعمها ويواصلها ولا يهجرها وان يفيم الدعوة على منابرها لامير المومنين ثم
لنفسه على الرسم الجارى فيها قال الله تعرج هذه الصلوة يا ايها الذين امنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وقال فى عمارة المساجد انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام
الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وامره ان يراعى احوال من يليه من
طبقات خدام المومنين ومواليه ويطلق لهم الارزاق فى اوقات الوجوب ولا استحقاق وان يحسن فى
معاملتهم ويتجمل فى استخدامهم ويتصرف فى سياستهم بين رفق من غير ضعف وخشونة من غير عنف
مثيب المحسنين ما راد بالاباه فى حسن الاثر وسلم معهم مرد واهى الاشر ومتعمد المسيئين ما كان لمعد له نافعا
وفنه ناجعا فان تكررت زلاته وتتابعت عثراته ساوله من عقوبته ما يكون له مصلحا ولغيره واعظا وان
يختص اكابرهم واماثلهم واهل الراى والخطر منهم بالمشاورة فى الملم والاطلاع على بعض المهم مستخلصا لحائز
صدورهم بالبسط والايناء ومستخلصا بصايرهم بالاكرام والاجتباء فان فى مشاورة هذه الطبقة استدلالا
على بواقع الصواب وتحرزا من غلط الاستبداد واخذا بمجامع الحزامة وامنا من مفارقة الاستقامة وقد حض الله
عزوجل على الشورى فى قوله عزوجل لرسوله عليه الصلوة والسلام وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين
وامره ان يتصدى للمتصل بنواحيه من يعور المسلمين ورباط المرابطين ويقسم لهم قسما وافرا من عنايته وينصرف
اليهم طرفا بالغا شطرا من رعايته ويخبارها اهل الجلد والنشاط وذوى البأس والنجدة ممن عجمته الخطوب وعركته
الحروب واكسبته دربته تخدع المتنازلين ويحربه مكايد المقارعين وان يستظهر بكشف عددهم واعتبار
عددهم واسباب خيلهم واستحاده اسلحتهم غير مجبر بعثا ذا العثة ولا مستكره اذا وجهه بل يناوب برجاله
مناوبة برحهم ولا يمدهم ورفهم ولا تودهم فان ذلك مرفاده للاجمام والعدل فى الاستدام زينا فسويرجا لكل الثوب
فيما عاد عليهم بعد الظفر والنصر وتعد الصيت والذكر واحراز النفع والاجر ما لحوان يكون الولاة عاملين
وللناس عليه حاملين وان يكرر فى اسماعهم وسمعه وعلوبهم مواعد الله ثم لمن صابر ورابط وسامح بالنفيس
حتى لا تقدموا على توريط غرر ولا تجمعوا عزائمهم فرصة ولا تنكصوا عن توريد معركة ولا تلقوا بايديهم الى التهلكة
فقد اخذ الله بذلك على خلقه والمرء امين عن دينه فان ربح الظلمة فيما تحتاج اليه من نفقات هذه الثغور وجاداتها
وبناء حصونها ومعاقلها واسطراق طرقها ومسالكها وافاضة الاقوات والعلوفة فيما للمرتبين بها والمترددين
اليها والحامين لها وان يذل امانة لمن طلبه ويعرضه على من لم يطلبه وينفى بالعهد اذا عاهد وبالعقد اذا عقد
عن مخفر ذمة ولا جارح امانة فقد امر الله بالوفا فقال عزوجل يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود ونهى عن النكث
فعال عز من قال ومن نكث فانما ينكث على نفسه وامره ان يعرض من عمله على خزائنهم فما كان اقرانه واجبا اقره ومكان
اطلاقه سائغا اطلقه وان ينظر فى الشرطة والاحداث نظر عدل وانصاف وبحارها من يخاف الله وتتقيه ولا
يحابى ولا يراقب فيه ويسدم الهم بقمع الجهال وردع الضلال وتتبع الاشرار وطلب الزعار مستدلين على
اماكنهم متوغلين الى مكامنهم متلطفين علمهم فى مظانهم موثقين من يحدونه منهم منفذين احكام الله فيهم بحسب الذى
يسبن من امرهم ويصح من فعلهم فى كبره اركبوها وعظيمة اجتنبوها ومهجه ان افاضوها واستهلكوها وجرمه ان اتاحوها
وانتهكوها ثم استحق حتما مرحدود الله بما المعلومة اقاموها عليه غير محفين منه واطلعوه به عن مقصر عنه لعدان لا

عقل ضعيف وجاهل يخدع فالواجب عليه ما يردعه واحوجه ما يزعه ومتى تقاعس عن حضوره مع خصمه يستند عليه
بامر يوجبه اليه فيه التوأمليتوجه الحكم عليه ودين يستقر في ذمته قاده الى ذلك نازعه الصغار وجارم
الاضطرار وان يحبسوا ومطلقوا ما قوالهم وبشتوا الاديبي الاملاك والفروج ويرعوا نقضا ما بهم فانهم اشباه
للدين تقضون وبت ما يبتون وعن كتابه وسنة نبيه يصدون ويصدرون وقد قال الله عز وجل يا داود انا
جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله
لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وان توخى ممثل هذه المعاونة عمال الخراج في استيفاء حقوق ما استعملوا عليه
واستنطاق بقاياهم فيه والرياضة لمن تشوطاعته مع معاملتهم واحضارهم طائعين وكارهين الى بين ايديهم وارداب
لله للعبد الذي تحق عليه ان يحدها ويحملها الى الرضى عنه سببا فولد نفروا بعوا نوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب وامره ان يجلس للرعية طوسا عاما وينظر في مظالمهم نظرا تاما يساوي
في الحق بين خاصتها وعامتها ويواري في المجالس بين عزيزها وذليلها وينصف المظلوم من ظالمه والمغصوب من غاصبه
بعد الفحص والتامل والبحث والتبيين حتى لا يحكم الا بعدل ولا ينطق الا بفصل ولا يستبد الا فهما واحب بينتها
فيه ولا يقضيها الا عما واجب قضيها عنه وان يسهل الاذن لحاجتهم ويرفع الحجاب بينه وبينهم ويوليهم من جهاته
الكنف ولين المتعطف ولاستمالة والعناية والصفح والرعاية ما تتعادل به اقسامهم وتساوي منه اقساطهم
ولا يصل الركين منهم الى استضامة ما خرعنه ولا ذو السلطان الى هضيمة من جاذبه وان يدعوهم الى احسن
العادات والخلائق ويحضهم على احمد المذاهب والطرائق ويحمل عنهم كلفه ويمد عليهم ظله ولا يسومهم عسفا
ولا يلحق بهم حيفا ولا يكلفهم شططا ولا يحشمهم مصلعا ولا يثقل لهم معيشة ولا يدخلهم في جرعة ولا يأخذ بريئا
بسقيم ولا حاضرا بغائب وان لا ينهى ان يزرع زرعا اخر وزراعي وجعل كل نفس رهينة بما كسبت بريء مرتكب
غيرها ويرفع عن هذه الرعية ما عسى ان يكون عليها من سنة طالمة وسلك نهج مجحفة جائرة ويستقري اثار الولاة قبله
عليها فيما رجوه من خير او شرا لها فيقر من ذلك ما طاب وحسن ويزيل ما خبث وقبح وان من عرس الخير لحظى بمعسو
ثمره ومن زرع الشر يصلى بمر وريعه والسعيد والله الطيب يحرث نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا
كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون وامره ان يصون اموال الخراج واثمان الغلات ووجوه الجبايات موفرا
ويزيد ذلك منثمرا ما استعمله من الانصاف لاهلها واجرائهم على صحيح الرسوم فيها فانه مال الله الذي رزق عباده
وحماية بلاده ودرور حلبه وانصال مدده وبه تحاط الحريم وبه تدفع العظيم وبه تحمى الذمار وتذاد الاشرار
وان يجعل افتتاحه اياه لحسن ادراك اصنافه وعند حضور مواقيته واجبانه عن مستسلف شيأ قبلها ولا
موخر لها عنها وان يحض اهل الطاعة والسلامة بالترفيه لهم واهل الاستصعاب والامتناع بالتشديد عليهم
لئلا يقع ارهاق لمذعن او اهمال لمطيع وعلى المتولي لذلك ان يضع كلا من الامر موضعه ويوقعه موقعه
متجنبا لخلال الغلط مرتابا لمواقع التفريط واعطاء القسمة من ليس من اهلها والشدة قبل وان ليس للانسان الا ما سعى
وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وامره ان يحرس عماله على الاغشاش والخراج والضياع والجوالي
من اهل اللطف والنزاهة والضبط والصيانة والحراله والشهامة وان يستطير ذلك بوصمة تعيبها اسماعهم
وعهود تنقلها اعناقهم بان لا يضيعوا حقا ولا يأكلوا سحتا ولا يستعملوا ظلما ولا يتفارقوا غشما وان يقسموا
العمارات ويحاطوا ويتحوزوا من ارتفاع حق لازم او يعطل رسم عادل من يرجع جميع ذلك الامانة محبين للخيانة

فصل ما ي

الحكم ع

والاستيضاف ل

ان يكون ع

اللطف ع

ان يضعوا

تكون عليهم في الذي ياتونه حجة ولا تعترضهم في وجوه شبهة فان المستحق في حدود الله ان تقام بالبينات وتدرأ
بالشبهات فاولى ما توخاه رعاة الرعايا فيها الا تقدموا عليها مع نقصان ولا سوقوا عنها مع قيام الدليل ومرجب
عليه القتل احتياط بما يحتاط به على مثله من الحبس الحصين والتوثق السديد وكتب الى مس المومنين بخبر وشرح جنايته
وسوتها باقراره منه او شهاده يقع عليه وليشترط مرجوابه ما يكون عمله كسبه فان مس المومنين لا تطلق سفكه ثم يعلم
او معاهدا الا ما احاط به علما او ايقنه فهما وكان ما تمضه فيه بصيره لانخالجها شك ولا يشوبها ريب ومر المرء
بتصفح من الصغائر وبصيرة من الجرائر مرحشا لم يعرف له مثلها ولم يسقد له اختها وعظه وزجره ونهاه وحذره
واستتابه واقاله ما لم يكن خصم في ذلك يطالب بقصاص منه او جزاله فان عاود ناوله ما لا يقوم به التهديد والتغرير
والتاديب مما يراه ان قد كفى فيما اجترم ووفى بما قدم فقد قال الله عز ومر بعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وامره
ان يعطل ما في عماله من الحانات والمواخير ويطهرها من القبائح والمناكير ويمنع من جمع اهل الخنا فيها ويولع شملهم
بها فانه سبب يصلحه التشتيت وجمع يحفظه التفريق ومازالت هذه المواطن الدنسة والمطارح الدنسة داعية لمن اوى
اليها ومعكفا عليها الى ترك الصلوات واهمال المفترضات وركوب المنكرات واقتراف المحظورات وهي سول الشياطين
الى عمارتها مغصبة وفي اخرابها للخير مجلبة ولسان قول لنا معشر المومنين كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتومنون والله عز وجل لنا عن مر المومنين مخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا
الشهوات فسوف يلقون غيا وامره ان يولي الحماة في هذه الاعمال اهل الكفاءة والغناء من الرجال وان يضم
الى كل مرخف ركابه واسرع عند الصريخ جوابه مرتبا لهم في المسالح وسالكا بهم ثغر المسالك وان يوصيهم بالتيقظ
واخذهم بالتحفظ وبريح عللهم في علوقه خيلهم والمقر مر ازوادهم وميرهم حتى لا يفارقوا مصافهم على البلاد وطاه وللدعوهم
الى تخيفهم وثبابهم حاجه وان يحوطوا السائله بادبه وعائده ويدروا القوافل صادره وواردة ويحرسوا
الطرق ليلا ونهارا ويعصوها راحا وغدوا وينصبوا للاهل العتب ارصادا وتكمنوا لهم بكل واد وشعب وفرقوا
عليهم حيث تكون للفرق مضيقا لفضائهم وعودا الى نفضائهم ويجتمعوا حيث تكون للاجتماع مطفيا
لجمرتهم وصادعا لمرونتهم والا يخلوا هذه السبل مرحاة لها وميارة فيها تتردد في جوادها وتعسف
في عوادها حتى يكون الدماء محقونة والاموال مصونة والفتن مخسومة والغارات مامونة ومرحصل في
ايديهم مرلص خاتل وصعلوك محارب ومخيف سبيل ومنتهك لحريم امتثل في امره امر الله المومنين الموافق
قول الله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم وامره ان يوضع
الرصد على مر يختاره في اعماله مر اباة العقد والاحساط عليهم وعلى مر يكون معهم والبحث عن الاماكن التي فارقوها
والطرق التي استطرقوها وموالهم الذين يقوا منهم ونشروا عنهم وان يريد وايم عليهم قبرا وبعيد وايم اليهم صغرا
وان ينشدوا الضالة مما امكن ان تنشد ويحفظوها على اربابها مما حازان يحفظ ويتجنبوا الامتطاء لظهورهم والانتفاع
باوبارها والبان ما يجز وحلب وان يعرفوا اللقطة ويتبعوا اثرها ويشيعوا خبرها فاذا حضر صاحبها وعلم انه
مستوجبها سلمت اليه ولم يعترض فيها عليه ولسنا عز وجل يقول ان لنا مركان نودوا الامانات الى اهلها وقول رسول
لله ص ضاله المومن حرق النار وامره ان يوصي عماله بالشد على يد الحكام وتنفيذ ما تصدر عليهم من الاحكام وان
يحضروا مجالسهم حضور الموقر لها النابين عنها المقيمين لرسوم الهيبة وحدود الطاعة فيها ومرجرح عن ذلك مزدري

عقل

وان ياخذوا هم ذتهم باستيفاء المال على تمامه واحاده نقده على عياله واستعمال الصحة في قبض ما يمضون واطلاق ما يطلقون وان يوعزوا الى سعاه الصدقات في اخذ الفرايض مراعاة مواشي المسلمين دون عاملها وكذلك الواجب فيها وان لا يجمعوا فيها متفرقا ولا يفرقوا مجتمعا ولا يدخلوا فيها خارجا عنها ولا يصفوا اليها ما ليس منها مرفحة ابل او اكوله راع او عقيله مال فاذا اجتبوها على حقها واستوفوها على رسمها اخرجوها في سبلها وقسموها على اهلها الذين ذكرهم الله في كتابه الا المولفة قلوبهم الذين ذكرهم الله في كتابه وسقط سهمهم فان الله عز وجل يقول انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمولفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم والى جباه اهل الذمة ان ياخذوا منهم الجزية على الجزم من كل سنة بحسب منازلهم في الاحوال وذات اليد بحسب اللموال وعلى الطبقات المطبقة فيها والحدود المعهودة لها وان لا ياخذوا هامر النسا ولا من لم يبلغ الحلم من الرجال ولا من مر ذي زمانة عالية ولا ذي علة بادية ولا فقير معدم ولا راهب متبتل وان راعى جماعة هولا العمال مراعاة يسرها ويظهرها ولا احطهم ملاحظة تحفيها وتبديها لئلا ازلوا عن الحق الواجب او تعدلوا عن لسنن للاجب فقد قال الله عز وجل واوفوا العهد ان العهد كان مسئولا ٥ وامره ان يندب لعرض الرجال واعطائهم وحفظ جرايانهم واوقات اطعامهم من يعرفه بالثقة في تصرفه والامانة فيما يجري على يده والبعد عن الاسفاف الى الدنيه والاتباع للدناه وان يعتنه على ضبط الرجال وكشاه الحلل ويحرها لعرض بعد الاستحقاق ويتابع الاحتياط في الانفاق فمن صح عرضه ولم يسق في نفسه شي منه مر شك يعرض له او ريبة توهمها اطلق معاملهم موفورة وحصلها والدهم غير مثلومة وان رد على بيت المال ارزاق من سقط بالموت فاه او الاخلال ناسبا ذلك الى جهته مورد له على حصته وان يطالع الرجال باحضار الخيل المختانة والالات والاشكال المستكملة على ما يوجبه مبالغ ارزاقهم وحسب منازلهم ومراتبهم فان اخر احدهم شيا من ذلك فاصبه به من رزقه واغرمه مثل قيمته فان المقصر فيه خاين للامر المومنين ومخالف لربه العالمين اذ يقول الله سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ٥ وامره ان يعتمد في اسواق الرقيق ودور الضرب والطرز والحسبة على من يجتمع من الولايات هذه الولايات من ثقة ودرانة وعلم وكفاية ومعرفة ورواية وتجربة وحنكة وحصافة ومشكلة فالها احوال تضارع الحكم وتناسبه وتدانيه وتقاربه وان يقدم الى ولاة اسواق الرقيق بها التحفظ فيمن يطالفون بيعه ويمضون امره والحذر من وقوع تخوف فيه واهمال له اذ كان ذلك عائدا بحصين الفروج وتطهير الانساب وان يعدوا عنه اهل الريبة ويقربوا اهل العفة ولا يمضوا بيعا على شبهة ولا عقدا على تهمة والى ولاة العيار تخليص عين الدرهم والدينار ليكونا مضروبين على البراءة من الغش والزاهة من المس وحسب الامام المقرر عند نه السلم وحراسة السكك من ان تناولها الايدي المرغلة وتنافلها الجهات المثلبة واما اسم امير المومنين على ما ضرب ذهبا وفضة واجراء ذلك على الرسم والسنة والى ولاة الطرز بان يحرروا الاستعمال في جميع المناسج على تم النيقة واسلم الطريقة واحكم الصنعة وافضل الصحة وان يثبتوا اسم امير المومنين على طراز الكسي والفرش والاعلام والبنود ٥ والى ولاة الحسبة تفقد احوال القوم في حرفهم ومتاجرهم ومجتمع اسواقهم ومعاملاتهم وان يعايروا المكاسل والموازين ويقروها على العدل والتكميل ومراطلوا منه على حيله او تبليس او غبن او تدليس او خش ما يوقه واستفصال فيما يستوفيه تالوم بغلظ العقوبة وعظيمها وخضوع بوجيعها واليمها واقفين في ذلك عند الحد الذي يرونه لذنبه مجازيا وفي تاديبه كافيا فقد قال الله عز وجل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ٥ هذا

عهد

عهد امير المومنين اليك وحجته عليك وقد وقفك على سواء السبيل وارشدك فيه الى واضح الدليل واوسعك تعليما وتحكيما واقنعك تعريفا وتفهيما ولم يالك جهدا فيما عصمك وعصم عبادك ولم يدخر ممكنا فيما اصلحك واصلحك ولا ترك لك عذرا في غلط تغلطه ولا طريقا الى فرط تفرطه فالغالب في الامور والزواجر الى حشد يلزم الامة ان يندبوا الناس اليه ويحثوهم عليه مقيما لك على منجيات المسالك صادفا لك عن موبقات المهالك مريحا فيك ما تسلمك في دينك ودنياك ويعود بالحط عليك في اخرتك واولاك فان عدلت وعدلت فقد فزت وغنمت وان تجانفت وعوجت فقد خسرت وندمت والاولياك عند امير المومنين مع مفرسك الزاكي ومنبتك النامي وعودك الاليف وعنصرك الاطيب ان يكون لطنته محققا ولمخيلته فيك مصدقا وان يسرعه بالاثر الجميل قربا وثوابا يوم الدين ويرتفي عند امير المومنين وثنا حسنا من المسلمين فخذ ما بيد الك امير المومنين من معاذيره وامسك سدك على ما اعطاه من مواثيقه واجعل عهده مثالا تحتذيه واماما تقتفيه واستعن بالله يعنك واستهده يهدك واخلص لله في طاعته يخلص لك الحظ من معونته ومهما اشكل عليك من خطب او اعضل عليك من صعب او برك من براهر او نهضك من براهض فاكتب الى امير المومنين منهيا وكن الى صادره عليك منتهيا ان سلم وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ٥ واما التقليد الذي انشانه انا فهو هذا

اما بعد فان امير المومنين يبدا بحمد الله الذي لا كفو لكل حظه قياما ولكل امر مهما انسا ويستزيده من نعمه التي جعلت الشكر له زادا وجعلته عبئ الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يال فيه اجتهادا وصغرت لديه امر الدنيا فاتسورت له محرابا ولا عرضت عليه جبايا وخففت فيه مولة ليركب الدار الاخرة بحملها للدين لا يريد وزر علوا في الارض ولا فسادا ثم يصلي على مر الزمان الملك لنصره امدادا واسريه الى السماء حتى لا تقي سعيا شدادا ويحلي له رتبة فلم يزغ منه بصرا ولا فوادا ثم يعده على اسرة الظاهرة التي زكت اوراقا واعوادا وورثت النور المبين تلادا ووصفت بانها احد المعلم هداية وارشادا وخصوصا عمه العباس المدعو له بان يحفظ نفسا واولادا وان يتقي كلمة الخلافة فيه خالدة للخاف دركا وللحسنا نفاذا واذا استوفى الغاية مداه من هذه المدة واستدل القول فيها بفصاحته المرسلة فانه ياخذ في اثناء هذا التقليد الذي جعل حليها لقرطاسه واستدام سجوده على صفحته حتى لم يكد يرفع مراسه ولم يدل الا الافاضة في وصف المناقب التي كثرت فحسن لها مقام الاكثار واشتبه المطول فيها بالاختصار وهي التي لا تفتقر واصفها الى القول المعاد ولا يستوعر سلوك اطواده ومراد المحب وجود السهل في سلوك الاطواد وتلك هي مناقبك ايها الملك الناصر الاجل السيد الكبير العالم العادل المجاهد المرابط صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب والدنيا العريضة تتلوها عليك بحدثا شكرك وتباهي بك ايام سوبها بذكرك وتقول انت الذي ستكفي فيكون للدولة سيفها الصاب وشهابها الثاقب وكنزها الذي يدهم الكنوز وليس بذاهب وما مرها وقد حضرت في نصرتها اذا كان عرك هو الغالب فاشكر اذن مساعيك التي اهلتك لما اهلتك وفصلك على الاولياء بما فضلتك ولئن شوركت في الولاية عقدة لا ضمار فلم يشاركك في غرتك الذي تصدر للدولة فكان له بسطة الانتصار وفرق بين من امره الله بتعظيمه ومن امر الله بتعديده في درجات الامداد وما جعل لسان القاعدين كالذي قال لو امرتنا لضربنا اكباد الى النزاء الغماء وودكفاك من المساعي انك كفيت الخلافة فلم امرها غير فيها وطمست على الدعوة الكاذبة التي كانت تدعيها ولقد مضى عليها زمن ومحراب حقها محفوف من الباطل بالمحاريب وبرات ما براه رسول الله من السوارين اللذين اولهما كذابين فيمصر منهما واحدتاه بجرجي انهارها من محنته ودعا الناس الى عماية طاغوته ولعب بالدين حتى لم يدر يوم جمعته من يوم احده ولا يوم بيعته واعانه على ذلك قوم رمى الله بصايرهم

بالعما والصمم واتخذوه صنما ولم تكن الضلالة هنالك الا بمحل او صنم فقمت اليه فوجه باطله حتى قعد وعلت
وجيده جلامر مسد وفلت ليده تبت فاصبح ولا يسعى بقدم ولا يبطش بيد وكذلك فعلت بالاخر الذى نجمت
باليمنا جمته وسامت فيه سائمته فوضع بيته موضع الكعبة اليمانية وفا إهنا هو الخلصة اليمانية واى مقاميك يعترف
الاسلام لسبقه ام ايهما يقوم باداء حقه وههنا فليصح القلم للسيف من الحساك وليقصر مكانته عن مكانته وركان له
مرلا نداد ولم يحظ هذه المزية الا لانه اصبح لك صاحبا وصحبك حتى طال فخرا كاء عاجانبا وقضى بولاتك فكان بها قاضيا
وقد قلدك امير المومنين البلاد المصرة والكمية غورا ونجدا وما اشتملت عليه رعيته وجندا وما اشتملت له اطرافها برا وبحرا
وما تستفيد من مجاورتها مسالمة وقهرا واضاف اليها بلاد الشام وما يحتوى عليه من المدن الممدنة والمراكز المحصنة
مستثنيا منها ما هو سيد نور الدين اسمعيل بن زنكى الدر محمود رحمه الله وهو حلب واعمالها فقد مضى لوجه عاما برح
الاسلام برفوع ذكره فى الذاكرين وخلفه فى عقبه الغابرين وولده هنا فاد وهدته الفطرة فى القول والعمل ولست هذه
الربوة لامر ذلك بجبل فلكر منك جارد نومنه وداد كما دالرضا ونصيح وهو له كالبنيان تشد بعضه بعضا والذى
قدمناه من الثناء عليك ربما تجاوز بك درجة الاقتصاد والقصد عن فصيلة الازدياد فامال ان تنظر الى سعيك نظر الاعجاب
وتقول هذه بلادا انا افتحتها بعدان اضرب عنها كثير من الاضراب ولكن اعلم ان الارض لله ولرسوله ثم لخليفة من بعده ولا
منة للعبد باسلامه بل المنة لله بهدايته عبده وكم سلفت من ملك ممن لو رام مارمته لدنا شاسعه واحاب ما نعه لكن وخم
لله لك لتحظى بالاخرة بمفازة وفى الدنيا برقم طرازة فالق بيدك عند هذا القول القاء التسليم وقل لما علم لنا الا ما
علمتنا انك انت العليم الحكيم وقد قرن تقلدك هذا بخلعة تكون لك بالاسم شعارا وفى الوسم فخارا وتناسب محلك فلك
وبصرك وخير ملابس الاولياء ما ناسب قلوبا وابصارا ومن حملها طوق توضع فى عنقك موضع العهد والميثاق ثم امرك
خوطبت يا الملك وذلك خطاب يقتضى لصدرك بالانشراح ولامك بالانفساح وتوم رعيته بمدك الى العليا للانضمام
الى نجاح وهذه الثلثة المشار اليها هى التى بكمالها اقسام السيادة وهى التى لا مزيد عليها فى الاحسان فيقال لها
الحسنى وزيادة فاذا صارت لملك فاصت لها يوما مكورة الايام كرما لانساب واجعلها عينا وقل هذا عبد الخلعة
والتقليد والخطاب هذا ولك عند امير المومنين مكانة يحملك بديه حاضرا وانت ناء عن الحضرة ويضن ان يكون مشتركه
بينك وبين غيرك والبضة مرشية الغيور وهذه المكانة ودعرفك نفسها وما كنت تعرفها وما يقول الا الها لك
صاحبة وانت تو سفها فاحرسها حراسة تقضى بقدمها واعمل لها فان الاعمال بخواتيمها واعلم انك قد تقلدت امرا
يفتن به تقى الحلوم ولا ينفك صاحبه عن همه الملوم وكثيرا ما ترى حسنا ته يوم القيمة وهى تقتسم ما بدى الخصوم
ولا يخفى مرذلك لامر اخذ اهبة الحذار واشفق من شهاكه الاسماع والابصار وعلم ان الولاية ميزان احدى كفتيه فى الجنة
والاخرى فى النار قال النبى يا ابا ذر انى احب لك ما احب لنفسى لا تامرن على اثنين ولا تولين مال يتيم فانظر الى
هذا القول النبوى نظر من لم يخدع لحدس الخوض والاقدام ومثل الدنيا وقد بيقت لك بحذافيرها اليس مصيرها
الى زوال والسعيد من اجاته فضى لها اربا لا ارواح الاجسوم واخذ منها وهى السم دواء وقد تخذا لاد وبه من
السموم وما الاغتباط بما تحلف على بالشيء المساء والصباح وهو كما ارتاه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما
تذروه الرياح ولله بعصم امير المومنين وولاه امره من تبعاتها التى لا يستهين ولا ينسوها واحصاها الله عليهم ونسوها
ولك انت من هذا الدعاء حظ على قدر محلك من العناية التى حذيت بضبعك ومحلك من الولاية التى بسطت من ذرعك
فخذ هذا الامر الذى تقلدته اخذ من لم يعقه النسيان وكن فى رعايته ممن اذا نامت عيناه كان قلبه يقظان وملاك

ولك

ذلك كله اتباع العدل الذى جعله الله ثالث الحديد والكتاب واعنى شواهد وحده عن اعمال الثواب وقد قوما
منه لعباده ستر عاما فى الحساب ولم يامره امرا الا زد قوة فى امره ولحصن به عرعدوه ومرد هرة ثم يجا يوم القيمة وهى
مدة كما يا امان ويجلس على منبر من نور على يمين الرحمن ومع هذا فان مركبه صعب لا يستوى على ظهره الا من امسك
عنان نفسه قبل امساك عنانه وعلبته ملكا على لمة شيطانه ومراكد فروضه ان يمحو السنن السيئة التى طالت
مدد ايامها وينكس رعايا من رفع طلاماتها فلم يجعلوا امدا لانحسار ظلامها ويملك السنن المكوس التى انشانها المجم
الحقير فلا عنى للابدى الغشمة اذا كانت ذات نفوس فقيرة وكلما ردت الاموال الجاصلة منها قدرا زاد الله بجفا
وقد استمرت عليها العوايد حتى الحقها الظالمون بالحقوق الواجبة فسموها حقا ولولا ان صاحبها اعظم
الناس جرما لما اغلظ فى عقابه ومثلب توبة المراة الغامدية بمثابة وهل اشقى ممن يكون السواد الاعظم له خصما
ويصبح وهو مطالب منهم بما لم يحط به علما واست ما مورا بان تاتى هذه الطلامات فتمحى على اطلالها وتلحق ايتاما
فى المحو بافعالها حتى لا سقى لها فى العيان صورة منظورة ولا فى الالسن احاديث مذكورة واذا فعلت ذلك
كنت قد ادركت عرالماضى سنة سوء سنتها بيداه وعرالاتى متابعه ظلم وجده طريقا مسلوكا فجرى على مداه فيادا الى
ما امرت به عباده من لم يضق به ذراعا وبطر الى الحقوق الدنيا بعينه فراها فى الاخرة متاعا واحمد الله على ان قيض
لك امام الهدى يعضك على هداك وياخذ بحجزك عن خطوات الشيطان الذى هو اعدى عداك وهذه البلاد
المنوطة بنظرك تشتمل على اطراف متباعدة وتفتقر فى سياستها الى ايد مساعدة ولهذا كثرها قضاة الاحكام
واولوا مدرات السيوف والاقلام وكل هولاء ينبغى ان تفتر عن انار الاختبار وتسلط عليه شاهد عدل مراعاة
الدرهم والدينار فما اضل الناس حين كجب المال الذى هو قوت مراجله الاديان واحرث بسببه الاولاد والاخوان
وكثيرا ما ترى لرجل الصائم القائم وهو عابد له عباده لا وثان واذا استعنت باحد منهم على شئ مرامرك فاضرب
عليه لا رصاك والارض تماعرفته مرمبدء حاله فان الاحوال تتنقل بتنقل الاجساد واياك ان تخدع بصلاح الظاهر
كما خدع عمر الخطاب بالربيع زياد وهو عابد له عباده لا وثان وكذلك فامر هولاء على خلاف طبقاتهم بان يامروا بالمعروف وينواطين
وبنهواء المنكر محاسبين وتعلم ان ذلك مراد اب حرب لله الذى جعلهم لله الغالبين وليبد وا اولا انفسهم فيعدلوها
عرهواها وامرونها بما مامرون به سواها ولا تكونوا ممن هدى الى طريق البر وهو عنه حائد واتصب لطلب المرضى
وهو محاج الى طبيب وعائد فما نزل بركات السماء الا على مرحاف مقام رثة والرم النفس التقوى باعمال لسانه
ويده وقلبه واذا صلحت الولاة صلحت الرعية بصلاحهم وبهم لهم بمنزلة المصابيح ولا استضى كل قوم الا بمصباحهم
ومما نومرون به ان نكونوا المرتحت ادبهم اخوانا فى الاصطحاب وجيرانا فى الاقتراب واعوانا فى توزع الحمل الذى
سقل على الرقاب فالمسلم اخو المسلم وان كان عليه اميرا واولى الناس باستعمال الرفق من كان فضل الله عليه كبيرا ولست
الولاية لمن استخدمها كثرة اللفف وتنولاها الوطئ العنف ولكنها لمن مال على جوانبه وتوكل مراطائه ولمراذا
اعضب لم ير للغضب عنده اثر واذا الحف فى سواله لم يلق الا الحاف بخلق الضجر فاحضر الخصوم بيرديه
عدل بينهم فى قسمة القول والنظر فذلك الذى يكون كصاحب فى اصحاب الميمنة والذى يدعى بالحفظ العليم والقوى الامين
ومن سعادة المرء ان تكون ولاته متادبين باداته وجارين على منهج صوابه واذا طارت الكتب يوم الحساب كانوا
حسنات مثبتة فى كتابه ولعد هذه الوصية فان ههنا حسنة هى للحسنات كالام الولود ولطالما اعتنت عن صاحبها
اغناء الجنود وتسقط لسقم والعيون رقود وهى الى يسمع لها الالاء ولا تخطاها البلاء ولامير المومنين لها

فيعد لوجه ٤٤

عناه سعتها الرحمة الموضوعه فى قلبه والرغبه فى المغفره لما تقدم وما خر من ذنبه وتلك هى الصدقه التى فضل الله
بعض عباده بمزيد افضالها وجعلها سببًا الى التعويض عنها بعشرامثالها وهو امرك ان تفقد احوال الفقرا
الذى قدرت عليهم مادة الارزاق والبسهم التعفف ثوب الغنا وهم فى ضيق الاملاق فاولئك اولياء الله الذين
مستهم الضراء فصبروا وكثرت الدنيا فى اعينهم فما نظروا اليها اذ نظروا وتسعى ان تهنى لهم مرامرهم مرفقا وتصرب بينهم
وبين التعقر موبقا وما اطلنا لك القول فى هذه الوصيه الا اعلاما بانها من المهم الذى سهيل ولا تستدبر وتستكثر
منه ولا تستنكر وهذا يعد من جهاد النفس فى بذل المال وتلوه جهاد العدو الكافر فى مواقف القتال وامير المومنين
يعرفك مثوابه ما يجعل السيف فى ملازمته اخا وتسخو له نفسك ان كان اجد بنفسه سخا ومن صفاته انه العمل المحمو
بفضل الكرامه الذى يمنى اجره بعد صاحبه الى يوم القيمه وبه يمحض طاعه الخالق على المخلوق وكل الاعمال عاطله الا خلوق
لها وهو المختص دونها بزينه الحلوق ولولا فضل الجهاد لكان محسوبًا بشط الايمان ولما جعل الله الجنه له ثمنًا وليست لغيره
من الاثمان وقد علمت ان العدو هو جارك الادنى والذى سلغك وسلغه عنا واذنا ولا تكون للاسلام نعم الجار حتى
تكون له بيس الجار ولا عذر لك فى ترك جهاده بنفسك ومالك اذا قامت لغيرك الاعذار وامير المومنين لا يرضى منك
ان تلقاه مكافحا او تطرق ارضه مماسيًا او مصابحا بل يريدان تقصد البلاد التى فى يده قصد المستقل لا قصد
المغير وان تحكم فيها بحكم الله الذى على قصاه على لسان سعد فى بنى قريظه وبنى النضير وعلى الحصوص البيت المقدس
فانه بلاد الاسلام القديم واخو البيت الحرام فى شرف التعظيم والذى يوجهت اليه الوجوه من قبل بالسجود والتسليم
وقد اصبح وهو يشكو طول المده فى اسر قبضه واصبحت كلمة التوحيد وهى تشكو طول الوحشه فى غربتها عنه وعربته فانهض
الله نهضه توعل فى وجهه وسدّ الصعب قياده بسيحه وان كان له عام حديبته فاسعه عام فتحه وهذه الاشاره
انما تكون بعد سداد ما فى اليد من ثغر كان مهملا فحميت موارده او مستهدمًا فرفعت قواعده ومرامهما ما كان حاضر
البحر فانه عون مكشوفه وخطه مخوفه والعدو قرب منه على بعده وكثر اماناته فحاه حتى يستبق رقه رمقه فاستغنى ان
تريب هذه الثغوره ابطه يكثر تجمعها وتقل اقرانها وتكون كلمه الله هى العليا لا الا ان يرى مكانها
وح يصبح كل منها وله من الرجال ما سواه ويعلم اهله ان بناء السيف منع من بناء الاحجار ومع هذا فلا بد لها من اصطبل
يكثر عدده وتقوى مدده فانه العدة التى يستعين بها على كشف الغمار والاستكثار من سرايا العبيد والاماء وجلبه اخو الحبس
السليمانى فذلك يسرى على متن الريح وهنا على متن الماء ومن صفات خيله انها جمعت بين الخيل والمطار وتساوت اقدار
خلقها على اختلاف مدد الاعمار فاذا اسرعت قيل جبال تتلفعه تقطع من الغيوم واذا انطوى سكاها قيل اهله
غيرانها تهتدى فى مسيرها بالنجوم ومثل هذه الخيل ينبغى ان تغالى فى حيادها وتستكثر من قيادها وتلوم عليها
امير بلقى البحر مثله مرعبة صدره وتسلك طرقه سلوك من يعتل بحمله ولكر فيها بحبه وكذلك فلتكن ميرات الامام
تجاربه ورحلتها مناكبه وممن يذلل الصعب اذا هو ساسه وان سلس ان جانبه وهو هذا الرجل الذى نرأس على القوم
فلا يحدهم بالرياسه وان كان فى الساقه فقى الحراسه ولقد فلحت عصابه اعتصبت
مروءته وانتقت بالنصر مرآته كما انتفت بالنجح مرآبه واعلم انه قد دخل من الجهاد بر كثير تقدح فى عمله وهو قيامه
الذى يأتى فى اخر كما ان صدق النيه ما تى فى اوله وذلك هو قسم الغنائم فان لا يدى قد بدا ولته بالاجحاف وخلطت
جهادها فنه نغولها فلم ترجع بالكفاف ولقد جعل الطمع فى تعدى حدوده وجعل الاستيثار بالمغنم من اشراط
الساعة الموعوده ونحن نعوذ به ان نكون فى زماننا هذا شر زمان وناسه شر ناس ولم نستخلفنا على حفظ اركان دينه لم

نهمل

نهمل اهمال المضيع ولا اهمال ناس والذى امرك به ان تجرى هذا الامر على المنصوص مرحكه وتبرى ذمتك
ذمتك مما تكون عنه الفايز بفوايده وانت المطالب باثمه وفى ارزاق المجاهدين بالديار المصريه والشاميه
ما لعسهم عن هذه الاكله التى تكون غدا كلا لا وحسمًا وطعامًا ذا غصه وعذابا اليمًا فتصفح ما سطرناه لك من هذه
الاساطير التى عرامها مبريات بل ايات محكمات وتجيب الى الله والى امير المومنين ما قضاء كتابها وان لك منها مخرجا
سقى فى عنقك اذا اصبحت فى اعقابها وهذا التقليد نطق علمك بانه لم يدال فى الوصايا الى اوصاها
وانه لم تغادر صغيره ولا كبيره الا احصاها ثم انه قد ختمه بدعوات دعا بها امير المومنين عند ختامه وسال فيها
حرم الله التى يسئل بها كل امر بمنزله نظامه ثم قال اللهم انى اشهدك على من ولدته شهاده تكون عليه رقيبه وله
حسيبه فانى لم امره الا بامرك الحق التى فيها موعظه وذكرى وهى لمن تبعها هدى ورحمه وبشرى واذا اخذها
فلج بحجته يوم يسال عن الحج ولم يحتج دون رسوله على الحوض فى جمع مرتجل وقفل لا حرج عليك ولا اثم اذ
نجوت من مفرطات الاثم والحرج وسالم وهذا الذى ذكرته من كلامى وكلام الصابى فى هذه القلائد الاربعه
لم اقصد به الوضع من الرجل وانما ذكرت ما ذكرته لبيان موضع السجع الذى تثبت على المحك ولا شك ان هذا
الوصف المشار اليه فى فقر الاسجاع لم يكن مقصودا الى الزم القديم انما كان عسرا ولانه لم يتنبه له وكنف اضيع من
الصابى وعلم الكتابه بقدر رفعه وهو امام هذا الفن والواحد فيه ولقد اعتبرت مكاتباته فداجاء فى السلطانيا
كل الاجاده واحسن كل الاحسان ولو لم يكن له سوى كتابه الذى كتبه عزا لدوله بحيار بن بويه الى سبكتكين عند
خروجه عليه ومجاهرته اياه بالعصيان لاستحق به فضيلة التقدم كيف وله من السلطانيات ما اتى فيه بكل
عجيب لكنه فى الاخوانيات مقصر وكذلك فى كتبه التعازى وعندى فيه راى لو ان احدا جرى ولى فيه قول لو
نقله احد سواى وذلك ان عقل الرجل فى كتابته زائد على فصاحته وبلاغته وسابير لك ذلك فاقول لتنظر
الناظر فى هذين المقلدين الدنيا وردتهما له فانه يرى وصايا وشروطا واستدراكات واوامر هى اصل
وفرع وكل وجزء وكثير وقليل ولا يرى ذلك فى كلام غيره من الكتاب الا انه عبر بذلك الوصايا والاوامر والشروط ولا استدرا كات
فى بعضها ما فيه من الضعف والركه وقد قيل ان زيادة العلم على المنطق هجنه وزياده المنطق على العلم جدعه
ومع هذا فانا اقر للرجل بالتقدم واشهد له بالفضل واذا افرغت مما اردت تحميقه فى هذا الموضع فانى
ارجع الى ما كنت بصدد ذكره من الكلام على السجع وقد تقدم من ذلك ما تقدم وبقى هنا ان اذكره هنا وهو ان
السجع ينقسم الى ثلثة اقسام الاول ان تكون الفصلان متساويين لا يزيد احدهما على الاخر كقوله تعالى انا
اليتيم فلا تقهر واما السايل فلا تنهر وقوله تعالى والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فاثرن به
نقعًا فوسطن به جمعًا الا ترى كيف جات هذه الفصول متساويه لا اجراحى كانها افرغت فى قالب واحد واعنى
بذلك فى الغرابه لكن كثره وهو اشرف السجع منزلة للاعتدال الذى فيه القسم الثانى ان تكون الفصل
الثانى طول من الاول لا طولا يخرج به الاعتدال طولا كثيرا فانه يقبح عند ذلك ويستكره ويعد عيبا فمما
جاء من ذلك قوله تعالى ما لكذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها
تغيظا وزفيرا واذا القوا فيها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا الا ترى ان الفصل الاول من الثانى
والفصل الثانى والثالث تسع وعشرون حرفا وقوله تعالى فى سورة مريم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ومثال هذا فى القرآن كثير وستثنى من هذا القسم ما كان

السجع على ثلث فقرفان لفقرتين الاولتين بحسبان في عده واحد ممر باقي الثالثة فينبغي ان يكون طوله طولا
يرد عليهما فاذا كانت الاولى والثانية اربع لفظات يكون الثالثة عشر لفظات او احدى عشر مثلا في ذلك ما ذكرته
في وصف صديق فعلت الصديق من لم تعتض عنك بخالف ● ولم تعامل معامله الخالف ● واذا بلغته
اذية وشاية اقام عليها حد السارق والقاذف ● فالاولى والثالثة ههنا اربع لفظات اربع لفظات لان الاولى
لم تعتض عنك بخالف والثانية ولم تعامل معاملة الخالف وحاز الثالثة عشر لفظات ● وهكذا ينبغي ان يكون
ما تستعمل مر هذا القبيل فاذا زادت الاولى والثانية على هذه العدة فزاد الثالثة بالحساب وكذلك اذا نقصت
الاولى والثانية عر هذه العدة فافهم ذلك وقس عليه الا انه لا ينبغي ان يجعل قياسا مطردا في السجعات الثلاث
ان وقعت مر الكلام بل تعلم ان الجواز نعم الحالتين مر التساوي في السجعات الثلث ومر زيادة السجعة الثالثة لا
ترى انه قد ورد ت ثلث سجعات متساويات في القرآن الكريم كقوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود
وطلح منضود وظل ممدود فهذه السجعات كلها مر لفظتين لفظتين ولو جعلت الثالثة منها خمس لفظات او ستا
لما كان ذلك معيبا ● القسم الثالث ان يكون الفصل الاخير اقصر مر الاول وهو عندي عيب فاحش وعيب
ذلك ان السمع يكون قد استوفى امده مر الفصل الاول الحكم طوله ثم يجئ الفصل الثاني قصيرا عر الاول فكون كالشيء
المبتور فيبقى الانسان عند سماعه كمن يريد ان تهتا الى غاية فتعثر دونها ● واذ انتهينا الى ههنا وبينا اقسام السجع
ولبه وقشوره فسنقول فيه قولا كليا وهو ان السجع على احد الى اقسامه ضربان احدهما يسمى السجع القصير
وهو ان يكون كل واحد مر السجعتين مولفه مر الفاظ قليله وكلما قلت الالفاظ كان احسن لقرب الفواصل المسجوعه
مر سمع السامع وهذا الضرب اوعر السجع مذهبا واعدمنا لا ولا كاد استعماله تقع الا نادرا والضرب الاخر يسمى
السجع الطويل وهو ضد الاول لانا سهل منالا وأولا وانما كان لقصير مر السجع اوعر مسلكا مر الطويل لان المعنى اذا صنع
بالفاظ قصيرة عز موآتاه السجع فيه لقصر ملك الالفاظ وضيق المجال في استجلابه واما الطويل فان الالفاظ
تطول فيه وستجلب له السجع مر حيث ولس كما تقال وكان ذلك سهلا وكل واحد مر هذين الضربين تفاوت درجاته
في عده الفاظه ● واما السجع القصير فاحسنه ما كان مولفا مر لفظتين لفظتين كقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات
عصفا وقوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ومنه ما يكون مولفا مر ثلثة الفاظ واربعة
وخمسة وكذلك الى العشرة وما زاد على ذلك فهو مر السجع الطويل ● فمما جاء منه قوله تعالى والنجم اذا هوى ما
ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عر الهوى وقوله تعالى اقربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر ● واما السجع الطويل فان تفاوت درجاته سفاوتا بينا في الطول فمنه ما يقرب
مر السجع القصير وهو ان يكون الفظة مر احدى عشرة الى ستي عشرة لفظة اكثر مر خمس عشرة لفظة كقوله تعالى واذا قرئ
القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر مر القول بالغدو والآصال
ولا تكن مر الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عر عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقوله تعالى ان الذين
لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عر اياتنا غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري مر تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم
وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ومنه ما يكون مولفا مر اثنتي عشرة لفظة الى ست عشرة
لفظة كقوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ومنه ما يكون مولفا مر سبع عشرة لفظة الى عشرين لفظة كقوله تعالى
ان الذين يكتمون ما انزلنا مر البينات والهدى مر بعد ما بينه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ومنه ما يكون مولفا مر اكثر مر ذلك
وهو غير مضبوط ● واعلم ان التصريع في الشعر بمنزله السجع في الفصليه مر الكلام المنثور وفائدته في
الشعر انه قبل كمال البيت الاول مر القصيدة يعلم قافيتها وتنبه البيت المصرع بباب له مصراعان متشاكلان
وقد فعلت ذلك القدما والمحدثون وفيه دلاله على سعة القدرة في افانين الكلام فاما اذا كثر التصريع والتقصيل
فلست اراه مختارا لان هذه الاصناف عر التصريع والترصيع وغيرها انما تحسن منها في الكلام ما قل وجري
مجرى الغرة في الوجه او كالطراز في الثوب فاما اذا توالت وكثر فانه لا يكون مرضيا لما قدمر امارات التكلف وهو
عندي ينقسم الى سبع مراتب وذلك شيء لم يذكره على هذا الوجه احد غيري ● فالمرتبة الاولى وهي اعلى
درجات التصريع ان يكون كل مصراع مر البيت مستقلا بنفسه في فهم معناه غير محتاج الى صاحبه الذي يليه وسمى
التصريع الكامل وذلك كقول امرئ القيس ● افاطم مهلا بعض هذا التدلل ● وان كنت قد ساءتك مني خليقة
فان كل مصراع مر هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه غير محتاج الى ما يليه وعلى هذا ورد قول المتنبي
● اذا كان مدح فالنسيب المقدم ● اكل فصيح قال شعرا متيم ● المرتبة الثانية ان يكون المصراع
الاول مستقلا بنفسه غير محتاج الى الذي يليه فاذا جاء الذي يليه كان مرتبطا به كقول امرئ القيس
● قفا نبك مر ذكرى حبيب ومنزل ● بسقط اللوى بين الدخول فحومل ● فالمصراع الاول غير محتاج الى
الثاني في فهم معناه لكن لما جاء الثاني صار مرتبطا به وكذلك ورد قول المتنبي ● الى ثمام ●
● الم بأن ان تروى الظماء الجوائم ● وان ينظم الشمل المبدد ناظم ● وعليه ورد قول المتنبي ●
● الرائح قبل شجاعة السجعان ● هو اول وهي لمحل الثاني ● المرتبة الثالثة ان يكون الساعر مخيرا
في وضع كل مصراع موضع صاحبه وسمى التصريع الموجه وذلك كقول ابن الحجاج البغدادي ●
● مر شروط الصبوح في المهرجان ● خفة الشرب مع خلو المكان ● فان هذا البيت يجعل مصراعه الاول
ثانيا ومصراعه الثاني اولا وهذه المرتبة كالثانية في الجودة ● المرتبة الرابعة ان يكون المصراع الاول عر مستقل
بنفسه ولا يفهم معناه الا بالثاني وسمى التصريع الناقص وليس مرضيا ● فمما ورد منه قول المتنبي ●
● معاني الشعب طيبا في المعاني ● لمنزله الربيع مر الزمان ● فان المصراع الاول لا يستقل بنفسه في فهم معناه
دون ان يذكر المصراع الثاني ● المرتبة الخامسة ان يكون التصريع في البيت بلفظة واحدة وسطا وقافية
وسمى التصريع المكرر وهو ينقسم قسمين احدهما اقرب حالا مر الآخر فالاول ان يكون اللفظة حقيقة لا مجاز فيها
وهي ازالة الدر حتى كقول عنترة ● يدر الاير ض ● فكلا ذيك غيبه يؤوب ● وغاب الموت لا يؤوب ● القسم الآخر ان يكون
التصريع بلفظة مجازية يحتاج المعنى فيها كقول ابي تمام ● فتى كان شرا بالعفاة ومرتعا فاصبح للهندية البيض مرتعا ●
المرتبة السادسة ان يذكر المصراع الاول ويكون معلقا على صفة ما ذكرها في اول المصراع الثاني
وسمى التصريع المعلق فمما ورد منه قول امرئ القيس ● الا ايها الليل الطويل الا انجلي ● بصبح وما الاصباح فيك بامثل ●
فان المصراع الاول معلق على قوله بصبح وهذا معيب جدا وعليه ورد قول المتنبي ●
قد علم البين منا البين احفانا ● ندمى والف في ذا القلب اجزانا ● فان المصراع الاول معلق على قوله
ندمى ● المرتبة السابعة ان يكون التصريع في البيت مخالفا لقافيته وسمى التصريع المشطور وهو انزل
درجات التصريع واقبحها في ذلك قول ابي نواس ● اقلني وندمت على الذنوب ● وبالاقرار عذت مر الجحود ●
فصرع بحرف الباء في وسط البيت مر قافيته بحرف الدال وهذا لا يكاد يستعمل الا قليلا نادرا ● النوع الثاني

في التجنيس اعلم ان التجنيس غرة شاذخة في وجه الكلام وقد تصرف العلماء مرارباب هذه الصناعة فشرفوا وغربوا لاسيما المحدثين منهم وصنف الناس فيه كتبا كثيرة وجعلوه ابوابا متعددة واختلفوا في ذلك واد خلوا بعض الابواب في بعض فمنهم عبد الله المعتز وابو علي الحاتمي والقاضي ابو الحسن الجرجاني وقدامة ابن جعفر الكاتب وغيرهم وانما سمي هذا النوع من الكلام مجانسا لان حروف الفاظه بكون تركيبها من جنس واحد وحقيقته ان يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا وعلى هذا وعلى هذا فانه هو اللفظ المشترك وما عداه فليس من التجنيس الحقيقي في شيء الا انه قد خرج من ذلك ما سماه بالتجنيسا وذلك سمية بالمشابهة لانها دالة على حقيقته المسماة بعينه وعلى هذا فاني نظرت في التجنيس وما شبه به واجريت مجراه فوجدته ينقسم الى سبعة اقسام مشبهة به واما القسم الاول فهو ان تتساوى حروف الفاظه في تركيبها ووزنها كقولك نعروبوم تقوم الساعة تقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وليس في القرآن غير هذه الآية فاعرفها وروي في الاخبار النبوية ان الصحابة نازعوا جرير عبد الله البجلي زمامه فقال الرسول لهم خلوا بين جرير والجرباء دعوا زمامه ومما جاء منه في الشعر قولهم اني تمام

• فاصبحت غرا كالسلام مشرقة • بالنصر يضحك عن امالك الغرر • فالغر الاولى استعارة من غرة الوجه والغر الثانية ماخوذة من غرة الشيء اكرمه فاللفظ اذن واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله

• بكل فتى ضرب لعرض للقنا • محيا مجلا جلية الطعن والضرب • فالضرب الرجل الخفيف والضرب السيف في الحرب معروف وكذلك قوله • عدا ثاحر الغور المستضامة عن • برد الثغور وعر سلسالها الخصب • فالغور جمع ثغر وهو واحد الاسنان وهو انهض البلد الذي على تخوم العدو ومن قال في هذه القصيدة

• كم احرزت قضبا الهندي مصلتة • تهتز من قضب تهتز في كثب •
• بيض اذا انتضيت من حجبها رجعت • احق بالبيض ادانا من المحب •

فالقضب السيوف والقضب القدود على حكم الاستعارة وكذلك البيض السيوف والبيض النساء وهذا من النادر الذي لا ينعلق به احد وكذلك قوله • اذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا • صدور العوالي في صدور الكماة • فلفظة الصدور في هذا البيت واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله

عامي وعام العيس بيرود نقه • مسجورة وتنوفة صيخود •
حتى اغادر كل يوم بالفلا • للطير عيد امر نات البيد •

فالعيد فحل من فحول الابل والعيد اليوم المعروف من الايام وقد اكثر ابو تمام من التجنيس في شعره فمنه ما اغرب فيه فاحسن كالذي ذكرته ومنه ما اتى به كرها مستثقلا كقوله

ويوم ارسق والهيجا قد رسقت • من المنية رسقا وابلا فصفا •

وكقوله واهل بوقان اذ ما قوقلا وزرا • انحاء منك في الهيجا ولا سند •
وكقوله مهلا اني مالك لا تجلبن الى • حي الاراقم ذو ليل ابنه الرقم •

ومما جاء فيها من الرد بنية اللاتي اذا عسلت • تشم نوا الصغار لا نف ذو الشمم •

وكذلك قوله قرت بقران عن الدين وانشرت • بالاشترين عيون الشرك فاصطلما • وله من هذا الغث البارد المكلف شيء كثير لا حاجة الى استقصائه بل قد اوردنا منه قليلا يستدل به على امثاله • ومن الحسن في هذا قول ابي نواس وهو • عباس عباس اذا احدم الوغا • والفضل فضل والربيع ربيع • وكذلك

قوله

قوله فقل لابي العباس ان كنت مذنبا • فانت احق الناس بالاخذ بالفضل •
ولا تحدوني ودّ عشرين حجة • ولا تفسدوا ما كان منكم من الفضل •

وعلى هذا النهج ورد قول البحتري • اذا العين راحت وهي عن على الهوى • فليس بسر ما تسر الاضالع •
والعين الجاسوس والعين المعروفة وكذلك ورد قول بعضهم

• ومرّ سوانق دمعها فتوا كفت • ساق بحادب فوق ساق ساقا • فالساق ساق الشجرة والساق القمري من الطيور وعلى هذا الاسلوب جاء قول بعض المتاخرين وهو الشاعر المعروف بالغزي في قصيدة قصد التجنيس في كثير من ابياتها ومن ذلك ما اورده في مطلعها وهو • لو زار ناطف ذات الخال احيانا • وخرج حفر الاجداث احيانا •
بمعان في اثنائها • يقول انت امرؤ جاف مغالطه • فقلت لا هوّنت اجفان اجفانا • وكذلك قوله

في اخرها • لم يبق غيرك انساني يلاذ به • فلا برحت لعين الدهر انسانا • وراثا الغاني الحاتمي قد ذكر في اخر كتابه بابا وسماه رد الاعجاز على الصدور وخارجا عما نحن التجنيس وهو ضرب منه وقسم من جملة اقسامه كالذي نحن بصدد ذكره هنا فسما اورده الغاني من الامثلة في ذلك قول بعضهم

• وتشتري بجميل الصنع ذكرا طيب النشر • وتفري بسيوف الهند مراسرف في النفر •
• ويجري في شراء الحمد على شاكلة النجر • وكذلك قول بعضهم في المشيب

• يا بياضا اذرى دموعي حتى • عاد منها سواد عيني بياضا • وكذلك قول البحتري

واغر في الزمر البهيم محجل • قدرحت منه على اغر محجل •

كالهيكل المبني لا انسة • في الحسن جاء كصوره في هيكل • وليس الاخذ على الغاني في ذلك مناقشة على الاسماء وانما المناقشة على ان ينصب نفسه لايراد علم البيان وتفصيل ابوابه ويكون احد الابواب التي ذكرها اخلا في الاخر فهذا هو عليه ذلك ويخفى عنه وهو اشهر من فلق الصباح • ورما جهل بعض الناس فادخل في التجنيس ما ليس منه نظرا الى مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى • ومن ذلك قول تمام

• اطن الربع في حدى يبقى • رسوما من بكا في الرسوم • وهذا ليس من التجنيس في شيء اذ حد التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وهذا البيت لمشار اليه هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى معا وهذا مما سعى ربنيته عليه لعرف • ومن علماء البيان من جعل له اسما سماه به وهو الترديد اي ان اللفظة الواحدة ردد ت فيه وحشيت عليه ههنا فلا احتاج ان اعقد له بابا افرده بالذكر فيه • واما الاقسام الستة المشبهة بالتجنيس فالقسم الاول منها ان تكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها فمما جاء من ذلك قول النبي ص اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي الاترى ان هاتين اللفظتين متساويتان في التركيب مختلفتان في الوزن لان تركيب الخلق والخلق من ثلثة احرف وهي الحاء واللام والقاف الا انهما قد اختلفا في الوزن اذ وزن الخلق فعل بضم الفاء ووزن الخلق فعل بضم الفاء ومن هذا القسم قول بعضهم لا تنال غرر المعالي الا بركوب الغرر واهتبال الغرر وقال البحتري • وفر الخائن المغرور بر حو • مآبا اي ساعة من امان •

• بهاء للصفات وذم تيها • للحظة طرفه طرف السنان • وكذلك قوله الاخر

• وذبت بير حشاشة وذمامي • ما بين حر هوى وبرد هواء • القسم الثاني من المشبه بالتجنيس وهو ان تكون الالفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير وان زاد على ذلك خرج من باب التجنيس

فمما جا منه قوله تعروجن يوم شدّ ناضرة الى ربها ناظرة فان هاتين اللفظتين على وزن واحد لا تزى ان تركيبهما
مختلف في حرف واحد وكذلك قوله تعرونهم نهون عنه ونا ون عنه وكذلك قوله تعرد لكم مما كنتم تعزحون في
الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وعلى نحو هذا ورد قول النبي ص الخيل معقود بنواصيها الخير • وقال
بعضهم لا تنال المكارم الا بالمكاره وقال ابو تمام تمدون من ايد عواص عواصم تصول باسياف قواض قواضب •
وقال البحتري من كل ساجي الطرف غيد اجيد • ومهيف الكشحين اجوى اجور • وكذلك قوله
• شواجر ارماح تقطع بينهم • شواجن ارحام ملوم قطوعها • القسم الثالث من المشبه بالمجانس
وهو ان تكون الالفاظ مختلفة في الوزن والتركيب تحرف واحد كقوله تعرو التفت الساق بالساق الى ربك
يومئذ المساق وكقوله تعروهم يحسنون انهم يحسنون صنعا وكذلك ورد قول النبي ص المسلم من سلم الناس من يده
ولسانه • ودخل ثعلب صاحب كتاب الفصيح على احمد بن حنبل بمجلسه ومجلسه غاص فجلس الى جانبه ثم اقبل
عليه وقال اخاف ان اكون ضيقت عليك على انه لا تضيق مجلس تتحايز ولا تتسع الدنيا باسرها متباغضين فقال
له احمد الصديق الحاسب والعدو المتنسب له • وهذا كلام حسن من كلا الرجلين والتجانس في كلام احمد
رجلسه في قوله تحاسب وتنسب له • وقد جانى شي من ذلك عليه خفه الطبع فنه ما ذكرته في فصل من كتاب الى
ديوان الخلافة يتضمن ذكر الجهاة فقلت وصل الله وداشتاقتا الى ان نقا لها اركبني وبسوفه قد تطلعت
الى ان نقا لها اضربني • ومواطن الجهاة وربعد عهدها تا سسقاء شآبيب الغمور • وانبات ربيع الذباب
والسنور • وماء كل الالان لعد واذا طلب نقمص ثوب دلاله • وسصل من صحبه نصاله • واعتصم بمعاقله التي
لا فرق منها وبين عقاله • ومن ذلك ما ذكرته في وصف فقلت وقد جعل الله حرمه ملقى الجفان وملتقى
الاحفان • فهو حيما احتنا عليه زمانه • وجارا لم نعد عنه جيرانه • ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة
وهو ولقد استبان الخادم بركة طاعته ما يعمى عنه غيره فما يراه • ووجد مر اثره في وصلاح دنياه ما استدل به على صلاح
اخراه • فهو الركب المنجي • والعمل المرجو لا المرجى • والمعنى المراد هدايته الصراط المستقيم • وتاويل قوله فليحذر الذين يخالفون
عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم • ومن ذلك ما ذكرته في اثناء كتاب الى بعض الاخوان وذلك وصف بعض
المنعمين فقلت نحن من حسن شيمه وفواضل احسانه بين هندوهنيده • ومن تقيته وامانه بين امم تعبد
واني عبيده • ومن ذلك ما ذكرته في مطلع كتاب الى بعض الاخوان فعلت الكتب وان عدها قوم عرضا من الاعراض
ونقالوها حتى قالوا هي سواد في بياض فان لها عندا لاخوان وجها وسيما • ومحلا كريما • وهي جامع العلوم اذا فارق
جميعهم جمعا • ومن احسنها كتاب يبتدا ثم مضيت على هذا النهج الى اخر الكتاب • ومن هذا القسم قوله الى عمال

ايام تدمي عينه لك الدما • شعفا وتقسم لبه الاقسما •
بيض فمن اداره من سواده • صورة ومن اداره من صوار •

وكذلك قوله بدرا طاعت فلك اداره النوى • خطاء وشمس ولعت بشماس •
وكذلك قوله كادوا البنوه والهدى فقطعت • اعناقهم في ذلك المضمار •
جهلوا فلم يستكثروا مرطاعة • معروفه بعمان الاعمار •
وكذلك قوله ان الرماح اذا غرسن بمشهد • يجنى العوالي في ذراه معالي
وكذلك قوله اذا احسن الاقوام ارتطاوا • بلامته احسنت ارتطولا • وكذلك قوله

اى ربع بكذا الدهر عنه • وهو ملقى على طارق الليالى •
بير جال حنت عليه وحول • فهو نضو الخوال والاحوال •
شدما استنزلته عن معالى الاظعان حتى استهل صوب العوالى • العوالى
اى حسن في الذاهبين تولى • وجمال على ظهور الجمال •
ودلال مخيم في ذرى الخيم • وخجل مقصم في الحجال •

فالبيت الثاني والخامس هما المقصودان بالتمثل والابيات الباقيات جئن تبعا ومما جاء من ذلك قوله على حبل هنا ٤
وكم ذلك من يوم رفعت بناءه • بذات حفون اويدات حفان • وكذلك قول محمد بن وهيب الحميري
• قسمت صروف الدهر بأسا ونائلا • فمالك موتور وسيفك واتر • وهذا من الملح النادر ومن هذا القسم قول
البحتري • جديرا بان تنشق عن ضوء وجهه • ضبابة نقع تحتها الموت نا قع • وكذلك قوله
نسيم الروض في ريح الشمال • وصوب المزن في راح شمول • ومنه اعرابي رجلا فقال كان اذا سا ل
الجف واذا استل سوّف تحسد على الفضل وتزهد في الافضال • القسم الرابع من المشتبه بالمتجانس
ويسما المعكوس وذلك ضربان احدهما عكس الالفاظ والاخر عكس الحروف فالاول كقول بعضهم عادات
السادات سادات العادات وكقول الاخر شيم الاجواد اجواد الشيم • ومن هذا النوع ما ورد شعرا قول
كلصبط بن قريع من شعراء الجاهلية • قد جمع المال غير اكله • وباء كل المال غير جمعه •
وتقطع الثوب غير لابسه • ويلبس الثوب غير من قطعه • وكذلك ورد قول
الى الطيب المتنبي • فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله • ولا مال في الدنيا لمن قل مجده • وكذلك قول الشريف
الرضي من ابيات يذم فيها الزمان فقال • اسف لمن يطير الى المعالي • وطائره لمن يسف الى الدنايا •
وكذلك قوله الاخر ان الليالي للأنام منا هل • تطوى وتنشر بينها الاعمار •
فقصارهن مع الهموم طويلة • وطوالهن مع السرور قصار • واحسن من هذا كله والطف قول
ابن الزقاق الاندلسي • غيّر تنا يد الزمان • فقد شبت والتجاه • فاستحال الضحا دجى • واستحال الدجا ضحى
وهذا الضرب من التجانس له كلاوة وعليه رونق وقد سماه قدامة رجوع الكلمة لتبدل وذلك اسم مناسب لسماه
لان مؤلف الكلام ما تى بما كان مقدما في جزء كلامه الاول موخرا في الثاني وعكسه ان يكون موخرا في الاول مقدما في الثاني
ومثل قدامه قول بعضهم اشكر لمن انعم عليك وانعم على من شكرك • ومن هذا القسم قوله تعرح الحي من المتوخرج
البيت من المجتبى وكذلك قول النبي ص جار الدار احق بدار الجار • وكتب علي بن ابي طالب عليه السلام الى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
كتابا فقال اما بعد فان الانسان يسرّه درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فلا يكن بما نلت من دنياك فرحا
ولا بما فاتك منها ترحا ولا تكن ممن يرجو الاخرة بلا عمل ويخاف البوار بالامل وكأن قد وسلام • وروى عن ابي تمام
انه لما قصد عبد الله طاهر الحسن بخراسان وامتدحه بقصيدته المشهورة التي مطلعها هن عوادي يوسف وصواحبه
انكر عليه ابو سعد الضرير وابو العميثل هذا الابتداء وقالا له لا تقول ما لا نفهم فقال لهم لا تفهمان ما اقول فاستحسن منه
هذا الجواب على الفور • ومن التجانس المشار اليه وقد جانى شي منه كقولي في فصل من كتاب تتضمن فتحا وهو
فلكم كان في افتراع عذرة الحصن من افتراع عذرة حصان • ولكم جزيرة من سنان لحظ استرقه لحظ سنان • وكذلك قولي
في فصل كتاب الى ديوان الخلافة وهو الخادم يبلغ حدمته الى ذلك الجناب الذي تقطر الشفاه قبلا وتوسعه العفاه

املا وترى الخَوَل به ملوكا والملوك خَولا • وطاعته هي محك الاعمال التي اشير فيها بقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا •
وكذلك ورد قولي الخ وهو فصل مرتجل وزير فعلت وقد صدق لسه لهجه المثني عليك اذ تقول ذلك الرجل
الذي نضرب به الامثال ولا تضرب له الامثال • والمهذب الذي لا ينقال معه اتى الرجال • واذا وازنت مملكه فقد حظيت
منك بشذا زهرها وشد ثغرها واصبحت وانت صدر لقبلتها وقلب لصدرها • فهي مرفوعة انه منك بالفضل المبين •
معانه بالقوى الامين • فاما الضرب الثاني من هذا القسم وهو ممكن الحروف فكقول بعضهم •

اهديت سيا يقل لولا • احدوثه الفال والتبرك •

كرهي تفاءلت منه لما • رايت مقلوبه يسرك • وكذلك قول الاخر

• كيف السرور باقبال واخره • اذا اتاملته مقلوب اقبال • واحد من هذا كله قول الاخر •

جاذبتها والريح تقلب عقربا • مرفوق خدمثل قلب العقرب •
وطفقت اشعرها فتمنعت • وتجنبت عني تقلب العقرب • واذا قلب لفظ عقرب
صار برقعا وهذا الضرب نادر الاستعمال لانه قل ما تقع كلمه تعدل حروفها فيحي بمعناها صوابا • القسم الخامس
من المشبه بالتجنيس وسمي المجنب وذلك ان يجمع مولف الكلام بين كلمتين احدهما كالتبع للاخرى والجنيبه لها
كقول بعضهم • ابا العباس لا الحسب بالي • يسلي مرحلي الا شعار عاري •
فلي طبع كسلسال معين • ذلال مزدري الاحجار جاري •
وهذا القسم فيه عندي نظر لانه يلزم منه ما لا يلزم اولى منه ما لتجنيس الا ترى ان التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف
المعنى وههنا لم يتفق الا جزء من اللفظ وهو اقله • واما اللزوم في الكلام المنثور فهو يساوي الحروف التي قبل الفواصل
المسجوعه وهذا هو كذلك لان العين والراء تساويا في البيت الاول في قوله الاشعار عاري والجبر والراي في البيت الاخر
في قوله الاحجار وجاري • القسم السادس من المشبه بالتجنيس وهو ما تساوى وزنه وتركيبه عدا ان حروفه تقدم وتاخر
وذلك كقولي انى يمام • بيض الصفايح لا سود الصحايف • متونهن جلاء الشك والريب • فالصفايح
والصحايف مما تقدمت حروفه وتاخرت وقد ورد في الكلام المنثور كقوله ص في فضل تلاوة القرآن الكريم فعلى المقال
لصاحب القرآن اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند اخر اية تقرا فقوله ص اقرا وارق من التجنيس
المشار اليه النوع الثالث في الترصيع وهو ما خود من ترصيع العقد وذلك ان يكون في احد جانبي العقد
من اللاءلي مثل ما في الجانب الاخر فكذلك جعل هذا في الالفاظ المنثور من الاسجاع وهو ان يكون كل لفظه من الفاظ
الفصل الاول مساويه لكل لفظه من الفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافيه وهذا لا يوجد في كتاب الله لما عليه
من زيادة التكلف فاما قول مزدهما الى ان في كتاب الله شا منه ومثله بقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين فليس الامر كما وقع له لان لفظه لعلى قد وردت في الفقرتين محلوها وهذا خلاف شرط الترصيع الذي شرطناه لكنه قريب
منه • واما الشعر فاني كنت اقول انه لا يتاتى على هذه الشرطه ولم اجد في اشعار العرب لما فهمته من عمق الصنعه
وتعسف الكلفه واذا جيء به في الشعر لم يكن عليه محض الطلاوة التي تكون اذا جيء به في الكلام المنثور • ثم اني عثرت عليه
في شعر المحدثين ولكنه قليل جدا ومن ذلك قول بعضهم

• فكارم اوليتها مبتدعا • وجرايم الفيتها متوقعا • فكارم بالزاء جرايم واولتها بالزاء الفيتها وبتوقعا بالزاء
متوقعا • وقد اختار بعضهم ان تكون احد الفاظ الفصل الاول مخالفا لما يقابله من الفاظ الفصل الثاني وهذا ليس بشي

لمخالفته

٤٨

لمخالفته الترصيع • فمتى جاء من هذا النوع منثورا فوق الحريري في مقاماته فهو بطبع الاسجاع بجواهر
لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه فانه جعل الفاظ الفصل الاول مساوية لالفاظ الفصل الثاني وزنا وقافيه
فجعل بطبع بالزاء تقرع والاسجاع بالزاء الاسماع وجواهر بالزاء زواجر ولفظه بالزاء وعظه • ومما جاني من هذا النوع
ما ذكرته في جواب كتاب الى بعض الاخوان وهو • وقد اعدت الجواب ولم استعر له لفظا ملفقا ولا جلبت اليه حسنا منمقا
بل اخرجته على سجيته وغنيت بصقله فجاء كما تراه غير ممشوق ولا مخطوط • وهو برفل في ثياب بذلته
وقد حوى الجمال بجملته والحسن بما وشته فطرة التصور لما اجتشته فكرة التزور • والترصيع في قولي وشته فطرة
التصور واجتشته فكرة التزور • وكذلك ورد قولي في فصل من الكلام سنضم يتقصف الاولاد فعلت مرقوم
اودا اولاده ضم كمد حساده وهذه الالفاظ متكافئه في ترصيعها فمقوم بالزاء ضم واود بالزاء كمد واولاده بالزاء
حساده • وكذلك قول بعضهم في الامثال المولده التي لم ترد عن العرب وهو من اطاع غضبه اضاع ادبه
فاطاع بالزاء اضاع وغضبه بالزاء ادبه وقد ورد هذا الضرب كثيرا في الخطب التي انشاها الشيخ الخطيب عبد الرحيم
ابن نباته رحمه الله ومن ذلك قوله في اول خطبه الحمد لله عاقد ازمة الامور بعزايم امره وحاصد ايمة الغرور بمناصم
مكره وموفق عبيده لمغانم ذكره ومحقق مواعده لملوازم شكره فالالفاظ المنجات في الفصل الاول منساويه
وزنا وقافيه والالفاظ المنجات في الفصل الاخير فيها مخالف في الوزن فان مواعد مخالف وزن عبد ولا
ولا مخالف قافيتها التي هي الدال • ومن ذلك قوله ايضا من خطبه اولئك الذين افلوا فانجحتم وبطلوا
فاقمتم واياديهم الموت كما علمتم وانتم الطامعون في البقا بعدهم كما زعمتم • كلا ولله ما اشخصوا التقروا ولا
لغضوا للتسروا ولا بدان تمروا حيث مروا فلا تشقوا لخدع الدنيا ولا تغتروا به • وهذا الكلام قد ايضا ما في
الذي قبله من صحة الوزن والقافيه وصحة القافيه دون الوزن • وكذلك قوله ايضا من خطبه اخرى ايها الناس اسمعوا
القلوب في رياض الحكم واديموا النجيب على ايضاض اللمم واطيلوا الاعتبار بانفاض النعم واجيلوا الافكار
في اقراض الامم • واما ما ورد في الشعر على مخالفه بعض الالفاظ بعضا فكقول ذي الرمه •
• كحلاء في برج صفراء في دعج كانها فضه قد مسها ذهب • فصدر البيت مرصع وعجزه خال من الترصيع وعذر
الشاعر في ذلك واضح لانه قصد بالوقوف مع الوزن والقافيه الا ترى ان ذا الرمه بنى قصيدته هذه على حرف الباء
ولو رصع هذا البيت الترصيع الحقيقي لكان يلزمه ان ياتي بالفاظه على حرف حرف غير احدهما الباء فكان يقسم
البيت بصفر وعاثر غير الفاظ هذا النصف وهذا النصف وذلك مما يعز وقوعه في الشعر • وارباب هذه الصناعه
قد قسموا الترصيع الى هذين القسمين المذكورين وهذه الاراء صوابا الا ان حقيقه الترصيع موجوده في القسم
الاول دون الثاني • ومما جاء من هذا القسم الثاني قول البهسة الخنساء
• حامي الحقيقه محمود الخليقه مسمون الطريقه نفاع وضرار • وكذلك قول الاخر
• سود ذوابلها بيض ترايبها محض ضرابها صعت مراكرم • النوع الرابع في لزوم ما لا يلزم وهو ايضا
هذه الصناعه مذهبا وبعدها مسلكا ودلالا لان مولفه يلتزم ما لا يلزمه فان اللازم في هذا الموضع وما جرى
مجراه انما هو السجع الذي هو تساوي احد الفواصل من الكلام المنثور في قوافيها وهذا فيه زيادة على ذلك وهو
ان تكون الحروف التي قبل الفاصله حرفا واحدا وهو في الشعر ان تساوي الحروف التي قبل روي الابيات الشعريه
وقد جمع ابو العلاء عبد الله بن سليمان في ذلك كتابا وسماه كتاب اللزوم فاتى فيه بالجيد الذي يحمد والردي الذي يذم وسا ذكر

كذا بطيلون وما لا طا ما كتبه
مصطفى بن عبد الله الكاتب

فما نفس لا تعظم عليك خطوبها ۞ فتفقوها مثل مختلفها ۞
تداعوا الى النزر القليل فجالدوا ۞ عليه وخلوها لمختلفها ۞
وما ام ضل وحليله ضيغم ۞ بظلم مر دنا له فاعترفها ۞
تلاقى الوفود القادمها بفرحة ۞ وتبكى على آثار منصرفها ۞
وما هى الا شوكة ليس عندها ۞ وجدلء ارطاب لمختلفها ۞
كما نبذت للطير والوحش رازم ۞ فالقد سرورا بير مختطفها ۞
تنائت عن الانصاف مرضيم لم يجد ۞ سبيلا الى غايات منتصفها ۞
فاطبق قمعا عنها ولفا ومقلة ۞ وقل لغوى الناس فالك كيفها ۞ لضيها

ولـــه انض — وصفت او صفته

ارى الدنيا وما صفت ببر ۞ اذا اغنت فقيرا ارهقته ۞
اذا خشيت بشرا عجلته ۞ وان رجيت لخير عوقته ۞
جباه كالحبا له ذات مكر ۞ ونفس المرء صيدا علقته ۞
فلا تخدع بحيلتها اريب ۞ وان هى سورته ونطقته ۞
اذا قنعت شهيا مر حناها ۞ وصدت فاه عما ذوقته ۞

وقد ورد للعرب شى مر ذلك الا انه قليل ۞ فمما جاء منه قول بعضهم مر ابيات الحماسه ۞

ان التى زعمت فواد ك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها ۞
بيضاء باكرها النعيم فصاغها ۞ بلباقة فاد قها واحلها ۞
حجبت بحنتها فقل لصاحبى ۞ ماكان اكثرها لنا واقلها ۞
واذا وجدت لها وساوس سلوة ۞ شفع الضمير الى الفواد فسلها ۞

وهـــذا مر اللطافه على ما تشهد لنفسه ۞ ومما يجرى هذا المجرى قول محمد بن حبيب العبسى مر شعراء الحماسه ايضا

ولا ادوم قدرى بعدها نضجت ۞ نخلا لمنع ما فيها اثافيها ۞
حتى يقسم شتى بيرما وسعت ۞ ولا يؤوب تحت الليل عافيها ۞

ومما ورد مر ذلك ايضا قول طرفة العبد البكرى ۞

الم تر ان المال يكسب اهله ۞ فصونا اذا لم نعط منه نواشبه ۞
ارى كل مال لا محالة ذاهبا ۞ وافضله ما ورث المجد كاسبه ۞

وكذلك ورد قول الفرزدق ۞

وغير لون راحلتى ورحلى ۞ تردى الهواجر واغتمامى ۞
اقول لها اذا ضجرت وعصت ۞ بموركه الورا لمع الزمام ۞
علام تلفتين وانت تحتى ۞ وخير الناس كلهم امامى ۞

وكذلك قوله ايضا

منع الحياة مر الرجال ونفعها ۞ حدق تقلبها النساء مراض ۞
وكان افئدة الرجال اذا راوا ۞ حدق النساء لنبلها اغراض ۞

واذا اردت ان تعلم مقدار الكلام وكان لك ذوق صحيح فانظر الى هذا العربى فى كلامه السهل الذى كانه ماء جار وانظر الى ما اورده لابى العلاء المعرى فان اثر الكلفه عليه بادٍ ظاهر ۞ ومر قصد مر العرب كلاما على اللزوم كثيرا قصده عز وهى لقصده التى اولها خليلى هذا ربع عزة فاعقلا ۞ قلوصيكما ثم احطلا حيث حلت

فى كتابى هذا وهذا الموضع امثله مر المنثور والمنظوم هتدى بها ۞ فمر ذلك ما ذكرته فى عمل كتاب فى فصل تضمن ذم جبان فقلت اذا نزل به خطب مملكه الفرق واذا ضل فى امر لم يوم الا اذا ادركه الغرق ۞ ومر ذلك ما ذكره فى مبدا كتاب الى بعض الاخوان فقلت الخادم تهدى مر دعائه وثنائه ما تسلك احدهما سماء والاخر ارضا ۞ ويصون احدهما نفسا والاخر عرضا واعجب ما فيهما انهما توءمان عنوان هذا مستنبط مر ضمير القلب وهذا مر نطق اللسان فالاول مر الزوم هينا فى الراء والضاد ۞ وكذلك ورد قولى فى عهد كتاب الى ديوان الخلافه فعلت وودعلم مرسمه الديوان العزيز انه يسر بامتداد الايدى الى مابه واذا اغنى احدها فى المسئله لها عن اغتنابه حمى لها الخلوح مر الكريم المطاف ولابد الكريمه مر الاسعاف فالزوم فى لفظى بابه واغنائه ۞ ومر ذلك ما كتبته فى عهد كتاب الى ديوان الخلافه انض وهو ۞ ومما شد به عضد الخادم مر الانعام فانه قوم اليد التى خولته ولا يقوى تضعضع السبب الاكثر غيثها التى ازلته وغرافان عبيد الدوله لها كالعدم مر اطرافها ومركز الدار مر اطرافها ولا يويد السيف للاقامه ولا نهض الجناح الا لقوادمه ۞ فالزوم فى هذا الموضع فى الراء والفاء فى قولى طاف واطراف ۞ ومر ذلك ما كتبته فى صدر كتاب الى الملك الافضل على بن يوسف اهنيه بملك مصر وسنه خمس وتسعين وخمسمائه وعلت الملوك بهنى مولانا منعه لسان الموفنه باستخلاصه واجتبائه وتمكنه حتى المع اشده واسرج كنز ابائه ولو انصف لهنى الارض منه يوابلها والامه بكافلها وخصوصا ارض مصر التى حظيت بشرف سكناه وغدت بيت بحرين مر فيض البحر وقبض يمناه ۞ وكل هذه الفصول المذكوره مر هذه المكتوبات التى انشاتها لا تكلفه على كلام اللزوم فيها ۞ وقرات فى كتاب الاغانى لابى الفرج الاقطر زيارة تزوج بنت فسير خالد بن ذى الجدين فخطبت عنده وحظى عندها ثم قتل فاتمت بعده وتزوجت زوجا غيره وكانت كما ما ذكر الاقطر فلما فعلها على ذلك فعالت انه خرج فى يوم دجن وقد تطيب وشرب فطرد البقر وصرع منها ثم اتانى وبه نضح دم فضممنى ضمة وثنتنى ثمة وليتنى مت ثمة ۞ فلم ار منظرا كان احسن مر لقطه ۞ فقولها ضمتنى ضمة وثنتنى ثمة فلبثت مت ثمه مر الكلام الملوح بابا للزوم ولا كلفه عليه وهكذا فليكر فان للكلفه وحشة تذهب برونق الصنعه ۞ وما ينبغى لمولف الكلام ان يستعمل هذا النوع حتى يجئ به متكلفا ومثاله فى هذا المقام كمر اخذ موضوعا رديا فاجاد فيه صنعته فانه كلما عند ذلك قد راعى الفرع واهمل الاصل فاضاع جوده الصنعه فى رداءه الموضع ۞ وقد سلك فى ذلك ابو العلاء عبد الله بن سليمان فيما جاء مر قوله حرفا لتامع الجاء هذه الابيات

بنت عن الدنيا ولانت لى ۞ فيها ولا عرس ولا اخت ۞
وقد تحملت مر الهذر ما ۞ يعجز ان تحمله البخت ۞
ان مدحونى سانى مدحهم ۞ وخلت انى اثرى بخت ۞ وله مر ذلك الجيد

كقوله — لا تطلبن بالة لك حالة ۞ فلم البليغ بغير جد مغزل ۞
سكن السماكان السماكلاهما ۞ هنا له رمح وهذا اعزل ۞

وهذا بين الاسترسال وبين الكلفه ۞ واما ما تكلف فيه تكلفا ظاهرا وان اجاد نحو قوله

تنازع فى الدنيا سواك ومالك ۞ ولا لك شى فى الحقيقه فيها ۞
ولكنها ملك لرب مقدر ۞ يعر خصوص الارض مر يدفنها ۞
ولم تخطر وا الى التزاع بطائل ۞ مر الامر الا ان تعد سفيها ۞

فانفس

وهذه القصيده تزيد على عشر بيتًا وهي مع ذلك سهلة ليسه تكاد تتر قع لسهلها وسهولتها ولس عليها مر اثر الكلفه شيء
ولولا خوف الاطاله لاوردتها بجملتها • وقد ذكر بعضهم مر هذا النوع ما ورد في ابيات الحماسه وهو •

• وفيشه لست لهذا الفيش • قد هلبت مرزق وطيش • اذا بدت قلت امير الجيش • مر اقها يعرف طعم العيش •

وهذا لس مرباب اللزوم لان اللزوم هو ان تلتزم الناظم او الناثر ما لا يلزمه كقولنا سرق وفرق فانه لو قيل بدل الامر
ذلك سرق وحنق لجاز ذلك • وفي هذه الابيات لا تقع الامر كذلك لانه لو قيل طيش وعرش لما جاز وهذا يقال له
الرِّدف في الشعر وهو الواو والياء قبل حرف الروي واذا جيء بذلك في الشعر او في الكلام المنثور لا يقال انه التزم
ما لا يلتزم لان الملتزم ما لا يلزم له مندوحه في العدول الى غيره وههنا لا مندوحه له • ومر لطيف ذلك ما يروى
لامراة مر البصرة مجنت بالي نواس فعالت

• ان حِرِّي حرنبل حرابيه • اذا قعدت فوقه بنابيه • كالاربب الجاثم فوق الرابيه • وكذلك ورد قول الي تمام وهو •

حَدَم العُلى فخدمته وهي التي • لا تخدم الاقوام ما لم تخدم •
واذا ارتقى في فُلْه مرسودد • قالت له الاخرى بلغت تقدم •

وعلى هذا الاسلوب ورد قوله الصّا • ولو جرّبتني لوجدت خرقا • يصافي الاكرمين ولا يصادي •
جدرًا ان يكر الطرف شزرًا • الى بعض الموارد وهو صادي • وله مر ابيات تضم مرثيه •
لقد فجعت عتابه ورهيم • وتغلبه اخرى الليالي واللهِ •
ومبتدر المعروف تسري هباته • اليهم ولا تسري لهم غوائله •
طواه الردى طي الرداء وغيبت • فضائله عر قومه وفواضله •
طوى شيمًا كانت تروح وتغتدي • وسائل مر اغيبت عليه وسائله •
فيا عارضًا للعُرف اقلع مُزنُه • ويا والدًا للجود جفت مسائلهُ •
الم تر اني ازرفت عيني على الذي • محمّدِ النجم المشرّقِ افله •
واخضلتها فه كما لو اتيته • طريد الليالي اخضلتني نوافله •

وهذا مر احسن ما يجيء هذا الباب وليس بمتكلف كشعر ابي العلا فان حسن هذا مطبوع وحسن ذلك مصنوع
وكذلك اقول في غير اللزوم مر الانواع المذكورة اذا صدرت فيها عن سهوله خاطر وسلاسه طبع وكانت عر مستجلبه
ولا مستكفه جاءت غير محتاجه الى التانق ولا شك ان صورة الخلقه غير صورة التخلق فان قيل ما الفرق بين
المتكلف في هذه الانواع وغير المتكلف قلت في الجواب اما المتكلف فهو الذي ياتي بالفكره والرويه وذلك
ان تنضي الخاطر في طلبه وتتعب على تتبعه واقتناص اثره وغير المتكلف فهو الذي ياتي مستريحا مر ذلك كله وهو
ان يكون الشاعر في نظم قصيدته او الخطيب والكاتب في انشاء خطبته او كتابه فينما هو كذلك اذ نجم له نوع مر
هذه الانواع بالاتفاق لا بالسعي والطلب الا ترى الى قول ابي نواس في مثل هذا الموضع وهو •

اترك الاطلال لا تبغي بها • انها مر كل بوس دانيه •
وانعتا الراح على لثمها • انما هنّ بنيات الدار فانعتيه •
مر عُقارٍ مر اذا ما قال لي • صِيدَتِ الشمس لنا في آنيه • وعلى هذا مر اللطافه
والسهوله ورد قوله ايضا • كم مر غلام ذي تجاسين • افسده ناطف ماسين • وهذا ياسر كان

يبيع الناطف ببغداذ • وحكى ابرهيم الندبجي قال رايت شيخًا ضعيفا يبيع ناطفا رزًا فقلت له يا
شيخ اما زلت في هذه الصناعه فاما كنت ولكن الحال كانت واسعه والسلعه نافقه وكنت مر تشار الى حتى
قال ابو نواس في وانشد هذا البيت • فانظر ايها المتامل ما اجلا لفظ ابي نواس في لزومه وما اغراه عن
الكلفه فكذلك فليكر الالفاظ في اللزوم وغيره واعلم انه اذا صغرت الكلمة الاخيرة مر الشعر او مر فواصل
الكلام المنثور فان ذلك ملحق باللزوم ويكون التصغير عوضًا عر تساوي الحروف التي قبل روي الابيات الشعريه
والحروف التي قبل الفاصلة مر النثر • ومر ذلك قول بعضهم

• عزّ على ليلى بذي سُدَيْر • سوء مبيتي ليلة الغُمَيْر • مقبضنا نفسي في طُمَيْرى •
تنهر الرعده في ظُهَيْرى • يهفو الى ثرور صدري • ظمآن في ريح وفي مُطَيْر •
وارضٌ قرلس بالقهر • مر بَدِ ما ظُهْرٍ الى سُحَيْر • حتى بدت لي حمه القميرى •
لاربع خلون مر شُهَيْر • وهذا مر محاسن الصنعه في هذا الباب فاعرفه واحسن منه ما ورد عن
ابي نواس وعنان جارية النطاف وله معها حكايات كثيره غير هذه فقال ابو نواس

اما ترثي لصبّ • يكفيه منك قُمَيْر • فقالت عنان قطيره
اياي تعني لهنا • عليك فاجلد عميْر • فقال ابو نواس
اخاف ان رمت هنا • على يدي منك عَثَيْر • فالت الاول والثاني مر هذا الباب

والثالث جاء ضمنًا وتبعًا وقد ورد في القرار الكريم شيء مر هذا اللزوم الا انه يسير جدًا • ومر ذلك قوله تعر
اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان مر علق وقوله تعر والطور وكتاب مسطور وكذلك قوله تعر هذه السوره
وقد كرها انت بنعمه ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون • وربما وقع بعض الجهال
في هذا الموضع فادخل فيه ما ليس منه كقول بعض المقصرين حنات ونعيم فاكهين بما اتاهم ربهم ووقاهم ربهم
عذاب الجحيم وهذا لا يدخل في باب اللزوم لان الاصل فيه نعيم وجحيم والياء هي مر حروف المد واللين فلا يعتد
بها ههنا • ومر هذا الباب قوله تعر واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود • وكذلك
قوله تعر فالملوم حتى لا يكون فتنه ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا
ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير وعلى هذا الاسلوب جاء قوله تعر في قصه ابرهيم اني اخاف ان يمسك
عذاب مر الرحمر فتكون للشيطان وليا قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم لئر لم تنته لارجمنك واهجرني ملييا •
وعلى نحو مر هذا جاء قوله تعر قال ورينه رسنا ما اطغيته ولكر كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا لدي وقد قدمت
اليكر بالوعيد ولا تجادلوا لدي بما لا يجدي في القرار الا قليلا • النوع الخامس في الموازنه وهي ان تكون
الفاظ الفواصل مر الكلام المنثور متساويه في الوزن وان تكون صله البيت الشعري ومجزوه متساوي
الالفاظ وزنا وللكلام بذلك طلاوة ورونق وسببه الاعتدال لانه مطلوب في جميع الاشياء واذا كانت مقاطع
الكلام معتدله ووقعت مر النفس موقع الاستحسان وهذا لامر آخر فيه لوضوحه وهذا النوع مر الكلام
هو اخو السجع وفي معادله دون المماثله لان في السجع اعتداله وزياده على الاعتدال وهي تماثل اجزاء الفواصل
لورودها على حرف واحد واما الموازنه ففيها الاعتدال الموجود في السجع ولا تماثل في فواصلها فمثال
اذن كل سجع موازنه وليس كل موازنه سجعًا وعلى هذا فان السجع اخص مر الموازنه • فمما جاء فيها قوله تعر

فالمستبين والمستقيم

وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم على وزن واحد • وكذلك قوله تعالى في سورة مريم عليها السلام
واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على
الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا • وكذلك قوله تعالى في سورة طه من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا
خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا وكذلك ورد قوله تعالى في سورة حم عسق والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب
لهم حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل
الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون
في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة
الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا
الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير • وهذه الآيات جميعها على وزن واحد
فإن شديد وقريب وبعيد وعزيز ونصيب وأليم وكبير كل ذلك على وزن فعيل وإن اختلفت حروف المقاطع التي
هي فواصلها وأمثال هذا في القرآن كثير بل معظم آياته جارية على هذا النهج حتى أنه لا يخلو منه سورة من السور ولقد
تصفحته فوجدته لا يكاد يخرج منه شيء عن السجع والموازنة • وأما ما جاء من هذا النوع شعرا فكقول ربيعة بن ذؤابة

ثللت

إن يقتلوك فقد ثلت عروشهم • بعتيبة بن الحرث بن شهاب •
بأشدهم بأسا على أعدائه • وأعزهم فقدا على الأصحاب •

والبيت الثاني هو المختص بالموازنة • **النوع السادس في اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها**
وهو من هذه الصناعة بمنزلة علية ومكانة شريفة وحل الأسرار اللفظية منوط به فلقد لقيت جماعة من مدعي فن
الفصاحة وفاوضتهم وفاوضوني وسألتهم وسألوني فما وجدت أحدا منهم يتقن معرفة هذا الموضع كما ينبغي
ولقد استخرجت فيه أشياء لم أسبق إليها وسيأتي ذكرها هاهنا أما اختلاف صيغ الألفاظ فإنها إذا نقلت
من هيئة إلى هيئة كنقلها مثلا من وزن من الأوزان إلى وزن آخر وإن كانت اللفظة واحدة أو كنقلها من صيغة الاسم إلى صيغة
الفعل ومن صيغة الفعل إلى صيغة الاسم أو كنقلها من الماضي إلى المستقبل أو من المستقبل إلى الماضي أو من
الواحد إلى التثنية أو إلى الجمع أو إلى النسب أو إلى غير ذلك انتقل قبحها صار حسنا وحسنها صار قبحا • فمن ذلك
لفظة خود فإنها عبارة عن المرأة الناعمة وإذا نقلت إلى صيغة الفعل قيل خود على وزن فعل بتشديد العين
ومعناها أسرع يقال خود البعير إذا أسرع فهي على صيغة الاسم حسنة رائقة وقد ورد في النظم والنثر كثيرا وإذا
جاءت على صيغة الفعل لم تكن حسنة كقول أبي تمام • وإلى بني عبد الكريم تواهقت • رأل النعام رأى الطريق فخودا •
وهذا يقاس عليه أشباهه وأنظاره إلا أن هذه اللفظة التي هي خود قد نقلت من الحقيقة إلى المجاز فخف عنها
ذلك القبح كقول بعض شعراء الحماسة • أقول لنفسي حين خود رألها • رويدك لما تشفقي حين مشفق •
رويدك حتى تنظري عم تنجلي • غيابة هذا البارق المتألق •
والرأل النعام والمراد به هاهنا أن نفسه فرت وفزعت وشبه ذلك بإسراع النعام في فراره وفزعه ولما أورده
على حكم المجاز خف بعض القبح الذي على لفظة خود وهذا يدرك بالذوق الصحيح ولا خفاء بما بين هذه اللفظة
في إيرادها هاهنا وإيرادها في بيت أبي تمام فإنها وردت في بيت أبي تمام قبيحة سمجة وقد وردت هنا وهي بين

الاسم

رأل

ومن

ومن هذا النوع لفظة ودع وهي فعل ماض ثلاثي لا ثقل بها على اللسان ومع هذا فلا تستعمل على صيغتها
الماضية إلا جاءت غير مستحسنة ولكنها تستعمل مستقبلة وعلى صيغة الأمر فتجيء حسنة أما الأمر فكقوله دعهم
يخوضوا ويلعبوا ولم يأت في القرآن إلا على هذه الصيغة • وأما كونها مستقبلة فقول النبي ص وقد واصل
في شهر رمضان فواصل معه قوم فقال لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع له المتعمقون تعمقهم
وقال أبو الطيب المتنبي • تشقكم بقناها كل سلهبة • والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع • وأما الماضي
من هذه اللفظة فلم يستعمل إلا شاذا ولا حسن له كقول أبي العتاهية •

أثروا فلم يدخلوا قبورهم • شيئا من الثروة التي جمعوا •
وكان ما قدموا لأنفسهم • أعظم نفعا من الذي ودعوا • وهذا غير حسن في

الاستعمال ولا عليه من الطلاوة شيء وهذه لفظة واحدة لم يتغير من حالها شيء سوى أنها نقلت من الماضي إلى المستقبل
لا غير وكذلك لفظة وذر فإنها لا تستعمل ماضية وتستعمل على صيغة الأمر كقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا وتستعمل
مستقبلة أيضا كقوله تعالى سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر فهي لم ترد في القرآن إلا على هاتين الصيغتين
وكذلك في فصيح الكلام غير القرآن • وأما إذا جاءت على صيغة الماضي فإنها لا تستعمل وهي أقبح من لفظة ودع
وقد استعملت ماضية وهذه لم تستعمل هاهنا فلينعم الخائضون في هذا الفن نظرهم ويعلموا أن في الزوايا خبايا
وإذا أمعنوا الفكر في أسرار الألفاظ عند الاستعمال وأغرقوا في الكشف والاعتبار وجدوا غرائب وعجائب
ومن هذا النوع لفظة الأخدع فإنها وردت في بيتين من الشعر وهي في إحداهما حسنة رائقة وفي الآخر ثقيلة
مستكرهة كقول الصمة بن عبد الله من شعراء الحماسة • تلفت نحو الحي حتى وجدتني • وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا •
وكقول أبي تمام • يا دهر قوم من أخدعيك فقد • أضججت هذا الأنام من خرقك • ألا ترى أنه وجد لهذه
اللفظة في بيت أبي تمام من الثقل على السمع والكراهة على النفس أضعاف ما وجد لها في بيت الصمة بن عبد الله من الروح
والخفة والإيناس والبهجة وليس سبب ذلك إلا أنها جاءت موحدة في أحدهما مثناة في الآخر فكانت حسنة في حالة الإفراد
مستكرهة في حال التثنية وإلا فاللفظة واحدة وإنما اختلاف صيغتها فعل بها ما ترى • ومن هذا النوع ألفاظ
يعدل عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها ولا يستفتى في ذلك إلا الذوق السليم • وهذا موضع عجيب
لا يعلم كنه سره • فمن ذلك لفظة اللب الذي هو العقل لا لفظة اللب الذي هو تحت القشر فإنها لا تحسن في الاستعمال
إلا مجموعة ولذلك قد وردت في القرآن في مواضع كثيرة وهي مجموعة ولم ترد مفردة كقوله تعالى وليذكر أولو الألباب
وإن في ذلك لذكرى لأولي الألباب وأشباه ذلك وهذه اللفظة ثلاثية خفيفة على النطق ومخارجها بعيدة وليست
بمستكرهة ولا مكروهة وقد تستعمل مفردة بشرط أن تكون مضافة أو مضافا إليها أما كونها مضافا إليها فكقولنا
لا يعلم ذلك إلا ذو لب وإن في ذلك لعبرة لذي لب وعليه ورد قول جرير

إن العيون التي في طرفها حور • قتلننا ثم لم يحيين قتلانا •
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به • وهن أضعف خلق الله أركانا • وأما كونها مضافة فكقول

النبي ص في ذكر النساء ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الحازم من أحداكن يا معشر النساء • فإن كانت هذه اللفظة
عارية عن الجمع والإضافة فإنها لا تأتي حسنة ولا تجد دليلا على ذلك إلا مجرد الذوق السليم وإذا تأملت القرآن الكريم
ودققت النظر في رموزه وأسراره وجدت مثل هذه اللفظة قد روعي فيها الجمع دون الإفراد كلفظة كوب فإنها

السلهب فرس طويل

لأن لفظة ودع

بمستقلة

وردت في القران مجموعة ولم ترد مفردة وهي وان لم تكن مستقبحة في حال افرادها فان الجمع فيها احسن لكن
قد ترد مفردة مع الفاظ اخر يندرج معهن فيكسوها ذلك حسنا ليس لها وذلك كقولي في جملة ابيات اصف
فيها الخمر وما يجري معها من الاتها فقلت ثلثة تعطي الفرح • كاس وكوب وقدح •
• ما ذبح الزق بها • الا وللهم ذبح • فلما وردت لفظة الكوب مع الكاس والقدح على هذا الاسلوب حسنها
وكانه حلاها في غير لباسها الذي كان لها اذا جاءت بمفردها • وكذلك وردت لفظة رجا بالقصر والرجا الجانب
فانها لم تستعمل موحدة وانما استعملت مجموعة كقوله تعالى والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ
ثمانية فلما وردت هذه اللفظة مجموعة البسها الجمع ثوبا من الحسن لم يكن لها في حال كونها موحدة وقد تستعمل موحدة
بشرط الاضافة كقولنا رجا البئر • ولربما اخطاء بعض الناس في هذا الموضع وقاس عليه ما ليس بمقيس
وذلك انه وقف على ما ذكرته ههنا واقف فقال وكذلك وردت لفظة الصوف في القران ولم ترد الا مجموعة
كقوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها
واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين وهذا بخلاف ما وردت عليه في شعر ابي تمام •
• كانوا برود زمانهم فتصدعوا • فكانما لبس الزمان الصوفا • وهذا ليس كالذي اشرت اليه لان لفظة
الصوف حسنة مفردة ومجموعة وانما ازري بها في قول ابي تمام انها جاءت مجازية في نسبتها الى الزمان
وعلى هذا النهج وردت لفظة حبر واحبار فان هذه اللفظة مجموعة احسن منها مفردة ولم ترد في القران
الا مجموعة وفي ضد ذلك ما ورد استعماله من الالفاظ مفردا ولم يرد مجموعا كلفظة الارض فانها لم ترد في
القران الا مفردة فاذا ذكرت السما مجموعة جيء بها مفردة معها في كل موضع من القران ولما اريد ان يؤتى بها
مجموعة قيل ومن الارض مثلهن في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن • ومما ورد من الالفاظ
مفردا فكان احسن مما ورد مجموعا لفظة البقعة قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام فلما اتاها نودي من شاطئ
الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله • والاحسن استعمالها مفردة لا مجموعة
وان استعملت مجموعة فالاولى ان تكون مضافة كقولنا بقاع الارض وما يجري مجراه وكذلك لفظة طيف
في ذكر طيف الخيال فانها لم تستعمل الا مفردة لان جمعها جمع قبيح فاذا قيل طيوف كان من اقبح الالفاظ واشدها
كراهية على السمع • ويا لله العجب من هذه اللفظة ومن اختها عدة ووزنا وهي لفظة ضيف فانها تستعمل
مفردة ومجموعة وكلاهما في الاستعمال حسن رائق وهذا مما لا يعلم السر فيه • والذوق السليم هو الحاكم في الفرق
بين هاتين اللفظتين وما يجري مجراهما • واما جمع المصادر فانه لا يجيء حسنا والافراد فيه هو الحسن • ومما جاء من المصادر
مجموعا قول عنترة • فان يبرأ فلم انفث عليه • وان يفقد فحق له الفقود • فقوله الفقود جمع مصدر
من قولنا فقد يفقد فقدا واستعمال مثل هذه اللفظة غير سائغ ولا لذيذ وان كان جائزا ونحن في استعمال ما يستعمل
من الالفاظ واقفون مع الحسن لا مع الجواز وهذا كله يرجع الى حاكم الذوق السليم فان صاحب هذه الصناعة
يصرف الالفاظ بضروب التصريف فما عذب في فمه منها استعمله وما لفظه فمه تركه • الا ترى انه يقال الامة عبارة
عن الجمع الكثير من الناس ويقال الامة بالكسر وهي النعمة فان الامة بالضم لفظ حسن وبالكسر ليست حسنة واستعمالها
قبيح • ورايت صاحب كتاب الفصيح قد ذكرها فيما اختاره من الالفاظ الفصيحة وبالبيت شعري ما الذي راه من فصاحتها
حتى اختارها وكذلك قد اختار الفاظا ليست بفصيحة ولا لوم عليه لان صدور مثل ذلك الكتاب عنه كثير واسرار الفصاحة

وقد استعملها الشعراء قديما وحديثا فلم يأتوا بها الا مفردة صح

بالضم

فيه نظر

لا توخذ

لا توخذ من علماء العربية وانما توخذ عنهم مسئلة نحوية او تصريفية او نقل كلمة لغوية او ما جرى هذا المجرى واما
اسرار الفصاحة فلها قوم مخصوصون بها واذا شذ عن صاحب كتاب الفصيح الفاظ معدودة ليست بفصيحة في جملة
كثير ذكره في الفصيح فان هذا منه كثير • ومما يذكر في هذا الباب انه يقال انه سهم صائب واذا جمع الجمع الحسن
الذي يعذب في الفهم قيل سهام صوائب وصائبات وصيب واذا جمع الجمع الذي يقبح قيل سهام صيب على وزن
كتب قال ابو نواس • ما احل الله ما صنعت عينه تلك العشية بي • قتلت انسانها كبدي • بسهام للردى صيب •
فقوله سهام صيب من الكلام الذي ينبو عنه السمع ويحيد عنه اللسان ومثله ورد قول عويف القوافي من ابيات
الحماسة • ذهب الرقاد فما يحس رقاد • مما شجاك ونامت العواد •
لما اتاني من عيينة انه • امست عليه بظاهر الاقياد • فقوله الاقياد في جمع
قيد مما لا يحسن استعماله بل الحسن يقال في جمعه قيود • وكذلك قول مرة بن محكان التميمي من ابيات الحماسة
وذلك من جملة الابيات المشهورة التي اولها يا ربة البيت قومي غير صاغرة • ضمي اليك رحال القوم والقربا •
فقال فيها • ماذا ترين اندنيهم لارحلنا • في جانب البيت ام نبني لهم قببا • فانه جمع قبة على
قبب وذلك من المستبشع الكريه والاحسن المستعمل هو قباب لا قبب وكذلك يجري الامر في غير هذا • ومن المجموع
ما يختلف استعماله وان كان متفقا في لفظة واحدة كالعين الناظرة وعين الناس وهو النبيه فيهم فان العين
الناظرة تجمع على عيون وعين الناس تجمع على اعيان وهذا يرجع فيه الى الاستحسان لا الى جائز الوضع اللغوي وقد
شذ هذا الموضع عن ابي الطيب المتنبي قوله • فالقوم في اعيانهم خزر • والخيل في اعيانها قبل • فجمع العين
الناظرة على اعيان وكان الذوق يابى ذلك ولا يجد له على اللسان حلاوة وان كان جائزا ولولا خوف الاطالة
لاوردت من هذا النوع وامثاله اشيا كثيرة وكشفت عن رموز واسرار يخفى على كثير من متعاطي هذا الفن لكن في الذي
اشرت اليه تنبيه لاهل الفطانة والذكا ان يحملوه على اشباهه وانظاره • واعجب من هذا كله انك ترى وزنا
واحدا من الالفاظ فتارة تجد مفرده حسنا وتارة تجد جمعه حسنا وتارة تجدهما حسنين فالاول نحو حبرور
وهو فرخ الحباري فان هذه اللفظة تحسن مفردة لا مجموعة لان جمعها على حبارير وكذلك طنبور وطنابر
وعرقوب وعراقب • واما الثاني فنحو بهلول وبهاليل ولهموم ولهاميم وهذا ضد الاول • واما الثالث فنحو
جمهور وجماهير وعرجون وعراجين فلينظر الى الوزن الواحد وهي ثلثة مستكنة الوسط وجميعها حسن في الاستعمال
واذا اردنا ان نثقل منها وسطها حسن منها شيء دون شيء فمن ذلك لفظة الثلث والربع الى العشر فان الجميع
على وزن واحد واذا ثقلنا اوساطها فقلنا ثلث وربع وخمس وكذلك الى عشر فان الحسن من ذلك جميعه ثلثة وهي
الثلث والخمس والسدس والباقي وهو الربع والسبع والثمن والتسع والعشر ليس كالاول في حسنه هذا والجميع
على وزن واحد وصيغة واحدة والجميع حسن في الاستعمال قبل ان يثقل وسطه ولما ثقل صار بعضه حسنا وبعضه
غير حسن • وكذلك نجد الامر في اسماء الفاعلين كالثلاثي منها نحو فعل بفتح الفاء والعين وفعل بفتح الفا وكسر العين
وفعل بفتح الفا وضم العين فان هذه الاوزان الثلثة لها اسما فاعلين واما فعل بفتح الفاء والعين فليس له الا
اسم واحد وهو فاعل لا غير ولا يقع فيه اختلاف وكذلك فعل بفتح الفا وضم العين فليس له الا اسم واحد ايضا وهو
فعيل فلا يقع فيه اختلاف الا ما شذ لكن فعل بفتح الفاء وكسر العين يقع في اسم فاعله الاختلاف استحسانا
واستقباحا لان له ثلثة اوزان نحو فاعل وفعل وفعلان ويقول منه حمد فهو حامد وحمد وحمدان وقد جا

كيف يختلف في احواله مفردا ومجموعا وهذا من اعجب ما يجيء في هذا الباب وهكذا قد جاءت الفاظ على وزن واحد صح

على وزن فرح فيقول منه فرح زيد فهو فرح وهو الاحسن ولا يحسن ان يقال فارح ولا فرحان وان كان جائزا لكن
فرحان احسن من فارح وقد وردت هذه اللفظة في القران الكريم فلم يستعمل الا على فرح لا غير كقوله تعالى كل حزب بما
لديهم فرحون وكقوله تعالى ان الله لا يحب الفرحين وقد جاءت هذه اللفظة في شعر بعض شعراء الحماسة في باب المراثي
فما انا من حزن وان جل جازع • ولا بسرور بعد موتك فارح • وهذا غير حسن وان جاز استعماله وعلى نحو منه يقال
غضب فهو غضبان ولا يقال غاضب وان كان جائزا وقد تقدم القول انا في تاليف الكلام بصدد استعمال الحسن
والاحسن لا بصدد استعمال الجائز وغير الجائز • ومما يجري هذا المجرى قولنا فعل وافتعل فان لفظة فعل لها
موضع يستعمل فيه ولفظة افتعل لها موضع يستعمل فيه الا ترى انك تقول قعدت الى فلان احدثه ولا تقول
اقتعدت اليه وكذلك تقول اقتعدت غارب الجمل ولا تقول قعدت على غارب الجمل وان جاز ذلك لكن الاول احسن
وهذا لا يحكم فيه غير الذوق السليم فانه لا يمكن ان يقام عليه دليل • واما فعل وافعوعل فانا نقول اعشب المكان
فاذا كثر عشبه قلنا اعشوشب فلفظة افعوعل للتكثير على استقريت هذه اللفظة في كثير من الالفاظ فوجدتها
عذبة طيبة على تكرار حروفها كقولنا اخشوشن المكان واغرورقت العين واحلولى الطعم واشباهها • واما فعلة
نحو همزة ولمزة وحثمة ونومة ولكنة ولحنة واشباه ذلك فالغالب على هذه اللفظة ان تكون حسنة وهذا اخذته
بالاستقراء وفي اللغة مواضع كثيرة هكذا لا يمكن استقصاؤها فانظر الى ما يفعله اختلاف الصيغة بالالفاظ وعليك
ان تتفقد امثال هذه المواضع لتعلم كيف تضع يدك في استعمالها فكثيرا ما تقع فحول الخطباء والشعراء في مثلها ومؤلف
الكلام من كاتب وشاعر اذا مرت به الالفاظ عرضها على ذوقه الصحيح فما يجد الحسن منها موحدا وحده وما يجد الحسن
منها مجموعا جمعه وكذلك يجري الحكم فيما سوى ذلك من الالفاظ • النوع السابع في المعاظلة اللفظية •
والمعاظلة معاظلتان لفظية ومعنوية اما المعنوية فسياتي ذكرها في باب التقديم والتاخير من المقالة الثالثة فليوخذ
من هناك واما المعاظلة اللفظية وهي المخصوصة بالذكر ههنا في باب صناعة الالفاظ وحقيقتها ماخوذة من قولهم
تعاظلت الجراذان اذا ركبت احداهما الاخرى فسمي الكلام المتراكب في الفاظه او في معانيه المعاظلة ماخوذا
من ذلك وهو اسم لائق بمسماه • ووصف عمر بن الخطاب رض زهير بن ابي سلمى فقال كان لا يعاظل بين الكلام • وقد اختلف علماء
البيان في حقيقة المعاظلة فقال قدامة بن جعفر الكاتب التعاظل في الكلام هو ان يدخل بعض الكلام فيما
ليس من جنسه ولا اعرف ذلك الا فاحش الاستعارة كقول اوس بن حجر •
• وذات هدم عار نواشرها تصمت بالماء تولبا جدعا • فسمي الصبي تولبا والتولب ولد الحمار هذا ما ذكره
قدامة بن جعفر • وهو خطا اذ لو كان ما ذهب اليه صوابا لكانت حقيقة المعاظلة دخول الكلام فيما ليس جنسه
وليست حقيقتها هذه بل حقيقتها ما تقدم ذكره وهو التراكب من قولهم تعاظلت الجراذان اذا ركبت احداهما
الاخرى وهذا المثال الذي مثل به قدامة لا تراكب في الفاظه ولا معانيه • واما غير قدامة فانه خالفه فيما
ذهب اليه الا انه لم يقسم المعاظلة الى لفظية ومعنوية ولكنه ضرب لها مثالا كقول الفرزدق •
• وما مثله في الناس الا مملكا • ابو امه حي ابوه يقاربه • وهذا من القسم المعنوي لا من اللفظي الا ترى ان
تراكب معانيه بتقديم ما كان تحت تاخيره وتاخير ما كان تحت تقديمه لان الاصل في معناه وما مثله في الناس حي
يقاربه الا مملكا ابو امه ابوه وسيجي شرح ذلك مستوفى في بابه من المقالة الثالثة ان شاء الله واذا حققت القول في
بيان المعاظلة والكشف عن حقيقتها فاني اتبع ذلك بتقسيم القسم اللفظي منها الذي انا بصدد ذكره ههنا فاقول

اني

اني تاملته بالاستقراء من الاشعار قديمها ومحدثها ومن النظر في حقيقة نفسها فوجدته ينقسم الى خمسة اقسام
الاول منها ما يختص بادوات الكلام نحو من والى وعن وعلى واشباهها فان منها ما يسهل النطق به اذا ورد مع
اخواته ومنها ما لا يسهل بل يرد ثقيلا على اللسان ولكل موضع يخصه من السبك فمما جاء منه قول ابي تمام •
• الى خالد راحت بنا ارحبية • مرافقها من عن كراكرها نكب • فقولها من عن كراكرها • من الكلام المتعاظل الذي
يثقل النطق به على انه قد وردت هاتان اللفظتان وهما من وعن في موضع اخر فلم يثقل النطق بهما كقول القائل
من عن يمين الطريق • والسبب في ذلك انهما وردتا في بيت ابي تمام مضافتين الى لفظة الكراكر فثقلت منهما وجعلتهما مكروهتين
كما ترى والا فقد وردتا في شعر قطري بن الفجاءة فكانتا خفيفتين كقوله
• ولقد اراني للرماح دريئة • من عن يميني مرة وامامي • والاصل في ذلك راجع الى السبك فاذا سبكت هاتان اللفظتان
او ما يجري مجراهما مع الفاظ تسهل منهما ما لم يكن بهما من ثقل كما جاءتا في بيت قطري فاذا سبكتا مع الفاظ يثقل منهما
جاءتا كما جاءتا في بيت ابي تمام • ومن هذا القسم قول ابي تمام ايضا •
• كانه في اجتماع الروح فيه له • في كل جارحة من جسمه روح • فقوله في بعد قوله فيه له مما لا يحسن وروده •
وكذلك ورد قول ابي الطيب المتنبي • وتسعدني في غمرة بعد غمرة • سبوح لها منها عليها شواهد •
فقوله لها منها عليها شواهد من الثقيل الثقيل الثقيل • وكذلك قوله
تبيت وفودهم تسري اليه • وجدواه التي سالوا اعتفار •
فخلفهم برد البيض عنهم • وهامهم له معهم مغار • فقوله وهامهم له معهم
مما يثقل النطق به ويعثر اللسان فيه ولكنه اقرب حالا من الاول • ومن الحسن في هذا الموضع قول ابي تمام
• دار اجل الهوى عن ان الم بها • في الركب الا وعيني من منايحها • فقوله عن ان في هذا الموضع من الخفيف
الحسن الذي لا باس به • القسم الثاني من المعاظلة اللفظية يختص بتكرير الالفاظ ولا بتكرير المعاني مما ياتي ذكره
في باب التكرير من المقالة الثانية وانما هو تكرير حرف واحد وحرفين في كل لفظة من الفاظ الكلام المنثور او المنظوم فيثقل
النطق به فمن ذلك قول بعضهم • وقبر خرب بمكان قفر • وليس قرب قبر خرب قبر • فهذه القافات والراءات
كانها في تتابعها سلسلة ولا خفاء بما في ذلك من الثقل وهكذا ورد قول الحريري في مقاماته فقال
• وازور من كان له زائرا • وعاف عافي العرف عرفانه • فقوله وعاف عافي العرف عرفانه من التكرير المشار اليه
وكذلك ورد قوله ايضا في رسالتيه اللتين صاغهما على حرف السين والشين فانه اتى في احدهما بالسين في كل لفظة
من الفاظها واتى في الاخرى بالشين في كل لفظة من الفاظها فجاءتا كانهما رقى العقارب او حذرفة العزائم وما اعلم
كيف خفي ما فيهما من القبح على مثل الحريري مع معرفته بالجيد والردي من الكلام • ويحكى عن بعض الوعاظ انه قال
في جملة كلام اورده • جنى جنات وجنات الحبيب • فصاح رجل من الحاضرين في المجلس وماد وتعاشى فقال له من كان الى
جانبه ما الذي سمعت حتى حدث بك هذا فقال سمعت جيما في جيم في جيم فصحت • وهذا من اقبح العيوب في الالفاظ
ومما جاء منه قول ابي الطيب المتنبي في قصيدته التي مطلعها • اتراها لكثرة العشاق • فقال
• كيف ترقى التي ترى كل جفن • راها غير جفنها غير راق • وهذا وامثاله انما يعرض لقائله في نوبة الصرع
التي تنوب في بعض الايام ومن هذا القسم قول الشاعر المعروف بكشاجم في قصيدته التي مطلعها •
• داو خماري بكاس خمر • فقال • والزهر والقطر في رباها • ما بين نظم وبين نثر •

الحروف وليس في كل ما يتعلق بتكرير

حدائق كف كل ريح • جل لها خيط كل قطر • وهذا البيت يحاج الناطق به الى بيكار يضعه فى شدقه حتى يدير له
وعلى هذا الاسلوب ورد قول بعضهم وهو البيت المشهور الذى يتداكره الناس •

• مللت مطال مولود مفدّى • مليح ما بغى منى مرادى • وهذه الممات كلها عقد متصل بعضها ببعض وكان بعض
اهل الادب من اهل عصرنا هذا يستعمل هذا القسم من المعاظلة كثيرا فى كلامه نثرا ونظما وذلك لعدم معرفته بسلوك الطريق
وانا اذكر شيئا من ذلك لقوله فى وصف رجل سخى • انت المريح كيما الريح والمليح وان تجهّم المليح للكليح عندسا يا لوح •
يا لفوق اذ تروق مراى بوح • يا مغسوق كاس لجدا مصبوح • ضاوعرنداك اللوح • وبباك المفتوح تسريح وترتيح •
دوا التبريح ورقه الطليح • فانظر الى حرف الحاء كيف لزمه فى كل لعطه من هذه الالفاظ فجاء كما تراه من الثقل والعثاثة
واعلم ان العرب الذين هم الاصل فى هذه اللغة قد عدلوا عن تكرير الحروف فى كثير من كلامهم وذلك انه اذا تكرر الحرف
عندهم اد غموه استحسانا فقال فى جعل لك جعلك وفى يصرّ ونى يصرونى وكذلك قالوا استعد فلان للامر اذا
تاهب له والاصل فيه استعدد واستتب للامر اذا هيأ والاصل فيه استتبب واشباه هذا كثيرة فى كلامهم حتى انهم
لشدة كراهتهم لتكرير الحروف ابدلوا احدا لحرفين المكررين حرفا اخر غيرهما حتى يخف فقالوا املت الكتاب والاصل
فيه امللت فابدلوا اللام ياء طلبا للتخفيف وفرارا من الثقل واذا كان قد فعلوا ذلك فى اللفظة الواحدة فما ظنك
بالالفاظ الكثيرة التى يتبع بعضها بعضا فانها كالحلف سرمادى ومستقبل ومنها ما هو للحلف فالاول كقول العباس
الارجانى فى ابيات يصف فيها الشمعة ومنها معنى هو له مبتدع ولم يسمع من غيره وذلك انه فاء لسان الشمع انه
الف العسل وهو اخو الذى زنى معه فى بيت واحد وان النار فرقت بينه وبينه وانه نذر ان يقتل نفسه بالنار نفض
من الفراق الا انه اساء العبارة فقال • بالنار فرقت الحوادث بيننا • وبها نذرت أعود أقتل روحى •
ففوله نذرت اعود اقتل من المعاظلة المشار اليها • واما ما ورد على نهج واحد من الصيغة الفعلية كقول الى الطيب
المبنى • اقلا انا اقطع اجمل على سلّ اعد • زد هش بش تفضل ادن سر صل • فهذه الالفاظ حاءت على صيغة
واحدة وهى صيغة الامر كانه قال افعل افعل افعل هكذا الى اخر البيت وهذا تكرير للصيغة وان لم يكن تكريرا للحروف
الا انه اخو ولا اقول ابن عمّ وهذه الالفاظ متراكبة متداخلة ولو عطفها بالواو لكانت اقرب حالا كما قال اعبد سلام
ابن عِلان • فسد الناس فاطلب الرزق بالسيف والافهت شدّ بدا لهُزال •
اجل وامرض وانفع ولِن واخشن ورش وابرّ وانتدب للمعالى •

الا ترى انه لما عطف ههنا بالواو ولم يتراكب الالفاظ كتراكبها فى بيت الى الطيب المقدم ذكره فان قيل انك جعلت
ما كان وارد اعلى صيغة واحدة على سبيل التكرار معاظلة وقد ورد ذلك فى القرآن كقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ولو كان معاظلا لما ورد فى القرآن مثل
هذا عن ذلك انى قوله هذه الآية ليس بذلك فان هذا الموضع نظر فيه الى القليل والكثير فاذا كثر كان
تعاظلا لتراكبه وثقله على النطق وقد عرفت انما نفصل بين صيغة بواو العطف لكونها قليلة فلما لم تفصل والذى
اكثر منه من ذلك هو ان تاتى الفاظ مكررة على صيغة واحدة كانها عقد متصل فى ثقل النطق بها ويكره موقعها من السمع
كثيرا فى الطيب المبنى • واما الآية المشار اليها فخارجة عن هذا الحكم الذى الفاظها لما وردت الفاظها على صيغة واحدة
فرق بينها بواو العطف لم يمكن التفريق بينها بواو العطف لو ورد التكرير فيها الا بين ثنتين وهما خذوهم واحصروهم
واما الصيغة الاولى فانه اضيف اليها كلام اخر فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم ثم لما جاءت الصيغة

٣ القسم الثالث من المعاظلة ان ترد الالفاظ على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضا •

الرابعة اضيف اليها كلام اخر فصل واقعدوا لهم كل مرصد لاجرم ان الآيات غريقيلة على النطق مع توارد صيغة
الامر منها اربع مرات وهذه رموز ينبغى ان تتنبه لها فى استعمال الالفاظ اذا جاءت هكذا • القسم الرابع من
المعاظلة وهو الذى تنضم مضافات كثيرة كقولهم سرج فرس علام زيد وان زيد على ذلك فعل البدرج فرس علام زيد
وهذا اشد قبحا واثقل على اللسان وعليه ورد قول ابن مالك الشاعر مفتتح قصيده له فقال
• حمامه جرعى حومه الجندل اسجعى • فانت عمرأى مرسعاك ومسمعى • القسم الخامس من المعاظلة ان ترد
صفات متعدده على نحو واحد كقول ابى تمام فى قصيدته التى مطلعها • ما الكئيب الحما الى عصده • فقال
يصف جملا •
ساحرقا الحرق بابن خرقا كالهيق اذا ما استحم من لجده •
معقبل الجرمل صلب القرا لوحك مرجبه الى كبده •
تامكة قُهدة مداخلة • مسلومه محرسله أجُده • فالست لذلك من المعاظلة التى
قلع الاسنان دون ايرادها وكذلك فاقرأ من هذه القصيدة نصف بيتا •
ومرهفواد واتاه على • اسمر متن يوم الوغى جسده •
مارسه لدنه مثقفه • عراضه فى الاكف مُطّرده • وهذا كالاول فى قبحه وثقله
فقاتله لسما متن شعره وما استخفه فى بعض الاحوال • وعلى هذا ما جاء من القصيده ايضا فقال يصف الممدوح
الذى عن سيل عارض خضل الشوبوب نابى الحمام مرتصده •
مشفقه ثم مستجسجه • وابله مستهله بَرَده • ولو لم يكن لابى تمام من القبح الشنيع
الا هذه الابيات لحطت من قدره وعلى هذا ورد قول ابى الطيب المبنى •
بدا ان بعيد محت مُبغض نهج • اغرّ حلو مميّز ليّن شرس •
يدّ ابى غرّ وافا فى ثقه • جعد سرىّ نه ندب رضى ندس • وهذا كانه سلسله بلا شك
وقليلا ما يوجد فى اشعار الشعراء ولم اجده كثيرا الا فى شعر الفرزدق وتلك معاظلة معنوية وسياتى بيانها فى بابها
وهذه معاظلة لفظيه وهى يوجد فى اشعار ابى الطيب كثيرا • النوع الثالث فى المنافرة بين الالفاظ فى
السبك وهذا النوع لم يحقق احد من علماء البيان القول فيه وغايه ما قال انه ينبغى الا تكون الالفاظ نافره
عن مواضعها ثم يكتفى بهذا القول من غير بيان ولا تفصيل حتى انه قد خلط هذا النوع بالمعاظلة وكاد يجعلهما نوعا مفردا
برأسه له حقيقة تخصه الا انهما قد اشتبها على علماء البيان فكيف على جاهل لا يعلم وسيتبين هذا النوع وفصله
عن المعاظلة وضربت له امثله ستدل بها على اخواتها وما يجرى مجراها وجمله الامر ان مدار سبك الالفاظ على هذا
النوع والذى قبله دون غيرهما من ملك الانواع المذكوره لان هذين النوعين اصلا سبك الالفاظ وما عداهما فروع عليهما
واذا لم تكن النافرة والناظم عارفا بهما فان مقاتله تبدو كثيرا • وجمله هذا النوع الذى هو المنافره ان تذكر
لفظه او الفاظ تنفر غيرها مما هو فى معناها او الى ما ذكر وعلى هذا فان الفرق بينه وبين المعاظلة ان المعاظلة هى
التراكب والتداخل اما فى الالفاظ او فى المعانى على ما اشرت اليه وهذا النوع لا تراكب فيه وانما هو ايراد الفاظ غير
لائقه بموضعها الذى ترد فيه وهو ينقسم قسمين احدهما يوجد فى اللفظه الواحده والاخر فى الالفاظ المتعدده
فاما الذى يوجد فى اللفظه الواحده فانه اذا ورد فى الكلام امكن تبديله بغيره فى الشعر لم يمكن ذلك فى النثر لانه
يسرح الشعر مراحل الوزن • فلما حام القسم الاول من القسمين الى الطيب المبنى •

قبح ابى تمام

قبح بعضه

مع ما هو فى معناه سواء كان ذلك الكلام من المعاظلة او نظيرا له مما الذى يوجد فى الالفاظ المتعدده

• لاخلق اكرم منك لا عارف • بك رانفسك لم تقل لك ها انها • فان عجز هذا البيت كملته نافرع مواضعه
وامثالها هنا في الاشعار كثيره **المقاله الثانيه في الصناعه المعنويه** وهي تنقسم الى قسمين الاول
منها في الكلام على المعاني مجملا والثاني في الكلام عليها مفصلا وقبل الكلام على ذلك فلابد من توطيه يكون شاملا لما
نحن بصدد ذكره ههنا فاقول اعلم ان علم المعاني الخطابيه قد حصرت اصولها واولها المتكلمون وذلك حكما اليونان
عن ذلك الحصر كلي لا جزئي ومحال ان تحصر جزئيات المعاني وما سفرع اليه المفرعات التي لا نهايه لها لا جرم ان ذلك
الحصر لا يستفيد معرفته صاحب هذا العلم ولا يفتقر اليه فان البدوي البادي راعي الابل ما كان يميز شيئا من ذلك
يفهمه ويخطر بباله ومع هذا فانه كان ماتي السحر الحلال ان قال شعرا او كلم نثرا فان قيل ان ذلك البدوي كان
له ذلك طبعا وخلقه وليس فطره عليه كما فطر ضروب نوع الادمي على فطر مختلفه هي لهم في اصل الخلقه فانه فطر الترك
على الاحسان في الرمي والاصابه به من غير تعليم وكذلك فطر اهل الصين على الاحسان في صنعه اليد فيما يباشرونه
من مصنوع او خشب وفخار او غير ذلك وكذلك فطر اهل المغرب على الشجاعه وهذا لا نزاع فيه فانه مشاهد بالحواس
عن ذلك انى اقول ان سلمت لك ان الشعر والخطابه كانا للعرب بالطبع والفطره فماذا تقول فيمن بعدهم من شاعر
وخطيب تحفظوا وسكنوا البلاد ولم يروا البادين ولا خالطوهم وقد جاءوا في الصنف النظم والنثر بحاوا امعان كثير
من ماجات في شعر العرب ولا نطقوا بها فان قلت ان هولاء وقفوا على ما ذكره حكماء اليونان وتعلموا منه قلت
لك في الجواب هذا شئ لم يدر ولا علم ابو نواس شيا منه ولا مسلم الوليد ولا ابو تمام ولا البحتري ولا ابو الطيب المتنبي
ولا غيرهم وكذلك جرى الحكم في اهل الكتابه كعبد الحميد وابن العميد والصابي وغيرهم فان دعتك ان هولا تعلموا
ذلك من كتب الحكماء اليونان قلت لك في الجواب هذا باطل في انا في لم اعلم شيا مما ذكره حكماء اليونان
والعرفته ومع هذا فانظر الى كلامي فقد اوردت بندا منه في هذا الكتاب واذا وقفت على رسائلي ومكاتباتي وما
عدد محلات وعرفتني لم اعرض لشئ مما ذكره حكماء اليونان في حصر المعاني علمت ان صاحب هذا العلم النظم
والنثر بحوجه عن ذلك كله وانه لا يحتاج اليه ابدا وفي كتابي هذا ما يغنيك وهو كاف • ولقد افاضني بعض المتفلسفين
في هذا وانساق الكلام الى شئ ذكره لي على سبيلنا في الخطابه والشعر وذكر رايا مرضوبا لشعر اليوناني سيما اللاغوذيا
وقام فاحضر كتاب الشفا لابي علي ووقفني على ما ذكره فلما وقفت عليه استجهلته فانه طول فيه وعرض وكانه
يخاطب بعض اليونان وكل هذا الذي ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيا ثم مع هذا جمعه فان
معقول القوم فيما ذكروه من الكلام الخطابي ان يعود على مقدمتين ونتيجه وهذا الرجل خلط لي على رسنا بيانا فيما صاغه من
شعر او كلام مسجوع فان له سيا مر ذلك في كلامه وعنده فاضته في صوغ ما صاغه منه لم يخط المقدمتان
والنتيجه له ببال ولو انه فكر اولا في المقدمتين والنتيجه ثم اتى بنظم او نثر بعد ذلك لما اتى بشئ ينتفع به ولطال الخطب
عليه بل انا اقول شيا اخر وهو ان اليونان انفسهم لما نظموا انما نظموا مراشعارهم لم ينظموه في ووقت نظمه
وعندهم فكره في مقدمتين ولا في نتيجه وانما هذه اوضاع يوضع ويطول بها مصنفات كتبهم في الخطابه والشعر
وهي كما تقال قعاقع ليس لها طائل كانها شعر لابي وردي • وحسب اردت هذه المقدمه قبل الخوض في
تقسيم المعاني فالي ارجع الى شرح ما اجملته فاقول اما القسم الاول فان المعاني فيه على ضربين احدهما
مبتدعه مولف الكلام مرعاة ان يفيد كل قائله ممن سبقه وهذا الضرب ربما يعثر عليه عند الحوادث المتجدده وتنبئه له
عند الامور الطاريه • والشرح في هذا الموضع الى بنده مر ذلك ليكون مثالا للمترشح لهذه الصناعه • مر ذلك ما ورده

• فلا يرم الامر الذي هو حالل • ولا يحلل الامر الذي هو يبرم • فلفظه حالل نافره عن موضعها وكانت له مندوحة
عنها لانه لو استعمل عوضها لفظه ناقض فعال فلا يبرم الامر الذي هو ناقض • ولا سقض الامر الذي هو مبرم •
لحات للفظه قاره في مكانها غير قلقه ولا نافره • ويلغني عن العلامه سليم المعري انه كان سعصب لابي الطيب حتى
انه كان يسمه الشاعر ويسمي غيره من الشعراء باسمه وكان يقول ليس في شعره لفظه يمكن ان يعرم عنها ما هو في معناها
فيحسن مثلها فانت سعري اما وقف على هذا البيت لمشار اليه لكر الهوى كما يقال اعمى وقد كان ابو العلا اعمى
العين خلقه واعماها عصبيه • فاجتمع له العمامر جهتين • وهذه اللفظه التي هي حالل وما يجري مجراها فسيحه
الاستعمال وهي فك كما دعام في الفعل الثلاثي ونقله الى اسم الفاعل وعلى هذا فالمحسن ان يقال لابي الطيب فهو بالبر
ولا سل السيف فهو سيا لا ولا ان يقال هم بالامر فهو هام ولاحظ الكتاب فهو خاط ولا جن الى كذا فهو جانن
وهذا لو عرض على مر لا ذوق له لادركه وفهمه فكيف مر له ذوق صحيح كابي الطيب لكر الجواد مركوبة • وانشد في
بعض الادبا بيتا لدعبل وهو • شفيعك فاشكر الحوايج انه • يصونك عن مكروهها وهو يحلق • فقلت له
عجز هذا البيت حسن واما صدره فقبيح لان سبكه قلق بافر ولك الفا التي في قوله فاسكر كالها ركبة المعر وهي في
زيادتها كزيادة الكرش فقال لهذه الفا في كتاب الله اشباه كقوله تعالى لها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر
فقلت له بير هذه الفا وتلك الفا فرق ظاهر يدرك بالعلم اولا وبالذوق ثانيا اما العلم فان الفا في وربك فكبر
وثيابك فطهر هي الفا العاطفه فالها واردة بعد قم فانذر وهي في مثل قولك امش فاسرع وقل فابلغ وليست الفا
التي في شفيعك فاشكر هذه الفاء لان تلك زايده لا موضع لها ولوحات في السورة كما حات في قول دعبل وحاش لله
من ذلك لاسدى الكلام فضل وربك فكبر او ثيابك فطهر لكنها لما جات بعد قم فانذر حسن ذكرها فيما ياتي بعد هاء مر ربك
فكبر وثيابك فطهر • واما الذوق فانه ينبوء الفاء الواردة في قول دعبل وسيقلها ولا يوحد ذلك في الفاء الوارده
في السورة فلما سمع ما ذكرته اذعن المسلم • ومثل هذه الدقايق التي ترد في الكلام نظما ونثرا لا تستفظ لها الا الراسخ في علم
الفصاحة والبلاغة • ومر هذا القسم وصل همزه القطع وهو محسوب من جايزات الشعر التي لا يجوز في الكلام المنثور
وكذلك قطع همزة الوصل لكن وصل همزة القطع اقبح لانه اثقل على اللسان فيما ورد من ذلك قول ابي تمام •

قراني اللهي والود حتى كانما • افاد العنى من رايي وفوائدي •

فاصبح يلقاني الزمان مرجله • ناعطام مولود ورافه والدي • فقوله مراجله وصل
همزة القطع وعليه ورد قول ابي الطيب المتنبي

• بوسطه المفاور كل يوم • طلاب لطالبين لا تنتظار • فقوله لا تنتظار كلام نافر عن موضعه ومر هذا
القسم ان تفرق بين الموصوف والصفه بضمير مر تقدم ذكره كقول البحتري •

• حلفت لها بالله يوم التفرق • وبالوجد من قلبي لها المتعلق • تقديره من قلبي المتعلق لها فلما فصل بين الموصوف
الذي هو قلبي وبين الصفه التي هي المتعلق بالضمير الذي هو ها صح ذلك ولو قال من قلب لها متعلق لزال ذلك القبح ووجبت
تلك الهجنه • ومر هذا القسم ان يراد بالالف واللام في اسم الفاعل ويقام الضمير فيه مقام المفعول كقولك اوذمام
• فلو عاينتهم والرايز بهم • لما مرت البعيد من الجميم • فقوله الرايز هم اسم فاعل وقوله هم الذي هو الضمير موضع
المفعول تقديره الرايزين اياهم فاستعمل هنا مع الالف واللام قبيح واذا حذفتا زال القبح واستعملها الشعراء المخلقون
كثيرا ومما جاء مر هذا القسم الثاني الذي يوحد فيه الالفاظ المتعدده قول ابي الطيب ام

ارضهم او دارهم
او الرايزيهم

لا حلق

في شعر ابي تمام في وصف مصلبين وهو • نكروا واسروا في متون صوامر • قيدت لهم من مربط النجار •
لا يبرحون ومن راهم خالهم • ابدا على سفر من الاسفار •
وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجدده والخاطر في مثل هذا المقام ينساق الى المعنى المخترع من غير كبير كلفه
لشاهد الحال الحاضره وكذلك قال في هذه القصيده في صفة من احرق بالنار •

ما زال سر الكفر بين ضلوعه • حتى اصطلى سر الزناد الوارى •
نار يساور جسمه من جرها • لهب كما عصفرت شق ازار •
طارت لها شعل يهدم لفحها • اركانه هدما بغير غبار •
فصلن كل مجمع مفصل • وفعلن فاقره بكل فقار • منه
مشبوبة رفعت لاعظم مشرك • ما كان يرفع ضوءها للسارى •
صلى لها حيا وكان وقودها • ميتا ويدخلها مع الكفار • وهذا مما يعين على
استخراج المعاني فيه شاهد الحال • وقد ذيل البحتري على ما ذكره ابو تمام في وصف المصلبين فقال

كم عزيز اباده فغدا يركب عودا مركبا في عود •
اسلمته الى الرقاد رجال • لم يكونوا عن وترهم برقود •
يحسد الطير فيه ضبع البوادي • وهو في غير حالة المحسود •
غاب عن صحبه فلا هو موجود لديهم وليس بالمفقود •
وكان امتداد كفيه فوق الجذع في محفل الردى المشهود •
طاير مد مستريحا جناحيه استراحات متعب مكدود •
احطب الناس راكبا فاذا رجل خاطبت منه عين البليد •

وهذه ابيات حسنه وقد استوعبت اقسام هذا المعنى المقصود الا ان فيها معنى ماخوذا من شعر مسلم بن الوليد
الانصاري وهو قوله • نصبته حيث يرتاب الرياح به • ويحسد الطير فيه اضبع البيد • لكن البحتري زاد في ذلك
زياده حسنه وهي قوله • وهو في غير حالة المحسود • ومن هذا الضرب ما جا في شعر ابي الطيب المتنبي في وصف الحما

وزائرتي كان بها حياء • فليس تزور الا في الظلام •
تذاب لها المطارف والحشايا • فعافتها وباتت في عظامي • بذلت
كان الصبح يطردها فتجري • مدامعها باربعة سجام •
اراقب وقتها من غير شوق • مراقبة المشوق المستهام •

وقد شرح ابو الطيب في هذه الابيات حاله مع الحما • ومن بديع ما اتى به في هذا الموضع ان سيف الدوله بن حمدان
كان مخيما بارض ديار بكر على مدينة ميافارقين فعصفت الريح بخيمته فتطير الناس من ذلك وقالوا فيه اقوالا
وامتدحه ابو الطيب بقصيده تعتذر فيها عن سقوط الخيمه • اولها • اينفع في الخيمة العذل • فمنه ما احسن فيه كل
الاحسان وهو قوله • تضيق بشخصك ارجاوها • وتركض في الواحد الجحفل •
وتقصر ما كنت في جوفها • وتركز فيها القنا الذبل •
وكيف تقوم على راحة • كان البحار بها انمل •

فليت

فليت وقارك فرقته • وحملت ارضك ما تحمل •
فصار الانام به ساده • وسدتهم بالذي تفضل •
رات لون نورك في لونها • كلون الغزاله لا تغسل •
وان لها شرفا باذخا • وان الخيام لها تخجل •
فلا تنكرن لها صرعة • فمن فرح النفس ما تقتل •
ولو بلغ الناس ما بلغت • لخانتهم حولك الارجل •
ولما امرت بتطنيبها • اشيع بانك لا ترحل •
فما اعتمد الله تقويضها • ولكن اشار بما تفعل •
وعرف انك من همة • وانك في نصره ترفل •
فما العاذلون وما اثروا • وما الحاسدون وما قولوا • العاذلون
هم يطلبون فمن ادركوا • وهم يكذبون فمن يقبل •
وهم يتمنون ما يشتهون • ومن دونه جدك المقبل •

وهذه الابيات قد اشتملت على معان بديعه وكفى المتنبي فضلا ان ياتي بمثلها وهذا مقام يظهر في مثله براعة
الناظم والناثر • وقرات في كتاب الروضه لابي العباس المبرد وهو كتاب جمعه واختار فيه اشعار شعراء بداء فيهم
بابي نواس ثم بمن كان في زمانه وانسحب على ذيله فقال فيما اورده من شعره وله معنى لم يسبق اليه باجماع وهو
قوله • تدار علينا الراح في عسجدية • حبتها بانواع التصاوير فارس •
قرارتها كسرى وفي جنباتها • مها تدريها بالقسي الفوارس •
فللراح ما ذرت عليه حبوبها • وللماء ما دارت عليه القلانس •

وقد اكثر العلماء في وصف هذا المعنى فاوهم انه معنى مبتدع • ويحكى عن الجاحظ انه قال ما زال الشعراء يتناقلون
المعاني قديما وحديثا الا هذا فان ابا نواس انفرد بابداعه ولا اعلم انا ما اقول لهاؤلاء سوى اني اقول قد تجاوز ثم
حد الاكثار • ومن الامثال السائره المعنى بدون هذا يباع الحمار وفصاحه هذا الشعر عندي هي الموصوفه لا هذا المعنى
فانه لا كثير كلفه فيه لان ابا نواس راى كاسا من الذهب ذات تصاوير فحكاها في شعره والذي عندي في هذا انه من
المعاني المشاهده فان هذه الخمر لم تحمل الا ماء يسيرا وكانت تستغرق صور هذا الكاس الى مكان حبوبها وكان الماء
فيها قليلا بقدر القلانس التي على رؤسها وهذه حكاية حال مشاهده بالبصر وكذلك ورد قوله في الخمر ايضا •

يا شقيق النفس من حكم • نمت عن ليلى ولم انم •
فاسقني الخمر التي اختمرت • بخمار الشيب في الرحم • وهذا معنى مخترع لم يسبق اليه
وهو دقيق يكاد يرقيه ان يلحق بالمعاني التي تستخرج من غير شاهد حال مصوره • وبلغني انه اختلف في هذا المعنى بحضره
الرشيد هرون رحمه الله فقيل انه يريد بخمار الشيب في الرحم ان الخمر تكون في جوانبها ذات زبد ابيض على وجهها فقال
الاصمعي ان ابا نواس الطف خاطرا من هذا واشد عرضا فاسالوه عما اراد فاحضر ابو نواس وسئل فقال ان الكرم اول
ما يجري فيه الماء يخرج شبيها بالقطنه وهي اصل العنقود فقال الاصمعي الم اقل لكم ان الرجل الطف خاطرا واشد
عرضا • وقد جاء لابن حمديس الصقلي في الهلال لاخر الشهر ما لم يات به غيره وهو من الحسن واللطافه في الغاية القصوى

وذلك قوله • كانما ادهم الاظلام حين نجا • من اشهب الصبح القى نعل حافره • وهذا حكاية حال مشاهدة
بالبصر الا انه ابدع في التشبيه وامثال هذا كثيرة في اقوال المجيدين من الشعراء وجملة الامر في ذلك ان الكاتب والشاعر
ينظر الى الحال الحاضرة ثم يستنبط لها ما يناسبها من المعاني كما فعل النابغة في مدح النعمان وقد اتاه وفد من الوفود
فمات رجل منهم قبل ان يوفدهم فلما وفدهم جعل عطايا ذلك الرجل الميت على قبره حتى جاء اهله واخذوه فقال النابغة
في ذلك • جيئا شقيق فوق احجار قبره • وما كان يجني قبله قبر وافد • وهذا بيت من جملة ابيات فانظر كيف فعل
النابغة في هذا المعنى وكذلك ورد قول اخت جساس زوجة كليب فانه لما قتل جساس كليبا اجتمع النساء
اليها وندبنه فتحدث بعضهن الى بعض وقلن هذه ليست ثاكلة وانما هي شامتة فان اخاها هو القاتل فتم ذلك اليها فقالت
يا ابنة الاقوام ان شئت فلا • تعجلي باللوم حتى تسالي • فاذا انت تبينت الذي • يوجب اللوم فلومي واعذلي •
ان تكن اخت امرئ ليمت علي • شفق منها عليه فافعلي • جل عندي فعل جساس فوا حسرتا عما انجلت او تنجلي •
فعل جساس على وجدي به • قاطع ظهري ومدن اجلي • لو بعين فقئت عين سوى • اختها فانفقات لم احفل •
يا قتيلا قوض الدهر به • سقف بيتي جميعا من علي • هدم البيت الذي استحدثته • وانثنى في هدم بيتي الاول •
تشتفي المدرك بالثار وفي • دركي ثاري بكل مثكلي • انني قاتله مقتوله • فلعل الله ان يرتاح لي •
وهذه الابيات لو نطق بها بعض الفحول المعدودين من الشعراء لاستعظمت فكيف امراة وهي غريبة في شرح ذلك
الحال المشار اليها • واعلم انه قد يستخرج من المعنى الذي ليس بمبتدع معنى مبتدع فمن ذلك قول الشاعر المعروف
بابن السراج في الفهد • تنافس الليل فيه والنهار معا • فقمصاه بجلباب من المقل • وهذا ليس من المعاني الغريبة
ولكنه تشبيه حسن واقع في موقعه • وقد جاء من بعده شاعر من اهل الموصل يقال له ابن مسهر فاستخرج من هذا البيت
معنى غريبا فقال • ونقطته جاكي يسالمها على المنايا نعاج الرمل بالحدق • وهذا معنى لم اسمع بمثله
في مقصده التي قصد من اجله وقليلا ما يقع هذا في الكلام المنظوم والمنثور وهذا موضع ينبغي ان يوضع اليد عليه
ويتنبه له وكذلك فليكن سياقه ما جرى هذا المجرى وقد جاني شي من ذلك في الكلام المنثور • فمنه ما ذكرته في وصف
نساء حسان وهو • اقبلت ربائب الكناس في مخضر اللباس • فقيل انما تخترن الخضرة من الالوان ليصح تشبيههن
بالاغصان • وهذا معنى غريب وربما يكون قد سبقت اليه الا انه لم يبلغني بل ابتدعته ابتداعا • ومن ذلك ما ذكرته
في فصل من كتاب تتضمن منازله بلد فذكرت القتال بالمنجنيق وهو • فنزل بمرأى منه ومسمع • فاستدرنا به استدارة الخاتم
بالاصبع • ونصبت المنجنيقات فانشات سحبا صعبة القياد مختصة بالربا دون الوهاد • فلم يزل يقذف جلامد
السور بويل من جلمودها • وتفجاه برعودها قبل بروقها • وبروق السحب قبل رعودها حتى اعادت الحزن منه سهلا
والعامر بلقعا • وفي هذا معنيان غريبان احدهما ان هذه السحب تخص الربا دون الوهاد والاخر ان رعودها
قبل بروقها وكل ذلك يتفطن له بالمشاهدة • ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب فقلت • اذا تخلق المرء بخلق
الباس والندى لم يخف عرضه دنسا • كما ان الماء اذا بلغ قلتين لا يحمل نجسا • وهذا المعنى مبتدع وهو يستخرج من الحديث
النبوي في قوله ص اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا • ومن ذلك ما ذكرته في وصف مفازة فقلت • مفازة لا توطا
باجفان ساهر • ولا تقتل باقتحام خابر • ولولا مسير الهلال من فوقها لما عرفت تمثال حافر • ومن ذلك ما ذكرته في كتاب
اصف فيه نزول العدو على حصار بلد من بلاد المكتوب اليه وكان ذلك في زمن الشتا فسقط على العدو ثلج كثير صار به محصورا
فقلت • وقد عاجله قتال البروق قبل البوارق • واحاط به الثلج فصار خنادق تحول بينه وبين الخنادق • والشتا قد لقي

عسكره

فنزلنا ظ

غادرت

محلاصه

عسكره من البرد بعسكره • والسماء قد قابلته باغبر وجهه لا باخضره • والارض كانها فرصة النقي وعسى ان تكون ارض
محشره • والمعنى المخترع من هذا الكلام في قولي • والارض كانها فرصة النقي وعسى ان تكون ارض محشره • وهو
مستخرج من الحديث النبوي في قوله ص انكم تحشرون على ارض بيضا كفرصة النقي يريد الخبزة البيضا ولما كان الثلج على
الارض مماثلا لذلك ومشابها له استنبطت انا له هذا المعنى المخترع فجاء كما تراه وهو من المعاني التي يدل عليها شاهد
الحال • واحسن من هذا كله ما كتبته من كتاب الى ديوان الخلافة ببغداد فقلت • ودولته هي الضاحكة وان كان
نسبها الى العباس • وهي خير دولة اخرجت للزمن كما ان رعاياتها خير امة اخرجت للناس • ولم يجعل شعارها من لون
الشباب الا تفاؤلا بانها لا تهرم • وانها لا تزال محبوة من ابكار السعادة بالحب الذي لا يسلى والوصل الذي لا يصرم • وهذا
معنى استنبطه الخادم للدولة وشعارها • وهو مما لم تخط الاقلام في خطها ولا اجالته الخواطر في افكارها وغرابة
هذا المعنى ظاهرة ولم يات بها احد قبلي • ومما بلغني من المعاني المخترعة ان عبد الملك بن مروان بنى بابا من ابواب
المسجد الاقصى بالبيت المقدس وبنى الحجاج بن يوسف بابا الى جانبه فجاءت صاعقة فاحرقت الباب الذي بناه عبد الملك
فتطير لذلك وشق عليه فبلغ ذلك الحجاج فكتب اليه كتابا يقول بلغني كذا وكذا فليهن امير المومنين ان الله يقبل
منه وما مثلي ومثله الا كابني ادم اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر فلما وقف عبد الملك على كتابه سري
عنه • وهذا معنى غريب استخرجه الحجاج من القران وهو من المعاني المناسبة لما ذكرت فيه ويكفي الحجاج من فطانة الفكرة
ان يكون عنده استعداد لاستخراج مثل ذلك • واما المعاني التي تستخرج من غير شاهد حال متصورة فانها اصعب
منالا مما يستخرج بشاهد الحال ولامر ما كان لابكارها سر لا يهجم على مكامنه الا جنان الشهم • ولا يفوز بمحاسنه الا من
دق فهمه حتى جل عن دقة الفهم • وللهجوم على عذارى المعاني المحمية بحجب البواتر ايسر من الهجوم على عذارى المعاني
المحمية بحجب الخواطر • وما ذاك مما يلقيه اليك الاستاذ • ولا يقوم به الا الفذ ولا اقول الافراد • واين الذي ينشي المعاني
فيحسن فيها الانشا • ويبرز منها صورا يركبها كيف شا • ومن نظر الى هذا الموضع حق النظر • واحد فيه بالعين دون
الاثر • علم انه مقام يزلق بمعارف الافهام • فكيف بمواقف الاقدام • وليست المعاني فيه الا كالارواح ولا الالفاظ
الا كالاجسام • فمن شا ان يخلق خلقا من الكلم فليات به على صورة الاناسي لا على صورة النعم • فان من القول الغانية
التي هي احسن من الغانية • ومنه البهيمة التي لا تشبه الا بالسانية • فمما جاء من هذا الباب قول ابي نواس وهو
شرابك في الشراب اذا عطشنا • وخبزك عند منقطع التراب •
وما روحتنا لتذب عنا • ولكن خفت مرزية الذباب • فالبيت الثاني من هذين
البيتين هو المشار اليه بانه معنى مبتدع • ويحكى عن الرشيد هرون رحمه الله انه قال لم يهج حاضر ولا باد بمثل هذا
الهجا ومن هذا الباب قول مسلم بن الوليد • ينال بالرفق ما يعيا الرجال به • كالموت مستعجلا ياتي على مهل •
ومن هذا الباب قول علي بن جبلة • تكفل ساكن الدنيا حميد • فقد اضحت له الدنيا عيالا •
كان اباه ادم كان اوصى • اليه ان يعولهم فعالا • وهذا معنى دندن حوله لو مولد لمع
الشعراء وفاز علي بن جبلة بالافصاح عنه • وقيل ان ابا تمام اكثر الشعرا المتاخرين ابتداعا للمعاني وقد عددت
معانيه المبتدعة فوجدت ما تزيد على عشرين معنى واهل هذه الصناعة يكثرون ذلك • وما هذا من مثل ابي تمام بكثير
فاني انا عددت معاني المبتدعة التي وردت في مكاتباتي فوجدتها اكثر من هذه العدة مما لا انازع فيه ولا ادافع
عنه فاما ما ورد لابي تمام فمن ذلك قوله • يا لها الملك الباني برويته • وجوده لمراعي جوده كثب •

الذي

ابن جبلة

الثاني

كل الاحسان ومما اشد عه باجماع قوله فى مدح عضد الدوله فى قصيدته النونية التى مطلعها
معانى الشعب طيبًا فى المغانى ٭ فعال عنه كرولديه
فعاشا عيشة القمرين حبيا ٭ بضوءهما ولا تتحاسدان
ولا ملكا سوى ملك الاعادى ٭ ولا ورثا سوى مزيقتلان
وكانا ابنا عدو كاثراه ٭ له بانى حروف اينسيان

تصغير ٭ اى جعل ابنى عدو كاثراه يعنى ابنى عضد الدوله كبانى حروف الانسان فان ذلك زيادة فى العدد وهو نقص فى المقدار الا ان سبك هذا البيت قد شوهه واذهب طلاوة المعنى المندرج تحته ٭ ومن معانيه المبتدعه قوله

فان تفق الانام وانت منهم ٭ فان المسك بعض دم الغزال ٭ واحسن من ذلك
كل قوله صدمتهم بخميس انت غرته ٭ وكمهريته فى وجهه عمم ٭
فكان اثبت ما فيهم جسومهم ٭ يسقطن حولك والارواح ينهزم ٭

وهذا من اعاجيبه الى الطيب التى برز فيها على الشعراء ٭ ومن الاحسان فى هذا الموضع قول بعضهم
وقد اشق الحجاب الصعب مأذنه ٭ دونى وابى ولوجًا فيه ان طرقا
كالطيف يأبا دخول الجفن منفتحا ٭ وليس يدخله الا اذا انطبقا

ورايت ان احمد بن عبدون البغدادى صاحب كتاب التذكره قد اورد هذين البيتين فى كتابه وقال قد اغرب هذا الشاعر ولكنه خلط وجرى على عادة الشعراء لان الطيف لا يدخل الجفن وانما يتخيل الى النفس ٭ وهذا كلام من لم يطعم مر تجره الفصاحه والبلاغه وليس مثله عندى الا ما حكى عن ملك الروم اذا نشد عنده بيت المتنبى الذى هو
كان العيس كانت فوق جفنى ٭ مناخات فلما ثرن سالا ٭ فسأل عن المعنى ففسر له فقال اما سمعت
باكذب من هذا الشاعر اراني مراناخ الجمال على عيني لاهلكني ٭ ومن محاسن هذا القسم قول بعضهم
تحكم لسقم مرادم فما زال منحدرًا يرتقى ٭ وكذلك قوله الاخر
بانى غزالا عازلته مقلتى ٭ بير الغوير وبين شطى بارق ٭
عاطيته والليل يسحب ذيله ٭ صهباء كالمسك الفتيق لنا شق ٭
وضممته ضم الكمى لسيفه ٭ وذوابتاه حمائل فى عاتقى ٭
حتى اذا مالت به سنة الكرى ٭ زحزحته شيا وكان معانقى ٭
ابعدته عن اضلعى تشاقه ٭ كيلا ينام على وساد خافق ٭

وهذا من الحسن والملاحه بالمكان الاقصى ولقد خفت معانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصًا والبيت الاخير منه هو الموصوف بالابداع وبه وبامثاله اقرت الابصار بفضل الاسماع ٭ ومن هذا الضرب قول بعض المتزهدين يعجو انسانا يقال له ابن طليل احترقت داره فقال
اخطر الى الايام كيف تسوقنا ٭ طوعا الى الاقرار بالاقدار
ما اوقد ابن طليل قط بداره ٭ نارًا وكان هلاكها بالنار ٭ وكذلك ورد قول
قلا قس من شعر أمصر ٭ زد رفعة ان قيل انقص ٭ والخفض ان قيل اثرا ٭
كالغصن يذنو ما اكتسى ٭ ثمرًا وينأى ما تعرا ٭

وكذلك قوله راينا الجود نكره ما رضا ليسجل منه بعد ولا فوت وكم دارت الغير استمتعت فدلتنا على نظر رب وكذلك قوله

فى الهجاء ليس الحجاب بمقص منك لى املا ٭ ان السماء ترجى حين يحتجب ٭
وانت تدر قطب رحى عليًا ٭ ولم يزل للرحى العلياء قطبا ٭
ترى ظفرا بكل صراع قرت ٭ اذا ما كنت اسفل منه جنبا ٭
وكذلك قوله واذا اراد الله نشر فضيلة ٭ طويت اتاح لها لسان حسود ٭
لولا اشتعال النار فيما جاورت ٭ ما كان يعرف طيب عرف العود ٭
وكذلك قوله لا تنكروا ضربى له من دونه ٭ مثلا شرودا فى الندى والباس ٭
فالله قد ضرب الاقل لنفسه ٭ مثلا من المشكاة والنبراس ٭
وكذلك قوله لا تنكرى عطل الكريم من الغنا ٭ فالسيل حرب للمكان العالى ٭
وكذلك قوله فى الشيب شعلة فى مفارقها ستودعتنى ٭ فى صميم الفؤاد ثما لا صميما ٭
تستثير الهموم ما اكتنت منها ٭ صعدًا وهى تستثير الهموما ٭

فالبيت الاول من المعانى المخترعه وقد تفقه فيه فجعله مسئله من مسائل الدور وهذا من اغرابه فى تمام وهذا القدر كاف من جمله معانيه فانا لم نستقصها ههنا ٭ ومن هذا الباب قول ابن الرومى مع
كل امرئ مدح امرءًا لنواله ٭ واطال فيه فقد اساء هجاءه ٭
لو لم يقدر ثم بعد المستقى ٭ عند الورود لما اطال رشاءه ٭
وكذلك قوله عدولك من صديقك مستفاد ٭ فلا تستكثرن من الصحاب ٭
فان الداء اكثر ما تراه ٭ يكون من الطعام او الشراب ٭
وكذلك قوله لمؤذن الدنيا به من صرفها ٭ يكون بكاء الطفل ساعة يولد ٭
والا فما يبكيه منها واهنا ٭ لاوسع مما كان فيه وارغد ٭
اذا ابصر الدنيا استهل كانه ٭ بما هو لاق من اذاها يهدد ٭
وكذلك قوله رددت على مدحى بعد مطل ٭ وقد تنست ملبسه الجديدا ٭
وقلت امدح به من شئت غيرى ٭ ومن ذا يقبل المدح الرديدا ٭
وهل للحى من اكفان ميت ٭ لبوس بعد ما امتلأت صديدا ٭ وقد ورد للطيب المبنى
شى من ذلك كقوله اجزنى اذا انشدت مدحًا فانما ٭ بشعرى اتاك المادحون مردد ٭
ودع كل صوت بعد صوتى فانى ٭ انا الصائح المحكى والاخر الصدا ٭

والبيت الاول قد تنوارد على معناه الشعراء قديمًا وحديثا كما ذكر البيت الثانى فى المثل الذى مثله ليس لاحد الا له وكذلك
قوله لهجر سيوفك اغمادها ٭ تمنى الطلا ان تكون الغمودا ٭
الى الهام تصدر عن مثل ٭ ترى صدرًا عن ورود وروداً ٭ ولذلك قوله فى بدر عمار
لهينه مرض فقال قصدت مرشرقها ومغربها ٭ حتى استكتك الركاب والسفن السبل ٭
لم يبق للاقليم عافيه ٭ قد وفدت تجتديكها العلل ٭ وقد وقفت على ما شاء

لسه من اشعار المحدثين من الشعراء قديمًا وحديثا فلم اجد لاحد منهم فى ذكر المرض ما يعد معنى مخترعا الا بل لم اجد من افوا لهم شيا مرضيًا ما عدا المبنى فانه ذكر المرض فى عدة مواضع من شعره فاجاد وهذا الشاعر هو ابن السمسر هو ابن السمسر معنى مخترع له وقد احسن فيه

كل

الناس كتابا مرهذا الجنس اهزل معه وهلت فى فصل منه ما اذكره • وسنح لى ان اشكر فى على وسمه بهجاء
دون امتداحى • فانى لم اسمه الا لانحرم به لاضحيه يوم الاضاحى • ولا شك ان ستدنا فى جمله الانعام غير انه مرذوات
القرون والقرون عده عند الختام • وهذا معنى استدعته ابتداعا ولم اسمعه لاحد قبلى • ومرذلك ما ذكرته
فى كتاب سضم هرتمة الكفار وذلك فصل منه وهلت وكانت لوقعه يوم الاحد منصرف شهر كنا وهذا هو
اليوم الذى يخيره الكفار مرايام الاسبوع • ونصبوه موسما لشرع كفرهم المشروع • فحصل ازتيابهم به ادتضم للاسلام
مزيدا • وقالوا هذا يوم قد سلم فلا نجعله لنا عيدا • وقد افصح لهم لسانه لو كانوا يعلمون • بان الدين عند الله الاسلام
وان اولياءه هم المسلمون • وهذا معنى انفردت باستداعه ولم يات به احد ممن تقدمنى • ومرذلك ما ذكرته فى
فصل من كتاب الى ديوان الخلافه سنة اذ وهو وصف القلم فهلت وقلم الديوان العزيز هو الذى يخفض
ويرفع • ويعطى ويمنع • وهو المطاع لجذع انفه وسواد لباسه وقد ورد الامر بطاعة الحبشى الاجدع • ومن احسن
صفاته ان تعاين شعار مولاه فهو يخلع على عبيده من الكرامه ما يخلع • وهذه الاوصاف معان حسن لطيفه
ومنها معنى غريب لم اسبق اليه وهو قولى انه المطاع بجذع انفه وسواد لباسه وقد ورد الامر بطاعة الحبشى
الاجدع فان هذا مما ابتكرته وهو مستخرج من الحديث النبوى فى ذكر الطاعه والجماعة فعال النبى اطع ولو عبدا حبشيا
مجدعا هذا ما قام علمك كتابا الله • فان سخرجت انا للقلم معنى من ذلك وهو ان يكون القلم المجذع وتقمص لباس السواد
فصار حبشيا اجدع وهذا كما فعل ابو تمام حبيب بن اوس الطائى فى قصيدته السينيه فانه استخرج المعنى
المخترع من القرآن • واما استخرجته انا المعنى المخترع من الحديث النبوى كما ارتئيت • وهذا المعنى المشار اليه فى وصف
القلم اوردته بعبارة اخرى على وجه اخر ونبهت عليه فى كتابى الوشى المرقوم فى حل المنظوم وهذا كتاب الفته فى صناعة
حل الشعر وغيره • وبعد هذا فسا قول لك فى هذا الموضع قولا لم تقله غيرى وهو ان المعانى المبتدعه
شبيهة بمسائل الحساب المجهول من المجبر والمقابله فكما انك اذا وردت عليك مسئلة من المجهولات باخذها وقلبها
ظهرا لبطن وتنظر الى اوايلها واواخرها وتعتبر اوساطها واطرافها وعنده لك تخرج تلك الفكرة الى المعلوم وكذلك
اذا ورد عليك معنى من المعانى فسنغى لك ان تطرفه كتطرفك فى المجهولات الحسابيه الا ان هذا الامر فى كل معنى فاكثر المعانى تتطرق وتستدعيه
معنى انما يقع فى معنى غريب لم يطرق ولا كون الا فى امر غريب لم يات مثله وحيث اذا كتب فيه كتاب او نظم فيه شعر
فان الكاتب والشاعر يعثران على مظنة الابداع فيه وقد لابست ذلك فى مواضع كثيره وساورد هنا ما تحذى
حذوه لمن استطاع اليه سبيلا • ومرذلك كتاب كتبته عرضا الى بعض ملوك الشام واهديته اليه رطبا وهو
خسلد الله وله مولانا وعمر لها محلا وحضابا وخولها السعاده عطاء حسابا وانشاء اللانى لحدثها عربا
اترابا وابقى شبيها بقاء لا لستحدث منه حضابا ولا عطل لها فى محاسن الدول السالفه اشباها ولا اضرابا •
والقى النباس بها اعطافها وحسادها حمى يعبث هم فى الارض غرابا اذا اراد العبدان يهدوا الوالهم قصرت
ايدوجدهم • وعلموا ان الكرام عندهم مرعندهم لكرم الاشياء المستطرفه ما لهدى وان كان قدره خفيفا ولولا
احلاف البلاد فما لوجد بها ما كان كثيرا طريفا • وهذا هدى الملوك من الرطب ما يحلى عضعضه الوارس ويرمى
لحسنه حتى كانه لم يدس بيد لامس وما سمى رطبا الا لاشتقاقه من الرطب الذى هو ضد اليابس • وقد اثنى رسول الله
عليه ثناء جما • وفضل تحفته على الشجران سماها اما • ولئن عدم عرفا لذيذا فانه لم يعدم منظر الذيذا لا ولا طعما •
وله اوصاف اخرى هى لفضله نزله الشهود • فمنها انه اول غذاء يفطر عليه الصائم واول غذاء يدخل بطن المولود

وهذا من المعانى الدقيقه • ومن هذا الاسلوب قول الشاعر المعروف بالحافظ فى تشبيه الليل وهو

عيون تبر كانما سرقت • سوادها حدقها من الغسق •
فان دجاها وظلمته • ضمن من وجوهها على السرق •

وهذا تشبيه بديع لم يسمع بمثله وهو من اللطافه على ما لا يخفى • ومن هذا القسم قول بعض المتاخرين من اهل زماننا

لا تضع من عظيم قدرى وان كنت مشارا لله بالتعظيم •
فالشريف العظيم يسمو قدرا • بالتعدى على الشريف العظيم •

ولبعض الخمر بالعقول رمى الخمر • بتخسيسها وبالتاثيم • التحريم ح
وله من غريب ما سمعت فى هذا الباب قول بعض الشعراء المغاربه يرثى قتيلا

عذرت سه زرق الاسنه بعدما • قد كن طوع يمنه وشماله •
فليحذر البدر المنير نجومه • اذ بان عذرها لها مثاله •

وكذلك ما قاله بعض المغاربه فى الخمر وهو

ثقلت زجاجات انتنا فرفعنا • حتى اذا املت بصرف الراح •
خفت فكادت ان تطير مما جوفت • وكذا الجسوم تخف بالارواح •

وهذا معنى مبتدع اشهد انه نفعل بالعقول فعل الخمر سكرا ورقة كما رقت لطفا ونفوحا كما فاحت نشرا • وكذلك ورد قول رجل من الصقلبيه

يا سالبا قمر السماء جماله • البستنى للحزن ثوب سمائه •
اضرمت قلبى فارحمنى بشرارة • وقعت بخدك فانطفت فى مائه •

وهذا المعنى دقيق حقا وقد سمعت فى الحال ما شاء الله ان اسمع فلم احد مثله هناك • ومرذلك ما ذكرته فى وصف صورة ملحة فهلت البس من الحسن انضر لباس • وخلق مرطبيه غرطبيه الناس • وكما زاد حسنا فكذلك زاد طيبا • وانفقت فيه الاهواء حتى صار الى كل قلب حبيبا • فلو صافح الورد لتعطرت اوراقه • او مر على زهر النيلوفر لتفتحت احداقه • والمعنى الغريب ههنا ان الشمس اذا طلعت على النيلوفر تفتح واذا غربت علته نضره • مما انى سمعت هذا فى شعر الفرس لبعض شعرائهم فحصل عندى منه عجب • ومرذلك ما ذكرته فى ذم الشيب فهلت الشيب اعدام لا يسار وظلام لا انوار • وهو الموت الاول الذى يصلى نارا مر الهم اشد وقودا من النار • ولئن قال قوم انه جلاله فانهم وقوا به وما جلوا • وافتوا فى وصفه بغير علم فضلوا واضلوا • وما اراه الا محراثا للعمر ولم يدخل له الحرث دار قوم الا ذلوا ومر يحب شانه انه المملوك الذى تشفق من عدده • والخلق الذى تكرم نزع برده • ولما فقد الشباب كان عوضا عنه ولا عوض عنه فى فقده • والمعنى المخترع ههنا فى قولى وما اراه الا محراثا للعمر ولم يدخل له الحرث دار قوم الا ذلوا وهو مستنبط من الحديث النبوى وذلك قول النبى ما رآى له حرث فقال ما دخل هذه دار قوم الا ذلوا فاخذت انا هنا وتقلته الى الشيب فجاء كما تراه فى غاية الحسن وذلك لما سنوير الشيب من المناسبه الشبهيه لان الشيب يفعل فى البدن ما يفعله المحراث فى الارض واذا زال الانسان احدث عنده ذلا • ومر هذا الباب ما ذكرته فى فصل مركب الى بعض الناس اعتب به فهلت اذا كتبت مثالا به فى كتاب احتفع عليه بنات وبنان • وحرم على ان ابدا فيه بالبسملة لانها من القرآن • وهذا معنى لطيف فى غاية اللطافه وهو مخترع لى • وكذلك كتبت الى بعض

الناس

واحسن من ذلك انه معدود من الحلوى وان كان من دوات الغراس ولا فرق بينها سوى انه من خلق الله وذلك من خلق الناس
واذا انصف واصفه قال انما من ثمره الاوهى عنده قاصرة ولو بنافاخرت ارض البلاد بمحاسن ثمارها لقالت ارض العراق لها
فاخرة وها قد سار الى باب مولانا وهو بجنى النابت سار الى بجنى الكرم وملك الفاكهة وقد على ملك البشيم ولما استقلت
به الطريق انشا الحسد لغرس من الفواكه اربا ومنها الامر قال ليتنى كنت رطبا ولئن كان من الثمرات الى يحلف
الصور والاسما ونفضل بعضها على بعض وتسقى بشرب واحد من الما فذلك لك لبشيم العربقه تتحد عنصرها وهى مختلفه
الوتيرة ومن افضلها شيمه السماح التى تقبل القليل من عبيدها وتسمح لهم بالعطايا الكثيرة وقد ضرب لها المملوك مثالا
فقال هى كجنة بربوة بل ضرب لها ما ضرب للمثل النبوى وهى نخله بكبوة ولا تختم كتابه باحسن من هذا القول لدى طاب سعيا
وزكى اصلا وفرعا وتصرف فى اسالب البلاغة فجاء نها وترا وشفعا وسلام وهذا كتاب غريب فى معناه وقد اشتمل
على معان كثيرة ومن جملتها ان الرطب مشتق من الرطب الذى هو ضد اليابس ومن جملتها ان النبى سمى النخله اما فقال
اكرموا النخله ومن جملتها انه كان يفطر على رطبات فان لم يجد فتمرات ومن جملتها انه كان يلوك التمر ويحنك بها
المولود عند ميلاده ولما ولد عبد الله بن الزبير اتت به امه اسما نت الى بكر ه ووضعته فى حجر رسول الله فلاك تمرة ووضعها
فى فمه ومن جملتها ان الحيوانى واحدا لا انه من خلق الله وتلك من خلق الناس ومن جملتها ان العباس قال يا رسول الله
ان قريشا اذا لقى احدها فضربوا لك مثلا بنخلة بكبوة وكل هذه المعانى حسنه واردة فى مواضعها ومركبة كما يا
معنى من المعانى فلم كتبه هكذا والا فلا وهذا من ذلك رقعه كتبتها الى بعض حجاب السلطان حاجة عرضت لى وارسلت
معها هديه من شاب ودراهم وهى ما من صديق وان صحت صداقته يوما بانجح فى الحاجات من طبق
اذا تلثم بالمندل منطلقا لم يخش بينونة بواب ولا غلق

الهديه مشتقه من الهدى غرضها تزف الى القلب لا الى الندى وصفاتها انفع من الصفات وكلما ترددت كانت بكرا
فهى لا تنفك عن البكاره ومن خصائصها انها تمسك بمعروف من السراح واذا رامت فتح باب مغلق لا تفتقر فى علاجه الى
مفتاح وقد قيل انها الحسناء المتأنقه فى عمارة بيتها التى يوصف بان العندليب يضئ بزيتها وقد ارسلتها الى المولى
وهى تتهادى فى اعجابها وتدل بكثرة دراهمها وثيابها ويقول انها الكريمه فى قومها الشريفه فى انسابها واحسن ما فيها انها
حالت سراويلها تعلمها اليد اليمنى من اليسرى فخذها يا مولاى واكشف نقابها وامط عنها جلبابها وقد كانت حرة وهى الان
فى حيز الملكية ومن السنة فى مثلها ان يوخذ بالناصيه ويدعى لها بالبركه والسائر لها فلان وهو فى الجهل لها جامل اسفار
وناقل لها من دار الى دار ومما نطق لسان حالها الذى هو افصح من نطق للسان واذكرت بحاجة مرسلها وحاشى فطانته
الكريمه من النسيان ولست المطلوب الا فضل من الجاه تسفير السائل والمسول وتنقل البعيد الى درجة القريب والممنوع
الى درجه المبذول فاذا فعلت ذلك كان له منة مرت السفار ومنة لا تعام وان سمح ان يعيا واحدا فاز بشكرين
اسنى ففى هذا المقام ومن الناس من يقول ليس على حاجب السلطان ثقل فى صنعه وهل هذا الا كلمات تقال والسلام ما عون
لا رخصه فى منعه ولم يدر ان ملاطفه الخطاب ضرب من الاحتيال وان نقل الخطوات قد اثقل من نقل الجبال وان
صاحب الحاجه يحطى بخلافة النجاح والحاجب يلقى مرارة السؤال وهذا نقوله الخادم ايجابا لاحسان المولى الذى هو
احسان شامل ولا يعمله الا عالم بفضله ولا يجهله الا جاهل وليس يجعل الحاجات مقذوفه ببابه حتى لا تنفك فى الدنيا من
امداد شكره وفى الاخره من امداد ثوابه وسلام فتامل ايها الناظر كتابى هذا الى ما اشتملت عليه هذه الرقعه من
المعانى حتى تعلم كيف تضع يدك فيما تكتبه ومن ذلك رقعه اخرى كتبتها فى هذا المعنى المتقدم ذكره وارسلت معها

هديه

هديه من المسك وهى الهدية رسول يخاطب عن مرسله بغير لسان ويدخل على العلوب من غير استيذان وقد
قيل انها اخت السحر فى ملاطفه قصدها غرانها للحاج الى نفقتها ولا الى عقده ومما من قلب لا وصورتها
تجلى عليه فى سرقه ولو لا شرف مكانها لما حلت للنبى مع تحريم الصدقه ولها صفات غرهده كريمه الاخطار
حسنه لدى الاسماع والابصار ومراحتها انها تستجدود وتحمل قريبا ما كان بعدا وتقول لنار الاحنة تاركونى
بردا ولهذا قيل لها دوا محابوا ولا شك انها وصله بين المودات فاذا تواصل الناس تقاربوا وقد ارسل الخادم منها شيئا ج
اذا كتمه ذاع واذا خزنه ضاع وقد شبته به المجالس الصالح فى تعداد اسباب الانتفاع ومما زاده مزيه على مرتبه انه
وشيم المولى توءمان غرائر شيمه تنتمى الى كرم تحتدها وتلك بنبى الى الغرر لان فاذا وردت على مجلسه قال هذا
عطر ورد على جونه عطار وعرف له حق المشاركه فان ادنى شمائله فى الشيم جوار وقد نطق الخبر النبوى بانه احد
الثلاثه التى لا ترد على مراهدها واذا نظرت الى محصول فائدتها وبقائها وجدا طولها عمرا واجلها وهذا لحكم
على المولى بقبول ما استرسل الخادم فى ارساله واذا سال غرة فى قبول هديته كفاه نص الخبر مؤنه سواله وسلام
وهذه الرقعه احسن مما الى قبلها فيما اشتملت عليه من المعانى قولى ومما قلت لا وصورتها تجلى عليه فى سرقه
ولو لا شرف مكانها لما حلت للنبى مع تحريم الصدقه وهذان المعنيان مستجلبان من خبر بين موسى احدهما ان النبى ص
قال لما حى جبريل عليه سلام ومعه سرقه يعنى حرير بيضا وفيها صوره عائشه وما هذه زوجتك فى الدنيا والاخره
والخبر الاخر ان النبى ص ما حرمت على الصدقه واحلت لى الهديه ومما اشتملت عليه نظم قولى وقد ارسل الخادم منها
شيا اذا كتمته ذاع واذا خزنته ضاع وهذه مغالطه حسنه لان المسك اذا كتم ذاعت رايحته واذا خزن ضاع اى
فاح وتقال انظم ذاع الشى اذا ذهب والمغالطه ههنا فى الجمع بين الضدين وذلك قولى وقد شبته به المجالس الصالح
وهذا مستخرج من الخبر النبوى انظم وذلك انه قال ص مثل الجليس الصالح مثل حامل المسك اما ان يحذيك واما ان
تبتاع منه واما ان تجد منه عرفا طيبا ومثل الجليس السوء مثل نافخ الكير اما ان يحرق ثوبك واما ان تجد منه ريحا
كريهه ومما اشتمل عليه من المعانى قولى انظم احد البلاغة التى لا ترد على مراهدها وهذا مستخرج من الخبر النبوى انظم
وهو قوله ص ثلاثة لا ترد على مرسلها الطيب والريحان والدهن ومن ذلك رقعه كلفنى بعض اصدقائى املاءها عنى عن عاشق
الى معشوق وهى واذا قل مرحبا تحطاك لسانى وانت فى القلب ذاكا بامر اسميه ولا اكنيه واذا
ذكرت عينه فهو الذى عانيه للتكرم اوفى ملك الملاحه فلم اسطر الى زواله وعرف مكانه من القلوب فجاريه ابدا لله ولا
فلا تعتر بقول من راى الحسن للاساءة ماحيا واعلم ان اللاحى يقول كفى بالتدلل اجيا وكثيرا ما زل العشق بجنايا
الصدود والزيادة فى الحد نقصان فى المحدود وقد قيل ان الحسن على زكوه كزكوه المال ولست زكوة عند علما المحبه
الا عبارة عن الوصال وهذه صدقه تقسم على اربابها ولا تنتظر ان يحول الحول فى ايجابها فهى مستمره على تجدد الايام
والمستحقون لها قسم واحد ولا قال الهم ثمانية اقسام وهولاء هم المخصوصون بفك الرقاب ورقبة العشق
اشد اسرا من رقه تحرر يا الكتاب فاخرج يا مولاى عن هذا الحق الواجب والافات لطالبه منى ومطالب ولا تقاعدنا
عن مد اكثر عدد الليالى فى مطلع واعده والمواعيد زاد المثل فهذه سلعة وقد عاملتنى هامة ساخرا ومن مثلى حال
السارة ان لم تجعله التجربه ماهرا ولعمرى ان ممارسه الحب تجرد لصاحبه علما وتبصرة وان كان كما تقال
اعمى وقد كذب القائل عرض للذى يحب بحب تمرده يروضه ابليس فان كانت الرياضه كما قيل ابليس
فما اراه صنعا فى الذى صنع واراك استعصيت عليه استعصاء القارح وانت جذع ولا شك انك تقدم مما

فاين نفثاته

نشيده من البنا او انك مستثنى في جملة من دخل في حكم الاستثنا وانا الان له عاتب وعليه عايب فامن بفنائه
التي هي اخدع من الحبائل واين قوله لا يتنهم عن الايمان والشمايل واين جنوده المسترقة ما في السما التي تجري من
بني ادم مجرى الدما وكل هذا قد بطل عندي خبره كما بطل عندي اثره فان ادركته النجوة باني استهزات بتصديق افعاله
فليحلل معقول حاجتي هذه حتى انه قادر على حل عقاله والا فليجف راسه وليمح وسواسه وان كان له عرش
على البحر فليقوض من عرشه وليعلم ان السحر ليس في عقده ونفثه ولكنه في الاصفر ونقشه وها انا قد بعثت
منه ما يجعل العزم محلولا والود مبذولا وما اقول الا اني بعثت معشوقا الى معشوق وكلاهما محله القلب
بل القلب من حبهما مخلوق وما اكرمه وهو وسيلة الى مثله وحسنه من حسنه وان لم يكن في شكله وما وصفه واصف
الا كان ما راه منه الا فوق ما رواه ومن اغرب اوصافه واحسنها انه لم يرد ذو وجهين وجها سواه لا جرم انه اذا
سفر في امر يلطف في فتح ابوابه وتناوله وعره فبدله بسهله وبعده فبدله باقترابه ولو بعثت غيره لخفت ان لا يكون في
سفارته صادقا وانه كان يمضي رسولا ويعود عاشقا فليس على الحسن امانة وفي مثله تعذر الخيانة ولا لوم على
العقول اذا نسيت هناك عزيمة رشدها ورات هناك ما لا يحتمله كاهل جهدها ومن الذي يقوى ذرعه على
تلك السهام او يروم النجاة منها وقد حيل بينه وبين المرام وهذا الذي معنى من ان ارسل اليه الا كيسا او كتابا فاحدهما
يكون في السفارة محسنا والاخر يكون على السر حجابا والسلام وفي هذه الرقعة من المعاني الغريبة ما اذكره فالاول ما
ما ذكرته في قسم الصدقات وفك الرقاب والثاني ما ذكرته في وصف الدينار والدرهم وهو انه وجه وهو ذو وجهين
وقال النبي ص ذو الوجهين لا يكون وجيها وهذا معنى لم يسبقني اليه احد وقد وصف الحريري الدينار في مقامة
من مقاماته ولم يظفر بهذا المعنى ولا جاء من الاوصاف التي ذكرها بمثله والثالث قولي اني بعثت معشوقا الى
معشوق وكان توفي زوجة بعض الملوك وتوفي معها ولدها وهو طفل صغير وكان بينهما يومان وتلك ابنة
ملك من الملوك ايضا فكتب اليه من الاطراف المجاورة يعزونه وحضر عندي بعض الادبا ممن يحب ان يكون كاتبا وعرض
علي نسخة ما كوتب به ذلك الملك في التعزية بزوجته وولدها فوجدتها كتبا باردة غثة لا تعرب عن الحادثة
بل بينها وبينها بعد المشرقين ومن شرط الكتابة ان يكون الكتاب مضمنا فص المعنى المقصود والتعازي مختلفة
الانحا فتعازي النسا غير تعازي الرجال وهي من مستصعبات فن الكتابة والشعر وتعازي الرجال غير تعازي
النسا تختلف فلا يعزى بالميت على فراشه كما يعزى بالميت قتيلا ولا يعزى بالقتيل كما يعزى بالغريق وهكذا يجري
الحكم في المعاني جميعها وهذا شي لا يتنبه له الا الراسخون في هذا الفن من ارباب النثر والنظم وسالني ذلك الرجل عن
هذه التعزية المشار اليها في المراة وولدها الصغير وقال احب ان اعلم كيف تكون فامليت عليه ثلثة كتب كل كتاب
يتضمن معنى لا يتضمنه الكتاب الاخر فمما جاء منها كتاب انا اذكره ههنا وهو اشجى التعازي ما اتبع فيه المفقود
بمفقود ولا سيما اذا جمع بين سعد الاخبية وسعد السعود وكل منهما يعظم حزنا كما يعظم مكانا فهذا يحسر عن الوجوه
خمرا وهذا يلقي عن الرؤس تيجانا ولم يوفهما حقهما من بكى ولا من ندب ولا من شعر ولا من كتب وليت فدى احدهما بصاحبه
فقاس درهما المفدى بالذهب ولو كان خطبا واحدا خف كلمه ولكنه خطب اعيد على خطب وقد اصدر
الخادم كتابه هذا ومن حقه ان يخرج في ثوب من الحداد وان يتعثر في اذيال كلمه والكتاب عنوان الفواد وغاية ما
عنده ان يقول احسن الله عزاء المجلس السامي الملك الاجل على ان هذا الدعا قد شهدت الحال بلحنه فكيف يملك
قلبه عزا وقد اوثقه الهم في سجنه وصار له ولدا دون ولده وخدنا دون خدنه لكنه يدعا له بامتداد البقا

وان

بعد هذه

وان تعامله الحوادث معاملة الابقا ثم يتبع ذلك بطلب الجنة لمن نقلته المنايا عن ارائك الخدور وجعلته
في بطن القبور ولمن فاجات الايام غصنه فقصفته ولم يعش حتى عرف الدنيا ولا عرفته فواها لهما وقد
نزلا بمنزل عديم الايناس وان كان ما هو لا باكثر الناس فهو القريب دارا البعيد مزارا الذي حجب من الناس
بامنع حجاب ووهب عز الوجوه المنعمة لذل التراب فمن كان مستعدا للمجلس فليأخذ بوله الجزع لا بعزيمة
الاصطبار وليقل هذا حادث بان فيه تحامل الاقدار وجرت همومه مجرى الخواطر من القلوب والرقاد من الابصار
فالاسوة الا فيه معدودة من الاحسان والسلوة الا عنه داخلة في حيز الامكان والخادم اولى من لقي المجلس
فيه بالاسعاد وقام بما يجب من قضاء حق الوداد وفعل ما يفعله القريب الحاضر وان كان على شقة من البعاد
وقد ارسل من ينوب عنه في التعزية وان لم يكف فيها المناب وكما رخص العذر في قصر الصلوة فكذلك رخص في
الاقتصار على الرسول والكتاب وقد ود لو حضر بنفسه فاستسقى لذلك الضريح سحابا وعقر عنده ركابا وسال
الله له مغفرة وثوابا والسلام في هذا الكتاب معنى غريب وهو قولي سعد الاخبية كناية عن المراة وسعد السعود
كناية عن ولدها لان سعد الاخبية اسم منزل من منازل القمر والاخبية جمع خبا ومن شان المراة ان تحتجب في الاخبية
فهي سعدها وهذا من المعاني الغريبة في مثل هذا المقصد وقد اتفق سعد الاخبية وسعد السعود معا وهذا ايضا
غريب ومن ذلك اني كتبت كتابا عن الملك الافضل علي بن يوسف الى اخيه الملك الظاهر غازي بن يوسف صاحب حلب
في امر شخص كان ابوه صاحب تكريت وهذه تكريت كان يتولاها قديما الامير ايوب جد الملك الافضل والملك الظاهر
وولد بها ولده صلاح الدين يوسف اباهما وعلى عقب ولادته انتقل والده عن تكريت هو وعشيرته لامر طرا لهم وجاوا
الى الموصل ثم الى الشام وهناك سعدوا وكانت له السعادة على يد صلاح الدين يوسف فلما اردت ان اكتب هذا
الكتاب علمت انه مظنة المعاني المبتدعة لان الامر المكتوب فيه غريب لم يقع مثله فكتبت هذا الكتاب وهو رفع الله
شان مولانا الملك الظاهر ولا زال الدهر فاخرا بمآثر سلطانه ناظما مناقبه في جيده ومحامده في لسانه ناسخا بمساعي
دولته ما تقدم من مساعي ال بويه وال حمدانه كتاب الخادم هذا وارد من يد الامير شمس الدين بن صاحب تكريت وهي
اول ارض مس جلد الوالد ترابها ورقمت السعادة على جبينه كتابها ومنها ظهر نور البيت الايوبي مشرقا واشام اذ
خرج معرقا وكفاه بذلك وسيلة يكشفها الاحسان والارعا ويكفي صاحبها ان يقول لا اسقي حتى يصدر الرعا وقد
قرنها بوسيلة قصد الخدمة التي توجب لقاصدها ذماما ويقول له سلاما اذا قال سلاما ثم ثلث هذين الوسيلتين
بكتاب الخادم اخذا بالسنة النبوية في الدعا وعدده وتفالا بتثليث النجوم فيما يقصده المرء من سعادة مقصده
ولا قدح في كرم الكريم اذا استكثر طالبه من الاسباب فان الله على كرمه قد استكثر اليه من اعمال الثواب وكتاب الخادم
على انفراده كاف لحامله ومكثر من حقوق وسائله وقد صدر مخاطبا عن فحوى ضميره قائما بحق السفارة اذا قعد
بكل طالب سعى سفيره وهو مع ذلك خفيفة صفحته وجيز لمحته واذا وجد لدى مولانا معولا فليس عليه ان يرد
مطولا اذ التعويل على نجح مصدره لا على كثرة اسطره فانظر ايها المتامل الى هذا الكتاب واعطه حقه من
التامل حتى يرى ما اشتمل عليه من المعاني وانظر كيف ذكرت المعنى الاول ثم الثاني ثم الثالث اما المعنى الاول فانه
يختص بذكر السعادة البيت الايوبي ومنشاها وانها ولدت بتكريت وهذا الرجل ينبغي ان يرعى سببها اذ كان ابوه
صاحبها واما المعنى الثاني فانه قصد الخدمة الظاهرية وهذا وسيلة ثانية توجب له ذماما واما المعنى
الثالث فانه حرمة الكتاب الصادر على يده ثم اني مثلت ذلك بالدعاء النبوي وتثليث النجوم فان النبي ص كان اذا

دعاء عاملتا وانما مثلت ذلك بالدعا لامرين احدهما انه موضع سؤال وضراعه والاخر ان الكتاب وسيلة ثالثة والدعاء ثلاث مرارا • واما سلث النجوم فان السلث سعد والتسع نحس واحسن المعانى للثلثة التى بصنعها هنا الكتاب هو الاول والثالث واما الثانى فانه متناول فقائلها ما اثرت اليه واذا شئت ان تكتب كتابا فافعل كما فعلت انا فى هذا الكتاب ان الامر الذى نكتب فيه غريب الوقوع • واعلم انه قد يقع المعنى المبتدع فى غرار مرغب الوقوع ودلك نكور قليلا بالنسبة الى الوقايع الغريبه التى هى مظنة المعانى المبتدعة ومن هذا الباب ما اوردته فى علم رساله طرديه فى وصف قسى السدق وحاميلها وهو • فاذا نالوها فى ايديهم قيل اهلة طالعة مراكف اقمار واذا مثل عنا وها وعنا وبهم قيل منايا مسوقة بايدى اقدار وتلك قسى وضعت للعب لا للنضال • ولردى الاطمار لا الردى الرجال • واذا نعتها ناعت قال انها جمعت بين وصفى اللين والصلابه • وصنعت من نوعين غريبين فحازت معنى الغرابه • فهى مركبة من حيوان ونبات • مولفه منهما على نحو التشيات • فهذا من سكان البر وهذا من سكان البحر وسواحله • وهذا من سكان البر ومجاهله ومن صفاتها انها لا يمكن من البطش الاخير تنشد ولا تطلق فى شانها الا خير يعطف وترد • ولها ثبات احكم تصورها • وصحح تدورها • فهى فى لونها صندلية لاهاب • وكانما صيغت لقوتها من حجر لا من تراب • فاذا قذفتها الى الاطيار قيل وبصعد من الارض مرجال فيها مريد • ولا ترى حتى الاقتيلا ولكن المثقل الذى لا يخيب فى مثل قود • فهى كافله مرتكب الاطيار بقبض نفوسها منزله لها مرجوا السماء على امم رؤسها • وهذا الفصل تشتمل على معان غريبه منها قولى انه لا يمكن من البطش الاخير تنشد ولا تطلق فى شانها الا خير يعطف وترد • ومنها قولى وتصعد من الارض مرجال فيها مريد • وكل هذا من المعانى التى تبتدع بالنظر الى المقصود المكتوب فيه فان الكاتب اذا فكر فيما لديه وتامله وكان قادرا على استخراج المعنى والمناسبة بينها وبين مقصده جاء هكذا كما تراه لان القادر على ذلك من اقتدره الله عليه فما كل خاطر بحكم ولا كل مراد وحى اليه بكليم وفى الاقلام هاشم لمن راه ومنها هشيم • وسابتة فى هذا الموضع على طريق نسلك الى شئ من المعانى المخترعه وهيا استخرجته او انفردت باستخراجه دون غيرى فان المعانى المخترعة لم يسلم فيها احد بالاشارة الى طريق نسلك فيها لان ذلك مما لا يمكن ومن هنا اضرب علماء البيان عنه ولم يكلموا فيه كما تكلموا فى غيره • وكيف تقيد المعانى المخترعه تقييدا ونفتح اليها بابا او طريق نسلك وهى تاتى من فيض الهى يغير تعليم ولهذا اختص بها بعض الناظمين والناثرين دون بعض والذى يختص بها كون واحدا يوجد فى الزمن المتطاول ولما مارسنا نا هذا الفن اعنى فن الكتابه وقلبته ظهرا لبطن وفتشت عن دفائنه وخباياه واكثرت من تحصيل مواده والاسباب الموصله الى الغايه منه نبهنى على شئ من المعانى المخترعه طريق سلكته وهو مستخرج مركب من سنة تفسير واحاديث نبويه صلوات الله عليه وقد تقدم لى امثلة منه فى هذا الكتاب وذلك انه ترد كلمة مركبة من كلمتين والحديث النبوى والمراد بهما معنى من المعانى فآخذ انا ذلك وانقله الى معنى اخر فيصير مخترعا على ما ورد هنا بنده يسير يعلم منها كيف فعلت حتى يسلك الناس فى الطريق الذى سلكته • ومن ذلك قصة اصحاب الكهف والرقيم فانى اخذت ذلك ونقلته الى الاحسان والشكر الا ترى ان الاحسان يستعار له كهف وكنف وظل واشباه ذلك • والشكر كلمان تقال فى التنويه بذكر المحسن واحسانه والرقيم هو الكتاب المكتوب فهو والشكر متماثلان والذى اثبت به قد اورد ته وهو فصل من كتاب الى بعض المتعممين الخادم لشكر احسان المولى الذى ظل عنده مقيما وغنا بمطالبه زعيما • واصبح يتوالبه مغرما كما اصبح له غريما • ولما تمثل فى الاستمال عليه كهفا صار شكره فيه رقيما • فانظر كيف فعلت فى هذا الموضع لتعلم انى قد فتحت لك فيها طريقا تسلكه • واما الحديث النبوى فانى اخذت قصة قتلى بدر كما فى جعل

وعتبه

وعتبه وشيبه وامية بن خلف وغيرهم ونقلتها الى القلم وذلك ان النبى ﷺ وقف على القليب الذى القاهم فيه وناداهم باسمائهم فقال يا عتبه يا شيبه يا ابا جهل يا فلان يا فلان والحديث مشهور ولا حاجه باستقصائه والذى اثبت به فى وصف القلم هو انى قلت • ولقد مرح القلم فى يدى وحق له ان يمرح • وابدع فيما اتى به وكل اناء بما فيه ينضح • ومن فضله انه استقر على اعواد المنبر فلم تنته مرخطتها الى فصلها • ووقف على العليب الا انه لم تناله من المعانى نابا جهلها فالدواة قليب والقلم يقف عليه • والمعانى ستة من ارباب العلم الا من ارباب الجهل • فتامل هذه الكلمات التى ذكرتها هنا فانها لطيفة جدا وهى مخترعة لى وهذا القدر كاف فى طريق التعليم فليحذ حذوه ان امكن • ولست الموفق للصواب • واما الضرب الاخر من المعانى وهو الذى نحتذى فيه على مثال اسابق ومنهج مطروق فقد ذلك حال ما استعمل ارباب هذه الصناعة ولذلك قال عنترة • هل غادر الشعراء من متردم • الا انه لا ينبغى ان يرشح هذا القول فى الاذهان لئلا يوسم من الترقى الى درجة الاختراع بالعول على القول المطبع فى ذلك والوقوف فى تمام •

لا زلت من شكرى فى حلة • لابسها ذو سلب فاخر •

نقول من بقرع اسماعه • كم ترك الاول للاخر • وعلى الحقيقة فانى فى زوايا الافكار خبايا وفى بكار الخواطر سبايا • لكن ودقائص الهمم ونكصت لغرائبه وصار قصارى الاخران يتبع لا قول وليته تبعه ولم يقصر عنه تقصرا فاحشا • ووقفت على كتاب نقال له مقدمه بن اقبال العبادى البغدادى قد قصرها على فصل اقسام الفصاحه والبلاغه والعراقى زها عما به وهم واصفورها فى مكبون عليها ولما تامل منها وحدتها قشورا لا لب تحتها لان غايه ما عند الرجل ان يقول واما الفصاحه فانها كقول النابغه مثلا او كقول الاعشى او غيرهما مما يذكر ببيتا من الشعر او ابياتا وما هذا يعرف حقيقة الفصاحة حتى اذا اوردت فى كلام عرفنا انه فصيح مما عرفناه من حقيقتها الموجودة فيه وكذلك تقول فى غير الفصاحه • ومن العجب ما وجدت فى كتابه انه قال اما المعانى المبتدعه فليس للعرب منها شئ وانما اختصت بها المحدثون يعنى ذكر المحدثين معانى وقال هذا المعنى لهذان وهو غريب وهذا القول لهذان وهو غريب وتلك الاقوال التى خص فيها بهم ادعوها قد سبقوا اليها فاما ان يكون غير عارف بالمعنى الغريب واما انه لم يقف على اقوال الناظمين والناثرين ولا يتجر فيها حتى يعرف معنى مبتدع وانما هو للمحدثين فرب بيت شعرى من السابق الى المعانى من تقدم زمانه وآنا اورد هنا شيا يستدل به على بطلان ما ذكره وذلك انه ورد من المعانى ان صور المنازل تمثلت فى القلوب فاذا عفت آثارها لم يعرف صورها من القلوب واول من اتى بذلك العرب فقال الحرث بن خالد من اثبات الحماسه •

انى ومانحر واغداة منى • عند الجمار تودها العقل •
لو بدلت اعلا مساكنها • سفلا واصبح سفلها يعلو •
لعرفت معنا ها بما ضمنت • من الضلوع لا هلها قبله •

فالتسجموا على ذلك وعدوا احدوه فقال ابو تمام • وقفت واحشاى منازل للاسى • به وهو قد لعفت منازله • وقال البحترى • عفت الرسوم وما عفت احشاؤه • من عهد سوق ما يحول ومذهب • وقال المتنبى لك يا منازل فى القلوب منازل • اقفرت انت وهن منك اواهل • وهذا المعنى قد تناوله الشعراء حتى انه ما من شاعر الا وقد اتى به فى شعره وكذلك ورد قول بعضهم من شعراء الحماسه •

انا نح اللوم وسط نى رياح • مطيتنه واقسم لا يرمم •

كذلك كل ذى سفر اذا ما تناهى عند غاية يقصر

وهذان البيتان من ابيات المعانى المبتدعه وعلى اثرهما مشى الشعراء وكذلك ورد لبعضهم من شعراء الحماسة

تركت ضانى تود الذئب راعيها ... والها لاترانى آخر الابد

الذئب يطرقها فى الدهر واحدة ... وكل يوم ترانى مدية بيدى

وكذلك قول الآخر

قوم اذا ما جنى جانيهم امنوا ... للؤم احسابهم ان يقتلوا فودا

وكم للعرب من هذه المعانى التى سبقوا اليها ومن اول الدليل على فساد ما ذهب اليه من ان المحدثين هم المختصون باختراع المعانى ان اول من بكى على الديار من شعرا العرب قاطبة ابن خذام فكان هو المبتدى لهذا المعنى اولا وقد ذكر امرؤ القيس فى شعره فقال

عوجا على الطلل المحيل لعلنا ... نبكى الديار كما بكى ابن خذام

وقد جمع نقلة الاشعار ان لامرئ القيس فى صفات الفرس اشياء لم يسبق اليها ولا يقيت من قبله وبقى من هذا كله ما قدمت القول فيه وهو ان العرب هم السابقون الى الشعر وناظم هو الاول فكيف يقال ان المتاخرين هم السابقون الى المعانى وفى هذه الامثله التى اوردتها كفاية فى نقض ما ذكره ولو قال ان المحدثين اكثر ابتداعا للمعانى والطف مأخذا واد ق نظرا كان قوله صوابا لان المحدثين عظم الملك الاسلامى فى زمانهم وراوا ما لم يره المتقدمون وقد قيل ان للهى يفتح اللهى وهو كذلك فان نفاق السوق جلاب وقد رايت جماعة من متخلفى هذه الصناعة يحملون همهم مقصورا على الالفاظ التى لاحاصل وراءها ولاكثر معنى تحتها واذا انتى احدهم بلفظ مسجوع على اى وجه كان من الغثاثة والبرد يعتقد انه قد اتى بامر عظيم ولا شك فى انه قد صار كاتبا مفلقا واذا نظر الى كتاب زماننا وجد واكذلك فقد قل لنا القلم الذى تمشى فى يد الجهال كما يمشى الحمار تحت حمار ولو لا انه لا يتطاول اليه لقلت ان الفاضل من الناقص على انه كالريح الذى اذا اعتقل حامله ظهرت حماقتهم ومن امثالهم للعوام لا تعر الاحمق شيأ فيظنه له وكذلك يجرى الامر مع هولاء فانهم استكتبوا فى الدول فظنوا ان الكتابه قد صارت لهم حق واجب ومن اعجب الاشيا انى لا ارى الاطباء فى هذا الفن مدعيا له على خلوه عن حصول الاله واسبابه ولا ارى احدا يطمع فى فن من الفنون غيره ولا يدعيه هذا وهو بحر لا ساحل له يحتاج صاحبه الى تحصيل علوم كثيره حتى ينتهى اليه ويحتوى عليه فسبحان الله هل آلة تدعى لبعض هولاء انه فقيه او طبيب او حاسب او غير ذلك من غير ان تحصل الات ذلك العلم وسقن معرفتها فاذا كان العلم الواحد من هذه العلوم الذى يمكن تحصيله فى سنة او سنتين من الزمان لا يدعيه احد من هولاء على جهله به فكيف بحى الى فن الكتابه وهو مما لا تحصل معرفته الا فى سنين كثيره فدعيه وهو جاهل به ومما يدل من المدعين لهذا الفن الدون حصلوا منه على القشور وقصروا معرفتهم به على الالفاظ المسجوعه الغثه التى لا حاصل وراءها انهم اذا انكرت عليهم هذه الحاله وقيل لهم ان الكلام المسجوع ليس عبارة عن مواطاة الفقر على حرف واحد فقط اذ لو كان عبارة عن هذا وحده لامكن اكثر الناس ان ياتوا به من غير كلفه وانما هو امر وراء هذا وله شروط متعدده فاذا سمعوا ذلك انكروه لخلوهم عن معرفته ثم لو عرفوه وانوا به على الوجه الحسن من اختيار الالفاظ لاحتاجوا الى شرط اخر وقد نبهت عليه فى باب السجع واذا انكر عليهم الاقتصار على الالفاظ المسجوعه وعدوا الى طريق المعانى يقولون لنا اسوق بالعرب الذين هم ارباب الفصاحه فانهم انما اعتنوا بالالفاظ ولم يعتنوا بالمعانى فاعتناهم بها فلم يكفهم جهلهم فيما ارتكبوه حتى ادعوا الاسوه بالعرب فيه فصارت حماقتهم

هالنر

وكذلك قول النابغة فى الاعتذارات نهنهنى ما لم يسبق اليها

جهالتين ولنذكر ههنا فى الرد عليهم ما اذا تامله الناظر كتابا عرف منه ما يوثقه ويذهب اليه فى الاستحسان كما مذهب فنقول ان العرب كما كانت تعتنى بالالفاظ فتصلحها وتهذبها كان المعانى اقوى عندها واكرم عليها واشرف قدرا فى نفوسها فاول ما فى ذلك عنايتها بالفاظها لانها لما كانت عنوان معانيها وطريقا الى اظهارها اغراضها اصلحوها وزينوها وبالغوا فى تحسينها لكون ذلك اوقع فى النفس واذهب بها فى الدلاله على القصد الا ترى ان الكلام اذا كان مسجوعا لذ لسامعه تحفظه واذا لم يكن مسجوعا لم يامن ان ينساه فى حاله السجع فاذا رات العرب قد اصلحوا الفاظهم ورققوا حواشيها وصقلوا اطرافها فلا يظن ان العنايه اذ ذاك انما هى بالالفاظ فقط بل هى خدمة منهم للمعانى ونظر ذلك ابرازا لصوره الحسناء فى الحلل الموشيه والاثواب المحبره فانا قد نجد من المعانى ما يشوهه ويحسنه نداوه لفظه وسوء العباره عنه فان قيل انا نرى من الفاظ العرب ما قد حسنوه وزخرفوه ولسنا نرى كتبه مع ذلك معنى شريفا فمما جاء منه قول بعضهم

وما قضمتنا من منى كل حاجة ... ومسح بالاركان من هو ماسح

اخذ ما طرافا من الاحاديث بيننا ... وسالت باعناق المطى الاباطح

الا ترى الى حسن هذا اللفظ وصقالته وتدبيج اجزائه ومعناه مع ذلك لبس مدانيا له ولا مقاربا فانه انما هو لما فرغنا من الحج ركبنا الطريق راجعين وتحدثنا على ظهور الابل وهذا نظير كثير شريفه الالفاظ مشروفه المعانى الجواب عن ذلك انا نقول هذا الموضع قد يسبق الى التشبث به من لم يشعر بالظرفه ولا راى مما راه القوم وانما ذلك لخفاء طبع الناظر وعدم معرفته وهو من قول هذا الشاعر كراجه مما يستفيد منه اهل النسيب والرقه ولا هواء والمقه ما لا يستفيده غيرهم ولا يشاركه فيه مرليس منهم الا ترى ان حوائج منى اشياء كثيره فمنها التلاقى ومنها التشاكى ومنها التخلى للاجتماع الى غير ذلك مما هو تال له ومعقود الكون به فكان الشاعر عرف هذا الموضع الذى اومى اليه وعقد عرضه عليه فقوله فى اخر البيت ومسح بالاركان من هو ماسح اى ما كانت حوائجنا التى قضينا وارابنا التى بلغناها من هذا النحو الذى هو مسح الاركان وما هو لاحق به وجار فى القرنه مجراه اى لم نشعر هنا القدر المذكور الى ما احتملنا اول البيت من التعريض الجارى مجرى التصريح واما البيت الثانى فان فيه اخذا باطرافا من الاحاديث بيننا وفى هذا ما نذكره لتعجب منه ومن يعجب منه ووضع من معناه وذلك انه لو قال اخذا فى احاديثنا وكون ذلك لكان فيه ما نكره اهل النسيب فانه قد شاع عنه واتسع فى محاوراتهم علو قدر الحديث بين الاليفين والخدل لجمع شمل المتواصلين الا ترى الى قول بعضهم

وحدثتنى اسعد عنها فزدتنى ... حنونا فزدنى من حديثك يا سعد

وقول الآخر

وحدثها السحر الحلال لو انه ... لم يجن قتل المسلم المتحرز

واذا كان قدر الحديث عندهم على ما ترى فكيف به اذا قدم بقوله اخذا باطرافا من الاحاديث بيننا فان فى ذلك وحيا خفيا ورمزا حلوا الا ترى انه قد يريد باطرافها ما تعاطاه المحبوب وسفاوضه ذو الصباية من التعريض والتلويح وذلك احلى واطيب واغزل والنسب من ان يكون كشفا ومصارحه وجهرا واذا كان الامر كذلك فمعنى هذين البيتين اعلى عندهم واشد تقدما فى نفوسهم من لفظها وان عذب موقعه ولذ مسمعه نعم وقول الساعر وسالت باعناق المطى الاباطح من لطافه وحسنه ما لا خفاء به وسائبه على ذلك فاقول ان هولاء القوم لما تحدثوا وهم سائرون على المطايا شغلتهم لذه الحديث عن اسالة الازمه فاسترخت عن ايديهم وكذلك شان من يشده ويغلبه السهو فى امر من الامور ولما كان الامر كذلك وارتخت الازمه عن الايدى اسرعت المطايا فى المسير فشبهت باعناقها بمرور

صانع ج

من الله كامه

والايماج

المعنى ج

السبيل على وجه الارض فى سرعته وهذا موضع كريم حسن لا مزيد على حسنه والذى لا شعر نظم فيه لا يعلم ما
ما اشتمل عليه من المعنى فالعرب انما يحسن الفاظها وترخرفها عناية بالمعنى الذى تحتها فالالفاظ اذا خدم
للمعانى والمخدوم لا شك اشرف من الخادم فاعرف ذلك وقف عليه ● **النوع الاول فى الاستعارة**
ولنقدم قبل الكلام فى هذا الموضع قولا جامعا فصول اعلم ان للفصاحة والبلاغة اوصافا خاصة واوصافا
عامة فالخاصة كالتحنيس فما يرجع الى اللفظ وكالمطابقة فما يرجع الى المعنى ● واما العامة فكالسجع فما
يرجع الى اللفظ وكالاستعارة فما يرجع الى المعنى وهذا الموضع الذى نحن بصدده ذكره وهو لاستعارة كثيرا اشكال
غامض الخفا وساورد فى كلامى هذا ما استخرجته ولم اسمع فيه قولا لغيرى وكنت قدمت القول فى الفصل
التاسع من مقدمة الكتاب فى ما يحسن باثبات المجاز والرد على من ذهب الى ان الكلام كله حقيقة لا مجاز فيه واقمت
الدليل على ذلك ولا حاجة الى اعادته ههنا بل الذى اذكره ههنا يختص بالاستعارة التى هى حرف من المجاز ولم تمت
لهذا الاسم وكشفت عن حقيقتها وميزتها عن الشبيه المضمر الاداه والكلام فى هذا يحتاج الى اعاده ذكر المجاز
وادخاله فيه لسفر وتبيين ● والذى انكشف لى بالنظر الصحيح ان المجاز ينقسم الى قسمين توسع فى الكلام
وتشبيه ● والتشبيه ضربان تام وتشبيه محذوف فالتشبيه التام ان يذكر المشبه والمشبه به ● والتشبيه
المحذوف ان يذكر المشبه دون المشبه به وتسمى استعارة وهذا الاسم وضع له للفرق بينه وبين التشبيه
التام والا فكلاهما يكونان مطلوبا عليه اسم التشبيه ويكونان مطلقا عليه اسم الاستعارة لاشتراكهما فى المعنى واما
التوسع فانه مذكر للتصرف فى اللغة لفائدة اخرى ● وان شئت قلت فى المجاز ينقسم الى توسع فى الكلام وتشبيه
واستعارة لا خرج احد هذه الاقسام الثلثة فيها وجد كان مجازا وان قيل ان التوسع شامل لهذه الاقسام
الثلثة لان الخروج من الحقيقة الى المجاز اتساع فى الاستعمال قلت فى الجواب ان التوسع فى التشبيه والاستعارة
جاء ضمنا وتبعا ولم يكن هو السبب الموجب لاستعمالهما ● واما القسم الاخر الذى هو لا تشبيه ولا استعارة فان السبب فى
استعماله هو طلب التوسع لاغير وبيان ذلك انه قد ثبت ان المجاز فرع على الحقيقة فان الحقيقة هى الاصل وانما نعدل عن
الاصل الى الفرع لسبب يقتضى ذلك السبب الذى نعدل فيه عن الحقيقة اما ان يكون لمشاركة المنقول والمنقول اليه
فى وصف من الاوصاف واما ان يكون لغير مشاركة فان كان لمشاركة فاما ان يذكر المنقول والمنقول اليه معا واما ان
يذكر المنقول دون المنقول اليه فان ذكر المنقول والمنقول اليه معا كان ذلك تشبيها والتشبيه تشبيهان مضمر الاداه
كقولنا زيد كالاسد وتشبيه مضمر الاداه كقولنا زيد اسد وهذا التشبيه المضمر الاداه قد خلطة بالاستعارة ولم نفرقوا
بينهما وذلك خطأ محض وساوضح وجه الخطأ فيه واحقق الفرق بينهما تحقيقا حتما فاقول اما التشبيه المظهر
الاداه فلا حاجة لنا الى ذكره ههنا لانه معلوم لا خلاف فيه لكن ذكر التشبيه المضمر الاداه الذى وقع فيه الخلاف
وهو اذا ذكر المنقول والمنقول اليه على انه تشبيه مضمر الاداه قيل فيه زيد اسد كالاسد فالاداه التى هى كالمضمر
من هذه الجملة والتشبيه هو الجملة بكمالها وانما قيل ان الاداه مضمرة لان الكلام اذا ظهرت فيه لم يقدح فى الكلام الذى اظهرت فيه ولا زال عنه فصاحه ولا بلاغه وهذا
بخلاف ما اذا ذكر المنقول دون المنقول اليه فان الاداه لا تظهر فيه البتة لان الحسن فيه ظهور الاداه التى هى التشبيه ومتى اظهرت زالت عنه الفصاحة وكذلك الكلام
ما كان منصفا به من حسن فصاحه وبلاغه وهذا هو الاستعارة ● ولنضرب لذلك مثلا لا يوضحه فنقول وقد جاء هذا البيت
لبعض الشعراء وهو ● وغاية ان هضت لحاجتها ● عجل القضيب وابطاء الدعص ● وهذا لا حسن تقدير الاداه
التشبيه فيه فلا تقال عجل كالقضيب وابطاء كالدعص والفرق ان ذكر التشبيه المضمر الاداه وهو لاستعارة ان

التشبيه المضمر الاداه احسن اظهار الاداه التشبيه فيه والاستعارة لا حسن ذلك فيها وعلى هذا فان الاستعارة لا تكون
الا حيث يطوى ذكر المستعار له الذى هو المنقول اليه ويكتفى بذكر المستعار الذى هو المنقول فان قيل الا تسلم
ان الفرق بين التشبيه والاستعارة ما ذهبت اليه بل الفرق بينهما ان التشبيه انما يكون باداته كالكاف وكان وما
يجرى مجراهما مما لم يظهر فيه اداه التشبيه لا يكون تشبيها وانما يكون استعارة فاذا قلنا زيد اسد كان ذلك استعارة واذا
قلنا زيدا كالاسد كان ذلك تشبيها قلت فى الجواب عن ذلك اذا لم نجعل قولنا زيد اسد تشبيه مضمر الاداه والا استحال
المعنى لان زيدا ليس اسدا وانما هو كالاسد فى شجاعته فاداة التشبيه تقدر ههنا ضرورة لكملا يستحيل المعنى
فان قيل وكذلك ايضا اذا لم تقدر اداة التشبيه فى الاستعارة ولا استحال المعنى لما اذا قلنا عجل القضيب
وابطاء الدعص فما لم تقدر فيه اداه التشبيه والا استحال معناه قلت فى الجواب عن ذلك نعم نقدر اداه التشبيه
لا بد منه فى الموضعين لكن حسن اظهارها فى التشبيه دون الاستعارة وحملة الامر انا نرى اداه التشبيه يحسن اظهارها
فى موضع دون موضع فعلمنا ان الموضع الذى يحسن اظهارها فيه هو الموضع الذى لا يحسن اظهارها فسمينا
الذى يحسن اظهارها فيه تشبيها مضمر الاداه والذى لا يحسن اظهارها فيه استعارة وانما قلنا ذلك لان تسمية
ما يحسن اظهار اداه التشبيه فيه بالتشبيه اليق وتسميه ما لا يحسن اظهار اداه التشبيه فيه بالاستعارة اليق
فاذا قلنا زيد اسد حسن اظهار اداة التشبيه بان نقول زيد كالاسد واذا قلنا كما قال الشاعر
● وغاية ان نهضت لحاجتها عجل القضيب وابطاء الدعص ● لا يحسن اظهار اداة التشبيه فيه على ما تقدم
ذكره ذلك اولا ● فان قيل اذا اجزت اضمار اداه التشبيه وقدرتها اظهارها فى قولك زيد اسد كالاسد فصير نضمر
اضمار المستعار له وهو تقدير اظهاره كما قال الشاعر عجل القضيب وابطاء الدعص ● اضمر المستعار له وهو
القد والردف فاذا اظهر قيل عجل قد كالقضيب وابطا ردف كالدعص ولا فرق بين الاضمارين وكما يسعك
اضمار اداة التشبيه فى قولك زيد اسد فكذلك يسعنا اضمار المستعار له فى قول الشاعر الجواب عن
ذلك انى اقول لخرج هذا المقام واقمون مع الاستحسان لا مع الجواز ولو تاملت ما اوردته فى اول الكلام
بالعين الصحيحة لما اوردت على هذا الاعتراض ههنا فانى قلت التشبيه المضمر الاداه يحسن اظهار اداه
التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن اظهار اداه التشبيه فيها ولو قلت يحسن او يجوز لورد على هذا الاعتراض
الذى ذكرته وقد علم ويحقق ان من الواجب فى حكم الفصاحه والبلاغه ان لا يظهر المستعار له واذا اظهر ذهب
ما على الكلام من الحسن والرونق لا ترى انا اذا اوردنا هذا البيت الذى هو
● فامطرت لوءلوءا من نرجس وسقت ● وردا وعضت على العناب بالبرد ● وجد عليه من الحسن والرونق ما لا
خفاء به وهو من باب الاستعارة فاذا اظهرنا المستعار له صرنا الى كلام غث وذلك ان نقول فامطرت دمعا كاللؤلؤ
من نرجس وسقت خدا كالورد وعضت على انامل مخضوبة كالعناب باسنان كالبرد ● وفرق بين هذين
الكلامين للمتامل وهكذا يجرى الحكم فى البيت المتقدم ذكره وهو ● وغاية ان نهضت لحاجتها عجل القضيب وابطاء الدعص
فان هذا البيت لا خفاء بما عليه من الحسن واذا اظهرنا فيه المستعار له زال ذلك الحسن عنه لا بل يتدلى نضارته
وليس كذلك التشبيه المضمر الاداه فانا اذا اظهرنا اداة التشبيه واضمرنا المستعار له كان ذلك سواء اذ لا فرق بين قولنا
زيد اسد وبين قولنا زيد كالاسد وهذا لا يخفى على جاهل بعلم الفصاحه والبلاغه فضلا عن عالم والمعول عليه فى الفرق
بين الكلام من المنثور والمنظوم انما هو حسنه وطلاوته فاذا ذهب ذلك عنه فليس بشعر والذى اورده فى هذا

ذلك كثيرا • واما الصرب الاخر المتوسع فانه رد على غير وجه لا اضافه وهو حسن لا عيب فيه وقد
ورد في القرار الكريم كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
فنسبة القول الى السماء مرباب التوسع لانها جماد والنطق انما هو للانسان لا للجماد ولا مشاركة بينهما لان المنقول
والمنقول اليه وكذلك قوله تعالى وحاكت عليهم السماء والارض وعلمه ورد قول النبي ﷺ فانه نظر الى احد يوما فقال هذا
جبل يحبنا ونحبه فاضافه المحبة الى الجبل مرباب التوسع اذ لا مشاركة بينها وبين الجبل الذي هو جماد وعلى هذا ورد مخاطبة
الطلول ومسايلة الاحجار كقول الشاعر • اميدان لهوى مراتاح لك البلى • فاصبحت مدان الصبا والجنائب •
وكقوله الى الطيف اني ليتني • اثيث فانا ايها الطلل • تبكي وترزم بحنتنا الابل • فاتوا تمام تساؤل
ربوعا عافيه واطلالا ادارسه ولا وجه هيهنا لمسايلة الاهل كما لا ذي ورد في قوله تعالى واسئل القرية وكما هذا توسع في
الكلام اذ لا مشاركة بين رسوم الدار وفهم السؤال والجواب وكذلك قول ابو الطيب المتنبي في امرء الطلل بان يكون
ثالثها اي للركب والابل وهذا واضح ولا نزاع فيه واذا تحقق وتبين ما اشرنا اليه في هذا الموضع فالجاز اذن
لا يخرج عن هذه الاقسام الثلثة اما توسع واما تشبيه او استعارة واذا حققنا النظر في الاستعارة والتشبيه
وجدناها امرا قياسيا في حمل فرع على اصل لمناسبة بينهما وان كان تفرقان بحدتهما وحقيقتهما فاما حد الاستعارة
فقد قيل انه نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما وهذا الحد فاسد لان التشبيه يشارك الاستعارة
في الاولى انا اذا قلنا زيد اسد كان ذلك تشبيها مضمرا الاداة لا ومعناه زيد كالاسد وكانا شاركه هذا نقل للمعنى
من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما لانا نقلنا حصفة الاسد الى زيد فصار مجازا وانما نقلناها للمشاركة التي بين
زيد وبين الاسد في وصف الشجاعة والذي عندي في ذلك ان نقال احد الاستعارة نقل المعنى من لفظ الى لفظ لمشاركة
بينهما مع طي ذكر المنقول اليه • لانه اذا احترز فيه هذا الاحتراز اخلص للاستعارة وكان جدا لها دون التشبيه
وطريقه انك ترید تشبيه الشيء بالشيء فتدع ذكر المشبه مظهرا ومضمرا وتجيء الى اسم المشبه فتعيره المشبه به وتجريه
عليه مثال ذلك ان تقول رايت رجلا كالاسد في شجاعته وقوة بطشه سواء فتدع ذلك وتقول رايت
اسدا وهذا كالبيت الشعري المتقدم ذكره وهو • فرعاء ان نهضت لحاجتها • مجل القضيب وابطاء الدعص •
فان الشاعر اراد تشبيها لقدها بالقضيب والردف بالدعص الذي هو الكثيب الرمل فترك ذكر التشبيه مضمرا ومظهرا
وجاء الى المشبه الذي هو القد والردف فاعاره المشبه به وهو القضيب والدعص واجراه عليها الا ان هذا الموضع
لابد له من قرينة تفهم مرفحوى اللفظ لانه اذا قال القايل رايت اسدا وهو يريد رجلا شجاعا فان هذا القول لا
يفهم منه ما اراده وانما يفهم منه الحيوان المعروف بالاسد لكن اذا اقترن بقوله هذا قرينة تدل على انه اراد رجلا
شجاعا اختصر الكلام مما اراده الا ترى الى قول الشاعر مجل القضيب وابطاء الدعص • فانه دل على نفس
البيت لان قوله فرعاء ان نهضت لحاجتها دليل على ان المراد هو القد والردف لان القضيب والدعص
لا يكونان لامراة فرعاء نهض لحاجتها وكذلك كلما جيء على هذا الاسلوب لان المستعار له وهو المنقول اليه
مطوي الذكر • وكنت تصفحت كتاب الخصائص لابي الفتح عثمان بن جني فوجدته قد ذكر في المجاز شيا سوى
اليه النظر وذلك انه قال لما تعدى الحصفة الى المجاز اللمعان بلغ هي الاتساع والتوكيد والتشبيه فان عدت
هذه البلغة كانت الحصفة البتة • فمن ذلك قوله تعالى واذا حلناه في رحمتنا فهذا مجاز وفيه المعاني البلغة المذكورة
واما الاتساع فهو انه زاد في اسماء الجهات والمحال اسماء الرحمة واما التشبيه فهو انه شبه الرحمة وان لم يصح

١٢ اي اهل القرية •

الاتساع

اصحت

احص

الكتاب واقفون مع الحسن لا مع الجواز ثم ولو لم نا معك ايها المعترض عن درجة الحسن الى درجة الجواز لما
استقام لك ما ذكرته وذلك ان اضمار اداة التشبيه ظاهر في قولنا زيد اسد كما لا اسد وهو مضمر واحد واما قول
الشاعر فرعاء ان نهضت لحاجتها • فانه لا يضمر فيه اداة التشبيه لا بعد ان نظهر المستعار له وح يكون فيه
اضمار ان احدهما المستعار له والاخر اداة التشبيه واضمار واحد اسهل من اضمار ين احدهما يعلق على الاخر واذا
كان لا بد من ذلك فلا فرق بين الاستعارة والتشبيه هو ما قدمت لك القول فيه من ان الاستعارة لا تكون الا حيث نطوي ذكر
المستعار له فتامل ما اشرت اليه وتدبره حتى تعلم الى ذكرت ما لم يذكره احد غيري على هذا الوجه وانما سمي هذا
القسم من الكلام استعارة لان الاصل في الاستعارة المجازية ماخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة
وهي ان يستعير بعض الناس من بعض شيا من الاشياء ولا ينفع ذلك الا من شخصين بينهما سبب معروف فما تقتضي اسعاف
احدهما من الاخر اما لكون بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير احدهما من الاخر شيا الا لمعرفة حتى يستعير
منه وهذا الحكم جار في استعارة الالفاظ بعضها من بعض فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من احدهما الى الاخر كالمعرفة
بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من احدهما الى الاخر • واعلم انه قد ورد من الكلام ما يجوز حمله على الاستعارة
وعلى التشبيه المضمر الاداة معا خلافا لقرينة وذلك ان يرد الكلام محمولا على ضمير متقدم ذكره فيقال في ذلك الى
غير وتجيء ارتجالا • فمما جاء منه قول النجدي • اذا سفرت اضات شمس دجن • ومالت في التعطف غصن بان •
فلما قال اضات شمس دجن نصب الشمس كان ذلك محمولا على الضمير في قوله اضات كانه قال اضات هي وهذا تشبيه
لان المشبه مذكور وهو الضمير في هي الذي نابت عنه التاء ويجوز حمله على الاستعارة بان يقال اضات شمس دجن برفع
الشمس ولا يعود الضمير الى متقدم ذكره وانما يكون الكلام مرتجلا ويكون البيت •
اذا سفرت اضات شمس دجن • ومالت التعطف غصن بان • وهذا الموضع فيه دقة وغموض وحرف التشبيه
يحسن في الاول دون الثاني • واما القسم الذي يكون العدول فيه عن الحقيقة الى المجاز لغير مشاركة بين المنقول
والمنقول اليه فذلك لا يكون الا لطلب التوسع في الكلام وهو سبب صالح اذا التوسع في الكلام مطلوب وهو
ضربان احدهما يرد على وجه الاضافة واستعماله قبيح لبعده ما بين المضاف والمضاف اليه وذلك انه ملتحق بالتشبيه
المضمر الاداة واداة التشبيه ولا مناسبة بين المشبه والمشبه به كان ذلك قبيحا ولا يستعمل هذا الضرب من التوسع
الا جاهل بأسرار الفصاحة والبلاغة او ساه غافل يذهب به خاطره الى استعمال ما لا يجوز ولا يحسن كقول
ابي نواس • يح صوت لما ارمما • منك يشكو ويصيح • فقوله يح صوت لما ارمما الكلام النازل المرمى ومراده مردد
ان المال تظلم مراهانك اياه بالتمزيق فالمعنى حسن والتعبير عنه قبيح • وما احسن ما قال مسلم الوليد في
هذا المعنى • تظلم المال ولا عداء مربه • لا زال للمال ولا عداء ظلاما • وكذلك ورد قول ابي نواس انضا
ما رجل المال اضحى • تشكي منك الكلالا • فاضاف الرجل الى المال اقبح مراضافه الصوت • ومن هذا الضرب قول
ابي تمام • وكم احرزت منك على قبيح قديما • صروف الدهر حسن القد • واضافه القد الى الدهر مع التشبيه
البعيد البعيد وانما اوقعه فيه المماثلة بين القد وهذا اب هذا الرجل في تتبع المماثلة تارة والتجنس اخرى
حتى انه ليخرج الى ما يعاب به اقبح عيب والحشه وكذلك قوله •
• بلونا لك اما كعب عرضك فعالا • فعال واما خد مالك اسفلا • فقوله كعب عرضك وخد مالك مما
يستقبح ويستنكر ومراده مدحه ان عرضك مصون ومالك مبتذل الا انه عبر عنه اقبح تعبير وابو تمام يقع في مثل
ذلك

دخولها بما يصح دخوله • واما التوكيد فهو اذا اخبر عما لا يدرك بالحاسة بما يدرك بالحاسة تعاليا بالمخبر عنه وتفخيما
له اذا صير الى منزلة ما يشاهد ويعاين هذا مجموع قول ابي الفتح رحمه الله من غير زيادة ولا نقص • والنظر يتطرق اليه
من ثلثة اوجه الاول انه جعل وجود هذه المعاني الثلثة سببا لوجود المجاز وعدمها سببا لعدمه وذلك خطا لانه
ليس وجود هذه المعاني الثلثة سببا لوجود المجاز بل وجود واحد منها سبب لوجوده الا ترى انه اذا وجد التشبيه وحده
كان ذلك مجازا واذا وجد الاتساع وحده كان ذلك مجازا ثم ولو كان وجود هذه المعاني الثلثة سببا لوجود المجاز لكان
عدم واحد منها سببا لعدمه الا ترى انا اذا قلنا لا يوجد الانسان الا بان يكون حيوانا ناطقا والحيوانية والنطق
سبب لوجود الانسان واذا عدم واحد منهما بطل ان يكون انسانا وكذلك كل صفات يكون مقومة لوجود شي من الاشيا
فان وجودها يوجب وجود ذلك الشي وعدم واحد منها يوجب عدمه • واما الوجه الثاني فانه ذكر التشبيه
والتوكيد وكلاهما شي واحد على الوجه الذي ذكره لانه لما شبهت الرحمة وهي معنى لا يدرك بالبصر بمكان يدخل وهو
صورة تدرك بالبصر دخل تحته التوكيد الذي هو اخبار عما لا يدرك بالحاسة بما يدرك بالحاسة على ان التوكيد ههنا
لا اعلم ما اراد به لانه لا يوتى به في اللغة العربية الا لمعنيين احدهما انه يرد بالفاظ محصورة نحو نفسه وعينه وكله
وغير ذلك مما هو مذكور في كتب النحاة • الاخر انه يرد على وجه التكرير نحو قام زيد قام زيد كرر اللفظ في ذلك تحقيقا
للمعنى المقصود اي توكيدا له فالذي ذكره ابو الفتح رحمه الله لا يدل على ان المراد به احد هذين المعنيين المشار اليهما
ولا شك انه اراد به المبالغة والمغالاة في ابراز المعنى الموهوم الى الصورة المشاهدة فعبر عن ذلك بالتوكيد
ولا مشاحة له في تعبيره واذا اراد به ذلك فهو والتشبيه سوا على ما ذكره ولا حاجة الى ذكر التوكيد مع ذكر التشبيه
واما الوجه الثالث فانه قال واما الاتساع فانه زاد في اسما الجهات والمحال كذا وكذا وهذا القول مضطرب
شديد الاضطراب لانه ينبغي على قياسه ان يكون جناح الذل في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل زيادة في اسماء
الطيور وذلك انه زاد في اسماء الطيور اسما وهو الذل وهكذا يجري الحكم في الاقوال الشعرية كقول ابي تمام
لبست سواه اقواما فكانوا كما اغنى التيمم بالصعيد • فيزاد في اسماء اللباس اسما وهي الادمي والانسان
وهذا مما يضحك منه نعوذ بالله من الخطل والاتساع في المجاز لا يقال فيه كذا وانما يقال هو ان تجري صفة من
الصفات على موصوف وليس اهلا لان تجري عليه لبعد ما بينه وبينها كقول ابي الطيب • تجري صفة
اثلث فانا ايها الطلل نبكي وترزم تحتنا الابل • فانه اجرى على الجماد صفة الخطاب التي هي لمن يعقل وتلك صفة
لا مناسبة بينها وبين الموصوف وقد تقدم الكلام على ذلك وانما يستعمل طلبا للاتساع في اساليب الكلام لا لمناسبة
بين الصفة والموصوف اذ لو كان لمناسبة لما كان ذلك اتساعا وانما كان ضربا من القياس في حمل الشي على ما
يناسبه ويشاكله وح يكون ذلك تشبيها او استعارة على ما اشرنا اليه من قبل • وكنت اطلعت في كتاب المستصفى
لابي حامد الغزالي رحمه الله الذي الفه في اصول الفقه وجدته قد ذكر الحقيقة والمجاز وقسم المجاز الى اربعة عشر
قسما وتلك الاربعة عشر ترجع الى الثلثة التي اشرت اليها وهي التوسع والتشبيه والاستعارة ولا تخرج عنها والتقسيم
لا يصح في شي من الاشيا الا اذا اختص كل قسم من الاقسام بصفة لا يختص بها غيره والا كان التقسيم لغوا لا فائدة
فيه وساورد ما ذكره وابين فساده فالقسم الاول من الاقسام التي ذكرها هو ما جعل للشي بسبب المشاركة
في خاصة كقولهم للشجاع اسد وللبليد حمار وهذا القسم داخل في الاستعارة ان ذكر المنقول اليه وحده مثل ان يقول
القائل رايت اسدا ومراده رجلا شجاعا او رايت حمارا وهو يريد رجلا بليدا وداخل في التشبيه المضمر الاداة ان ذكر

المنقول

بلغ

اسماء

اقسام المجاز

المنقول والمنقول اليه معا كقول القائل زيد اسد اي كالاسد وحمار اي كالحمار • القسم الثاني تسمية الشي
باسم ما يؤول اليه كقوله تعالى اني اراني اعصر خمرا وانما كان يعصر عنبا وهذا القسم داخل في القسم الاول لصفة
المشابهة بين المنقول والمنقول اليه وهو من باب الاستعارة لا بل اوغل في المشابهة من ذلك لان الخمر من العنب
وليس الاسد من الرجل ولا الرجل من الاسد • القسم الثالث تسمية الشي باسم فرعه كقول الشاعر •
• وما العيش الا نومة وتشرق • وتمر على راس النخيل وماء • فسمى الرطب تمرا فالعنب اصل • وهذا القسم
والقسم الذي قبله سواء لان هناك سمي العنب خمرا وهنا سمي الرطب تمرا فالعسل اصل والخمر فرع وكذلك الرطب
اصل والتمر فرع وكلا هذين القسمين داخل في القسم الاول وهب ان الغزالي لم يحقق امر المجاز وانقسامه الى تلك
الاقسام الثلثة التي اشرت اليها الم ينظر الى هذين القسمين اللذين هما العنب والخمر والرطب والتمر ويعلم انهما شي
واحد لا فرق بينهما • القسم الرابع تسمية الشي باسم اصله كقولهم للادمي مضغة وهذا ضد القسم الذي قبله
لان ذلك جعل الاصل فيه فرعا وهذا جعل الفرع فيه اصلا وهو داخل في القسم الاول ايضا • القسم الخامس تسمية
الشي بدواعيه كتسميتهم الاعتقاد قولا نحو قولهم هذا يقول بقول الشافعي اي يعتقد اعتقاده وهذا القسم داخل
في القسم الاول لان بين القول والاعتقاد مناسبة كالمناسبة بين السبب والمسبب والباطن والظاهر • القسم السادس
تسمية الشي باسم مكانه كقولهم للمطر سماء لانه ينزل منها وهذا القسم داخل في الاول لصفة المناسبة بين المنقول
والمنقول اليه وهو النزول من عال وكلما علاك واظلك فهو سماء على ان الاغلب على ظني ان هذا القسم من الاسماء
المشتركة وتسمية المطر باسم السماء حقيقة فيه وليس من المجاز في شي • القسم السابع تسمية الشي باسم مجاوره
كقولهم للمزادة راوية وانما الراوية الجمل الذي يحملها وهذا القسم من باب التوسع لا من باب التشبيه ولا من باب الاستعارة
لان على قياسه ينبغي ان يسمى الجمل زاملة لانه يحملها • القسم الثامن تسمية الشي باسم جزوه كقولك لمن تبغضه
ابعد الله وجهه عني وانما تريد شيا من جثته وهذا القسم داخل في القسم الاول وهو شبه تسمية الشي باسم فرعه •
القسم التاسع تسمية الشي باسم ضده كقولهم للاسود والابيض جون وهذا القسم ليس من المجاز البتة في شي وانما هو
حقيقة في هذين القسمين معا لانه من الاسماء المشتركة كقولهم شمت السيف اذا سللته وشمته اذا غمدته فدل الشيم على
الضدين معا بالوضع الحقيقي وفي اللغة من هذا شي كثير فكيف يجعل هذا القسم من المجاز ولا شك ان الغزالي نظر
الى ان الضدين لا يجتمعان في محل واحد فقاس الاسم على الذات فظن ان الذاتين لا يجتمعان في اسم واحد كما انهما
لا يجتمعان في محل واحد • فان قيل لا نسلم ان اللفظ المشترك حقيقة بالوضع في المعنيين معا لان ذلك
يخل بفائدة الوضع الذي هو البيان وانما هو حقيقة في احد معنييه مجاز في الاخر الجواب عن ذلك ان هذا الموضع
قد تقدم الكلام عليه في الفصل الثاني من مقدمة الكتاب وهو الفصل الذي يشتمل على الات علم البيان وادواته
فليوخذ من هناك فاني قد اشبعت الكلام فيه اشباعا لا مزيد عليه • القسم العاشر تسمية الشي بفعله كتسمية
الخمر مسكرا وهذا القسم داخل في القسم الاول واي مشاركة اقرب من هذه المشاركة فان الاسكار صفة لازمة
للخمر وليست الشجاعة صفة لازمة لزيد لانه يمكن ان يكون زيد ولا شجاعة ولا يمكن ان يكون خمرا ولا اسكار الا ترى
انها لم تسم خمرا الا لاسكارها لانها تخمر العقل اي تسكره • القسم الحادي عشر تسمية الشي بكله كقولك في جواب
ما فعل زيد القيام والقيام جنس يتناول جميع انواعه وهذا القسم لا ينبغي ان يوصل باقسام المجاز لان القيام يشمل
جميع انواع القيام من الماضي والحاضر والمستقبل قلت فهذا من اقرب المجاز مناسبة لانه اقامة للمصدر مقام

لزيد حقيقة فان قيل ان القيام

الفعل الماضي والمصدر اصل الفعل وعلى هذا فان هذا القسم داخل في القسم الاول • القسم الثاني عشر الزيادة في
الكلام بغير فائدة كقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فما ههنا زائدة لا معنى لها اي فبرحمة من الله لنت لهم • وهذا القول لا اراه
صوابا وفيه نظر من وجهين احدهما ان هذا القسم ليس من المجاز لان المجاز هو دلالة اللفظ على غير ما وضع له في اصل اللغة
وهذا غير موجود في الاية وانما هي دالة على الوضع اللغوي المنطوق به في اصل اللغة • الوجه الاخر اني لو سلمت
ان ذلك من المجاز لا يكون ان لفظة ما زائدة لا معنى لها ولكنها وردت تفخيما لامر النعمة التي لان بها رسول الله صلعم لهم وهي
محض الفصاحة ولو عري الكلام عنها لما كانت تلك الفخامة وقد ورد مثلها في كلام العرب كالذي يحكى عن الزبا وذلك ان
الوضاح الذي هو جذيمة الابرش تزوجها والحكاية في ذلك مشهورة فلما دخل عليها كشفت له عن فرجها وقد ظفرت
الشعر من فوقه ظفيرتين وقالت اذات عروس ترى اما انه ليس ذلك من عوز الامواس ولا من قلة الاواس ولكنه شيمة
ما اناس فمعنى الكلام ولكنه شيمة اناس • وانما جاءت لفظة ما ههنا تفخيما لشان صاحب تلك الشيمة وتعظيما لامره
ولو اسقطت لما كان للكلام هذه الفخامة والجزالة ولا يعرف ذلك الا اهله من علماء الفصاحة والبلاغة • واما
الغزالي فانه معذور عندي في ان لا يعرف ذلك لانه ليس فنه • ومن ذهب الى ان في القران لفظا زائدا لا معنى له
فاما ان يكون جاهلا بهذا القول واما ان يكون متسمحا في دينه واعتقاده وقول النحاة ان ما في هذه الاية
زائدة فانما يعنون به انها لا تمنع ما قبلها عن العمل كما يسمونها في مواضع اخر كافة اي انها تكف الحرف عن عمله كقولك
انما زيد قائم فما قد كفت ان عن العمل في زيد وفي الاية لم تمنع عن العمل الا ترى انها لم تمنع الباء عن العمل في خفض الرحمة
القسم الثالث عشر تسمية الشيء بحكمه كقوله تعالى وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها
فسمى النكاح هبة وهذا القسم داخل في القسم الاول لان النكاح هو تمكين الزوج من الوطي على عوض على هبة مخصوصة
والهبة تمكينه من الشيء الموهوب له على غير عوض فشاركت الهبة النكاح في نفس التمكين من الوطي وان اختلفا في الصورة
القسم الرابع عشر النقصان الذي لا يبطل به المعنى كحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قال الله تعالى
ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا وكحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه قال الله تعالى واسال القرية اي
اهل القرية وهذا القسم داخل في القسم الاول اما حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه فلان الصفة
لازمة للموصوف واما حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فلانه دل بالمسكون على الساكن وتلك
مقاربة قريبة فهذه اقسام المجاز التي ذكرها الغزالي وقد بينت فساد التقسيم فيها وانها ترجع الى ثلثة اقسام
هي التوسع والتشبيه والاستعارة • وحيث انتهى بي الكلام الى ههنا وفرغت مما اردت تحقيقه وبينت
ما اردت بيانه فاني اتبع ذلك بضرب الامثلة للاستعارة التي يستفيد بها المتعلم ما لا يستفيده بذكر الحد
والحقيقة • فمما جاء من ذلك في القران الكريم قوله تعالى في اول سورة ابرهيم صلوات الله عليه فقال الر كتاب انزلناه
اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور والظلمات والنور استعارة للكفر والايمان او للضلال والهدى والمستعار
له مطوي الذكر كانه قال لتخرج الناس من الكفر الذي هو كالظلمة الى الايمان الذي هو كالنور وكذلك ورد قوله
في هذه السورة وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال والقراءة برفع لتزول
فليست من باب الاستعارة ولكنها في نصب تزول واللام لام كي والجبال ههنا مستعارة طوي فيها ذكر المستعار له
وهو امر رسول الله صلعم وما جاء به من الايات والمعجزات اي انهم مكروا مكرهم لكن زوال هذه الايات والمعجزات في ثباتها
واستقرارها كالجبال وعلى هذا ورد قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا

يفعلون

يفعلون فاستعار الاودية للفنون والاغراض من المعاني الشعرية التي يقصدونها وانما خص الاودية
بالاستعارة ولم يستعر الطرق والمسالك وما جرى مجراها لان معاني الشعر يستخرج بالفكر والروية
فيهما خفاء وغموض فكان استعارة الاودية لها اشبه واليق والاستعارة في القران قليلة لكن التشبيه المضمر
الاداة كثير وكذلك هي في فصيح الكلام من الرسائل والخطب والاشعار لان طي المستعار له لا يتيسر في كل كلام واما
التشبيه المضمر الاداة فكثير سهل لمكان اظهار المشبه والمشبه به معا • ومما ورد من الاستعارة في الاخبار النبوية
قول النبي صلعم لا تستضيئوا بنار المشركين فاستعار النار للراي والمشورة اي لا تهتدوا براي المشركين ولا تاخذوا بمشورتهم
وروي عنه صلعم انه دخل يوما مصلاه فراى اناسا كانهم يكترون فقال اما انكم لو اكثرتم من ذكر هاذم اللذات لشغلكم
عما ارى • وهاذم اللذات اراد به الموت وهو مطوي الذكر وكذلك ورد قوله صلعم لعثمان بن عفان رضه فانه قال له ان
الله مقمصك قميصا فان ارادوك على خلعه فلا تخلعه والقميص استعارة للولاية والمستعار له مطوي الذكر
وبلغني عن العرب انهم يقولون عند روية الهلال لا مرحبا للجبين مقرب اجل ومحل دين • وهذا من باب الاستعارة
في طي ذكر المستعار له وكذلك بلغني عن الحجاج بن يوسف انه خطب خطبة عند قدومه العراق في اول ولايته اياه
والخطبة مشهورة • فمن جملتها انه قال ان امير المومنين نثل كنانته وعجمها عودا عودا فراني اصلبها نجارا •
وانفذها نصلا • فقوله نثل كنانته وعجمها عودا عودا يريد انه عرض رجاله واختبرهم واحدا بعد واحد فراني
اشدهم وامضاهم وهذا من باب الاستعارة الحسنة الفائقة • وقد جاءني من الاستعارة في رسائلي ما اذكر شيئا منه
ولو مثالا واحدا وذاك انه سالني بعض الاصدقاء ان اصف له غلامين تركيين كان يهواهما وكان احدهما
لبس قبا احمر والاخر قبا اسود فقلت اذا تشعبت اسباب الهوى كانت لسره اظهر • واضبحت امراضه خطرا
كلها فلا يقال في احدهما هذا اخطر • وقد هويت بدرين على غصنين • ولا طاقة لقلب بهوى واحد فكيف اذا حمل
هوى اثنين • ومما شجاني انهما يتلونان في اصباغ الثياب كما يتلونان في فنون التجرم والعتاب • وقد استجدا الان
زيا لا مزيد على حسنهما في حسنه فهذا يخرج في ثوب من حمرة خده وهذا في ثوب من سواد جفنه • وما ادري من دلهما
على هذا الزي العجيب غير انه ليس على فتنة المحب اهدى من حبيب • وهذا الفصل بجملته مما تواصفه الناس واغروا
بحفظه • واما ما ورد من ذلك شعرا فقول مسكين الدارمي من شعر الحماسة •

لحافي لحاف الضيف والبيت بيته • ولم يلهني عنه غزال مقنع •
احدثه ان الحديث من القرى • ويعلم نفسي انه سوف يهجع •

فالغزال المقنع استعارة للمراة الحسناء وهكذا ورد قول رجل من بني يسار في كتاب الحماسة •

اقول لنفسي حين جرد رالها • رويدك لما تشفقي حين مشفق •
رويدك حتى ينظري عم تنجلي • غياية هذا البارق المتالق •

فالبارق والمتالق استعارة للحرب او للامر الذي اظل بمكروهه كالبارق المتالق • ويحكى ان امراة وقفت لمصعب بن الزبير رضهما
وهو سائر الى قتال عبد الملك بن مروان فقالت يا امير المومنين فقال رويدك حتى ينظري عم تنجلي • وانشد البيت
ومن هذا الباب قول عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن •

لما نظرت الي عن حدق المها • وبسمت عن متفتح النوار •
وعقدت بين قضيب بان اهيف • وكثيب رمل عقدة الزنار •

عفرت خدي في الثرى لك طائعا • وعزمت فيك على دخول النار •

وهذه الابيات لا تجد لها في الحسن شريكا • ولئن سمي قائلها شحرورا اولى من ان تسماديكا • وكذلك ورد قوله

لا ومكان الصليب في النحر منك • ومجرى الزنار في الخصر •
والخال في الخد اذا شمته • وردة مسك على ثرى تبر •
وحاجب مد خطه قلم • الحسن مخبر بالبهاء لا الحبر •
واقحوان بفيك منتظم • على شبيه الغدير من خمر •
ما صبر الشوق لي فاصبر يا • من حسنت فيه قلة الصبر •

فالبيت الرابع هو المخصوص بالاستعارة والمستعار له وهو الثغر والريق مطوي الذكر • ومما ورد لابي تمام في هذا الباب قوله

لما غدا مظلم الاحشاء من اشر • اسكنت جانحتيه كوكبا يقد •

فالكوكب استعارة لسنان الرمح • وكذلك ورد قوله في الاعتذار • لرهبة بطريدي

اسرى طريدا للحيا من التي • زعموا وليس لرهنه مطرود •
وعدا يتبين ما براه بساحتي • لو قد نقضت تهائمي ونجودي •

فالتهائم والنجود هما استعارة عن باطن امره وظاهره • وكذلك ورد قوله

كم احرزت قضب الهندي مصلتة • تهتز من قضب تهتز في كثب • فالقضب والكثب استعارة لقدود السبايا واردافهن • وكذلك قوله في هذه القصيدة ايضا عند ذكر ملك الروم وانهزامه لما فتحت مدينة عمورية

فقال ان يعد من حرها عدو الظليم فقد • اوسعت حاجمها من كثرة الحطب • فالحطب استعارة للقتلى ومعنى ذلك انه هرب من حر المعركة فقد اوسعت حاجمها من كثرة القتلى وقبل هذا البيت ما يدل عليه لانه

قال اخرى قرابينه صرف الردى ومضى • بحث انحا مطاياه من الهرب •
موكلا بيفاع الارض يشرفه • من خفة الخوف لا من خفة الطرب • الطرب

ان يعد من حرها عدو الظليم البيت • واحسن من هذا كله قوله

تطل الطلول الدمع في كل منزل • وتمثل بالصبر الديار المواثل •
دوارس لم يخف الربيع ربوعها • ولا مر في اغفالها وهو غافل •
تعفين من زاد العفاة اذا انتحى • على الحي صرف الازمة المتحامل • المتماحل

فقوله زاد العفاة استعارة طوى فيها ذكر المستعار له وهو اهل الديار لانه قال تعفين من قوم هم زاد العفاة وله في الغزل من الاستعارة ما بلغ به غاية اللطافة والرقة وذلك في قصيدته التي اولها • ان عهدا لو تعلمان ذميما •

فقال قد مررنا بالدار وهي حلا • فبكينا طلولها والرسوما •
وسالنا ربوعها وانصرفنا • بشفاء وما سالنا حكيما •
كنت ارعى البدور حتى اذا ما • فارقوني امسيت ارعى النجوما •

والبيت الثالث هو المخصوص بالاستعارة وعلى هذا المنهاج ورد قول البحتري •

واغر في الزمن البهيم محجل • قد رحت منه على اغر محجل • فالاغر المحجل هو الممدوح والاغر المحجل الاخر هو الفرس الذي اعطاه اياه وكذلك ورد قوله • وصاعقة في كفه تنكفي بها • على رؤس الاعداء خمس سحائب •

وهذا

وهذا من النمط العالي الذي شغلت بداعة معناه وحسن سبكه عن النظر الى استعارته والمراد بالسحائب الخمس هي الاصابع • وكذلك ورد قوله في ابيات يصف فيها السيف فقال

• حملت حمايله القديمة بقلة • من عهد عاد غضة لم تذبل • وهذا من الحسن على ما يشهد لنفسه كانه قال حملت حمايله سيفا اخضر الحديدة كالبقلة وعلى هذا الاسلوب ورد قول ابي الطيب

• في الخد ان عزم الخليط رحيلا • مطر تزيد به الخدود محولا • وكذلك ورد قوله

• يمد يديه في المفاضة ضيغم • وعينيه من تحت التريكة ارقم • واحسن من هذا كله قوله في قصيدته التي مطلعها

• عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم • فقال

واصبحت بقرى هنزيط جاملة • ترعى الظبا في حصيب نبته اللمم •
فما تركن بها جلدا له بصر • تحت التراب ولا بازا له قدم •
ولا هزبرا له من درعه لبد • ولا مهاة لها من شبهها حشم • وهذا من المليح النادر

والجلد استعارة لمن اختفى تحت التراب خائفا والباز استعارة لمن طار هاربا والهزبر والمهاة استعارتان للرجال المقاتلة والنساء من السبايا • ومن هذا الباب قوله •

كل جريح ترجى سلامته • الا جريحا دهته عيناها •
تبل خدي كلما ابتسمت • من مطر برقه ثناياها •

فالبيت الثاني من الابيات الحسان التي تتواصف وقد حسن الاستعارة التي فيه انه جاء ذكر المطر مع البرق • وبلغني عن ابي الفتح بن جني رحمه الله انه شرح ذلك في كتابه الموسوم بالفسر الذي الفه في شرح شعر ابي الطيب المتنبي فقال انها كانت تبزق في وجهه وظن ان ابا الطيب اراد بها كانت تبتسم فيخرج الريق من فمها ويقع على وجهه فشبهه بالمطر وما كنت اظن ان احدا من الناس يذهب وهمه وخاطره حيث ذهب وهم هذا الرجل وخاطره واذا كان هذا قول امام من ائمة العربية تشد اليه الرحال فماذا يقال في غيره لكن فن الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والاعراب وكذلك ورد قول الشريف الرضي •

كذلك ورد قوله

اذا انت افنيت العرانين والذرى • رمتك الليالي من يد الخامل الغمر •
وهبك اتقيت السهم من حيث يتقى • فمن ليد ترميك من حيث لا تدري •

فالعرانين والذرى هما عظماء الناس واشرافهم كانه قال اذا افنيت عظماء الناس رميت من الخامل • واذا قد ثبت ان الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له فانها لا تجيء الا ملائمة مناسبة ولا توجد فيها مباينة ولا تباعد لانها لا تذكر مطوية الا لبيان المناسبة بين المستعار منه والمستعار له وقد طويت ولو لم يكن هناك مناسبة بين المستعار منه والمستعار له لعسر فهمها ولم يبن المراد منها • ورايت ابا محمد عبد الله بن سنان الخفاجي رحمه الله قد خلط الاستعارة بالتشبيه المضمر الاداة ولم يفرق بينهما وتاسى في ذلك بغيره من علماء البيان كابي هلال العسكري والغانمي وابي الحسن بن بشر الامدي على ان ابا الحسن بن بشر الامدي كان اثبت القوم قدما في الفصاحة والبلاغة وكتابه المسمى بالموازنة بين الطائيين يشهد له بذلك وما اعلم كيف خفي عليه الفرق بين الاستعارة والتشبيه المضمر الاداة • ومما اورده ابن سنان في كتابه الموسوم بسر الفصاحة قول امرئ القيس في الليل •

• فقلت له لما تمطى بصلبه • واردف اعجازا وناء بكلكل • وهذا التشبيه المضمر الاداة لان المستعار له مذكور هو

والمنقول اليه بل نظرا الى التقسيم الذى قسمه فى القرب والبعد وراى ان الاستعارة المبنية على استعارة لغزى
يكون بعيدة فحكم عليها بالاطراح واذا كان الاصل انما هو المناسب فلا فرق بين ان يوجد فى استعارة واحدة
او فى استعارة مبنية على استعارة ولهذا اشباه ونظائر فى عد الاستعارة الاترى ان المنطقى يقول فى المقدمة
والنتيجة كل انسان حيوان وكل حيوان نامى فكل انسان نامى وكذلك يقول المهندس فى بعض الاشكال الهندسية
اذا كان خط اب مثل خط بح وخط ح مثل خط جد فخط اب مثل خط جد وهكذا اقول انا فى الاستعارة اذا
كانت الاستعارة الاولى مناسبة يبنى عليها استعارة ثانية وان كانت غير مناسبة فالجميع مناسب وهذا امر برهانى
لا تتصور انكاره • وهذا الكلام الذى اوردته ههنا هو اعتراض على ما ذكره ابن سنان الخفاجى فى الاستعارة
فلا تظن انى موافقه فى الاصل وانما وافقته قصدا لتبين وجه الخطا فى كلامه وكيف يسوغ لى موافقته وقد
ثبت عندى بالدليل ان الاستعارة لا تكون الا لحشو يطوى ذكر المستعار له وفيما قدمت من الكلام على ذلك كفاية

النوع الثانى فى التشبيه

وحدث علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل وجعلوا هذا بابا
مفردا وهذا بابا مفردا وهما شىء واحد لا فرق بينهما فى اصل الوضع بل اشتهر هذا الشىء لهذا الشىء كما تقول
مثلثة وما اعلم كيف خفى امر ذلك على اولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه وكنت قدمت القول فى باب الاستعارة
على الفرق بين التشبيه وبينها والحاجة الى اعادته ههنا مرة ثانية والتشبيه ينقسم قسمين مظهرا ومضمرا وفى
المضمر اشكال فى تقدير اداه التشبيه فيه فى بعض المواضع وهو ينقسم اقساما خمسة فالاول يقع موقع
المبتدا والخبر مفردين والثانى يقع المبتدا المفرد وخبره جملة مركبة من مضاف ومضاف اليه والثالث يقع
موقع المبتدا والخبر جملتين • والرابع يرد على وجه الفعل والفاعل والخامس يرد على وجه المثل المضروب
وهذان القسمان لا اشكال فيهما وانما الاشكال فى القسمين الاولين فاقول ان التشبيه اما ان يكون مفردا
واذا قدرت اداه التشبيه فيه كان ذلك بديهة النظر على الفور فقيل زيد كالاسد واما القسم الثانى والثالث
فانهما متوسطان فى تقدير اداة التشبيه فيهما فالثانى كقولك البيض الكماة جدرى للارض وهذا تنوع غير فاذا
كان المضاف اليه معرفة كهذا الخبر النبوى للحجاج فى تقدير اداة التشبيه الى تقدير المضاف اليه بل رشحنا قدمنا
وان شئنا اخرناه فقلنا الكماة للارض كالجدرى والكماة كالجدرى للارض واذا كان المضاف اليه نكرة فلا بد من
تقديمه عند تقدير اداة التشبيه فيه ومن ذلك قول البحترى • غمام سماح لا يغب له حيا ومسعر حرب لا يضع له وترا •
واذا قدرنا اداة التشبيه ههنا فلنا سماح كالغمام ولا تقدر الا هكذا والمبتدا فى هذا الباب محذوف وهو الاشارة
الى الممدوح كانه قال هو غمام سماح ومر ههنا النوع ما يشكل بتقدير اداة التشبيه فيه على غير العارف بهذا الفن كقولهم
الى تمام • اى مر بى عير ووادى نسيب • لجبته الايام فى ملجوب • ومراد الى تمام ان يصف هذا المكان بانه
كان حسنا ثم جاءه الحسنة فقال ان العين كانت تلتذ النظر اليه كالتذاذ السامع بالمرعى وانه كان يشبب به
فى الاشعار لحسنه وطيبه واذا قدرنا اداة التشبيه ههنا فلنا كانه كان للعير مرعى وللنسيب منزلا ومألفا
واذا جاء شىء من هذه الابيات الشعرية على هذا الاسلوب او ما يجرى مجراه فانه يحتاج الى عارف بوضع اداه
التشبيه فيه واما الثالث فكقولك البيض للنحور وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد السنتهم كانه
قال كلام كالسنة كحصائد المناجل وهذا القسم لا يكون المشبه به مذكورا فيه بل يذكر صفته وهى الحصد وكما يجرى
هذا القسم فانه لا يرد الا كذلك • واما القسم الرابع والخامس اللذان هما اشكل الاقسام المذكورة فى تقدير

الليل • وعلى الخطاء فى خلطه بالاستعارة فان ابن سنان اخطا فى الرد على الامدى ولم يوفق للصواب وانا اتكلم على
ما ذكره ولا اضايقه فى الاستعارة والتشبيه بل انزل معه على ما يراه مرادا استعارة بمرايير فسأكاد ما ذهب اليه
وذلك ان الامدى قال فى كتابه الموازنة ان امرأ القيس وصف احوال الليل فى الطول فذكر امتداد وسطه •
وثاقل صدره وتراد فى اعجازه فلما جعل له وسطا ممتدا وصدرا ثقيلا واعجازا رادفه لوسطه استعار له اسم
الصلب وجعله متمطيا مراجل امتداده واسما للكلكل وجعله نائيا لثقله واسم العجز مراجل لهوضه فقال ابن
سنان الخفاجى معترضا عليه ان هذا الذى ذكره الامدى ليس بمرضى غاية الرضى وان بيت امرأ القيس ليس من الاستعارة
الجيدة ولا الردية بل هو وسط فان الامدى قد اقتضى بان امرأ القيس لما جعل الليل وسطا ممتدا استعار له اسم
الصلب وجعله متمطيا مراجل امتداده وحيث جعل له اخرا واولا استعار له عجزا وكلكلا وهذا كلام انما يحسن
بعضه مع بعض وقد ذكر الصلب انما يحسن مراجل العجز والوسط والتمطى مراجل الصلب والكلكل فمجموع ذلك
وهذه استعارة مبنية على استعارة اخرى هذا حكايته كلامه فى الاعتراض على الامدى وفيه نظر وجهير الاول
انه قال هذا البيت من الاستعارة الوسطى التى ليست بجيدة ولا ردية ثم جعلها استعارة مبنية على استعارة اخرى
وعنده ان الاستعارة المبنية على الاستعارة من ابعد الاستعارات وذلك انه قسم الاستعارة الى قسمين قريب
مختار وبعيد مطرح فالقريب المختار ما كان لبنه وبين ما استعير له مناسبة قوى وشبه واضح والبعيد
المطرح اما ان يكون لبعد ما استعير له فى الاصل ولانه استعارة مبنية على استعارة اخرى فضعف لذلك
هذا ما ذكره ابن سنان الخفاجى فى تقسيم الاستعارة وان كانت الاستعارة المبنية على استعارة اخرى عنده بعيدة
مطرحة فكيف جعلها وسطا هذا ما قصر فى القول • الوجه الثانى انه لم يأخذ على الامدى فى وضع لا خذ
لانه لم يخبر الا ما حسن اختياره وذلك ان حد الاستعارة على ما يراه الامدى وابن سنان هو نقل المعنى من لفظ الى لفظ
بسبب مشاركه بينهما وان كان المذهب الصحيح فى حد الاستعارة غير ذلك على ما تقدم الكلام عليه ولكنى فى هذا
الموضع انزل معهما على ما رأياه حتى يتوجه الكلام على الحكم بينهما فى بيت امرأ القيس فاحدنا الاستعارة هذا
الحد ففيه نفرق على رأى ابن سنان بين الاستعارة المرضية والاستعارة المطرحة واذا وجدنا استعارة فى كلام فما
عرضناها على هذا الحد فما وجدنا فيه مناسبة بين المنقول عنه والمنقول اليه حكمنا له بالجودة وما لم نجد فيه تلك المناسبة
حكمنا عليه بالرداءة وبيت امرأ القيس من الاستعارات المرضية لانه لو لم يكن للسان صدرا عنى ولا اولا ولم يكن له وسطا واخرا
لما حسنت هذه الاستعارة ولما كان الامر كذلك استعار لوسطه صلبا وجعله متمطيا واستعار لصدره المثاقل
اعنى وله كلكلا وجعله نائيا واستعار لاخره عجزا وجعله رادفا لوسطه وكل ذلك من الاستعارات المناسبة • واما قول
ابن سنان الخفاجى ان الاستعارة المبنية على استعارة اخرى بعيدة مطرحة فان فى هذا القول نظرا وذلك انه قد
ثبت لنا اصل نقيس عليه الفرق بين الاستعارة المرضية والمطرحة كما ارتسم ولا نمنع ذلك من ان يحى استعارة مبنية
على استعارة اخرى فانه قد ورد فى القرآن الكريم ما هو من هذا الجنس وهو قوله تعالى ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة
مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف فهذه ثلاث استعارات
تبنى بعضها على بعض فالاولى استعارة القرية للاهل والثانية استعارة الذوق للباس والثالثة استعارة اللباس
للجوع والخوف وهذه الاستعارات الثلاث من المناسب على ما اخبرته فكيف يذم ابن سنان الخفاجى الاستعارة المبنية
على استعارة اخرى • وما اقول ان ذلك شذ عنه الا لانه لم ينظر الاصل المقيس عليه وهو المناسب المنقول عنه

اداه التشبيه فيهما فلانه لا سفطن لها انها تشبيه فسنتاجا من القسم الرابع قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان
من قبلهم ونقدر اداه التشبيه وهذا الموضع ان تقال هم في ايمانهم كالمتبوء دارا اى انهم قد اتخذوا الايمان
مسكنا يسكنونه يصف بذلك تمكنهم منه وعلى هذا ورد قول الى تمام مقال درف الريح يدرف ذروفا ودرفانا ودرافا وتدارفا
• نطقت مقلة الفتى الملهوف • فتشكت بفيض دمع ذروف • واذا اردنا ان نقدر اداه التشبيه هنا واذا سال وذرف ومعه تذارفا وتدرفة صبته احرى
فلنا دمع العين كنطق اللسان او قلنا العين الباكية كانما نطقت بما في الضمير واما ما جاء من القسم الخامس كقول
الفرزدق يهجو اجريرا • ما ضر تغلب وائل اهجوتها • ام بلت حيث تناطح البحران • فشبه هجاء جرير
تغلب وائل ببول له في مجتمع البحرين وكما ان البول في مجتمع البحرين لا يؤثر شيأ فكذلك هجاء ذلك هجاء هؤلاء القوم لا
يؤثر شيأ وهذا البيت من الابيات التي اقر الناس لها بالحسن • وكذلك ورد قوله ايضا
• قوارض تأتينى فتحتقرونها • وقد يملأ الفطر الاناء فيفعم • وانه شبه القوارض التي اتته محتقرة بالفطر
الذي يملأ الاناء على صغر مقداره يشير بذلك الى ان الكثرة تجعل الصغير من الامر كبيرا وهذا الموضع تشكل
على كثير من علماء البيان ويخلطونه بالاستعارة كقول البحتري في التعزية بولد فقال
• تعز فان السيف يمضي ويرهف • جماله عنه وحلاه قائمه • وهذا ليس من التشبيه وانما هو استعارة
لان المستعار له مطوى الذكر وهو المعزى كانه قال تعز فانك كالسيف لدى يمضي وان وهت جماله وحلاه
قائمه • فان قيل انك قدمت القول في باب الاستعارة ان التشبيه المضمر الاداه يحسن تقدير اداه التشبيه
فيه والاستعارة لا يحسن تقدير اداه التشبيه فيها وجعلت ذلك هو الفرق بين التشبيه المضمر الاداه وبين
الاستعارة وقررت ذلك تقريرا طويلا عريضا ثم نراك قد نقضته بها هنا بقولك ان من التشبيه المضمر الاداه ما
يشكل تقدير اداه التشبيه فيه وانك تحاج في تقديرها فيه الى نظر كهذين البيتين المذكورين للفرزدق وما يجري
مجراهما الجواب عن ذلك اني اقول هذا الذي ذكرته لا ينقض علي شيأ مما قدمت القول فيه في باب الاستعارة
لاني قلت ان التشبيه المضمر الاداه يحسن تقدير الاداه فيه اي لا يتغير بتقديرها فيه عن صفته التي اتصف بها من فصاحة
وبلاغة وليس كذلك الاستعارة فانها اذا قدرت اداه التشبيه فيها تغيرت صفتها التي اتصفت بها من صحة وبلاغة
واما الذي ورد ههنا من بيتي الفرزدق وما يجري مجراهما من التشبيه المضمر الاداه فان اداة التشبيه لا تقدر فيه وهو
على حاله لتنظر حتى تتبين هل تغيرت صفته التي اتصف بها من فصاحة وبلاغة ام لا وانما يتقدر اداه التشبيه فيه
على وجه اخر وهذا لا ينقض ما اشرت اليه في باب الاستعارة واذا قد ثبت هذه الاقسام الاربعة فاقول ان واذا ثبت
التشبيه المضمر الاداه ابلغ من التشبيه المظهر واوجز اما كونه ابلغ فلجعل المشبهة مشبها به مرغوا سطه اداه فيكون
هو اياه فانك اذا قلت زيد اسد كنت قد جعلته اسدا مرغوا سطة اداة التشبيه • واما كونه اوجز فلحذف اداه التشبيه
وعلى هذا فان القسم من المظهر والمضمر كلما في فضيلة البيان سواء فان الغرض المقصود من قولنا زيد اسد ان
تتبين حال زيد في اتصافه بشهامة النفس وقوة البطش وجراة الاقدام وغير ذلك مما يجري مجراه الا انا لم نجد
شيأ يدل به عليه سوى الاسد حيث كانت هذه الصفات مختصة به فصار ما قصد اداه مرهفا
القول كشف وابين ان لو قلنا زيد شهم شجاع قوي النفس جري الجنان واشباه ذلك لما قد عرف وعهد من اجتماع
هذه الصفات في المشبه به اعني الاسد واما زيد الذي هو المشبه به فليس معروفا لها وان كانت موجودة فيه
وكلا هذين القسمين انما يحسن بفضيلة اذا جاز وان كان المضمر اوجز من المظهر لان قولنا زيد اسد وكالاسد يسد مسد

قولنا

قولنا زيد مرحا له كيت وكيت وهو من الشجاعة والشدة على كيت وكيت مما يطول ذكره فالتشبيه اذن يجمع صفات
ملك هي المبالغة والبيان والايجاز كما ارتيت لك انه مرسر انواع البيان مستوعر المذهب وهو متقلل من مقاتل
البلاغة • وبسبب ذلك ان حمل الشيء على الشيء بالجملة اما صورة واما معنى يعز صوابه ويعسر الاجادة فيه
وقلما اكثر احد منه الا عثر كما فعل ابن المعتز مراد باء العراق وابن وكيع مراد باء مصر فانهما اكثرا من ذلك لا سيما
في وصف الرياض والاشجار والازهار والثمار لان الحرم انهما اتيا بالغث البارد الذي لا يثبت على محك الصواب •
فعليك ان تتوخى ما اشرت اليه • واما فائدة التشبيه من الكلام فهي انك اذا مثلت الشيء بالشيء فانما تقصد به
اثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به او معناه وذلك او كد في طرق الترغيب فيه او التنفير عنه الا ترى
انك اذا شبهت صورة بصورة هي احسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو الى الترغيب فيها
وكذلك اذا شبهتها بصورة هي اقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو الى التنفير عنها وهذا لا نزاع
فيه ولنضرب له مثالا يوضحه فنقول قد ورد عن ابن الرومي في مدح العسل وذمه بيت من شعره وهو
• تقول هذا مجاج النحل تمدحه • وان تعب قلت ذا قيء الزنابير • الا ترى كيف مدح الشيء الواحد بصرف
التشبيه المجازي المضمر الاداه الذي حيل به الى السامع خيالا يحسن الشيء عنده ماره ويقبحه اخرى ولولا
التوصل بطريق التشبيه المجازي على هذا الوجه لما امكنه ذلك وهذا المثال كاف فيما اوردناه • واعلم ان من
محاسن التشبيه ان يجيء مصدرا كقولنا اقدم اقدام الاسد وفاض فيض البحر وهو احسن ما استعمل في
باب التشبيه كقول الى نواس في وصف الخمر •

واذا فرجوها • وثبت وثب الجراد • واذا شربوها • اخذت اخذ الرقاد •

وقد قيل ان من شرط بلاغة التشبيه ان يشبه الشيء بما هو اكبر منه واعظم • ومن ههنا غلط بعض الكتاب من اهل
مصر في ذكر حصن من حصون الجبال مشبها له فقال • هامة عليها للغمامة عمامة • واغفله خفضها الاصيل وكان
الهلال منها قلامة • وانما الكاتب حفظ شيأ وغابت عنه اشياء فانه اخطأ في قوله اغفله واي مقدار للاغفال
بالنسبة الى تشبيه حصن عال براس جبل واصاب في المناسبة بذكر الاغفال والقلامة وتشبيههما بالهلال فاما قيل
ان هذا الكاتب تاسى بما ذكره بعض الكتاب في تعرضه للسؤال عن نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
المصباح في مثل نوره بطاقة فيها ذبالة وقال للسدير والعمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم فمثل الهلال
باصل عذق النخلة الجواب عن ذلك اني اقول اما تمثيل نور الله بمشكاة فيها مصباح فان هذا مثال ضربه
الله للنبي • ويدل على انه قال لو قد مر بجزء مباركه رسوله لاشرقه وللاغربيه واذا نظرت الى هذا الموضع وجدته
شبيها بالطف ما عجيبا وذلك ان قلب النبي • وما القي فيه من النور وما هو عليه من الصفة الشفافة كالزجاجة
التي كانها كوكب لصفائها واضائتها واما الشجرة المباركة التي لا شرقية ولا غربية فانها عبارة عن دين النبي • لانه
من ارض الحجاز التي لا تميل الى المشرق ولا الى المغرب واما زيت هذه الزجاجة فانه مضيء من غير ان تمسسه نار
والمراد بذلك ان فطرته صافية من الاكدار مهيئة من قبل تصافح الانوار فهذا هو المراد بالتشبيه الذي ورد في
هذه الاية واما الاية الاخرى فانه شبه الهلال فيها بالعرجون القديم وذلك في هيئة تحوله واستدارته
لا في مقداره فان مقدار الهلال اعظم ولا نسبة بينه وبين العرجون اليه لكنه في مرأى النظر كالعرجون هيئة لا مقدارا
واما هذا الكاتب فان تشبيهه ليس على هذا النسق لانه شبه صورة الحصن بأغفله في المقدار لا في الهيئة والشكل

نعني القاضي الفاضل

نظرة

أصافحه

وهذا غير حسن ولا مناسب وانما القاه فيه انه قصد الهلال والقلامه مع ذكر الانمله فاخطا مرجهه واصاب مرجهه لكرحطاه غطى على صوابه • والقول لسديد في بلاغة التشبيه ان يشبه الاصغر بالاكبر فان هذا قول غير حاصل للعرض المقصود لان التشبيه ياتي ويارة في معرض المدح ويارة في معرض الذم ويارة في غير معرض مدح ولا ذم وانما ياتي قصدا للابانه والايضاح ولا يكون شبيها اصغر بالاكبر كما ذهب اليه مرذهب بل القول الجامع في ذلك ان يقال ان التشبيه لا يعدو الله تعالى ضرب من المبالغه فاما ان يكون جيدا او ذميما او بينا بينا واضحا او لا يخرج مرهذه المعاني التشبيه واذا كان الامر كذلك فلا بد فيه مرتقدير لفظه افعل فان لم تقدر فيه لفظه افعل فليس بتشبيه بليغ الا ترى انا نقول في التشبيه المضمر الاداه زيد اسد فقد شبهنا زيدا بالاسد الذي هو اشجع منه فان لم يكرالمشبه به في هذا المقام اشجع مرزيد الذي هو المشبه والا كان التشبيه ناقصا اذ لا معنى له فيه واما التشبيه المظهر الاداه فكقوله تعالى وله الجوار المنشات في البحر كالاعلام وهذا تشبيه كبير ما هو اكبر منه لان خلق السفن البحرية كبير وخلق الجبال اكبر منه وكذلك اذا شبه شيء حسن بشيء حسن فانه اذا لم يشترط ما هو احسن منه فليس بوارد على طريق المبالغه وان شبه قبيح بقبيح فهكذا ينبغي ان يكون المشبه به اقبح وان قصد اللسان والايضاح فينبغي ان يكون المشبه به ابين واوضح فيقدر لفظه افعل لا بد منه فيما يقصد به المبالغه التشبيه والا كان التشبيه ناقصا فاعلم ذلك وفقنا الله واعلم انه لا يخ تشبيه الشيئين احدهما بالاخر من اربعه اقسام اما تشبيه معنى بمعنى كالذي تقدم ذكره مرقولنا زيد كالاسد واما تشبيه صوره بصوره كقوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعه وهذا القسم ابلغ من الاقسام الاربعه لتمثيل تعالى الصور الموهومه بالصور المرئيه واما تشبيه صوره بمعنى كقولك الى تمام • وقتلك بالمال الجزيل وبالعدى • فتلك الصباية بالمحب المغرم • فشبه قتله بالمال وبالعدى وهو امر معنوي بصوره مرئيه بقتلك الصبابه وهو قتل معنوي • وهذا اللطف لاقسام الاربعه لانه تقل صوره الى معرصوره وكل واحد من هذه الاقسام الاربعه المشار اليها لا يخ التشبيه فيه من اربعة اقسام ايضا اما تشبيه مفرد بمفرد واما تشبيه مركب بمركب واما تشبيه مفرد بمركب واما تشبيه مركب بمفرد فان احدهما يكون شبيها بشيء واحد من شيئين والاخر يكون شبيها بشيئين من شيء واحد ولست اعني بقولي تشبيه شيء ان لا يكون الا كذلك بل اردت تشبيه شيئين بشيئين فما فوقهما كقولك لبعضهم في الخمر •

وكاسها ولكان حاملها • اذ قام يجلوها على الندماء •
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها • بدرا لدجا بكواكب الجوزاء •

فشبه بلثة شيا سلسلة شيا فاسرة لسانا في البدء وشبه الخمر بالشمس وشبه الحباب الذي فوقها بالكواكب واذا ثبت ان التشبيه ينقسم الى تلك الاقسام الاربعة فاعلم ان التشبيه المضمر الاداه فقد قدمنا القول بتقسيمه الى خمسه اقسام ايضا فالقسم الاول للايرد الا في تشبيه مفرد بمفرد والقسم الثاني للايرد الا في تشبيه مفرد بمركب والقسم الثالث للايرد الا في تشبيه مركب بمركب والقسم الرابع والخامس للايرد الا في تشبيه مركب بمركب أما اذا اطلنا في القسم الاول زيد اسد كان ذلك تشبيه مفرد بمفرد واذا اطلنا في القسم الثاني ما سلناه من الخمر البنوي وهو الكمأة جدري الارض كان ذلك تشبيه مفرد بمركب وكذلك بيت البحتري ومتى تمام المشار اليهما فيما تقدم واذا اطلنا في القسم الثالث ما اشرنا اليه من الخمر البنوي ايضا الذي هو وهم ملك الناس على مناخرهم وبارحهم الاحصاد استهم كان ذلك تشبيه مركب بمركب واذا اطلنا في القسم الرابع والخامس ما سلناه من بيتي الفرزدق والبحتري كان ذلك تشبيه مركب بمركب واذا كان الامر كذلك وجاء لك شيء من التشبيه المضمر الاداه وهو من القسم الاول فاعلم انه تشبيه مفرد بمفرد واذا جاء لك شيء من القسم

الثالث فاعلم انه تشبيه مركب بمركب وكذلك اذا جاء لك شيء من القسم الرابع والخامس فانهما من تشبيه المركب بالمركب • ولنرجع الى ذكر ما اشرنا اليه اولا من تقسيم التشبيه الى الاربعة الاقسام الاخرى التي هي تشبيه مفرد بمفرد وتشبيه مركب بمركب وتشبيه جزء مركب بمفرد فالقسم الاول منها كقوله تعالى في المضمر الاداه وجعلنا الليل لباسا فشبه الليل باللباس وذلك انه ستر الناس بعضهم عن بعض لما اراد هربا مرعدو او سباتا لعدو او اختفاء مالا يحب الاطلاع عليه من امر وهذا من التشبيهات التي لم يات لها الا القرآن الكريم فان تشبيه الليل باللباس مما يحتص به دون غيره من الكلام المنثور والمنظوم وكذلك قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن فشبه المراة بالباس للرجل وكذلك الرجل للباس للمراة • ومن محاسن التشبيهات قوله تعالى لباسا وكم حرث لكم وهذا كما ينقله من اسبه عن درجه المجاز الى الحقيقه فالحرث هو الارض التي يحرث للزرع وكذلك الرحم يزدرع فيه الولد ازدراعا كما يزدرع البذر في الارض • ومن هذا الاسلوب قوله تعالى نسلخ منه النهار فشبه تبراء الليل من النهار بانسلاخ الجلد عن الحسم المسلوخ وذلك انه لما كان هو ادى الصبح عند طلوعه ملتجمه بالجار الليل اجرى عليهما اسم السلخ فكان ذلك اولى من ان لو قيل نخرج لان السلخ ادل على الالتحام من الانفراج وهذا تشبيه في غاية المناسبه وكذلك ورد قوله تعالى واشتعل الراس شيبا فشبه انتشار الشيب باشتعال النار ولما كان الشيب ياخذ في الراس ويسعى فيه شيا فشيا حتى يحيله الى غير لونه كان اول كان نمر له النار التي تشعل في الجسم ويسري فيه حتى يحيله الى غير حاله الاولى واحسن من هذا ان يقال انه شبه انتشار الشيب باشتعال النار في سرعه التهامه وتعذر تلافيه في عظم الالم في القلب به وانه لم يبق بعده الا الخمود فهذه اوصاف اربعه جامعه بين المشبه والمشبه به وذلك في الغاية القصوى من التناسب والتلايم • وقد ورد في الامثال لليل جنة الهارب وهذا تشبيه حسن وكل ذلك من التشبيه المضمر الاداه • ومما ورد فيه شعرا قولك الى الطبسي المنتبي •

واذا اهتز للندى كان بحرا • واذا اهتز للوغى كان نصلا •
واذا الارض اظلمت كان شمسا • واذا الارض امحلت كان وبلا •

فعرف التشبيه هنا مضمر بتقدير كان كانه بحر وكان كانه نصل وكذلك يقال في البيت الثاني كان كانه شمس وكان كانه وبل وهذا تشبيه صورة بصورة وهو حسن في معناه • وكذلك ورد قولك الى نواس في تشبيه الحبب وهو واذا ما اعترضته العين مرحش استدارا •
خلته في حبات الكاس واوات صغارا • وهذا تشبيه صورة بصورة اصاف قد ابرز هذا المعنى في لباس اخر فقال واذا علاها الماء البسها حببا شبيه خلاخل المجدل •
حتى اذا سكنت جوانبها • كتبت بمثل الكارع النمل •

ومن هذا الباب قول البحتري • تبسم وقطوب في ندى ووغى • كالرعد والبرق تحت العارض البرد • وهذا من احسن التشبيه واقربها الا ان فيه اخلالا مرجهه الصنعه وهي ترتيب اللفظ فان الاولى ان كان قدم تفسير التبسم على تفسير القطوب بان قال كان كالبرق والرعد فانظاهما المنتمي الى هذا الفن كيف ذهب على البحتري مثل هذا الموضع على قربه مع تقدمه في صناعه الشعر وليس ذلك كبير امر سوى ان كان قدم ما اخر لاغير وانما تعذر الشاعر في مثل هذا المقام اذا احكم عليه الوزن والقافيه واضطراه الى مزلق ما يجب عليه واما اذا كان الحال كالذي ذكرها البحتري فح لا عذر له ويبالي لذلك باب مفرد في موضعه من هذا الكتاب وهو باب ترتيب التفسير وكذلك ورد قول البحتري • في معرك ضنك تخال به القنا • بير الضلوع اذا الحنين ضلوعا • ومن تشبيه المفرد

بالمفرد قول ابي الطيب المتنبي خرجن من النقع في عارض • ومن عرق الركض في وابل •
فلما نشفن لقين السياط • بمثل صفا البلد الماحل • وقد حوى هذان البيتان
نوعا التشبيه مع براعة النظم وجزالة اللفظ • واما القسم الثاني وهو تشبيه المركب بالمركب فمما جاء منه مضمر الاداة
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يرويه معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو حديث طويل يشتمل على فضائل متعدده ولا حاجة الى ايراده ههنا
على نصه بل نذكر الغرض منه وهو انه قال له النبي صلى الله عليه وسلم امسك عليك هذا واشار الى لسانه فقال معاذ او نحن مواخذون بما نتكلم
به فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد السنتهم من تشبيه المركب بالمركب
فانه شبه الالسنه وما تمضي فيه من الاحاديث التي يواخذ بها بالمناجل التي يحصد النبات من الارض وهذا تشبيه بليغ عجيب
لم يسمع الا من النبي صلى الله عليه وسلم • ومما ورد شعرا قول ابي تمام معشر اصبحوا حصون المعالي • ودروع الاحساب والاعراض •
فقوله حصون المعالي من التشبيه المركب وذلك انه شبههم في منعهم المعالي ان ينالها احد سواهم بالحصون في منعها
من بها وحمايته وكذلك ورد قوله ودروع الاحساب • واما المظهر الاداة فمما جاء منه قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كما
انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا
او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس فشبه حال الدنيا في سرعة زوالها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات
الارض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الارض وذلك تشبيه صورة بصورة وهو من ابدع ما
يجي في بابه • ومن ذلك ايضا قوله تعالى في وصف حال المنافقين مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله
بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون تقديره ان مثل هولاء المنافقين كمثل رجل اوقد نارا في ليلة مظلمة بمفازة فاستضاء بها
ما حوله فاتقى ما يخاف وامن فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي مظلما خايفا وكذلك المنافق اذا اظهر كلمة الايمان
استنار بها واعتز بعزها وامن على نفسه وماله فاذا مات عاد الى الخوف وبقي في العذاب والنقمة • ومما ورد منه في
الاخبار النبوية قول النبي صلى الله عليه وسلم مثل المومن الذي يقرا القران مثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المومن الذي لا يقرا القران
كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرا القران كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل المنافق الذي لا يقرا القران كمثل الحنظلة التي لا ريح لها وطعمها مر وهذا من باب
تشبيه المركب بالمركب الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم شبه المومن القاري وهو متصف بوصفين هما الايمان والقران بالاترجة وهي ذات
وصفين هما الطعم والريح وكذلك يجري الحكم في المومن غير القاري وفي هذا المنافق القاري والمنافق غير القاري • وقد جاني
شي من ذلك اوردته في فصل من كتاب اصف فيه البر والمسير فقلت ولم ازل اصل الذميل بالذميل والف الضحى بالاصيل •
والارض كالبحر في سعة صدره • والمطايا كالجواري رواكد على ظهره • فكان الركب منها كما نهم من الاكوار • ومسيرهم فيها على
كرة لا تستقر بها حركة الادوار • واما ما ورد من ذلك شعرا فقول البحتري •

خلق منهم تردد فيهم • وليته عصابة عن عصابة •

كالحسام الجراز يبقى على الدهر • ويفنى في كل حين قرابه • وكذلك قول

ابن الرومي • ادرك ثقاتك انهم وقعوا • في نرجس معه ابنة العنب •

فهم بحال لو بصرت به • سبحت من عجب ومن عجب •

ريحانهم ذهب على درر • وشرابهم درر على ذهب • وهذا تشبيه صنيع الا ان تشبيه
البحتري اصنع وذلك ان هذا التشبيه صادر عن صورة مشاهدة وتشبيه البحتري صادر عن غير صورة مشاهدة وانما
استنبطه استنباطا من خاطره واذا شئت ان تفرق بين صناعة التشبيهين فانظر الى ما اشرت اليه ههنا فان كان احد

التشبيهين

التشبيهين عن صورة مشاهدة والاخر عن غير صورة مشاهدة فاعلم ان الذي عن صورة غير مشاهدة اصنع ولعمري
ان التشبيهين كلاهما لا بد فيهما من صورة تحكى لكن احدهما شوهدت الصورة فيه فحكيت والاخر استنبطت له
صورة لم تشاهد في تلك الحال وانما الفكر استنبطها الا ترى ان ابن الرومي نظر الى النرجس والى الخمر فشبه •
واما البحتري فانه مدح قوما بان خلق السماح باق فيهم ينتقل عن الاول الى الاخر فاستنبط لذلك شبها فاداه فكره الى
السيف وقرابه الذي يفنى في كل حين وهو باق لا يفنى بفنائها • ومن اجل ذلك كان البحتري اصنع في تشبيهه وسأورد
ههنا نبذة يسيرة من كلامي في ذلك ما كتبته من جملة كتاب الى ديوان الخلافة اذكر فيه نزول العدو الكافر على ثغر عكا
في سنة خمس وثمانين وخمسمائة فقلت واحاط به العدو احاطة الشفاه بالثغور • ونزل عليه نزول الظلماء على النور •
وهذا من التشبيهات المناسبة • ولما جئت الى ذكر قتال المسلمين اياه واذا لته عن جانب الثغر فقلت ولقد اصطدم
من الاسلام والكفر جبل وجبل • والتقى من عجاجتيهما طفل وطفل • وعند ذلك اخذ العدو الى البحيرة الى جانب • وكان
كالحاجب على عين فصار كالعين في حاجب • واذا انزعج البساط فقد هوى • واذا قبض من طرف البساط فقد انطوى • وهذا التشبيه
في مناسبته كالاول بل احسن • ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الاخوان فقلت وما شبهت كتابه في
وروده وانقباضه الا بنظر الحبيب في اقباله واعراضه • وكلا الامرين كالسهم في الموقعه والمنزعة • والمشوق من اسنوف
صبابته في حالتي وصله وقطعه • وما زال على وجل من ارسال كتبه واحجامها • واشتباه لمها بالمامها • ومما جاء من هذا
القسم في الشعر قول بكر بن النطاح تراهم ينظرون الى المعالي • كما نظرت الى الشيب الملاح •

يحدون العيون الى شزرا • كان في عيونهم السماح • وهذا بديع في حسنه

بليغ في تشبيهه وعلى هذا النهج ورد قول ابي تمام خلط الشجاعة بالحيا فاصبحا • كالحسن شيب لمغرم بدلال •
وهذا من غريب ما ياتي في هذا الباب وقد تغالت الشيعة الى ابي تمام في وصف هذا البيت وهو لعمري كذلك ومن هذا

القسم ايضا قوله • كم نعمة لله كانت عنده • فكانها في غربة واسار •

كسيت سبائب لومه فتضاءلت • كتضاؤل الحسناء في الاطمار •

وكذلك قوله • صدفت عنه ولم تصدف مواهبه • عني وعاوده ظني فلم يخب •

كالغيث ان جئته وافاك ريقه • وان ترحلت عنه لج في الطلب • وعلى هذا الاسلوب ورد

قول علي بن جبلة • اذا ما ارتدى لامة الحرب ارعدت • حشا الارض واستدمى الرماح الشوارع •

واسفر تحت النقع حتى كانه • صباح مشى في ظلمة الليل ساطع •

وقد احسن علي بن جبلة في تشبيهه هذا كل الاحسان • ومثله ايضا قوله في تشبيه الحبب فوق الخمر •

ترى فوقها نمشا للمزاج • تباذير لا يتصلن اتصالا •

كوجه العروس اذا خططت • على كل ناحية منه خالا • ومن هذا القسم قول مسلم

ابن الوليد • يلقى المنية في امثال عدتها • كالسيل يقذف جلمودا بجلمود • وعلى هذا الاسلوب ورد

قول العباس بن الاحنف • لا جزى الله دمع عيني خيرا • وجزى الله كل خير لساني •

نم دمعي فليس يكتم شيا • ووجدت اللسان ذا كتمان •

كنت مثل الكتاب اخفاه طي • فاستدلوا عليه بالعنوان •

وهذا من اللطف البديع • ويروى عن ابي نواس انه لما دخل مصر ماد حا للخصيب جلس يوما في رهط من الادباء وتذاكروا

مباره بغداذ فانشد ارتجالا • ذكر الكرخ بارح الاوطان • فصبا صبوة ولات اوان • ثم اتم ذلك قصيدا
مدح به الخصيب فلما عاد الى بغداذ دخل عليه العباس بن الاحنف وقال انشدني شيا من شعرك بمصر فانشده
ذكر الكرخ بارح الاوطان • فلما استتم الابيات قال لقد ظلمك من ناواك وتخلف عنك من جاراك وحرام على احد ان
تتفوه بقول الشعر بعدك فقال له ابو نواس وانت ايضا يا ابا الفضل تقول هذا الست القائل لا جزى الله دمع عيني خيرا •
وانشد الابيات ثم قال ومن الذي يحسن مثل هذا القول • ومن تشبيه المركب بالمركب قول البحتري •
جدة تذود النحل عن اطرافها • كالبحر يمنع ملحه عن مائه • وهو من محاسن التشبيهات وكذلك ورد قوله
وتراه في ظلم الوغا فتخاله • قمرا يكر على الرجال بكوكب • وفي هذا البيت تشبيه ثلثة اشيا بثلثة اشيا فانه شبه العجاج
بالظلام والممدوح بالقمر والسنان بالكوكب وهذا من الحسن النادر • وكذلك ورد قوله

يمشون في زعف كان متونها • في كل معركة متون نهاء •
بيض تسيل على الكماة فصولها • سيل السراب تقفره بيداء •
فاذا الاسنة خالطتها خلتها • فيها خيال كواكب في ماء • فالبيتان الاخيران هما

اللذان تضمنا تشبيه المركب بالمركب وانما جينا بالبيت الاول سياقة الى معناها وهو من التشبيه الذي احسن
فيه البحتري واغرب • ومن هذا الباب ما ورد لبعض الشعرا في وصف الخمر فقال

كانت سراج اناس يهتدون بها • في سالف الدهر قبل النار والنور •
تهتز في الكاس من ضعف ومن هرم • كانها قبس في كف مقرور •

وقد يندر للناظم والناثر شي من كلامه يبلغ الغاية التي لا امد فوقها وهذان البيتان من هذا القبيل • ومن اغرب
ما سمعته في هذا الباب قول الحسين بن مطير يرثي معن بن زايده •
فتى عيش في معروفه بعد موته • كما كان بعد السيل مجراه مرتعا • واما القسم الثالث في تشبيه المفرد
بالمركب كما بالمفرد • فمما جا منه قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة
كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية وكذلك قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم
كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف • ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن استنجادا وهو • اذا استصرخ
اصرخ بعزم كالشهاب في رجمه • وهم كالقوس الممتلي بنزع سهمه • ويرى ان صريخه لم يجب • وانه اذا لم يجبه بالسيف
فكانه لم يجب • فهو مغري جواده وحسامه • ومسمع العدو صرير رمحه قبل قعقعة لجامه • وكذلك ما كتبته في
كتاب الى بعض الاخوان اذم الفراق فقلت والفراق شي لا كالاشيا • وصاحبه ميت لا كالاموات • وحي لا كالاحيا
وما اراه الا كنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة • وما يجعل صاحبه في ضحضاح منها الا تواتر الكتب التي تقيه بعض
الوقا • وتقوم له وان لم تقوم مقام الاشقا • واما ما ورد منه في الشعر فكقول ابي نواس •
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت • له عن عدو في ثياب صديق • وكقول ابي تمام يصف قصيدا له •

خذها مثقفة القوافي ربها • لسوابغ النعماء غير كلود •
كالدر والمرجان الف نظمها • بالشذر في عنق الفتاة الرود • وكذلك قول البحتري
وهو من جملة قصيدته المشهورة التي وصف فيها الفرس والسيف واولها • اهلا بذلكم الخيال المقبل • فقال من
ابيات تضمنت وصف السيف بيتا اجاد في تشبيهه • وكانما سود النمال وحمرها • دبت بايد في قراه وارجل •

فشبه

فشبه فرندا لسيف بدبيب النمل سودها وحمرها وذلك من التشبيه الحسن • واما ما ورد منه مضمر الاداة فكقول
النبي ص وقد سئل عن العزل فقال هو الوأد الخفي • وهذا تشبيه بليغ والوأد ما كانت العرب تفعله من دفن البنات
احيا فجعل العزل في الجماع كالوأد الا انه خفي وذاك انهم كانوا يفعلون ذلك هربا منهن وهكذا من يعزل في الجماع فانما
يفعل ذلك هربا من الولد وكذلك قال النبي ص هو الموودة الصغرى • وهذا من الحسن على غاية تغض لها العيون طرفها
ولا ينتهي الواصف اليها فيكون ترك وصفها كوصفها • ومما جاني من ذلك فصل من كتاب ضمنته وصف القلم فقلت
جدع انفه فصار في الكيد قصيرا • وارهف صدره فصار في المضا عضبا شهيرا • وقمص لباس السواد وهو شعار الخطبا
فنطق بفصل الخطاب • ونكس راسه وهي صورة الاذلال فاختال في مشيه من الاعجاب • واوحى اليه بنجوى الخواطر وهو الاصم
فافضى بما سمعه الى الكتاب وهذه الاوصاف المذكورة غريبة جدا ومن اغربها ذكر قصير عنه جدع الانف • واما القسم الرابع
وهو تشبيه المركب بالمفرد فانه قليل الاستعمال بالنسبة الى الاقسام الثلثة وليس ذلك الا لعدم النظير بين المشبه والمشبه
به وعلى كثرة ما حفظته من الاشعار لم اجد ما امثل به هذا القسم الا مثالا واحدا وهو قول ابي تمام في وصف الربيع

يا صاحبي تقضيا نظريكما • تريا وجوه الارض كيف تصور •
تريا نهارا مشمسا قد شابه • زهر الربا فكانما هو مقمر • فشبه النهار المشمس مع الزهر
الابيض بضوء القمر وهو تشبيه حسن واقع موقعه مع ما فيه من لطف الصنعة ولربما اعترض في هذا الموضع معترض
وقال انك اوردت هذا القسم من التشبيه وذكرت انه قليل وليس كذلك فان تشبيه شيئين بشي واحد كثير كقول ابي
الطيب المتنبي • تشرق اعراضهم واوجههم • كانها في نفوسهم شيم • فشبه اشراق الاعراض والوجوه باشراق
الشيم الجواب عن ذلك اني اقول هذا البيت المعترض به على ما ذكرته ليس كالذي ذكرته انا فاني اردت ان تشبه
شيان هما كشي واحد الا ترى ان نور الشمس مع بياض الزهر وهما شيان مشتركان قد شبها بضوء القمر واما هذا
البيت الذي لابي الطيب المتنبي فانه تشبيه شيئين كل واحد منهما منفرد براسه بشي واحد لانه شبه اشراق الاعراض •
واشراق الوجوه باشراق الشيم وهذا غير ما اردته انا لكن ينبغي ان يعلم ان تشبيه المركب بالمفرد ينقسم الى قسمين احدهما
تشبيه شيئين مشتركين بشي واحد كالذي اوردته لابي تمام وهو قليل الاستعمال والاخر تشبيه شيئين مفردين بشي واحد كالذي ذكرته
لابي الطيب وهو كثير الاستعمال • واذا ذكرنا اقسام التشبيه وبينا المحمود منها الذي ينبغي اقتفاء اثره واتباع مذهبه
فلنتبعه بضده مما ينبغي اجتنابه والاضراب عنه على انه قدمنا القول بان حد التشبيه هو ان يثبت للمشبه حكم من احكام
المشبه به فاذا لم يكن بهذه الصفة او كان بين المشبه والمشبه به بعد فذلك الذي يطرح ولا يستعمل والذي يرد منه مضمر
الاداة لا يكون الا في القسم الواحد من اقسام المجاز وهو التوسع وقد قدمت القول في ذلك في باب الاستعارة وضربت
لك امثلة منها قول ابي نواس • ما لرجل المال امست • تشتكي منك الكلالا • فانه جعل للمال رجلا وذلك تشبيه بعيد
ولا حاجة الى اعادة ذلك الكلام ههنا بجملته لكن قد اشرت اليه اشارة خفيفة • ومن اقبح ما سمعته من ذلك قول ابي تمام

وتقاسم الناس السخاء مجزاء • وذهبت انت براسه وسنامه •
وتركت للناس الاهاب وما بقي • من فرثه وعروقه وعظامه • والقبح الفاحش في البيت الثاني
فكل هذا التعسف في التشبيه البعيد دندنة حول المعنى ليس بطائل فان غرضه ان يقول ذهبت بالاعلى وتركت للناس
الادنى او ذهبت بالجيد وتركت للناس الردي وقد عيب عليه قوله
لا تسقني ماء الملام فانني • صب قد استعذبت ماء بكائي • وقيل انه جعل للملام ماء وذلك تشبيه بعيد وما

هذا التشبيه عندي من باس بل هو من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ولا تذم وهو قريب من وجه بعيد من وجه اما سبب
قربه فهو ان الملام هو القول الذي يعنف به الملوم لامر جناه وذلك مختص بالسمع فنقله ابو تمام الى السقيا التي هي
مختصة بالحلق كانه قال لا تدقني الملام ولو تهيا له مع ذلك وزن الشعر لكان تشبيها حسنا لكنه جاء بذكر الماء فحط من
درجته شيا ولما كان السمع يتجرع اولا اولا كتجرع الحلق الماء صار كانه شبيه به وهو تشبيه معنى بصورة • واما سبب
بعد هذا التشبيه ان بعد من وجه فقد قرب من وجه فيغفر هذا لهذا ولذلك جعلته من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد
ولا تذم • وقد روي وهي رواية ضعيفة ان بعض اهل المجانة ارسل الى ابي تمام قارورة وقال ابعث لي في هذه شيا من
ماء الملام فارسل اليه ابو تمام وقال اذا بعثت الي ريشة من جناح الذل بعثت اليك شيا من ماء الملام • ليذهب
عليه الفرق بين هذين التشبيهين فانه ليس جعل الذل للجناح كجعل الماء للملام فان الجناح للذل مناسب وذلك
ان الطائر اذا وهن وتعب بسط جناحه وخفضه والقى بنفسه على الارض وللانسان ايضا جناح فان يديه
جناحاه واذا خضع واستكان طاطا راسه وخفض من يديه فحسن عند ذلك جعل الذل للجناح وصار تشبيها مناسبا
واما الماء للملام فليس كذلك في مناسبة التشبيه • واما التشبيه المظهر الاداة من هذا الباب فقد اوردت له امثلة
يستدل بها على اشباهه وامثاله فان لذكر المثال فائدة لا تكون للاقتصار على ذكر الحد وحده • فمن ذلك قول
بعضهم • ملا حاجبيك الشيب حتى كانه • ظبا جرت منها سنيح وبارح • وكذلك ورد قول الاخر يصف السهام
كساها رطيب الريش فاعتدلت له • قداح كاعناق الظبا الفوارق • فانه شبه السهام باعناق الظبا وذلك من
ابعد التشبيهات وعلى نحو منه ورد قول الفرزدق • يمشون في حلق الحديد كما مشت • جرب الجمال بها الكحيل المشعل •
فشبه الرجال في دروع الزرد بالجمال الجرب وهذا من التشبيه البعيد لانه ان اراد السواد فلا مقاربة بينهما في اللون
لان لون الحديد ابيض ومن اجل ذلك سميت السيوف بالبيض • ومع كون هذا التشبيه بعيدا فانه تشبيه سخيف • ومن
التشبيهات الباردة قول ابي الطيب المتنبي • وجرى على الورق النجيع القاني • فكانه النارنج في الاغصان •
وهذا تشبيه ينكره اهل التجسيم • واذا قسمت التشبيهات من البعد والقرب جاز طرفي ذلك التقسيم • وابشع
من هذا التشبيه قول ابي نواس في الخمر • كان يواقيتا رواكد حولها • وزرق سنانير تدير عيونها • والعجب
انه يقول مثل هذا الغث الذي لا ملائمة بينه وبين ما شبه به • ويقرنه بالبديع النادر الذي احسن فيه وابدع
وهو كانا حلول بين اكناف روضة • اذا ما سلبناها مع الليل طيبها • فانظر كيف فرق بين وردة وسعدانة لا بل
بين بعرة ومرجانة • وقد اكثر في تشبيه الخمر فاحسن في موضع واساء في موضع ومن اساءته ايضا قوله في ابيات لامية

واذا ما الماء واقعها • اظهرت شكلا من العسل •
لؤلؤات ينحدرن بها • كانحدار الذر من جبل • فشبه الحبب في انحداره بنمل
صغار ينحدرن من جبل وهذا من البعد على غاية لا يحتاج الى بيان وايضاح • واعلم ان من التشبيه ضربا يسمى الطرد
والعكس وهو ان يجعل المشبه به مشبها والمشبه مشبها به وبعضهم يسميه غلبة الفروع على الاصول ولا يجد شيا
من ذلك الا والغرض به المبالغة • فمما جاء من ذلك قول ذي الرمة •
ورمل كارداف العذارى قطعته • اذا لبسته المظلمات الحنادس • الا ترى الى ذي الرمة كيف جعل الاصل فرعا
والفرع اصلا وذلك ان العادة والعرف في هذا ان تشبه اعجاز النسا بكثبان الانقا وهو مطرد في بابه فعكس
ذو الرمة القضية في ذلك فشبه كثبان الانقا باعجاز النسا وانما فعل ذلك مبالغة اي قد بين هذا الموضع وهذا المعنى

لاعجاز

لاعجاز النسا وصار كانه الاصل حتى شبهت به كثبان الانقا وعلى نحو من هذا جاء قول البحتري •
في طلعة البدر شي من محاسنها • وللقضيب نصيب من تثنيها • وكذلك ورد قول عبد الله بن المعتز في قصيدته
المشهورة التي اولها • سقى المطيرة ذات الظل والشجر • فقال في تشبيه الهلال •
ولاح ضوء قمير كاد يفضحنا • مثل القلامة قد قدت من الظفر • ولما شاع ذلك في كلام العرب واتسع وصار
كانه هو الاصل وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف الماخذ وهكذا قد ذكره ابو الفتح بن جني في كتاب الخصائص
واورده هكذا مهملا ولما نظرت انا في ذلك وانعمت النظر فيه تبين لي ما اذكره وهو انه قد تقرر في اصل الفائدة
المستنتجة من التشبيه ان تشبيه الشي بما يطلق عليه لفظة افعل اي تشبيه بما هو ابين واوضح او بما هو احسن منه
او اقبح وكذلك تشبيه الاقل بالاكثر والادنى بالاعلى وهذا الموضع لا ينقض هذه القاعدة لان الذي قدمنا ذكره
مطرد في بابه وعليه مدار الاستعمال وهذا غير مطرد وانما يحسن في عكس المعنى المتعارف وذلك ان يجعل المشبه به
مشبها والمشبه مشبها به ولا يحسن في غير ذلك ما ليس بمتعارف الا ترى ان من العادة والعرف ان تشبه الاعجاز
بالكثبان فلما عكس ذو الرمة هذه القضية في شعره جاء حسنا لائقا وكذلك فعل البحتري فان من العادة والعرف
ان تشبه الوجه الحسن بالبدر والقد الحسن بالقضيب فلما عكس البحتري القضية في ذلك جاء حسنا لائقا ولو شبه
ذو الرمة الكثبان بما هو اصغر منها غير الاعجاز لما حسن ذلك وهكذا لو شبه البحتري طلعة البدر بغير طلعة الحسناء
والقضيب بغير قدها لما حسن ذلك ايضا • وهكذا القول في تشبيه عبد الله بن المعتز صورة الهلال بالقلامة لان من
العادة ان تشبه القلامة بالهلال فلما صار ذلك مشهورا متعارفا حسن عكس القضية فيه • النوع الثالث
في التجريد وهذا اسم كنت سمعته فقال القائل التجريد في الكلام حسن ثم سكت فسالته عن حقيقته فقال كذا
سمعت ولم يزد • فامعنت ح النظر في هذا النوع من الكلام فالقي في روعي انه ينبغي ان يكون كذا وكذا وكان الذي
وقع لي صوابا ثم مضى على ذلك برهة من الزمان ووصل الي ما ذكره ابو علي الفارسي رحمه الله وقد اوردته ههنا
وذكرت ما اتيت به من ذات خاطري من زيادة لم يذكرها وستقف ايها المتامل على كلامه وكلامي • فاما حد التجريد
فانه اخلاص الخطاب لغيرك وانت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه لان اصله في وضع اللغة من قولهم جردت
السيف اذا نزعته من غمده وجردت فلانا اذا نزعت ثيابه عنه ومن ههنا قال النبي ص لا مد ولا تجريد • وذلك في النهي عند
اقامة الحد ان يمد صاحبه على الارض وان يجرد عنه ثيابه • وقد نقل هذا المعنى الى نوع من انواع علم البيان وقد
تاملته فوجدت له فائدتين احداهما ابلغ من الاخرى والاولى طلب التوسع في الكلام فانه اذا كان ظاهره خطابا
لغيرك وباطنه خطاب لنفسك فان ذلك من باب التوسع واظن انه شي اختصت به اللغة العربية دون غيرها
من اللغات • والفائدة الثانية وهي الابلغ وذلك ان يتمكن المخاطب من اجرا الاوصاف المقصودة من مدح او غيره اذ
يكون مخاطبا بها غيره ليكون اعذر وابرا من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه وعلى هذا فان التجريد ينقسم الى قسمين
احدهما تجريد محض والاخر تجريد غير محض والاول وهو المحض ان تاتي بكلام وهو خطاب لغيرك وانت تخاطب به
نفسك على ما تقدم القول فيه فيكون قد جردت الخطاب عن نفسك وجعلته لغيرك وانت تريد به نفسك وذلك
كقول بعض المتاخرين وهو الشاعر المعروف بالحيص بيص في مطلع قصيدة له فقال

الام يراك المجد في زي شاعر • وقد نحلت شوقا فروع المنابر •
كتمت بصيت الشعر علما وحكمة • ببعضهما ينقاد صعب المفاخر •

اما وابيك الخزانك فارس المقال ومحمى الدارسات الغوابر
وانك اغنيت المسامع والنهى بقولك عما فى بطون الدفاتر

فهذا من محاسن التجريد الاترى انه اجرى الخطاب على غيره وهو يريد نفسه كى يتمكن من ذكر من الصفات الفائقة وعدها عده من الفضائل الناقصة وكلما يجرى هذا المجرى فهو التجريد المحض واما ما قصد به التوسع حاصة فكقول الضبى عبد الله من شعراء الحماسة

حننت الى ريا ونفسك باعدت فزار لئ مريا وشعبا كما معا
فما حسن ان ياتى المرء طائعا ويجزع ان داعى الصبابة اسمعا

وقد ورد بعد هذين البيتين ما يدل على ان المراد بالتجريد فيهما التوسع لانه قال

واذكر ايام الحمى ثم انثنى على كبدى من خشيتك ان تصدعا
نفسى بلك الارض ما اطيب الربا وما احسن المصطاف والمتربعا

فانتقل من الخطاب التجريدى الى خطاب النفس ولو استمر على الحالة الاولى لما قضى عليه وانما كان يقضى عليه بالتجريد البليغ الذى هو الطرف الاخر وتاول له بان عرضه من خطاب غيره ان ينفى عن نفسه شمعة الهوى ومعرة العشق لما فى ذلك من الشهرة والفضاحة لكن قد زال هذا التاويل باسقاله عن التجريد ولا الى خطاب النفس وعلى هذا الاسلوب ورد قول الطيب المتنبى

لاخيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

واجرى الامير الذى نعماه فاجئة بغير قول ونعمى الناس اقوال

القوم ح

وهذان البيتان من مطلع قصيدة مدح بها فاتكا الاخشيدى بمصر وكان وصله بصلة سنية من نقد وكسوة وطيب قبل ان يمدحه بوقت بعد ذلك هذه القصيدة وهى من غرر شعره وقد بنى مطلعها على المعنى المشار اليه من استداء فانك اياه بالصلة قبل المديح وليس فى التجريد المذكور فى هذين البيتين ما يدل على وصف النفس ولا على تزكيتها بالمديح كما ورد فى الابيات الرائية المتقدم ذكرها وانما هو توسع لاغير واما القسم الثانى وهو غرض المحض فانه خطاب لنفسك لا لغيرك ولئن كان بين النفس والبدن فرق الا انهما كانهما شى واحد لعلاقة احدهما بالاخر وبين هذا القسم والذى قبله فرق ظاهر وذلك اولى بان يسمى تجريدا لان التجريد لائق به وهذا هو نصف تجريد لانه

لم يجرد به عن نفسك شيا وانما خاطبت نفسك كما فصلتها عنك وهى منك فمما حامنه قول عمرو بن الاطنابة

نفسك ح

اقول لها وقد جشات وجاشت رويدك تحمدى او ستريحى وكذلك قوله الاخر

اقول للنفس تاساء وتعزية احدى يدى اصابتنى ولم ترد

ولس فى هذا ما يصلح ان يكون خطابا لغيرك

ح المحل بعينه كم

كالاول وانما المخاطب هو نفسه ولس ثم شى جاز عنه واما الذى ذكره ابو على الفارسى فانه قال ان العرب تعتقد ان فى الانسان معنى كامنا منه كانه حقيقته ومحصوله فيجرى ذلك المعنى الى الفاظها مجرد امر الانسان كانه غيره وهو هو بعينه نحو قولهم لان لقيت فلانا لتلقين به اسدا ولس سالته لتسلن منه البحر وهو هو بعينه ح الاسد وهو البحر الا ان هناك شيا منفصلا عنه وتمتزامنه ثم قال وعلى هذا النمط كون الانسان يخاطب نفسه حتى كانه

يقال وعمر كما قال الاعشى وهل يطيق وداعا ايها الرجل وهو الرجل نفسه لا غيره هذا خلاصة ما ذكره ابو على الفارسى رحمه الله والذى عندى فيه انه اصاب فى الثانى ولم يصب فى الاول لان الثانى هو التجريد الاترى ان الاعشى جرد الخطاب عن نفسه وهو يريدها واما الاول وهو قوله لئن لقيت فلانا لتلقين الاسد ولئن سالته لتسلن منه البحر فان هذا تشبيه مضمر الاداة يحسن تقدير اداة التشبيه فيه وذلك انك تقول لئن لقيت فلانا لتلقين منه كالاسد وهو كالبحر

ولس

9 واذا لم تقدر اداة التشبيه فى واتين الصورتين والا استحال معنى الكلام فان قول القائل لئن لقيته لتلقين منه الاسد ولئن سئلته لتسلن منه البحر لا يفيد معنى مقدرا اداة التشبيه كما استحال المعنى فانا لا نتيقن منه الاسد الذى هو هذا الحيوان المعروف ولا البحر الذى هو هذا الماء العظيم وانما يفيد منه فى الشجاعة كالاسد وفى الجود كالبحر وكيف يطلب على مثل هذا الوجه ه

ولس تم شى مجرد عنه كما تقدم فى الاسات الشعرية 9 وينطل على الى على قوله انه مر وجه اخر وذلك انه اذا قال ان العرب تعتقد ان فى الانسان معنى كامنا كانه حقيقته ومحصوله فمجرجه الى الفاظها مجرد امر الانسان كانه غيره وهو هو كالمثال الذى مثل به يشبهه بالاسد ويشبهه بالبحر وهذا متقض بقولنا لئر رايتنا لاسد لترتمين هضبة ولئن لقيته لتلقين منه الموت فان الصورة التى اوردها فى الانسان وزعم ان العرب تعتقد ان ذلك معنى كامن فيه وقد اوردنا مثل هذا فى الاسد فتخصصه ذلك بالانسان باطل وكلا الصورتين تجريد وانما هو تشبيه مضمر الاداة وقد سبق القول بان التجريد هو ان يطلق الخطاب على غيرك ولا يكون هو المراد وانما المراد نفسك وهذا لا يوجد فى التشبيه المضمر الاداة بل المخاطب هو هو لا غيره فلا يطلق عليه اذن اسم التجريد لانه خارج عن حقيقته ومنافٍ لموضوعه فاذا قال القائل لئر لقيته لتلقين به كالاسد ولئر سالته لتسلن منه كالبحر لم يجرد عن المنقول عنه شيا وانما شبهه بالاسد فى شجاعته وبالبحر فى سخائه وما اعلم كيف ذهب مثل هذا على مثل ابى على رحمه الله حتى خلطه بالتجريد واجراه مجراه 9 واما قوله ان العرب تعتقد فى الانسان معنى كامنا فيه كانه حقيقته ومحصوله فاقول وغير العرب ايضا تعتقد ذلك فان عنى بالمعنى الكامن معنى للانسان الذى استعداد للعلوم والصانع فما هذا من الشى الغريب الخفى الذى علمته العرب خاصة وانفردت باستخراجه ابو على وان عنى بالمعنى الكامن ما فيه من الاخلاق كالشجاعة والسخا فى المثال الذى ذكره حتى شبه بالاسد تارة وبالبحر اخرى فليس الانسان مختصا بهذا المعنى الكامن دون غيره من الحيوانات بل فى الاسد من معنى الشجاعة ما ليس فى الانسان ولهذا اذا بولغ فى وصف الانسان شبه بالاسد وكذلك فى بعض الحيوانات من السخاء ما ليس فى الانسان وفى الامثال اكرم من ديك لانه اذا اطعم لحبته لم يحفظ اخذها فى منقاره وطاف بها على الدجاج حتى يضعها فى منقار واحدة منهن فالاخلاق دون مشتركة بين الانسان وغيره من الحيوانات عند ان الانسان يخصه فيه ما يفرق فى كثير منها وما اعلم ما اراد ابو على بقوله ان فى الانسان معنى كامنا هو حقيقته ومحصوله الا ان يكون احدهما من القسم الذى ذكرناه والاخر من القسم الواحد الذى هو خلق الشجاعة والسخا وغيره من الاخلاق ولس عبارة عن حقيقة الانسان اذ لا يقال فى حد حيوان شجاع ولا سخى بل يقال حيوان ناطق فالناطق الذى هو استعداد للعلوم والصنايع هو حقيقة الانسان فبطل اذن قول ابى على رحمه الله ان تمثيلها حقيقة الانسان بالسجاعة والسخا فالخطا يوجه فى كلامه مرة وجهين احدهما انه جعل حقيقة الانسان عبارة عن خلقه والاخر انه ادخل فى التجريد ما ليس منه وهذا القدر كاف فى هذا الموضع فلنشامل النوع الرابع فى الالتفات وهذا النوع وما يليه خلاصة علم البيان التى حولها ما ندندن والبها تسند البلاغة وعنها تعنعن وحقيقته ما خوذ من الالتفات الانسان عن يمنه وشماله وهو تقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا وكذلك يكون هذا النوع من الكلام كذا خاصة لانه ينقل فيه عن صيغة الى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر الى غايب ومن خطاب غايب الى حاضر او من فعل ماض الى فعل مستقبل او من مستقبل الى ماض او غير ذلك مما ياتى ذكره مفصلا وسمى الالتفات فى العربية وانما سمى بذلك لان الشجاعة هى الاقدام وروداءة ان الرجل السجاع تركب ما لا يستطيعه غيره وتتورد ما لا تتورده سواه وكذلك هو الالتفات فى الكلام فان اللغة العربية تخصه دون غيرها من اللغات وهى تنقسم الى ثلثة اقسام القسم الاول فى الرجوع عن الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة اعلم ان عامة المتقدمين الى هذا الفن اذا استواء الانتقال عن الغيبة الى الخطاب او عن الخطاب الى الغيبة والوا كذلك عادة العرب فى اساليب كلامها

وهذا القول هو عكاز العميان كما تقال ونحن انما نسأل عن السبب الذي قصدت العرب ذلك من اجله وقال الزمخشري رحمه

ان الرجوع من الغيبة الى الخطاب انما استعمل للتفنن في الكلام والانتقال من اسلوب الى اسلوب تطرية لنشاط السامع

وايقاظا للاصغاء اليه فان ذلك دليل على ان السامع يمل من اسلوب واحد فينتقل الى غيره ليجد نشاطا للاستماع

وهذا قدح في الكلام لا وصف له لانه لو كان حسنا لما مل ثم قال وعلى هذا ذهب اليه لكان انما يوجد ذلك

في الكلام المطول وبحسبه ولا مر بخلاف ذلك لانه قد ورد الانتقال من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة في مواضع

كثيرة من القرآن الكريم وكلها مجموع الجانبين معا لا يبلغ عشر الفاظ او اقل من ذلك ومعهوم ان الزمخشري لم يقل من

اسلوب الى اسلوب انما استعمل قصدا للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل اليه لا قصدا لاستعمال الاحسن وعلى

هذا فاذا وجدنا كلاما قد استعمل فيه جميعه الايجاز ولم ينتقل عنه او استعمل فيه جميعه الاطناب ولم ينتقل عنه

وكان كلا الطرفين واقعا في موقعه قلنا هذا لحسن ذلك من اسلوب الى اسلوب وهذا قول قد ما فيه وما

اعلم كيف ذهب على مثل الزمخشري مع معرفته بقدر الفصاحة والبلاغة والذي عندي ان الانتقال من الخطاب الى الغيبة

او من الغيبة الى الخطاب لا يكون الا لفائدة اقتضته وذلك الفائدة امر وراء الانتقال من اسلوب الى اسلوب غيرها فانا قد رأينا الانتقال من الغيبة الى الخطاب قد استعمل

بحد ولا ضبط بضابط لكن نشير الى مواضع منها ليقاس عليها غيرها فانا قد رأينا الانتقال من الغيبة الى الخطاب قد استعمل

لتعظيم شان المخاطب ثم رأينا ذلك بعينه قد استعمل في الانتقال من الخطاب الى الغيبة وهو ضد الاول فعلمنا ان

ان الغرض الموجب للاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة وانما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود وذلك

المعنى يشتبه كثيرا لا يحصر وانما يوقف به على حسب المورد الذي يرد فيه وسأوضح ذلك في ضربا لامثلة التي ذكرها فاما

الرجوع من الغيبة الى الخطاب فكقوله تعالى في سورة الفاتحة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد

واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم هذا رجوع من الغيبة الى الخطاب

ومما يختص به من الفوائد قوله اياك نعبد واياك نستعين بعد قوله الحمد لله رب العالمين فانه انما عدل فيه من الغيبة الى الخطاب

لان الحمد دون العبادة الا ترى انك تحمد نظيرك ولا تعبده فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في

الخبر فقال الحمد لله رب العالمين ولم يقل الحمد لك والما صار الى العبادة التي هي اقصى الطاعات قال اياك نعبد مخاطبا بالعبادة

اصرائحا وتقربا منه عز اسمه بالانتهاء الى محدوده منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال صراط الذين انعمت عليهم فاصرح

بالخطاب لما ذكر النعمة ثم قال غير المغضوب عليهم ولم يقل الذين غضبت عليهم عطفا على الاول لان الاول موضع التقرب لله

بذكر النعمة فلما صار الى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفا عند ذكر الغاضب فاسند النعمة اليه لفظا وروي عنه الغضب تحسينا

ولطفا فانظر الى هذا الموضع وناسب هذه المعاني الشريفة التي الاقدام بكاكا تطاوها والافهام مع قربها صافحة

عنها وهذه السورة قد استقل آخرها من الخطاب الى الغيبة لتلك العلة بعينها وهي تعظيم شان المخاطب لان مخاطبه

الرب تبارك وتعالى سناء النعمة الله تعظيم لخطابه فسبحان من يكون صاحب هذا القدر من الفصاحة والبلاغة في الموضع

الواحد فيما شاء من خلقه

وهو خطاب لمحاضر بعد قوله وقالوا وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة وهي زيادة التجهيل عليهم بالحراة على الشناعة

لسخطه وتبيينه لهم على عظم ما قالوه ومما جاء فيه من الالتفات مرارا على قصر سورة وتقارب طرفيه قوله تعالى في اول

سورة بني اسرائيل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو

السميع البصير فقال ولم يقل سبحاني الذي اسرى بلفظ الواحد مع قال الذي باركنا بلفظ الجمع مع قال انه هو السميع البصير

وهو

وليس الامر كما ذكره من ان الانتقال في الكلام من اسلوب الى اسلوب اذا لم يكن لفائدة تقتضيه لشت ذلك مع ما فيه من تنفير السامع للاصغاء اليه ص

ومن الغيبة الى الخطاب لتعظيم شان المخاطب ثم انتقل من الخطاب الى الغيبة لتعظيم شان المخاطب ايضا صح

وكذلك تركه مخاطبته باسناد الغضب اليه لتعظيم مخاطبه ص

كانه يخاطب قوما حاضرين بما جرى عليهم وعلى آبائهم ص

وهو خطاب غائب ولو جاء الكلام على السياق الاول لكان سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد

الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وهذا جمع بكور معطوفا على اسرى فلما حول

ضمير المعطوف والمعطوف عليه في الاستقبال صيغة الى صيغة كان ذلك التفاتا ونقلنا من اسلوب الكلام

والمقصد آخر معنوي هو اعلى وابلغ وسأذكرها مشروحة في فنه فانقول لما ابداء الكلام بسبحان روعة تقوله

اسرى اذ لا يحوز ان يقال الذي اسرينا فلما جاء بلفظ الواحد ولابد اعظم العظماء وهو الذي يحطاب للعظيم

نفسه الذي هو لفظ الجمع استدرك الاول بالثاني فقال باركنا حوله فانه هو عطفا على اسرى وذلك موضع

متوسط الصفة لان السمع والبصر صفتان تشاركه فيهما غيره وبذلك حال متوسطة فخرج بهما خطاب العظيم

في نفسه الى خطاب غائب فانظر الى هذه الالفاظ المترادفة وهذه الالية الواحدة لمعان احصنت لها العرب

من يعرفها ويجهلها من يجهلها ومما نخرط في هذا السلك الرجوع من الغيبة الى خطاب النفس كقوله تعالى ثم

استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات

في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم وهذا رجوع من

الغيبة الى الخطاب للنفس فانه قال وزينا بعد قوله ثم استوى وقوله فقضاهن واوحى والفائدة في ذلك ان

ان طائفة من الناس غلت المتشرعين يعتقدون ان النجوم لبست في سماء الدنيا وانها ليست حفظا ولا رجوما

فلما صار الكلام الى ههنا عدل به عن خطاب الغائب الى خطاب النفس لانه مهم من مهمات الاعتقاد وفيه تكذيب للفرقة

المكذبة المعتقدة بطلانه وفي خلاف هذا الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الغيبة ومما نخرط في هذا السلك

انه الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الجماعة كقوله تعالى ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون وانما صرف

الكلام عن لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة لانه ابرز الكلام في معرض النصيحة لنفسه وهو يريد منا صحتهم لتسلط بهم وبدارهم

لان ذلك ادخل في المحاض النصح حيث لا يريدهم الا ما يريد لنفسه وقد وضع مكان قوله تعالى ومالي لا اعبد الذي

فطرني مكان قوله ومالكم لا تعبدون الذي فطركم الا ترى الى قوله واليه ترجعون ولو لا انه قصد ذلك لقال

الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال اني آمنت بربكم فاسمعون فانظر الها

المتأمل الى هذه النكت الدقيقة التي تزل عنها اذهان القارئ الكريم وانت بطرائق فهمت فحواها واستنبطت

رموزها وعلى هذا الاسلوب يجري الحكم في الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد كقوله تعالى وما لي

لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون والكلام

ثم قال في الآية من آياتنا فجاء بذلك على الشائع في تخاطبهم

وهو يفرق كل واحد منهم اذا خاطب عبده اذا كان مسلما ص

القرآن ج

يقاس عليها

اذا العدس لاقت بى اباد كلف فقد • تقطع ما بينى وبين النوائب •
هنالك تلقى الجود فى حيث قطعت • تمائمه والمحد مرخى الذوائب •

الا ترى انه قال فى الاول تصرف مسراها محاطة للغائب ثم قال بعد ذلك اذا العيس لاقت بى اباد طف مخاطبا نفسه وفى هذا من الفائدة انه لما صار الى مشافهة الممدوح والتصريح باسمه خاطب عند ذلك نفسه مبشرا لها بالبعد عن المكروه والفوز من المحبوب ثم ها بالبيت الذى بلغه معدولا به عن خطاب نفسه الى خطاب غيره وهو ابلغ خطاب لحاضر فقال هنالك تلقى الجود والفائدة بذلك انه يخبر غيره بما شاهده كانه يصف له جود الممدوح تلك الصفة البليغة وهى قوله فى حيث قطعت تمائمه ما يقضى هذا الرجوع الى خطاب الحاضر والمراد بذلك ان محل الممدوح هو مألف الجود ومنشاوه ووطنه • وقد يراد به معنى اخر وهو ان هذا الجود قد امن على الافات العارضة لغيره من المن والمطل والاعتذار وغير ذلك اذ التمائم لا تقطع الا عمن امنت عليه المخاوف وعلى هذا النهج ورد قول المنبى فى قصيد ة مدح به ابا العشائر فى النوروز ومعادة الفرس فى ذلك اليوم حمل الهدايا الى ملوكهم فقال فى اخر القصيدة

كثر الفكر كيف تهدى كما اهدت • الى ربها الملوك عباده •
والذى عندنا من المال والخيل • فمنه هباته وقياده •
فبعثنا ما ربعن مهارة • كل مهر ميدانه انشاده •
عدد اعشته رى الجسم فيه • اربا لابراه فما يزاده •
فارتطها فان قلبا نماها • مربط تسبق الجياد جياده •

وهذا من احسان ابى الطيب المعروف وهو رجوعه عن خطاب الغائب الى الحاضر • واحسن ابو الطيب عن تخصيص اياته بالاربعين دون غيرها من العدد بحمه غريبه وهى انه جعلها كعدد السنين التى يرى الانسان فيها من القوه والشباب وفضا الاوطار وما لا يراه فى الزيادة عليها فاعتذر بالطف اعتذار انه لم يرد القصد على هذ العدد وهذا حسن غريب • واما الرجوع من الخطاب الى الغيبه فكقوله ثم هو الذى نسركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبه وفرحوا بها جائتها ريح عاصف وجائهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فانه انما صرف الكلام ههنا من الخطاب الى الغيبه لفائده وهى انه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها لا لمخبرهم ويستدعى منهم الانكار عليهم ولو قال حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بكم بريح طيبه وفرحتم بها وساق الخطاب معهم الى اخر الاية لذهبت تلك الفائده التى تجتلبها خطاب الغيبه ولمن ذلك بخاف على نقدة الكلام • ومما يخرط فى هذا السلك قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحده وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون فالاصل فى وتقطعوا وقطعتم عطفا على الاول لانه صرف الكلام من الخطاب الى الغيبه على طريقة الالتفات كانه يعنى عليهم ما افسدوه الى قوم اخرين وتقبح عندهم ما فعلوه ويقول الا ترون الى عظم ما ارتكبوه حيث جعلوا امرهم بينهم قطعا وذلك تمثيل لاحلافهم فيه وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بان هؤلاء الفرق المختلفه الى الله يرجعون فهو مجازيهم على ما فعلوا • ومما جرى هذا المجرى قوله تعالى يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يومن بالله وكلماته فاتبعوه لعلكم تهتدون فانه انما قال فامنوا بالله ورسوله ولم يقل فامنوا بالله والى عطفا على قوله انى رسول الله اليكم لكى يجرى على الصفات التى اجريت عليه ولتعلم ان الذى وجب الايمان به والاتباع له هو هذا الشخص الموصوف

فانه

بانه النبى الامى الذى يومن بالله وكلماته كائنا ما كان انا وغيرى اظهار التنصفه وبعدا من التعصب لنفسه فقرر اولا فى صدر الاية انى رسول الله الى الناس ثم اخرج كلامه من الخطاب الى معرض الغيبه لغرضين الاول منهما اجراء تلك الصفات عليه • والثانى الخروج من تهمه التعصب لنفسه • القسم الثانى الرجوع من الفعل المستقبل الى فعل الامر وعن الفعل الماضى الى فعل الامر وهذا القسم كالذى قبله انه لم يستقل فيه من صيغه الى صيغه طلبا للتوسع فى اساليب الكلام فقط بل الامر وراء ذلك وانما تقصد اليه تعظيما لحال المامور اجرى عليه الفعل المستقبل وتفخيما لامره وبالضد من ذلك فمن اجرى عليه فعل الامر • فمما جاء منه قوله تعالى هود ما حتنا بينه وما نحن بتاركى الهتنا عن قولك وما نحن لك بمومنين نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال انى اشهد الله واشهدوا انى برى مما تشركون من دونه فانه انما قال اشهد الله واشهدوا ولم يقل واشهدكم ليكون موازيا له ومعناه لان اشهاكم لله على البراءه من الشرك صحيح ثابت واما اشهادهم فما هو الا تهاون بهم ودلاله على قلة المبالاه بامرهم ولذلك عدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وحمى به على لفظ الامر كما تقول الرجل المرتشى الشرى منه وبعنى اشهد انى احبك بهكابه واستهانه بحاله وكذلك يرجع الفعل الماضى الى فعل الامر الا انه ليس كالاول بل انما يفعل ذلك بوكدا لما اجرى عليه فعل الامر لكمال العنايه بتحقيقه كقوله تعالى قل امر ربى بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين الا انه كان تقدير الكلام امر ربى بالقسط واقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك الى فعل الامر للعنايه بتوكيده فى نفوسهم فان الصلوه مراد كد فرايض الله على عباده مما شعها بالاخلاص الذى هو عمل القلب اذ عمل الجوارح لا يصح الا بالاخلاص ولهذا قال انما الاعمال بالنيات • واعلم ايها المترشح لمعرفه علم البيان ان العدول عن صيغه من الالفاظ الى صيغه اخرى لا يكون الا لنوع خصوصيه اقتضت ذلك وهذا لا يتوخاه فى كلامه الا العارف برموز الفصاحه والبلاغه الذى اطلع على اسرارهما وفتش عن دقائقهما وللحذاق كل الكلام فانه من اشكل ضروب علم البيان واد قها فهما واعصبها طريقا • القسم الثالث الاخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل وعن المستقبل بالماضى • واعلم ان الفعل المستقبل اذا اتى به فى حاله الاخبار عن وجود الفعل كان ذلك ابلغ من الاخبار بالفعل الماضى وذلك لان الفعل المستقبل يوضح الحال التى يقع فيها ويستحضر تلك الصوره حتى كان السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى وربما ادخل فى هذا الموضع ما ليس منه جهلا بالمكانه فانه ليس كل فعل مستقبل يعطف على ماض بجار هذا المجرى وسايرا ذلك فاقول عطف المستقبل على الماضى ينقسم الى ضربين احدهما ما لا يغنى وهو الاخبار عن ماض بمستقبل وهو الذى انا بصدد ذكره فى كلامى هذا الذى هو موضوع • لفصل ضروب الفصاحه والبلاغه والاخر غير بلاغى وليس اخبارا بمستقبل عن ماض وانما هو مستقبل دل على معنى مستقبل عن ماض ويراد به ان ذلك الفعل مستمر الوجود لم ينقض فالضرب الاول كقوله تعالى الله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور فانه انما قال فتثير سحابا مستقبلا وما قبله وما بعده ماض لان المعنى الذى اشرنا اليه وهو حكاية الحال التى يقع فيها اثارة السحاب واستحضار تلك الصورة البديعه الدالله على القدرة الباهره وهكذا نفعل بكل فعل فيه نوع غميره وخصوصيه لحاله يستغرب او نهتم المخاطب او غير ذلك وعلى هذا الاسلوب ما ورد من حديث الزهرى العوام رضى فى غزوه بدر فانه قال لقيت عبيده بن سعيد بن العاص وهو على فرس وعليه لامة كاملة لا يرى منه الا عيناه وهو يقول انا ابو ذات الكرش وهى بدى عنزة فطعن بها عينه فوقع واطاء برجلى فاخذه حتى حزت لعنزة متعققة • وقوله فالطعن

ع قصده وفى نسخة غير الصحيح ٢ وما لا فاة منه اى ما يكره ويتوقى بامره

يبيش ٢

لعل

لعل

٦ فالاول الاخبار بالفعل المستقبل عن الماضى

الريح ٢

والبروز لشاهد والملك الاهوال كانة قال وحشرناهم قبل ذلك ومما يجرى هذا المجرى الاخبار باسم المفعول
عن الفعل المستقبل وانما نفعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضى وقد سبق الكلام عليه ومن ذلك قوله تعالى فى ذلك
لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فانه انما اثر اسم المفعول الذى هو مجموع
على الفعل المستقبل الذى هو يجمع لما قدمنا الدلالة على اثبات معنى الجمع لليوم وانه الموصوف بهذه الصفة
وان شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع فانك تعثر على صحة ما قلت

النوع الخامس فى توكيد الضمير

ولربما قيل فى هذا الموضع ان الضمير مذكور فى كتب النحو فاى حاجة الى ذكرها هيهنا ولم يعلم ان
النحاة لا يذكرون ما ذكرناه لان هذا مختص بفصاحة وبلاغة واولئك لا يعرضون اليه وانما يذكرون عدد الضمائر
وان المنفصل منها كذا والمتصل كذا ولا يتجاوزون ذلك واما انا فانى اوردت فى هذا النوع امرا خارجا عن
الامر النحوى واعنى بقولى توكيد الضمير ان توكيد المتصل يا المنفصل كقوله انك انت او توكيد المنفصل بمنفصل
مثله كقوله انت انت او توكيد المتصل بمتصل كقولك انك لعالم وانك لمك لجواد وانما نوتى بمثل هذه
الاقوال فى معرض المبالغة وهو من اسرار علم البيان وليتقدم فى ذلك قولا يحصره ويجمع اطرافه فنقول اذا كان
المعنى المقصود معلوما ثابتا فى النفوس فانت بالخيار فى توكيد احد الضميرين فيه بالاخر واذا كان غير معلوم وهو
مما يشك فيه فالاولى ان توكيد احد الضميرين بالاخر يدل عليه لتقرره وتثبته فمما جاء من ذلك قوله تعالى
قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين فان ارادة السحرة للالقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده لانهم
لم يصرحوا بما فى نفوسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم موسى بمثله الى توكيد ما هو لهم بالضمير الذى هو
نون وعلم انهم يريدون التقدم عليه والا لقالوا بل ان مرتبتان متقابلتان لان مرتبة خطابهم موسى بمثل ان كانوا قالوا اما ان
تلقى واما ان نلقى لتكون الجملتان متقابلتين حيث قالوا انفسهم واما ان نكون نحن الملقين استدل لهذا
القول على رغبتهم فى الالقاء قبله واما توكيد المتصل بالمتصل كقوله تعالى فى سورة الكهف فانطلقا حتى اذا لقيا
غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا
وهذا بخلاف قصة الخضر فانه قال فيها الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا والفرق بينهما انه اكد الضمير فى الثانية
دون الاولى فعدل فى الاولى الى الم اقل لك وقال فى الثانية الم اقل لك وانما جىء بذلك للزيادة فى مكافحة
العتاب على رفض الوصية مرة على مرة والوسم بعدم الصبر كالوانى الانسان ماهيته عنه فلمته وعنفته مرارا فى مرة
ثانية الم اقل لك يريد فى لومه وتعنيفه وكذلك فعل ههنا فانه قال اولا الم اقل لكم وقال ثانيا الم اقل لك وهذا
موضع يدق عن العثور عليه بادرة النظر الم يعط التامل فيه حقه واما توكيد المتصل بالمنفصل فنحو قوله تعالى
فاوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى فتوكيد الضمير ههنا فى قوله انك انت الاعلى
نفى خوف وقع فى قلب موسى واثبت فى نفسه الغلبة والقهر ولو قال لا تخف انك الاعلى لم يكن له من
التقرير والاثبات لنفى الخوف ما لقوله انك انت الاعلى ومن هذه الكلمات الملك وهى قوله انك انت الاعلى ست
فوائد الاولى ان المشدد اذا الى مرشحا من اثبات لما يأتى بعدها كقولك زيد قائم ان زيدا قائم ففى قولك ان
زيدا قائم من الاثبات لقيام زيد ما ليس فى قولك زيد قائم فتكرير الضمير فى قوله انك انت ولو اقتصر على احد الضمير
لما كان لهذه المكانة من التقرير لغلبة موسى والاثبات لقهره الثالثة لام التعريف فى قوله الاعلى ولم يقل اعلى
ولا عال لانه لو قال ذلك لكان قد ذكر وكان صالحا لكل واحد من جنسه كقولك رجل فانه يصلح ان يقع على كل واحد

والبروز

اولا الى الخمسة ... ثانية ... ثالثة ... رابعة ... خامسة

منها فى عينه واطا برجل معد ولأبه عن لفظ الماضى الى المستقبل ليمثل للسامع الصورة التى فعل فيها ما فعل من
الاقدام والجراة على قتل ذلك الفارس المستلئم الا ترى انه قال لقتت عبيده بلفظ الماضى ثم قال بعد ذلك فاطعن
بها فى عينه ولو عطف كلامه على اوله لقال فاطعنت بها فى عينه وعلى هذا ورد قوله تعالى

يا بنى قد لقتنا الغول تهوى ... بشهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرت ... صريعا لليدين وللجران

فانه قصد ان يصور لقومه الحال التى يشجع فيها على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها مشاهدة للتعجب من جراته على ذلك
الهول ولو قال فضربتها عطفا على الاول لزالت هذه الفائدة المذكورة فان قيل ان الفعل الماضى يحيل منه ايضا
السامع ما تحيل من المستقبل فالجواب ان التخيل يقع فى الفعلين معا لكنه فى احدهما وهو المستقبل اوكد
واشد تخيلا لانه صورة الفعل حتى كان السامع ينظر الى فاعلها فى حال وجوب الفعل منه الا ترى انه لما قال اباطشا
فاضربها تخيل للسامع انه مباشر الفعل وانه قائم باشر الغول وقد رفع سيفه ليضربها وهنا لا يوجد فى الفعل الماضى
لانه لا يحيل للسامع منه الا فعلا قد مضى من غير احضار للصورة فى حاله سماع الكلام الدال عليه وهنا لا خلاف فيه
وهكذا يجرى الحكم فى جميع الايات المذكورة وفى الا ثر المنقول عن النبى ص وفى الابيات الشعرية وعليه ورد قوله تعالى
ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا
قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح فى مكان سحيق
فقال اولا خر من السماء بلفظ الماضى ثم عطف عليه المستقبل الذى هو تخطفه الطير او تهوى به الريح وانما عدل فى ذلك الى
المستقبل لاستحضار صورة خطف الطير اياه وهوى الريح به والفائدة فى ذلك هى اثبات البعد فيما تقدم وكثيرا
ما يراعى مثل هذا فى القرآن الكريم واما الضرب الثانى فهو مستقبل دل على معنى فقوله تعالى ان الذين كفروا
ويصدون عن سبيل الله فانه عطفا المستقبل على الماضى لان كفرهم كان ووجد ولم يستحدثوا بعده كفرا ثانيا وصدهم
متجدد على الايام لم يمض كونه وانما هو مستمر مستانف فى كل حين وكذلك ورد قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما
ماء فتصبح الارض مخضرة ان لطيف خبير الا ترى كيف عدل عن لفظ الماضى هيهنا الى المستقبل فقال فتصبح الارض
مخضرة ولم يقل فاصبحت مخضرة على انزل وذلك لافادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان فانزال الماضى وجوده واخضرار
الارض باق لم يمض وهذا كما تقول انعم على فلان فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت شاكرا لله لم
يقع ذلك الموقع لانه يدل على ماض قد كان وانقضى وهذا موضع حسن يستغنى ان تتامل واما الاخبار بالفعل
الماضى عن المستقبل فهو عكس ما تقدم ذكره وفائدته ان الفعل الماضى اذا اخبر به عن الفعل المستقبل الذى لم يوجد
بعد كان ذلك ابلغ واكد فى تحقق الفعل وايجاده لان الفعل الماضى يعطى من المعنى انه قد كان ووجد وانما نفعل
ذلك اذا كان الفعل من الاشيا العظيمة التى يستعظم وجودها والفرق بينه وبين الاخبار بالفعل المستقبل عن الماضى
ان الغرض بذلك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته لكون السامع كانه يشاهدها والغرض ههنا هو الدلالة
على تحقق الفعل الذى لم يوجد بعد ومن امثلة الاخبار بالفعل الماضى عن المستقبل قوله تعالى ونفخ فى الصور ففزع من فى
السموات ومن فى الارض فانه قال ففزع بلفظ الماضى بعد قوله ينفخ وهو مستقبل للاشعار بتحقق الفزع وانه كائن
لا محالة لان الفعل يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به وكذلك قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم
فلم نغادر منهم احدا وانما قال وحشرناهم ماضيا بعد تسيروترى وهما مستقبلان للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير

والبروز

يسيروا فى الارض فانظروا كيف بداء الخلق ثم الله ينشئ النشاءة الاخرة الا ترى كيف صرح باسمه تعرفى قوله تعر
ثم الله ينشئ النشاءة الاخرة مع اتفاقه مبتدا فى قوله كيف بداء الخلق ● وقد كان القياس ان يقول كيف بداء الخلق
ثم ينشئ النشاءة الاخرة والفائدة فى ذلك انه لما كانت الاعادة عندهم من الامور العظيمة وكان الكلام واقعا معهم
فى الابتداء وقررهم ان ذلك مما لله احتج عليهم بان الاعادة مثل الابداء فاذا كان لله لا يعجزه شئ هو الذى لا يعجزه
الابداء فوجب ان لا تعجزه الاعادة فالله لا له والتنبيه على عظم الامر الذى هو الاعادة ايرازه باسمه تعروا وقعه مبتداء
ثانيا وعلى هذا ورد قوله تعر ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين
ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين الا ترى انه
قال اولا ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وذكر مضمرا قدم الكلام فيه ثم عطف المظهر الذى هو لله وهو قوله ثم انزل الله
سكينته على رسوله وعلى المومنين وكان العطف لو اضمر كما اضمر الاول لصار ثم انزل الله سكينته عليكم وانزل جنودا
لم تروها وفائدة الاظهار ههنا للمعطوف بعد اضماره اولا التنويه بذكر رسول الله ﷺ وذكر المومنين والا لان الامر
عظيم وهو الانتصار بعد الفرار فاتى الامر قد كان الاظهار المعطوف مناسبا وهذا يكون عطف المظهر على
ضمير قد استند الى فائدة يتم ذكرها فان لم يذكر هنا لك مثل هذه الفائدة والا لجاز الاظهار بعد الاضمار وكذلك
جاء قوله تعر واذ اتلى عليهم اياتنا قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم وقالوا ما هذا الا افك
مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين فانه قال وقال الذين كفروا ولم يقل وقالوا كالذى
قبله لله لا له على صدور ذلك عن انكار عظيم وعضت شديد وتعجب من كفرهم بليغ لا سيما وقد اضاف اليه قوله
وقالوا للحق لما جاءهم وما فيه من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى ذلك من المبادهة كانه قال وقالوا ولذلك
الكفر المتمردون بجرأتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق المبين قبل ان تدبروه ان هذا الا سحر مبين وعلى نحو ذلك
ورد قوله قرص والمراد به الذين كفروا فى غرور وشقاقكم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين
مناص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب وكان القياس ان يقال وقالوا هذا ساحر
كذاب عطفا على عجبوا وانما اتى باسم الكافرون مظهرا بعد اضماره للاشعار بعظم ما اجترءوا عليه من القول فى
امر النبى ﷺ اولان القول كان عندهم وارسخ فى نفوسهم فصرح باسم قائليه ودلاله على ما كان فى انفسهم منه **النوع**
السابع فى المفسر بعد الابهام اعلم ان هذا النوع لا يعدل الى استعماله الا لضرب من المبالغة فاذا جئ
به فى كلام فانما تفعل ذلك لتعظم امر المبهم واعظامه لانه هو الذى يطرق السمع اولا فيذهب بالسامع كل مذهب
كقوله تعر ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين مقطوع مصححين ففسر ذلك الامر بقوله وان جاهداك
وفى ابهامه اولا وتفسيره بعد ذلك تفخيم للامر وتعظيم لشانه فانه لو قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا
استطرح له الكلام لهذه المكانة من الفخامة فان الابهام اولا يوقع السامع فى حيرة وتفكر واستعظام لما يقرع
سمعه وتشوق الى معرفته وكذلك اطلاع على كنهه وعلى نحو من هذا جاء قوله تعر وما انبئك سوادك يا موسى ولقد
منا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم ففسر ما يوحى الله به
بقوله ان اقذفيه فى التابوت وهذا كالاول فى ابهامه اولا وتفسيره ثانيا ومثل ذلك ورد قوله تعر فى سورة ام الكتاب
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فانه انما قال ذلك ولم يقل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم لما
فى الاول من الابهام والاشعار بان الصراط المستقيم هو صراط المومنين فدل عليه بالغ وجه كما تقول اهدا ذلك على الكرم

صدره
آنث ومثل الابداع كم

مر الرجال فاذا قلت الرجل فقد خصصته مرة بالتعريف وجعلته علما فيهم وكذلك جاء قوله انك انت الاعلى
دون غيرك ● الرابعة لفظه افعل الذى مرسانه التفضيل ولم يقل العالى ● الخامسة اثبات العلو لله لا العلو
لان التعريض مر قوله انك انت الاعلى اى الاغلب لا انك الاعلى زيادة وهى الغلبة مر عال ● السادسة لا سناف وهو قوله
لا تخف انك انت الاعلى ولم يقل لا تخف انك انت الاعلى لانه لم يجعل علة انتفاء الخوف عنه لكونه عاليا وانما نفى الخوف عنه اولا
بقوله لا تخف ثم استانف الكلام فقال انك انت الاعلى وكان ذلك ابلغ فى ايقان موسى عليه السلام بالغلبة واشعارا بان ذلك
فى نفسه ● وربما وقع لبعضهم الاعتراض على ما ذكرته فى توكيد الضمير بالاخر وقول لو كان توكيدهما ابلغ مر لا قتصارا
على احدهما لورد ذلك عنده كر لسائر نفسه حتى هو اولى مما هو ابلغ واوكد مر القول وقد رأينا فى القرآن مواضع تخص
بذكر لله تعر وقد ورد فيها احد الضميرين دون الاخر كقوله عز اسمه قل اللهم مالك الملك تولى الملك مر تشاء وتنزع الملك
مر تشاء وتعز مر تشاء وتذل مر تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير ● ولم يقل انك انت على كل شئ قدير فما الموجب لذلك
ان كان توكيد احد الضميرين بالاخر ابلغ مر الاقتصار على احدهما الجواب عن ذلك انا نقول قد قدمنا القول
فى اول هذا النوع اذا كان المعنى المقصود معلوما ثابتا فصاحب الكلام مخير فى توكيد احد الضميرين بالاخر فان
اكد فقد اتى بفصاحتين وان لم يوكد فلان ذلك المعنى ثابت لا يفتقر فى تقريره الى زيادة باكيد كهذه الالة المشار
اليها وهى قوله قل اللهم فان العلم بان الله على كل شئ قدير لا يفتقر الى باكيد يقرره ● وقد ورد ما يجرى مجرى هذا الكلام
موكدا كقوله تعر اذ قال الله يا عيسى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين مر دون الله قال سبحانك ما يكون لى ان
اقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب فوكد
فى هذه الاية ولم يوكد فى الاية الاخرى وقد عرفك الطريق فى ذلك ● واما اذا كان المعنى المقصود غير معلوم وهو
مما يشك فيه فالاولى ان يوكد الضمير فى الدلالة عليه كقوله تعر ولنا لا تخف انك انت الاعلى فان موسى لم يكن
متيقنا انه غالب للسحرة فلذلك وكد خطابه بالضمير ليكون ابلغ فى تقرير ذلك فى نفسه ● واما توكيد المنفصل
بالمنفصل مثل قوله تعالى الى الطيب ● فقيل انت انت وانت منهم ● وجدك لئن لم تشر الملك لهمام ● فقوله انت
انت مر توكيد الضمير المشار اليه ما فادته المبالغة فى مدحه ولو مدحه بما شاء الله ان يمدحه مر المدائح لما سد
مسد قوله انت انت اى ذلك المشار اليه بالفضائل دون غيره ● واما قوله وانت منهم فخارج عن هذا الباب ولو كلام
مستانف للانخلق تتوكيد الضمير كانه قال انت الموصوف بكذا وكذا وانت مر هذا القبيل يريد بذلك مدح
قبيله به وهذا البيت لو امثل به اختيارا له واستجاده وانما امثلت به لتعلم ان توكيد المنفصل بالمنفصل
والا فالبيت ليس مر المرضى لان بكم سبك عار مر الحسن وفيه تقديم وتاخير وهذا الموضع مر علم البيان سكانر
بحاسنه فاعرفه ● **النوع السادس فى عطف المظهر على ضمره والافصاح فيه بعده** وهذا انما يعد له لفائدة
وهى تعظيم شان الامر الذى ظهره عند لا سم المضمر اولا ومثال ذلك فى قول القائل ولما لا قفنا وقوتم تتبلونا
يركضون فرادى اسود اتكالا تسابق الاسنة الى الورود ● ولا تزيد على اعقابها اذا ارتدت امثالها مر لا سود وتاخذ نو ؟ بنو تميم اقبلوا
تميم علينا بجملة فلذا بالفرار واستبقانا الى تولية الادبار فانه انما قيل وتاخذ نو تميم مصرحا باسمهم ولو تقلوا واخذوا
كما قبل اقبلوا لله لا له على التعجب مر اقدامهم عند الحملة وشاتهم عند الصدمة لا سيما وقد ورد فى ذلك بقوله لذنا
بالفرار واستبقانا الى تولية الادبار كانه قال وتاخذ ذلك الفرسان المشاهير والكماة المنكرة وحملوا علينا
حملة واحدة فولينا مدبرين منهزمين ● ومما حامر ذلك قوله تعر ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من الشاهدين

الناس وافضلهم ثم يقول فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم
الافضل لانك بينت ذكره مجملا ومفصلا فجعلته علما في الكرم والفضل كانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين
جميعا فعليه بفلان فان قيل فما الفرق بين عطف المظهر على ضميره وبين التفسير بعد الابهام فان المضمر كالمبهم
الجواب عن ذلك اني اقول ان كان سوالك عن فايدتهما فانهما في الفايدة سوا وذلك انما يراد التعظيم الحال
والاعلام بفخامة شانها وان كان سوالك عن الفرق بينهما في العبارة فاني اقول ان المضمر ياتي بعد مظهر يقدم
ذكره اولا ثم يعطف المظهر على ضميره اي على ضمير نفسه كالمثال الذي ضربناه في بني تميم واما التفسير بعد الابهام فان
المبهم يقدم اولا وهو ان يذكر شي يقع على محتملات كثيرة ثم يفسر بايقاعه على واحد منها وليس كذلك عطف المظهر
على ضميره • ومما جا من التفسير بعد الابهام قوله تع وقال الذي امن يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما
هذه الحيوة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن
فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب • الا ترى كيف قال اهدكم سبيل الرشاد فابهم الرشاد ولم يبين
اي سبيل هو ثم فسر بعد ذلك فافتتح كلامه بذم الدنيا وتصغير شانها ثم ثنى ذلك بتعظيم الاخرة والاطلاع على حقيقتها
ثم ثلث بذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليبسط عما سلف وينشط عما زلف فكانه قال سبيل الرشاد
هو الاعراض عن الدنيا والرغبة في الاخرة والامتناع من الاعمال السيئة خوف المقابلة عليها والمسارعة الى الاعمال
الصالحة رجاء المجازاة عليها وكذلك ورود قوله تع واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت ولم يقل قواعد البيت
لما في ابهام القواعد اولا وتبيينها بعد ذلك من تفخيم حال المبين مما ليس في الاضافة • ومما يجري هذا المجرى قوله تع
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى فانه لما اراد تفخيم ما
امل فرعون من بلوغه اسباب السموات فابهمها اولا ثم فسرها ثانيا ولانه لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان يورده
على نفس متشوقة ليعطيه السامع حقه مع التعجب فابهمه ليشوق اليه نفس هامان ثم اوضحه بعد ذلك وعلى
هذا الاسلوب ورد قوله تع قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا
نذير لكم بين يدي عذاب شديد فانه قال اولا انما اعظكم بواحدة فابهم الواحدة ثم فسرها بقوله ان تقوموا لله
مثنى وفرادى وان تتفكروا وهذا في القران الكريم كثير الاستعمال • واما الابهام من غير تفسير فكثير شايع في القران الكريم
ايضا كقوله تع وفعلت فعلتك التي فعلت وكذلك ورد قوله تع ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم اي الطريقة
او الحالة او الملة اي هي اقومها واشدها واي ذلك قدرت لم تجد له مع الايضاح ذوق البلاغة الذي تجده مع
الابهام وذلك لذهاب الوهم فيه وايقاعه على محتملات كثيرة وهذا كقول القايل لو رايت عليا بين الصفين فانه لو
وصفه مهما وصف من نجدة وشجاعة وثبات واقدام واطال القول في ذلك لم يكن بمثابة ما يترامى اليه الوهم • وعلى
هذا الاسلوب ورد قوله تع فغشيهم من اليم ما غشيهم وابلغ من ذلك قوله تع والمؤتفكة اهوى فغشاها ما
غشا فانه قال في تلك الاية فغشيهم من اليم ما غشيهم فذكر اليم وهو البحر فصار الذي غشيهم انما هو منه خاصة
وقال في هذه الاية فغشاها ما غشا فابهم الامر الذي غشاها وجعله عاما وذلك ابلغ لان الانسان يذهب
وهمه في كل مذهب • واما ما جا من ذلك شعرا فكقول البحتري •
بعيد مقبل الصدر لا يقبل التي • يحاولها منه الاريب المخادع • فقوله يحاولها من الابهام المقدم ذكره في الاية
ومما ينتظم بذلك قول الشاعر في ابيات الحماسة • صبا ما صبا حتى علا الشيب راسه • فلما علاه قال للباطل ابعد •

فقوله

٢ قول ابي نواس نهضت مع الغوات بدلوهم واسمت سرح اللحظ حيث اساموا وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه
فاذا عصارة كل ذلك اثام قوله وقد بلغت ما بلغ امرؤ بشبابه من هذا النمط المشار اليه وهو من المليح النادر ومن القول
الحسن الذي ورد للحسن ومما يجري هذا النهج صح

٨٠

فقوله صبا ما صبا من الابهام الذي لو قدرت ما قدرت في تفسيره لم تجد له من فضيلة البيان ما تجد له مع
الابهام وعليه ورد قول الاخر في وصف الخمر • مضى بها ما مضى من عقل شاربها • وفي الزجاجة باق يطلب الباقي •
والكلام على هذا البيت كالكلام على الذي قبله ومثاله ورد قول بعض المتاخرين قراد فيه ما فيه •
وعلى هذا ورد قولي في فصل من تقليد لبعض الوزراء فقلت وانت موهل لواحدة تجلو لها غرر الحياد •
وتناديها العليا بلسان الاحماد • وتفخر بها سمر الاقلام على سمر الصعاد • فابسط يدك لاخذ كتابها واوسع
لطلب ذكرها بعد سعيك في طلابها واعلم ان الخطاب اليها كثير لكنها صدت بك عن خطابها • ولقد مضى عليها
زمن وهي نفور حتى استقادها الان تانيسك • ولم تسبق الاقدار باسمك الا لتكون سليمانها وهي بلقيسك •
وهذا الوزير كان اسمه سليمان فسبقت المعنى اليه فجاء كما تراه من الحسن واللطافة • واما قولي وانت موهل
لواحدة فانه من الابهام من غير تفسير وذلك بخلاف ما ورد في الاية المقدم ذكرها لان تلك من التفسير بعد الابهام
ومما ينتظم في هذا السلك الاستثناء العددي وهو ضرب من المبالغة لطيف الماخذ وفايدته انه اول ما يطرق سمع
المخاطب ذكر العقد من العدد فيكثر موقع ذلك عنده وهو شبيه بما ذكرناه من الابهام اولا ثم التفسير بعده ثانيا
وذلك كقول القايل اعطيته مائة الا عشرة او اعطيته الفا الا مائة فان ذلك ابلغ من ان لو قال اعطيته
تسعين او تسعمائة وعليه ورد قوله تع ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما ولم
يقل تسعمائة وخمسين عاما لفايدة حسنة وهي ذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول المصابرة ليكون
ذلك تسلية لرسول الله ص فيما يلقاه من امته وتثبيتا له فان ذكر راس العدد الذي هو منتهى العقود واعظمها
اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره وما لاقاه من قومه

النوع الثامن في استعمال العام في النفي والخاص في الاثبات

اعلم انه اذا كان الشيان احدهما خاصا والاخر عاما فان استعمال العام في
حالة النفي ابلغ من استعماله في حالة الاثبات وكذلك استعمال الخاص في حالة الاثبات ابلغ من استعماله في حالة النفي
مثال ذلك الانسانية والحيوانية فان الانسانية توجب اثبات الحيوانية ولا توجب نفيها نفي الحيوانية وكذلك
نفي الحيوانية توجب نفي الانسانية ولا توجب اثباتها اثبات الانسانية • ومما ينتظم بذلك الاسما المفردة الواقعة
على الجنس التي يكون بينها وبين واحدها تا التانيث فانه متى اريد النفي كان استعمال واحدها ابلغ ومتى اريد الاثبات
كان استعمالها ابلغ وكذلك يتصل بهذا النوع الصفتان الواردتان على شي واحد فانه اذا لزم من وجود احديهما
وجود الاخرى اكتفي بها في الذكر ولم يحتج الى ذكر الاخرى لانه يجي ضمنا وتبعا • وان يبدا بها في الذكر اولا ثم يجي
الاخرى بعدها واما الصفات المتعددة فانه ينبغي ان يبدا في الذكر بالادنى مرتبة ثم بعدها بما هو اعلى منها
الى ان ينتهي الى اخرها هذا في مقام المدح فان كان في مقام الذم عكسنا القضية • فالاول وهو الخاص
والعام نحو قوله تع مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضات ما حوله ذهب الله بنورهم ولم يقل ذهب بضوئهم
موازنا لقوله فلما اضات لان ذكر النور في حالة النفي ابلغ من ذكر الضوء فيه للدلالة على النور وزيادة فلو قال
ذهب بضوئهم لكان المعنى يعطي ذهاب تلك الزيادة وبقاء ما يسمى نورا لان الاضاءة هي فرط الانارة قال الله تع
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وكل ضوء نور وليس كل نور ضوءا • فالغرض من قوله تع ذهب الله بنورهم
ولم يقل اذهب لان كل من ذهب بشي فقد اذهبه وليس كل من اذهب شيا فقد ذهب به لان الذهاب بالشي هو استصحاب
له ومضي به وفي ذلك نوع احتجاز بالمذهوب به وامساك له عن الرجوع الى حالته والعود الى مكانه وليس كذلك

لا ذهاب للشئ لزوال المعنى الاحتجار عنه • ومما يحمل على ذلك الاوصاف الخاصه اذا وقعت على شئين وكان يلزم
من وصف احدهما وصف الاخر ولا يلزم عكس ذلك ومثاله قوله تعز شارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
السموات والارض فانه انما خص العرض بالذكر دون الطول للمعنى الذى اشرنا اليه والمراد بذلك انه اذا
كان هذا عرضها فكيف يكون طولها وهذا فى الاثبات • ولو اريد النفى لكان له اسلوب غير ما ذكرناه وهو ان
يكان لخص به الطول دون العرض • واما الاسماء المفردة الواقعه على الجنس فنحو قوله تعز وقصه نوح عليه السلام
قال الملاء من قومه انا لنراك فى ضلال مبين قالوا ليس فى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين فانه انما
قال ليس فى ضلاله ولم يقل ليس فى ضلال كما قالوا لان الضلاله ابلغ فى نفى الضلال عنه كما لو قيل انك لست
فى الجواب مالى تمرة وذلك انفى للتمر ولو قلت مالى تمر لما كان يودى من المعنى ما اداه القول الاول • وفى هذا الموضع
دقه يحتاج الى فضل تامل فينبغى لصاحب هذه الصناعة مراعاته والعناية به فان قيل لا فرق بين الضلاله
والضلال وكلاهما مصدر قولنا ضل يضل ضلا او ضل يضل ضلالة كما قالوا لذّ يلذ لذاذة فالجواب عن
ذلك ان الضلاله تكون مصدرا كما قلت وتكون عبارة عن المرة الواحدة تقول ضل يضل ضلالة والمراد بالضلالة
فى هذه الاية انما هو عبارة عن المرة الواحدة لان المصدر واقع على نوع من نفسه المرة الواحدة من الضلال فقد
نفى ما فوقهما من المرتين والمرار الكثيره واما الصفتان الواردتان على شئ واحد فكقول الاشتر النخعى •

خلفت وفرى وانحرفت عن العلا • ولقيت اضيافى بوجه عبوس •
ان لم اشن على ابن حرب غارة • لم تخل يوما من نهاب نفوس •
خيلا كامثال السعالى شزنا • تعدو ببيض فى الكريهه شوس •
حمى الحديد عليهم فكانه • لمعان برق او شعاع شموس •

الا ترى انه اراد بقى فى النسبه الادنى الى الاعلى فقال لمعان برق او شعاع شموس لان لمعان البرق دون
شعاع الشموس • ومما ورد من ذلك فى القران الكريم قوله تعز ما هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
فان وجود المواخذه على الصغيرة يلزم منه وجود المواخذه على الكبيرة وعلى القياس المشار اليه اولا فينبغى ان يكون
لا يغادر كبيرة ولا صغيرة لانه اذا لم يغادر صغيرة من الاولى ان لا يغادر كبيرة واما اذا لم يغادر كبيرة فانه يجوز
ان يغادر صغيرة لانه اذا لم يرتفع الاعلى الكبيرة فيجوز ان يعفو عن الصغيرة عيان لقران الكريم اختان تشيع واجد
ان تقاس عليه الاعلى غيره والذى ورد فيه من هذه الاية ناقض لما تقدم ذكره • وكذلك ورد قوله تعز ولا تقل لهما اف
ولا تنهرهما لان الناقص دنى درجه وقد تقدم قولى فى اول النوع انه اذا جاءت صفتان يلزم من وجود احديهما
وجود الاخرى ان يكتفى بذكرها دون الاخرى لان الاخرى يجىء ضمنا وتبعا او ان سياقها فى الذكر يجلى الاخرى
بعدها وعلى هذا فيقال ولا تنهرهما ولا تقل لهما اف لكراهة لفظ اف امتنع ان ينهرهما وهو كذا هذا
هو المذهب عندى حتى وجدت كتاب لبعض العلماء قد ورد بخلافه وقد عدت عما كنت اراه واقول به • واما الصفات
المتعدده الوارده على شئ واحد فكقول ابى عبادة البحترى فى وصف نجول الركاب •

يترقرق بها السراب وقد خ • ضن غمار من السراب الجارى •
كالقسى المعطفات بل الاسهم مبريه بل الاوتار •

الا ترى انه رتع فى تشبيه نجولها من الادنى الى الاعلى فشبهها اولا بالقسى ثم بالاسهم المبريه وذلك ابلغ فى النجول

ثم بالاوتار

ثم بالاوتار وهى ابلغ فى النجول من الاسهم وكذلك ينبغى ان يكون الاستعمال فى مثل هذا الباب • وقد اغفل كثير من الشعراء ذلك
فمن جملتهم ابو الطيب المتنبى فى قوله • يا بدر يا بحرا غمامة يا ليث الثرى يا حمام يا رجل • وينبغى ان يبدا
فيه بالادنى فالادنى فانه اذا فعل ذلك كان كالمرتفع من محل الى محل اعلى منه واذا خالفه كان كالمنخفض من محل
الى محل ادنى منه فاما قوله يا بدرا فانه اسم للممدوح والاشتباه اولى ثم بعده فينبغى ان تقول يا رجلا يا ليثا يا غمامه
يا بحرا يا حمام لان الليث اعظم من الرجل والغمامه اعظم من الليث والبحر اعظم من الغمامه والحمام اعظم من البحر
وهذا مقام مدح فينبغى ان يرتقى فيه من منزله الى منزله حتى ينتهى فيه الى المنزله العليا اخرا ولو كان مقام ذم
لعكس الاقتضاء وعلى مثاله ورد قوله تعز الى تمام نفتخر •

سمى نبى اوس فى الفخار وحاتم • وزيد القنا والارمان ورافع •
نجوم طوالع جبال قوارع • غيوث هوامع سيول دوافع •

فان السيول دون الغيوث والجبال دون النجوم ولو قدم ما اخرا لما اختل النظم فان
سيول دوافع غيوث هوامع • جبال قوارع نجوم طوالع • وهو عندى شاذ ملامة من المبنى لان المبنى لا
يمكنه تقديم الفاظ بنته وتاخير ها وابو تمام يمكن من ذلك وما اعلم كيف ذهب عليه هذا الموضع مع معرفته
بالمعانى

النوع التاسع فى التقديم والتاخير

وهذا باب طويل عريض يشتمل على اسرار دقيقه منها
ما استخرجته ومنها ما وجدته فى اقوال علماء البيان وسا ورد ذلك مبينا وهو ضربان الاول يختص بدلالة
الالفاظ على المعانى ولو اخرا لمقدم او قدم المؤخر لتغير المعنى والثانى لخصوص درجه المقدم فى الذكر لا خصوصا
مما يوجب له ذلك ولو اخر لما تغير المعنى • فاما الضرب الاول فهو ينقسم الى قسمين احدهما يكون التقديم
فيه هو الابلغ والاخر يكون التاخير فيه هو الابلغ فاما القسم الذى يكون التقديم فيه هو الابلغ فكتقديم
المفعول على الفعل وتقديم الخبر على المبتدا وتقديم الظرف والحال والاستثناء على العامل • وذلك تقديم
المفعول على الفعل كقولك زيدا ضربت وضربت زيدا فان فى قولك زيدا ضربت تخصيصا له بالضرب دون
غيره وذلك بخلاف قولك ضربت زيدا لانك اذا قدمت الفعل كنت بالخيار فى ايقاعه على اى مفعول شئت
من ان تقول ضربت خالدا او بكرا او غيرهما واذا اخرته لزم الاختصاص للمفعول وكذلك تقديم الخبر المبتدا عليه
كقولك زيد قائم وقائم زيد فقولك قائم زيد قد ابيت له القيام دون غيره وقولك زيد قائما نمت بالخيار
فى اثبات القيام له ونفيه عنه بان تقول ضارب او جالس او غير ذلك وهكذا يجرى الحكم فى تقديم الظرف كقولك
ان الى مصير هذا الامر وقولك ان مصير هذا الامر الى فان تقديم الظرف دل على ان مصير الامر ليس الا اليك
وذلك بخلاف قولك ان مصير هذا الامر الى اذ يحتمل ايقاع الكلام بعد الظرف على غيرك فيقال الى زيد او عمرو
او غيرهما وكذلك يجرى الامر فى الحال والاستثناء وقال علماء البيان ومنهم الزمخشرى رحمه الله ان تقديم
هذه الصورة المذكورة انما يكون للاختصاص وليس كذلك والذى عندى فيه انه استعمل على وجهين احدهما
الاختصاص والاخر مراعاة نظم الكلام وذلك ان يكون نظمه للاحسن الا ان تقديم واذا اخر المقدم ذهب
ذلك الحسن وهذا الوجه ابلغ واكثر الاختصاص فاما الاول الذى هو الاختصاص فنحو قوله تعز قل
افغير الله امرونى اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين
بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ولم يقل بل اعبد الله لانه اذا قدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره ولو

كلام على الزمخشرى

تنبيه

امام
قال بل اعبد لجاز انقاع الفعل على اى مفعول شا والوجه الثانى الذى يختص بنظم الكلام فنحو قوله تعالى اياك
نعبد واياك نستعين وقد ذكر الزمخشرى فى تفسيره ان التقديم فى هذا الموضع قصد به الاختصاص
وليس كذلك فانه لم يقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص وانما قدم لمكان نظم الكلام لانه لو قال نعبدك
ونستعينك لم يكن له من الحسن ما لقوله اياك نعبد واياك نستعين وذلك لمراعاة حسن النظم السجعى
الذى هو على حرف النون ولو قال نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الحلاوة وزال ذلك الحسن وهذا غير
خاف على احد من الناس فضلا عن ارباب علم البيان وعلى نحو منه ورد قوله تعالى فاوجس فى نفسه خيفة موسى
قلنا لا تخف انك انت الاعلى وتقدير الكلام فاوجس موسى خيفة فى نفسه وانما قدم المفعول على الفاعل
وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وحرف الجر قصدا لتحسين النظم وعلى هذا فليس كل تقديم لما مكانه التاخير
من باب الاختصاص فبطل اذا ما ذهب اليه الزمخشرى وغيره ● ومما ورد من هذا الباب قوله تعالى خذوه
فغلوه ثم الجحيم صلوه فان تقديم الجحيم على التصلية وان كان فيه تقديم المفعول على الفعل الا انه لم يكن
ههنا للاختصاص وانما هو للفضيلة السجعية ولا مراء فى ان هذا النظم على هذه الصورة احسن من ان
لو قيل خذوه فغلوه ثم صلوه الجحيم فان قيل انما قدمت الجحيم للاختصاص لانها نار عظيمة ولو اخرت لجاز
وقوع الفعل على غيرها كما يقال ضربت زيدا وزيدا ضربت وقد تقدم الكلام على ذلك ● فالجواب ان الدرك
الاسفل اعظم من الجحيم فكان ينبغي ان يخص بالذكر دون الجحيم على ما ذهبت اليه لانه اعظم وهذا لا يذهب
اليه الا من هو بنجوة عن رموز الفصاحة والبلاغة ولفظة الجحيم ههنا فى هذه الاية اولى بالاستعمال من غيرها
لانها ملايمة لنظم الكلام الا ترى ان من اسماء النار السعير ولظى وجهنم ولو وضع بعض هذه الاسماء مكان الجحيم
لما كان له من الطلاوة والحسن ما للجحيم والمقصود بذكر الجحيم ~~والمقصود بذكر الجحيم~~ انما هو النار اى صلوه النار
وهكذا يقال فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فانه لم يقدم السلسلة للاختصاص وانما قدمت لمكان
نظم الكلام ولا شك ان هذا النظم احسن من ان لو قيل ثم اسلكوه فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا والكلام على
هذا كالكلام على الذى قبله ● وله فى القران نظائر كثيرة الا ترى الى قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم
مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وقوله
والقمر قدرناه منازل ليس تقديم المفعول فيه على الفعل من باب الاختصاص وانما هو من باب مراعاة نظم الكلام ●
فانه قال واية لهم الليل نسلخ منه النهار ثم قال والشمس تجرى فاقتضى حسن النظم ان يقول والقمر قدرناه ليكون
الجميع على نسق واحد ولو قال وقدرنا القمر منازل لما كان تلك الصورة فى الحسن وعليه ورد قوله تعالى فاما اليتيم
فلا تقهر واما السائل فلا تنهر تقديره فلا تقهر اليتيم ولا تنهر السائل ● وانما قدم المفعول لمكان حسن النظم السجعى ●
واما تقديم خبر المبتدا عليه فقد تقدمت صورته كقولك زيد قايم وقايم زيد ● فمما ورد منه فى القران قوله تعالى
وظنوا انهم ما نعتهم حصونهم من الله فانه قال ذلك ولم يقل وظنوا ان حصونهم تمنعهم او ما نعتهم لان فى تقديم
الخبر الذى هو ما نعتهم على المبتدا الذى هو حصونهم دليلا على فرط اعتقادهم فى حصانتها وزيادة وثوقهم
بمنعها اياهم وفى نصب ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على تقريرهم فى انفسهم انهم فى عزة وامتناع
لا يبالى معها بقصد قاصد ولا تعرض متعرض وليس شى من ذلك فى قولك وظنوا ان حصونهم ما نعتهم ● ومن تقديم
خبر المبتدا قوله تعالى اراغب انت عن الهتى يا ابرهيم فانه انما قدم خبر المبتداء عليه فى قوله اراغب انت ولم يقل انت

راغب لانه كان اهم عنده وهو به شديد العناية وفى ذلك ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابرهيم عن الهته وان
الهته لا ينبغى ان يرغب عنها وهذا بخلاف ما لو قال انت راغب عن الهتى ● ومن غامض هذا الموضع قوله تعالى
واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا فانه انما قال ذلك ولم يقل فاذا ابصار الذين كفروا
شاخصة لامرين احدهما تخصيص الابصار بالشخوص دون غيرها والاخر تخصيص الكفار بالشخوص دون غيرهم اما
الاول فلو قال فاذا ابصار الذين كفروا شاخصة لجاز ان يضع موضع شاخصة غيره فيقول حايرة او مطموسة
او غير ذلك فلما قدم الضمير اختص الشخوص بالابصار دون غيرها واما الثانى فانه لما اراد ان الشخوص خاص بهم دون
غيرهم دل عليه بتقديم الضمير اولا ثم بصاحبه ثانيا كانه قال فاذا هم شاخصون دون غيرهم ولو لا انه اراد هذين
الامرين المشار اليهما لقال فاذا ابصار الذين كفروا شاخصة لانه اخصر بحذف الضمير من الكلام ● ومن هذا
النوع قول النبى وقد سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته وتقدير الكلام هو الذى ماؤه طهور
وميتته حلال لان الالف واللام ههنا بمعنى الذى ● واما تقديم الظرف فانه اذا كان الكلام مقصودا به
الاثبات فان تقديمه اولى من تاخيره وفايدته اسناد الكلام الواقع بعده الى صاحب الظرف دون غيره فاذا
اريد بالكلام النفى فيحسن فيه تقديم الظرف وتاخيره وكلا هذين الامرين له موضع يختص به فاما تقديمه فى
النفى فانه يقصد به تفضيل المنفى عنه على غيره واما تاخيره فانه يقصد به النفى اصلا من غير تفضيل فاما الاول
وهو تقديم الظرف فى الاثبات فكقولك فى الصورة المتقدمة ان الى مصير هذا الامر ولو اخرت الظرف
فقلت ان مصير هذا الامر الى لم يعط من المعنى ما اعطاه الاول فان الاول دل على ان مصير الامر ليس
الا اليك وذلك بخلاف الثانى اذ يحتمل ان يوقع الكلام بعد الظرف على غيرك فيقال الى زيد والى عمرو او
غيرهما وعلى نحو منه جاء قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وكذلك جاء قوله تعالى يسبح لله ما فى السموات وما فى
الارض له الملك وله الحمد فانه انما قدم الظرفان ههنا فى قوله له الملك وله الحمد ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك
والحمد بالله لا بغيره وقد استعمل تقديم الظرف فى القران كثيرا كقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
اى تنظر الى ربها دون غيره فتقديم الظرف ههنا ليس للاختصاص وانما هو كالذى اشرت اليه فى تقديم
المفعول وانه لم يقدم للاختصاص وانما قدم من اجل نظم الكلام لان قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة احسن من ان لو قيل وجوه يومئذ ناضرة ناظرة الى ربها والفرق بين النظمين ظاهر ● وكذلك قوله والتفت
الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فان هذا روعى فيه حسن النظم لا الاختصاص فى تقديم الظرف ● وفى
القران مواضع كثيرة من هذا القبيل يقيسها غير العارف باسرار الفصاحة على مواضع اخرى وردت للاختصاص
وليست كذلك فمنها قوله تعالى الى ربك يومئذ المستقر والى الله تصير الامور والى الله ترجعون وعليه توكلت
واليه انيب فان هذه جميعها لم يقدم فيها الظروف للاختصاص وانما قدمت لمراعاة الحسن فى نظم الكلام
فاعرف ذلك ● واما الثانى وهو تاخير الظرف وتقديمه فى النفى فنحو قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
وقوله لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فانه انما اخر الظرف فى الاول لان القصد فى ايلاء حرف النفى الريب نفى
الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولاه الظرف لقصد ان
كتابا اخر فيه الريب لا فيه كما قصد فى قوله لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فتاخير الظرف يقتضى النفى
اصلا من غير تفضيل وتقديمه يقتضى تفضيل المنفى عنه وهو خمر الجنة على غيرها من خمور الدنيا اى ليس فيها ما فى

غيرها من الغول وهذا مثل قولنا لا عيب في الدار وقولنا لا عيب فيها فالاول نفي العيب عن الدار فقط والثاني تفضيل
لها على غيرها اي ليس فيها ما في غيرها من العيب فاعرف ذلك فانه من دقائق هذا الباب • واما تقديم الحال فكقولك جاء
راكبا زيد وهذا بخلاف قولك جاء زيد راكبا اذ يحتمل ان يكون ضاحكا او ماشيا او غير ذلك • واما الاستثناء فجار
هذا المجرى نحو قولك ما قام الا زيدا احد وما قام احد الا زيدا والكلام على ذلك كالكلام على ما سبق • واما القسم الثاني
فهو ان تقدم ما الاولى به التاخير لان المعنى يختل بذلك ويضطرب وهذا هو المعاظلة المعنوية وقد قدمنا القول في
المقالة الاولى المختصة بالصناعة اللفظية بان المعاظلة تنقسم الى قسمين احدهما لفظي والاخر معنوي • اما اللفظي
فقد ذكرناه في بابه واما المعنوي فهذا بابه وموضعه وهو كتقديم الصفة او ما يتعلق بها على الموصوف وتقديم
الصلة على الموصول وغير ذلك مما يرد بيانه • فمن هذا القسم قول بعضهم •
فقد لا شك بين لي عناء • بوشك فراقهم صرد يصيح • فانه قدم قوله بوشك فراقهم وهو معمول يصيح ويصيح
صفة لصرد على صرد وذلك قبيح الا ترى انه لا يجوز ان يقال هذا رجل ورد اليوم من موضع كذا وانما يجوز وقوع
المعمول بحيث يجوز وقوع العامل فكما لا يجوز تقديم الصفة على موصوفها فكذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على
موصوفها ومن هذا النحو قول الاخر • فاصبحت بعد خط بهجتها • كان قفرا رسومها قلما •
فانه قدم خبر كان عليها وهو قوله خط وهذا وامثاله كما لا يجوز قياس عليه والاصل في هذا البيت فاصبحت بعد
بهجتها قفرا كان قلما خط رسومها الا انه على تلك الحال الاولى في الشعر مختل مضطرب والمعاظلة في هذا
الباب تتفاوت درجاتها في القبح وهذا البيت المشار اليه من اقبحها لان معانيه قد تداخلت وركب بعضها
بعضا • ومما يجري هذا المجرى قول الفرزدق •
الى ملك ما امه من محارب • ابوه ولا كانت كليب تضاهره • وهو يريد الى ملك ابوه ما امه من محارب اي ما ام
ابيه من محارب وهذا اقبح من الاول واكثر اختلاطا وكذلك جاء قوله ايضا •
وليست خراسان التي كان خالد • بها اسدا كان سيفا اميرها • وحديث هذا البيت طريف وذلك انه فيما ذكر
يمدح خالد بن عبد الله القسري واخوه اسدا وكان اسد وليها بعد خالد فكانه قال وليست خراسان بالبلدة التي
كان خالد بها سيفا اذ كان اسد اميرها وعلى هذا التقدير ففي كان الثانية ضمير الشان والحديث والجملة بعدها
خبر عنها وقد قدم بعض ما اذ مضافه اليه وهو اسد عليها وفي تقديم المضاف اليه او شيء منه على المضاف من
القبح ما لا خفاء به وايضا فان اسدا احد جزئي الجملة المفسرة للضمير والضمير لا يكون تفسيره الا من بعده ولو تقدم
تفسيره قبله لما احتاج الى تفسير ولما سماه الكوفيون الضمير المجهول وعلى هذا النحو ورد قول الفرزدق ايضا
وما مثله في الناس الا مملكا • ابو امه حي ابوه يقاربه • ومعنى هذا البيت وما مثله في الناس حي يقاربه
الا مملكا ابو امه ابوه وعلى هذا المثال المصوغ في الشعر قد جاء مشوها كما تراه وقد استعمل الفرزدق من
التعاظل كثيرا فانه كان يقصد ذلك ويتعمده لان مثله لا يجيء الا متكلفا مقصودا والا فاذا ترك مؤلف الكلام
نفسه يجري على سجيتها وطبعها في الاسترسال لم يعرض له شيء من هذا التعقيد الا ترى ان المقصود من الكلام
معدوم في هذا الضرب المشار اليه اذ المقصود من الكلام انما هو الايضاح والابانة وافهام المعنى فاذا
ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به فلا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات الفارسية
والرومية وغيرهما • واعلم ان هذا الضرب من الكلام هو ضد الفصاحة لان الفصاحة هي الظهور والبيان

وهذا

في الذكر

وهذا عار عن هذا الوصف واما الضرب الثاني الذي يختص بدرجة المقدم لاختصاصه بما يوجب له ذلك
فانه مما لا يحصره حد ولا ينتهي اليه شرح وقد اشرنا الى نبذة في هذا الكتاب ليستدل بها على اشباهها ونظائرها
فمن ذلك تقديم السبب على المسبب كقوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين فانه انما قدم العبادة على الاستعانة لان
تقديم القربة والوسيلة قبل طلب الحاجة انجح لوصول الطلب واسرع لوقوع الاجابة ولو قال اياك نستعين واياك
نعبد لكان جائزا الا انه لا يسد ذلك المسد ولا يقع ذلك الموقع وهذا لا يخفى على المنصف من ارباب هذه الصناعة
وعلى نحو منه جاء قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا
فقدم حيوة الارض واسقاء الانعام على اسقاء الناس وان كانوا اشرف محلا لان حيوة الارض هي سبب لحيوة الانعام
والناس فلما كانت بهذه المثابة جعلت مقدمة في الذكر ولما كانت الانعام من اسباب التعيش والحيوة للناس
قدمها في الذكر على الناس لان حيوة الناس بحيوة ارضهم وانعامهم فقدم سقي ما هو سبب حيوتهم ومعاشهم على سقيهم
ومن هذا الضرب تقديم الاكثر على الاقل كقوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وانما قدم الظالم لنفسه للايذان بكثرته وان معظم الخلق عليه ثم اتى بعده بالمقتصدين
لانهم قليل بالاضافة اليه ثم اتى بالسابقين وهم اقل من القليل اعني من المقتصدين فقدم الاكثر ثم بعده الاوسط ثم
ذكر الاقل اخيرا ولو عكست القضية لكان المعنى ايضا واقعا موقعه لانه يكون قد روعي فيه تقديم الافضل فالافضل
ولنوضح لك في هذا وامثاله طريقا تقتفيه فنقول اعلم انه اذا كان الشيئان كل واحد منهما مختصا بصفة
فانت بالخيار في تقديم ايهما شئت في الذكر كهذه الاية فان السابق بالخيرات مختص بصفة الفضل والظالم
لنفسه مختص بصفة الكثرة فقس على هذا ما ياتيك من اشباهه وامثاله • ومن هذا الجنس قوله تعالى والله خلق
كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع فانه انما قدم الماشي على بطنه
لانه ادل على القدرة من الماشي على رجلين اذ هو ماش بغير الالة المخلوقة للمشي ثم ذكر الماشي على رجلين وقدمه على
الماشي على اربع لانه ادل على القدرة ايضا حيث كثرت الات المشي في الاربع وهذا من باب تقديم الاعجب فالاعجب
فان قيل قد ورد في القران الكريم في مواضع منه ما يخالف هذا الذي ذكرته كقوله تعالى في سورة هود وما نؤخره
الا لاجل معدود يوم ياتي لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار ثم قال واما الذين سعدوا
ففي الجنة فقدم اهل النار في الذكر على اهل الجنة وهذا مخالف للاصل الذي اصلته في هذا الموضع الجواب
عن ذلك ان هذا الذي اشرت اليه في سورة هود وما اشبهه له اسرار يحتاج الى فضل تامل وامعان نظر حتى يفهم
اما هذا الموضع فانه لما كان الكلام مسوقا في ذكر التخويف والتحذير وجاء على عقب قصص الاولين وما فعل الله بهم
من التعذيب والتدمير كان الاليق ان يوصل الكلام بما يناسبه في المعنى وهو ذكر اهل النار • فمن اجل ذلك قدموا
في الذكر على اهل الجنة واذا رايت في القران شيئا من هذا القبيل وما يجري مجراه فتامله وامعن نظرك فيه حتى يتبين
لك مكان الصواب منه • واعلم انه اذا كان مطلع الكلام في معنى من المعاني ثم يجيء بعده ذكر شيئين احدهما
افضل من الاخر فكان معنى المفضول مناسبا لمطلع الكلام فانت بالخيار في تقديم ايهما شئت لانك ان قدمت
الافضل فهو في موضعه من التقديم وان قدمت المفضول فلان مطلع الكلام يناسبه وذكر الشيء مع ما
يناسبه ايضا وارد في موضعه • فمن ذلك قوله تعالى وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة
بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور لله ما في السموات وما في الارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء

الذكور اوزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه علم قدير فانه انما قدم الاناث على الذكور مع بعدهم عليهن
لانه ذكر البلاء في الاية الاولى بكفران الانسان نسبياه الرحمة السابقة عنده ثم عقب ذلك بذكر ملكه ومشيته
وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاء لا ما تشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي
هن من جملة ما لا يشاء الانسان ولا يختاره اهم ولاهم واحب لتقدم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلا
ولما اخر ذكر الذكور وهم احقاء بالتقدم تدارك ذلك بتعريفها ياهم لان المعرف منوه بالذكر كانه قال ولهب لمن يشا الفرسان
الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقدم والتاخير وعرفان تقدم الاناث
لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى اخر فعال ذكرانا واناثا وهذه دقائق لطيفه فلما ينبه لها او يعثر على رموزها ● ومن هذا
الباب قوله تعز وما تكون في شان وما تتلوا منه من كتاب ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب
عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فانه انما قدم الذكر على السماء ومرتقها الى اخر لانه لما ذكر شهادته
على شؤون اهل الارض واحوالهم ووصاله لك تقوله لا يعزب عنه لا يتم منهما ليلي المعنى المعنى فان قيل فقد تقدم
الارض على السماء في الذكر في مواضع كثيرة من القرآن قلنا اذا جاءت مقدمة في الذكر فلا بد لتقدمها من سبب قصدا
وان خفي ذلك السبب وقد تستنبطه بعض العلماء دون بعض ● **النوع العاشر في الحروف العاطفة**
والجارة وهنا موضع لطيف لما حدة دقيق المغزى وما زالت احد من علماء هذه الصناعة تعرض اليه ولا ذكره وما اقول
الهم لم يعرفوه فان هذا النوع من الكلام اشهر من ان يخفى لانه مذكور في كتب العربية جمعها ولست اعني بارادته ها هنا
ما يذكره النحويون من ان الحروف العاطفة تشرك المعطوف عليه في الاعراب وللآن الحروف الجارة تجر ما تدخل عليه لا امرا
وراء ذلك وان كان المرجع فيه الى الاصل النحوي فاقول ان اكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير موضعها
فيجعلون ما ينبغي ان يعطف بالواو ومعطوفا بالفا وما ينبغي ان يعطف بالفا معطوفا بثم وكذلك يجعلون ما
ينبغي ان يكون بعلى ينبغي في حرف الجر وفي هذه الاشياء فانوا ذكرها لك ● اما حروف العطف فنحو قوله تعز هو الذي يطعمني
ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين فالاول عطفه بالواو والثاني بالفا والثالث بثم والتقدير الاطعام
على الاسقا والاسقا على الاطعام جائز لولا مراعاة حسن النظم ثم عطف الفا لان الشفا يعقب المرض بلا زمان والثاني
خال من احدهما ثم عطف الثالث بثم لان الاحياء يكون بعد الموت بزمان وهذا جي بعطفه بثم التي هي للتراخي ولو قال
قائل في موضع هذه الاية الذي هو يطعمني ويسقين ويمرضني ويشفين ويميتني ويحيين لكان للكلام معنى تام
الا انه لا يكون كمعنى الاية اذ كل شي منها فذ عطف بما ناسبه ويقع موقع السداد منه ● ومما جاء من هذا الباب
قوله تعز قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم قال ثم السبيل يسره لان يسر خلقه وتقديره في بطن
امه وسر اخراجه منه تسهيل سبيله مهلة وزمانا فلذلك عطفه بثم وعلى هذا جاء قوله تعز ثم اماته فاقبره ثم
اذا شاء انشره لان يسر اخراجه من بطن امه وسر موته تراخيا وفسحة وكذلك يسر موته ونشوزه اضف فلذلك عطفها
بثم ولما لم يكن سر موت الانسان واقباره تراخ ولا مهلة عطفه بالفاء وهذا موضع من علم البيان شريف وقلما يتفطن
لاستعماله كما ينبغي ● ومما جاء من ذلك ايضا قوله تعز في قصة مريم وعيسى عليهما السلام المحملة فانتبذت به مكانا قصيا
فاجاء المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا وفي هذه الاية دليل على ان حملها
به ووضعها اياه كانا متقاربين لانه عطف الحمل والانتباذ الى المكان الذي مضت اليه والمخاض الذي هو الطلق بالفاء

وهي

وهي للفور ولو كانت كغيرها من التي هي للتراخي والمهلة الا ترى انه قد جاء في الاية الاخرى
قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره فلما كان سر تقديره في البطن اخرا
منه مدة متراخية عطف ذلك بثم وهذا بخلاف قصة مريم عليها السلام فانها عطفت بالفاء وقد اختلف
الناس في مدة حملها فقيل انه كان كحمل غير هامن النساء وقيل لانه كان مدة ثلثة ايام وقيل اقل وقيل اكثر
وهذه الاية مزيلة للخلاف لانها دلت صريحا على ان الحمل والوضع كانا متقاربين من غير مهلة وربما كان ذلك
في يوم واحد او اقل مما دلت عليه الاية ● ومما ورد من هذا الاسلوب قوله تعز ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما
فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين ففي الاية المقدم ذكرها قال ثم نطفة خلقه فقدره فعطف التقدير
على الخلق بالفا الاية بابعة له ولم يذكر فاصيل حال المخلوق وفي هذه الاية ذكر فيها صيل حاله في تنقله فبدا
بالخلق الاول وهو خلق ادم من طين ولما عطف عليه الخلق الثاني الذي هو خلق النسل عطفه ثم لما انتهى من التراخي
وحيث صار الى التقدير الذي سبع بعضه بعضا من غير تراخ عطفه بالفاء ولما انتهى الى جعله ذكرا وانثى
وهو اخر الخلق عطفه بثم فان قيل انه قد عطف المضغة على العلقة في هذه الاية بالفاء وفي الاخرى بثم
وهي قوله تعز انا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
الحواب عن ذلك والله اعلم ان في حروف العطف موضعا يلتبس

فيه الفاء بالواو وهو موضع يحتاج فيه الى فضل تامل وذلك ان فعل المطاوعة لا يعطف عليه الا بالفا
دون الواو وقد يجي من الافعال ما يلتبس بفعل المطاوعة فيعطف بالواو ولا بالفاء كقوله تعز ولا تطع
من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه فقوله اغفلنا قلبه ها هنا بمعنى صادفناه غافلا ولبس منه قولا غفل حتى يكون
معناه صدفناه لانه لو كان كذلك لكان معطوفا عليه بالفا وقيل فاتبع هواه وذلك انه يكون مطاوعا
وفعل المطاوعة لا يعطف عليه الا بالفا كقولك اعطيته فاخذ وعوته فاجاب ولا تقول اعطيته واخذ ولا
دعوته واجاب كما لا تقول كسرته وانكسر وكذلك لو كان معنى اغفلنا في الاية صدفناه ومنعناه لكان معطوفا
عليه بالفا وكان يقال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه فلما لم يكن كذلك وكان العطف عليه بالواو
فطريقه انه لما قال اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ان يكون معناه وجدناه غافلا واذا وجدناه غافلا فقد
عقل لا محاله فكانه قال ولا تطع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه اي لا تطع من فعلنا وكنا فعلنا افعاله
التي توجب تركه طاعته فاعرفه لذلك ● واما حروف الجر فان الصواب لشذوذ وضعها في مواضعها وقد علم
ان في للوعاء وللاستعلا كقولهم زيد في الدار وعمرو على الفرس لكراهة استعمال ذلك في عرهذين الموضعين مما
يشكل استعماله عدلت عنه العرب الاولى فيما ورد منه قوله تعز قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد
لعلي هدى او في ضلال مبين الا ترى الى بداعة هذا المعنى المقصود بما لفه حرف الجر ههنا فانه انما حول
شيئا في الدخول على الحق والباطل لان صاحب الحق كانه مستعل على فرس جواد تركض به حيث شاء وصاحب الباطل
كانه منغمس في ظلام منخفض فيه لا يدري اين توجه وهذا معنى دقيق قلما يراعى مثله في الكلام وكثيرا ما سمعت
اذا كان الرجل يلوم اخاه او يعاتب صديقه على امر من الامور فيقول له انت علي ضال لك انت علي ضالتك لقد مر كما اعهدك فانك
بعلي في موضع في وان كان هذا جائزا الا ان استعمال في ههنا اولى لما اشرنا اليه الا ترى الى قوله تعز في سورة يوسف

على الفور
صح
ساقط
صح
صح
صح

قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم • ومن هذا النوع قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها
والمولفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فانه انما عدل عن اللام الى في في الثلثة الاخيرة للايذان
بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره باللام لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان يوضع
فيهم الصدقات كما يوضع الشي في الوعاء وان يجعلوا مظنة لها وذلك لما في فك الرقاب وفي الغرم من التخلص
وتكرير في في قوله وفي سبيل الله دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين وسياق الكلام ان يقال وفي الرقاب
والغارمين وسبيل الله وابن السبيل فلما جي بفي مرة ثانية وفصل بها بين الغارمين وبين سبيل الله علم ان سبيل الله
اوكد في استحقاق النفقة فيه وهذه لطائف ودقائق لا توجد الا في هذا الكلام الشريف فاعرفها وقس
عليها **النوع الحادي عشر في الخطاب بالجملة الفعلية وبالجملة الاسمية والفرق بينهما** ولم اذكر
هذا الموضع لان يجري الامر فيه على ما يجري مجراه فقط بل لان تقاس عليه مواضع اخرى مما تماثله وتشابهه
ولو كان شبها بعيدا فانما يعدل عن احد الخطابين الى الاخر لضرب من التاكيد والمبالغة • فمن ذلك قولنا قام زيد
وان زيدا قائم فقولنا قام زيد معناه الاخبار عن زيد بالقيام وقولنا ان زيدا قائم معناه الاخبار عن زيد بالقيام
ايضا الا ان في الثاني زيادة ليست في الاول وهي توكيده بان المشددة التي من شانها الاثبات لما ياتي بعدها واذا
زيد في خبرها اللام فقيل ان زيدا لقائم كان ذلك اكثر توكيدا في الاخبار بقيامه وهذا مثال تنبني عليه امثلة
كثيرة من غير هذا النوع • فمما جاء من ذلك قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا
انا معكم انما نحن مستهزءون فانهم انما خاطبوا المومنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بان
المشددة لانهم في مخاطبة اخوانهم بما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزولوا عنه
على صدق ورغبة ووفور ونشاط وكان ذلك مقبولا منهم ورائجا عند اخوانهم فاما الذي خاطبوا به المومنين
فانما قالوه تكلفا واظهارا للايمان خوفا ومداجاة وكانوا يعلمون انهم لو قالوه باوكد لفظ واشده لما راج لهم
عند المومنين الا رواجا ظاهرا لا باطنا لانهم ليس لهم من عقائدهم باعث قوي على النطق في خطاب المومنين بمثل ما
خاطبوا به اخوانهم من العبارة الموكدة فلذلك قالوا في خطاب المومن امنا وفي خطاب اخوانهم انا معكم وهذه نكت
يخفى على من ليس له قدم راسخة في علم الفصاحة والبلاغة • ومما يجري هذا المجرى ورود لام التوكيد في الكلام
ولا يجي ذلك الا لضرب من المبالغة وفائدته انه اذا عبر عن امر يعز وجوده او فعل يكثر وقوعه جي باللام تحقيقا
لذلك فمما جاء منه قوله تعالى في اول سورة المنافقين اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فانظر الى هذه اللامات الثلاث الواردة في خبر ان فالاولى وردت في
قول المنافقين وانما وردت موكدة لانهم اظهروا من انفسهم التصديق برسالة النبي ص وتملقوا له وبالغوا في
التملق وفي باطنهم خلافه واما ما ورد في الثانية والثالثة فصحيح لا ريب فيه واللام في الثانية لتصديق رسالته
وفي الثالثة لتكذيب المنافقين فيما كانوا يظهرونه من التصديق الذين هم على خلافه وكذلك ورد قوله تعالى في سورة
يوسف عليه السلام قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له
لحافظون فانه انما جي باللام ههنا لزيادة التوكيد في اظهار المحبة ليوسف عليه السلام والاشفاق عليه ليبلغوا
الغرض من ابيهم في السماحة بارساله معهم • ومن هذا الباب قوله تعالى افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون
لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ثم قال افرايتم الماء الذي تشربون ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون

لو نشا

لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون الا ترى كيف ادخلت اللام في اية المطعوم دون اية المشروب •
وانما جات كذلك لان جعل الماء العذب ملحا اسهل امكانا في العرف والموجود من الماء الملح اكثر من الماء العذب
وكثيرا ما اذا جرت المياه العذبة على الاراضي المتغيرة التربة احالتها الى الملوحة فلم يحتج في جعل الماء ملحا
الى زيادة تاكيد فلذلك لم يدخل عليه لام التوكيد المفيدة زيادة التحقيق واما المطعوم فان جعله حطاما
من الاشياء الخارجة عن المعتاد واذا وقع فلا يكون الا عن سخط من الله شديد فلذلك قرن بلام التوكيد زيادة
في تحقيق امره وتقرير ايجاده • ومما يتصل بذلك قوله تعالى وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون فاللام
في لنحن هي اللام المشار اليها وكذلك ورد قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا فان اللام
في قوله ليستخلفنهم وليمكنن وليبدلنهم انما جات لتحقيق الامر واثباته في نفوس المومنين وانه كائن لا محالة
ومما يجري هذا المجرى في التوكيد لام الابتداء المحققة لما ياتي بعدها كقوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه
احب الى ابينا منا فاللام في ليوسف لام الابتداء وفائدتها تحقيق لمضمون الجملة الواردة بعدها اي زيادة
حبه اياهما امر ثابت لا مراء فيه • ومن هذا النوع قول بعضهم •

والشيب ان يظهر فان وراءه • عمرا يكون خلاله متنفس •
لم ينقص مني المشيب قلامة • ولما بقي مني الب واكيس •

فقوله ولما بقي مني تقديره وما بقي مني وانما ادخل على ما هذه اللام قصدا لتاكيد المعنى لانه موضع
يحتاج فيه الى التاكيد الا ترى الى ان قوة العمر في الشباب ولما اراد هذا الشاعر ان يصف المشيب وليس
مما يوصف وانما يذم اتى باللام ليوكد ما قصد من الصفة • وكذلك ورد قول الشاعر من ابيات الحماسة

انا لنصفح عن مجاهل قومنا • ونقيم سالفة العدو الاصيد •
ومتى نجد يوما فساد عشيرة • نصلح وان نر صالحا لا نفسد •

وهذا كثير شايع في الكلام الا انه لا ياتي الا لمكان العناية بما يعبر عنه الا ترى الى قول هذا الشاعر انا لنصفح عن
مجاهل قومنا فانه لما كان الصفح مما يشق على النفس فعله لانه مقابلة الشر بالخير والاساءة بالاحسان اكده •
باللام تحقيقا له فان عرى الموضع الذي يوتى فيه بهذه اللام من هذه الامور المشار اليها وما يجري مجراها فان
ورود اللام فيه لغير سبب اقتضاه واكثر ما يستعمل هذه اللام في جواب القسم لتحقيق الامر المقسم عليه وذلك
في الايجاب دون النفي لانها لا تستعمل في النفي الا ترى انه لا يقال والله للا قمت وانما يقال والله لا قمت لكن
في الايجاب يستعمل ويكون استعمالها حسنا كقولك والله لاقوم فان اضيف اليها النونان الثقيلة والخفيفة
فان ذلك ابلغ في التاكيد كقولك والله لاقومن وعلى ذلك وردت الاية المقدم ذكرها وهي قوله تعالى وعد الله الذين
امنوا منكم وعملوا الصالحات وان لم يكن جواب القسم فالنون الواردة بعد اللام زيادة في التاكيد وهما تاكيدان
احدهما مردف بالاخر وكذلك فاعلم ان النون الثقيلة متصلة بهذا الباب فاذا استعملت في موضع فانما
يقصد بها التاكيد • فمما جاء منها قول البحتري في معاتبته الفتح بن خاقان •

هل يخلين الي عطفك موقف • ثبت لديك اقول فيه وتسمع •
ما زال لي من حسن رايك موئل • اوي اليه من الخطوب ومفزع •

فعلام انكرتَ الصديق واقبلت • لخوى جُنات الكاشحين تطلّعُ •
واقام يطمع في تهضّم جانبي • مر لم يكن مرقبا فيه يطمع •
الا يكن ذنب فعدلك واسع • او كان لي ذنبٌ فعفوك اوسع •

حسنه ح
بجلبتح ح

وهذه ابيات ملمحه في بالها تمحي بها وحرّ الصدور وتستمال لها صَعَرُ الخدود وانما كررها لجملتها المكان حسنها والبيت الاول هو المراد الاترى انه قال هل لخليّ الى عطفك موقف فالنون جات قصدًا للتاكيد وهو في هذا المقام متمكن فاحسب ان يوكد هذه الامنيّة وكلما يجي مرهذا الباب فانه واقع هذا الموقع واذا استعمل عبثا لغير فايدة تصفحه فانه لا يكون استعماله الا مرجا هلا يا لاسرار المعنويّة • واما ما تمثّل به النحاة في قول القائل والله لا قومن فانه مثال نحوي نُضرب للنحو ازوالا فاذا قال القائل والله لا قومن واكده كان ذلك لغوًا انه لس ح قيامه مر الامر العرر ولا مر الامر العسر ما لحاج معه الى التاكيد بل لو قال ولس لا قومر اليك مجهدًا له كان ذلك واقعًا في موقعه فافهم ذلك وقس عليه • النوع الثاني عشر ح قوة اللفظ لقوة المعنى • وهذا النوع قد ذكره ابو الفتح رحمه في كتاب الخصائص الا انه لم يورده كما اوردته انا ولا بنى على ما بنيت عليه مر النكت التي تضمنته وهذا نطهر بالوقوف على كلامي وكلامه فاقول اعلم ان اللفظ اذا كان على وزن مر الاوزان ثم نقل الى وزن اخر اكبر منه فلا بد ان تتضمن مر المعنى اكثر مما تضمنه اوّلًا لان الالفاظ ادلة على المعاني ولا شك للابانة عنها فاذا زدت الالفاظ اوجبت القسمة زيادة المعاني وهذا الاز اع فيه لبيانه وهذا النوع لا تستعمل الا في مقام المبالغة • فمر ذلك قولهم خشن وخشوشن فمعنى خشن عر معنى خشوشن لما فيه مر تكرير العين وزياده الواو ونحو فعل وافعوعل وكذلك قولهم اعشوشب المكان فاذا اراد اكثر العشب قالوا اعشوشب • ومما نظم في هذا السلك قدر واقتدر فمعنى اقتدر اقوى مر معنى قدر قال الله تع فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر فمقتدر هاهنا البالغ مرقادر وانما عدل اليه للدلالة على تفخيم الامر وشدة الاخذ الذي لا يصدر الا عر قوم الغضب وللدلالة على بسطة القدرة فان المقتدر البالغ في البسطة مر القادر وذلك ان مقتدرا اسم فاعل مر اقتدر وقادرا اسم فاعل مر قدر ولا شك ان افتعل البالغ مر فعل وعلى هذا ورد قولهم اعفُ عني واعفُ عني عفو مقتدر • جلّت له نقمة فالغاها • اي عفوت عني عفوًا قادرًا متمكنا القدرة لا ردّة شيء امضاء قدرته وانشد لهذا كثير • وكذلك ورد قوله تع في سورة نوح عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارًا فان غفارا البالغ في المغفرة مر غافر لان فعالا لا يدل على كثرة صدور الفعل وفاعلا لا يدل على الكثرة وعليه ورد قوله تع ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء مر ربك عطاء حسابا لان المفاز البالغ في الفوز هو الذي تتكرر منه التوبة مرة على مرة وهو فعال وذلك البالغ مر التواب الذي هو فعال والتواب اسم فاعل مر تاب يتوب فهو تائب اي صدرت منه التوبة مرة واحدة فاذا قيل توّاب كان صدور التوبة منه مرارا كثيرة وهذا وما يجري مجراه انما يعمد اليه لضرب مر التوكيد ولا يوجد ذلك الا فيما فيه معنى الفعلية كاسم الفاعل واسم المفعول وكالفعل نفسه كقوله تع فكبكبوا فيها هم والغاوون فان معنى كبكبوا مر الكبّ وهو القلب لا انه مكرر المعنى وانما استعمل ح الالة دلالة على شدة العقاب لانه موضع تقتضي ذلك وليس ما نظر بعض الجهال ح هذا فقاس عليه زيادة الصغر وقال لها زيادة ولكنها زيادة نقص لانه لا يراد في اللفظ حرف كقولهم في الثلاثي ح رجل رجيل وح الرباعي ح قنديل قنيديل فما زيادة وردت ها هنا فنقصت مر معنى هاتين اللفظتين وهذا ليس مر الباب الذي نحن بصدد ذكره لانه عار مر معنى الفعلية والزيادة في الالفاظ لا توجب زيادة في المعنى الا اذا

تضمنت

تضمنت معنى الفعلية لان الاسماء التي لا معنى للفعل فيها اذا زيدت استحال معناها الا ترى انا لو نقلنا لفظة عَذَب وهي بلا شه الى الرباعي فعلنا عذيب على وزن جعفر لاستحال معناها ولو كررها معنى وكذلك لو نقلنا لفظة عسجد وهي رباعيته الى الخماسي فعلنا عسجدد على وزن جحمرش لاستحال معناها وهذا بخلاف ما فيه معنى الفعلية كقادر ومقتدر فان قادرا اسم فاعل قدر وهو لا ثاني ومقتدرا اسم فاعل اقتدر وهو رباعي فلذلك كان معنى القدرة في اقتدر اشد مر معنى القدرة في قدر وهذا لا نزاع فيه وهذا الباب بجملته لا نقصد به الا المبالغة في ايراد المعاني وقد تستعمل ح مقام المبالغة فيعكس المعنى فيه الى ضده كما جاء لابي كرام التميمي مر شعراء الحماسة وهو قوله •

لله بيتما ثوى رمح طراد • لابي الحمام وابي نصل جلاد •
ومجنّش حرب مقدام متعرّض • للموت عر مكذب جيّاد •

فلفظة جياد قد وردت هاهنا وانما اورد ها هنا الشاعر وقصده بها المبالغة في وصف سجاعة هذا الرجل فانعكس عليه المقصد الذي قصده لان جيادا مر جيّد فهو جيّاد اي وُحد فيه الجيدودة مرارًا كما تقال قتّال فهو قتال اي وحد منه القتل مرارًا وادا كان هذا الرجل غر جيّاد كان حايدًا اي وجدت منه الحيدودة مرة واحدة وادا وجدت منه مرة واحدة كان ذلك جبنًا ولم يكر شجاعة والاولى وان كان قال عمر مكذب حايد وسبغي ان نعلم انه اذا وردت لفظة مر الالفاظ وجوز استعمالها على الضعيف الذي هو طريق المبالغة وحملها على غيره ان نظر فيها فان اقتضى المعنى حملها على المبالغة فهو الوجه • فمر ذلك قول البحتري في قصيدته التي مطلعها • منّى النفس في اسما لو نستطيعها • وهي قصيدة مدح بها الخليفة المتوكل رحمه الله وذكر فيها حديث الصلح بني تغلب • فمما حامنه قوله

رفعتَ بضبيعٍ تغلبَ ابنة وائلٍ • وقد بئستْ ان تستقلّ ضبيعُها •
وكنتَ امين الله مولى حياتها • ومولاكَ فتح يوم ذاكَ شفيعُها •
تالفتهم مر بعد ما شرّدت بهم • حفائظ اخلاق بطيء رجوعُها •
فابصرتَ غاولها المجة فاهتدى • واقصر عالها وداى شسوعُها •

فقوله تالفتهم مر بعد ما شردت بهم يجوز ان يخفف لفظة شردت ويجوز ان يثقل والثقيل هو الوجه لانه في مقام الاصلاح بين قوم تنازعوا واختلفوا وتناءت قلوبهم وارا وهم وكلما يجي مر الالفاظ على هذا النحو فسبغي ان يجري هذا المجرى وههنا نكتة لا بد مر التنبيه عليها وذلك ان قوة اللفظ لقوة المعنى لا تستقيم الا في نقل صيغة الى صيغة اكثر منها كنقل الثلاثي الى الرباعي والا فاذا كانت صيغة الرباعي مثلا موضوعة لمعنى فانه لا يراد به ما اريد مر نقل الثلاثي الى مثل تلك الصيغة الا ترى انه اذا قتل ح الثلاثي قتل مر نقل ذلك الى الرباعي فقتل وقتل بتشديد التاء فان الفائدة مر هذا النقل هي التكثير اي ان القتل وجد منه كثيرا وهذه الصيغة الرباعية بعينها لو وردت مر غير نقل لم تكر الا على التكثير كقوله تع وكلم الله موسى تكليما فان كلم على وزن قتل ولم يرد به الا التكثير بل اريد به انه خاطبه اياه سواء كان خطابه اياه طويلا او قصيرا او قليلا او كثيرا وهذه اللفظة رباعية وليس لها ثلاثي نقلت عنه الى الرباعي لكر قد وردت بعينها ولها ثلاثي ورباعي وكان الرباعي اكثر واقوى فما دل عليه مر المعنى وذلك ان تكون كلم مر الجراح جُرِح ولها ثلاثي وهو كلم مخففا اي جرح فاذا وردت مخففة دلت على الجراحة مرة واحدة واذا وردت مثقلة دلت على التكثير • وكذلك ورد قوله تع ورتل القرآن ترتيلا فان لفظة رتل على وزن لفظة قتل ومع هذا للستدل به على كثرة القراءة وانما المراد بها ان تكون القراءة على هيئة التاني والتدبر وبيّن ذلك

ان هذه اللفظة لا تمالئ لها حتى تنقل عنها الى الراعى وانما هى رباعيه موضوعة لهذه الهئه المخصوصه من القراءة
وعلى هذا فلا يستقيم معنى الكثره والقوه فى اللفظ والمعنى الا بالنقل من وزن الى وزن اعلى منه فاعرف ذلك ومن هاهنا
شذ الصواب عمن شذ عنه من علماء العربيه يذهبون الى ان علمًا المغ فى معنى العلم من علم وقد
تاملت ذلك وانعمت نظرى فيه فحصل عندى شك لان الذى ذهبوا اليه والذى اوجب ذلك الشك هو ان عالما وعلمًا
على عده واحده اذكر منهما اربعة احرف وليس بينهما زياده نقل فيها الادنى الى الاعلى والذى يوجبه النظر ان يكون الامر
على عكس ما ذكروه وذلك ان يكون عالمًا المغ من علم لانه اشبه وزن الفعل القاصر بحو شرف فهو شريف
وكرم فهو كريم وعظم فهو عظيم وهذا الوزن لا يكون الا فى الفعل القاصر فلما اشبهه علما لخطر رتبه عالما الذى
هو متعد الا ترى ان وزن فعل بفتح الفاء وكسر العين يكون متعديًا نحو علم وحمد ويكون قاصرًا غير متعد نحو غضب وشبع
واما فعل بفتح الفاء وضم العين فانه لا يكون الا قاصرًا غير متعد ولما كان فعل بفتح الفاء وكسر العين مترددا بين المتعدى
والقاصر وكان فعل بضم العين قاصرا غير متعد صار القاصر اضعف مما يرد من المتعدى والقاصر وحيث كان
الامر كذلك واشبه وزن المتعدى وزن القاصر حط ذلك من رتبته وجعله فى الرتبه دون المتعدى الذى ليس
بقاصر هذا هو الذى اوجب لى الاشكال فمن ذهب اليه غرى من علماء العربيه ولربما كان الذى ذهبوا اليه لامر خفى
عنى ولو اطلع عليه النوع الثالث عشر من عكس الظاهر وهو من مستطرفات علم البيان وذلك
وذلك انك تذكر كلامًا مما دل ظاهره انه نفى لصفه موصوف وهى نفى للموصوف اصلا فمما ورد منه قول على رضى
طالب رضوان الله عليه فى مجلس رسول الله صلعم فقال لا تثنى فلتاتهُ اى لا تذاع سقطاتهُ فظاهر هذا اللفظ انه كان ثم
فلتات غيرانها لا تذاع وليس المراد ذلك بل المراد انه لم تكن ثم فلتات فتثنى وهذا من اغرب ما وسعت فيه اللغه العربيه
وقد ورد فى الشعر كقول بعضهم ولا ترى لضبت ها ينجحر فان ظاهر المعنى من هذا البيت انه كان هناك
ضبٌّ ولكنه غير منجحر وليس كذلك بل المعنى انه لم يكن هناك ضبٌّ اصلًا وهذا النوع من الكلام قليل الاستعمال وسبب
ذلك ان الفهم لا يابَاه ولا تقبله الا بقرينه خارجه عن اللفظ تدل على معناه وما كان عاريا عن قرينه فانه لا يفهم منه
ما اراد حامله وسامعه فاما قولنا فى مجلس رسول الله صلعم لا تثنى فلتاتهُ فان مفهوم هذا اللفظ انه كان هناك
فلتات لانها تطوى ولا تنشر وتكتم ولا تذاع ولا يفهم منه انه لم يكن هناك فلتات اصلا الا لقرينه خارجه عن اللفظ
وهى انه قد ثبت فى النفوس وتقرر عند العقول ان مجلس رسول الله صلعم منزه عن فلتات تكون به وهو اكرم من ذلك
واوقر فلما قيل انه لا تثنى فلتاته فهمنا انه لم يكن هناك فلتات اصلا وانما قولنا لقايل ولا ترى لضب بها ينجحر
فانه لا قرينه تخصصه حتى يفهم منه ما فهم من الاول بل المفهوم منه انه كان هناك ضبٌّ ولكنه غير منجحر ولقد
مكثت زمانا اطوف على اقوال الشعراء قصدًا للظفر بامثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم اجد الا بيتا واحدًا
وهو اذا نيل حلباب الحياء فلن يرى لذيولهن على الطريق غبار وظاهر هذا الكلام ان هولاء النسا مشين
هونًا لحيائهن فلا يظهر لذيولهن غبار على الطريق وليس المراد ذلك بل المراد انهن لا يمشين على الطريق اصلا الى ان
يخبات للاخرجن من بيوتهن ولا يكون اذن لذيولهن على الطريق غبار وهذا حسن رائق وهو اظهر بيانا من قولهم
ولا ترى لضب بها ينجحر ومن استعمل هذا النوع من الكلام فليستعمله هكذا والا فليدع على ان الاكثار من استعماله
عسر لانه لا يظهر المعنى فيه النوع الرابع عشر من الاستدراج وهذا النوع انما استخرجته من كتاب لله عز
وهو مخادعات لا اقول الى يقوم مقام مخادعات لا فعال والكلام فيه وان تضمن بلاغه فليس الغرض ههنا ذكر البلاغة

فقط

فقط بل العرض ذكرها بضمنه من النكت الدقيقه فى استدراج الخصم الى الاذعان والتسليم واذا حققت النظر فيه
علمت ان مدار البلاغه كلها عليه لانه لا انتفاع بايراد الالفاظ الملمعه الرائقه ولا المعانى اللطيفه الدقيقه
دون ان يكون مستجلبه لبلوغ غرض المخاطب بها والكلام فى مثل هذا يستدعى ان يكون قصيرًا فى خطابه لا قصيرًا
فى خطابه واذا لم يتصرف الكاتب فى استدراج الخصم الى الفائده والافلس بكاتب ولا شبيه له الا صاحب الجدل
فكما ان ذاك يتصرف فى المغالطات القياسيه فكذلك هذا يتصرف فى المغالطات الخطابيه وقد ذكرت فى هذا
النوع ما تتعلم منه سلوك الطريق ومن ذلك قوله تعالى وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول
ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله
لا يهدى من هو مسرف كذاب الا ترى ما احسن ما اخذ هذا الكلام والطفه فانه اخذهم بالاحتجاج على طريقه التقسيم
فقال لا يخلو هذا الرجل من ان يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا تتعداه او يكون صادقا فبعض الذى يعدكم ان
تعرضتم له وفى هذا الكلام من حسن الادب والانصاف ما اذكره لك فقوله انما قال يصبكم بعض الذى
يعدكم وقد علم انه نبى صادق وان كل ما يعدهم به لا بد ان يصيبهم لا بعضه لانه اخاج فى مقاولة خصوم موسى
عليه السلام ان يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفه فى القول وما يتهم من جهة المناصحه ليكون ادعى الى سكونهم
اليه فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل فى تصديقهم اياه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذى
يعدكم وهو كلام المنصف فى مقاله غير المشتط وذلك انه حيز فرضه صادقا فقد ابت انه صادق فى جميع ما
يعد به لكنه اردف قوله يصبكم بعض الذى يعدكم ليهضمه بعض حفه وظاهر الكلام فيهما انه ليس بكلام
مراعاه حقه وافيًا فضلا ممن تعصب له وعدم انصاف الكاذب على الصادق ومن هذا القبيل كانه برطلهم فى
صله الكلام بما يرغمونه لئلا ينفروا منه وكذلك قوله فى اخر الايه ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب اى هو
على الهدى ولو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للبينات ولا عضده بالبينات وفى هذا الكلام من خداع الخصم
واستدراجه ما لا يخفاه به ويتضمن من اللطائف لدقته ما اذا املته حق التامل اعطته حقه من الوصف
ومما يجرى على هذا الاسلوب قوله تعالى واذكر فى الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيًا اذ قال لابيه يا ابت
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا يا ابت انى قد جاءنى من العلم ما لم يات فاتبعنى اهدك صراطا سويًا
يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيًا يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان
وليا هذا كلام تهز اعطاف السامعين وفيه من لطائف ما ذكرته وهو انه لما اراد ابرهيم عليه السلام ان ينصح اباه
ويعظه وينقذه مما كان متورطا فيه من الخطاء العظيم الذى يجب امر العقل ترتب معه فى احسن نظام مع
استعمال المجاملة واللطف والادب الجميل والخلق الحسن مستنصحا فى ذلك بنصيحة ربه وذلك انه طلب منه
اولا العلة فى خطيئته طلب منبه على تماديه موقظ من غفلته لان المعبود لو كان حيًا مميزا سميعا بصيرا
مقبلًا على الثواب والعقاب الا انه بعض الخلق لا ستسخف عقل من اهله للعبادة ووصفه بالربوبيه
ولو كان اشرف الخلق كالملك والنبى فكيف من جعل المعبود جمادًا لا يسمع ولا يبصر يعنى الصنم ثم ثنى
ذلك بدعوته الى الحق متلطفا به فلم يسم اباه بالجهل المطلق ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معى
لطائف من العلم وشيا منه وذلك علم الدلاله على سلوك الطريق ولا تستنكف وهب انى واياك فى مسير
وعندى معرفه لهدايه الطريق وانك فاتبعنى اهدك من ضل ثم بلث ذلك بشبطه مما كان عليه ولهذه

ببيتهم

الكلام

ان اسم الفاعل من علم وهو متعد وان عليما الذى هو من علم لازم

ولا يجوز ان يكون عالما من علم لازم

ولا يجوز ان يكون عالما من علم متعد

ولا يجوز ان يكون عالما من علم متعد

ولا يجوز ان يكون عالما من علم متعد

فقال ان الشيطان الذى استعصى على ربك وهو عدوك وعدو ابيك ادم هو الذى ورطك فى هذه الورطة
والقاك فى هذه الضلالة وانما الغى ابرهيم عليه السلام ذكر معاداة الشيطان لذريته فى صحيفته اباه لانه لا يمعن
فى الاخلاص لم يذكر من خيانتى الشيطان الا التى تختص بالله وهى عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته ادم
وذريته ثم ربح ذلك تخويفه سوء العاقبة فلم يصرح بان العقاب لاحق به ولكنه قال انى اخاف ان يمسك عذاب
فنكر العذاب ملاطفة لابيه وصدر كلامه بصيغة مرهذه النصائح بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا وهذا
بخلاف ما اجابه ابوه فانه قال اراغب انت عن الهتى يا ابرهيم فاقبل عليه بقاطعه الكفر وعلظ العناد فناداه باسمه
ولم يقابل قوله يا ابت بقوله يا بنى وقدم الخبر على المبتدا فى قوله اراغب انت لانه كان اهم عنده وفيه نوع من التعجب
والانكار لرغبة ابرهيم عن الهتة وفى الفراء الكريم مواضع كثيرة من هذا الجنس لاسيما فى مخاطبة الانبياء صلوات الله عليهم
للكفار والرد عليهم وفى هذه الشواهد المذكورة هاهنا كفاية ومقنع ● ولنعن حديث نفاوض فيه الحسن رض
صلوات الله عليهما ومعوية رض الى سفيان فى امر ولده يزيد وذلك ان معوية قال للحسن انى امتك فاطمة فالها
خير من امتى وفاطمة بنت رسول الله ص خير من امراة مركب واما حبتى يزيد فانى لو اعطيت به مثلك ملء العوطة لما
رضيت واما ابوك وابوه فانهما تحاكما الى الله فحكم لابيه على ابيك ● وهذا كلام من معوية كلما امرته بفكرى عجبت من
سداده فضلا عن بلاغته وفصاحته فان معوية علم ما لعلى صلوات الله عليه من السبق الى الاسلام والاثر فيه وما
عنده من فضل العلم فلم يعرض فى المنافرة الى شئ من ذلك كله ولم يقل انظر ان الله اعطانى الدنيا ونزعها منكم لان
هذا لا فضل فيه اذ الدنيا نيلها البر والفاجر وانما صانع عن ذلك كله بقوله ان اباك اباه تحاكما الى الله فحكم لابيه
على ابيك وهذا قول ايهامى يوهم شبهة مر الحق واذا شام برقا فرخصه وتسدده الى الصمت عن الجواب فلم يقل هكذا

قال ع

النوع الخامس عشر فى الايجاز

وهو حذف زيادة الالفاظ وهذا نوع من الكلام شريف لا يتعلق به الا
فرسان البلاغة ممن يستبق الى غاياتها وما صلى ● وضرب فى اعلاء درجاتها بالقدح المعلى ● وذلك لعلو مكانه ● وتعذر امكانه
والنظر فيه انما هو الى المعانى لا الى الالفاظ ولست اعنى بذلك ان يهمل الالفاظ لحسن تعريها واوصافها الحسنة
بل اعنى ان مدار النظر فى هذا النوع انما اختص بالمعانى فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير ورب لفظ كثير يدل على معنى
قليل ومثال هذا كالجوهرة الواحدة بالنسبة الى الدراهم الكثيرة ينظر الى طول الالفاظ بوزن الدراهم لكثرتها وينظر
الى المعانى بوزن الجوهرة الواحدة لنفاستها ولهذا سمى النبى ص الفاتحة ام الكتاب واذا انظر انا الى مجموعها وجدناه
يسيرا وليس من الكثرة فى غاية يكون لها ام البقرة وال عمران وغيرهما من السور الطوال فعلى هذا ان ذلك لامر يرجع الى
معانيها والكلام فى هذا الموضع يخرجنا الى غير ما نحن بصدده لانه يحتاج فيه الى ذكر المراد بالقرآن وما تشتمل عليه
سوره واياته والى حصر اقسام معانيه لكنا نشير الى ذلك اشارة خفيفة ونقول المراد بالقرآن هو دعوة العباد
الى الله عز وجل لذلك انحصرت سوره واياته فى ستة اقسام بللة منها هى الاصول وبللة هى الفروع اما الاصول فالاول منها
تعريف المدعو اليه وهو الله عز وجل ويشتمل هذا الاصل على ذكر ذاته وصفاته وافعاله والاصل الثانى تعريف الصراط
المستقيم الذى يجب ملازمته فى السلوك الى الله عز وجل ويشتمل هذا الاصل على البتة لعبادة الله تعالى وافعال
الجوارح والاصل الثالث تعريف الحال بعد الوصول الى الله عز وجل اعنى بعد الموت ويشتمل هذا الاصل على تفصيل احوال
الدار الاخرة من الجنة والنار والصراط والميزان والحساب واشباه ذلك فهذه الاصول بللة ● واما الفروع فالاول منها
تعريف احوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله عز وجل معهم من النصرة والاداله وتعريف احوال المخالفين للدعوة والمحاربين لها

هذه الفصل من كلام الغزالى فى فحوى القرآن رحمه الله

وكيفية

وكيفية صنع الله تعالى فى المنتصر عليهم والتنكيل بهم والفرع الثانى ذكر مجادلة الخصوم ومحاجتهم وحملهم المجادلة
والمحاجة على طريق الحق وهؤلاء هم اليهود والنصارى ومن يجرى مجراهم من ارباب الشرايع والفلاسفة والملحدة ومن غير
ارباب الشرايع والفرع الثالث تحمله منازل الطريق وكيفية اخذ الزاد والاهبة للاستعداد وذلك هو قوانين الشريعة
وسير الحكمة وأوامرها التى تتعلق افعال اهل التكليف فهذه الاقسام الستة المشار اليها هى التى يدور معانى القرآن
عليها والاستعداد لها وهاهنا تقسيم اخر يطول الخطب فيه ولا حاجة الى ذكره واذا نظرنا الى سورة الفاتحة وما حملنا
ما فيها من المعانى وجدناها مشتملة على اربعة اقسام من الستة المذكورة ولذلك سماها النبى ص ام الكتاب كانه
قال ان سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن واذا نظرنا الى الاقسام الستة وجدنا سورة الاخلاص تمثل ثلث القرآن
وكذلك قال النبى ص ايه الكرسى سيدة اى القرآن وروى انه سال ابى بن كعب رض فقال اى آية معك فى كتاب الله
اعظم فقال الله لا اله الا هو الحى القيوم فضرب فى صدره فقال ليهنك العلم ابا المنذر وكل هذا يرجع الى
المعانى لا الى الالفاظ فاعرف ذلك وتنبه لرموزه واسراره ● واعلم ان جماعة ممن ادعى علم البيان ذهبوا
الى ان الكلام ينقسم قسمين منه ما حسن فيه الايجاز كالاشعار والمكاتبات ومنه ما حسن فيه التطويل
كالخطب والمقلدات وكتب الفتوح التى تقرا فى ملاء من عوام الناس فان الكلام اذا طال وشمل ذلك انزع
عندهم وافهمهم ولو اقتصر فيه على الايجاز والاشارة لم يقع لاكثرهم حتى يحتاج ذكر الحرب التقى الجمعان وتطاعن
الفريقان واشتد القتال وحمى النضال وما جرى هذا المجرى والمذهب عندى فى ذلك ما اذكره وهو ان فهم
العامة ليس شرطا معتبرا فى اختيار الكلام لانه لو كان شرطا لوجب على قياسه ان تستعمل فى الكلام الالفاظ
العامية المبتذلة عندهم لتكون ذلك اقرب الى فهمهم لان العلة فى اختيار تطويل الكلام اذا كانت فهم العامة
اياه فكذلك تجعل تلك العلة بعينها فى اختيار المبتذل من الكلام فانه لا خلاف فى ان العامة الى فهمه
اقرب من فهمها تقل التذاذهم اياه وهذا شئ مدفوع وانما الذى يجب توخيه واعتماده هو ان نسلك المذهب
القويم فى تركيب الالفاظ على المعانى بحيث لا يزيد هذه على هذه مع الاضاح والابانة وليس على مستعمل ذلك
ان نفهم العامة كلامه فان نور الشمس اذا لم يره الاعمى لا يكون ذلك نقصا فى استنارة وانما النقص فى قصر
الاعمى حيث لم يستطع النظر اليه ● على انى لست اقول فى مقاطعها ● وما على اذا لم يفهم البقر ● وحيث
انتهى بنا القول الى هذا الموضع فلنرجع الى ما هو غرضنا ومهمتنا من الكلام على الايجاز وحده واقسامه ونوضح
ذلك ايضاحا جليا والله الموفق للصواب فنقول احد الايجاز هو الدلالة اللفظ على المعنى من غير ان يزيد عليه و
التطويل هو ضد ذلك وهو ان يدل على المعنى بلفظ يكفيك بعضه فى الدلالة عليه كقول العجير السلولى
من مراثى الحماسة ● طلوع الثنايا بالمطايا وسائق ● الى غاية من شتد نهايا يقدم ● فصدر هذا البيت فيه
تطويل لا حاجة اليه وعجزه من محاسن الكلام المتواصفة وموضع التطويل من صدره انه قال طلوع الثنايا
بالمطايا فان لفظة المطايا والثنايا فضله لا حاجة اليها وسان ذلك انه لا يخلو امر فهما من وجهين اما ان
يريد انه سامى الهمم الى معالى الامور كما قال المحاج على المنبر عند وصوله العراق انا ابن جلا وطلاع الثنايا ●
انا الرجل المشهور السامى الهمم الى معالى الامور لا ابن جلا الرجل المشهور وطلاع الثنايا هو السامى الى
معالى الامور فان اراد العجير بقوله طلوع الثنايا ما اشرت اليه فذكر المطايا يفسد ذلك المعنى لان معالى
الامور لا ترتفع اليها بالمطايا وان اراد الوجه الاخر وهو انه كثير الاسفار واختصاصه الثنايا بالذكر دون الارض

تعريض

من يعارض الكلام بما لا يفهم

حد الايجاز والتطويل

مر المفاوز وغيرها لا فائدة فيه وعلى كلا لو جهر فان ذكر المطايا فضله لا حاجة اليه وهو تطويل بارد عث
فقس على هذا المثال ما يجري مجراه من التطويلات التي اذا سقطت من الكلام بقي على حاله لم يفتقر منه شيء وكذلك
يجري لا مر ح الفاظ توصل بها الكلام فتارة يجيء لفائدة وذلك قليل وتارة يجيء لغير فائدة وذلك كثير وا كثر ما ترد
في الاشعار لتوزن بها الابيات الشعرية وذلك نحو قولهم لعمري ولعمرك ولخواصبح وامسى وظل واضحى وبات
واشباه ذلك ونحو يا صاحبي ويا خليلي وما يجري هذا المجرى فمتى جاء منه قول الى تمام •
اقر لعمري لحكم السيوف • وكانت احق بفصل القضاء • فان قوله لعمري زادة لا حاجة للمعنى اليها وهي
حشو في هذا البيت لا فائدة فيه الا صلاح الوزن لا غير الا ترى انها من باب القسم وانما ترد القسم ح موضع يؤكد
به المعنى المراد اما لانه مما يشك فيه او مما يعز وجوده او ما جرى هذا المجرى وهذا البيت الشعري لا تفتقر
معناه الى توكيد قسمي اذ لا شك في ان السيوف حاكمة وان كل احد تفر لحكمها ويذعن لطاعتها وكذلك قوله ايضا
اذا انا لم ار عثرات دهر • بليت به الغداة فمن اليوم • فقوله الغداة للحاجة للمعنى اليها لانه يتعذر دونها لان
عثرات الدهر لم تنله الغداة ولا العشي وانما نالته وينالها اياه لا محالة ان يقع في زمن لا زمنة كانت ما كان
وللحاجة الى تعيينه ما ذكر وعلى هذا ورد قول البحتري •
ما احسن الايام الا انها • يا صاحبي اذا مضت لم ترجع • فقوله يا صاحبي زادة لا حاجة للمعنى اليها
الا انها وردت لتصحيح الوزن لا غير وهذه الالفاظ التي وردت في الابيات الشعرية لتصحيح الوزن للعيب فيها لانها
لو عبسا على الشعر التحرنا عليهم وضيقنا والوزن ح بعض الاحوال يضطر الى مثل ذلك لكن اذا وردت في الكلام
المنثور فانها اذا وردت حشوا ولم ترد لفائدة كانت عيبا وقد رد في الابيات الشعرية ويكون ورودها لفائدة
وذلك هو الاحسن كقول البحتري • قوم اهانوا الوفر حتى اصبحوا • اولى الانام بكل عرض وافر • فقوله
اصبحوا بمعنى صاروا اي انهم صاروا اولى الاعراض الوافرة وهذه اللفظة لم ترد في هذا البيت حشوا كما وردت في
بيتي الى تمام المقدم ذكرهما وسازيد هذا الموضع بيانا بمثال اضربه للتطويل حتى يستدل به على امثاله واشباهه
والمثال الذي اضربه هو حكاية اوردت بمحضر مني وذلك انه جلس الى ح بعض الايام جماعة من الاخوان واخذوا
في مفاوضة الاحاديث وانساق ذلك الى ذكر عجائب الوقائع التي تقع في العالم وذكر كل واحد من الجماعة شيئا فقال شخص
منهم اني كنت بالجزيرة العمرية ح زمن الملك فلان وكنت اذ ذاك صبيا صغيرا فاجتمعت انا ونفر من الصبيان
في الحارة الفلانية وصعدنا الى سطح طاحون لبني فلان واخذنا نلعب على السطح فوقع صبي منا الى الارض
التي للطاحون فوطئ بغل من بغال الطاحون فحفنا ان يكون اذاه فاسرعنا النزول اليه فوجدناه قد وطئ البغل
فختنه ختانة صحيحة لا يستطيع الصانع الحاذق ان يفعل خيرا منها فقال له شخص من الحاضرين والله ان هذا عي
فاحش وتطويل كثير الحاجة اليه فالك بصدد ان تذكر انك كنت صبيا تلعب مع الصبيان على سطح طاحون
فوطئ بغل من بغال الطاحون فختنه ولم يؤذه ولا فرق بيرن تكون هذه الواقعة في بلد تعرفه او بلد لا تعرفه ولو
كانت باقصى الشرق او باقصى الغرب لو تركت ذلك قد حا في غرضها واما ما ذكرت انها كانت بالجزيرة العمرية ح الحارة
الفلانية ح طاحون بني فلان وكانت في زمن الملك فلان فان هذا كله تطويل لا حاجة البه والمعنى المقصود يفهم
بدونه • واعلم انها الناظر ح كما في هذا ان التطويل هو زيادات الالفاظ والدلالة على المعاني ومهما امكنك
حذف شيء من اللفظ في الدلالة على معنى من المعاني فان ذلك اللفظ هو التطويل بعينه • واما الايجاز فقد عرفتك

انه

زيادة م

التاسع ص

فوق ص ينظر الى ص الطاحون ح

الاجرة ختم القرآن على زمان رسول الله ع
واصحابه من بعده رضوان الله عليهم روي عن
عبد الله بن ابي مالك رض اربعة دينار ونصف
دينار وكل دينار عشرة دراهم وانا في زماننا
هذا بخمسة واربعين درهما من قرأ على اقل من
هذه الاجرة بشرط الاجرة لا يكون ثوابه للقارئ
ولا للمقرأ عليه كما قال الله تعالى ولا تشتروا
بآياتي ثمنا قليلا واتفق العلماء المتأخرون
والمتقدمون على هذا هكذا منقول عن نسخة
قاضي خان

ايجاز حذف

انه دلالة اللفظ على المعنى من غير ان يزيد عليه وهو ينقسم قسمين احدهما الايجاز بالحذف وهو ما يحذف
منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون الا فيما زاد معناه على لفظه والقسم الاخر
ما لا يحذف منه شي وهو ضربان احدهما ما ساوى لفظه معناه ويسمى التقدير والاخر ما زاد معناه
على لفظه ويسمى القصر واعلم ان القسم الاول الذي هو الايجاز بالحذف يتنبه له من غير كلفة في استخراجه
لمكان المحذوف منه واما القسم الثاني فان التنبه له عسر لانه يحتاج الى فضل تامل وطول فكره لخفا
ما يستدل به عليه ولا يستنبط ذلك الا من رست قدمه في ممارسة علم البيان وصار له خليقة وملكة
ولم اجد احدا علم هذين القسمين بعلامة ولا قيدهما بقيد وقد اشرت الى ذلك فيما ياتي من هذا الباب عند
تفصيل امثلتهما فليوخذ من هناك • فان قيل ان هذا التقسيم الذي قسمته في المحذوف وغير المحذوف
ليس بصحيح لان المعاني ليست اجساما كالالفاظ حتى يصح التقدير بينهما ثم ولو سلمت جواز التقدير في
المساواة لم اسلم جواز الزيادة فليس لقائل ان يقول هذا المعنى زائد على هذا اللفظ لانه ان قال ذلك
قيل فمن اين فهمت تلك الزيادة الخارجة عن اللفظ وقد علم ان الالفاظ انما وضعت للدلالة على افهام
المعاني فان قال انما فهمت من شي خارج عن اللفظ قيل له فتلك الزيادة بازاء ذلك الشي الخارج عن اللفظ
والباقي مساو للفظ وان قال انما فهمت من اللفظ قيل فكيف تفهم منه وهي زائدة عليه فان قال انها
فهمت من تركيبه لان التركيب امر زائد على اللفظ قيل الالفاظ تدل بانفرادها على معنى وبتركيبها على معنى اخر
فاللفظ المركب يدل على معنى مركب واللفظ المفرد يدل على معنى مفرد وتلك الزيادة ان اريد بها زيادة معنى
المركب على المركب فلا يخ اما ان تكون تلك الزيادة مفهومة من دلالة اللفظ المركب عليها او من دلالة شي
خارج عنه فان كانت مفهومة من دلالته عليها لم يكن زائدة عليه اذ لو كانت زائدة عليه لما دل عليها وان كانت
مفهومة من دلالة الشي الخارج عنه فهو بازاء ذلك الشي الخارج والباقي مساو للباقي الجواب عن ذلك
ان نقول هذا الذي ذكره شبيه بالسفسطة وهو باطل من وجهين احدهما ان المعاني اذا كانت لا تزيد على الالفاظ
فيلزم من ذلك ان الالفاظ لا تزيد ايضا على المعاني لانهما متلازمان على قياسك ونحن نرى معنى قد دل عليه بالفاظ
فاذا اسقط من تلك الالفاظ شي لا ينقص ذلك المعنى بل يبقى على حاله الوجه الاخر ان الايجاز بالحذف اقوى دليلا
على زيادة المعاني على الالفاظ لانا نرى اللفظ يدل على معنى لم يتضمنه وفهم ذلك المعنى ضروري لا بد منه
فعلمنا ح ان ذلك المعنى الزائد على اللفظ مفهوم من دلالته عليه فان قيل ان المعنى الزائد على اللفظ المحذوف
لا بد له من تقدير لفظ اخر يدل عليه وتلك الزيادة بازاء ذلك اللفظ المقدر قلت في الجواب عن ذلك هذا
لا ينقض ما ذهبت اليه من زيادة المعنى على اللفظ لان المعنى الزائد ظاهر واللفظ الدال عليه مضمر واذا كان
مضمرا فلا ينطق به واذا لم ينطق به فكانه لم يكن وح يبقى المعنى موجودا واللفظ الدال عليه غير موجود وكذلك
كل ما يعلم من المعاني بمفهوم الخطاب الا ترى انك اذا قلت لمن دخل عليك اهلا وسهلا علم ان الاهل والسهل منصوبان
محذوف تقديره وجدت اهلا ولقيت سهلا الا ان لفظتي وجدت ولقيت محذوفتان والمعنى الذي دلتا عليه
باق فصار المعنى المعنى ح مفهوما مع حذفهما فهو اذن زائد لا محالة وكذلك المحذوفات على اختلافها وتشعب
مقاصدها وهذا لا نزاع فيه لبيانه ووضوحه وقد سنح لي في زيادة المعنى على اللفظ في غير المحذوفات دليل
انا ذاكره وهو انا نجد من الكلام ما يدل على معنيين وثلثة واللفظ فيه واحد والمعاني التي تحته متعددة

كلام م

بعامل ح

جميع ح

فاما الذي يدل على معنيين فالكنايات جميعها كالذي ورد في الحديث عن النبي ص وعن اصحابه رضي الله عنهم انهم
كانوا اذا خرجوا من عنده لا يتفرقون الا عن ذواق وهذا يدل على معنيين احدهما اطعام الطعام اي انهم لا يخرجون
من عنده حتى يطعموا ● الآخر انهم لا يتفرقون الا عن استفادة علم وادب يقوم لانفسهم مقام الطعام لاجسامهم
واما الذي يدل على ثلثة معان فكقول ابي الطيب المتنبي ●
واظلم اهل الظلم من بات حاسدا ● لمن بات في نعمائه يتقلب ● فهذا يدل على ثلثة معان الاول انه يحسد من انعم عليه
الثاني ضد الاول الثالث انه يحسد كل رب نعمة كائنا من كان اي يحسد من بات في نعماء نفسه يتقلب وهذا
وامثاله من ادل دليل على زيادة المعنى على اللفظ وهو شيء استخرجته ولم يكن لاحد فيه قول سابق وحيث فرغنا
من الكلام على هذا الموضع فلنتبعه بذكر اقسام الايجاز المشار اليها اولا اولا وما ينصرف اليه فنقول اما
الايجاز بالحذف فانه عجيب الامر شبيه بالسحر وذاك انك ترى فيه ترك الذكر افصح من الذكر والصمت عن الافادة
ازيد للافادة وتجد انطق ما يكون اذا لم تنطق واتم ما يكون مبينا اذا لم تبين وهذه جملة ينكرها حتى يخبر ويدفعها
حتى ينظر والاصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها ان يكون في الكلام ما يدل على المحذوف فان لم
يكن هناك دليل على المحذوف فانه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا يثبت ومن شرط المحذوف في علم البلاغة
انه متى اظهر صار الكلام الى شيء غث لا يناسب ما كان عليه اولا من الطلاوة والحسن وقد يظهر المحذوف بالاعراب
كقولنا اهلا وسهلا يدل على ناصب محذوف وليس هذا من الحسن ما للذي لا يظهر وانما يظهر بالنظر الى تمام المعنى
كقولنا فلان يحل ويعقد فان ذلك لا يظهر المحذوف فيه بالاعراب وانما يظهر بالنظر الى تمام المعنى اي انه
يحل الامور ويعقدها والذي يظهر بالاعراب يقع في المفردات من المحذوفات كثيرا والذي يظهر لا بالاعراب
يقع في الجمل من المحذوفات كثيرا وسأذكر في كتابي هذا ما وصل الي علمه وهو ينقسم قسمين احدهما حذف الجمل
والآخر حذف المفردات وقد يرد كلام في بعض المواضع ويكون مشتملا على القسمين معا فاما القسم الاول
وهو الذي يحذف منه الجمل فانه ينقسم قسمين ايضا احدهما حذف الجمل المفيدة التي يستقل بنفسها كلاما
وهذا احسن المحذوفات جميعها وادلها على الاختصار ولا تكاد تجده الا في كتاب الله تعالى والقسم الآخر
حذف الجمل غير المفيدة وقد وردا هاهنا مختلطين وجملتها اربعة اضرب الضرب الاول حذف السؤال المقدر
ويسمى الاستيناف ويأتي على وجهين الوجه الاول اعادة الاسماء والصفات وهذا يجيء تارة باعادة اسم من تقدم
الحديث عنه كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة يجيء باعادة صفته كقولك احسنت
الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك وهو احسن من الاول وابلغ لانطوائه على بيان الموجب للاحسان
وتخصيصه ● فمما ورد من ذلك قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون
الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون فالاستيناف واقع في هذا الكلام على اولئك لانه لما قال الم ذلك الكتاب
الى قوله وبالآخرة هم يوقنون اتجه لسائل ان يقول ما بال المستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب
بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا ● الوجه الثاني
الاستيناف بغير اعادة الاسماء والصفات وذلك كقوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ
من دونه آلهة ان يردني الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون

قيل

قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فمخرج هذا القول مخرج الاستيناف
لان ذلك من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه كان قائلا قال كيف حال هذا الرجل عند لقاء ربه بعد ذلك التصلب في
دينه والتنحي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول لا الى المقول له مع كونه
معلوما وكذلك قوله تعالى يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد ومن هذا النحو قوله تعالى يا قوم اعملوا على
مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب والفرق بين اثبات الفاء في
سوف كقوله تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم وبين
حذف الفاء هاهنا في هذه الآية ان اثباتها وصل ظاهر بحذف موضوع للوصل وحذفها وصل خفي تقديري
بالاستيناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال
سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستيناف للتفنن في البلاغة واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف
وهو قسم من اقسام علم البيان يتكاثر محاسنه فاعرفه ان شاء الله تعالى ● الضرب الثاني الاكتفاء بالسبب عن المسبب
وبالمسبب عن السبب فاما الاكتفاء بالسبب عن المسبب فكقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى
الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر فكانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى
له وعليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب الذي هو الوحي على عادة
اختصارات القرآن لان تقدير الكلام ولكنا انشأنا بعد عهد الوحي الى موسى الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على
آخرهم وهو القرن الذي انت فيهم العمر اي امد انقطاع الوحي فاندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك
وعرفناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى فالمحذوف اذن جملة مفيدة وهي جملة مطولة دل السبب فيها
على المسبب ● وكذلك ورد قوله تعالى عقيب هذه الآية ايضا وهو وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك
لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك فذكر الرحمة التي هي سبب ارساله الى الناس ودل بها على المسبب الذي هو
الارسال ● واما حذف الجملة غير المفيدة من هذا الضرب فنحو قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام قالت انى يكون لي غلام ولم
يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا
فقوله ولنجعله آية للناس تعليل معلله محذوف اي وانما فعلنا ذلك لنجعله آية للناس ودل به على المسبب
الذي هو الفعل ● ومما ورد من ذلك في الاخبار النبوية قصة الزبير بن العوام رض والرجل الانصاري الذي خاصمه
في شراج الحرة التي يسقى منها النخل فلما حضرا بين يدي رسول الله ص قال للزبير اسق ثم ارسل الماء الى جارك فغضب
الانصاري وقال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله ص وقال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى
الجدر وفي هذا الكلام محذوف تقديره ان كان ابن عمتك حكمت له او قضيت له او ما جرى هذا المجرى فذكر
السبب الذي هو كونه ابن عمته ودل على المسبب الذي هو الحكم او القضاء لدلالة الكلام عليه واما الاكتفاء بالمسبب
عن السبب فكقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم اي اذا اردت قراءة القرآن فاكتفى بالمسبب
الذي هو القراءة عن السبب الذي هو الارادة والدليل على ذلك ان الاستعاذة قبل القراءة والذي دلت عليه انها بعد
القراءة كقول القائل اذا ضربت زيدا فاجلس فان الجلوس انما يكون بعد الضرب لا قبله وهذا اولى من تأويل من ذهب
الى انه اراد فاذا تعوذت فاقرأ لان في ذلك قلبا لا ضرورة تدعو اليه وايضا فليس كل مستعيذ واجبة عليه القراءة
وعلى هذا ورد قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم والوضوء انما يكون قبل الصلوة لا عند القيام اليها

لا العيام اليها

وهي مباشرة افعالها من الركوع والسجود والقراة وغير ذلك وهذا انما يكون بعد الوضوء وتاويل الايه اذا اردت
القيام الى الصلوة فاغسل فاكتفى بالمسبب عن السبب وكذلك ورد قول النبي اذا قام احدكم الى الصلوة فليتوضا
اي اذا اراد القيام الى الصلوة وانما يعبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لان الفعل مسبب عن الاراده وهو مع
القصد اليه موجود وكان منه بسبب وملابسة ظاهرة • ومن ذلك قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا اي فضرب فانفجرت منه فاكتفى بالمسبب الذي هو الانفجار عن السبب الذي هو الضرب •
الضرب الثالث وهو الاضمار على شريطة التفسير وهو ان يحذف من صدر الكلام ما يوتى به في اخره فيكون
الاخر دليلا على الاول وهو ينقسم الى ثلثة اوجه الاول ان ياتي على طريق الاستفهام فتذكر الجملة الاولى دون
الثانية كقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال
مبين تقديره افمن شرح الله صدره للاسلام كمن قسى قلبه ويدل على المحذوف قوله فويل للقاسية قلوبهم
الوجه الثاني يرد على حد النفي والاثبات كقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا تقديره لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ومن انفق من بعده وقاتل ويدل
على المحذوف قوله اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا • الوجه الثالث يرد على غير هذين الوجهين
فلا يكون استفهاما ولا نفيا واثباتا وذلك كقول ابي تمام •

يتجنب الاثام ثم يخافها • فكانما حسناته اثام • وهذا البيت اختلف نسخ ديوانه

في اثباته فمنها ما يجيء فيه يتجنب الاثام حيث عنها • فكانما حسناته اثام • وليس بشيء لان المعنى لا
يصح به • وكنت سئلت عن معناه وقيل كيف ينطبق عجز البيت على صدره واذا اجتنب الاثام وخافها فكيف
تكون حسناته اثاما فافكرت فيه واعملت نظري فسنح لي في القران الكريم اية مثله وهي قوله تعالى والذين يوتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة وفي صدر البيت ضمار مفسر في عجزه وتقديره انه يتجنب الاثام فيكون قد اتى الحسنة
ثم يخاف تلك الحسنة فكانما حسناته اثام وهو على طباق الاية سوى • ومن الاضمار على شريطة التفسير قول
ابي نواس • سنة العشاق واحدة • فاذا احببت فاستكن • فحذف لفظ الاستكانة من الاول وذكره
في الثاني اي سنة العشاق واحدة وهي الاستكانة فاذا احببت فاستكن ومن الناس من يقول فاذا احببت فاستبن
وهذا لا معنى له لانه اذا لم يبين سنة العشاق ما هي فاي شيء يستبين المستبين منها لكنه ذكر السنة في صدر البيت
من غير بيان ثم بينها في عجزه • الضرب الرابع ما ليس بسبب ولا مسبب ولا اضمار على شريطة التفسير ولا استئناف
فاما ما حذف فيه من الجمل المفيدة فكقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام قال تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم
فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم
ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به وقد حذف من هذا جملة مفيدة تقديرها
فرجع الرسول اليهم واخبرهم بما قاله يوسف فعجبوا لها او فصدقوه عليها وقال الملك ائتوني به والمحذوف اذا كان
كذلك دل عليه الكلام دلالة ظاهرة لانه اذا انتفت حاشيتا الكلام وحذف وسطه ظهر المحذوف لدلالة الحاشيتين
عليه وكذلك ورد قوله تعالى في هذه السورة ايضا فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني
اعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين وقد حذف من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها

الكلام حج

يوسف ح

ثم

ومن الحذف للجمل المفيدة ما يعتبر تقدير المحذوف منه بخلاف ما تقدم الا ترى ان الايات المذكورة كلها اذا تاملها المتامل وجد معانيها متصلة من غير تقدير للمحذوف
التي حذفت منها ثم اذا قدر المحذوف فيها سهل تقديرها ببداهة النظر والذي اذكره الان ليس كذلك بل اذا تامله المتامل وجده غير متصل المعنى واذا اراد ان يقدر المحذوف
عسر عليه ذلك فمما جاء منه قوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا

ثم انهم تجهزوا وساروا الى مصر فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه وقد ورد هذا الضرب في القران كثيرا
كقوله تعالى في سورة القصص وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له
ناصحون فرددناه الى امه كي تقر عينها وفي هذا محذوف وهو جواب الاستفهام لانها لما قالت هل ادلكم
على اهل بيت يكفلونه لكم احتاج الى جواب لينتظم ما بعده من رده الى امه والجواب فقالوا نعم فدلتهم على
على امراة فجي بها وهي امه ولم يعلموا مكانها فارضعته وهذه الجملة الثانية اعني قوله تعالى فرددناه الى امه تدل
على المحذوف لان رده الى امه لم يكن الا بعد رد الجواب على اخته ودلالتها اياهم على امراة ترضعه ويكفي هذا
الموضع وحده لمن يتبصر في مواقع المحذوفات وكيفيتها • ومما يجري على هذا النهج قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام
وقصة الهدهد في ارساله بالكتاب الى بلقيس قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا
فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم وفي هذا محذوف تقديره
فاخذ الكتاب وذهب به فلما القاه الى المراة وقراته قالت يا ايها الملا • واما ما ورد من هذا الضرب في حذف
الجمل التي ليست بمفيدة فنحو قوله تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب انى
يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم
تك شيئا قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان
سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة واتيناه الحكم صبيا هذا الكلام قد حذف منه جملة دل عليها
صدره وهو البشرى بالغلام وتقديرها ولما جاءه الغلام ونشا وترعرع قلنا يا يحيى خذ الكتاب بقوة فالجمل
المحذوفة ليست من الجمل المفيدة وعلى هذا النهج ورد قوله تعالى وقال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن
فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم
ضلوا الا تتبعن افعصيت امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل
ولم ترقب قولي وقد حذف من هذا الكلام جملة الا انها غير مفيدة وتقديرها فلما رجع موسى وراهم على تلك الحال
من عبادة العجل قال لاخيه هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن • وكذلك ورد قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام
من سورة النمل قال ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك
واني عليه لقوي امين قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده
قال هذا من فضل ربي ليبلوني اشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم قال نكروا
لها عرشها ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون وفي هذا محذوف تقديره فلما جاءته قال نكروا لها
عرشها لان تنكيره لم يكن الا بعد ان جيء به اليه وقد اغنى عن المحذوف صدر الكلام واخره فكان ذلك دليلا
عليه • ومما ورد على ذلك شعرا قول ابي الطيب المتنبي

لا ابغض العيس لكني وقيت بها • قلبي من الهم وجسمي من السقم • وهذا البيت فيه محذوف تقديره لا
ابغض العيس لانضائي اياها في الاسفار ولكني وقيت بها كذا وكذا فالثانية تدل على حذف الاول وهذا
موضع يحتاج في استخراجه واستخراج امثاله الى فكرة وتدقيق نظر • ومما يتصل بهذا الضرب حذف ما
يجيء بعد افعل كقولنا الله اكبر فان هذا يحتاج الى تمام اي اكبر من كل كبير او اكبر من كل شيء يتوهم كبيرا او ما جرى
هذا المجرى ومثله رد قولهم زيد احسن وجها واكرم خلقا تقديره احسن وجها من غيره او اكرم خلقا من غيره

داود ذا الايد انه اواب
فهذا الكلام اذا تامله المتامل
لم يجده متصل المعنى ولم يتبين
له تخريج ذكر داود عليه السلام
بعد قوله اصبر على ما يقولون
واذا اراد ان يقدر المحذوف
يتصل به المعنى عسر عليه ولقدره
بحتمل ويحتج اصحابه انه قال
اصبر على ما يقولون وعظم امر
معصية الله في اعينهم
واذكر قصة داود الذي كان نبيا
من الانبياء وقد اتاه الله حظ
النبوة والملك العظيم ثم اتاه
ثم لما زل زلة نزل به كذا وكذا
فما الظن بكم انتم مع كفركم ومعاصيكم
الاخر انه قال اصبر على ما يقولونه
واحفظ نفسك ان تزل فيما
كلفته من مصابرتهم
واحتمال اذاهم واذكر اخاك
داود وكرامته على الله كيف
زل تلك الزلة فلقي من توبيخ
الله ما لقي فهذا الكلام كما تراه
يحتاج الى تقدير حتى يتصل بعضه
ببعض وليست قصة داود
مما ينتظم صاحبها تقاله اصبر
على ما يقولونه ويتصل
طرفك ح
وهذا الموضع من الغموض بما فيه
من المحذوف وبرمته على مواضع
الحذف خافية نحو

او ما يسد هذا المسد من الكلام وعليه ورد قول البحتري •

الله اعطاك المحبة في الورى • وحباك بالفضل الذي لا ينكر •
ولانت املى في العيون لديهم • واجل قدرا في الصدور واكبر •

اي انت املى في العيون من غيرك • واما القسم الثاني المشتمل على حذف المفردات فانه يتصرف على اربعة عشر ضربا الاول حذف الفاعل والاكتفاء عليه بذكر الفعل كقول العرب ارسلت وهم يريدون جا المطر ولا يذكرون السماء ومنه قول حاتم • اماوي ما يغني الثرا عن الفتى • اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر • يريد النفس ولم يجر لها ذكر وعلى هذا ورد قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق والضمير في بلغت للنفس ولم يجر لها ذكر وقد نص عثمن بن جني رحمه الله على عدم الجواز في حذف الفاعل وهذه الاية وهذا البيت الشعري وهذه الكلمة الواردة عن العرب على خلاف ما ذهب اليه الا ان حذف الفاعل لا يجوز على الاطلاق بل يجوز في هذا سبيله • وذلك انه لا يكون الا فيما دل الكلام عليه الا ترى ان التي تبلغ التراقي انما هي النفس وذلك عند الموت فعلم ح ان النفس هي المرادة وان كان الكلام خاليا عن ذكرها وكذلك قول حاتم حشرجت فان الحشرجة انما تكون عند الموت واما قول العرب ارسلت وهم يريدون ارسلت السماء فان هذا يقولونه نظرا الى الحال وقد شاع فيما بينهم ان هذه الكلمة تقال عند مجي المطر ولم ترد في شي من اشعارهم ولا في كلامهم المنثور وانما يقولها بعضهم لبعض اذا جاء المطر فالفرق بينها وبين حشرجت وبين بلغت التراقي ظاهر وذلك ان حشرجت وبلغت التراقي يفهم منهما ان النفس هي التي حشرجت وانها هي التي بلغت التراقي واما ارسلت فلولا شاهد الحال والا لم يجز ان يكون دالة على مجي المطر ولو قيل في معرض الاستسقا انا خرجنا نسال الله فلم يزل حتى ارسلت لفهم من ذلك ان التي ارسلت هي السماء ولا بد في الكلام من دليل على المحذوف والا كان لغوا لا يلتفت اليه • الضرب الثاني في حذف الفعل وجوابه اعلم ان حذف الفعل ينقسم قسمين احدهما يظهر بدلالة المفعول عليه كقولهم في المثل اهلك والليل فنصب اهلك والليل يدل على محذوف ناصب تقدير الحق اهلك وبادر الليل وهذا مثل يضرب في التحذير وعليه ورد قوله تعالى فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ومما ورد منه في الاخبار النبوية ان جابرا تزوج فقال له رسول الله ص ما تزوجت قال ثيبا فقال له فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك يريد فهلا تزوجت جارية فحذف الفعل لدلالة الكلام عليه • ومما ورد منه شعرا قول ابي الطيب المتنبي في قصيدته الكافية التي يمدح فيها عضد الدولة ابا شجاع بن بويه • ومطلعها • فدى لك من تقصر عن مداكا • وساذكر الموضع الذي حذف منه الفعل وجوابه لتعلق الابيات بعضها ببعض وهي من محاسن ما يوتى به في معنى الوداع ولم يات لغيره مثلها • وهي

اذا التوديع اعرض قال قلبي • عليك الصمت لا صاحبت فاكا •
ولولا ان اكثر ما تمنى • معاودة لقلت ولا مناكا •
قد استشفيت من داء بداء • واقتل ما اعلك من شفاكا •
واكتم منك نجوانا واخفي • هموما قد اطلت لها العراكا •
اذا عاصيتها كانت شدادا • وان طاوعتها كانت ركاكا •
وكم دون الثوية من مشوق • يقول له قدومي ذا بذاكا •

ومن

حذف الفعل وجوابه

ومن عذب الرضاب اذا انجنا • تقبل رجل تروك والوراكا •
يحرم ان يمس الطيب بعدي • وقد علق العبير به وصاكا •
يحدث مقلتيه النوم عني • فليت النوم حدث عن نداكا •
وما ارضى لمقلته بحلم • اذا انتبهت توهمه شباكا •
ولا الايمان يصغي لي واحكي • فليتك لا يتيمه هواكا •

ولا الايمان ح

فقوله ولا مناكا فيه محذوف تقديره ولا صاحبت مناكا وكذلك قوله ولا الايمان يصغي لي واحكي فان فيه محذوفا تقديره ولا ارضى الا بان يصغي واحكي ص

واما القسم الاخر فانه لا يظهر فيه حذف الفعل ولا يكون هناك منصوب يدل عليه وانما يظهر بالنظر الى ملاءمة الكلام • فمما جا منه قوله تعالى وعرضوا على ربك صفا لقد جيتمونا كما خلقناكم اول مرة فقوله لقد جيتمونا يحتاج الى اضمار فعل اي فقيل لهم لقد جيتمونا كما خلقناكم او فقلنا لهم وقد استعمل هذا في القران الكريم في غير موضع كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فقوله اذهبتم طيباتكم في حياتكم يحتاج الى تقدير الفعل المضمر وكذلك قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما فقوله وان جاهداك لا بد له من اضمار القول اي وقلنا له ان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك بي علم فلا تطعهما • ومن هذا الضرب ايقاع الفعل على شيئين وهو لاحدهما كقوله تعالى فاجمعوا امركم وشركاءكم وهو لامركم وحده وانما المراد اجمعوا امركم وادعوا شركاءكم لان معنى اجمعوا من اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه وقد قرا ابي رض فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم وهذا دليل على ما اشرنا اليه وكذلك هو مثبت في مصحف عبد الله بن مسعود رض • ومن حذف الفعل باب بسما اقامة المصدر مقام الفعل وانما يفعل ذلك لضرب من المبالغة والتوكيد كقوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب قوله فضرب قوله فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه وفي ذلك اختصار مع اعطاء معنى التوكيد المصدري • واما حذف جواب الفعل فانه لا يكون في الامر المجزوم كقوله تعالى ذرهم يخوضوا ويلعبوا لانهما جواب امر ذرهم وحذف الجواب في هذا لا يدخل في باب الايجاز لانا اذا قلنا ذرهم اي اتركهم لا يحتاج ذلك الى جواب وكذلك ما يجري مجراه وانما يكون الجواب بالفاء في ماض كقولنا قلت له اذهب فذهب وح يظهر الجواب المحذوف كقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا الا ترى كيف حذف جواب الامر في هذه الاية فان تقديره فقلنا اذهبا الى القوم الذين كفروا باياتنا فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم تدميرا فذكر حاشيتي القصة اولها واخرها لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم • ومن هذا الضرب ايضا قوله تعالى قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب ففي جواب الامر من هذا الكلام محذوف تقديره فارسله معهم ويدلنا على ذلك ما جا بعده من قوله فلما ذهبوا به كما حذف ايضا في قوله عز وجل وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان الاية فجواب الامر في هذا الموضع محذوف تقديره فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال له يوسف ايها الصديق وكذلك

فرادى ص

المصدر باب اقامة مقام الفعل

مجزوم يخوضوا ويلعبوا

قوله تعالى وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن
ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه الآية ففي هذا الكلام حذف واختصار
استغنى عنه بدلالة الحال عليه وتقديره فرجع الرسول الى الملك برسالة يوسف فدعا الملك بالنسوة
وقال لهن ما خطبكن وهكذا ورد قوله تعالى وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا
مكين امين وقد حذف جواب الامر هاهنا وتقديره فاتوه به فلما كلمه وفي سورة يوسف محذوفات كثيرة من اولها
الى آخرها فانظر ايها المتأمل الى هذه المحذوفات المذكورة هاهنا التي كانها لم تحذف من هذا الكلام لظهور
معناها وبيانه ودلالة الحال عليه وعلى نحو من ذلك ينبغي ان تكون محذوفات الكلام • الضرب الثالث
حذف المفعول به وذلك مما نحن بصدده اخص فان اللطائف فيه اكثر واعجب كقولنا فلان يحل ويعقد
ويبرم وينقض ويضر وينفع والاصل في ذلك على اثبات المعنى المقصود في نفسك للشيء على الاصل وعلى هذا
جاء قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى ومن بديع ذلك قوله عز وجل ولما ورد ماء مدين وجد عليه
امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ
كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير فان في هاتين الآيتين قد حذف المفعول
به في اربعة اماكن اذ المعنى وجد امة من الناس يسقون مواشيهم وامرأتين تذودان مواشيهما وقالتا لا نسقي
مواشينا فسقى لهما مواشيهما لان الغرض ان يعلم انه كان من الناس سقي ومن الامرأتين ذود وانهما قالتا لا يكون
منا سقي حتى يصدر الرعاء وانه كان من موسى عليه السلام بعد ذلك سقي فاما كون المسقي غنما او ابلا او غير ذلك فخارج عن الغرض
وقد ورد في الشعر من هذا النوع قول البعيث بن حريث من ابيات الحماسة •

دعاني يزيد بعد ما ساء ظنه • وعبس وقد كانا على حد منكب •
وقد علما ان العشيرة كلها • سوى محضري من حاضرين وغيب •

فالمفعول الثاني من علما محذوف لان قوله ان العشيرة في موضع مفعول علما الاول وتقدير الكلام قد
علما ان العشيرة سوى محضري من حاضرين وغيب لاعنا عندهم او سوا حضورهم وغيبتهم وما جرى هذا
المجرى • ومن هذا الضرب ايضا حذف المفعول الوارد بعد المشية والارادة كقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم فمفعول شاء هاهنا محذوف وتقديره ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها وعلى
نحو من ذلك جاء قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى • ومما جاء على مثال ذلك من الشعر قول البحتري
لو شئت لم تفسد سماحة حاتم • كرما ولم تهدم مآثر خالد • الاصل في ذلك لو شئت الا تفسد سماحة حاتم
لم تفسدها فحذف ذلك من الاول استغناء بدلالته عليه في الثاني وقد تقدم ان من الواجب في حكم البلاغة الا
ينطق بالمحذوف ولا يظهره الى اللفظ ولو اظهرته لصرت الى كلام غث ومحي المشية بعد لو وبعد حروف الجزاء
هكذا موقوفة غير معداة الى شيء كثير بين البلغاء ولو تكاثر هذا الحذف في شاء واراد حتى انهم لا يكادون يبرزون
المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وعلى هذا الاسلوب جاء
قول الشاعر • ولو شئت ان ابكي دما لبكيته • عليه ولكن ساحة الصبر اوسع • ولو كان على حد قوله تعالى
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى لوجب ان تقول لو شئت لبكيت دما ولكنه ترك تلك الطريقة وعدل الى هذه لانه
اليق في هذا الموضع وسبب ذلك انه كان بدعا عجيبا ان يشاء الانسان ان يبكي دما فلما كان مفعول المشية

مما

الاطلاق ظ

شائع

مما يستعظم ويستغرب كان الاحسن ان يذكر ولا يضمر • الضرب الرابع وهو حذف المضاف والمضاف
اليه واقامة كل واحد منهما مقام الآخر وذلك باب عريض طويل شائع في كلام العرب وان كان ابو الحسن
الاخفش رحمه الله لا يرى القياس عليه فاما حذف المضاف فكقوله تعالى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم
من كل حدب ينسلون فحذف المضاف الى ياجوج وماجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية في قوله تعالى واسأل
القرية اي اهل القرية • ومن ذلك قوله ايضا تعالى ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى وان شئت كان تقديره ولكن ذا البر من
اتقى والاول اولى لان حذف المضاف ضرب من الاتساع والخبر اولى بذلك من المبتدا لان الاتساع بحذف الاعجاز
اولى منه بحذف الصدور وقد حذف المضاف مكررا في قوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول اي من تراب
حافر فرس الرسول وهذا الضرب اكثر اتساعا من غيره • ومما جاء منه قول بعضهم من شعراء الحماسة •

اذا لاقيت قومي فاسألنهم • كفى قوما بصاحبهم خبيرا •
هل اعفو عن اصول الحق فيهم • اذا عسرت واقتطع الصدورا •

اراد انه يقتطع ما في الصدور
من الضغائن والاوغام اي يزيل ذلك باحسانه من عفو وغيره فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
واما حذف المضاف اليه فانه قليل الاستعمال • فمما جاء منه قوله تعالى من قبل ومن بعد اي من قبل ذلك ومن بعده
وربما ادخل في هذا الموضع ما ليس منه كقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة
وقيل اراد ظهر الارض فحذف المضاف اليه وليس كذلك فان الهاء والالف قائمة مقام الارض الا ترى ان
قوله ها يريد به الارض لانه ضمير راجع اليها • وكذلك ورد قول جرير •

اذا اخذت قيس عليك وخندف • باقطارها لم تدر من اين تسرح • وهذا لا يسمى ايجازا وانما هو تعويض
بالضمير عن المظهر • الضرب الخامس وهو حذف الموصوف والصفة واقامة كل واحد منهما مقام الآخر
وهذا لا يمكن اطراده في كل موضع واكثره يجيء في الشعر وانما كانت كثرته في الشعر دون الكلام المنثور لامتناع
القياس في اطراده • فمما جاء منه في الشعر قول البحتري من ابيات في صفة ايوان كسرى فقال في ذكر
التصاوير التي في الايوان وذلك ان الفرس كانت تحارب الروم فصوروا صورة مدينة انطاكية في الايوان
وحرب الروم والفرس عليها • فمما ذكره في ذلك قوله •

واذا ما رأيت صورة انطاكية • ارتعت بين روم وفرس •
والمنايا مواثل وانوشروان • يزجي الصفوف تحت الدرفس •
في اخضرار من اللباس على اصفر • يختار في صبيغة ورس • فقوله على اصفر اي فرس اصفر

وهذا مفهوم من قرينة الحال لانه لما قال على اصفر علم بذلك انه اراد فرسا اصفر والصفة تأتي في الكلام على ضربين
اما للتأكيد والتخصيص واما للمدح والذم وكلاهما من مقامات الاسهاب والتطويل لا من مقامات الايجاز والاختصار
واذا كان الامر كذلك لم يلق الحذف به هذا مع ما ينضاف اليه من الالتباس وضد البيان الا ترى انك اذا قلت
مررت بطويل لم يبن من هذا اللفظ الممرور به انسان هو ام رمح ام ثوب ام غير ذلك واذا كان الامر على هذا فحذف
الموصوف انما هو شيء قام الدليل عليه او شهدت به الحال واذا استبهم كان حذفه غير لائق • ومما يؤكد عندي
ضعف حذفه انك تجد من الصفات ما لا يمكن حذف موصوفه وذلك ان تكون الصفة جملة نحو مررت برجل
قام ابوه ولقيت غلاما وجهه حسن الا تراك لو قلت مررت بقام ابوه ولقيت وجهه حسن لم يجز وقد ورد حذف

حذف المضاف والمضاف اليه واقامة كل منهما مقام الآخر

شعراء

حذف الموصوف والصفة واقامة كل منهما مقام الآخر

الموصوف واقامة الصفة مقامه في غير موضع من القران الكريم كقوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة فانه لم
يرد ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عميا وانما يريد اية مبصرة فحذف الموصوف واقام الصفة مقامه ولقد
تاملت حذف الموصوف في مواضع كثيرة فوجدت اكثر وقوعه في النداء وفي المصدر اما النداء فكقولهم يا ايها
الظريف تقديره يا ايها الرجل الظريف وعليه ورد قوله تعالى يا ايها الساحر تقديره يا ايها الرجل الساحر وكذلك قوله تعالى
يا ايها المومنون تقديره يا ايها القوم المومنون • واما المصدر فكقوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله
متابا تقديره ومن تاب وعمل عملا صالحا وقد اقيمت الصفة الجملة مقام الموصوف المبتدا في قوله تعالى وانا منا
الصالحون ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك • واما حذف الصفة واقامة الموصوف مقامها فانه قل وجودا
من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ولا يكاد يقع في الكلام الا نادرا لمكان استبهامه • ومن ذلك ما
حكاه سيبويه رحمه الله من قولهم سير عليه ليل وهم يريدون ليل طويل وانما حذف الصفة في هذا الموضع لما دل
من الحال عليه وذلك انه يحس في كلام القايل لذلك من التطريح والتطويح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام
قوله طويل وانت تحس هذا من نفسك اذا تاملته وهو ان يكون في مدح انسان والثنا عليه فتقول كان والله
رجلا اي رجلا فاضلا او شجاعا او كريما او ما جرى هذا المجرى من الصفات وكذلك تقول سالناه فوجدناه انسانا
اي انسانا سمحا او جوادا او ما اشبهه فعلى هذا ونحوه تحذف الصفة فاما ان عريت عن الدلالة عليها من اللفظ
او الحال فان حذفها لا يجوز وقد تاملت حذفها فوجدته لا يسوغ الا في صفة تقدمها ما يدل عليها او تاخر عنها
او فهم ذلك من شي خارج عنها اما الصفة التي تقدمها ما يدل عليها فكقوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا فحذف الصفة اي كان ياخذ كل سفينة
صحيحة غصبا ويدل على المحذوف قوله تعالى فاردت ان اعيبها فان عيبه اياها لم يخرجها عن كونها سفينة وانما
الماخوذ هو الصحيح دون المعيب فحذف الصفة ههنا لانه تقدمها ما يدل عليه • واما التي تاخر عنها ما يدل عليه
فقول بعض شعراء الحماسة • كل امرئ ستئيم منه العرس او منها يئيم • فانه اراد كل امرئ متزوج اذ دل
عليه ما بعده من قوله ستئيم منه او تئيم منها اذ لا تئيم الا من زوج ولا يئيم هو الا من زوجه فجاء بعد الموصوف ما دل
عليه ولولا ذلك لما صح معنى البيت اذ ليس كل امرئ يئيم من عرس ولا تئيم منه عرس الا اذا كان متزوجا • واما ما يفهم
حذف الصفة فيه من شي خارج عن الكلام فقول النبي صلعم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه قد علم جواز صلوة جار
المسجد في غير المسجد من غير هذا الحديث فعلم ان المراد به الفضيلة والكمال وهذا شي لم يعلم من نفس اللفظ وانما
علم من شي خارج عنه • الضرب السادس وهو حذف الشرط وجوابه فاما حذف الشرط فنحو قوله تعالى يا عبادي الذين
امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون فالفا في قوله فاعبدون جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي
واسعة فان لم تخلصوا لي العبادة في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول
مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص • ومن هذا الضرب قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه
ففدية اي فحلق ففعليه فدية • وكذلك قولهم الناس مجزيون باعمالهم ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا اي ان فعل المرء
خيرا جزي خيرا وان فعل شرا جزي شرا • وعلى نحو من ذلك جا قوله تعالى ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام
اخر ولهذا ذهب داود الظاهري الى الاخذ بظاهر الاية ولم ينظر الى حذف الشرط فاوجب القضا على المريض
والمسافر سواء افطرا او لم يفطرا • ومن حذف الشرط قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك

كانوا

٩٤

كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم
لا تعلمون اعلم ان هذه الفا هي التي في قول الشاعر • فقد جئنا خراسانا • وحقيقتها انها جواب لشرط
محذوف يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا ان نخلص
وكذلك هذه الاية تقول ان كنتم منكرين للبعث فهذا يوم البعث اي قد تبين بطلان قولكم • واما حذف جواب
الشرط فكقوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا
يهدي القوم الظالمين فان جواب الشرط ههنا محذوف تقديره ان كان القران من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل
على المحذوف قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين • الضرب السابع وهو حذف القسم وجوابه فاما حذف
القسم فنحو قولك لافعلن اي والله لافعلن او غير ذلك من الاقسام المحلوف بها واما حذف جوابه فكقوله تعالى والفجر
وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد
التي لم يخلق مثلها في البلاد فجواب القسم ههنا محذوف تقديره ليعذبن ونحوه ويدل على ذلك ما بعده من قوله
الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله سوط عذاب ومما ينتظم في هذا السلك قوله تعالى ق والقران المجيد بل عجبوا
ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شي عجيب فان معناه ق والقران لتبعثن والشاهد على ذلك ما بعده
من ذكر البعث في قوله تعالى اذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد • وقد ورد هذا الضرب في القران كثيرا كقوله تعالى
في سورة النازعات فقال تعالى والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات
امرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فجواب القسم ها هنا محذوف تقديره لتبعثن ولتحشرن ويدل على
ذلك ما اتى من بعده من ذكر القيمة في قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وكذلك الى اخر السورة • الضرب
الثامن وهو حذف لو وجوابها وذلك من الطف ضروب الايجاز واحسنها فاما حذف لو فكقوله تعالى ما اتخذ الله
من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض تقدير ذلك اذن لو كان معه اله
لذهب كل اله بما خلق وكذلك ورد قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون
تقديره اذن لو فعلت ذلك لارتاب المبطلون وهذا من احسن المحذوفات واجملها وقد ورد ذلك شعرا في قول بعضهم في صدر
الحماسة • لو كنت من مازن لم تستبح ابلي • بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا •
اذن لقام بنصري معشر خشن • عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا •
فلو في البيت محذوفة لانها في البيت الاول قد استوفت جوابها بقوله لم تستبح ابلي ثم حذفها في الثاني وتقدير
حذفها اذن لو كنت منهم لقام بنصري معشر خشن او اذن لو كانوا قومي لقام بنصري معشر خشن • واما حذف
جواب لو فانه كثير شايع وذلك كقولك لو زرتنا او المت بنا معناه لاحسنا اليك او لاكرمناك او ما جرى
هذا المجرى • ومما ورد في القران الكريم قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب فان
جواب لولا ها هنا محذوف تقديره لرايت امرا عظيما وحالا هايلة او غير ذلك مما جرى مجراه • ومما جا على نحو
هذا قوله عز وجل ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن
ظهورهم ولا هم ينصرون تقديره لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه وهو وقت صعب شديد تحيط بهم النار فيه
من وراء وقدام ولا يقدرون على دفعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر
والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عليهم • ومما يجري على هذا النهج قوله تعالى قال لو ان لي بكم

حذف لو وجوابها

النار

قوة اواوى الى ركن شديد فجواب لو فى هذا الموضع محذوف كما حذف فى قوله تعرفوا لوان قرانا سيرت به
الجبال اى لوكان لى بكم قوة لدفعتكم اومنعتكم اومثله وكذلك ولوان قرانا سيرت به الجبال لكان هذا
القران وهذا الضرب من المحذوف كان اظهر الضروب المذكوره واوضحها لعلم المخاطب به لان قوله تعرفوا كانه
لوط عليه السلام لوان لى بكم قوة اواوى الى ركن شديد تسارع الفهم الى ان الكلام يحتاج الى جواب ومما جاء منه شعرا
قول الى تمام فى قصيدته التى يمدح بها المعتصم عند فتحه مدينه عمورية فقال

لو يعلم الكفر كم من عصر كمنت * له العواقب فى برد السمر والقضب فان هذا محذوف الجواب تقديره لو يعلم
الكفر ذلك لاخذ هيبة الحذار وغرز ذلك * واعلم ان حذف هذا الجواب لا يسوغ فى اى موضع كان من الكلام
وانما يحذف فيما دل عليه مكان المحذوف الا ترى انه قد ورد فى القران عدة محذوف كقوله تعرفوا لو فحصنا عليهم بابا
من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون وهذا ليس كالذى تقدم من الايات لان
تلك علم مكان المحذوف منها وهذه الاية لو حذف الجواب فيها لم يعلم مكانه لانه يحتمل وجوها منها ان يقال لما
امنوا ولطلبوا ما وراء ذلك وقد تقدم القول فى اول باب الايجاز انه لا بد من دلالة الكلام على المحذوف *
الضرب التاسع وهو حذف جواب لولا من ذلك قوله تعرفوا لدن رهبون زواجم ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم
فشهاده احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنه الله عليها ان كان من الكاذبين ويدرؤ عنها
العذاب ان شهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا
فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم فجواب لولاها هنا محذوف تقديره لما انزل عليكم هذا الحكم بطريق
التلاعن وستر عليكم هذه الفاحشة بسببه وكذلك ورد قوله تعرفان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين
امنوا لهم عذاب فى الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رءوف رحيم
تقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعجل لكم العذاب او فعل بكم كذا وكذا * الضرب العاشر وهو حذف جواب
لما وجواب امّا فاما حذف جواب لما فكقوله تعرفلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرويا انا
كذلك نجزى المحسنين فان جواب لما ههنا محذوف وتقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت
الرويا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وشكرهما على ما انعم به
عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اشبه ذلك مما لا تنسباه هذه المحنة من عظائم الوصف دنيا واخرة
وقوله انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لتخويلهما من الفرج والسرور بعد تلك الشده العظيمه واما حذف
جواب امّا فنحو قوله تعرفاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم اى فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم * الضرب
الحادى عشر وهو حذف جواب اذا فمما جاء منه قوله تعرواذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون
وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم اعرضوا ثم قال
وذا بهم الاعراض عن الاية وموعظه * الضرب الثانى عشر حذف المبتدا والخبر اما حذف المبتدا فلا يكون الا
مفردا ولا يحسن هو حذف الخبر لان منه ما ياتى جملة كقوله تعرواللاى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم
فعدتهن ثلثة اشهر واللاى لم يحضن واولات الاحمال احلهن ان يضعن حملهن * وها هنا قد حذف المبتدا وهو
جمله مبتدا وخبر وتقديره واللاى لم يحضن فعدتهن ثلثة اشهر * ومما ورد منه شعرا قول الى عباده النحرى
كل عذير من كل دنب ولكن * اعوز العذر من بياض العذار * فهنا قد حذف منه خبر المبتدا الا انه مفرد غير جمله

وتقدير

وتقدير كل عذير من كل دنب مقبول ومسموع او ما جرى هذا المجرى * الضرب الثالث عشر وهو حذف
لام الكلام وهى مراده وذلك كقوله تعرفوا لوا تالله تفتا تذكر يوسف يريد لا تفتا اى لا تزال فحذفت لام الكلام
وهى مراده وعلى هذا جاء قول امرء القيس

فقلت يمن الله ابرح قاعدًا * ولو قطعوا راسى لديك واوصالى * اى لا ابرح قاعدًا فحذفت لا فى هذا
الموضع وهى مراده * ومما جاء منه قول الى محجن الثقفى لما نهاه سعد رضى الله عنه الى وقاص رضى عن شرب الخمر
وهو اذ ذاك يقاتل الفرس ما القادسيه * منه قوله

دعانى الخمر صالحة وفيها * مشاغب قاتلى رجل الحلما *

فلا والله اشربها حياتى * ولا اسقى بها ابدًا ندما * يريد لا اشربها فحذف لا من
الكلام وهى مفهومه منه * الضرب الرابع عشر وهو حذف الواو من الكلام واثباتها واحسن حذفها
فى المعطوف والمعطوف عليه واذا لم يذكر الحرف المعطوف به كان ذلك ابلغ وابجز كقول انس بن مالك
كان اصحاب رسول الله صلعم ينامون ثم يصلون ولا يتوضؤن او قال ثم يصلون لا يتوضون فقوله لا يتوضون
حذف الواو ابلغ فى تحقيق عدم الوضوء من قوله ولا يتوضون باثباتها كانه جعل ذلك حالة لهم لازمة اى انها
داخلة فى الجملة وليست جملة خارجة عن الاولى لان واو العطف تؤذن بانفراد المعطوف عن المعطوف
عليه واذا حذفت فى مثل هذا الموضع صار المعطوف والمعطوف عليه جملة واحدة وقد جاء مثل ذلك
فى القران الكريم ورد الا ان تذكر جملة من القول كل واحدة منها مستقلة بنفسها ثم ترسل ارسالا بغير عاطف
كقوله تعرايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم
وما تخفى صدورهم اكبر بتقدير الكلام لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم وقد بدت لهم البغضاء من افواههم ولما
حذف الواو جاء الكلام اوجز واحسن طلاوة وابلغ تاثيرا ونظما وامثاله فى القران الكريم كثير * واعلم
انه قد حذفت الواو واثبتت فى مواضع فاما اثباتها فنحو قوله تعرو ما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم واما
حذفها فنحو قوله تعرو ما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وعلى هذا فالنحو حذف الواو واثباتها فى كل موضع وانما
يجوز ذلك فيما هذا سبيله من الايتين ولبسين لك فى ذلك رسمًا تتبعه فنقول اعلم ان كل اسم نكرة جا
خبرًا بعد الا نحو ما اتاك الا واو جاء حذفها كقولك ما رايت رجلا الا وعليه ثياب وان ثبت فلت الا وعليه
ثياب بغير واو فان كان الذى يقع على النكرة ناقصا فلا يكون الا بحذف الواو ونحو قولك ما اظن هما الا هو
كافك ولا يجوز الا وهو كافك باكواو لان الظن يحتاج الى شئين ولا يعترض فيه الواو لانه يصير كالمكفى من فعلين
باسم واحد وكذلك اخوات ظننت وكان واشباهها فخطا ان تقول ان رجلا وهو قائم ونحو ذلك ويجوز
هنا فى الجنس خاصة ان تقول ليس احدٌ الا وهو قائم لان الكلام تنويهم بما مامه ليس وبحرف نكره الا ترى انك تقول ليس
احدٌ وما من احد فحار فيها اثبات الواو ولم يجز الظن لانك لا تقول ما اظن احدًا الا واما اصبح وامسى ورايت فان
الواو فيهن سهل لانهن توام فى حال وكان واظن ونحوهما يبين على النقص لا اذا كانت تامه وكذلك لا فى التبرئه
وغيرها نحو لا رجل وما من رجل فنحو زات الواو فيها وحذفها * واعلم ان العرب قد حذفت عراصل الالفاظ شيا لا
يجوز القياس عليه كقولهم لعضيهم * كان ابر بقيهم ظبى على شرف * مفدم بسبا الكتان ملثوم * فقوله بسبا
الكتان يريد بسيايب الكتان وكذلك جاء قول الاخر * يذرين حندل حابر يجنوبها * وكما نمارى سناتيكها الحبا *

ص ٩٥

حذف لام الكلام

حذف الواو من الكلام

٢ فى اظن ك

الوصف صفة رجل الالفاظ شيا لا يجوز القياس عليه

ص

اليم ص

٣ الا ترى كيف حذف جواب اذا من هذا الكلام وهو قوله لهم لا كانوا عرضها

ص

٢ والاخر ما زاد معناه على لفظه ويسمى
الايجاز بالقصر فاما الايجاز بالتقدير صح

القسم الثاني من الايجاز

فهذا وامثاله مما يقبح ولا يحسن وان كان العرب قد استعملته فانه لا يجوز لنا ان نستعمله • واما القسم الثاني
من الايجاز فهو ما لا يحذف منه شيء وهو ضربان احدهما ما ساوى لفظه معناه ويسمى التقدير فانه الذي يمكن
التعبير عن معناه بمثل الفاظه وفي عدتها واما الايجاز بالقصر فانه ينقسم قسمين احدهما ما دل لفظه على محتملات
متعدده وهذا يمكن التعبير عنه بمثل الفاظه وفي عدتها والاخر ما لم يدل لفظه على محتملات متعدده ولا يمكن التعبير
عنه بمثل الفاظه وفي عدتها لا بل يستحيل ذلك ولنورد الان الضرب الاول الذي هو الايجاز بالتقدير •
فمما جاء منه قوله عز وجل قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم
اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره فقوله تعالى قتل الانسان دعاء عليه وقوله ما اكفره تعجب من افراطه
في كفران نعمة الله عليه فلا ترى اسلوبا اغلظ من هذا الدعاء والتعجب ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط مع تقارب
طرفيه ولا اجمع للائمة مع قصر متنه ثم انه اخذ في صفة حاله من ابتداء حدوثه الى منتهى زمانه فقال تعالى من
اي شيء خلقه ثم بين الشيء الذي خلق منه بقوله من نطفة خلقه فقدره اي هيأه لما يصلح له ثم السبيل يسره اي
سهل سبيله وهو مخرجه من بطن امه او السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر ثم اماته فاقبره اي
جعله ذا قبر يوارى فيه ثم اذا شاء انشره اي احياه كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره اي لم يقض
مع تطاول زمانه ما امره الله به يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط الا ترى الى هذا الكلام الذي لو اردت ان
تحذف منه كلمة واحدة لما قدرت على ذلك لانك كنت تذهب بجزء من معناه والايجاز هو ان لا يمكنك ان
تسقط شيئا من الفاظه والايات الواردة من هذا الضرب كثيرة كقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف
فقوله فله ما سلف من جوامع الكلم ومعناه ان خطاياه الماضية قد غفرت له وتاب الله عليه فيها الا ان قوله فله
ما سلف ابلغ اي ان السالف من ذنوبه لا يكون عليه وانما هو له وكذلك ورد قوله تعالى من كفر فعليه كفره كلمة جامعة
تغني عن ذكر ضروب من العذاب لان من احاط به كفره فقد احاطت به كل خطيئة وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى ان الله يامر
بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فهذه الاية من جوامع
الايات الوارده في القران الكريم وروي ان النبي صلعم قراها على الوليد بن المغيرة فقال له يا ابن اخي اعد فاعاد النبي صلعم قراءته
عليه فقال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما هو بقول البشر • ومن هذا
النحو قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن
اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قوله الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ
في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد وهذه الايات من قوارع القران العجيبة التي دلت على تخويف وارهاب ترق له القلوب
وتقشعر منه الجلود وهي مشتملة مع قصرها على حال الانسان منذ خلقه الى حين حشره وحشر غيره من الناس
وتصوير ذلك الامر الفظيع في اسهل لفظ واقربه وما مررت عليها الا جددت لي موعظة واحدثت عندي ايقاظا
ومن هذا الضرب ما ورد عن النبي صلعم في دعائه لابي سلمة عند موته فقال اللهم ارفع درجته في المهديين واخلفه في
عقبه من الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وهذا دعاء جامع بين الايجاز وبين مناسبة الحال التي وقع فيها فاوله
مفتتح بالمهم الذي يفتقر اليه المدعو له في تلك الحال وهو رفع درجته في الاخرة وثانيه مردف بالمهم الذي يؤثره
المدعو له من صلاح حال عقبه من بعده في الدنيا وثالثه مختتم بالجمع بين الداعي والمدعو له وهذا من الايجاز البليغ الذي

هو

هو طباق ما قصد له وكلام النبي صلعم كله هكذا كما قال اوتيت جوامع الكلم وكذلك ورد قول النبي صلعم يوم قال
هذا يوم له ما بعده وهو شبيه بقوله تعالى فله ما سلف ولما جرح عمر بن الخطاب رض الجراحة التي مات بها اجتمع اليه
الناس فجاءه شاب من الانصار وقال ابشر يا امير المومنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلعم وقدم في الاسلام
ما علمت ووليت فعدلت ثم شهادة وهذا كلام سديد قد حوى المعنى واتى به في اوجز لفظ واحسنه ومع ما
فيه من الايجاز فانه مستغرب وسبب استغرابه انه جعل المساءة بشرى واخرجها مخرج المسرة وتلطف في ذلك
فابلغ ولو اراد الكاتب البليغ او الخطيب المصقع ان ياتي بذلك على هذا الوجه لاعوزه • ومن هذا النمط ما
كتبه طاهر بن الحسين الى المامون عند لقائه عيسى بن هامان وهزمه اياه وقتله فكتب اليه كتابي الى امير
المومنين وراس عيسى بن هامان بين يدي وخاتمه في يدي وعسكره مصرف تحت امري وسلام وهذا من الكتب
المختصرة التي حوت الغرض المط وما يكتب في مثل هذا المقام مثله ولما ارسل المهلب بن ابي صفرة ابا الحسن
المدائني الى الحجاج بن يوسف يخبره اخبار الازارقة كلمه كلاما موجزا كالذي نحن بصدد ذكره هاهنا وذاك ان
الحجاج ساله فقال كيف تركت المهلب فقال ادرك ما امل وامن مما خاف فقال كيف هو لجنده فقال والد
رؤوف قال فكيف جنده له قال اولاد بررة قال كيف رضاهم عنه قال وسعهم بفضله واغناهم بعدله قال
كيف تصنعون اذا لقيتم العدو قال نلقاهم بجدنا ويلقونا بجدهم قال كذلك الجد اذا لقي الجد قال
فاخبرني عن بني المهلب قال هم اجلاس القتال بالليل حماة السرج بالنهار قال ايهم افضل قال هم كحلقة مضروبة
لا يعرف طرفاها فقال الحجاج لجلسائه هذا والله هو الكلام الفصل الذي ليس بمصنوع وقد ورد من هذا الضرب
في الاخبار النبوية شيء كثير وساورد منها امثلة يسيرة • فمن ذلك قول النبي صلعم الحلال بين والحرام بين وبينهما
امور مشتبهات فهذا الحديث من اجمع الاحاديث للمعاني الكثيرة وذلك انه يشتمل على جل الاحكام الشرعية فان
الحلال والحرام اما ان يكون الحكم فيهما بينا لا خلاف فيه بين العلماء واما ان يكون خافيا يتجاذبه وجوه التاويلات
فكل منهم يذهب فيه مذهبا وكذلك جاء قوله صلعم الاعمال بالنيات وانما لامرئ ما نوى فان هذا الحديث ايضا
من جوامع الاحاديث للاحكام الشرعية • ومن ذلك قوله صلعم الضعيف امير الركب وقد ورد اخو هذا الحديث
بلفظ اخر فقال صلعم سيروا بسير اضعفكم الا ان الاول احسن لانه ابلغ معنى فان الامير واجب الحكم وهو
يتبع واذا كان الضعيف امير الركب كانوا موتمرين له في سيرهم ونزولهم وهذا المعنى لا يوجد في قوله سيروا
بسير اضعفكم واحسن من هذا كله ما ورد عنه صلوات الله عليه وعلى اله في حديث مطول يتضمن سوال جبريل عليه السلام
فقال من جملته ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فقوله تعبد الله كانك
تراه من جوامع الكلم لانه ينوب مناب كلام كثير كانه قال تعبد الله مخلصا في نيتك واقفا عند ادب الطاعة من
الخضوع والخشوع اخذا اهبة الحذر واشباه ذلك لان العبد اذا خدم مولاه ناظرا اليه استقصى في اداب
الخدمة بكل ما يجد اليه السبيل وما ينتهي اليه الطوق • ومما اطربني من ذلك حديث الحديبية وهو انه جاء
بديل بن ورقاء الى النبي صلعم فقال له اني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك
وصادوك عن البيت فقال له النبي صلعم ان قريشا قد نهكتهم الحرب فان شاؤوا ماددناهم مدة ويدعوا بيني وبين
الناس فان اظهر عليهم واحبوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس والا كانوا قد جموا وان ابوا فوالذي نفسي بيده
لاقاتلنهم على امري هذا حتى ينفرد سالفتي هذه او لينفذن الله امره وهذا الحديث من جوامع الكلم وهو من الفصاحة

والبلاغة الى غاية لا ينتهي اليها وصف الواصف • واما ما ورد من ذلك شعرا فقول النابغة

وانك كالليل الذي هو مدركي • وان خلت ان المنتأى عنك واسع •

وكذلك قوله

ولست بمستبق اخا لا تلمه • على شعث اي الرجال المهذب •

وعلى هذا الاسلوب ورد قول الاعشى في اعتذاره الى اوس بن لام عن هجائه اياه فقال

واني على ما كان مني لنادم • واني الى اوس بن لام لتائب •

واني الى اوس ليقبل عذرتي • ويصفح عني ما جنيت لراغب •

فهب لي حياتي فالحيوة لقائم • يسرك فيها خير ما انت واهب •

سامحوا بمدح فيك اذا انا صادق • كتاب هجاء سار اذا انا كاذب •

وهذا من المعاني الشريفة في الالفاظ الخفيفة وهو من طنانات الاعشى المشهورة وعلى نحو منه جاء قول الفرزدق

صبحناهم الشعث الجياد كانها • قطا هيجته يوم ريح اجادله •

الى كل حي قد خطبنا بناتهم • بارعن حرار كثير صواهله •

اذا ما التقينا انكحتنا رماحنا • من القوم ابكارا كراما عقائله •

وانا لمنا عون تحت لوائنا • حمانا اذا ما عاذ بالسيف حامله •

وهذا من محاسن ما يجي في هذا الباب • ومما يجري هذا المجرى قول جرير

تمنى رجال من تميم منيتي • وما ذاد عن احسابهم ذائد مثلي •

فلو شا قومي كان حلمي فيهم • وكان على جهال اعدائهم جهلي •

وكذلك ورد قوله متغزلا وهو من محاسن اقواله

سرت الهموم فبتن غير نيام • واخو الهموم يروم كل مرام •

ذم المنازل بعد منزلة اللوى • والعيش بعد اولئك الاقوام •

ولقد اراك وانت جامعة الهوى • اثنى بعهدك خير دار مقام •

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا • حين الزيارة فارجعي بسلام •

تجري السواك على اغر كانه • برد تحدر من متون غمام •

لو كان عهدك كالذي حدثتنا • لوصلت ذاك فكان خير ذمام •

ولقد اراني والجديد الى بلى • في موكب طرف الحديث كرام •

لولا مراقبة العيون اريننا • حدق المهى وسوالف الارام •

واذا صرفن عيونهن بنظرة • نفذت نوافذها بغير سهام •

هل ينفعنك ان قتلن مرقشا • او ما فعلن بعروة بن حزام •

وحلاوة هذا الكلام احسن من ايجازه • ولقد اعوز غيره ان ياتي بمثله حتى اقر باعوازه • ومن باب الايجاز الذي يسمى التقدير قول علي بن جبلة • وما لامرئ حاولته عنك مهرب • ولو حملته في السماء المطالع •

بلى هارب لا يهتدي لمكانه • ظلام ولا ضوء من الصبح صادع • فهذا هو الكلام الذي الفاظه فاق معانيه فانه قد اشتمل على مدح رجل بشمول ملكه وعموم سلطانه وانه لا مهرب عنه لمن يحاوله

وان

وان صعد السماء ثم ذكر جميع المهارب في المشارق والمغارب واشار الى انه يبلغ الظلام والضيا وذلك مما لم تزد عبارته على المعنى المندرج تحته ولا قصرت عنه • ومن هذا الضرب قول ابي نواس وهو ما ياتي في هذا الموضع •

ودار ندامى عطلوها وادلجوا • بها اثر منهم جديد ودارس •

مساحب من جر الزقاق على الثرى • واضغاث ريحان رطيب ويابس •

حبست بها صحبي فجددت عهدهم • واني على امثال تلك لحابس •

تدار علينا الراح في عسجدية • حبتها بانواع التصاوير فارس •

قرارتها كسرى وفي جنباتها • مها تدريها بالقسي الفوارس •

فللراح ما زرت عليه جيوبها • وللماء ما دارت عليه القلانس • ومما انتهى الي من اخبار ابن المزرع قال سمعت الجاحظ يقول لا اعرف شعرا يفضل هذه الابيات التي لابي نواس ولقد انشدتها ابا شعيب القلال فقال والله يا ابا عثمان ان هذا لهو الشعر ولو نقر لطن فقلت له ويحك ما تفارق عملك الجرار والخزف ولعمري ان الجاحظ عرف فوصف وخبر فشكر والذي ذكره هو الحق وعلى هذا الاسلوب جا قول ابي تمام •

ان القوافي والمساعي لم تزل • مثل النظام اذا اصاب فريدا •

هي جوهر نثر فان الفته • بالشعر صار قلائدا وعقودا •

في كل معترك وكل مقامة • ياخذن منه ذمة وعهودا •

فاذا القصائد لم تكن خفراها • لم ترض منها مشهدا مشهودا •

من اجل ذلك كانت العرب الاولى • يدعون هذا سوددا مجدودا •

وتند عندهم العلى الاعلا • جعلت لها مرر القريض قيودا • واما الضرب الثاني وهو الايجاز بالقصر فان القران الكريم ملآن منه وقد تقدم القول انه قسمان احدهما ما يدل على محتملات متعددة • فمن ذلك قوله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى فقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم من جوامع الكلم التي يستقل على قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم من الامور الهائلة والخطوب الفادحة ما لا يعلم كنهه الا الله ولا يحيط به غيره • ومن هذا الضرب قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فجمع في الاية جميع مكارم الاخلاق لان في الامر بالمعروف صلة الرحم ومنع اللسان عن الغيبة وعن الكذب وغض الطرف عن المحرمات وغير ذلك وفي الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وغيرهما وقال بعض الاعراب في دعائه اللهم هب لي حقك وارض عني خلقك فقال النبي ص هذا هو البلاغة • ومن ذلك قوله عز وجل اولئك لهم الامن فانه دخل تحت الامن جميع المحبوبات وذلك انه نفى به ان يخافوا شيا من الفقر والموت وزوال النعمة ونزول النقمة وغير ذلك من اصناف المكاره واشباه هذا في القران الكريم كثيرة وهو يكثر في بعض السور ويقل في بعض قال النبي ص من شا ان يرتع في الرياض الانايق فعليه بآل حم • ومن ذلك قول النبي ص الخراج بالضمان وذاك ان رجلا اشترى عبدا فاقام عنده مدة ثم وجد به عيبا فخاصم المشتري البايع الى النبي ص فرده عليه فقال يا رسول الله انه استغل غلامي فقال الخراج بالضمان ومعنى قوله الخراج بالضمان ان الرجل اذا اشترى عبدا فاستعمله ثم وجد به عيبا دلسه عليه البايع فله ان يرده ويسترجع الثمن جميعه ولو مات العبد او ابق او سرقه سارق كان في مال المشتري

وضمانه عليه واذا كان ضمانه عليه فخراجه له اى له ما يحصل من اجره عمله • واما ما ورد من ذلك شعرا فقول السموءل
ابن عاديا الغسانى من جملة ابياته المشهورة اللامية وذلك قوله منها •
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها • فليس الى حسن الثنا سبيل • فان هذا البيت قد اشتمل على مكارم الاخلاق
جميعها من سماحة وشجاعة وعفة وتواضع وحلم وصبر وغير ذلك فان هذه الاخلاق كلها من ضيم النفس لانها يجد
متحملها ضيما اى مشقة وعناء وقد تقدم القول ان الايجاز بالقصر يكون فيما يضمن لفظه محتملات كثيرة وهذا
البيت من ذلك القبيل وما اعلم ان شاعرا قديما ولا حديثا اتى بمثله وقد اخذه ابو تمام فاحسن فى اخذه فقال
وظلمت نفسك طالبا انصافها • فعجبت من مظلومة لم تظلم • ففاز فى بيته هذا بالمقابلة بين الضدين فى
الظلم والانصاف ثم قال فعجبت من مظلومة لم تظلم وهذا احسن من الاول ومعنى قوله وظلمت نفسك طالبا
انصافها اى انك اكرهتها على مشاق الامور واذا فعلت ذلك فقد ظلمتها ثم انك مع ظلمك اياها قد انصفتها
لانك جلبت اليها اشياء حسنة تكسبها ذكرا جميلا ومجدا مؤثلا فانت منتصف لها فى صورة ظالم وكذلك قوله
فعجبت من مظلومة لم تظلم اى انك ظلمتها وما ظلمتها لان ظلمك اياها الى ما هو جميل حسن وهذا القدر من الامثلة
كاف فى هذا الباب • القسم الاخر من الضرب الثانى فى الايجاز بالقصر وهو الذى لا يمكن التعبير عن الفاظه بالفاظ
اخرى مثلها وفى عدتها وهو اعلى طبقات الايجاز مكانا واعوزها امكانا واذا وجد فى كلام بعض البلغا فانما
يوجد شاذا نادرا فمن ذلك ما ورد فى القران الكريم كقوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة فان قوله القصاص حياة
لا يمكن التعبير عنه الا بالفاظ كثيرة لان معناه اذا قتل القاتل امتنع غيره عن القتل فاوجب ذلك حيوة الناس
ولا يلتفت الى ما ورد عن العرب من قولهم القتل انفى للقتل فان من لا يعلم يظن ان هذا على وزان الاية وليس كذلك بل
بينهما فرق من ثلثة اوجه الاول ان القصاص حيوة لفظتان والقتل انفى للقتل ثلث لفظات الوجه الثانى ان
فى قولهم القتل انفى للقتل تكريرا ليس فى الاية الوجه الثالث انه ليس كل قتل نافيا للقتل الا اذا كان على حكم
القصاص وقد صاغ ابو تمام هذا المعنى الوارد عن العرب فى بعض بيت من شعره فقال
واخافكم كى تغمدوا اسيافكم • ان الدم المعتز يحرسه الدم • فقوله ان الدم المعتز يحرسه الدم احسن مما
ورد عن العرب من قولهم القتل انفى للقتل • وروى عن معن بن زائدة انه ساله ابو جعفر المنصور فقال له ايما
احب اليك دولتنا او دولة بنى امية فقال ذاك اليك فقوله ذاك اليك من الايجاز بالقصر الذى لا يمكن التعبير عنه
الا بالفاظ كثيرة لان معنى قوله ذاك اليك وهو لفظتان انه ان زاد احسانكم على احسان بنى امية فانتم
احب الى وهذه عشرة الفاظ فان قيل كيف لا يمكن التعبير عن الفاظ بالفاظ اخرى مثلها وفى عدتها وفى
الترادف من الالفاظ ما هو دليل على خلاف ذلك فانه اذا قيل راح ثم قيل مدامة او سلافة كان ذلك سواء وقامت
هذه اللفظة مقام هذه قلت فى الجواب ليس كل الالفاظ المترادفة تقوم بعضها مقام بعض الا ترى
ان لفظة القصاص لا يمكن التعبير عنها بما يقوم مقامها ولما عبر عنها بالقتل فى قول العرب القتل انفى للقتل
ظهر الفرق بين ذلك وبين الاية فى قوله ولكم فى القصاص حيوة فالذى اردته انما هو الكلام الذى لا يمكن التعبير عن
الفاظه بالفاظ اخرى مثلها وفى عدتها فان كان كذلك والا فليس داخلا فى هذا القسم المشار اليه •

النوع السادس عشر فى الاطناب

هذا النوع من الكلام امعنت نظرى فيه وفى التكرير والتطويل
فملكتنى حيرة الشبهة بينهما وكنت فى ذلك كعمر بن الخطاب رض فى الكلالة حيث قال قد اعيانى امر الكلالة وكنت سالت

رسول

رسول الله صلعم عنها كثيرا حتى ضرب فى صدرى وقال الا يكفيك اية الصيف وبعد ان انعمت نظرى فى هذا النوع
الذى هو الاطناب وجدته ضربا من ضروب التاكيد التى يوتى بها فى الكلام قصدا للمبالغة الا انه ضرب مفرد
من بينها براسه لا يشاركه فيه غيره لان من التاكيد ما يتعلق بالتقديم والتاخير كتقديم المفعول على الفاعل
وتقديم خبر المبتدا واشباه ذلك مما تقدم ذكره ومن التاكيد ما يتعلق بالاعتراض كالاعتراض بين القسم وجوابه
وبين المعطوف والمعطوف عليه واشباه ذلك وسياتى الكلام عليه فى بابه وهذا الضرب الذى هو الاطناب ليس
كذلك ورايت علماء البيان قد اختلفوا فيه فمنهم من الحقه بالتطويل الذى هو ضد الايجاز وهو عنده قسم غيره
فاخطا من حيث لا يدرى كابى هلال العسكرى والغانمى حتى انه قيل ان كتب الفتوح وما يجرى مجراها مما يقرا على
عوام الناس ينبغى ان تكون مطولة مطنبا فيها وهذا القول فاسد لانه ان عنى بذلك ان تكون ذات معان متعددة
قد استقصى فيها شرح تلك الحادثة من فتح او غيره فذلك مسلم وان عنى بذلك ان تكون متكررة المعانى مطولة
الالفاظ قصدا لافهام العامة فهذا غير مسلم وهو مما لا يذهب اليه من عنده ادنى معرفة بعلم الفصاحة والبلاغة
ويكفى فى بطلانه كتاب الله تعالى فانه لم يجعل لخواص الناس فقط وانما جعل لخواصهم وعوامهم واكثره لا بل جميعه مفهوم
الالفاظ للعوام الا كلمات معدودة وهى التى تسمى غريب القران وقد تقدم الكلام على ذلك فى المقالة الاولى المختصة
بالالفاظ وعلى هذا فينبغى ان تكون الكتب جميعها مما يقرا على عوام الناس وخواصهم ذات الفاظ سهلة مفهومة
وكذلك الاشعار والخطب ومن ذهب الى غير ذلك فانه بنجوة عن هذا الفن وعلى هذا فان الاطناب لا يختص به عوام
الناس وانما هو للخواص كما هو للعوام وسابين حقيقته فى كتابى هذا واحقق القول فيه بحيث تزول الشبهة التى خبط
ارباب علم البيان من اجلها وقالوا اقوالا لا تعرب عن فائدة والذى عندى فيه انه اذا رجعنا الى الاسماء واشتقاقها
وجدنا هذا الاسم مناسبا لمسماه وهو فى اصل اللغة ماخوذ من اطنب فى الشى اذا بالغ فيه ويقال اطنبت الريح
اذا اشتدت فى هبوبها واطنب فى السير اذا اشتد فيه وعلى هذا فان حملناه على مقتضى مسماه كان معناه المبالغة
فى ايراد المعانى وهذا لا يختص بنوع واحد من انواع علم البيان وانما يوجد فى جميعها اذ ما من نوع منها الا ويمكن
المبالغة فيه واذا كان الامر كذلك فينبغى ان نفرد هذا النوع من بينها ولا يتحقق افراده الا بذكر حده الدال على
حقيقته والذى يحد به ان يقال هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة فهذا حده الذى يميزه عن التطويل اذ التطويل
هو زيادة اللفظ على المعنى لغير فائدة • واما التكرير فانه دلالة اللفظ على المعنى مرددا كقولك لمن تستدعيه اسرع اسرع
فان المعنى مردد واللفظ واحد وسيرد بيان ذلك مفصلا فى بابه بعد باب الاطناب لانى ذكرت الايجاز ثم الاطناب
ثم التكرير وهى ابواب يتبع بعضها بعضا واذا كان التكرير هو ايراد المعنى مرددا فمنه ما ياتى لفائدة ومنه ما ياتى
لغير فائدة فانه جزء من الاطناب وهو اخص منه فيقال ح ان كل تكرير ياتى لفائدة فهو اطناب وليس كل اطناب تكريرا
لغير فائدة واما الذى ياتى من التكرير لغير فائدة فانه جزء من التطويل وهو اخص منه فيقال ح ان كل تكرير ياتى لغير
فائدة تطويل وليس كل تطويل تكريرا ياتى لغير فائدة وكنت قدمت القول فى باب الايجاز بان الايجاز هو دلالة
اللفظ على المعنى من غير زيادة واذا تقررت هذه الحدود الثلثة المشار اليها فان مثال الايجاز والاطناب والتطويل
مثال مقصد يسلك اليه فى ثلثة طرق فالايجاز هو اقرب الطرق الثلثة اليه والاطناب والتطويل هما الطريقان
المتساويان فى البعد اليه الا ان طريق الاطناب يشتمل على منزه من المنازه لا يوجد فى طريق التطويل وسياتى بيان
ذلك فى ضرب من الامثلة الذى يسهل من معرفته والاطناب يوجد تارة فى الجملة الواحدة من الكلام ويوجد تارة فى الجمل

انها كم

انها كم

فاما الذى ياتى لغير فائدة

المتعدده فالذى يوجد فى الجمل المتعدده ابلغ لاتساع المجال فى ايراده وعلى هذا فانه تجلته تنقسم قسم القسم
الاول الذى يوجد فى الجمله الواحده من الكلام وهو من حقيقه ومجازا اما الحقيقه مثل قولهم رايته بعينى
وقبضته بيدى ووطئته بقدمى وذقته بفمى وكل هذا يظن الظان انه زياده لا حاجه اليه ونقول ان الرويته لا
تكون الا بالعين والقبض لا يكون الا باليد والوطء لا يكون الا بالقدم والذوق لا يكون الا بالفم وليس الامر كذلك
بل يقال هذا فى كل شئ بعظم منال له ونعزا لوصول اليه فوكدا الامر فيه على هذا الوجه دلالة على نيل والحصول على
كقول الى عباده البحترى • تامل من خلال السجف وانظر • بعينك ما شرت ومر سقانى •
بحد شمس الضحى بدن بشمس • الى من الرحيق الخمر والى •
ولما كان الحضور فى هذا المجلس مما يعز وجوده وكان السامع فيه على هذه الصفه من الحسن قال انظر بعينك وعلى هذا
ورد قوله لعزز لكم قولكم بافواهكم فان هذا القول لما كان فيه افتراء عظيمه لله تعرعا قابله الا ترى الى قوله تعر
فى قصه الافك اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم
فصرح فى هذه الايه بما اشرت اليه من عظيم الامر المقول وفى مساق ثالثه الاولى المشار اليها حاء قوله تعر ما
جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل ازواجكم اللاء تظهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم
بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل الا ترى لما مساق الكلام ان لا انسان تقول الروحتنى على كظهر امى
وتقول للمملوكه يا ابنى فضرب الله تعر لذلك مثلا فقال كيف تكون الروجة امك وكيف تكون المملوك ابنا والجمع
بين الزوجيه والامومة وبين العبوديه والبنوة فى حاله واحده كالجمع بين القلب فى الجوف وهذا بعظيم لما قالوه •
وانكاره ولما كان الكلام فى حال الانكار والتعظيم اتى بذكر الجوف والا فقد علم ان القلب لا يكون الا فى الجوف
والمثل يصح بقوله ما جعل الله لرجل من قلبين وهو تام لكن فى ذكر الجوف فائده وهى ما اشرت اليها وفيها ايضا زياده
تصوير للمعنى المقصود لانه اذا سمعه المخاطب به صوره لنفسه جوفا يستمل على قلبين فكان ذلك اسرع الى انكاره
وعليه ورد قوله تعر فخر عليهم السقف من فوقهم فكما ان القلب لا يكون الا فى الجوف وكذلك السقف لا يكون من فوق الا مم
وهذا مقام ترهيب وتخويف كما ان ذاك مقام انكار وتعظيم الا ترى الى هذه الايه كيف اتى بكما لها وهى قوله تعر ومكروا مكرا كبارا
من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ولذكر لفظه
فوقهم فائده لا توجد مع اسقاطها من هذا الكلام وانت تحس هذا من نفسك فانك اذا تلوت هذه الايه تخيل اليك
ان سقفا خر على اولئك من فوقهم وحصل فى نفسك من الرعب ما لا تحصل مع اسقاط تلك اللفظه وفى القران
الكريم من هذا النوع كثير كقوله تعر فاذا نفخ فى الصور نفخه واحده وحملت الارض والجبال فدكتا دكه واحده وقوله
اوانتم اللات والعزى ومنات الثالثه الاخرى وكل هذه الايات انما اطنب فيها بالتاكيد لمعان اقتضتها فان النفخ فى
الصور الذى تقوم به الاموات من القبور مهول عظيم دال على القدره الباهره وكذلك حمل الارض والجبال فلما كانا
كذلك اقتضى الحال التاكيد بقوله نفخه واحده اى ان هذا الامر المهول العظيم سهل يسير على السريع الفعل ومضى الامر فيه بنفخه
واحده ودكه واحده ولا يحتاج فيه الى طول مده ولا كلفه مشقه فجئ بذكر الواحده لتاكيد الاعلام بان ذلك هين
سهل على عظمه وهذه المواضع وامثالها تزخر فى القران الكريم وتوهم بعض الناس انها ترد لغير فائده اقتضتها
وليس الامر كذلك فان هذه الاسرار اللطيفه لا تتنبه لها الا العارفون بها وهكذا يرد ما يرد منها فى كلام العرب
وها هنا نكته لا بد من الاشاره اليها وذلك انى نظرت فى قوله تعر نفخه واحده ودكه واحده وفى قوله تعر ومناه الثالثه

ودكه واحده ٦

تاخر

الاخرى فوجدت ذلك غير مقتض على ما تقدم وسابينه بيان شاف فاقول ان قوله تعر ومناه الثالثه
الاخرى انما جئ به ليوازن الفقر التى بطمت السوره كلها عليها وهى والنجم اذا هوى ولو قيل اوراسم اللات
والعزى ومناه ولم يذكر الثالثه الاخرى لكان الكلام عاريا عن الطلاوه والحسن وكذلك لو قيل ومناه الاخرى
مر غير ان يقال الثالثه لانه ينقص من الفقره الثانيه عن الاولى وذلك قبيح وقد تقدم الكلام فيه فى باب
السجع لكن التاكيد فى هذه الايه جاء ضمنا لتوازن الفقر وتبعا واما نفخه واحده فانما جئ بها بلفظ الواحده
فيهما وقد علم ان النفخه هى واحده والدكه هى واحده لمكان نظم الكلام لان السوره التى هى الحاقه جاريه على
هذا المنهاج فى توازنها السجعى ولو قيل نفخه مر غير واحده ودكه مر غير واحده مر قبل بعدهما فمومثل وقعت
الواقعه لكان الكلام منثورا محتاجا الى تمام لكن التاكيد فيه جاء ضمنا وتبعا واذ تبين ذلك واتضح فاعلم
ان الفرق بين هذه الايات وبين قوله تعر ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ظاهر وذلك ان نفخه هى واحده ومناه
هى الثالثه واما القلب فانه غير الجوف واما الذى حامنه على سبيل المجاز فقوله تعر فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التى فى الصدور ففائده ذكر الصدور ها هنا انه قد تعورف وعلم ان العمى على الحقيقه مكانه
البصر وهو ان تصاب الحدقه بما يطمس نورها واستعماله فى القلب شبيه ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف
المتعارف من سبب العمى الى القلوب حقيقه ونفيه عن الابصار احتاج هذا الامر الى زياده تصوير وتعريف
ليقرر ان مكان العمى انما هو القلب لا الابصار وهذا موضع من علم البيان كثيره محاسنه وافره لطائفه
والمجاز فيه احسن من الحقيقه لمكان زياده التصوير فى اثبات وصف الحقيقى للمجازى ونفيه عن الحقيقى
واما القسم الثانى المخصص بالجمل فانه يشمل على ضروب اربعه الاول منها ان يذكر السبى فصولى فيه
بمعان متداخله الا ان كل معنى يختص بخصيصه للست للاخر وذلك كقوله تعالى تمام •
قطعت الى الراسن هباده • الثالث مامور السحاب المسبل •
مرنه مشهوره وصنيعه • بكر واحسان اغر مجلل • وقوله مرنه مشهوره
وصنيعه بكر واحسان اغر مجلل قد تداخلت معانيه اذ المنه والصنيعه والاحسان متقارب بعضه من
بعض وليس ذلك بتكرير لانه لو اقتصر على قوله مرنه وصنيعه واحسان لجاز ان يكون تكريرا ولكنه وصف
كل واحده من هذه الثلث بصفه اخرجها عن حكم التكرير وما المنه مشهوره فوصفها بالاشتهار لعطوشانها وصنيع
بكر فوصفها بالبكاره اى انها لم توت مثلها مر قبل واحسان اغر مجلل فوصفه بالغره والتجلل اى هو دوام
متعدده فلما وصف هذه المعانى المتداخله التى يدل على شئ واحد باوصاف متباينه صار ذلك اطنابا ولم يكن
تكريرا ولما اجد فى ضروب الاطناب احسن من هذا الموضع ولا الطف وقد استعمله ابو تمام فى شعره كثيرا الحلاف
غيره من الشعراء كقوله • زكى بحياياه تضعف ضيوفه • ويرجى مرجيه وتسال سائله • وان عرضت هذا القول انما
هو ذكر الممدوح بالكرم وكثره العطا الا انه وصفه بصفات متعدده فجعل ضيوفه تضعف وراجيه يرجى
وسائله تسال وليس هنا تكرير لانه لا يلزم من كون ضيوفه تضعف ان يكون راجيه مرجوا ولا ان يكون سائله مسوء
لان ضيفه يسمى ضيفا طمعا فى كرم مضيفه وسائله تسال اى يعطى السائل عطاء كثيرا يصيره معطيا وراجيه
يرجى اى انه اذا تعلق به رجاء راج فقد ايقن بالفلح والنجاح فهو حقيق بان يرجى لكان رجائه اياه وهذا ابلغ
الاوصاف الثلثه • الضرب الثانى نسمى النفى والاثبات وهو ان يذكر الشئ على سبيل النفى ثم يذكر على سبيل الاثبات

او بالعكس ولا بد ان يكون في احدهما زيادة ليست في الاخر والا كان تكريرا والغرض به تاكيد ذلك المعنى المقصود
فمما جاء منه قوله تعالى لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله
عليم بالمتقين وقوله تعالى انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون
واعلم ان لهذا الضرب من الاطناب فائدة كبيرة وهو من اوكد وجوهه الا ترى انه قال لا يستاذنك الذين يومنون
بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم ثم قال انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر
والمعنى في ذلك سواء الا انه زاد في الاية الثانية قوله وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولولا هذه
الزيادة لكان حكم هاتين الايتين حكم التكرير وهذا الموضع ينبغي ان يتامل ويعم النظر فيه وعليه ورد قوله تعالى الم
غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح
المومنون بنصر الله ينصر من يشا وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون فقوله يعلمون بعد قوله لا يعلمون من الباب الذي نحن بصدد ذكره
الا ترى انه نفى العلم عن الناس بما خفي عنهم من تحقيق وعده ثم اثبت لهم العلم بظاهر الحيوة الدنيا فكانهم علموا وما
علموا اذ العلم بظاهر الامور ليس بعلم وانما العلم هو ما كان بالباطن من الامور • الضرب الثالث هو ان
يذكر المعنى الواحد تاما لا يحتاج الى زيادة ثم يضرب له مثال من التشبيه كقول ابي عبادة البحتري •

ذات حسن لو استزادت من الحسن اليه لما اصابت مزيدا •
فهي كالشمس بهجة والقضيب اللدن قدا والزيم طرفا وجيدا •

الا ترى ان الاول كاف في بلوغ الغاية في الحسن لانه لما قال لو استزادت لما اصابت مزيدا دخل تحته كل شي من
الاشيا الحسنة الا ان للتشبيه مزية اخرى تفيد السامع تصويرا وتخييلا لا يحصل له من الاول وهذا الضرب من
احسن ما يجي في باب الاطناب وكذلك ورد قوله

تردد في خلقي سودد سماحا مرجى وباسا مهيبا •
فكالسيف ان جيته صارخا • وكالبحر ان جيته مستثيبا • فالبيت الثاني يدل على
معنى الاول لان البحر للسماح والسيف للباس المهيب الا ان في الثاني زيادة التشبيه التي تفيد تحصيلا وتصويرا
الضرب الرابع ان يستوي معاني الغرض المقصود من كتاب او خطبة او قصيدة وهذا اصعب الضروب الاربعة
طريقا واضيقها بابا لانه يتفرع الى اساليب كثيرة من المعاني وارباب النظم والنثر يتفاوتون فيه وليس الخاطر الذي
يقذف بالدرر في مثله الا معدوم الوجود ومثاله ومثال الايجاز مثال مجمل ومفصل وقد تقدم القول بان
الايجاز والاطناب والتطويل بمنزلة مقصد يسلك اليه في ثلثة طرق وقد اوردت ههنا امثلة لهذه الاساليب
الثلثة وجعلتها على هيئة المقصد الذي يسلك اليه الطرق الثلثة • فمن ذلك ما ذكرته في وصف بستان ذي فواكه
متعددة فاذا اريد وصفه على حكم الايجاز قيل • فيه من كل فاكهة زوجان • وهذا كلام الله قد جمع جميع انواع الفاكهة
باحسن لفظ واخصره واذا اريد وصف ذلك البستان على حكم الاطناب قيل فيه ما اذكره وهو فصل من كتاب انشاته
وهو جنة علت ارضها ان تمسك ماء • وغنيت بينبوعها ان تستحدي سماء • وهي ذات ثمار مختلفة الغرابة •
وتربة منجبة وما كل تربة توصف بالنجابة • فمنها المشمش الذي يسبق غيره بقدومه • وتقذف ايدي الجانين بنجومه فهو
يسمو بطيب الفرع والنجار • ولو نظم في جيد الحسنا لاشتبه بقلادة من نضار • وله زمن الربيع وهو اعدل الازمان

وقد

وقد شبه بسن الصبي في الاسنان • وفيها التفاح الذي رق جلده وعظم قدره وتورد خده • وطابت انفاسه
فلا بان الوادي ولا رنده • واذا نظر اليه وجد من حظ الشمر والنظر • ونسبته الى سرر الغزلان اولى من نسبته الى
منابت الشجر • وفيها العنب الذي هو اكرم الثمار طينة • واكثرها الوان زينة • واول غرس اغترسه نوح عند خروجه
من السفينة • فقطفه يميل بكف قاطفه • ويغري بالوصف لسان واصفه • وفيها الرمان الذي هو طعام وشراب
وبه شبهت نهود الكعاب • ومن فضله انه لا نوى له فيرمى نواه • ولا يخرج اللولو والمرجان من فاكهة سواه • وفيها
التين الذي اقسم الله به تنويها بذكره • واستتر ادم بورقه اذ كشفت المعصية من ستره • وخص بطول الاعناق فما
يرى بها من ميل وذاك من نشوه وسكره • وقد وصف بانه راق طعما • ونعم جسما • وهو كنيف ملئ شهدا لا كنيف
ملئ علما • وفيها من ثمرات النخيل ما يزهي بلونه وشكله • ويشغل بلذة منظره عن لذة اكله • وهو الذي فضل ذوات
الافنان بعرجونه • ولا يماثل بينه وبين الحلوا فيقال هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه • وفيها غير ذلك
من اشكال الفاكهة واصنافها • وكلها معدودة من اوساطها لا من اطرافها • ولقد دخلتها فاستهوتني حسدا • ولم الم
صاحبها على قوله ان تبيد هذه ابدا • فهذا الوصف على هذه الصورة يسمى اطنابا لانه لم يعر عن فائدة وذاك
الاول هو الايجاز لانه اشتمل باختصاره على جميع اصناف الفاكهة واما التطويل فهو ان تعد الاصناف المذكورة
تعدادا من غير وصف لطيف ولا نعت رائق فيقال فيها مشمش وتفاح وعنب ورمان ونخل وكذا وكذا وكذا
فانظر ايها المتامل الى ما اشرت اليه من هذه الاقسام الثلثة في الايجاز والتطويل والاطناب وقس عليه ما ياتي
منها وسازيد ذلك بيانا بمثال اخر فاقول قد ورد في باب الايجاز كتاب كتبه طاهر بن الحسين الى المامون رحمه الله
يخبره بهزيمة عيسى بن هامان وهو كتابي الى امير المومنين وراس عيسى بن هامان بين يدي وخاتمه في يدي وعسكره
مصرف تحت امري وسلام فهذا كتاب جامع للمعنى شديد الاختصار واذا كتب ما هو في معناه على وجه الاطناب
قيل ما اذكره وهو ما انشاته مثالا في هذا الموضع ليعلم به الفرق بين الايجاز والاطناب وهو • اصدر كتابه هذا
وقد نصر بالفئة القليلة على الفئة الكثيرة • وانقلب بالعين الملاء والعين القريرة • وكان انتصاره بجد امير المومنين
لا يجد نصله • والجد اغنى من الجيش وان كثرت امداد خيله ورجله • وجي براس عيسى بن هامان وهو على جسد غير جسده •
وليس له قدم فيقال يسعى بقدمه ولا يد فيقال يبطش بيده • ولقد طال وطوله موذن بقصر شانه • وحسدت
الضباع الطير على مكانها منه وهو غير محسود على مكانه • واحضر خاتمه وهو الخاتم الذي كان الامر يجري على
نقش اسطره • وكان يرجو ان يصدر كتاب الفتح بختمه فحال ورود المنية دون مصدره • وكذلك البغي مرتعه
وبيل • ومصرعه جليل • وسيفه وان مضى فانه عند الضرب كليل • وقد نطق الفال بان الخاتم والراس مبشران
بالحصول على خاتم الملك وراسه • وهذا الفتح اساس لما يستقبل بناوه ولا يستقر البنا الا على اساسه • والعساكر
التي كانت على امير المومنين حربا صارت له سلما • واعطته البيعة علما بفضله • وليس من بايع تقليدا كمن بايع
علما • وهم الان مصرفون تحت الاوامر • ممتحنون بكشف السرائر • مطيفون باللواء الذي خصه باستفتاح
المقالد واستيطاء المنابر • وكما سرت خطوات القلم في اثنا هذا القرطاس • فكذلك سرت طلائع الرعب
قبل الطلائع في قلوب الناس • وليس في البلاد ما يعلق بمشية الله بابا • ولا يحسر نقابا • وعلى الله اتمام النعمة
التي افتتحها • واجابة امير المومنين الى مقترحاته التي اقترحها وسلام • وهذا يشتمل على ما اشتمل عليه
كتاب طاهر بن الحسين من المعنى الا انه فصل ذلك الاجمال ولو كتب على وجه التطويل الذي لا فائدة فيه لقيل

الكتاب

اصله كتابه في يوم كنا مر شهر كنا والتقى عسكر امير المومنين وعسكر عدوه الباغي وتراحف الجمعان
وتطاعن الفريقان وحمي القتال واشتد النزال وتزاد فت الكتائب وتلاحقت المقانب وقتل عيسى
هامان واحتز راسه ونزع الخاتم من يده وخلع وترك جسده طعاما للطيور والسباع والذياب والضباع
وانجلت الواقعه عن غلبة امير المومنين ونصره وحدلان عدوه وقهره وسلام فهذا الكتاب يشتمل على تطويل
لا فائده فيه لانه كرر فيه معاني تم الغرض بدونها وذكرها لا حاجه اليه في الاعلام بالواقعه فاسقط ذكرها من هذه الكتبه
الثلثه وتاملها كما ماملت الذي تقدمها وبعد ذلك فاني اورد لك كتابا وتقلدا يوضحان لك فائده الكتاب
اما الكتاب فانه كتب عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله الى ديوان الخلافه ببغداد
تتضمن فتح البيت المقدس واستنقاذه من ايدي الكفار وذلك في معارضه كتاب كتبه عبد الرحيم بن البيساني
عنه وكان الفتح في السابع والعشرين من شهر رجب من سنه ثلاث وثمانين وخمسمايه وخلد السلطان الديوان
العزيز النبوي وجعل ايام دولته اترابا ومناقب مجدها هضابا وزاد هاعلى مر الايام شبابا واوسعها
توثيبه واذهابا اذا اوسع غيرها ملاشيا واذهابا ومنحها في الدنيا والاخره عطا وفاقا لاعطاء حسابا ومثل
جدوده في عيون الاعداء شيا عجابا واراهم منها في يقظه ارهابا وارعابا وفي المنام ايلاصعابا نقود خيلا
عرابا لو جمعت العصور في صعيد واحد لكان هذا العصر عليها فاخرا وفاز بسبقها واهلها وان جاء اخرا
ولبس ذلك الا لحظوته بالدوله الناصريه التي كسته خبرا وقلدته درا ودونت له في المحامد سيرا وجعلت في
كل ناحيه من وجهه شمسا وقمرا وقبض الله لها مر الخادم وليا يوصل يومها في طاعتها بامسه ولاراي لاومر نفسه
في حدمنها رقيب على نفسه وطالما سعى بزيدها لمساع تغيض اخبارها محافل القوم ويقال له فيها ما ضراك ما
صنعت بعد اليوم وقد سلفت منها ايات تماثل في اشباهها واضرابها واستونف منها الان واحده تدعى
باتم كمابها وهي فتح البيت المقدس الذي يفتحت له ابواب السماء وكثرت باحاديث مجده كواكب الظلماء واسترد
حق الاسلام وطالما سعت لهم في طلبه الزاد والماء ومراحتها الى به انه انس قبلته الثانيه بقبلته الاولى
واطال عنه كما قصرته بدا لكفره وكانت هي الطولى وبه صح لهذا البيت معنى اسمه واسقل الى الطهاره وزاحتها
عن الرجس ووصمه ولم يعده الخادم حتى طوى ما حوله من البلاد المنجده والغائره وكان مركزا لدائرتها فعاد ده
وهو طرف من اطراف الدائره ولما شارفه نظر منه الى ظله من الظلل ورای بلدا قد استقر على متن الجبل بمثل الحجل
ويطيف به واد تستهوي عصمته بنوب الدهر وقد انعطفت على جوانبه انعطاف الجيوب على الظهر والمسالك
اليه مع ذلك ذات تعاريج ومعارج وهي ضيقه مستوعره تطلق عليها اسم الطرق ولا يطلق عليها اسم المناهج
فلما راه قال هذا امنيتي لمن يرى وعلم ان كل الصيد في جوف الفرا الا ان لسان حاله خاطبه وهو افصح الخطاب
وقال امدد يدك فلبس دونها من حجاب وكان قد برز من السلاح في لباس رابع من المنعه واخرج من السواد
الاعظم ما خدع العيون والخرب خدعه وما منع رقاب البلاد بكثره السواد ولا لحمي بعوالي الاسوار بل بعوالي
الصعاد وفي يوم كنا وكنا حتم المسلمين في عقر داره ونزلوا منه نزول الجار الجنب جاره ثم ارتادوا موقفا
للقتال وان لم يكن هناك موقف يعرب منا له ولا تتسع مجاله واتفق الراي على ان لسان المنحنق في خطبه
عقيلته ابلغ خطابا واداني من المطلوب طلابا وانه اذا ضرب بعصاه الحجر انبجست عيون اهله دماء كما انبجست
عيون الحمراء والعالم ينظر الى هذا الراي المستجهل وتصد عنه صدود المستحيل وتقول اما بازناد السهل املك

نظر ح

الصعاب

الصعاب ومرابتني السيف صرحا لم تنتاء عنه بلوغ الاسباب والحديد لا يصلح الا بالحديد والكر الشديد لا يصدم
الا بكر شديد وعندها صمم الحادم ان يلقى البلد مواتيا لا موازيا وان يجعل للزحف جانبا وللمحيق جانبا ويومان
يبدي صفحه وجهه امام الناس ويتاسى برسول الله ص في الالتفاء به اذا استد الباس ولا شك ان قلوب الجيوش بمنزله
قلوبها وان النفاء لا سنة الرماح لا تكعوبها ولا تشفي مر الوغا الا مر كان طرفه امام طرفه ومر وقف حلف حنوده
فقد جعل زمامها مر خلفه ولما وقع الزحف صوب البلد صراعا بعد ان قرع قراعا بهزة هزة طوته يمينها ونشرته
بشمالها واذا فته العذاب الادنى دون العذاب الاكبر مر نكالها وبدوزج لك يكون عراك ادميه وعطف شكيمه ولم يكن
قتاله بالسهام التي غايتها ان تصف اهنتها للمطار ومنال كلومها مر فوق الاسوار بل بالسيوف التي اذا جالت بلدا
اخذت بكظمه وبوغلت في هجمه واغنت بسرقه خطواتها البدر المنخنق وابطاء هديه والسيف ليس بمر تومر
النفس التي مطل طاشته عند لقائها حياشه عند استقائها والقلوب يوصف بانها بجيش اذا كانت اعدادا والنفوس
لا تجبس الا اذا كانت تماديا وما استوى وجوه لا قرار في اقدامها واحجامها منها المطلم اذا زايلها الروع باشراقها
ومر المشرق اذا شانها الروع باظلامها وكانت وجوه المومنين في هذا المقام احطى لباس الاشراق واتم ابدارا
والدور لا تكون تماما الا في لحاق فما منهم الا مر عرض نفسه ليوم العرض ومشى الى جنه عرضها السموات والارض
حتى اتسع المكر وضاق باعداء الله المفر وخرقت اوعار الخنادق وصار الرجال لمنطقة السور كالمناطق
ولو استشهد منهم الاعدد يسير لا ندخله في التعريف وكانت اجنحه الملئكه مطيفه بهم فاكرم بالمطاف وبالطيف
وفاز سعد الله اولئك بالشهاده التي هي الفوز الاكبر وقرتها بادناء مضاجعهم من الارض المقدسه التي هي ارض
المحشر فما اسرهم ان يعودوا الى الدنيا الا لاستزاده مر ثوابها الجهاد واسرة لك ان ارواحهم في حواصل طير تعلق
مر عاري الجنه الى يوم المعاد ولما راى الكفار ان صليبهم قد صار خوارا وان زعيمهم قد انقلب خوارا ادعنت بدهم
باستسلامها وصاعت بالمال عن الرقاب واسترقاقها والملاذ النفوس وحمامها فالى السيف ان تتراءى رقابا
يعدي باكلها ويحل مر عسفها على مداومة وصلها واذكر الخادم ان سلف هولاء انتزع هذا البلد قسرا وفتك من
كان به من المسلمين غدرا وذلك ثاره خرج لله لذلك حتى يحطى في الاخره بثوابه ويتحمل في الدنيا برهنه اثوابه والمسلم
اخو المسلم ياخذ بيده وان طاولت امداد السنين على قدمه فيا بعد عهد هذا الثار مر ثائره وياطيب خبره عند
سامعه وحسن اثره عند ناظره ولما لحقوا العذر عن ذلك اشار ذو الراي بقبول الفديه المبذوله والاجمال
العدو على ما لست نفسه عليه محموله فان انتقد اذا اخرج صاره ابنان واظفار واستضرى حتى يلتحق بالسباع
الضواري وهولاء اذا راوا عن القتل بجرد وللقتال وركبوا الاهوال للنجاة مر الاهوال ومر يدع الى الخطه رشد
فليقبلها ومر يشطط له عقل الامور ولا يعقلها وعلى كل حال فان الفديه للمسلم ارغب واموالها تتقوى بها العدو
خير مر دماء يذهب هنا وبالبلد اسارى المسلمين مر حياة احدهم يحيق كل نفس وحرمته عند الله حرمها طلعت عليه
الشمس ولا توازي فتحه عنوة ان تتعدى لهم اضرار ولا شك انهم لعاجلوا القفل قبل ان يدخل اقطاره
وراى الخادم عند ذلك ان الراي مشترك وان له معركا كما ان السيف له معترك وتقرر تسليم البلد ودموع اهل
قد غصت احداقها واقرحت اماقها ولم تطب انفسهم بفراق قمامه حتى كادت الهام بفارق اعناقها فعلى جنب
ذلك التراب تقوم قيامتهم وتشيل اعنتهم ولطالما انتهلوا عنده ايام الحصار واستصروه فلم يخطوا منه
بمعونه الانتصار وكيف يرجى النصر من معبود تقر شيعته تقتله ام كيف يدفع غيره ما كان هو مبتلى بمثله

وهذه عقول سخيفه نفذ فيها كيد شيطانها واخفى عنها محجة الحق على وضوح بيانها ولقد كان يوم التسليم عريض
الفخار زايد العمر على عمر ابويه الليل والنهار واشرق مراسمه معنى لسلامة للمسلمين والهلاك للكفار وزاده
فخرا الى فخره انه وافق اليوم المسفر عن ليلة المعراج النبوى الذى كان فى ملك الارض موعده ومرصخرتها مصعده
وذلك هو الاسراء الذى ركب ليله طرف البراق واستفتحت له ابواب السبع الطباق ولو قرع الانبيا على احلاف
ارحامهم فطفر خير ملقح بخير لاق وبركه ذلك اليوم سرت الى هنا فاطالت مرشهرته وضمنته نصرة الدين الحنيف
الذى لله عناية بنصرته وجعلته تاريخا يورخ بفتحه كما ارخ النبى بهاجرته واذا اتصف واصفه فانه اخ لليوم
البدرى فى اقتراب النسب وانه العجيبه التى لم يخل عنها الايام فى صفر وانما اخلت عنها فى رجب فيها
اكثر الفايز فيه والمغبون والمسرور والمحزون فمن حد راكب وحد راجل وعز قادم وذل راجل ولطالما حد الخادم
فى السعى له وانصار الاعدا زلقه والسنتهم تسلقه ومامنهم الا من اكثر الثناء عليه بان ذلك السعى للاسكثار من البلاد
ولله يعلم انه لم يكن الا للاستكثار من مواد الجهاد لا جرم ان صدق النيه كان له عقبى الدار ولكل لاقوال الكاذبه
كان لها عقبى البوار ويوم هذا الفتح بفضله قبله الى ايام يحلو بياضه عن سواده ويلقح له بطون المساعى حتى يكون
هو نتيجة ميلادها ولما ظفر به الخادم ولم يكن لاهل النجامه فيه قول لم يكن بابعد صوابه والشهب لطالعة
على ذوات السروح اصدق بناء من الشهب الطالعه مردودات البروج على انهما وان انفقا رجما فانهما مختلفان علما
وعلم هذه يسال عنه بطون الاوراق ولما دخل البلد وجد به امم لولا ان ضربت عليهم الذله لدافعوا المنايا
مكاثرة وغالبوا السيوف مصابرة وبهم طوايف مختلفو الالسنه والالوان وان قل انهم اناسى فان صورهم
صور الجان ومنهم طايفه استشعرت جلس نفوسها وقمصت الشعر اوساط رؤسها وتوحشت بالرهبانيه
حتى راعت العيون مراشكالها وبؤسها ولما راوا طلعة الاسلام داخله عليهم اعلنوا بالجؤار واصطرخوا
جميعا كما يصطرخون غدا فى النار وراودهم عيطا الى عظيم انهم راوا الضلاله قاعمة وقد صار الناقوس اذانا
وكلمة الكفر ايمانا واقمت الجمعه وهى اول جمعه حضى الاقصى بمشهدها وحضرها الامه الاسلاميه باجمعها
واسود لها مربا بدمعه سروره البارده ومرجل نظره فى نعمة لله الوارده ومرشاك للزمر الذى ابقاه الى يومه
هذا الذى كل الايام له حاسد مركان مولده تقدم قبله او بعده فكانه لم يولد وكانت هذه الجمعه
رابع شعبان وهو الشهر الذى جعله الله طليعة لشهر الصيام ولم يصفه هى الليله المعروفة باحيا قيامها
الى حيروفاه شخص الظلام والتى نعفر فيها الاكثر شعر غنم كلب مرذوى الذنوب والاثام وجئ باللواء الاسود
وكر من المنبر فى اعلاه ونطق لسان حاله فقال من كان رسول الله مولاه فانا مولاه ولم يكن لسان الخطيب بافصح
بيانا من لسانه غير ان هنا زهى بلاغ موعظته وهنا زهى بعز سلطانه ولما ذكرت سمات الخلافه المعظمه انتعشها
الناس الدعا الذى ملاء المسجد بعجيجه وسبق الكرام الكاتبين بدفيله الى السماء وضجيجه وكان اليوم فصلا
والموقف جفلا وذلك الدعاء فرصا لا نفلا ولا انتهى الوصف الى ما شوهد بالبلد من الاثار العجيبه التى تستلب
العجلان وتستخلب الاذهان وتستنطق الالسنه بالتسبيح لله الذى فطر الانسان ومن جمله ذلك ما ترهى
فى حسنه من السبع والصوامع ذوات الابنيه الرواتع التى روضت بالزخارف تروض الازهار ورفعت معاقدها
حتى كادت النجوم توحى اليها بالاسرار ومنها منها الامانقا لامه ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ولقد الان
الله لهم المحان حتى حمروا فى تبييعها بضروب الاختبار وجعلوا محاسب للاسماع والابصار وقيل فيها هذه روضات

حنان

حسان لا افتيه دياره هذا الى غير مما وحد من معبودات القوم الموصوفه بانها الهه الصلب للاذى مرذوات
النصب واكثر ذلك وحد فى المسجد موضوعا وعلى قبته مرفوعا فازلت على قرونها واستن بسنه رسول الله ﷺ
وطعن عيونها واستوطن المومن مكان الكفور وبدلت الظلمات بالنور وقالت الصخره الان جمع بنى وبين
المحجر الاسود لخاطب الاسلام والجمع بين الاخيرين مثل هذا الامر الحلال للامر الحرام وقال الاقصى سبحان الذى
اسرى الى المخدع كما اسرى بعبده واعاد الى عهده الفتح الاول لهذا الفتح الذى تى من بعده وعودا لذاهب ارجى لدوام
احقابه وخلود الانسان لا يكون الا فى مآبه وهذا هو الخطب الذى حدد الاسلام عهود خطابه الا ان مستنقذ
الطريده اولى بها من صاحبها ولئن غضبتها يد عالبه فقد حاء لله بايد التى غضبتها من غاصبها هذا ولم يستقد
الخادم الا بانضا سلاح الفتنه الواقعه الاولى التى اشاصلت حماة البلاد واستباحت اغيالها نقتل الاسلاف
فكانت لهذا الفتح عنوانا ولتقرير اصوله تبيانا ولم ينج بها من طواغيت الكفر الا طاغيه طرابلس فان السوف
اثارته ونفواده قلق مراوجالها وفى عينه دهش مراهوالها وقد قرن لسر هذا الفتح بشرى موته وكفى المسلمين
مونة الاهتمام لقوته فمن رم الوقعه ولم ينج من الفرار واعتصم بدار حداره فقتله الخوف من وراء الجدار ولا فرق بين
قتيل خوف الشفار وبين قتيل الشفار ولقد فر من المكروه الى مثله لكنه اسفل من منيته عن الى منيته ذله وكذلك اثار
الخادم فى اعداء الله فهم هلكى بسيفه فى مواقف الطراد فان فروا فبخوفه على جنوبها لوساد وبعد هذه فهل تمترون
فى ان دعاءهم قد استجابت لمراده وان سواء لديه ما يمكن منها وما نوه وما امتنع منها فى بعاده وكذلك مستمد
من الاستنصار بعنايه الديوان العزيز التى من شانها ان تجعل الرويا حقا والاحاديث الاماليا صدقا وتقرب بعدات
الامور حتى تجعل الشرق غربا والغرب شرقا فهذا الفتح منسوب اليها وان كان الخادم هو الساعى فى تسهيله
والمجاهد بنفسه وماله فى سبيله فعلى عطف دولتها ترقم اعلامه وفى ايامها تورخ ايامه ولو انتج للقلم الخلاء
فى مقام المقال كما انتج لصاحبه فى مقام القتال لاحالت مشيئته فى هذا الكتاب ولقال واسهب فلس لاكثار
هاهنا الاسهاب للكن منعه عن ذلك ان يكون ممن فخر بعمله فابطله وارسل خطابه الى الديوان العزيز فلم يقبضه
الا لادب حين ارسله وقد زاد من يبلغ عنه مشاريح هذه الوقايع التى اختصرها ويمثل صورها المرغاب عنها
كما ممثلت لمن حضرها وكم ذكر انه من النبا هه كريما لمكانها وهى عرائس المساعى فاحسن الناس بيانا موهل للابداع
حسانها والسارين بها فلان وهو راوى اخبار نصرها التى صحتها فى تجريح الرجال وعوالى اسناد ما خوذه
من طرق العوال والايام والليالى لها رواه فما الظن برواة الايام والليالى فيتلو اهذه لاخبار الصادقه
تمشيه الله اخبار صادقه وما دامت السيوف ناطقة فى يد الخادم فالالسنة عنها ناطقه والاراء العالله من
يدا لعلو ان شا الله بعده واما التقليد فانه تقليد انشانه لمنصب الحسبه وهو اما بعد فقد جعل الله
جزاء التكرم ارضه ان تقام بحدود فرضه ويحرسا له التوفيق لهذا الامر الذى ثقل حمله وعدم اهله فقد جى بناء
فى زمن اصبح الناس فيه سدى وعاد الاسلام فيه غريبا كما بدا وهو الزمر الذى كثرت فى اشراط اليوم الاخير وغربلت
فيه الامه حتى لم يسق الا حثاله كحثاله التمر والشعير ومن اهم ما يقرر بناوه وتقدم عناوه وتصلح به الزمر وابناوه
ان يمضى احكام الشريعه المطهره على ما قررته فى تعريف ما عرفته وتنكير ما نكرته ومداره لك على النظر فى امر الحسبه
التى تنزل منه بمنزله السلك من العقد والكف من الزند وقد اخلصنا النيه فى ارتياد من يقوم فيها ويكفيها ويصطفى
لها ولا تصطفيها وهو انت ايها الشيخ الاجل فلان احسن الله لك الاثر وصدق فيك النظر فتولها غير موكول اليها

بل معانا عليها واعلم ان الناس قد اماتوا سننا واحيوا بدعا وتفرقوا فيما احدثوه من المحدثات شيعا واظلم منهم من
اقرهم على امرهم ولم ياخذهم بقوارع زجرهم فان السكوت عن البدعة رضى بمكانها وترك النهي عنها كالامر باتيانها
ولم يات بنا الله الا لنعيد الدين على اصوله صادعا بحكم الله فيه وحكم رسوله ونحن نامرك ان تتصفح احوال الناس
في امر دينهم الذي هو عصمة مالهم وامر معايشهم الذي يميز به حرامهم من حلالهم فابدا اولا بالنظر في العقائد واهد
فيها الى سبيل الفرقة الناجية الذي هو سبيل واحد وتلك الفرقة هي السلف الصالح الذين لزموا موطن الحق فاقاموا
وقالوا ربنا الله ثم استقاموا ومن عداهم فشعب دانوا اديانا وعبدوا من الاهواء اوثانا واتبعوا ما لم ينزل به الله
سلطانا ولو نشا لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم فمن انتمى من هولاء الى
فلسفة فاقتله ولا تسمع له قولا ولا تقبل منه صرفا ولا عدلا وليكن قتله على روس الاشهاد ما بين حاضر وباد
فما تكدرت الشرايع بمثل مقالته ولا تدنست علومها بمثل اثر جهالته والمنتمي اليها يعرف بنكره ويستدل عليه
بظلمه وكفره وتلك ظلمة تدرك بالقلوب لا بالابصار وتظهر زيادتها ونقصها بحسب ما عند رايتها من الانوار
وما تجده من كتبها التي هي سموم ناقعة لا علوم نافعة وافاع ملففة لا اقوال مؤلفة فاستاصل شافتها
بالتحريق وافعل بها ما يفعله الله باهلها من التحريق ولا يقنعك ذلك حتى تجتهد في تتبع اثارها والكشف
عن مكامن اسرارها فمن وجدت في بيته فليوخذ جهارا ولينكل به اشتهارا وليقل هذا جزاء من استكبر استكبارا
ولم يرج لله وقارا واما من يحدث في القدر وقال فيه بمخالفة نص الخبر فليس في شي من ربقة الاسلام وان
تنسك بمداومة الصلوة والصيام قال النبي ص القدرية مجوس هذه الامة والمراد بذلك انهم ماثلوا
بين الله والعبد والضياء والظلمة فعلاج هذه الطائفة ان تجري بان تجري فليقابل جمعها بالتكسير
واسمها بالتصغير وليتقل الى ثقل الحدود عن خفة التعزير ومن كان منها ذا مكانة بالهة فليهبط او شهادة
عادلة فليقسط وكذلك يجري الحكم فيمن قال بالتشبيه والتجسيم او قال بحدوث القران الكريم ومن ملحدي
القران فرقة فرقت بين المعنى والخط وقالت فيه بالشكل والنقط وكل هولاء قوم خبثت سرايرهم وعميت
بصايرهم وعظمت عند الله جرايرهم فخذهم بالتوبة التي يطهر اهلها وتجب ما قبلها وليست التوبة عبارة
عن ذكرى اللسان والقلب لاه في قبضة النسيان بل هي عبارة عن الندم على ما فات واستيناف الاخلاص
فيما هو آت وقد جعل الله التايب من احبابه ووصفه في مواضع كثيرة من كتابه ومن فضله ان الملئكة يستغفرون
لذنبه ويشفعون له الى ربه فان ابت هذه الطوايف الا الاصرار ولم يزدهم دعاوك الا فرارا فاعلم
ان الله قد طبع على قلوبهم طبعا والحقهم بالذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا
فحدهم عند ذلك بحد الجلد فان لم ينجع فبحد ذوات الحد فان هذه امراض عمي لا يرجى لها الافاقة ولا يبرى
منها الا الدماء المراقة واما الفرقة المدعوة بالرافضة التي لما رفعه الله خافضة فانهم اناس ليس لهم من
الدين الا اسمه ولا من الاسلام الا رسمه واذا نقب عن مذهبهم وجد على العصبية موضوعا ولغير ما شرعه الله
ورسوله مشروعا دبوا عن علي فاسلموه واخروه اذ قدموه وهولاء وضعوا احاديث فنقلوها واولوها
على ما اولوها فتبع الاخر منهم الاول على غمه وقالوا انا وجدنا اباءنا على امة وها هنا غير ما ذكرناه من عقائد
مجلوله ومذاهب غير منقوله ولا مقبوله وبالهدى تتبين الضلال وبالصحة تظهر اثر الاعتلال ولا عقيدة
الا عقيدة السنة والكتاب ولا دين الا دين العجائز الماء والمحراب واذ فرغنا من الوصية بالاصول التي هي للدين

قائما

طريقه

ملاك

ملاك فلنتبعها بالفروع التي هي له مساك واول ذلك الصلوة وهي في مباني الاسلام الخمس اوكد خمسة
واخر ما وصى به رسول الله ص عند مفارقة نفسه ومن فضلها انها العمل الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر ولا عذر في تركه
لاحد من الناس فيقال انه يعذر فاجمع الناس اليها واحملهم عليها ومرهم بالاجتماع لها في المساجد وناد بفضيلة
صلوة الجماعة على صلوة الواحد وراقبهم عند اوقات الاذان في الاسواق التي هي معركة الشيطان فمن يشتغل عنها
بتثمير مكسبة ولهى عنها بالاقبال على لهوه ولعبه فخذه بالالة العمرية التي تضع من قدره وتذيقه وبال امره ولا
تمنعك عن ذي هيبة هيبته ولا عن ذي شيبة شيبته فانما اهلك الذين قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه
واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ومن مهمات الصلوة يوم الجمعة الذي هو في الايام بمنزلة الاعياد في الاعوام
وفيه الساعة المخصوصة بالدعاء المجاب التي ما صادفها عبد الا ظفر بالطلاب فمر الناس بابتداره في البواكر
والفوز فيه بقربان البدنات الاخاير فانه اليوم الذي لم تطلع الشمس على مثله وبه فضل هذا الدين على اهل الكتاب
من قبله فهو واسطة عقد الايام السبعة ولاشتماله على مجموع فضلها سمي يوم الجمعة وفي الاعوام مواسم لصلوة
مخصوصة كالتراويح في شهر رمضان والرغايب في اول جمعة من رجب وليلة النصف من شعبان فلتملا المساجد
في هذه المواسم التي تكثر فيها شهادات الاقلام في كتب الطاعات ومحو الاثام ومن حضرها وليس همه الا ان يمر بها طروقا
ويواعد اليها احداثه رفثا وفسوقا فهولاء هم الخلف الذين اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فابعث اليهم
قوما يسلبونهم سلبا ويوجعونهم ضربا ويملاون عيونهم مهابة وقلوبهم رعبا فبيوت الله مطهرة من هذه الادناس
ولم تعمر لشياطين الانس وانما عمرت للناس فلا يحضرها الا راكع وساجد او ذاكر وحامد وههنا عظيمة عضيهة
وفاحشة نفقة لها من ليست نفسه بفقيهة وهي الربا فانه قد كثر اكله وتظاهر به فاعله وقال فساق الفقهاء
بتاويله وتوصلوا الى شبهة تحليله ولا يتسارع الى ذلك الا من اعمى الله قلبه ومحق كسبه قال النبي ص لعن الله
اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها واكلوا اثمانها ونحن نامرك ان تشمر في هذا الامر تشميرا يرهبه الناس
ولا تدع ربا الا وضعه واول ربا يضعه ربا العباس فتاديب الكبير قاض بتهذيب الصغير والاسوة بالرفيع خلاف
الاسوة بالنظير وجل معاملة الربا تجري في سوق الصرف الذي يختلف به النقود ويقترض فيه العقود ويخاض
في نار معاسره الى النار ذات الوقود وبه قوم اوسعوا عيون الموازين غمزا والسنتها همزا ولمزا واصبح الدرهم
والدينار عندهم بمنزلة الصنمين اللات والعزى ولا يرى منهم الا من الحرص مفاض على ثيابه وقد جمع بين المعرفة بالحرام
والهجوم على ارتكابه فعدل ميل هولاء تعديلا وتحولهم على مرور الايام تحويلا واعلم انك قد وليت من الكيل والميزان
امرين هلكت فيهما الامم السالفة فباشرهما بيدك مباشرة الاختيار والاختبار ولا تقل اهلهما عثرة فان الاقالة
لا تنهى عن العثار وكل هولاء من سواد الناس ممن لم يزك غرسه ولا فقهت نفسه وليس همه الا فرجه او ضرسه
فخذهم آلة التعزير التي هي نزاعة للسوى تدعو من ادبر وتولى ومن اثارها انها ترج ارض الناس رجا وتفرج سماه فرجا
وتسلك بصاحبه هديا ونهجا وقد كثر في الاسواق الخلابة والنجش وتلقي الركبان وبيع الحاضر للبادي وتنفيق
السلعة باليمين الكاذبة وكل هذه من المحظورات التي وردت الاخبار النبوية ببيانها والنهي عن تورد مكانها فمن قارف
شيا جاهلا بتحريمه فقومه بالتعليم واهده الى الصراط المستقيم ومن عرف ما اقترفه فاذقه حر التاديب
قبل ان يذاق غدا حر التعذيب واعلمه ان الارزاق بيد الله الذي لا ينقصها عجز القاعد ولا يزيدها حرص الكادح
وقد ينقلب الجاهد فيها بصفقة الخاسر والوادع بصفقة الرابح ومن سنته ان ينمي الحلال وان كان يسيرا ويمحق

الحرام وان كان كثيرا ومن الناس من اتاه الله مالا فبث في الاسواق جنود ذهبه وورقه واحتكر ما حمله المنزان
من ذوات رطله ووسعه الكيل من ذوات وسقه فاصبح قفرا بلده في ضيق من عدم الرفق ومدد الرزق فليمنع هولاء
هولاء ان يجعل رزق الله محتكرا ومعاش عباده محتجرا وليومر بان يتزاحموا ولا يتزاحموا وان ياخذ الغني منهم
بقدر الكفاف ويترك للفقير ما يعينه على الاستعفاف قال عمر بن الخطاب رض لا حكرة في سوقنا لا يعمد رجال
بايديهم فضول من اذهاب الى رزق من ارزاق الله ينزل بساحتنا فيحتكرونه علينا ولكن ايما جالب جلب على عمود كبده
في الشتا والصيف فذلك ضيف عمر فليبع كيف شا الله وليمسك كيف شاء الله واما التسعير فانه وان اثره
القاسطون وحكم به القاسطون وقيل ان ذلك لمصلحة الفقير في تيسير العسير فليس لاحد ان يكف يد الله في
خفض ما رفع وبذل ما منع فقف انت حيث اوقفك حكم الحق ودع ما يعن لك من مظلمة الخلق ولا تكن ممن تبع
الراي والنظر وترك الاية والخبر فحكمة الله مطوية فيما يامر به على السنة رسله وليست مما يستنبطه ذو العلم
بعلمه ولا يستدل عليه ذو العقل بعقله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومما نامرك به ان
تمحو الصغيرة كما تمحو الكبيرة فان لمم الذنوب كالقطر يصير مجتمعه سيلا متدفقا وكان اوله قطرا متفرقا وقد
استمر في الناس عوايدها ونوا باستمرارها ولم ينظروا الى ثقل اوزارها فمن ذلك لبس الذهب والحرير الذي
لم يلبسه الا من عدم عند الله خلاقا وان قيل انه شعار للغني فلم يزدد صاحبه من الحسنات الا املاقا وللبس
عباءة مع التقوى احسن في العيون شعارا واعظم في الصدور وقارا ويلتحق بهذه المعصية صوغ الذهب
والفضة انية يمنع منها حق الصدقات وهو حق يقاتل مانعه ويعصي في استعمالها امر الله وهو حد من حدوده
يعاقب عاصيه ويثاب طايعه وكذلك يجري الحكم في الصور المرقومة في البيوت والثياب وعلى الستور المعلقة
على الابواب واخراجها في ضروب اشكال الحيوان لملاعبة الصبيان وذلك مماثلة لخلق الله في التقدير ولهذا يومر
صانعه بنفخ الروح فيما صوره من التصوير ومما يغلظ نكيره اطالة الذيول للاجترار والمباهاة بما فيها من عنجهية
التيه والاستكبار ولن يشق صاحبها الارض باعجابه ولا يبلغ طول الجبال باطالة ثيابه قال النبي ص ان الله لا ينظر
يوم القيمة الى من جر ثوبه خيلاء ومما اشد نكيرا امر الحمامات فان الناس قد اصروا بها على الاجهار وترك الاستتار
والتهاون بامر العورات التي لصاحبها ذلة سوء الدار والنسا في هذا المقام اشدتها لكامن الرجال وقد ابتذلن
انفسهن حتى افرطن في فاحشة الابتذال ولهن محدثات من المنكر احدثها كثرة الارفاه والاتراف واهمل انكارها
حتى سرت في الاوساط والاطراف وقد احدثن الان من الملابس ما لم يخطر للشيطان في حساب وتلك من لباس الشهرة
الذي لا يستر منه اسبال مرط ولا ادناء جلباب ومن جملتها انهن يعتصبن عصايب كامثال الاسنمة ويخرجن من جهارة
اشكالها في الصور المعلمة وقد اخبر رسول الله ص بها فيما ورد عنه من الاخبار وجعل صاحبها معدودا من زمرة اصحاب
النار ومما حيد فيه عن السنن قراة القران بضروب الالحان وتلك قراة تخرج حروفها من غير مخرج وتبدو
معوجة وهو قران غير ذي عوج وقد امر الله بترتيله وايراده على هيئة تنزيله فمن قراه بالترجيع والترديد وزلزل
حروفه بالتمطيط والتمديد فقد الحقه بدرجات الاغاني وذهب بما فيه من طلاوة نظم الالفاظ والمعاني قال النبي ص
اقروا القران بلحون العرب واصواتهم واياكم ولحون اهل العشق ولحون اهل الكتابين وسيجي بعدي قوم يرجعون
بالقران ترجيع الغنا والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شانهم ويلتحق بذلك اقتناء
القينات المغنيات اللاتي يلعبن بالعقول لعبهن بالاسماع ويغنين الشيطان بغنائهن عن بث الجنود والاشياع وفتنا

النفس

النفس الامارة في ذلك ان يقول هولاء انما يحل نغمة سماعهن كما يحل ما تحت قناعهن وقد علم ان لكل شي تماما وقد
ينقلب الحلال فيصير حراما ومن حام حول الحما يوشك ان يقع فيه قال النبي ص لا تبيعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن
ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا انزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث وكذلك
يجري الحكم في المواشط اللاتي يجعلن الحسن موفورا والقبح مستورا ويخدعن نظر الناظر حتى يجعلنه مسحورا فهن
يبدين صدقا من كذب وجدا من لعب وفعلهن هذا من الغش الذي نهى رسول الله ص عنه وقال انه ليس منه وقد لعن
الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والواشرة والمستوشرة ومن غش المنكرات ايضا خضاب الشيب
الذي يخالف فيه بين الظاهر والباطن ويتخلق صاحبه بخلق الكاذب الخاين وهب انه اخفى لون شعره فهل يخفى
خلاف لباسه واذا اسس ادبر المرء فلا يغنيه سواد عارضه ولا سواد راسه وقد جعل الله الشيب من نعمه المبشرة
بطول الاعمار وسماه نورا للونه وهدايته ولا يستوي الظلمات والانوار قال النبي ص قوم يخضبون بالسواد
كحواصل الحمام لا يريحون رايحة الجنة والاولى بصاحب الشيب ان يشتغل بتغيير صبغة الكتاب ويداب في
محو سواد العقاب ببياض الثواب ففي بقية عمره مندوحة لادخار ما يحمد ذخره وتبديل ما تقدم سطره
ومما خولفت فيه السنة عقد مجالس التعازي لحضور الناس واظهار شعار الاسود والازرق من اللباس
والتشبه بالجاهلية في النوح والندب ومجاوزة دمع العين وخشوع القلب الى الاعلان باسخاط الرب
وقد تواطا النسا على ضرب الخيام على القبور وجعل الاعياد مواسم لاجتماع الزاير والمزور فصارت الماتم بينهم
ولايم والمنادب عندهم مادب وربما نشا من ذلك ما يغض طرفا ويجدع انفا ويوجب جدا وقذفا وهكذا
اهمل امر الاسلام في تشبه اهل الذمة باهله وما كانوا ليشابهوه في زي عربه ويخالفوه في سلوك سبله ولا بد من
الايعاز بان يشد النصراني عقد زناره ويصفر اليهودي اعلى ازاره وليمنعوا من التظاهر بطغيان النعمة
وعلو الهمة ويومروا بالوقوف عند ما حكم عليهم من الاحكام واخذوا فيه بالاختفاء والاكتتام فخمورهم
تستر وشعار دينهم لا تظهر وموتاهم يغير بالخمول قبل ان يقبر ولا يوقد خلف ميتهم مصباح ولا يتبع بندب
ولا صياح ومما عرف الناس منكره اثارة التحريش بين الحيوانات وهي ذوات اكباد رطبة واخلاق صعبة وما
منها الا ما يحل اكله ولا يحل قتله كالكبش والحجلة والديك والسماني واشباهها وقد اكثر الناس من اقتنائها
والمواظبة على اضرام شحنائها ولربما نشا من ذلك فتنة تؤول الى ضراب وشق ثياب واحداث شجاج واثارة عجاج
وتحزب الى احزاب كثيرة وافواج ويتصل بهذه المنكرات المذكورة اشيا اخر يجري مجراها في التقديم وتنزل
منزلتها في التحريم فاحكم فيها بحكمك وامض في شانها بذيل علمك ونب عنا في التذكير والتحذير والتعريف
والتنكير حتى يتقوم الاود وينضح الرشد ويمكث في الارض ما ينفع ويذهب الزبد وليكن عملك لله الذي يسمع
ويرى وله في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى واعلم ان الامر بالمعروف عبادة يتعدى صاحبها
الى غيره ويستضيف المامور بها الى خيره وهي الجهاد الاكبر التي تقاتل فيه عواصي النفوس وتضرب به روس
الشهوات التي هي امنع من معاقد الروس فقتيله يحيى بقتله وجريحه يوسى بجراحه نصله وبمثل هذا الجهاد يستنزل
امداد النعم مضعفة كما يستنزل امداد النصر مردفة فدم عليه ذا عزم ثائر وطرف ساهر وقدم ثابت صابر
حتى يضل لمعاقل الشيطان فاتحا ويكون ممن دعا الى الله وعمل عملا صالحا واعلم انك في صبيحة كل يوم يتدارك الملك
والشيطان وكل منهما يقول يا ايها الانسان فان اجبت نداء الملك كتبك في زمرة من مهد لجنبه وخاف مقام ربه

وعرج بعملك الى الله طيبا نشره مضاعفا اجره وان اجبت نداء شيطان كتبك في زمرة من اغواه وقرنك بمن اغفل
قلبه واتبع هواه ثم نزل به الى الارض حبيبا محببا واقفا به على اخوانه من الشياطين محدبا وهذا اخر ما عهدناه
اليك من العهد الذي طوقت اليوم بكتابه وستناقش غدا على حسابه وكما جعلناه لك في الدنيا ذكرا فاجعله
لك في الاخرة ذخرا ان شاء الله تعالى ورسله • وهذا الذي ذكرته في هذين من الكتاب والتقليد يتضمن اطنابا مستوفى
الاقسام ولولا خوف الاطالة الذي لا حاجة اليه لاوردت قصائد من الشعر ايضا حتى لا يخ الموضع من ضرب امثلة في
المنظوم والمنثور لكن في الذي ذكرته كفاية لمن يحمله على اشباهه ونظائره فان قيل ان الاطناب في الكلام قد
وضعتموه اسما على غير مسمى فان الكلام لا يخ من حالين اما ان لا يزيد لفظه على معناه وهو الايجاز او يزيد لفظه
على معناه وهو التطويل وليس ها هنا قسم ثالث فما الاطناب اذن قلت في الجواب اعلم ان الايجاز هو ضد
التطويل كما ان السواد هو ضد البياض غير ان بين الضدين مراتب ومنازل ليست اضدادا فالاطناب لا ايجاز هو
ولا تطويل كما ان الحمرة او الخضرة ليست بياضا ولا سوادا وقد قدمنا القول ان الاطناب ياتي في الكلام
موكدا كالذي ياتي بزيادة التصوير للمعنى المقصود اما حقيقة واما مجازا والتطويل ليس كذلك فان التعبير
عن المعنى بلفظ زائد عليه يفهم ذلك المعنى بدونه فاذا حذفت تلك الزيادة بقي المعنى المعبر عنه على حاله لم يتغير
منه شي وهذا بخلاف الاطناب فانه اذا حذف منه تلك الزيادة الموكدة للمعنى تغير ذلك المعنى وزال ذلك التاكيد
عنه وذهبت فائدة التصوير والتخييل التي تفيد السامع ما لم يكن الا بها الا ترى الى قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهذا لا يسمى ايجازا فانه اتى فيه بزيادة لفظ وهو ذكر الصدور وقد علم ان
القلوب لا تكون الا في الصدور ولا يسمى تطويلا لان التطويل لا فائدة فيه اصلا وهذا فيه فائدة وهي ما اشرنا اليه
وكذلك باقي اقسام الاطناب التي نبهنا عليها وهذا لا نزاع فيه • **النوع السابع عشر في التكرير**
قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف وما ذلك مما يختلط بهذا النوع الذي هو تكرار المعاني والالفاظ
واعلم ان هذا النوع من مقاتل علم البيان وهو دقيق الماخذ وحده هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا وربما اشتبه
على اكثر الناس بالاطناب مرة وبالتطويل اخرى وقد تقدم الكلام على الفرق بين هذه الانواع الثلثة في باب الاطناب
فلا حاجة الى اعادته ههنا واما التكرير فقد عرفتكه وهو ينقسم قسمين احدهما يوجد في اللفظ والمعنى والاخر
يوجد في المعنى دون اللفظ فاما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لمن يستدعيه اسرع اسرع • ومنه
قول ابي الطيب المتنبي • ولم ار مثل جيراني ومثلي • لمثلي عند مثلهم مقام • واما الذي يوجد في المعنى دون
اللفظ فكقولك اطعني ولا تعصني فان الامر بالطاعة نهي عن المعصية وكل من هذين القسمين ينقسم الى مفيد وغير
مفيد ولا اعني بالمفيد ههنا ما يعنيه النحاة فانه عبارة عندهم عن اللفظ المركب اما من الاسم مع الاسم بشرط ان يكون
للاول بالثاني علاقة معنى يسع مكلفا جهله واما الاسم مع الفعل التام المتصرف على هذا الشرط ايضا واما
حرف النداء مع الاسم فهذا هو المفيد عند النحاة وانا لم اقصد ذلك ههنا بل مقصودي من المفيد ان ياتي لمعنى وغير
المفيد ان ياتي لغير معنى واعلم ان المفيد من التكرير ياتي في الكلام تاكيدا له وتشييدا من امره وانما يفعل ذلك
للدلالة على العناية بالشي الذي كررت فيه كلامك اما مبالغة في مدحه او في ذمه او غير ذلك ولا ياتي الا في احد طرفي
الشي المقصود بالذكر والوسط عار منه لان احد الطرفين هو المقصود بالمبالغة اما بمدح او بذم او غيرهما والوسط
ليس من شرط المبالغة وغير المفيد لا ياتي في الكلام الا غثا وخطلا من غير حاجة اليه • فاما الاول وهو الذي يوجد

في اللفظ

في اللفظ والمعنى فانه ينقسم الى ضربين مفيد وغير المفيد فالاول المفيد وهو فرعان الاول اذا كان التكرير
في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمقصود به غرضان مختلفان كقوله تعالى واذ يعدكم الله احد الطائفتين
انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكفرين ليحق الحق
ويبطل الباطل ولو كره المجرمون هذا تكرير في اللفظ والمعنى وهو قوله يحق الحق وليحق الحق وانما جي به ههنا
لاختلاف المراد وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها
فانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض • ومن هذا الباب قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له
الدين وامرت لان اكون اول المسلمين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا
ما شئتم من دونه فكرر قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله اعبد الله مخلصا له ديني والمراد به غرضان
مختلفان وذلك ان الاول اخبار انه مامور من جهة الله بالعبادة له والاخلاص في دينه والثاني اخبار بانه يخص
الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة في الثاني واخره
في الاول لان الكلام اولا واقع في الفعل نفسه ايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل من اجله ولذلك رتب عليه
فاعبدوا ما شئتم من دونه وعليه ورد قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر
جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله وظاهر الاول والثاني
انهما سواء في المعنى وليس كذلك لان الثاني فيه تخصيص غير موجود في الاول الا ترى انا اذا قلنا زيد الافضل
وقلنا الافضل زيد كان في الثاني تخصيص له بالفعل وهذا التخصيص لا يوجد على القول الاول الذي هو
زيد الافضل لانه يجوز ان يبدل صفة الفضل فيه بغيرها او بضدها فيقال زيد الاجمل او زيد الانقص واذا قلنا
الافضل زيد وجب تخصيصه بالفضل ولم يمكن تغييره عنه وكذلك يجري الحكم في هذه الاية فان الله تعالى قال انما
المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم قال لم يذهبوا حتى يستاذنوه فوصفهم بالامتناع عن الذهاب الا باذنه
وهذه صفة يجوز ان يبدل بغيرها من الصفات كما قال الله تعالى في موضع اخر انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا فجاء بصفة غير تلك الصفة ولما قال ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله وجب
تخصيصهم بذلك الوصف دون غيره وهذا موضع حسن في تكرير المعاني • ومما يعد من هذا الباب قوله تعالى قل
يا ايها الكفرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم
دينكم ولي دين وقد ظن قوم ان في هذه السورة تكريرا لا فائدة فيه وليس الامر كذلك فان معنى قوله لا اعبد
يعني في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلبه منكم من عبادة الاهي ولا انا
عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني انه لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية في وقت
ما فكيف يرجى ذلك مني في الاسلام ولا انتم عابدون في الماضي في وقت ما انا على عبادته الان • ومما يجري هذا المجرى
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فكرر الرحمن الرحيم مرتين والفائدة في ذلك ان
الاول يتعلق بامر الدنيا والثاني يتعلق بامر الاخرة فما يتعلق بامر الدنيا يرجع الى خلق العالمين في كونه خلق كلا منهم على اكمل
صفة واعطاه جميع ما يحتاج اليه حتى النقمة والذنابة وقد يرجع الى غير الخلق كادرار الارزاق وغيرها • واما ما
يتعلق بامر الاخرة فهو اشارة الى الرحمة الثانية في يوم القيمة الذي هو يوم الدين • وبالجملة فاعلم ان ليس في
القران مكرر لا فائدة في تكريره فان رايت شيا منه يكرر من حيث الظاهر فانعم نظرك فيه وانظر الى سوابقه ولواحقه

لتكشف لك الفائدة منه • ومما ورد في القرآن مكررا قوله تعركذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا
تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعو
لتوكده عندهم وتقرره في نفوسهم مع تعلق كل واحد منهما بعلة فجعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وجعل علة الثاني
حسم طمعه عنهم وخلوه من الاعراض فيما يدعوهم اليه ومن هذا النحو قوله تعركذبت قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد
وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب • وانما كرر تكذيبهم ههنا لانه على اسلوب
واحد لان نوع فيه بضرب من الصنعة فذكر اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستئنافية فاوضحه
بان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم وفي تكرير التكذيب وانصاله
بعد اتمامه والنوع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستئنافية ثانيا وما في الاستئناف من الوضع على وجه التوكيد
والتخصيص من المبالغة المستحقة عليهم باستحقاق اشد العذاب وابلغه وهذا باب في تكرير اللفظ والمعنى حسن
غامض وبه تعرف مواقع التكرير والفرق بينه وبين غيره فافهمه ان شاء الله تعر الفرع الثاني من الضرب الاول اذا
كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمراد به عرض واحد كقوله تعر فقل لي كيف قدر ثم قل لي كيف
قدر والتكرير دال على التعجيب من تقديره واصابته الغرض وهذا كما تقول لله ما اشجعه اوما اشعره وعلى هذا ورد
قول الشاعر • الا ياسلمى ثم اسلمى ثمت اسلمى • وهذا مما لغه في الدعا لها بالسلامة وكل هذا يجاء به لتقرير المعنى
المراد واثباته وعليه ورد الحديث النبوي وذلك ان النبي ص قال ان بني هشام بن المغيرة استاذنوني ان ينكحوا ابنتهم
عليا فلا اذن ثم لا اذن ثم لا اذن الا ان يطلق علي ابني وينكح ابنتهم فقوله لا اذن ثم لا اذن ثم لا اذن من التكرير الذي
هو اشد موقعا من الايجاز لانضباب العناية الى تاكيد القول في منع علي صلوات الله عليه من التزويج بابنة ابي جهل
ابن هشام وهذا مثل قوله تعر اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ومراجعة ذلك نقول لا اله الا الله وحده لا شريك له
لان قولنا لا اله الا الله مثل قولنا وحده لا شريك له وهما في المعنى سواء انما كررنا القول فيهما لتقرير المعنى واثباته
وذلك لان من الناس من يحالف فيه كالنصارى والثنوية فالتكرير في هذا المقام ابلغ من الايجاز واحسن واشد
موقعا • ومما جاء في مثل ذلك قوله تعر والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله
كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل
عليهم من قبله لمبلسين فقوله من قبله بعد قوله من قبل فيه دلالة على ان عهدهم بالمطر قد بعد وتطاول فاستحكم
ياسهم وتمادى ابلاسهم وكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك وعلى ذلك ورد قوله تعر قاتلوا الذين لا يومنون
بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق فقوله لا يومنون بالله ولا باليوم
الاخر يقوم مقام قوله ولا يدينون دين الحق لان من لا يومن بالله ولا باليوم الاخر لا يدين الحق وانما كررها هنا للحط
على المامور بقتالهم والمستحث عليهم بالذم ورجمهم بالعظائم لكفرهم لذلك ادعى لوجوب قتالهم وحربهم وقد رأينا
ان التكرير انما يات لما هو من الامر الذي تصرف العناية اليه حتى يثبت ويتقرر وكذلك ورد قوله تعر وان تعجب
فعجب قولهم ائذا كنا ترابا اننا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون فكرر لفظه اولئك مرتين هذا الباب الذي اشرنا اليه لمكان شدة النكير واعلاط العقاب بسبب
انكارهم البعث وعلى هذا ورد قوله تعر اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الاخرة هم الاخسرون فانه انما
كررت لفظة هم للايذان بتحقق الخسار والاصل فيها وهم في الاخرة الاخسرون لكنها اريد تاكيد ذلك حتى تكرر

هذه

فاذا تكرر تكرر ما تقدم من الكلام

هذه اللفظة المشار اليها وكذلك قوله تعر وكان عاقبتها انهما في النار خالدين فيها واشباه ذلك في القرآن
كثير • واعلم ان مرجع هذا النوع قسما لكون المعنى فيه مضافا الى تفسد مع اختلاف اللفظ وذلك يات في
الالفاظ المترادفة وقد ورد في القرآن الكريم واستعمل في فصيح الكلام فمنه قوله تعر والذين سعوا في اياتنا
معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم • والرجز هو العذاب وعليه ورد قول ـــ الى تمام •
لهوض ثقيل البغي مضطلع به • وان عظمت فيه الخطوب وجلت • والثقل هو البغي والبغي هو الثقل
وكذلك ورد قول النجتري ويوم شثت للوداع وسلمت • بعينين موصول لحظهما السحر •
توهمتها الوى باجفانها الكرى • كرى النوم اومالت باعطافها الخمر •
فان الكرى هو النوم وربما اسكل هذا الموضع على كثير ممن تعاطى هذه الصناعة وظنوه مما لا فائدة فيه وليس
كذلك بل الفائدة فيه هي التاكيد للمعنى المقصود والمبالغة فيه الا ترى ان المراد بقوله تعر عذاب من رجز اليم اي
عذاب مضاعف ومعناه عذاب من عذاب واما بيت الى تمام فانه تضمن المبالغة في وصف الممدوح بحمل الاثقال
وكذلك بيت النجتري فانه اراد ان يشبه طرفها فتورة بالنائم فكرر المعنى فيه على طريق المضاف والمضاف
اليه تاكيدا له وزيادة في بيانه وهذا الموضع لم ينبه عليه احد سواي فمنه قوله تعر ثم ان ربك للذين عملوا
السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وتقديره ان ربك للذين عملوا
السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا الغفور رحيم فلما كرر ان ربك مرتين علم ان ذلك ادل على المغفرة
وكذلك قوله تعر ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم
ومثل هذا قوله تعر ولا تحسبن الذين يفرحون بما اوتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من
العذاب وهذه الايات مطالها مرباب التكرير وليست كذلك وقد امعنت نظري فيها مرارا خارجة عن حكم التكرير
وذلك اذا طال الفصل من الكلام وكان اوله يفتقر الى تمام للفهم الا به فالاولى في باب الفصاحة ان يعاد لفظ
الاول مرة ثانية لكون مقارنا لتمام الفصل كما لو جيء الكلام منثورا لا سيما وان واخواتها فاذا اوردت ان وكان
بين اسمها وخبرها فسحة طويلة من الكلام فاعادة ان احسن في حكم البلاغة والفصاحة كالذي تقدم مرة ٢ ات
وعليه ورد قول ـــ بعضهم من شعراء الحماسة •
اسجنا وقيدا واشتياقا وغربة • ونأي حبيب ان ذا لعظيم •
وان امرءا دامت مواثيق عهده • على مثل هذا انه لكريم •
فانه لما طال الكلام بين اسم ان وخبرها اعيدت ان مرة ثانية لان تقدير الكلام وان امرءا دامت مواثيق عهده
على مثل هذا الكرم من الاسر والحبس مدى طويلا واذا لم تعد ان مرة ثانية لم يات على الكلام بهجة ولا رونق وهذا
لا تتنبه لاستعماله الا الفصحاء اما طبعا واما علما وكذلك يجري الامر اذا كان جزاء عاملا في معمول بطول
ذكره فان اعادة الجزاء ثانية هو الاحسن وعلى هذا جاء قوله تعر في سورة يوسف عليه السلام اذ قال ليوسف لابيه يا ابت
اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين فلما قال رايتهم طال الفصل كان الاحسن ان يعاد لفظ
الرويه فيقول رايتهم لي ساجدين وكذلك جاء الاية المذكورة ها هنا قيل هذه وهي قوله تعر ولا تحسبن الذين
يفرحون بما اوتوا فانه لما طال الفصل اعاد قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب فاعلم ذلك وضع يدك عليه
وكذلك الاية التي قبلها وهي قوله تعر ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة وكذلك الاية الاخرى وهي قوله تعر ان

ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ومن باب التكرير في اللفظ والمعنى الدال على معنى واحد قوله عز وجل وقال الذي امن
يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار فانه انما كرر نداء قومه
هاهنا لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة ولانهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم من الضلال وهو يعلم
وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم
سروره وغمهم غمه وان ينزلوا على نصيحته لهم وهذا من التكرير الذي هو ابلغ من الايجاز واشد موقعا من الاختصار
فاعرفه ان شاء الله تعالى • وعلى نحو منه جاء قوله تعالى في سورة القمر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل
من مدكر فانه قد تكرر ذلك في السورة كثيرا وفائدته ان يجدد وعيد استماع كل نبأ من انباء الاولين ادكارا واتعاظا
وان يستانفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث اليه وان تقرع لهم العصا مرات لئلا
تغلبهم السهو وتستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير في قوله تعالى في سورة الرحمن فباي الاء ربكما تكذبان
وذلك عند ذكر كل نعمة عددها على عباده وامثال هذا في القران الكريم كثيرة • ومما ورد من هذا الفرع شعرا قول
بعضهم من شعراء الحماسة • ابى معدن العز المؤثل والندى • هناك هناك الفضل والخلق الجزل • فقوله
هناك هناك من التكرير الذي هو ابلغ من الايجاز لانه في معرض مدح فهو يقرر في نفس السامع ما عند الممدوح
من هذه الاوصاف المذكورة مشيرا اليها كانه قال اذ لكم معدن كذا وكذا ومقره ومعانه وكذلك ورد قول المساور
ابن هند • جزى الله عني غالبا من عشيرة • اذا حدثان الدهر نابت نوائبه •
فكم دافعوا من كربة قد تلاحمت • علي وموج قد علتني غواربه •
فصدر البيت الثاني وعجزه يدلان على معنى واحد لان تلاحم الكرب عليه كتعالي الموج من فوقه وانما سوغ ذلك
لانه مقام مدح واطراء الا ترى انه يصف احسان هولاء القوم عند حدثان دهره في التكرير في قبالته
لو كان القايل هاجيا فان الهجاء في هذا كالمدح والتكرير انما يحسن في كلا الطرفين لا في الوسط • واعلم انه اذا
وردت ان المكسورة المخففة بعد ما كانت بمعناها سوا الا ترى الى قوله تعالى ان هم الا كالانعام فان وما بمعنى
واحد واذا وردت بعد ما كانت من باب التكرير كقولنا ما ان يكون كذا وكذا اي ما ما يكون كذا وكذا واذا وردت
في الكلام فانما ترد في مثل ما اشرنا اليه من التكرير فان استعملت في غير ما يكون بها لا لفائدة ينتجها تكريرها كان
استعمالها لغوا لا فائدة فيه • وقد زعم قوم من مدعي هذه الصناعة ان ابا الطيب المتنبي اتى في هذا البيت بتكرير
لا حاجة به اليه وهو قوله العارض الهتن بن العارض الهتن بن العارض الهتن بن العارض الهتن • وليس في
هذا البيت من تكرير فانه كقولك الموصوف بكذا بن الموصوف بكذا اي انه عريق في النسب في هذا الوصف وقد
ورد في الحديث النبوي مثل ذلك كقول النبي ص في وصف يوسف الصديق عليه السلام فقال الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم صلوات الله عليهم اجمعين • ولقد فاوضني في هذا البيت المشار اليه بعض
علماء الادب واخذ يطعن فيه من جهة تكراره فوقفته على موضع الصواب منه وعرفته انه كالخبر النبوي من جهة المعنى
سواء بسوا لكن لفظه ليس بمرضي على هذا الوجه الذي قد استعمل فيه فان الالفاظ اذا كانت حسانا في حال ايرادها
فان استعمالها في حال التركيب يزيدها حسنا على حسنها او يذهب ذلك الحسن عنها وقد تقدم الكلام على ذلك في
المقالة الاولى من الصناعة اللفظية ولو تهيا لابي الطيب ان يبدل لفظة العارض بلفظة السحاب او ما يجري مجراها
لكان احسن وكذلك لفظة الهتن فانها ليست بمرضية في هذا الموضع على هذا الوجه ولفظة الغارض وان كانت

قد وردت

قد وردت في القران الكريم وهي لفظة حسنة فالفرق بين ورودها في القران وورودها في هذا البيت الشعري
ظاهر وقد تقدم الكلام على مثلها من اية وبيت لابي الطيب ايضا وهو في المقالة اللفظية عند الكلام على الالفاظ
المفردة فليوخذ من هناك • وكثيرا ما يقع الجهال في مثل هذا الموضع وهم الذين قيل فيهم •
وكذا كل اخي حذلقة • ما مشى في يابس الازلق • فيرى احدهم قد جمع نفسه وظن على جهله انه عالم فيشرع
في وصف كلام بالايجاز وكلام بالتطويل او بالتكرير واذا طولب بان يبدي سببا لما ذكره لا يوجد عنده من القول
الا تحكما محضا صادرا عن جهل محض • الضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى وهو غير المفيد فمن ذلك
قول مروان الاصغر • سقى الله نجدا وسلام على نجد • وناجينا نجدا على النأي والبعد •
نظرت الى نجد وبغداذ دونها • لعلي ارى نجدا وهيهات من نجد • وهذا من العي الضعيف
فانه كرر ذكر نجد في البيت الاول ثلثا وفي الثاني ثلثا ومراده في البيت الاول الثناء على نجد وفي الثاني انه
تلفت اليها ناظرا من بغداذ وذلك مرمى بعيد وهذا المعنى لا يحوج الى مثل هذا التكرير • اما البيت الاول
فيحمل على الجائز من التكرير لانه مقام تشوق وتحرق وموجده بفراق نجد ولما كان الامر كذلك اجيز فيه التكرير
على انه قد كان يمكنه ان يصوغ هذا المعنى الوارد في البيتين معا من غير ان ياتي بهذا التكرير المتتابع ست
مرات وعلى هذا الاسلوب ورد قول ابي نواس • اقمنا بها يوما ويوما وثالثا • ويوما ويوم للترحل خامس •
ومراده بذلك انهم اقاموا بها اربعة ايام وتا عجبا له كيف ياتي بمثل هذا البيت السخيف الدال على العي
الفاحش في ضمن تلك الابيات العجيبة الحسن التي تقدم ذكرها في باب الايجاز وهي • ودار ندامى عطلوها وادلجوا •
ومن هذا الباب ايضا ما اوردناه في صدر هذا النوع وهو قول ابي الطيب المتنبي •
ولم ار مثل جيراني ومثلي • لمثلي عند مثلهم مقام • فهذا هو التكرير الفاحش الذي يوثر في الكلام نقصا
الا ترى انه يقول لم ار مثل جيراني في سوء الجوار ولا مثلي في مصابرتهم ومقامي عندهم الا انه قد كرر هذا
المعنى في البيت مرتين وعلى نحو من ذلك جاء قوله ايضا •
وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا • قلاقل عيس كلهن قلاقل • فاما القسم الثاني من التكرير وهو
الذي يوجد في المعنى دون اللفظ وذلك ضربان مفيد وغير مفيد وهو فرعان الاول اذا كان التكرير في
المعنى يدل على معنيين مختلفين وهو موضع من التكرير مشكل لانه يسبق الى الوهم انه تكرير يدل على معنى واحد
فمما جاء منه حديث حاطب بن ابي بلتعة في غزوة الفتح وذلك ان النبي ص امر امير المومنين علي بن ابي طالب
والزبير والمقداد فقال اذهبوا الى روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فاتوني بها قال علي فخرجنا نتعادى
بنا خيلنا حتى اتينا الروضة واذا فيها الظعينة فاخذ الكتاب من عقاصها واتينا به رسول الله ص واذا هو من
حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض شان رسول الله ص فقال له ما هذا يا حاطب فقال
يا رسول الله لا تعجل علي ان كنت امرا ملصقا في قريش ولم اكن من انفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم
قرابة يحمون بها اموالهم واهليهم بمكة فاحببت اذا فاتني ذلك من النسب ان اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي
وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله ص انه قد صدقكم
فقوله ما فعلت كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام من التكرير الحسن وبعض الجهال يظنه تكريرا
لا فائدة فيه فان الكفر والارتداد عن الدين سواء وكذلك الرضى بالكفر بعد الاسلام وليس كذلك والذي يدل عليه اللفظ

ينظر هنا

اني

ذلك

هو اني لم افعل ذلك وانا كافر اي باق على الكفر ولا مرتدا اي اني كفرت بعد اسلامي ولا رضي بالكفر بعد الاسلام اي
ولا ايثارا لجانب الكفر على جانب المسلمين وهذا حسن في مكانه واقع في موقعه • وقد يحمل التكرير فيه على غير هذا الفرع
الذي نحن بصدد ذكره هاهنا وهو الذي يكون التكرير فيه يدل على معنى واحد وسياتي بيانه في الفرع الثاني الذي يلي
هذا الفرع الاول والذي يجوزه ان هذا المقام هو مقام اعتذار وتنصل عما رمي به من تلك القارعة العظيمة التي
هي نفاق وكفر فكرر المعنى في اعتذاره قصدا للتاكيد والتقرير لما ينفي عنه ما رمي به • ومما ينتظم بهذا السلك
انه اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين احدهما خاص والاخر عام كقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى
الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فان الامر بالمعروف داخل تحت الدعا الى الخير لان الامر بالمعروف
خاص والخير عام فكل امر بمعروف خير وليس كل خير امرا بالمعروف وذلك ان الخير انواع كثيرة من جملتها الامر بالمعروف
ففايدة التكرير هاهنا انه ذكر الخاص بعد ذكر العام للتنبيه على فضله كقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى وكقوله تعالى فيها فاكهة ونخل ورمان وكقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين
ان يحملنها فان الجبال داخلة في جملة الارض لكن الارض عام والجبال خاص وفايدته هاهنا تعظيم شان هذه
الامانة المشار اليها وتفخيم امرها وقد ورد هذا في القران الكريم كثيرا • ومما ورد منه شعرا قول المقنع الكندي من
ابيات الحماسة

وان الذي بيني وبين بني ابي • وبين بني عمي لمختلف جدا •
اذا اكلوا لحمي وفرت لحومهم • وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا •
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم • وان هم هووا غيي هويت لهم رشدا •

وهذا من الخاص والعام فان كل لحم يوكل للانسان فهو تضييع لغيبه وليس كل تضييع لغيبه اكلا للحمه الا ترى ان
اكل اللحم كناية عن الاغتياب واما تضييع الغيب فان منه الاغتياب ومنه التخلي عن النصرة والاعانة ومنه اهمال السعي
في كل ما يعود بالنفع كائنا ما كان وعلى هذا فان هذين البيتين من الخاص والعام المشار اليه في الاية المقدم ذكرها
وهو موضع يرد في الكلام البليغ ويظن ان لا فايدة فيه • الفرع الثاني اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنى
واحد لا غير وقد سبق مثال ذلك في اول هذا الباب كقولك اطعني ولا تعصني فان الامر بالطاعة نهي عن المعصية
والفايدة في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب والكلام في هذا الموضع كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير اللفظ
والمعنى اذا كان الغرض به شيا واحدا ولا يخلو شيا من ذلك ياتي في الكلام الا لتاكيد الغرض المقصود به كقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم
فانه انما كرر العفو والصفح والمغفرة والجميع بمعنى واحد للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده والزوج عن زوجته
وهذا وامثاله ينظر فيه الى الغرض المقصود به وهو موضع يكون التكرير فيه اوجز من لمحة الايجاز واولى بالاستعمال
وقد ورد في القران الكريم كثيرا كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما
لا تعلمون فان البث والحزن بمعنى واحد وانما كرره هاهنا لشدة الخطب النازل به وتكاثر سهامه النافذة في
قلبه وهذا المعنى كالذي قبله • وكذلك ورد قوله تعالى فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة
بعد ثلثة وسبعة بنوب مناب قوله ثلثة وسبعة ثلثة وسبعة مرتين لان عشرة هي ثلثة وسبعة ثم قال كاملة وذلك توكيد
ثالث والمراد به ايجاب صوم الايام السبعة عند الرجوع في الطريق على الفور لا عند الوصول الى البلد كما ذهب اليه
بعض الفقها وبيانه اني اقول اذا صدر الامر من الامر الى المامور بلفظ التكرير مجردا من قرينة تخرجه عن وضعه ولم يكن
موقتا

موقتا بوقت معين كان ذلك حثا له على المبادرة الى امتثال الامر على الفور فانك اذا قلت لمن يامره بالقيام
بالقيام قم قم قم فانما تريد بهذا اللفظ المكرر ان تبادر الى القيام في تلك الحال الحاضرة فان قلت ان الغرض
بتكرير الامر ان يتقرر في نفس المامور انه مراد منه وليس الغرض الحث على المبادرة الى امتثال الامر قلت في الجواب
ان المرة الواحدة كافية في معرفة المامور ان الذي امر به مراد منه والزيادة على المرة الواحدة لا تخ اما ان يكون دالة
على ما دلت عليه المرة الواحدة او دالة على زيادة معنى لم يكن في المرة الواحدة فان كانت دالة على ما دلت عليه المرة الواحدة
كان ذلك تطويلا في الكلام لا حاجة اليه وقد ورد مثله في القران الكريم كهذه الاية المشار اليها وغيرها من الايات
والتطويل في الكلام عيب فاحش عند البلغاء والفصحاء والقران معجز ببلاغته وفصاحته فكيف يكون فيه
تطويل لا حاجة اليه فينبغي ح ان يكون تلك الزيادة دالة على معنى زايد على ما دلت عليه المرة الواحدة واذا ثبت
ذلك فتلك الزيادة هي الحث على المبادرة الى امتثال الامر فان سلمت لي ذلك والا فبين معنى تلك الزيادة ببيان
غير ما ذكرته انا ولا اراك تستطيع ذلك فان قلت ان الواو في قوله تعالى وسبعة اذا رجعتم لولا ان يوكد
بقوله تلك عشرة لظن انها وردت بمعنى او اي فثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم فلما قيل تلك عشرة زال هذا
الظن وتحققت الواو انها عاطفة وليست بمعنى او قلت في الجواب هذا باطل من اربعة اوجه الاول
ان الواو العاطفة لا تجعل بمعنى او اين وردت من الكلام وانما تجعل بمعنى او في حال ضرورة ترجح جانبها على
جانب جعلها عاطفة لان الاصل فيها ان تكون عاطفة فاذا عدل بها عن اصلها احتاج الى ترجيح ولا ترجيح هاهنا
الوجه الثاني بلاغي وذلك ان القران الكريم منتهى البلاغة والفصاحة لمكان اعجازه فلو كان معنى
الواو في هذه الاية بمعنى او لقيل فثلثة ايام في الحج او سبعة اذا رجعتم ولم يحتج الى هذا التطويل في قوله فثلثة
ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة • الوجه الثالث ان هذا الصوم حكم من احكام العبادات
والعبادات يجب فيها الاحتياط وان يودى على اكمل صورة لئلا يدخلها النقص واذا كان الامر كذلك فكيف
يظن ان الواو في هذه الاية بمعنى او • الوجه الرابع ان السبعة ليست مماثلة للثلثة حتى يجعل في
قبالتها لان معنى الاية اذا كانت الواو فيها بمعنى او اما ان يصوموا ثلثة ايام في الحج او سبعة اذا رجعتم فان
قلت هذا تعبد لا يعقل معناه كغيره من التعبدات التي لا يعقل معناها قلت في الجواب ان لنا من
التعبدات ما لا يعقل معناه كعدد ركعات الصلوة وعدد الطواف والسعي واشباه ذلك ولنا ما يعقل
معناه كهذه الاية فانا نعقل التفاوت بين الصوم في الحضر والسفر ونعقل التفاوت بين العدد الكثير والعدد
القليل وعلى هذا فلا يخ اما ان يكون صوم الايام السبعة عند الرجوع في الطريق او عند الوصول الى البلد فان
كان في الطريق فانه اشق من الصوم بمكة لان الصوم في السفر اشق من الصوم في الحضر فكيف يجعل سبعة ايام في السفر
في قبالة صوم ثلثة ايام في الحضر بمكة وان كان الصوم عند الوصول الى البلد فلا فرق بين الصوم بمكة والصوم عند
الوصول الى البلد لان كليهما صوم في المقام ببلد من البلاد ولا تفاوت بينهما حتى يجعل صوم ثلثة ايام في قبالة
سبعة ايام هذا غير مماثل ولا مساو فعلى كلا التقديرين لا يجوز ان يكون الواو في سبعة ايام اذا رجعتم بمعنى او
فتحقق اذن انها للعطف خاصة واذا كانت للعطف خاصة فتاكيدها بعشرة كاملة دليل على ان المراد وجوب
صوم الايام السبعة في الطريق قبل الوصول الى البلد فان قلت ان الصوم بمكة اشق من الصوم في الطريق
لان الواجب عليه الصوم بمكة يكون في نصب وتعب بتصريف زمانه في السعي والطواف والصلوة والعمرة وغير ذلك

قلت في الجواب هذا لا يلزم اذ الواجب عليه سعي واحد وطواف واحد لا غير وما عداذلك نافلة لا تلزم ونحن
هذا المقام ناظرون الى ما يجب لا الى النافلة والذي يجب اداؤه بمكة تفرغ منه في ساعة واحدة فكيف يجعل الزيادة
على ذلك دليلا يورد في هذا المقام هذا غير وارد • وهكذا ورد قوله تعرفا ادا قرء في النافورة فذلك يوم شديد يوم عسير على
الكفرين غير يسير فقوله عسير بعد قوله عسير من هذا النوع المشار اليه والا فقد علم ان العسير لا يكون يسيرا
وانما ذكرهنا على هذا الوجه لتعظيم شان ذلك اليوم في عسره وشدته على الكفرة • وكذلك ورد قوله تعود وكانت لكم
اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فان البغضاء والعداوة بمعنى واحد وانما حسن ايراد اهما معا في
مقرض واحد لتاكيد البراءة من ابرهيم صلوات الله عليه والذين امنوا به ومن الكفار من قومهم حيث لم يؤمنوا بالله
وحده وللمبالغة في اظهار التقطيعة والمصارمة وورود مثل ذلك في مثل هذا الموضع كالاحاد في موضعه
ولن نرى يشارد في الفرار من هذا القبيل الا وهو لا مراء فيه وان خفي عنك موضع السر فيه فاسال عنه اهله
العارفين به • ومما ورد منه شعرا قول بعضهم في ابيات الحماسة •

نزلت على آل المهلب شاتيا • بعيدا عن الاوطان في الزمن المحل •
فما زال في اكرامهم وافتقادهم • واحسانهم حتى حسبتهم اهلي •

فان الاكرام والافتقاد اخلان تحت الاحسان وانما كرر ذلك للتنويه بذكر الضيف والاعجاب لحقه وعلى
هذا ورد قول الاعشى في قصيدته المشهورة التي يمدح بها النبي صلعم فقال منها •

فالتث لا ارتى لها من كلالة • ولا من حفا حتى يلاقي محمدا • فان الوجى والكلال بمعنا هما سواء وانما حسن
تكريره ههنا للاشعار ببعد المسافة • الضرب الثاني من القسم الثاني تكرير المعنى دون اللفظ وهو عزيز الفايدة
من ذلك قول النمر • قسما لهما ان روعها بين الصبا • وقبولها ودبورها اثلاثا • فان الصبا هي القبول
وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعرفوا طواعلى الصلوات والصلوة الوسطى فما يرجع الى تكرير اللفظ والمعنى
ولا مثل التكرير في قوله تعرو لكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف فما يرجع الى تكرير المعنى دون اللفظ
وقول النمر تمام الصبا والقبول لاشتمل الاول على معنى واحد لا غير وهذا الضرب من التكرير ورد خطئه علماء البيان خطا
كثيرا والاكثر منهم اجازه وقالوا اذا كانت الالفاظ متغايرة والمعنى المعبر عنه واحدا فليس استعمال ذلك بمعيب
وهذا القول فيه نظر والذي عندي فيه ان الناثر يعاب على استعماله مطلقا اذ الى غير فايدة واما الناظم فانه يعاب
عليه في موضع دون موضع اما الموضع الذي يعاب استعماله فيه فهو صدر الابيات الشعرية وما والاها والموضع
الذي لا يعاب استعماله فيه فهو الاعجاز من الابيات لمكان القافية وانما جازه لذلك ولم يكن عيبا لانه قافية والشاعر مضطر
اليها والمضطر يحل له ما حرم على غيره كقول امرء القيس في قصيدته اللامية التي مطلعها •

الا انعم صباحا ايها الطلل البالي • وهل ينعمن الا سعيد مخلد • قليل الهموم لا يبيت باوجال •

واذا كان قليل الهموم فانه لا يبت باوجال وهذا تكرير للمعنى الا انه ليس بعيب لانه قافية • وكذلك ورد قول
الحطيئة • قالت امامة لا يجزع فقلت لها • ان العزاء وان الصبر قد غلبا •
هلا التمست لنا ان كنت صادقة • مالا نعيش به في الناس او نشبا •

فالتث الاول معيب لانه كرر العزاء والصبر اد معناهما واحد ولم يرد قافيته لان القافية هي لبا • واما البيت
الثاني

الثاني فليس بمعيب لان التكرير جاء في الشيب وهو قافيته • ومما يجري هذا المجرى قول المتنخل الشكري
• ولقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير • الكاعب الحسناء ترفل في الدمقس وفي الحرير •
فان الدمقس والحرير سواء وقد ورد قافيته فلا باس به من اجل ذلك فان قيل ان الحرير هو الابريسم
المنسوج بدليل قوله تعروجراهم مما صبروا جنة وحريرا فانه لم يرد خيوط ابريسم وانما اراد اثوابا من الابريسم
واما الدمقس فانه خيوط الابريسم بحلوله بدليل قول امرء القيس • وتحتي كهداب الدمقس المفتل •
فانه لم يرد ابريسما منسوجا وانما اراد خيوط الابريسم • الجواب عن ذلك انه لو جعل بيت المتنخل على ذلك
لفسد معناه لان المراة لا ترفل في خيوط من الابريسم وانما ترفل في الاثواب منه واما قول امرء القيس كهداب
الدمقس فانه لو كان الدمقس هو الخيوط المحلوله من الابريسم لما احتاج ان يقول كهداب فان الهداب جمع
هدب بمعنى المفتل فدل بذلك على ان الدمقس يطلق على الابريسم سواء كان منسوجا او غير منسوج وكذلك
الحرير انه وعند الاستعمال يفهم المراد منه بالقرينة الا ترى انه لما قال المتنخل ترفل في الدمقس وفي الحرير فهم من
ذلك انه اراد اثوابا من الدمقس ومن الحرير لان الرفول لا يكون في خيوط من الابريسم وانما يكون في اثوابه ومما
يجري على هذا المنهج قول الاخر من سعراء الحماسة • اني وان كان ابن عمي غايبا • لمقارف من خلفه ووراءه •
فان خلفا ووراء بمعنى واحد وانما جاز تكرارهما لانهما قافية وعلى هذا ورد قول الاخر •
دمن كان البس اصبح طاليا • دمنا لدى رامها وحقوقها • فان الدمنة هي الحقد • وكذلك ورد قول
الطيب المتنبي • بحر يعود ان يدم لاهله • مر هزه وطوارق الحدثان •
فتركته واذا اذم مر الورى • راعاته واستثنى بني حمدان •
فان الدهر وطوارق الحدثان سواء وانما جاز استعمال ذلك لانه قافية واما ما ورد في اثناء الابيات الشعرية فكقول
عنترة • حييت من طلل تقادم عهده • اقوى واقفر بعد ام الهيثم • فقوله اقوى واقفر بمعنى واحد لا غير
لفظان ورد بمعنى واحد لعارض ورود اذ الضرورة لا تكون الا في القافية كما ارتكب واما ما ورد في صدر البيت فكقول
البحتري في مطلع قصيدته العينية فقال •
المتن وهل الما مهالك نافع • وزارت خيالا والعيون هواجع • فان قوله المتن وقوله زارت خيالا
سواء ولا فرق اذن بين صدر البيت وعجزه فان قيل انه اذا اراد بالالمام زيادة البقطة مرارا وزارت خيالا
فالجواب عن ذلك انه لم يرد الا زيارة المنام في الحالتين لانه قال المتن وهل الما مهالك نافع فانه لا
يقع نفع من زيارة المحبوب في البقطة وهذا غير خاف ولا يحتاج الى السوال عنه فان قيل اذا جرت ذلك
للناظم وحظرته على الناثر فلت في الجواب اما الناثر فانه اذا سجع كلامه فالغالب ان ياتي به مزدوجا على
فقرتين واذا جاء شيء من هذا التكرير لغير فايدة في فقرتين من الفقر امكنه ابدال ذلك الفقرتين بغيرهما للسلم منه واما
الشاعر فانه يصوغ قصايده الابيات متعددة على قافية من القوافي فاذا كرر لديه شيء من الكلام في اخريات من
الابيات عسر عليه ابداله من اجل القافية التي هي محل الوقوف والقرار كان البحتري كان يحلي كثيرا من شعره وهذا العمري
كذلك الا ان حسن سبكه ورونقه يباجنة يغفر له ذلك وروي عنه انه كان اذا مثل بردي الفتح بن خاقان
وزير المتوكل ما دخله احتاج ان يردد معجبا نفسه فيقدم خطوات ثم يخر وقال اي شيء تسمعون فنظم على ذلك
بعض حسدته وحمل الفتح بن خاقان عليه لو رمانا بالحجارة لكان ذلك مغفورا له في جنب ما يقوله •

النوع الثامن عشر في الاعتراض

وبعضهم يسميه الحشو وحده كل كلام ادخل فيه لفظ مفرد او مركب
لو اسقط لبقي الاول على حاله مثال ذلك ان تقول زيد قايم فهذا كلام مفيد وهو مبتدا وخبر فاذا ادخلنا فيه
لفظا مفردا قلنا زيد والله قايم ولو ازلنا القسم منه لبقي الاول على حاله واذا ادخلنا في هذا الكلام لفظا مركبا قلنا
زيد على ما به من المرض قايم فادخلنا بين المبتدا والخبر لفظا مركبا وهو قولنا على ما به من المرض فهذا هو الاعتراض وهذا
حده • واعلم ان الجايز منه وغير الجايز انما يوخذ من كتب العربية فانه يكون مستقصى فيها كالاعتراض بين القسم
وبين جوابه وبين الصفة والموصوف وبين المعطوف والمعطوف عليه واشباه ذلك مما يحسن استعماله •
وكالاعتراض بين المضاف والمضاف اليه وبين ان واسمها وبين حرف الجر ومجروره وامثال ذلك مما يقبح استعماله
وليس هذا مكانه لان كتابنا هذا موضوع لمن استكمل معرفة ذلك وغيره مما اشرنا اليه في صدر الكتاب وليس
المراد ههنا من الاعتراض الا ما يفرق بين الجيد والردي لا ما يعلم به الجايز وغير الجايز لان كتابنا هذا موضوع
لذكر ما يتضمنه الكلام على اختلاف انواعه من وصفي الفصاحة والبلاغة فالذي نذكره في باب الاعتراض انما هو
ما اشتمل على هذين الوصفين المشار اليهما • واعلم ان الاعتراض ينقسم قسمين احدهما لا ياتي في الكلام
الا لفايدة وهو جار مجرى التوكيد والاخر ان ياتي في الكلام لغير فايدة واما ان يكون دخوله فيه كخروجه منه واما
ان يوثر في تاليفه نقصا وفي معناه فسادا فالقسم الاول الذي ياتي في الكلام لفايدة كقوله تعالى فلا اقسم
بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم في كتاب مكنون ففي هذا الكلام اعتراضان احدهما قوله
وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اعتراض بين القسم الذي هو فلا اقسم بمواقع النجوم وبين جوابه الذي هو انه لقران
كريم وفي نفس هذا الاعتراض اعتراض اخر بين الموصوف الذي هو قسم وبين صفته التي هي عظيم وهو قوله لو تعلمون فذانك
اعتراضان كما ترى وفايدة هذا الاعتراض بين القسم وجوابه انما هي تعظيم لشان المقسم به في نفس السامع الا ترى
الى قوله لو تعلمون اعتراضا بين الصفة والموصوف وذلك اوقع في النفس لتعظيم المقسم به اي انه من عظم الشان
وفخامة الامر بحيث لو علم ذلك لوفي حقه من التعظيم وهذا مثل قولنا ان هذا الامر لعظيم بحيث لو تعلم يا فلان
عظمه لقدرته حق قدره وان ذلك يكبر في نفس المخاطب ويطل متطلعا الى معرفة عظمه وكذلك ورد قوله تعالى
ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وتقديره ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون فاعترض بين المفعولين
بسبحانه وهو مصدر يدل على التنزيه وكانه قال ويجعلون لله البنات وهو منزه عن ذلك ولهم ما يشتهون وفايدة
هذا الاعتراض ههنا ظاهرة وكذلك ورد قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء
به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جينا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فقوله لقد علمتم اعتراض
بين القسم وجوابه وفايدته تقرير اثبات البراة من الفساد والنزاهة من تهمة السرقة اي انكم قد علمتم هذا منا وكن
مع علمكم به نقسم بالله على صدقه وقد ورد الاعتراض في القران كثيرا وذلك في كل موضع يتعلق بنوع من خصوصية
المبالغة في المعنى المقصود • ومن هذا القسم قوله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت
مفتر بل اكثرهم لا يعلمون وهذا اعتراض بين اذا وجوابها لان تقدير الكلام واذا بدلنا اية مكان اية قالوا انما
انت مفتر فاعترض بينهما بقوله تعالى والله اعلم بما ينزل وهو مبتدا وخبر وفايدته اعلام القايلين انه مفترا ان ذلك من
الله وليس منه وانه اعلم بذلك منهم • ومن هذا الباب قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن
وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الا ترى الى هذا الاعتراض الذي قد طبق مفصل البلاغة وفايدته انه لما وصى

بالوالدين

بالوالدين ذكر ما تكابده الام من المشاق في حمل الولد وفصاله ايجابا للوصية بها وتذكيرا لحقها وانما خصها بالذكر دون
الاب لانها تتكلف من امر الولد ما لا يتكلفه الاب ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر فقال امك ثم امك ثم امك ثم اباك
ومما جاء على هذا الاسلوب قوله عز وجل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها
كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون فقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون اعتراض بين المعطوف والمعطوف
عليه وفايدته ان يقرر في نفوس المخاطبين وقلوب السامعين ان تدارؤ بني اسرايل في قتل تلك النفس لم يكن نافعا لهم
في اخفايه وكتمانه لان الله تعالى مظهر لذلك ولو جاء الكلام غير معترض فيه لكان واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا
اضربوه ببعضها ولا يخفى على البليغ الفرق بين ذلك وبين كونه معترضا فيه • ومما ورد من ذلك شعرا قول امرئ القيس

ولو انما اسعى لادنى معيشة • كفاني ولم اطلب قليل من المال •
ولكنما اسعى لمجد موثل • وقد يدرك المجد المؤثل امثالي •

تقديره كفاني قليل من
المال فاعترض بين الفعل والفاعل بقوله ولم اطلب وفايدته تحقير امر المعيشة وانها لحصولها بغير طلب ولا عنا
وانما الذي يحتاج الى الطلب هو المجد المؤثل وكذلك قول جرير •

ولقد اراني والجديد الى بلى • في موكب طرف الحديث كرام •

تقديره ولقد اراني في موكب طرف الحديث فاعترض
بين المفعولين وانما جاء بهذا الاعتراض تعزيا عما مضى من تلك اللذة وذلك النعيم الذي فارقه من عشره او لذلك الاحباب
اي ولقد عهدتني في كذا وكذا من اللذة وذلك قد مضى وسلف وبلى جديده وكذلك كل جديد فانه الى بلى والاعتراض
اذا كان هكذا كسا الكلام لطفا ان كان غزلا وكساه ابهة وجلالا ان كان مدحا او ما جرى مجراه من اصناف الكلام وان
كان هجاء كساه تاكيدا واثباتا كقول كثير •

لو ان الباخلين وانت منهم • راوك تعلموا منك المطالا •

فقوله وانت منهم من محمود الاعتراض ونادره وفايدته ههنا التصريح بما هو المراد وتقدير هذا الكلام قبل الاعتراض
لو ان الباخلين راوك فاعترض بين اسم ان وهو الباخلين وبين خبرها وهو راوك بالمبتدا والخبر الذي هو وانت منهم
ومن محاسن ما جاء في هذا الباب قول المضرب السعدي •

فلو سالت سراة الحي سلمى • على ان قد تلون بي زماني •
لخبرها ذوو احساب قومي • واعداي فكل قد بلوني •

وهذا اعتراض بين لو وجوابها وهو من فايق الاعتراض ونادره وتقديره فلو سالت سراة الحي سلمى لخبرها ذوو احساب
قومي واعداي وفايدة قوله على ان قد تلون بي زماني اي انهم يخبرون عني على تلون الزمان بي من يسر وعسر لحالاته من خير
وشر وليس من عجمه الزمان وابان عن جوهره كغيره ممن لم تعجمه ولا ابان عنه • ومن ذلك قول ابي تمام •

وان الغنى لي ان لحظت مطالبي • من الشعر الا في مديحك اطوع •

فهذا البيت فيه اعتراضان الاول بين اسم ان وخبرها
تقديره وان الغنى لي اطوع من الشعر فاعترض بين الاسم والخبر بقوله ان لحظت مطالبي واما الاعتراض الثاني فقوله الا
في مديحك جاء بالجملة الاستثنائية مقدمة وموضعها التاخير فاعترض بها بين الجملة التي هي خبر ان وتقدير البيت
بجملته وان الغنى اطوع لي من الشعر ان لحظت مطالبي الا في مديحك وفايدة قوله الا في مديحك من الاعتراض الذي
اكتسب به الكلام فايدة حسنة والمراد به وصف جود الممدوح بالاسراع في وصف خاطر شعره بالاسراع اذا كان في
مدحه خاصة دون غيره وهذا الاعتراض يتضمن مدح الممدوح والمادح معا وهو من محاسن ما يجي في هذا الموضع وكذلك
ورد قوله •

رددت رونق وجهي في صحيفته • رد الصقال بهاء الصارم الجذم •

وما ابالي وخير القول اصدقه • حقنت لي ماء وجهي ام حقنت دمي • فقوله وخير القول اصدقه اعتراض بين
المفعول والفعل لان موضع حقنت نصب اذ هو مفعول ابالي وفائدته اثبات ما ماثل به بين ماء الوجه والدم
اي ان هذا القول صدق ليس بكذب • واما القسم الثاني وهو الذي ياتي في الكلام لغير فائدة وهو ضربان الضرب
الاول يكون دخوله في الكلام كخروجه منه لا يكتسب به حسنا ولا قبحا • فمن ذلك قول النابغة •
يقول رجال يجهلون خليقتي • لعل زيادا لا ابا لك عاقل • فقوله لا ابا لك من الاعتراض الذي لا فائدة فيه وليس
موثرا في هذا البيت حسنا ولا قبحا • ومثله قول زهير •
سئمت تكاليف الحيوة ومن يعش • ثمانين حولا لا ابا لك يسام • وقد وردت هذه اللفظة وهي لا ابا لك في موضع
اخر وكان للاعتراض بها فائدة حسنة كقول ابي تمام • عتابك عني لا ابا لك واقصدي • فانه لما كره عتابها
اعترض بين الامر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق الذم • الضرب الثاني وهو الذي يوثر في الكلام نقصا
وفي المعنى فسادا وقد تقدم ذكر امثاله وانظاره في باب التقديم والتاخير وانما جيء بذكره ههنا مكررا لاتمام
التقسيم الاعتراضي فيما افاد وفيما لا يفيد • وقد ذكرت من ذلك مثالا واحدا ومثالين • فمما ورد منه قول
بعضهم • فقد والشك بين لي عناء • بوشك فراقهم صرد يصيح • فان في هذا البيت من ردي الاعتراض ما
اذكره لك وهو الفصل بين قد والفعل الذي هو بين وذلك قبيح لقوة اتصال قد بما يدخل عليه من الافعال الا تراها
تعد مع الفعل كالجزء منه ولذلك ادخلت عليها اللام المراد بها توكيد الفعل كقوله تعالى ولقد اوحي اليك والى
الذين من قبلك وقوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه • وقول الشاعر • ولقد اجمع رحلي بها • حذر الموت واني لفرور •
الا انه اذا فصل بين قد والفعل بالقسم فان ذلك لا باس به نحو قولك قد والله كان ذاك وقد فصل في هذا
البيت ايضا بين المبتداء الذي هو الشك وبين الخبر الذي هو عنا فجاء معنى البيت كما تراه كانه صورة مشوهة
قد نقلت اعضاوها بعضها الى مكان بعض • ومن هذا الضرب قول الاخر •
نظرت وشخصي مطلع الشمس ظله • الى الغرب حتى ظله الشمس قد عقل • اراد نظرت مطلع الشمس وشخصي ظله
الى الغرب حتى عقل الشمس اي حاذاها وعلى هذا التقدير فقد فصل بمطلع الشمس بين المبتدا الذي هو شخصي وبين
خبره الجملة وهو قوله ظله الى الغرب واغلظ من ذلك انه فصل بين الفعل وفاعله بالاجنبي وهذا وامثاله مما يفسد
المعاني ويورثها اختلالا • واعلم ان التاثر في استعمال ذلك اكثر ملامة من الناظم وذاك ان الناظم مضطر
الى اقامة الشعر وربما كان مجال الكلام عليه ضيقا فيلقيه طلب الوزن في مثل هذه الورطات واما الناثر فلا
يضطر الى اقامة الميزان الشعري بل يكون مجال الكلام عليه واسعا ولهذا اذا اعترض في كلامه اعتراض يفسده
توجه عليه الانكار وحق عليه الذم • **النوع التاسع عشر في الكناية والتعريض** وهذا النوع
مقصور على المثل مع المعنى وترك اللفظ جانبا وقد تكلم علماء البيان فيه فوجدتهم قد خلطوا الكناية بالتعريض
ولم يفرقوا بينهما ولا حدوا كلا منهما بحد يفصله عن صاحبه بل اوردوا لهما امثلة من النظم والنثر وادخلوا احدهما
في الاخر فذكروا للكناية امثلة من التعريض وللتعريض امثلة من الكناية • فممن فعل ذلك الغانمي وابن سنان الخفاجي
والعسكري فاما ابن سنان الخفاجي فانه ذكر في كتابه قول امرء القيس وهو •
فصرنا الى الحسنى ورق كلامنا • ورضت فذلت صعبة اي اذلال • وهذا مثل ضربه للكناية عن المباضعة
وهو مثال للتعريض • ووجدت في كتاب التذكرة لابن حمدون البغدادي وكان مشارا اليه عندهم بفضيلة ومعرفة

لاسيما

لاسيما في الكناية فوجدت في كتابه ذلك بابا مقصورا على ذكر الكناية والتعريض وما قيل فيهما نظما ونثرا وهو
محشو بالخلط بين هذين القسمين من غير فصل بينهما وقد اورد ايضا في بعضه امثلة غثة باردة وساذكر ما عندي في الفرق بينهما
واميز احدهما عن الاخر ليعرف كل منهما على انفراده فاقول اما الكناية فانها حدت بحد فقيل هي اللفظ الدال على
الشيء بغير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين الكناية والمكني عنه كاللمس والجماع فان الجماع اسم موضوع حقيقي واللمس
كناية عنه وبينهما الوصف الجامع اذ الجماع لمس وزيادة فكان دالا عليه بالوضع المجازي وهذا الحد فاسد لانه يجوز ان يكون
حدا للتشبيه لان التشبيه هو اللفظ الدال على غير الوضع الحقيقي الجامع بين المشبه والمشبه به في صفة من الاوصاف
الا ترى انا اذا قلنا زيد اسد كان ذلك لفظا دالا على غير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين زيد والاسد وذلك هو الشجاعة
ومن ههنا وقع الغلط لمن اشرت اليه في الذي ذكره في حد الكناية واما علماء اصول الفقه فانهم قالوا في حد الكناية انها
هي اللفظ المحتمل يريدون بذلك انها اللفظ الذي يحتمل الدلالة على المعنى وعلى خلافه وهذا فاسد ايضا فانه ليس كل لفظ
يدل على المعنى وعلى خلافه بكناية دليل ذلك قول النبي ص اذا لم تستحي فاصنع ما شئت فان هذا اللفظ يدل على المعنى
وعلى خلافه وبيان ذلك انه يقول في احد معنييه انك اذا لم يكن لك وازع يزعك عن الحيا فافعل ما شئت واما
معناه الاخر فانه يقول اذا لم تفعل فعلا تستحي منه فافعل ما شئت وهذا ليس من الكناية في شيء فبطل هذا الحد
ومثال الفقيه في قوله الكناية هي اللفظ المحتمل مثال من اراد ان يحد الانسان فاتى بحد الحيوان فعبر بالاعم
عن الاخص فانه يقال كل انسان حيوان وليس كل حيوان انسانا وكذلك يقال ها هنا فان كل كناية لفظ محتمل
وليس كل لفظ محتمل كناية • والذي عندي في ذلك ان الكناية اذا وردت تجاذبها جانبا حقيقة ومجاز وجاز
حملها على الجانبين معا الا ترى ان اللمس في قوله تعالى او لامستم النساء يجوز حمله على الحقيقة والمجاز وكل منهما يصح به
المعنى ولا يختل ولهذا ذهب الشافعي رحمه الله الى ان اللمس هو مصافحة الجسد الجسد فاوجب الوضوء على الرجل اذا لمس المراة
وذلك هو الحقيقة في اللمس وذهب غيره الى ان المراد باللمس الجماع وذلك مجاز فيه وهو الكناية وكل موضع ترد فيه
الكناية فانه يتجاذبه جانبا حقيقة ومجاز ويجوز حمله على كليهما معا واما التشبيه فليس كذلك ولا غيره من اقسام المجاز
لانه لا يجوز حمله الا على جانب المجاز خاصة ولو حمل على جانب الحقيقة لاستحال المعنى الا ترى انا اذا قلنا زيد اسد لا يصح
حمله الا على جانب المجاز خاصة وذلك انا شبهنا زيدا بالاسد في شجاعته ولو حملناه على جانب الحقيقة لاستحال المعنى لان
زيدا ليس ذلك الحيوان ذا الاربع والذنب والوبر والانياب والمخالب واذا كان الامر كذلك فحد الكناية الجامع لها
هو انها كل لفظ دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز والدليل على ما ذكرته
ان الكناية في اصل الوضع لمن يتكلم بشيء ويريد غيره يقال كنيت بكذا عن كذا فهي تدل على ما تكلمت به وعلى ما اردته من غيره
وعلى هذا فلا يخ اما ان يكون في لفظ يتجاذبه جانبا حقيقة ومجاز وفي لفظ يتجاذبه جانبا حقيقة وحقيقة او في لفظ
يتجاذبه جانبا مجاز ومجاز وليس لنا قسم رابع ولا يصح ان يكون في لفظ يتجاذبه جانبا حقيقة وحقيقة لان ذلك هو اللفظ
المشترك واذا اطلق من غير قرينة تخصصه كان مبهما غير مفهوم واذا اضيفت اليه القرينة صار مختصا بشيء بعينه
والكناية هي ان يتكلم بشيء ويريد غيره وذلك مخالف للفظ المشترك اذا اضيفت اليه القرينة لانه يختص بشيء واحد بعينه
لا يتعداه الى غيره وكذلك فلا يصح ان يكون الكناية في لفظ يتجاذبه جانبا مجاز ومجاز لان المجاز المستعمل في معنى من المعاني
لا يدل الا على ذلك المعنى خاصة لانه فرع على حقيقة نقل عنها واذا كان فرعا على حقيقة نقل عنها فانه لا يدل الا على
تلك الصورة المنقولة بعينها وحيث بطل ان يكون الكناية في احد هذين القسمين يتحقق اذا ان يكون في القسم

الوصف

الاخر الذي تتجاذبه جانبا حقيقة ومجاز فينطق بالحقيقة ويكون المراد بها جانب المجاز وهذا الكلام في اقامة الدليل
على امر الكناية لم يكن لاحد فيه قول سابق • واعلم ان الكناية مشتقة من الستر يقال كنيت الشي اذا سترته واجرى
هذا الحكم في الالفاظ التي يستر فيها المجاز بالحقيقة فيكون دالة على الساتر وعلى المستور معا الا ترى الى قوله تعالى
او لامستم النسا فانه ان حمل على الجماع كان كناية لانه يستر الجماع بلفظ اللمس الذي حقيقته مصافحة الجسد
الجسد وان حمل على الملامسة التي هي مصافحة الجسد الجسد كان حقيقة ولم يكن كناية وكلاهما يتم به المعنى
وقد تاولت الكناية غير هذا وهي انها ماخوذة من الكنية التي يقال فيها ابو فلان فانا اذا نادينا رجلا اسمه عبد الله
وله ولد اسمه محمد فقلنا يا ابا محمد كان ذلك مثل قولنا يا عبد الله فان شئنا ناديناه بهذا وان شئنا ناديناه بهذا
وكلاهما واقع عليه وكذلك يجري الحكم في الكناية فانا اذا شئنا حملناها على جانب المجاز وان شئنا حملناها على
جانب الحقيقة الا انه لا بد من الوصف الجامع بينهما لئلا يلحق بالكناية ما ليس منها الا ترى الى قوله تعالى ان هذا اخي
له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فكنى بذلك عن النسا والوصف الجامع بينهما هو التانيث وقيل هذه كناية
عن النسا ومن اجل ذلك لم يلتفت الى تاول من تاول قوله تعالى وثيابك فظهر انه اراد بالثياب القلب على حكم الكناية لانه
ليس بين الثياب والقلب وصف جامع اذ لو كان بينهما وصف جامع لكان التاويل صحيحا • فان قيل فما الدليل
على اشتقاق الكناية من كنيت الشي اذا سترته ومن الكنية قلت في الجواب عن ذلك اما اشتقاقها من كنيت الشي اذا
سترته فان المستور فيها هو المجاز لان الحقيقة تفهم اولا وتتسارع الفهم اليها قبل المجاز لان دلالة الحقيقة عليها
دلالة وضعية واما المجاز فانه يفهم منها بعد فهم الحقيقة وانما يفهم بالنظر والفكرة ولهذا يحتاج الى دليل لانه
عدول عن ظاهر اللفظ فالحقيقة اظهر والمجاز اخفى وهو مستور بالحقيقة الا ترى الى قوله تعالى او لامستم النساء
فان الفهم يتسارع فيه الى الحقيقة التي هي مصافحة الجسد بالجسد واما المجاز الذي هو الجماع فانه يفهم بالنظر
والفكرة ويحتاج الذاهب اليه الى دليل لانه عدول عن حقيقة اللفظ واما اشتقاقها من الكنية فلان محمدا في هذه
الصورة المذكورة هو حقيقة هذا الرجل اي الاسم الموضوع بازائه اولا واما ابو عبد الله فانه طار عليه بعد محمد
لانه لم يكن له الا بعد ان صار له ولد اسمه عبد الله وكذلك الكناية فان الحقيقة لها هي الاسم الموضوع بازائها اولا
في اصل الوضع واما المجاز فانه طار عليها بعد ذلك لانه فرع والفرع انما يكون بعد الاصل وانما يعمد الى ذلك الفرع
للمناسبة الجامعة بينه وبين الاصل على ما تقدم الكلام فيه وهذا القدر كاف في الدلالة على اشتقاق الكناية من ذينك
المعنيين المشار اليهما فان قيل انك ذكرت اقسام المجاز في باب الاستعارة الذي قدمت ذكره في كتابك هذا
وحصرتها في اقسام ثلثة هي التوسع في الكلام والاستعارة والتشبيه ونراك قد ذكرت الكناية في المجاز ايضا فهل
هي قسم رابع لتلك الاقسام الثلثة ام هي من جملتها فان كانت قسما رابعا فذلك نقض للحصر الذي حصرته وان كانت
من جملتها فقد اعدت ذكرها ههنا مرة ثانية وهذا تكرار لا حاجة اليه الجواب عن ذلك اني اقول اما الحصر الذي
حصرته في باب الاستعارة فهو ذاك لا زيادة عليه واما الكناية فانها جزء من الاستعارة ولا تاتي الا على حكم الاستعارة
خاصة لان الاستعارة لا تكون الا بحيث تطوى ذكر المستعار له وكذلك الكناية فانها لا تكون الا بحيث تطوى ذكر المكنى
عنه ونسبتها الى الاستعارة نسبة خاص الى عام فيقال كل كناية استعارة وليس كل استعارة كناية ويفرق بينهما
من وجه اخر وهو ان الاستعارة لفظها صريح هو ما دل عليه ظاهر لفظه والكناية ضد الصريح لانها عدول عن ظاهر
اللفظ فهذه ثلثة فروق احدها الخصوص والعموم والاخر الصريح والاخر الحمل على جانب الحقيقة والمجاز وقد

ولولا ذلك لقيل في هذا الموضع ان هذا اخي له تسعة وتسعون كبشا ولي كبش واحد

والصريح

تقدم

تقدم القول في باب الاستعارة انها جزء من المجاز وعلى ذلك فيكون نسبة الكناية الى المجاز نسبة جزء الجزء وخاص الخاص
وكان ينبغي ان يذكر الكناية عند ذكر الاستعارة في النوع الاول من هذه الانواع المذكورة في المقالة الثانية وانما
افردتها بالذكر ههنا من اجل التعريض لان من العادة ان يذكرا جميعا في مكان واحد وقد ياتي من الكلام ما يجوز
ان يكون كناية ويجوز ان يكون استعارة وذلك يختلف باختلاف النظر اليه بمفرده والنظر الى ما بعده كقول
نصر بن سيار في ابياته المشهورة التي يحرض بها بني امية عند خروج ابي مسلم فقال

ارى خلل الرماد وميض جمر • ويوشك ان يكون له ضلام •
فان النار بالزندين تورى • وان الحرب اولها كلام •
اقول من التعجب ليت شعري • أيقاظ امية ام نيام •
فان هبوا فذاك بقاء ملك • وان رقدوا فاني لا الام •

فالبيت الاول لو ورد بمفرده لكان كناية لانه يجوز حمله على جانب الحقيقة وحمله على جانب المجاز اما الحقيقة
فانه اخبر انه راى وميض جمر في خلل الرماد وانه سيضطرم • واما المجاز فانه اراد ان هناك ابتداء شر كامن ومثله
بوميض جمر من خلل الرماد واذا نظر الى الابيات بجملتها اختص البيت الاول منها بالاستعارة دون الكناية وكثيرا
ما يرد مثال ذلك ويشكل لتجاذبه من الكناية والاستعارة على انه لا يشكل الا على غير العارف به • واما التعريض
فهو اللفظ الدال على الشي من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي فانك اذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه
بغير طلب والله اني لمحتاج وليس في يدي شي وانا عريان والبرد قد اذاني فان هذا واشباهه تعريض بالطلب وليس
هذا اللفظ موضوعا في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازا انما دل عليه من طريق المفهوم بخلاف دلالة المس
على الجماع وعليه ورد التعريض في خطبة النكاح كقولك للمراة انك لجميلة واني لعزب فان هذا وامثاله لا يدل
على طلب النكاح حقيقة ولا مجازا والتعريض اخفى من الكناية لان دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ودلالة
التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي وانما سمي التعريض تعريضا لان المعنى فيه يفهم من عرض اللفظ
اي من جانبه وعرض كل شي جانبه • واعلم ان الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معا فياتي على هذا تارة وعلى
هذا اخرى واما التعريض فانه يختص باللفظ المركب ولا ياتي في اللفظ المفرد البتة والدليل على ذلك انه لا يفهم
المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز وانما يفهم من جهة التلويح والاشارة وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد
ولكنه يحتاج في الدلالة عليه الى اللفظ المركب وعلى هذا فان بيت امرء القيس الذي ذكره ابن سنان الخفاجي مثالا
للكناية هو مثال للتعريض فان غرض امرء القيس من ذلك ان يذكر الجماع غير انه لم يذكره بل ذكر كلاما اخر يفهم الجماع
من عرضه لان المصير الى الحسنى ورقة الكلام لا يفهم منهما ما اراده امرء القيس من المعنى لا حقيقة ولا مجازا
وهذا لا خفاء به فاعرفه وحيث فرقنا بين الكناية والتعريض وميزنا احدهما عن الاخر فلنفصلهما ونذكر اقسامهما
ولنبدا اولا بالكناية فنقول اعلم ان الكناية تنقسم قسمين احدهما ما يحسن استعماله والاخر ما لا يحسن
استعماله وهو عيب في الكلام فاحش وقد ذهب قوم الى ان الكناية تنقسم اقساما ثلثة تمثيلا وارداف ومجاورة فاما
التمثيل فهو ان يراد الاشارة الى معنى فيوضع لفظ لمعنى اخر ويكون ذلك مثالا للمعنى الذي اريدت الاشارة اليه
كقولهم فلان نقي الثوب اي منزه من العيوب واما الارداف فهو ان يراد الاشارة الى معنى فيوضع لفظ لمعنى اخر
ويكون ذلك رادفا للمعنى الذي اريدت الاشارة اليه ولازما له كقولهم فلان طويل النجاد اي طويل القامة وطول

وانك لخليه

وانت حقيق به ولست دخلافه وقد ورد هذا في القرآن الكريم كقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
والفرق بين قوله ليس كمثله شيء وبين قوله ليس كالله شيء هو ما اشرت اليه وان كان ليس كمثله ولا مثل له حتى يكون لمثله
مثل وانما ذكر ذلك على طريق المجاز قصدًا للمبالغة وقد بانى هذا الموضع بعد لفظه مثل وهي مقصودة كقولك
للعدو الى العدو لا تخفر الذمم اى انت لا تخفر الذمم وهذا ابلغ من قولك انت لا تخفر الذمم لما اشرت اليه وعلى نحو هذا
جاء قول الى الطيب المتنبي • ليست من القوم الذين مرماهم • نداهم ومن قتلاهم مهجة البخل • وقد وقع منه
ذكر الاصول التي قدمت ذكرها فانى اتبعها بضرب الامثلة نثرا ونظما حتى يزداد ما ذكرته وضوحًا • ومن ذلك ما ورد في القرآن
الكريم نحو قوله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتًا فانه كنى بالغيبة باكل الانسان لحم انسان اخر مثلما ثم لم يقتصر على
ذلك حتى جعله ميتًا ثم جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فهذه اربعة دلالات واقعة على ما قصدت له
مطابقة للمعنى الذي وردت من اجله فاما جعل الغيبة كاكل الانسان لحم انسان اخر مثلا فشديد المناسبة جدًا لان
الغيبة انما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق اعراضهم وتمزيق العرض مماثل لاكل الانسان من لغتابه لان اكل اللحم ممزق
على الحقيقة واما جعله كلحم الاخ فلما في الغيبة من الكراهة لان العقل والشرع مجمعان على استكراهها ام ان يركبا
والبعد عنها ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة الاخ في كراهته ومن المعلوم ان لحم الانسان مستكره عند انسان اخر
مثله الا انه لا يكون مثل كراهة لحم اخيه وهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة واما جعل اللحم ميتًا فمن اجل ان المغتاب
لا يشعر بغيبته ولا يحس بها واما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فلما جلت عليه النفوس
من الميل الى الغيبة والشهوة لها مع العلم بقبحها فانظرها المتأمل الى هذه الكناية بجدها من اشد الكنايات
شبهًا لانك اذا نظرت الى كل واحدة من تلك الدلالات الاربع التي اشرنا اليها وجدتها مناسبة لما قصدت له وكذلك
ورد قوله تعالى وتركوا من زروع وديار هم واموالهم وارضا لم تطاوها فالارض التي لم تطاوها كناية عن مناكح النساء
وذلك من حسن الكناية ونادرها • وكذلك قوله تعالى انزل من السماء ماءً فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدًا
رابيًا فكنى بالماء عن العلم وبالاودية عن القلوب وبالزبد عن الضلال وهذه الاية قد ذكرها ابو حامد الغزالي رحمه الله في
كتابه الموسوم باحياء علوم الدين وفي كتابه الموسوم بالجواهر والدرر بعبير واشار بها الى ما ذكرته الغزالي اشارات
وايماءات لا تنكشف الا بعد الموت وهذا مما دل على ان الغزالي رحمه الله لم يعلم ان هذه الاية من باب الكنايات التي
لفظها يجوز حمله على جانب الحقيقة والمجاز • وقد ذهبت جماعة من ائمة الفقه المحققون من ائمة الكتابة واذا سئلوا
عنها عبروا عنها بالمجاز وليس الامر كذلك وانما هي ما اشرت اليه وهي كل لفظ يجوز حمله على جانب الحقيقة والمجاز
وبينهما وصف جامع كهذه الاية وما جرى مجراها فانه يجوز حمل الماء على المطر النازل من السماء وعلى العلم وكذلك يجوز
حمل الزبد على الغثاء الرابي الذي تقذفه السيول وعلى الضلال وليس في اقسام المجاز ما يجوز حمله على الطرفين معًا
سوى الكناية • وبلغني عن الفراء النحوي انه ذكر في تفسيره اية ورعم انها كناية وهي قوله تعالى ومكروا ومكر الله
والله خير الماكرين وان مكرهم لتزول منه الجبال فقال ان الجبال كناية عن امر رسول الله وما جاء به من الايات
ولا اعلم الكناية لا تصلح ان تجيء مجازا حمله على جانبي الحقيقة والمجاز والجبال ههنا لا تصلح لهذا المعنى الا اذا حملت على
جانب المجاز خاصة لان مكرا ولئك لم يكن لتزول منه جبال الارض فان ذلك محال • واما ما ورد منها في الاخبار
النبوية فقول النبي انه كانت امراة فيمن كان قبلنا وكان لها ابن عم تحبها فراودها عن نفسها فلما قعد منها
مقعد الرجل من المراة قالت له لا يحل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فقام وتركها وهذه كناية واقعة في موقعها

النجاد رادف لطول القامة ولازم له بخلاف نقاء الثوب فانه كناية عن النزاهة من العيوب لان نقاء الثوب
لا يلزم منه النزاهة من العيوب كما يلزم من طول النجاد طول القامة واما المجاورة فهو ان يريد ذكر الشيء فيترك
الى ما جاوره كقولك عنترة • برجاحة صفراء ذات اسرة • قرنت بازهر في الشمال مفدم • يريد الرجاحة
الخمر وذكر الرجاحة وكنى بها عن الخمر لانها مجاورة لها وهذا التقسيم غير صحيح لان من شرط التقسيم ان يكون كل
قسم منه مختصًا بصفة خاصة تفصله عن عموم الاصل كقولنا الحيوان ينقسم اقسامًا منها الانسان وصفته
كذا وكذا ومنها الاسد وصفته كذا وكذا ومنها الفرس وصفته كذا وكذا ومنها غير ذلك وهما لم يذكر التقسيم
كذلك فان التمثيل على ما ذكره هو عبارة عن مجموع الكناية لان الكناية انما هي ان تريد الاشارة الى معنى فتوضع
لفظ المعنى اخر ويكون ذلك اللفظ مثالا للمعنى الذي اردت الاشارة اليه الا ترى الى قوله تعالى هذا اخي له
تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فانه اراد الاشارة الى النساء فوضع لفظ المعنى اخر وهو النعاج ومثل
به النساء وهكذا يجري الحكم في جميع ما ياتي من الكنايات كما سنضرب الممثل فيه وبكون الشبه سر الكناية والمكنى
عنه شديد المناسبة ومنها ما يكون دون ذلك في الشبهية وقد املت في ذلك وحققت النظر فيه فوجدت الكناية
اذا وردت على طريق اللفظ المركب كانت شديدة المناسبة واضح الشبه واذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم
تكن تلك الدرجة في قوة المناسبة والمشابهة الا ترى الى قولهم في نقي الثوب وقولهم اللمس كناية عن الجماع فان نقاء
الثوب اشد مناسبة واوضح شبها لانا اذا قلنا نقاء الثوب من الدنس كناية عن العرض من العيوب اضمحت المشابهة
بين الكناية والمكنى عنه شديدة الملائمة واذا قلنا اللمس كالجماع لم تكن تلك الدرجة في قوة المشابهة وهذا الذي ذكر
في ان من الكناية تمثيلا وهو كذا وكذا غير شائع ولا وارد بل الكناية كلها هي ذلك والذي قدمته من القول فيها هو الحاصر لها
ولم يات به احد غيري كذلك • واما الارداف فانه ضرب من اللفظ المركب الا انه اخص بصفة تخصه وهي ان يكون
الكناية دليلا على المكنى عنه وملازمة له بخلاف غيرها من الكنايات الاتي ان طول النجاد دليل على طول القامة وعلى
ورد قول الاعرابية في حديث ام زرع فقالت في وصف زوجها له ابل قليلات المسارح كثيرات المبارك اذا سمعن
صوت المزهر ايقن انهن هوالك وعرض الاعرابية من هذا القول ان تصف زوجها بالجود والكرم الا انها لم تذكر ذلك
بلفظ التصريح وانما ذكرته من طريق الكناية على وجه الارداف الذي هو لازم له وكذلك ورد في الاخبار النبوية انه في
ان امراة جاءت الى النبي فسالته عن غسلها من الحيض فامرها كيف تغتسل ثم قال خذي فرصة ممسك فتطهري بها
قالت تطهر بها فقال تطهري بها قالت كيف اتطهر بها فقال سبحان الله تطهري بها فاخذتها عائشة اليها وقالت تتبعي
بها اثر الدم فقولها تتبعي بها اثر الدم كناية عن الفرج على طريق الارداف لان اثر الدم في الحيض لا يكون الا في الفرج
فهو رادف له ولازم له • ومما ورد من ذلك شعرا قول عمر بن ابي ربيعة •
بعيدة مهوى القرط اما لنوفل • ابوها واما عبد شمس وهاشم • فان بعد مهوى القرط دليل على طول العنق
ومن لطف هذا الموضع وحسنه ما ياتي بلفظه مثل كقول الرجل اذا نفى عن نفسه القبيح مثلي لا يفعل هذا اي انا لا
افعله فنفى ذلك عن مثله وتريد نفسه عن نفسه لانه اذا نفاه عمن يماثله ويشابهه فقد نفاه عن نفسه لامحالة اذ هو
ينفي ذلك عنه اجدر وكذلك تقول مثلك اذا سئل اعطى اي انت اذا سئلت اعطيت وسبب ورود هذه اللفظة
في هذا الموضع انه يحصل من جماعة هذه اوصافهم تبسنا للامر وتوكيدًا ولو كان فيه وحده لقلق منه موضعه
ولم ترس قدمه فيه وهذا مثل قول القائل اذا كان في مدح انسان انت من القوم الكرام اي لك في هذا الفعل سابقة

ومن ذلك ايضا قول النبي ص رويدك سوقك بالقوارير يريد بذلك النساء فكنى عنهن بالقوارير وذلك انه كان
في بعض اسفاره وغلام اسود اسمه انجشة يحدو فقال له ويحك انجشة رويدك سوقك بالقوارير وهذه
كناية لطيفة • وكذلك ورد حديث الحديبية وذلك انه لما نزل رسول الله ص على الركية جاءه بديل بن ورقا الخزاعي
في نفر من قومه من اهل تهامة فقال تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي نزلوا عداد مياه الحديبية معهم العوذ
المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت وهذه كناية عن النساء والصبيان والعوذ جمع عائذ وهي الناقة
التي وضعت وقوي ولدها وهذا يجوز حمله على طريق الحقيقة كما جاز حمله على طريق المجاز اي معهم الاموال من الابل
وهي كانت جل اموال العرب اي انهم قد احضروا اموالهم ليقاتلوا دونها ولما جاز حمل العوذ المطافيل على النساء
والصبيان وعلى الاموال كانت من باب الكناية • ومن ذلك ما ورد في اقامة الحد على الزاني وهو ان يشهد عليه
برؤية الميل في المكحلة وذلك كناية عن رؤية الفرج في الفرج • ومن لطيف الكناية ان امراة جاءت الى عائشة رضي الله عنها
فقالت اقيد جملي فقالت عائشة لا ارادت المراة انها تصنع لزوجها شيئا تمنعه عن غيرها اي تربطه ان ياتي غيرها
فظاهر هذا اللفظ هو تقييد الجمل وباطنه ما ارادته المراة وفهمته عائشة منها • وكذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رض
وذلك انه جاء الى النبي ص فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي البارحة فقال له النبي ص
اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة • ويروى ان عمرو بن العاص زوج ولده عبد الله فمكثت امراته عنده ثلث ليال
لم يدن منها وانما كان ملتفتا الى صلوته فدخل عليها عمرو بعد ثلث فقال كيف ترين بعلك فقالت نعم
البعل الا انه لم يفتش لنا كنفا ولا قرب لنا مضجعا فقولها لم يفتش لنا كنفا من الكناية البرة الطاهرة • ومن
اللطيف مما بلغني في هذا قول عبد الله بن سلام فانه راى على رجل ثوبا معصفرا فقال لو ان ثوبك في تنور اهلك
او تحت قدرهم كان خيرا فذهب الرجل فاحرقه نظرا الى حقيقة قول عبد الله وظاهر مفهومه وانما اراد
المجاز منه وهو انك لو صرفت ثمنه الى دقيق تخبزه او حطب تطبخ به كان خيرا والمعنى متجاذب بين هذين الوجهين
والرجل فهم منه الظاهر الحقيقي فمضى فاحرق ثوبه ومراد عبد الله غيره • ومن هذا القسم ما ورد في امثال
العرب كقولهم اياك وعقيلة الملح وذلك كناية عن المراة الحسناء في منبت السوء فان عقيلة الملح هي اللؤلؤة
تكون في البحر فهي حسنة وموضعها ملح • وكذلك قولهم ليس له جلد النمر كناية عن العداوة وقد يقاس على هذا ان يقال
ليس له جلد الاسد وليس له جلد الذئب وليس له جلد الارقم لان هذا كله مثل قولهم ليس له جلد النمر اذ العداوة محتملة
في الجميع • وكذلك قولهم قلب له ظهر المجن كناية عن تغير المودة • ومما ورد من ذلك شعرا قول ابي نواس •
لا اذود الطير عن شجر • قد بلوت المر من ثمره • وهذا كناية وهو انه كان لابي نواس صديقة تغشاه فقيل له
انها تختلف الى اخر من الريب فلم يصدق ذلك حتى تبعها يوما من الايام فراها تدخل الى منزل ذلك الرجل ثم ان ذلك
الرجل جاءه وكان صديقا له وكلمه فصرف وجهه عنه • ثم نظم قصيدته المشهورة التي مطلعها •
ايها المنتاب عن عفره • وهذا البيت من جملة ابياتها وكذلك ورد قوله ايضا •

وناظرة الي من التفات • تلاحظني بطرف مستراب •
كشفت قناعها فاذا عجوز • مموهة المفارق بالخضاب •
فما زالت تجمشني طويلا • وتاخذ في احاديث التصابي •
تحاول ان يقوم ابو زياد • ودون قيامه شيب الغراب •

انت بجرابها تكتال فيه • فعادت وهي فارغة الجراب •

والمطافيل جمع مطفل وهي الناقة التي معها ولدها ح

فقوله

فقوله انت بجرابها تكتال فيه من باب الكناية اذ الجراب يجوز حمله على الحقيقة والمجاز وكذلك الكيل ايضا • ومما
جاء من هذا الباب قول ابي تمام في قصيدته التي يستعطف بها مالك بن طوق على قومه ومطلعها •
ارض مصرده وارض تنجم • فقال ما لي رايت ترابكم يبس الثرى • ما لي ارى اطوادكم تتهدم • فيبس الثرى
كناية عن تنكر ذات البين يقول يبس الثرى بيني وبين فلان اذا تنكر الود الذي بينك وبينه وكذلك تهدم الاطواد
فانه كناية عن خفة الحلوم وطيش العقول • ومن الكناية الحسنة قول ابي الطيب المتنبي في قصيدته التي يعاتب
فيها سيف الدولة بن حمدان • ومطلعها • واجر قلباه ممن قلبه شبم • فقال
وشر ما قنصته راحتي قنص • شهب البزاة سواء فيه والرخم • يشير بذلك الى ان سيف الدولة يستوي في
المثال منه هو وغيره فهو البازي وغيره الرخمة وان حمل المعنى على جانب الحقيقة كان جائزا وعليه ورد قول
الاقيشر الاسدي وكان عنينا لا ياتي النساء وكان كثيرا ما يصف ذلك من نفسه فجلس اليه يوما رجل من قيس فانشده
الاقيشر • ولقد اروح بمشرف ذي منعة • عسر المكرة ماؤه يتفصد •
مرح يطير من المراح لعابه • ويكاد جلد اهابه يتقدد •
ثم قال له ابتصر الشعر قال نعم قال فما وصفت قال فرسا قال افكنت تركبه لو رايته قال اي والله وابني عطفه
فكشف عن ايره وقال هذا وصفت فقم فاركبه فوثب الرجل عن مكانه وقال قبحك الله من جليس سائر القوم • وكذلك
يحكى ايضا انه وفد سعيد بن عبد الرحمن على هشام بن عبد الملك وكان جميل الوجه فاختلف الى عبد الصمد بن عبد
الاعلى مؤدب الوليد بن يزيد فاراده على نفسه فوثب من عنده ودخل على هشام مغضبا وهو يقول
انه والله لولا انت لم ينج مني سالما عبد الصمد • فقال هشام ولم ذاك قال
انه قد رام مني خطة • لم يرمها قبله مني احد • قال وما رام قال
رام جهلا بي وجهلا بابي • يدخل الافعى على جنس الاسد • قال فضحك هشام وقال لو فعلت به
شيئا لم انكره عليك • ومن الطف ما سمعته في هذا الباب قول ابي نواس في الهجاء وهو •
اذا ما كنت جار ابي حسين • فنم ويداك في طرف السلاح •
فان له نساء سارقات • اذا ما بتن اطراف الرماح •
سرقت وقد نزلت عليه ايري • فلم اظفر به حتى الصباح •
فجاء وقد تحدش جانباه • يئن الي من الم الجراح • فتعبيره عن العضو
المشار اليه باطراف الرماح تعبير في غاية اللطافة والحسن وقد ادخل في باب الكناية ما ليس منه كقول نصيب
فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله • ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب • وهذا يروى عن الجاحظ وما
اعلم كيف ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بفن الفصاحة والبلاغة فان الكناية هي ما جاز حمله على جانب الحقيقة
كما يجوز حمله على جانب المجاز • وههنا لا يصح ذلك ولا يستقيم لان الثنا للحقائب لا يكون الا مجازا وهذا من باب
التشبيه المضمر الاداة الخارج عن الكناية والمراد به ان في الحقائب من عطاياك ما يعرب عن الثنا لو سكت اصحابها
عنه • واما القسم المختص بما يقبح ذكره من الكناية فانه لا يحسن استعماله لانه عيب في الكلام فاحش وذلك
لعدم الفائدة المرادة من الكناية فيه • فمما جاء منه قول الشريف الرضي يرثي امراة •
ان لم يكن نصلا فعمد نصال • وفي هذا من سوء الكناية ما لا خفاء به فان الوهم يسبق في هذا الموضع

الى ما يقبح ذكره وهذا المعنى اخذه من قول الفرزدق فمسخه وشوه صورته فان الفرزدق رثى امراته فقال

وحفن سلاح قد رزئت فلم انح • عليه ولم ابعث عليه البواكيا •

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة • لو ان المنايا امهلته لياليا •

وهذا حسن بديع في معناه وما كنى عن امراة ماتت بجمع احسن من هذه الكناية ولا افخم شانا فجاء الشريف الرضي فاخذ معناها وفعل به ما ترى وليس كل من تصرف في المعاني احسن في تصريفها وابقى هذه الرموز في تاليفها وقد عكس هذه القضية مع ابي الطيب المتنبي فاحسن فيما اساء فيه ابو الطيب طريق الكناية واخطا حيث قال

اني على شغفي بما في خمرها • لاعف عما في سراويلاتها • وهذه كناية عن النزاهة والعفة الا ان الفجور احسن منها • وقد اخذ الشريف الرضي هذا المعنى فابرزه في اجمل صورة حيث قال

احن الى ما يضمن الخمر والحلي • واصدف عما في ضمان المازر • وامثال هذا كثيرة وفيما ذكرناه من هذين المثالين مقنع • واما التعريض فقد سبق الاعلام به وعرفناك الفرق بينه وبين الكناية • فمما جاء منه قوله تعالى قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون وغرض ابرهيم صلوات الله عليه من هذا الكلام اقامة الحجة عليهم لانه قال فاسالوهم ان كانوا ينطقون وذلك على سبيل الاستهزاء بهم وهذا من رموز الكلام والقول فيه ان قصد ابرهيم عليه السلام لم يرد به نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على انه اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزام الحجة عليهم والاستهزاء بهم وقد يقال في هذا غير ما اشرت اليه وهو ان كبير الاصنام غضب ان يعبد معه هذه الاصنام الصغار فكسرها وغرض ابرهيم عليه السلام من ذلك انه لا يجوز ان يعبد مع الله تعالى من هو دونه فان من دونه مخلوق من مخلوقاته فجعل احالة القول الى كبير الاصنام مثالا لما اراده • ومن هذا القسم ايضا قوله تعالى قال الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فقوله ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق بالنبوة منه والله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملاء وموازن لهم في المنزلة فما جعلك احق منهم بها الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل • وكان مروان بن الحكم واليا على المدينة من قبل معوية فعزله فلما قدم عليه قال له عزلتك لثلث لو لم يكن الا واحدة منهن لاوجبت عزلك احداهن اني امرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع ان تستقي منه والثانية كراهتك امر زياد والثالثة ان ابنتي رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمن فلم تعدها فقال له مروان اما عبد الله بن عامر فاني لا انتصر منه في سلطاني ولكن اذا تساوت الاقدام علم اين موضعه واما كراهتي امر زياد فان سائر بني امية كرهوه واما استعداء رملة على عمرو بن عثمان فوالله انه لتاتي علي سنة وعندي بنت عثمن فما اكشف لها ثوبا يريد بذلك ان رملة بنت معوية انما استعدت لطلب الجماع فقال معوية يا ابن الورع لست هناك فقال له مروان هو ذاك وهذا من التعريضات اللطيفة • ومثله في اللطافة ما يروى عن عمر بن الخطاب رض وذاك انه كان يخطب يوم جمعة فدخل عثمان بن عفان فقال عمر اية ساعة هذه فقال عثمان يا امير المومنين انقلبت من السوق فسمعت النداء فما زدت على ان توضات فقال عمر والوضوء ايضا وقد علمت ان رسول الله صلعم كان يامر بالغسل فقوله اية ساعة هذه تعريض بالانكار عليه لتاخره عن المجي الى الصلوة وترك السبق اليها وهو من التعريض المعرب عن

حسن

حسن الادب • ووقفت في كتاب العقد على حكاية تعريضية حسنة الموقع وهي ان امراة وقفت على قيس بن سعد بن عبادة فقالت اشكوا اليك قلة الفار في بيتي فقال ما احسن ما ورت عن حاجتها املؤا لها بيتها خبزا وسمنا ولحما • ومن خفي التعريض وغامضه ما ورد في الحديث النبوي وهو ان النبي صلعم خرج وهو محتضن احد ابني ابنته وهو يقول والله انكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله وان اخر وطاءة وطيها الله بوج اعلم ان وجا واد بالطائف والمراد به غزاة حنين وحنين واد قبل وج لان غزاة حنين اخر غزاة اوقع بها رسول الله صلعم مع المشركين واما غزوتا الطائف وتبوك اللتان كانتا بعد حنين فلم يكن فيهما وطاة اي قتال وانما كانتا مجرد خروج الى العدو من غير ملاقاة عدو ولا قتال ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله صلعم وان اخر وطاءة وطيها الله بوج على ما قبله من الحديث هو التاسف على مفارقة اولاده لقرب وفاته لان غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان ووفاته كانت في ربيع الاول من سنة احدى عشرة وبينهما سنتان ونصف فكانه قال وانهم لمن ريحان الله اي من رزقه وانا مفارقكم عن قريب الا انه صانع عن قوله وانا مفارقكم عن قريب بقوله وان اخر وطاءة وطيها الله بوج وكان ذلك تعريضا بما اراده وقصده من قرب وفاته • ومما ورد من هذا الباب شعرا قول السميدر الحارثي •

بني عميا لا تذكروا الشعر بعدما • دفنتم بصحراء العمير قوافيا • وليس قصده هاهنا الشعر بل قصده ما جرى لهم بهذا الموضع من الظهور عليهم والغلبة الا انه لم يذكر ذلك بل ذكر الشعر وجعله تعريضا بما قصده اي لا تفخر بعد تلك الواقعة التي جرت لكم ولنا بذلك المكان • ومن احسن التعريضات ما كتبه عمرو بن مسعدة الكاتب الى المامون في بعض اصحابه وهو اما بعد فقد استشفع بي فلان الى امير المومنين ليتطول في الحاقه بنظرائه من الخاصة فاعلمته ان امير المومنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين وفي ابتدائه بتلك تعدي طاعته فوقع المامون في ظهر كتابه قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك واجبناك اليهما • واعلم ان هذين القسمين من الكناية والتعريض قد وردا في غير اللغة العربية ووجدتهما كثيرا في اللغة السريانية فان الانجيل الذي في ايدي النصارى قد اتى منهما بالكثير • ومما وجدته من الكناية في لغة الفرس انه كان رجل من اساورة كسرى وخواصه فقيل له الملك يختلف الى امراتك فهجرها لذلك وترك فراشها فاخبرت كسرى فدعاه وقال قد بلغني ان لك عينا عذبة وانك لا تشرب منها فما سبب ذلك فقال ايها الملك بلغني ان الاسد يردها فخفته فاستحسن كسرى منه هذا الكلام واسنى عطاه

النوع العشرون في المغالطات المعنوية

وهذا النوع من اجلى ما استعمل من الكلام والطفه لما فيه من التورية وحقيقته ان يذكر معنى من المعاني له مثل في شي اخر او نقيض في شي اخر والنقيض احسن موقعا والطف ماخذا فالاول الذي يكون له مثل يقع في الالفاظ المشتركة • فمن ذلك قول ابي الطيب المتنبي •

تشلهم بكل اقب نهد • لفارسه على الخيل الخيار •

بكل اصم يغسل جانباه • على الكعبين منه دم ممار •

يغادر كل ملتفت اليه • ولبته لثعلبه وجار • فالثعلب هو هذا الحيوان المعروف والوجار اسم بيته والثعلب ايضا هو طرف سنان الرمح فلما اتفق الاسمان بين الثعلبين حسن ذكر الوجار في طرف السنان وهذا نقل المعنى من مثل الى مثل وعليه ورد قول المتنبي ايضا •

برغم شبيب فارق السيف كفه • وكانا على العلات يصطحبان •
كان رقاب الناس قالت لسيفه • رفيقك قيسي وانت يمان •

فان شبيبا الخارجي الذي خرج على كافور الاخشيذي وقصد دمشق وحاصرها وقتل على حصارها كان من قيس ولم يزل بين قيس واليمن عداوات وحروب واخبار ذلك مشهورة والسيف يقال له يماني في نسبته الى اليمن ومراد المتنبي من هذا البيت ان شبيبا لما قتل وفارق السيف كفه فكان الناس قالوا لسيفه انت يمان وصاحبك قيسي ولهذا جانبه السيف وفارقه وهذه مغالطة حسنة وهي كالاولى الا انها ادق واغمض ولذلك ورد قول بعضهم من ابيات الحماسة يهجو بها شاعرا فجاء من جملتها قوله •

وخلطتم بعض القران ببعضه • فجعلتم الشعراء في الانعام • ومعنى ذلك ان الشعراء اسم سورة من القران والانعام اسم سورة ايضا والشعراء اسم شاعر والانعام ما كان من الابل والبقر • وكذلك ورد قول بعض العراقيين يهجو رجلا كان على مذهب احمد بن حنبل رض ثم انتقل الى مذهب ابي حنيفة رض ثم صار الى مذهب الشافعي رض •

من مبلغ عني الوجيه رسالة • وان كان لا تجدي لديه الرسائل •
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل • وفارقته اذ اعوزتك الماء كل •
وما اخترت راي الشافعي تدينا • ولكنما تهوى الذي منه حاصل •
وعما قليل انت لا شك صائر • الى مالك فافطن لما انا قائل •

ومالك هو مالك بن انس صاحب المذهب رض ومالك هو خازن النار وهذه ايضا مغالطة لطيفة ومن احسن ما سمعته في هذا الباب قول ابي العلاء بن سليمان في الابل •

صلب العصا بالضرب قد دماها • تود لو ان الله قد افناها •
اذا ارادت رشدا اغواها • بخالد من رقة اباها •

والضرب لفظ مشترك يطلق على الضرب بالعصا وعلى الضرب في الارض وهو المسير فيها وكذلك دماها فانه لفظ مشترك يطلق على شيئين احدهما يقال دماه اذا اسال دمه ودماه اذا جعله كالدمية وهي الصورة وهكذا لفظ الفنا فانه يطلق على عنب الثعلب وعلى اذهاب الشي اذا لم يبق منه بقية يقال افناه اذا اذهبه وافناه اذا اطعمه الفنا وهو عنب الثعلب والرشد والغوى نبتان يقال اغواه اذا اضله واغواه اذا اطعمه الغوا ويقال طلب رشدا اذا طلب ذلك النبت وطلب رشدا اذا طلب الهداية وبعض يظن هذه الابيات من باب اللغز وليس كذلك لانها تشتمل على الفاظ مشتركة وذلك معنى ظاهر يستخرج من دلالة اللفظ عليه واللغز هو الذي يستخرج من طريق الحزر والحدس لا من دلالة اللفظ عليه وسا وضح ذلك ايضا جليا في النوع الحادي والعشرين وهو الذي يتلو هذا النوع فليوخذ من هناك ويروى في الاخبار الواردة في غزاة بدر ان النبي ص كان سائرا باصحابه يقصد بدرا خلفهم رجل من العرب فقال ممن القوم فقال النبي ص من ماء فاخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء لينظر اي العرب يقال له ماء فسار النبي ص لوجهته وكان قصده ان يكتم امره وهذا من المغالطة المثلية لانه يجوز ان يكون بعض بطون العرب يسمى ماء ويجوز ان يكون المراد ان خلقهم من ماء وقد جاء شي من ذلك في الكلام المنثور • فمنه ما قلت ومن صفات هذا البرد انه يعقد الدر في حلقه والدمع في طرفه ولربما تعدى الى قليب الخاطر فاجفه ان يجري بوصفه • فالشمس ماسورة والنار مقرورة والارض شهبا

غير

شهبا غير انها حولية لم ترض • ومسيلات الجبال انهار غير انها جامدة لم تخض • ومكان المغالطة من هذا الكلام في قولي والارض شهبا غير انها حولية لم ترض فان الشهبا من الخيل يقال فيها حولية اي لها حول ويقال انها مروضة اي قد ذللت للركوب وهذه الارض مضى الثلج عليها حول فهي شهبا حولية وقولي لم ترض اي لم تسلك بعد • ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم فقلت ولقد نزلت منه بمهلبي الصنع احنفي الاخلاق ولقيته فكاني لم ارع ممن احبه بلوعة الفراق • ولا كرامة للاهل والوطن حتى اقول اني قد استبدلت به اهلا ووطنا • وعهدي بالايام وهي من الاحسان فاطمة فاستوى ربها بجواره حسنا • وهذه تورية لطيفة فان فاطمة بنت رسول الله ص والحسن عليه السلام ولدها وفاطمة هي اسم فاعلة من الفطام يقال فطمت فهي فاطمة كما يقال قطم فهو فاطم والحسن هو الشي الحسن • ومن هذا الاسلوب ما كتبته في فصل من كتاب الى بعض الاخوان فقلت وعهده بقلمي وهو يتحلى من البيان باسمائه • ويبرز انوار المعاني من ظلمائه • وقد اصبحت يدي منه وهي حمالة الحطب • واصبح خاطري ابا جهل بعد ان كان ابا لهب • وهذه احسن من الاول واخلب عبارة فانظر ايها المتامل الى ما فيه من التورية اللفظية الا ترى ان الخاطر الذكي يحمد فيوصف بانه وقاد وملتهب ويذم فيوصف بانه بليد وجاهل وابو لهب وابو جهل الرجلان المعروفان وكذلك حمالة الحطب هي المراة المعروفة واذا ذم القلم قيل انه حطب وان صاحبه حاطب فانما نقلت انا هذا المعنى الذي قصدته حيث به على حكم المغالطة ورويت فيه تورية والمسلك الى مثل هذه المعاني وتصحيح المقصد فيها عسر جدا لا جرم ان الاجادة فيها قليلة ومما يجري هذا المجرى ما ذكرته في وصف شخص بمعالي الامور وهو • ومن اثر مساعيه انه حاز قفل المكرمات ومفتاحها • واذا سيل منقبة كان مناعها • واذا سيل موهبة كان مناحها • واحسن اثرا من ذلك انه اخذ باعنة الصعاب والان جماحها • فاذا شهد حومة حرب كان منصورها واذا القى مهجة خطب كان سفاحها • والمغالطة في هذا الكلام في ذكر المنصور والسفاح فانهما لقب خليفتين من بني العباس والسفاح اول خلفائهم والمنصور اخوه الذي ولي الخلافة من بعده وهما ايضا من النصر في حومة الوغا والسفح الذي هو الاراقة والمهجة دم القلب فكاني قلت هو منصور في حومة الوغا ومريق لدم الخطوب وقد اجتمع في هذا الكلام المنصور والمنصور والسفاح والسفاح وهذا من المغالطات المثلية لا من التفصية ولا خفا بما فيها من الحسن • ومن ذلك ما ذكرته في كتاب الى بعض الاخوان فقلت ولقد علمت ان ذلك الانس يقربه يعقب ايحاشا • وان تلك النهلة من لقائه يجعل الاكباد عطاشا • فان من شيمة الدهر ان يبدل الصفو كدرا • ويوسع ايام عقوقه طولا وايام بره قصرا • وما قولي الا انه اشعر بتلك المسرة المسروقة فاقام عليها حد القطع وراى العيش فيها خفضا فازاله بعامل الرفع فالمغالطة في هذا الكلام هي في ذكر الخفض والرفع فان الخفض هو سعة العيش والخفض هو احد العوامل النحوية والرفع هو معنى قولنا رفعت الشي اذا ازلته والرفع هو احد العوامل ايضا وهذا من المغالطات الخفية • ومن ذلك ما ذكرته ايضا في فصل من كتاب اصف فيه الحما وكنت اذ ذاك في حصن سميساط وهو بلد من بلاد الارمن فقلت ومما اذكره من حال المرض بهذه الارض ان الحما خيمت بها فاستقرت • ولم تقنع باهلها حتى سرت الى بريتها فبرت وقد اخذ بها الناقص فاقشعرت • ولم يشكل امرها الا لانها حمى ارمنية مستعجمة اللسان • وقد تشبه الامراض اهل بلادها في الاديان • واذا كانت الحما كافرة لم يزل للمسلم حربا • وشكاتها لا تسمى شكاة وانما تسمى طعنا وضربا • ولهذا صارت الادوية في علاجها •

فتحها

وهذان البيتان من باب الكناية لانهما يحملان على الفرس وعلى العصو المخصوص واذا احمل اللفظ على الحقيقة والمجاز فكيف لعدم جملة الالغاز • وكذلك فعل الحريرى فى مقاماته فانه ذكر فى الاحاجى التى جعلها على حكم الفتاوى كنايه ومغالطة معنوية وظن انهما من الاحاجى الملغز كقوله ايحل للصائم ان ياكل نهارًا والنهار من الاسماء المشتركة بين النهار الذى هو ضد الليل وبين فرخ الحُبارى فانه يسمى نهارا واذا كان من الاسماء المشتركة صار من باب المغالطات المعنوية لا من باب الاحاجى الملغز واذا الاحاجى والالغاز شىء منفصل عن ذلك كله ولو كان من جملته لما قيل الغز واحجيه وانما قيل كناية او تعريض او مغالطه ولكن وجد من الكلام ما تطلق عليه الكناية خارج عن ذلك فجعل الغزا واحجيه وكنت قدمت القول بان الكناية هى اللفظ الدال على جانب الحقيقة وعلى جانب المجاز فهو يحمل عليهما معًا وان التعريض هو ما فهم من عرض اللفظ لا من دلالته على حقيقة ومجازًا وان المغالطه هى التى تطلق ويراد بها شيآن احدهما دلالة اللفظ على معنيين بالاشتراك الوضعى والاخر دلالة اللفظ على المعنى ونقيضه • واما اللغز والاحجيه فانهما شىء واحد وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بد لا دلالة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازًا ولا يفهم من عرضه لان قول القائل فى الفرس

وصاحب لا امل الدهر صحبته • يشقى لنفعى ويسعى سعى مجتهد •
ما ان رايت له شخصًا فمذ وقعت • عينى عليه افترقنا فرقة الابد •

لا يدل على انه الفرس لا من طريق الحقيقه ولا من طريق المجاز ولا من طريق المفهوم وانما هو شىء يحدس ويحزر بالخواطر ويحلف فى الاسراع والابطاء عند عثورها عليه فان قيل ان اللغز يعلم من طريق المفهوم وهذان البيتان يعلم بعنهما بالمفهوم قلت فى الجواب لا يعلم المفهوم انما هو التعريض كقول القائل انى لفقير والى المحتاج فان هذا القول لا يدل على المسالة والطلب لا حقيقة ولا مجازًا وانما فهم منه ان صاحبه متعرض للطلب وهذان البيتان ليسا كذلك فانهما لا يشتملان على ما يفهم منه شىء البتة فالحدس والحزر لا غير وكذلك كل لغز من الالغاز واذا ثبت هذا فاعلم ان هذا الباب الذى هو اللغز والاحجيه والمعما نوع واحد من انواع فنه المصحف ومنه المعكوس ومنه ما نقل الى اللغز من اللغات غير العربيه كقول القائل • اسمى اذا صحفته بالفارسيه آخر وهذا اسمه اسم تركى وهو بنكر بالدال المهمله والنون واخرا بالفارسيه دبكر بالدال المهمله والباء المعجمة بنقطتين من تحت واذا صحفت هذه الكلمه صارت دنكر بالنون وانقلبت الياء نونا بالتصحيف وهذا غير مفهوم الا لبعض الناس دون بعض وانما وضع واستعمل لانه مما يشحذ القريحه ويحد الخاطر لانه يشتمل على معان دقيقه تحتاج فى استخراجها الى توقد الذهن والسلوك فى تعاريج خفيه من الفكر وقد استعملته العرب فى اشعارها فلذلك تهجاء المحدثون فاكثروا منه وربما اتى منه ما كان حسنًا وعليه مسحة من البلاغه وذلك عندى بين بين فلا اعده من الاحاجى ولا اعده من فصيح الكلام • فمما جاء منه قول بعضهم •

قد سقت آبائهم بالنار والنار قد تشفى من الاوار • ومعنى ذلك ان هؤلاء القوم الذين هم اصحاب لا يدرووجاهد وتقدم ولهم وسم معلوم فلما وردت ابلهم الماء عرفت ذلك الوسم فافرج الناس حتى شربت وقد افقوا له انه اتى فى هذا البيت بالشىء وضده وجعل احدهما سببًا للاخر فصار عجيبًا وذلك انه قال سقيت بالنار وقال ان النار يشفى من الاوار وهو العطش وهذا من محاسن ما اتى فى هذا الباب • ومما يجرى على هذا النهج قول ابى نواس فى شجر الكرم • لنا هجمة لا تدرى الذئب سخلها • ولا راعها عض الفحاله والخطر •

ليست بادونه • واصبحت ايام نحرها فى الناس غير مبتداة بايام تروية • وليس موسمها فى فصل معلوم بل كل فصول العام مواسمها • ولو كاتبتها نصيبين اوميافارقين لكتب لترجمة بعيدها وخادمها • والمغالطه هنا فى قولى واصبحت ايام نحرها فى الناس غير مبتداة بايام تروية والمراد بذلك انها تقبل بغته من غير تروى من غير تربص وبلبث ويوم النحر هو يوم عيد الاضحى وقبله يوم سمى يوم التروية فالمغالطه حصلت بسبب نحر الجمال للناس ونحر الضحايا الا ان يوم النحر مبتدا به وسوم التروية ولا حفا بعلى هذه المغالطه من الحسن واللطافه واما القسم الاخر وهو النقيض فانه اقل استعمالا من القسم الذى قبله لانه لا تنهيا استعماله كثيرًا لمن يعمله ما ورد شعرًا لبعضهم وهو قوله • وما اشياء تشرى بما يال • فاذا نفقت فاكسد ما يكون • فقال نفقت السلعة اذا راجت وكان لها سوق ونفقت الدابه اذا ماتت وموضع المناقضه ههنا فى قوله اذا نفقت كسدت فجاء بالشىء ونقيضه وجعل هذا سببًا لهذا وذا لاجل المغالطه الحسنه • ومن ذلك ما كتبته فى جملة كتاب الى بعض الخلافه بسمرقند وقوم بلاد مرو الاد الكفار فقلت فى اخر الكتاب وقد اراد الخادم مريبلغ عنه مشارح هذه الوقايع التى اختصرها ومثل صورها المرغاب عنها كما تمثلت لمرحضرها وكور مكانه من النباهه كرمًا لمكانها وهى عرائس المساعى فاحسن الناس بيانًا موهل لابداع حسانها والسابرها فلان وهو راوى اخبار نصرها التى صححتها فى تخريج الرجال وعوالى اسنادها ماخوذة من طرق العوالى واللبالى والايام لها رواه ومن الظريرواته لا يام والليال • فى هذا الفصل مغالطه نقيضته ومغالطه مثليته لها المغالطه المثليه فهى فى قولى وعوالى اسنادها ماخوذ من طرق العوال وقد تقدم الكلام على هذا ومايجرى مجراه فى القسم الاول • واما المغالطه النقيضيته فهى فى قولى وهو راوى اخبار نصرها التى صححها فى تخريج الرجال وموضع المغالطه منه انه يقال فى رواية الاخبار فلان عدل صحيح الروايه وفلان مجروح اى سيىء الروايه غير موثوق به فاثبت لهذا المعنى على وجه النقيض وعللت صحة اخبار هذه الفتوح فى تجريح الرجال اى بجرحهم فى الحرب وفى هذا من الحسن ما لا خفا به وقد اوردت من هذه الامثله ما فيه كفايه ومقنع • فان قيل ان الضرب الاول من هذا النوع هو التجنيس الذى لفظه واحد ومعناه مختلف كالمثال الذى مثلته فى قول الطبسلينى ثعلب ووجاء فان الثعلب هو الحيوان المعروف وهو ايضا طرف السنان وكذلك ما فى الامثله قلت فى الجواب ان الفرق بين هذين النوعين ظاهر وذلك ان التجنيس يدرك فيه اللفظ الواحد من حيث هو مستوى فى الصورة ويحلف فى المعنى كقولى الى تمام •

بكل فتى ضرب تعرض للقنى • محبًا محلا خطيه الطعن والضرب • فالضرب الرجل الخفيف والضرب ايضا السيف وفى القتال فاللفظ لابد من ذكره مرتين والمعنى مختلف فيه والمغالطه ليست كذلك بل يذكر فيها اللفظ مرة واحده ويدل به على مثله وليس بعده • النوع الحادى والعشرون فى الاحاجى وهو الاغالط من الكلام وسميا الالغاز جمع لغز وهو الطريق الذى يلتوى ويشكل على سالكه وقيل جمع لغز بضم اللام وهو ميلك بالشىء وجهه وقد تسمى هذا النوع المعما وهو تشبيه بالكنايه بارة وبالتعريض اخرى وتشبيه ايضا بالمغالطات المعنويه ووقع فى ذلك عامة ارباب هذا الفن ولم يذكر ابا الفرج الاصبهانى ذكرا يتى الا قيشر الاسدى فى حلى الالغاز وهما •

ولقد روح عن مشرف دى منعه • عسر المكرمة ماوى تفصد •
مرح يطير من المراح لعابه • ويكاد جلداها به يتقدد •

وهذان

اذا استحنت الوانها ما اصفرها • الى الحق الا ان اوبارها خضر • ومن هذا القبيل قول بعضهم

سبع رواحل ما يحن مزالونا • شيم تساق تسابق زهر •

متواصلات لا الذؤب يملها • باق تعاقبها على الدهر • هذان البيتان يضمنان

وصف ايام الزمان وليالية وهي الاسبوع فان الزمان عبارة عنه وذلك من الالغاز الواقعة في موقعها

وعلى هذا الاسلوب ورد قول الطغرائي المنبي في السفن من جملة قصيدته التي يمدح بها سيف الدولة عند

ذكر عبوره الفرات • وهي • الرأي قد سجاعة الشجعان • فعال

وحشاه عاده بغير قوائم • عقم البطون حوالك الالوان •

ياتي بما ستت الحيول كانها • تحت الحسان مرابض الغزلان •

وهذا حسن في بابه • ومن ذلك قول بعضهم في حجر المحاة •

ومدرع من صفحة الليل برده • تفوق طورا بالنضار ويطلس •

اذا سألوه عن يصن اشكلا • اجاب بما يعيي الورى وهو اخرس •

وهذا من اللطافة على ما تشهد لنفسه وكان سمعه بعض المتاخرين من اهل زماننا فاجاب عنه ببيتين على رقة

وورنه وهما • سوالك جلمود من الصخر اسود • خفيف لطيف ناعم الجسم املس •

اقيم بسوق الصرف حكما كانه • من الزنج قاض الخلوق مطبلس •

وقد اتت هذا الشاعر وهو حائك بجزيرة ابن عمر وليس عنده من اسباب الادب شيء سوى انه قد اصلح لسانه

بطرف يسير من علم النحو لا غير وهو مع ذلك يقول الشعر طبعا بجيد في الكثير منه • ومن الالغار ما يرد على حكم

المسائل الفقهية كالذي اورده الحريري في مقاماته وكنت سئلت عن مسئله منه • وهي •

ولي خالة وانا خالها • ولي عمة وانا عمها •
فاما التي انا عم لها • فان ابى امه امها •
ابوها اخي واخوها ابي • ولي حالة هكذا حكمها •
فاين الفقيه الذي عنده • فنون الدراية اوعلمها •
يبين لنا نسبا خالصا • ويكشف للنفس ما همها •
فلسنا مجوسا ولا مشركين • شريعة احمد نا تمها •

مشترك الورثة من نظم المتنبي كالذي يقول رجلان كل منهما اخ لاخر ما اجابوا بهذا الا رجلان تزوج كل منهما باخت الاخر فولدت لهما اثنان وكل منهما خال لكل من ولدي صاحبه كما ذكر في الفصل الاخير من كتاب الفرائض •

وهذه المسئلة كتبت قديما ملتها بما يعرض في الفكر ولم ابث ان انكشف لي ما اختبرها من اللغز وهو ان الحالة التي الى ما عائشه
الرجل خالها تصور على هذه الصورة وذلك ان رجلا تزوج امراتين اسم احديهما عائشة واسم الاخرى فاطمة فاولدت
بنتا واولدت فاطمة ابنا ثم تزوج بنته من امراته فاطمة فجات ببنت فتلك البنت هي خاله ابنه وهو خالها
لانه اخو امها • واما العمة التي هو عمها فصورتها ان رجلا له ولد ولولده اخ من امه فزوج اخاه من امه ام ابنه فجات
ببنت فتلك البنت هي عمته لانها اخت ابنه وهو عمها لانه اخو ابيها • واما قوله ولي خالة هكذا حكمها فهو
ان تكون امها اخته واختها امه كما قال ابوها اخي واخوها ابي وصورتها ان رجلا له ولد ولولده اخت من امه
فزوجها من امه فجات ببنت فاختها امه وامها اخته • واحسن من ذلك كله والطف واحلى قول بعضهم في
الخلخال •

ومضروب بلا جرم • مليح اللون معشوق •

له قد الهلال على • مليح القد ممشوق •
واكثر ما يرى ابدا • على الامشاط في السوق •

وبلغني ان بعض الناس سمع هذه الابيات فقال قد دخلت السوق فما رايت على الامشاط شاوطرا لها الامشاط
التي يرجل بها الشعر وان السوق سوق البيع والشراء واعلم انه قد ياتي من هذا النوع ما هو صروب والوان
من الحسن الذي اوردت شيئا منه كما تراه ومنه المتوسط التي هو دونه في الدرجة والاوصف لحسن ولا فصح كقول
بعضهم • راحت ركابهم وفي اكوارها • الفان مرسم الاشل الواعد •
ما ارتادت ولا سمعت باركب • حملت حدائق الظلام الراكد •

وهذا يصف قوما وفدوا على ملك من الملوك فاعطاهم نخلا فكتب لهم لها كتابا والاشل الموضع الذي كتب
لهم اليه والعمر العطام الرؤس من النخل الواعد الافنان من النخل فلما حملوا الكتب في اكوارهم فكانهم حملوا النخل
وهذا من متوسط الالغاز • وقد حام دون ذلك ما هو شيع بارد ولا يستخرج الا بمسائل الجبر والمقابلة او الخطوط
الرمل من القبض الداخل والقبض الخارج والبياض والحمرة وغيرها ولو كان معناه دقيقا دل على فرط الذكا
فاني لا اعده من اللغة العربية فضلا عن ان يوصف بصفات الكلام المحمود ولا فرق بينه وبين لغة الفرس والروم
وغيرهم من اللغات في عدم الفهم • واما ما ورد من الالغاز شيئا فقد الغز الحريري في مقاماته الغازا ضمنها ذكر الابر
والمرود وذكر الدينار وهي اشهر كما تقدم فعرفناك فلا حاجة الى ايرادها في كتابي هذا وقد ورد من الالغاز شيء في
كلام العرب المنثور غير انه قليل بالنسبة الى ما ورد في اشعارها وقد املت الفرائد الكرمية فلم احد شيئا منها ولا سيما ان
سقم منها شيئا لانه لا يستنبط بالحدس والحزر كما يستنبط الالغاز واما ما ورد للعرب فيروى عن امرئ القيس
وزوجته عدة من الالغاز وذلك انه سالها قبل ان تتزوجها فقال اما اثنان واربعة وثمانية فعالت اما الاثنان
فثديا المراة واما الاربعة فاخلاف الناقة واما الثمانية فاطباء الكلية تمر انه زوجها وارسل اليها هدية
على يد عبد له وهي حلة من عصب اليمن ونحي من عسل ونحي من سمن فنزل العبد بعض المياه ولبس الحلة فعلق
طرفها بسمرة فانشق وفتح النحيين واطعم اهل الماء ثم قدم على المراة واهلها خلوف فسالها عن ابيها وامها واخيها
ودفع اليها الهدية فقالت له اعلم يا مولاي ان ابي ذهب يعرب بعدا وسعدا قريبا وان امي ذهبت تسقي النفس
بنفسين وان اخي يرفأ الشمس واخته ان سماكم السقت وان وعاء كما نضبا فعاد العبد الى امرئ القيس
فاخبره بما قالته له فقال اما ابوها فانه ذهب يحالف قوما على قومه واما امها فانها ذهبت تقل امراة
واما اخوها فانه سرح يرعاه الى ان يعرب الشمس واما قولها ان سماكم السقت وان الحلة السقت واما قولها
ان وعاءكما نضبا فان النحيين نضبا ثم قال للعبد اصدقني فقال لما نزلت بماء مرسى العرب وفعلت كذا وكذا
وهذا واشباهه مما ورد عنهم الا اندر نسيء • وكذا روي عن شق رافضي وكان الزم نفسه الا يتزوج الا امراة لا عمه
فصاحبه رجل في بعض اسفاره فلما اخذ منها السفر قال شق احملني امر احملك فقال له الرجل ما حاجل
محمل الراكب الراكب فامسك عنه وسار حتى اتيا على زرع فقال شق اترى هذا الزرع قما كل فقال له ما جاجل
ما تراه في سنبل فامسك عنه ثم سارا فاستقبلتهما جنازة فقال شق اترى صاحبها حيا فقال الرجل ما رايته
اجهل منك اترام حملوا الى القبر حيا ثم انهما وصلا الى قرية الرجل فضاربه الى بيته وكانت له بنت فاخذ يطرفها
بحديث رفيقه فقالت ما نطق الا بالصواب ولا استفهم الا عما استفهم عنه مثل ما قوله انحملتي ام احملك

فانه اراد يحدثني ام احدثك حتى يقطع الطريق بالحديث واما قوله اترى هذا الزرع قد اكل فانه اراد هل
استسلف ربه ثمنه ام لا واما استفهامه عن صاحب الجنازة فانه اراد هل حلف له عقبا يحيى ذكره ام لا
فلما سمع كلام ابنته خرج الى شن وحدثه بتاويلها فخطبها فزوجه اياها • وادق من هذا كله والطف ما يحكى
عن رجل من المناقذة اصحاب حصن شيزر وهو اولهم الذي استنقذه من ايدي الروم بالمكر والخديعة ولذلك قصة ظريفة
ليس هذا موضع ذكرها وكان قبل ملكه اياها في خدمة محمود بن صالح صاحب حلب وكان اذ ذاك يلقب بشديد
الملك فبنا به مكانه وحدث له حادثة اوجبت له ان هرب ومضى الى مدينة طرابلس في زمن بني عمار اصحاب البلد
فارسل اليه ابن صالح واستعطفه ليعود اليه فخافه ولم يعد فاحضر ابن صالح رجلا من اهل حلب صديقا لابن
منقذ وبينه وبينه لحمة مودة اكيدة واجلسه بين يديه وامره ان يكتب اليه كتابا عن نفسه يوثقه من جهة ابن صالح
ليعود فما وسعه الا ان يكتب وهو يعلم ان باطن الامر في ذلك خلاف ظاهره وانه متى عاد ابن منقذ الى حلب هلك
فافكر وهو يكتب الكتاب في اشارة عمياء لا تفهم ليضعها فيه يحذر بها ابن منقذ فاداه فكره ان كتب في اخر الكتاب
عند انهائه ان شاء الله تعالى وشدد ان وكسرها وضبطها ضبطا يعلم منه الفطن الذكي انه ليس عن سهو ثم سلم الكتاب الى
ابن صالح فوقف عليه وارسله الى ابن منقذ فلما صار في يده وعلم ما فيه قال هذا كتاب صديقي وما يغشني ولولا ان
يعلم صفا قلب ابن صالح لي والا ما كتب الي ثم عزم على العود وكان عنده ولده فاخذ الكتاب وكرر نظره فيه ثم قال
يا ابه مكانك فان صديقك قد حذرك وقال لا تعد فقال وكيف ذاك قال انه قد كتب ان شاء الله في اخر الكتاب
وشدد ان وكسرها وضبطها ضبطا صحيحا لا يصدر مثله عن سهو ومعنى ذلك انه يقول ان الملا يأتمرون بك
ليقتلوك وان شككت في ذلك فارسل الى صديقك واساله فارسل اليه وساله فقال هو ما قال ولدك فاقام
ولم يعد الى حلب وهذا من اعجب ما بلغني من حدة الذهن وفطانة الخاطر ولولا انه صاحب الحادثة المخوفة والا
ما تفطن لمثل ذلك ابدا لانه ضرب من علم الغيب وانما الخوف دله على استنباط ما استنبطه • ووجدت لبعض
الادبا لغزا في حمام فمنه ما اجاد فيه كقوله • وقد اظلتها سماوات نجوم لا اشراق لها ولا رجوم • وهي مركبة في فلك صحت
استدارته • وسكنت ادارته • اعجب بها من انجم • عند الصباح ظاهره •
لكنها لما بدا • نجم الظلام غائره • فهي على القياس جنة نعيم •
مبنية على لظى جحيم • لا خلود فيها ولا مقام • ولا تزاور بين اهلها ولا سلام • انهارها متدفقة • ومياهها مترقرقة •
والاكواب بها موضوعة • والنمارق بها منزوعة • يطيع بها المولى وامر عبده • وتصبح طوعا في يديه مقاتله •
ويرفع عنها التاج عند دخوله • وتسلب من قبل الجلوس غلائله • التجمل بها معدوم • والخادم فيها مخدوم •
يكرهها السير من البرد • ويكره حرها اذا جاوز الحد • هذا اللغز من فصيح الالغاز لا يقال ان صاحبها في العمى
ضائع العكاز • واذا تطرز غيره بلمعة من الوشي فهذا كله طراز • ومما سمعته من الالغاز الحسان التي تجري في
المحاورات ما يحكى عن عمر بن هبيرة وشريك النميري وذلك ان عمر بن هبيرة كان سائرا على برذون له والى جانبه شريك
النميري على بغلة فتقدمه شريك في المسير فصاح به عمر اعصص من لجامها فقال اصلح الله الامير انها مكتوبة
فتبسم عمر ثم قال ويحك لم ارد هذا فقال له شريك ولا انا اردته وكان عمر اراد قول جرير •
فغض الطرف انك من نمير • فلا كعبا بلغت ولا كلابا • فاجابه شريك بقول الاخر
لا تامنن فزاريا نزلت به • على قلوصك واكتبها باسيار • وهذا من الالغاز اللطيفة وتفطن كل من

هذين

هذين الرجلين لمثله الطف واحسن • ومما يجري هذا المجرى ان رجلا من بني تميم قال لشريك النميري ما في
الجوارح احب الي من البازي فقال له شريك اذا كان يصيد القطا وكان النميري اراد قول جرير •
انا البازي المطل على نمير • اتيح من السماء لها انصبابا • واراد شريك قول الطرماح •
تميم بطرق اللوم اهدى من القطا • ولو سلكت سبل المكارم ضلت • واعلم ان خواطر الناس تتفاضل
كالاشخاص ومن هاهنا قيل سبحان خالق ابي موسى وعمرو بن العاص •

النوع الثاني والعشرون في المبادي والافتتاحات

هذا النوع هو احد الاركان الخمسة البلاغية المشار اليها في الفصل
التاسع من مقدمة الكتاب وحقيقة هذا النوع ان يجعل مطلع الكلام من الشعر او الرسائل دالا على
المعنى المقصود من ذلك الكلام ان كان فتحا ففتحا وان كان هناء فهناء او كان عزاء فعزاء وكذلك يجري
الحكم في غير ذلك من المعاني وفائدته ان يعرف من مبتدا الكلام ما المراد به وام هذا النوع والقاعدة التي
يبنى عليها اساسه انه يجب على الشاعر اذا نظم قصيدا ان ينظر ان كانت مديحا صرفا ولا يختص بحادثة من
الحوادث فهو مخير بين ان يفتتحها بغزل او لا يفتتحها بل يرتجل المديح ارتجالا من اولها كقول القائل
ان جارت الالباب كيف تقول • في ذا المقام فعذرها مقبول •
سامح بفضلك ما دحيك فما لهم • ابدا الى ما يستحق سبيل •
ان كان لا يرضيك الا محسن • فالمحسنون اذا لديك قليل •
فان هذا الشاعر ارتجل المديح من اول القصيدة فاتى به كما يرى حسنا لائقا • واما اذا كانت القصيدة في
حادثة من الحوادث كفتح معقل او هزيمة جيش او غير ذلك فانه لا ينبغي ان يبدا فيها بغزل وان فعل ذلك دل
على ضعف قريحته وقصوره عن الغاية او على جهله بوضع الكلام في مواضعه فان قيل انك قلت يجب على
الشاعر كذا وكذا فلم ذاك قلت في الجواب ان للغزل رقة محضة والالفاظ التي ينظم في الحوادث المشار
اليها من فحل الكلام ومتين القول وهي ضد الغزل وايضا فان الاسماع تكون متطلعة الى ما يقال في تلك الحوادث
والابتداء بالخوض في ذكرها اولى من الابتداء بالغزل ومن ادب هذا النوع الا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدته
بالمديح ما يتطير منه وهذا يرجع الى تادب النفس لا الى ادب الدرس فينبغي ان يحترز منه في مواضعه
كوصف الدار بالدثور والمنازل بالعفا وغير ذلك من تشتت الالاف وذم الزمان لا سيما اذا كان في التهاني
فانه يكون اشد قبحا وانما يستعمل ذلك في الخطوب النازلة والنوائب الحادثة ومتى كان الكلام في المديح مفتتحا
بشيء من ذلك تطير منه سامعه وانما خصت الابتداءات بالاختيار لانها اول ما يطرق السمع من الكلام فاذا
كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي لاستماعه ويكفيك من هذا الباب الابتداءات الواردة
في القرآن الكريم كالتحميدات المفتتح بها اوائل السور وكذلك الابتداء بالنداء كقوله تعالى في مفتتح سورة النساء
يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وكقوله تعالى في اول سورة الحج يا ايها الناس اتقوا ربكم ان
زلزلة الساعة شيء عظيم فان مثل هذا الابتداء مما يوقظ السامعين للاصغاء اليه • وكذلك الابتداءات
بالحروف كقوله تعالى الم ولهسم وحم وغير ذلك فان هذا ايضا مما يبعث على الاستماع اليه لانه يقرع السمع شيء
غريب ليس له بمثله عادة فيكون ذلك سببا للتطلع نحوه والاصغاء اليه • ومن قبيح الابتداءات قول ذي الرمة
ما بال عينك منها الماء ينسكب • لان مقابلة الممدوح بهذا الخطاب لاحقا بقبحه وكراهته • ولما انشد

قد اكتب اسب الى العلوا • وكقوله • بنى حمانى لست طوع مونبى • وكقوله الى الطيب •
اقل فعالى بله اكثر مجده • وكقوله • كفى ارانى وبك لوما لوما • والمحدثان هدى الشاعر المفلق
بسبيلهما مثل ذلك ولهما من الابتداءات الحسنه ما ذكرنا اما ابو تمام فانه افتتح قصيدته التى مدح بها المعتصم
عند فتحه مدينه عموريه فقال

السيف اصدق انباء من الكتب • فى حده الحد بين الجد واللعب •
بيض الصفايح لاسود الصحايف فى • متونهن جلاء الشك والريب •

وهذه الابيات لها قصه وذلك انه لما حاصر المعتصم مدينه عموريه زعم اهل النجامه انها لا تفتح فى ذلك الوقت
وانها فاضوا فى هذا حتى شاع وصار احدوثه الناس فلما فتحت بنى ابو تمام مطلع قصيدته على هذا المعنى وجعل
السيف اصدق من الكتب التى خبرت بامتناع المدينه واعتصامها ولذلك قال فيها •

والعلم فى شهب الارماح لامعه • بين الخميسين لا فى السبعه الشهب •
اين الروايه ام اين النجوم وما • صاغوه من زخرف فيها ومن كذب •
تخرصا واحاديث ملفقه • ليست بنبع اذا عدت ولا غرب •

وهذا من احسن ما اتى فى هذا الباب • وكذلك قوله فى اول قصيده مدحه بها ايضا وذكر فيها مالك الحزمى
وغلبته عليه وظفره به وهى من مراثيات شعره فقال

الحق ابلج والسيوف عوارى • فيه ملاعب اسنه وذبار • وكذلك قوله
متنقلا • عسى وطن بدنوهم ولعلما • وان نعس الايام فيهم فربما • وهذا من الاغراق المليح
الرائقه وهو من محاسن الى تمام المعروفه وكذلك قوله فى اول مرثيته •

اصمرتك النائى وان كان اسمعا • واصبح مغنى الجود بعدك بلقعا • واما ابو الطيب المتنبى فانه اكثر من الابتداءات
الحسنه فى شعره كقوله فى قصيده مدح بها كافورا وكانت جرت بينه وبين سيده نزعه فصدد قصيده بذكر الغرض
المقصود فقال حسم الصلح ما اشتهته الاعادى • واذاعته السن الحساد • وهذا من بديع الابتداء ونادره
وكذلك قوله فى سيف الدوله وكان ابن السمسقى اقسم للقتنه كفاحا فلما التقيا لم يطق ذلك وولى هاربا
فافتتح ابو الطيب قصيدته بنحو الاعرف فقال

عقبى اليمين على عقبى الوغا ندم • فبار وعدك فى اقدامك القسم •
وفى اليمين على ما انت واعده • ما دل انك فى المعاد متهم •

وكذلك قوله وقد فارق سيف الدوله وسار الى مصر فجمع سرد ذكر فراقه اياه ولقاءه كافورا اول ابتدء المقصده
فقال • فراق ومن فارقت غير مذمم • والم ومن زمت خير متمم • ومن البديع النادر فى
هذا الباب قوله متغزلا فى مطلع قصيدته القافيه • وهى
اتراها لكثره العشاق تحسب الدمع خلقه فى الماق • وله مواضع اخر كثيره لا حاجة الى ذكرها ومن محاسن
الابتداءات التى دلت على المعنى من اول بيت فى القصيده ما قاله فى كمال الروضه لابى العباس المبرد فانه ذكر عزوه
غزاها الرشيد هرون رحمه الله فى بلاد الروم وان يقفور ملك الروم خضع له وبذل الجزيه فلما عاد عنه واستقر بمدينه
الرقه وسقط الثلج نقض يقفور العهد فلم يجسر احد على اعلام الرشيد لمكان هيبته فى صدور الناس وبذل الحنى خالد

الاخطل عبد الملك بن مروان فصدته التى اولها • خف القطين فراحوا منك او بكروا • فقال له عبد الملك
لابل بكروا منك وتطير من قوله وغيرها ذو الرمه فقال خف القطين فراحوا اليوم او بكروا • ومر شا
ان يذكر الديار والاطلال فى شعره فلتناد ب بادبا لقطامى على جفا طبعه وبعده عن فطانة الاداب فانه قال
انا محيوك فاسلمى ايها الطلل • فقد اقل ذكر الطلل بذكر التحيه والدعاء له بالسلامه • وقد قال امرء القيس كان
بجد الابتداء كقوله • الا انعم صباحا ايها الطلل البالى • وكقوله قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل •
ومما يستكره من الابتدآت قول ابى تمام • تجرع اسى قد اقفر الاجرع الفرد • وانما القى ابا تمام فى مثل هذا
المكروه بتبعده التحنيس بين تجرع والاجرع وهذا باب الرجل فانه كثيرا ما يقع فى مثل ذلك • وكذلك قبيح قول
البحترى • فواد ملاه الحزن حتى تصدعا • فان ابتداء المديح بمثل هذا طير ببنواعتها السمع وهذا احد ركان
كون ابتداء مرثيه لا مديح وما اعلم كيف يخفى على مثل البحترى وهو من مفلقى الشعراء • وحكى انه لما فرغ
المعتصم من بناء قصره بالميدان جلس فيه وجمع اهله واصحابه وامرهم ان يخرجوا الى زينتهم مما راى الناس احسن
من ذلك اليوم واستاذن اسحق ابن ابرهيم الموصلى فى الانشاد فاذن له فانشده شعرا حسنا احاد فيه الا انه استفتحه
بذكر الديار وعفاها فقال • يا دار غيرك البلى ومحاك • يا ليت شعرى ما الذى ابلاك • فتطير
المعتصم من ذلك ونغامز الناس على اسحق ابن ابرهيم كيف دهب عليه مثل هذا لك مع معرفته وعلمه وطول خدمته للملوك
فقاموا يومهم وانصرفوا فلما عاد منهم اثنان الى ذلك المجلس وخرج المعتصم الى سر مرا ى وخرب القصر • فاذا
اراد الشاعر ان يذكر دارا فليذكر كما ذكر ابو سعيد السلمى حيث قال

شعر حر

قصر علته تحيه وسلام • خلعت عليه جمالها الايام • وما اجدر هذا البيت بفتيح شعر اسحق ابن ابرهيم الذى
انشده المعتصم فانه لو ذكر هذا وما جرى مجراه لكان حسنا لائقا • وسئل بعضهم عن احذق الشعراء فقال من اجاد
الابتداء والمطلع الا ترى الى قصيده ابى نواس التى اولها •

يا دار ما فعلت بك الايام • لم تسق فيك بشاشه تستام • فانها من اشرف واعلاه منزله وهى مع ذلك مستكرهه
الابتدا لانها فى مدح الخليفه الامين وافتتاح المديح بذكر الديار والوقوف عليها مما تنطر منه لا سيما فى معنى مشافهة
الخلفاء والملوك وهذا مختار فى ذكر الاماكن والمنازل ما راق لفظه وحسن النطق به كالعذيب والعقيق
وبارق والعقيق واشباه ذلك وبحمار اض من اسماء النساء الغزل الحوشاء واميم ووفوز وما جرى هذا المجرى
وقد عيب على الاخطل فى تغزله بقدور وهو اسم امراة فانه مستقبح فى الذكر وقد عيب على عمر التغزل باسم
تماضر فانه وان كان مستقبحا فى معناه فانه ثقيل على اللسان كما قال البحترى

كمجد طويلع والحا •

ان للبين منه لا توديا • ويدا فى تماضر بيضاء • فتغزله بهذا الاسم مما يشوه رقه الغزل وشقل من خفته
واشاله هذه الاشياء يجب مراعاتها والتحرز منها وقد استثنى من ذلك ما كان اسم موضع بضم وقعة من الوقايع
فان ذكره لا يكره وان كان فى اسمه كراهة كما ذكر ابو تمام فى شعره وهو من ضرورة الوقايع التى
كانت بها كذكر الجشاك وعفوقش وامثالهما وكذلك ابو الطيب المتنبى هنيزيط وسميساط وما جرى مجراهما
وهذا لا عيب فى ذكره لكان الضرورة التى تدعو اليه • وهكذا يسامح الكاتب والشاعر اض فى ذكرها لا من مركوه وان
قبيح ومما امكنته التوريه فى هذا المقام فليسلكها ومما لا فانه معذور فيه • واعلم انه ليس من شرط الابتداء ان
لا يكون مما لا يستطرف منه فقط فان من الابتداءات ما يقبح وان لم يتطرق منه كقول ابى تمام •

وذكر

للشعراء الاموال على ان تقولوا شعرًا في اعلامه فكلهم استفرغ قريحته بمثل ذلك الا شاعرًا من اهل جدة يكنى ابا محمد وكان شاعرا مفلقا فنظم قصدًا وانشدها الرشيد • اولها •

نقض الذي اعطيته يتفورُ • وعليه دائرةُ البوار تدورُ •
ابشر امير المومنين فانه • فتح اتاك به الاله كبيرُ •
يتفور انك حين يغدر نائل • عنك الانام لحاهل مغرورُ •
اظننت حين غدرت انك مفلت • هيلتك امك ما ظننت غرورُ •

فلما انهى الابيات قال الرشيد اوقد فعل ثم غزاه في بقية الليل وفتح مدينته هرقله • وروى في كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ما رواه مرشع سديف في تخريص الخليفة السفاح رحمه الله على بني امية فعا اقدم سديف مرمكه الى الحيره والسفاح بها ووافق قدومه جلوس السفاح للناس وكان بنو امية يجلسون عنده على الكراسي تكرمة لهم فلما دخل عليه سديف حسر لثامه وانشده ابياتا من الشعر والتفت رجل من اولاد سليم بن عبد الملك وقال لاخر الى جانبه فعلنا والله العبدُ فلما انهى الابيات امر بهم السفاح فاخرجوا من بين يديه وقتلوا عن اخرهم وكتب الى عماله في البلاد يامرهم بقتل من وجدوه منهم • ومن الاسات •

اصبح الدين ثابت الاساس • بالبهالي من بني العباس •
انت مهدي هاشم وهداتها • كم اناسٍ رجوك بعد اناس •
لا تقيلن عبد شمس عثارًا • واقطعن كل رقلة وغراس •
انزلوها الحشا انزلها الله • بدار الهوان ولا تعاس •
خوفهم اطهر التودد فيهم • وبهم منكم كحز المواسي •
اقصهم ايها الخليفة واقطع • عنك بالسيف شافه الارجاس •
واذكروا مصرع الحسين وزيد • وقتيل بجانب المهراس •
ولقد ساءني وساء سواي • قربهم منك قرب وتراسي •

وهذه الابيات من فاخر الشعر وبادره افتتاحا وابتداءً ومخرجًا وبيانًا ولو وصفتها من الاوصاف بما شاء الله وشاء لا سهاب ولا طناب لما بلغت مقدارها لهام الحسن • ومن لطيف الابتداءات ما ذكره مهيار •

اما وهواها عذرة ونصولا • لقد نقل الواشي لمها فاحمولا •
سعى جهده لكن تحاور زحده • وكثر فاباتت ولوشا قليلا •

فانه ابرز الاعتذار في هذا الغزل واخرجه في معرض الغزل وكان وشى به الى الممدوح فافتتح قصيدته هذا المعنى فاحسن • ومما جاء على نحو من ذلك قول بعض المتاخرين العراقيين •

وراءك اقوال الوشاة الفواجر • ودونك احوال الغرام المخامر •
ولولا ولوع منك بالصد ما سعوا • ولولا الهوى لم تدب للمعاذر •

فسلك في هذا القول مسلك مهيار الا انه زاد عليه زيادة حسنة وهي المعانية على الاصغا الى اقوال الوشاة والاستماع منهم وذلك من اغرب ما قيل في هذا المعنى • ومن الحذاقة في هذا الباب ان يجعل التخمدات في اوائل الكتب سلطانية مناسبة لمعاني تلك الكتب وانما خصصت تلك الكتب السلطانية بورعزها لان التحاميد

لا تصدّر في غيرها فانها تكون قد ضمنت امورًا لا تقدما التحميد كفتح معقل او هزيمة جيش او ما جرى مجراه ووجدت ابا اسحق على تقدمه في فن الكتابة قد اخل بهذا الركن الذي هو من اركان الكتابة فاذا اتى تحميده في كتاب من هذه الكتابة لا يكون مناسبا لمعنى ذلك الكتاب وانما يكون في واد والكتاب في واد الا ما قل من كتبه فمتى ما خالف فنه مطلع الكتاب معناه انه كتب كتابا بعضهم فتح بغداذ وهزيمة الاتراك عنها وكان ذلك فتحا عظيما فاستهل بالتحميد فقال الحمد لله رب العرش الملك الحق المبين الوحد الفرد العلي المجيد الذي لا توصف الا بسلب الصفات ولا تنعت الا برفع النعوت لا زلي بلا ابتدا والابدي بلا انتها القديم لا منذ امد محدود الدائم الى غير اجل معدود الفاعل لا بمزاوله استعدها الصانع لا بآله استعملها الذي لا تدركه الابصار بلحاظها ولا تحده الالسن بالفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهدمه الدهور بكرورها ولا تضارعه الاجسام بانقطار ولا تحاذيه الصور باعراضها ولا تحاربه اقدام النظر او الاشكال ولا تراجعه مناكب القرباء والامثال بل هو الصمد الذي لا كفوء له والفذ الذي لا توأم معه والحي الذي لا تحترمه المنون والقيوم الذي لا تستغله الشؤون والقدير الذي لا تودّه المعضلات والخبير الذي لا تعييه المشكلات وهذه التحميدة لانتاسب الكتاب الذي افتتحها ولكنها تصلح ان توضع في صدر مصنف من مصنفات اصول الدين ككتاب الشامل للجويني وكتاب الاقتصاد للغزالي او ما جرى مجراهما واما ان يوضع في صدر كتاب فتح فلا وهو واراسا في هذا الموضع وهذا حسن في موضع غيره وذلك انه كتب كتاب الخليفة الطايع رحمه الله الى الاطراف عند عوده الى كرسي ملكه وزواله ما نزل به وبابيه المطيع رحمه الله من فادحة الاتراك فقال الحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته وواصل الحبل بعد بتاته وجابر الهواد اذا انثلم وكاسف الحطب اذا اظلم والقاضي للمله بما تشذ ازهم ومصلح ذات بينهم ولحفظ الالفة عليهم وان شانت ذلك في الاحيان شواء من الحدثان فلن يحاوز بهم الحد الذي توقط غافلهم وتنبه ذاهلهم بما بهم عائد وزر الى فضلها اولاهم الله وعودهم ووثق لهم ووعدهم من امان سربهم واعذاب شربهم واعزاز خانبهم واذلال مجانبهم واطهاد دنهم على الدين كله ولو كره المشركون • وهذه تحميدة مناسبة لموضوع الكتاب وان كانت المعاني فيها مكررة كالذي انكرته عليه وعلى عمره من الكتاب وقدمت القول فيه في باب السجع فلو خدم هذا الكتاب ومن المبادي التي دا خلفت وصارت من زراة ان تقال في اوائل المقلدات احق الحدم ان ترعى خدمة كذا وكذا وان احق من قلد كذا لما اجتمعت فيه كذا وكذا فان هذا من المبادي المستحسنة ومن استعماله اولا فقد ضعفت فكرته عن اقتداح ما يحسن استعماله من المبادي والذي تبعه في ذلك اما مقلد ليس عنده وعي على ان يحار لنفسه واما جاهل لا يفرق بين الحسن والقبيح والجيد والردي واهل زماننا هذا من الكتاب قد قصروا ابصارهم على هذه الفالحة دون غيرها وان ابا محمد من التحاميد كانت مبايته لمعنى المقلد الذي وضعت في صدره وكذلك وكان الكتاب يستعملون في المقلدات مبتدءًا واحدًا لا تتحاورونه الى غيره وهو هذا ما عهد فلان الى فلان والتحميد حيثما افتتح به المقلدات وكتب الفتوح وما جرى مجراها وقد ذكرت ذلك في مستعمل في مفتتح مقلد انشاته بولاية فارس فقلت كاتب المقلدات يفتتح كلام ليس بذي شان ولا يوضع في ميزان ولا يحتفى من افنان وغاية ما تقال هذا ما عهد فلان الى فلان وبلاغته لو تكرر حديده فحلق مسطاولا لايام ولا حسن النظم وقضاهي عثاثها من ذوات النظام • وهذا المقلد مفتتح بحمد الله الذي

تكفل لحامده بالزيادة وبداء النعمة ثم قرنها من فضله بالاعادة وهو الذي بلغ بنا من مارب الدنيا منتهى
الارادة وسلم الينا مقادة الملك فذلل لنا بها كل مقادة ووسد الامر منا الى اهله فاستوطأت الرعايا
منه الى وسادة ونرجو ان يجمع لنا بين سعادة الاولى والاخرى حتى يتصل هذه السعادة بتلك السعادة
ثم نصلي على نبيه الذي ميزه على الانبيا بشرف السيادة وجعل انشقاق القمر له من باب النبوة وانشقاق
الايوان من ايات الولادة وعلى اله واصحابه الذين شادوا الدين من بعده فاحسنوا الاشادة وبسطت عليهم
الدنيا كما بسطت على الذين من قبلهم فلم يحولوا عن خلق الزهادة اما بعد كذا وكذا ثم انتهيت في التقليد الى اخره
ومن الحذاقة في هذا الباب ان يجعل الدعا في اول الكتاب من السلطانيات والاخوانيات وغيرهما مضمنا
من المعنى ما بني عليه ذلك الكتاب وهو شي انفردت بابتداعه وتراه كثيرا مما انشاته من المكاتبات فاني توخيته
فيها وقصدته ومن ذلك ما كتبته في الهنا بفتح وهو هذا الكتاب مشافه بخدمة الهنا للمجلس السامي
الفلاني جدد الله له في كل يوم فتحا وبدل عرش كل ذي سلطان لديه صرحا وجعل كل موقف من مواقف جوده
يوم فطر ويوم اضحى وكتب له على لسان الاسلام ولسان الايام ثناء خالدا ومدحا واسكنه بعد العمر الطويل
دارا لا يظما فيها ولا يضحى ثم اخذت بعد ذلك في انشاء الكتاب المضمن ما تقتضيه معاني ذلك الفتح
ومن ذلك ما ذكرته في الهنا بمولود وهو جدد الله مسرات المجلس السامي الفلاني ووصل صبوح
هنائه بغبوقه وامتعه بسلسلة المبشر بطروقه وابقاه حتى نستضي برايه ونرمي عن فوقه وسر به ابكار
المعالي حتى يخلق اعطافها بخلوقه وجعله كزرع اخرج شطاه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه
ثم اخذت في اتمام الكتاب بالهناء بالمولود على حسب ما اقتضاه ذلك المعنى فتامل ما اوردته هاهنا
من هذين المثالين وانسج على منوالهما فيما تقصده من المعاني التي تبني عليها كتبك فان ذلك من دقايق هذه
الصناعة واما فواتح الكتب التي انشاتها فمنها ما اخترعته اختراعا ولم اسبق اليه وهي عدة كثيرة قد اوردت
هاهنا بعضها ومن ذلك مفتتح كتاب الى ديوان الخلافة وهو نشات سحابة من سماء الديوان العزيز النبوي
جعل الله الخلود لدولته اوطانا والحدود اركانا ونصب ايامها في ايام الدهر اعيانا وصورها في وجهه عينا
وفي عينه انسانا ومد ظلها على الناس عدلا واحسانا وجمع الامم على دين طاعتها وان تفرقوا اديانا واتاها
من معجزات سلطانه ما لم ينزل به لغيرها سلطانا فارتاح الخادم لالتقائها وبسط يده لاستسقائها وقال
هذه رحمة مرسلة لا يخشى رعودها ولا يخلف وعودها ومن شانها ترويض الصنايع التي يبقى اثارها لا الخمايل
التي يذوي ازهارها وقد يعبر عن الكتاب وبابله بالسحاب ووابله فان صدر عن يد كيد الديوان العزيز فقد وقع
التشبيه موقع الصواب وصدق ح قول القايل ان البحر عنصر السحاب لكن فرق بين ما يجود بمائه وما يجود
بنعمائه وبين ما يسم الارض الماحلة وما يسم الاقدار الخاملة وما زالت كتب الديوان العزيز يضرب لها الامثال
وتصرف نحوها الامال ويرى الحسد فيها حسنا وان عد في غيرها من سيئ الاعمال وهذا فصل من اول الكتاب
ومن جملة الكتب المشار اليها مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان وارسلته اليه من الموصل الى ارض الشمال من بلاد
الروم وهو طلع كوكب من افق المجلس السامي لا خلت سيادته من عدو وحاسد ولا شيبت بتوام يخرجها عن حكم الواحد
ولا عدمت صحبة الجدود المنقطة في الزمن الراقد ولا اوحشت الدنيا من ذكره الخالد الذي هو عمر خالد ولا زال
مرفوعا الى المحل الذي يعلم به ان الدهر للناس ناقد والكواكب تختلف في مطالعها في الشمال والجنوب فمنها ما

يطلع

يطلع دايما في احدهما وهو في الاخر دايم الغروب وكتاب المجلس السامي كوكب لم ير بهذه الارض مطلعه
وان علم من السماء موضعه ولما ظهر الان للخادم سبح له حامدا وخر له ساجدا وقال قد عبدت الكواكب من
قبلي فلا عجب ان اكون لهذا الكوكب عابدا وهانا قد اصبحت بالعكوف على عبادته مغرى وقال الناس هذا
ابن ابي كبشة الكتاب لا ابن ابي كبشة الشعرى وهذا مطلع غريب والسياقة الثالثة بمطلقة اغرب ومن
اغرب ما فيها قولي وهانا قد اصبحت بالعكوف على عبادته مغرى وقال الناس هذا ابن ابي كبشة الكتاب لا ابن
ابي كبشة الشعرى والمراد من ذلك ان ابن ابي كبشة كان رجلا في الجاهلية يعبد الشعرى فخالف بذلك
دين قومه ولما بعث النبي ص قالت قريش هذا قد خالف ديننا وسموه ابن ابي كبشة اي انه قد خالفنا كما خالف
ابن ابي كبشة قومه في عبادة الشعرى فاخذت انا هذا المعنى واودعته كتابي هذا فجاء كما تراه مبتدعا غريبا
ومن جملة الكتب المشار اليها مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان بالشام وهو طلعت من المغرب شمس فقيل
قد اذنت اشراط الساعة باقتراب ولم نعلم ان تلك الانوار انما هي انوار كتاب
لم تالف الابصار من قبله ان تطلع الشمس من المغرب وليس ذلك الا كتاب المجلس السامي لا سلبه الله من
هذا الوصف الكريم واتاه من الفضل ما يقال معه وفوق كل ذي علم عليم واحيا النفوس من كلمه بروح كلمه كما
شفى عليلها من اقلامه بسقيا الكليم ولما ورد على الخادم صار ليله نهارا واصبح الناس في الحديث به اطوارا
والمنصف منهم يقول جرت الشمس الى مستقرها والشمس لا تجد قرارا وهذا الكتاب في الحسن والغرابة كالذي
قبله ومن جملة الكتب المشار اليها مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان وهو تاوب زور من جانب المجلس السامي
ادنى اليه داره وجعل كلماته التامة جاره واشهد افعال التقوى ليله وافعال المكارم نهاره ووهبه من اعوام
العمر طوله ومن اعوام العيش قصاره ولا اقدر السابقين الى المعاني ان يجروا معه ولا ان يشقوا غباره
وليس ذلك الزور الا سطورا في قرطاس ولا فرق بين الكتاب وبين مرسله في ملاطفة الايناس والله لا يصغر
ممشى هذا الزائر ويقر عيني برويته حتى لا ازال به قرير الناظر ومع هذا فاني عاتب لتاخره وههنا مظنة العتاب
ومن تاخر عنه كتاب صديقه فلا بد ان يخطر له خاطر الارتياب والضنين بالمودة لا يرى الا ظنينا وقد قيل انها
وديعة وقليلا ما تجد على الودايع امينا وهذا فصل من اول الكتاب ومن جملة الكتب المشار اليها كتاب كتبته
الى بعض الاخوان وهو سنحت روضة من جانب المجلس السامي جعل الله المعالي له رداء ونهايات المساعي له
ابتداء وفداه بمن يقصر عن درجته حتى يكون الايام له فداء وهدى المحامد لافعاله واهدى النفوس لايامه حتى
يجتمع له الامران هدى واهداء واتاه من السيادة ما يجعل اعداءه اصادق ومن السعادة ما يجعل اصادقه
اعداء فاستنشق الخادم رياها وتلقى بالتحية محياها واستمتع بازهارها التي انبتها سقيا الاقلام لا سقيا
الغمام وقال هذه ربيع الارواح لا ربيع الاجسام ولو رام الاحاطة بوصفها لكانت الاقوال المطولة فيها مختصرة
لكنه اكتفى بان رفعها على راسه حتى يتمثل ان الجنة في شجرة ومن اوصافها انها جاءت زايدة ومن شان الروض
ان يرتاد وحلت محاسنها التي هي في غيرها من حظ البصر وفيها من حظ السمع والبصر والفواد ولما سرح
الخادم فيها نظره وجد سوقه حمامة تغرد في اكنافها وتردد الشجى لبعد اليفها اذا رددته الحمام لقرب الافها
وهذا قول له عند اخوان الصفا علامة واذا تمثل كتاب الحبيب روضة فهل يتمثل سوق محبة الا حمامة
واي فرق بين هذه واخوانها من ذوات الاطواق لولا انها على شجوها على صفحات القلوب وتلك ملية على عذبات الاوراق

وهذا فصل من الكتاب وهو عزيز عجيب وفيه معنيان مبتدعان ومن حمله الكتب المشار اليها مفتتح كتاب كتبته الى
بعض الاخوان وهو تضوعت نفحة من لقاء المجلس السامي رعى الله عهده وسقاه وصان وده ووقاه ويشتر لي
القاء العصا ملقاه فقطعت الطريق الى سايرتها والريح التي جاورتها واتت فارشتها خدي وصممت عليها وذي
وجعلتها رداء لجنبي ولطمة لبردي وسحابا لعقدي وعلمت انها ليست بنفحة طيب ولكنها كتاب من حلب فان
مناسق الارواح عرفنا سق الاجسام ولا نسموي عرف الطيب وعرف الاقلام ثم مدت يدي الى الكتاب بعد ان
صافحت يد موصلة كما صافحت عبقه منديله وقلت اهلا بمن اهدى من الحسب مزارا واهدى لعيني قرة ولقلبي قرارا
وهنا في الغرابة كاخوانه التي تقدمت ولو اسقص ما اخترعته في هذا الباب من مطالع الكتب واما ما ابيت
فيه الا الحسن من المعاني وكلفني من المخترع ومن ذلك كتاب كتبته عن الملك نور الدين ارسلان شاه مسعود صاحب الموصل
الى الملك الافضل علي بن يوسف بن صلاح تعزية وتهنية اما التعزية فوفاة اخيه الملك العزيز عثمان صاحب مصر
واما التهنية فوراثة الملك من بعده وهو لا يعلم القلم اينطلق بلسان التعزية ام بلسان التهنية لكنه جمعهما جمعا
فاتى بهما على حكم التثنية وفي مثل هذا الخطب نظم القلم حائرا وقد وقفت موقف السخط والرضى وسخطا اولا
ثم رضى اخرا وهذا البيت الكريم الناصري شدا وله درجات العلى فما تمضي لا والله ترجع وتموسه وامحاه منا قل
مطالع المسعود وما نغيب منها غائبا الا واخر يطلع والناس ان يجمعوا منه بما جد رد فه من بعده ما جد وان
قل ان الماضي كان واحدا قبل الاتي هو الواحد وهذا فصل من اول الكتاب تم كتبت في هذا المعنى كتابا اخر من
وفي الدي اوردته من هذا الفصل مقنع ومن هذا الاسلوب ما كتبته الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه وكان الكتب
انقطعت بيني وبينه زمانا وهو لقاء كتب الاحباب كلقاء الاحباب وودت لو بعد يأس منها فيشبه لها مع السرور
بدمع لا كشاب ومن حسنها كتاب المجلس السامي الفلاني جعل الله الليالي له صحبا والمعالي له عقبا ورفع محله
فوق كل ماجد حتى يكون حسنا تهلل دي حسنا نه دنا ولا ما لا سمه في الافواه عذبا وذكره في الالسنه رطبا ووده لكل
انسان ولكل قلب قلبا ثم انتهيت الى اخر الكتاب على هذا النسق واما ذكرت ههنا مبتداه لانه العرض المقصود في
هذا الموضع ومن ذلك ما كتبته الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه وهو المشتري يعطي للكتاب كما تعطي المرسلة
وكل منهما نوفي حق قدره وينزل في منزله ولذلك فعل الخادم بكتاب المجلس السامي الفلاني لا زال محله انيسا وذكره
للفرقد جليسا وسعيه على المكارم حبيسا ومجده حديدا لملابس داكانا لمجد لبيسا وههنا ذكرت من هذا الكتاب
كما ذكرته من الذي قبله فاني لم اذكر الا مبتداه الذي هو العرض ومما ينتظم في هذا السلك ما كتبته في صلة كتاب
تتضمن تعزية وهو لو لم يلبس قلمي ثوب الحداد كان لمحبرة مداده وبضاعته سواده وتعذر عن قرنيته وعاد الى طينته
وحرم على نفسه ان يمتطي يمينا او يجري الى يمنا لكنه اجد فذب ونكى فسكب وصدر هذا الكتاب من موضعه
وضمنته ما حملته احناء ضلوعه وانما استعاره لك من صاحبه الذي عداه وابدى الهم من حزنه ما ابداه وهو ناب عنه
في تعزيته تسدنا احسن تسديد وتسر امره وارضى عنده هو تم انتهيت الكتاب الى اخره ومن محاسن هذا الباب
ان تصدر الكتاب بآية من القرآن او بخبر من الاخبار النبوية او ببيت من الشعر ثم يبني الكتاب عليه ومن ذلك ما كتبته في
ابتداء كتاب تتضمن البشرى بفتح وهو ومن طلب لفتح الجلسل فانما مفاتحه البيض الخفاف الصوارم
وقد اخذ بما نقول هذا الشاعر المحكم وجعلنا السيف وسيلا الى استنتاج الملك العقيم وراية الحمد للنصب
الاعلى للنصب والراحة الكبرى لا تنال الا على جسر من التعب وكنا نهادا وقد استولينا على مملكة فلانة وهي المملكة

التي

١٧٢

التي تمسي الامام دونها صرعى واذا افلس اليها غيرها من الممالك كانت اصلا وكان غيرها فرعا وهذا فصل من
اول الكتاب ومن ذلك ما كتبته في مفتتح تقليد بالحسبة وهو ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون هذا امر يشتمل على معنى الخصوص دون العموم ولا يختص به الا
ذوو الاوامر المطاعة اوذوو العلوم وقد جمع لك هذين الوصفين كليهما وجعلنا من المستحلين عليهما فلنهدا
اولا بالحمد الذي هو سبيك للمزيد ثم لنأخذ في القيام بامره الذي على كل نفس منه رقيب عتيد ولا ريب ان
اصلاح العباد يسري الى الارض حتى تزكو بطوفها وتسام عيونها وتسر اء في بركات السماء سكانها ومسكونها
والامر بذلك يدل على ان لموسوعه الاكف ثقلا عن الرقاب واذا انتشرت اطراف البلاد فانها تفتقر الى
مساعده من مستنيب ومستناب وقد اخترنا لمدينة فلان رجلا لم نأل في اختياره جهدا وقد منا فيه خيره
لله التي اذا صدقت نيتها صادفت رشدا وهو ايها الشيخ فلان فابسط يدك نقوما الى اخذ الكتاب
وكرحسنة من حسناتنا التي ترجح بها ميزان الثواب وحقق ظننا فيك فانه مرنوز الله الذي لسعيه مرجحات
فتامل كيف علقت في هذه الالة التي بنيت لتعلق عليها وهو من محاسن المبادي والافتتاحات وكذلك
علقت في موضع اخر وهو مفتتح كتاب كتبته الى شخص كلفته السفارة الى مخدومه في حاجة عرضت وهو
ان اولى الناس بارهم للدين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا هذا القول سبع آيات ويحمل عليه انظاره
واولى الناس بستيد بامر شاركه في لحمة ادبه وان لم يشاركه في لحمة نسبه فان المناقب تقارب والماء ثر اواصر
وليس يعرف لي فضل ولا ادنى الا امرؤ كان ذا فضل وذا ادب ونتيجة هذه المقدمة نعت خلقه
الكريم على عوارف افضاله واستهداء صنيعه جاهه التي هي اكرم من صنيعه ماله ولا تحاد ازيح من هذه
التجارة والساعي فيها شريك في الكسب بري من الخسارة واما الاخبار النبوية فسلك بها هذا المسلك بان
تذكر الخبر في صدر الكتاب ثم تبني عليه ولتذكر منه ولو مثالا واحدا وهو توقيع كتبته لولد رجل من اصحاب سلطان
توفي ابوه ونقل ما كان باسمه اليه قال النبي ص انا اولى بالمومنين من انفسهم فمن مات وترك مالا فلورثته ومن ترك
دينا او كلا او ضياعا فعلي واتي وهذا خلق من الاخلاق النبوية لا مزيد على حسنه واسالب المكارم باسرها
موضوعة في ضمنه ونحن نرجو ان يمشي على اثره فتنزل من نفه رد نفه وان تتشبه به فسلغ مسلغ مده او تصيفه
وقد اراناالله ذلك في قوم صحبونا فانلناهم مباغي الانعام واحمدناهم صلحه اللسالي والايام وكفلنا
ايتامهم من بعدهم حتى ود اهل الثرآن يكونوا اولئك الايتام ووالد هذا رحمه الله من كان له في خدمة الدولة
قدم صدق واوليه سبق وحفظ كان لمحافظه عليها فضل له في تلاوته اقرا وارق ثم انتهيت لتوقيع
اخره فتامل مفتتح التوقيع فانه تضمن نبأ الخبر من غير تغييب وقد ضمنته بعض خبر اخر من الاخبار النبوية وهو
اقرا وارق قال النبي ص لصاحب القرآن اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند اخر اية تقرؤها
وقد مثلت لك ههنا امثالا تقتدي بها فاحذ حذوها وامض على نهجها ولله الموفق للصواب

النوع الثالث والعشرون في التخلص والاقتضاب

وهذا النوع اهم من الذي قبله وهو انه احد الاركان الخمسة التي تقدمت الاشارة اليها في الفصل التاسع من مقدمة الكتاب وسنعي لك الها المترسل هذه
الفضيلة ان تصرف الله جل همك فانه مهم عظيم من مهمات البلاغة واما التخلص فهو ان ناخذ مؤلف الكلام
في معنى من المعاني فبينا هو فيه اذ اخذ في معنى اخر غيره وجعل الاول سببا اليه فيكون بعضه اخذا برقاب بعض

جميع

من غير ان يقطع كلامه ويستانف كلاما اخر بل يكون كلامه كانما افرغ افراغا وذلك مما يدل على حذق الشاعر
وقوة تصرفه من اجل ان نطاق الكلام يطبق عليه ويكون متبعا للوزن والقافية فلا يواتيه الالفاظ على
حسب ارادته • واما الناثر فانه مطلق العنان يمضي حيث شاء فلذلك يشق التخلص على الشاعر اكثر مما
يشق على الناثر • واما الاقتضاب وهو ضد التخلص وذاك ان يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ويستانف
كلاما اخر غيره مديح او هجا او غير ذلك ولا يكون للثاني علاقة بالاول وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين
واما المحدثون فانهم تصرفوا في التخلص فابدعوا واظهروا منه كل غريبة • فمن ذلك قول ابي تمام •

يقول في قومس صحبي وقد اخذت • منا السرى وخطى المهرية القود •
امطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا • فقلت كلا ولكن مطلع الجود •

وهذان البيتان من بديع ما ياتي في هذا الباب ونادره • وكذلك قوله ايضا في وصف ايام الربيع ثم خرج من ذكر الربيع وما وصفه من الاوصاف
فقال

خلق اظل من الربيع كانه • خلق الامام وهديه المتيسر •
في الارض من خلق الامام وعدله • ومن النبات الغض سرح تزهر •
تنسى الرياض وما يروض جوده • ابدا على مر الليالي يذكر •

وهذا من الطف التخلصات واحسنها • وكذلك قوله في قصيدته التي اولها اما الرسوم فقد اذكرن ما سلفا
فقال فيها

غيداء حاز ولي الجيش سنتها • فصاغها بيديه روضة انفا •
تضحي العذول على تانيبه كلفا • بعذر من كان مشغوفا به كلفا •
ودع فؤادك توديع الفراق فما • اراه من سفر التوديع منصرفا •
تجاهد الشوق طورا ثم يجذبه • جهاده للقوافي في ابي دلفا •

وهذا احسن من الذي قبله وادخل في باب الصنعة • وكذلك جاء قوله •

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت • منها طلول باللوى ورسوم •
لا والذي هو عالم ان النوى • اجل وان ابا الحسين كريم •
ما حلت عن سنن الوداد ولا غدت • نفسي على الف سواه تحوم •

وهذا خروج من غزل الى مديح اعزل منه • ومن البديع في هذا الباب قول ابي نواس من جملة قصيدته
المشهورة التي اولها • اجاره بيتينا ابوك غيور • فقال عند الخروج الى ذكر الممدوح •

يقول التي من بيتها خف مركبي • عزيز علينا ان نراك تسير •
اما دون مصر للغنى متطلب • بلى ان اسباب الغنى لكثير •
فقلت لها واستعجلتها بوادر • جرت فجرى في جريهن عبير •
ذريني اكثر حاسديك برحلة • الى بلدة فيها الخصيب امير •

ومما جاء من التخلصات الحسنة قول ابي الطيب المتنبي في قصيدته الدالية التي اولها • عواذل ذات الخال في حواسد • فقال

واورد نفسي والمهند في يدي • موارد لا يصدرن من لا يجالد •
ولكن اذا لم يحمل القلب كفه • على حاله لم يحمل الكف ساعد •
خليلي ما لي لا ارى غير شاعر • فلم منهم الدعوى ومني القصائد •

ولا

فلا تعجبا ان السيوف كثيرة • ولكن سيف الدولة اليوم واحد •

وهذا هو الكلام الاخذ بعضه برقاب بعض الا ترى الخروج الى مدح الممدوح في هذه الابيات كانه افرغ في
قالب واحد ثم ان ابا الطيب جمع بين مدح نفسه ومدح سيف الدولة في بيت واحد وهو من بدائعه المشهورة
وكذلك قوله ايضا وهو من احسن ما اتى به في التخلصات وهو قصيدته التي اولها •

سرب محاسنه حرمت ذواتها • فقال في اثنائها •

ومطالب فيها الهلاك اتيتها • ثبت الجنان كانني لم آتها •
ومقانب بمقانب غادرتها • اقوات وحش كن من اقواتها •
اقبلتها غرر الجياد كانما • ايدي بني عمران في جبهاتها •
الثابتين فروسة كجلودها • في ظهرها والطعن في لباتها •
فكانما نتجت قياما تحتهم • وكانهم ولدوا على صهواتها •
تلك النفوس الغالبات على العلى • والمجد يغلبها على شهواتها •
سقيت منابتها التي سقت الورى • بيدي ابي ايوب خير نباتها •

فانظر الى هذين التخلصين البديعين فالاول خرج به الى مدح قوم الممدوح والثاني خرج به الى نفس الممدوح
وكلاهما قد اغرب فيه كل الاغراب • وعلى هذا جاء قوله •

اذا صلت لم اترك مصالا لفاتك • وان قلت لم اترك مقالا لعالم •
والا فخانتني القوافي وعاقني • عن ابن عبيد الله ضعف العزائم •

والشعراء متفاوتون في هذا الباب وقد يقتصر عنه الشاعر المفلق بالاجادة في ايراد الالفاظ واختيار
المعاني كالبحتري فان مكانه من الشعر لا يجهل وشعره هو السهل الممتنع الذي يراه كالشمس قريبا ضوؤها
بعيدا مكانها وكالقناة ليتامسها خشنا سنانها وهو على الحقيقة قينة الشعراء في الاطراب وعنقاهم في
الاغراب ومع هذا فانه لم يوفق في التخلص من الغزل الى المديح بل اقتضبه اقتضابا ولقد حفظت شعره
فلم اجد له من ذلك شيئا مرضيا الا اليسير كقوله في قافية الباء من قصيدة •

وكفاني اذا الحوادث اظلمن شهابا بغرة ابن شهاب • وكقوله في قافية الدال من قصيدة •

قصدت لنجران العراق ركائبا • يطلبن ارحبها محلة ماجد •
اليت لا تلقين حدا صاعدا • في مطلب حتى تناخ تصاعد •

وكقوله في قصيدته التي اولها • حلفت لها بالله يوم التفرق • فانه يشوق فيها الى العراق من الشام
ووصف العراق ومنازله ورياضه فاحسن في ذلك كله ثم خرج الى مدح الفتح بن خاقان بسياقة اخذه
بعضها برقاب بعض فقال • رباع من الفتح بن خاقان لم تزل • غنى لفقير او فكاكا لموثق •
ثم اخذ في مدحه بعد ذلك بضروب من المعاني وكذلك ورد قوله في قصيدته التي اولها •

ميلوا الى الدار من ليلى نحييها • فانه وصف البركة فابدع في اوصافها ثم خرج منها الى مدح الخليفة
المتوكل فقال • كانها حين تجثو في تدفقها • يد الخليفة لما سال واديها • واحسن ما وجدته
له وهو مما لطف فيه كل التلطيف قوله في قصيدته التي يمدح بها ابن بسطام ومطلعها •

التائية

المشهور

نصب عنك مرد مع وتسحاره ● فعال عند تخلصه الى المدح ●
هل الشباب ملتق فراجعة ● ايامه لى ٢ اعقاب ايام ●
لو انه نال عمر بحاذره ● اذن تطلبته عذار بسطام ●

وهذا من الملاح فى هذا الباب وله مواضع اخرى يسير ما لنسبه الى كثير شعره ● وقال ابو العلا محمد غانم المعروف بالغانمى ان كتاب الله تعالى جاء لامر التخلص وهذا القول فاسد لان حصقه التخلص انما هى الخروج من كلام الى كلام اخر غيره بلطفه تلا مر الكلام الذى خرج اليه وفى القرآن الكريم مواضع كثيره من ذلك كالخروج من الوعظ والتذكير بالانذار والبشاره بالجنه الى امر ونهى ووعد ووعيد ومن محكم الى متشابه ومن صفه لنبى مرسل والملك منزل الى ذكر شيطان مريد وجبار عنيد بلطائف دقيقه ومعان احر بعضها ربما بعض ● فمتى جاء من التخلص فى القرآن الكريم قوله تعالى عليهم نباء ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يمتنى ثم يحيين والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الاخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لابى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين ● هذا كلام تسكر العقول وتسحر الالباب وفيه كفايه للطالب للبلاغه فانه منى انعم نظره وبدر ابناءه ومطاوى حكمته علم ان فى ذلك غنى عن تصنيف الكتب المولفه فى هذا الفن الا ترى ما احسن مارتب ابرهيم عليه سلام كلامه مع المشركين حين سالهم اولا عما يعبدون سوال مقرر للاسوا مستفهم ممايجرى على الهتهم فاطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى بطلان امرها الاقدمين فكسر واخرجه من ان يكون شبهه فضلا عن ان يكون حجه ثم اراد الخروج من ذلك الى ذكر الاله الذى لا تحق العبادة الا له ولا ينبغى الرجوع والانابه الا اليه فصور المسئله فى نفسه وهم بقوله فانهم عدو لى على معنى انى فكرت فى امرى فرايت عبادتى لها عبادة للعدو وهو شيطان فاجتنبتها وارت عبادة رب الخير كله فى يده وارايم بذلك انها نصحته بصح بها نفسه فكيف بدعائهم الى القبول والحث على الاستماع منه ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن تلك المثابه فتخلص عند تصويره المسئله فى نفسه الى ذكر الله تعالى فاجرى عليه تلك الصفات العظام من فخيم شانه وتعديد نعمه من خلق الانسان الى تحيره وفاته مع ما رجى فى اللحوق من رحمته ليعلم بذلك ان من هذه صفاته تحقق العبادة واحق على الخلق الخضوع له والاستكانه لعظمته ثم رجع من ذلك الى ما لا يليق سلبه ولا ينبغى سببه فدعا لسه بعد عوات التخلص وانتهاله اليه انتهال الاواب الطالب من مولاه اذا قدم قبل سواله وضراعته الاعتراف بالنعمه كان ذلك اسرع للاجابه وانجح لحصول الطلبه ثم ادرج فى ضمن دعائه ذكر البعث ويوم القيمه ومجازاته ليسلم ابرىء واتقاه بالحق ومن ضل عباده بالنار فجمع الترغيب فى طاعته والترهيب من معصيته ثم سال المشركين عما كانوا يعبدون سوال الآنبا عند معاينه الجزاء وهو سوال موبخ لهم مستهزئ بهم وذكر ما يدفعون اليه عنده الى الندم والحسرة على ما كانوا

فيه

فيه من الضلال وبنى العوده ليتوسموا فاطنا لها المتامل الى هذا الكلام الشريف الاحر بعصره ترقا بعض مع اخوانه على ضروب من المعانى فتخلص مركلا واحد منها الى الاخر بلطفه تلائمه حتى كانه افرغ فى قالب واحد فخرج من ذكر الاصنام وبرهانيه وقومه على عباده تهم اياها مع ما هى عليه من التعرى عن صفات الالهيه حتى لا يبصر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع الى ذكر الله تعالى فوصفه بصفات الالهيه وعظم شانه وعدد نعمه ليعلم بذلك ان العباده لا تصح الا له ثم خرج من هذا الى دعائه اياه وخضوعه ثم خرج منه الى ذكر يوم القيمه وثواب الله وعقابه فتدبر هذه التخلصات اللطيفه المودعه فى اثناء هذا الكلام ● وفى القرآن مواضع كثيره من التخلصات كالذى ورد فى سورة الاعراف فانه ذكر فيها قصص الانبيا والامم الخالية من ادم الى نوح عليهم السلام وكذلك الى قصه موسى عليه السلام حتى انتهى الى اخرها الذى هو واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما احذتهم الرجفه قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنه وفى الاخره انا هدنا اليك قال اعذابى اصيب به من اشاء ورحمتى وسعت كل شى فسا كتبها للذين يتقون ويوتون الزكوة والذين هم بايانا يومنون الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون ● هذا مخلص من التخلصات الحسان وان الله تعالى ذكر الانبيا والقرون الماضيه الى عهد موسى عليه سلام فلما اراد ذكر نبينا صلوات الله عليه ذكره بتخلص استطرد به بعض الكلام بعض ا لا انه قال عليه سلام واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنه وفى الاخره فاجاب بقوله انتهى عذابى اصيب به من اشاء ورحمتى وسعت كل شى فسا كتبها للذين هم بايانا يومنون وكتبوهم الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى وصفه صلوات الله عليه بصفاته الى اخر الكلام وبالله للعجب كيف يزعم الغانمى ان القرآن خال من التخلص ليكفه سوره يوسف عليه سلام فانها قصته براسها وهى مضمنه شرح حاله مع اخوته من اول امره الى اخره وفيها عده تخلصات فى الخروج من معنى الى معنى وكذلك الى اخرها ولو اخذ فى ذكر ما ورد فى القرآن من هذا النوع لاطال ومن انعم نظره فيه وجد من ذلك اشيا كثيره وقد جا فى التخلصات فى الكلام المنثور اشيا كثيره وساذكر هيهنا يسيرا منها ● فمن ذلك ما اورده ابن قتيبه فى كتاب الى بعض الاخوان اصف فداك الربيع ثم خرجت من ذلك الى ذكر الاشواق فقلت ● وكما ان هذه الاوصاف فى سائر ما يدبجه شوقى فى شانه بديع غير انه لحن فصل مصيف وهذا فصل ربيع ● فانا الى احادثه اشد تحببه على النوى ● وقد عرف حديث من قتله الشوق ولا استفض حديث من قتله الهوى ● ومن هذا الاسلوب ما كتبته فى كتاب الى بعض الاخوان ايده الله وارسلته الى من بلاد الروم وهو كتاب يشتمل على وصف البرد وما لاقيته منه ثم رجعت من ذلك الى ذكر الاشواق فقلت ● ومما اشكوه من برد ها ان القر لا يلبسنى الا فى شهر ناجز ● وهو امر مقام الظل الذى تبرد به من لفح الهواجر ● ولفظ شدته لو اجد ما يخففه فضلا عما يذهبه فان النار المعده له تطلب من الدفء اضعاف ما اطلبه لكن وجدت نارا شواتى اشد حرا فاطلبت بجمرتها التى لا تذكى بزناد ولا توول الى رماد ● ولا يدفع البرد الوارد على الجسد باشد من حر الفواد ● غير انى كنت فى ذلك كمسدخله نخله ● واستشفى من علة بعلة ● واقتل ما اعلك ماشكا فما ظنك بمن يصطلى نار الاشواق ● وقد قنع من اخيه بالاوراق فضن عليه بالاوراق ● ومما انتظم فى هذا العقد

ما ذكرته في مفتتح كتاب يتضمن عناية بعض المتظلمين فاستطردت فيه المعنى الى ذكر المكتوب اليه وهو هدايا
المكارم انفس من هدايا الاموال وابقى على تعاقب الايام والليال وقد حملت هذا الكتاب منها هدية يورث
حمدا ويكسب مجدا وهي خير ثوابا وخير مردا ولا يسر بها الا سجية طبعت على الكرم وخلقت من عنصر الديم كسجية
مولانا اعلاه الله علوا تفخر به الارض على السما وتحسده شمس النهار ونجوم الظلماء ولا زالت اياديه مخجلة صوب
الغمام معدية على نوب الايام معينة بشرف فضلها على شرف الاخوال والاعمام وتلك الهدية هي تجريد الشفاعة في امر
فلان ومن ايمان سعيه في حاجة اخيه وان لم يمسسه بشي من اسباب واخيه فان المومنين اخوة وان تباينت مناسبهم
وتفاوتت مراتبهم ومن صفتهم ان يسعى بذمتهم ادناهم وخيرهم من عناه من الامر ما عناهم ثم مضيت على هذا
النهج الى اخر الكتاب ومن ذلك ما كتبته الى صديق استحدثت مودته وهو من اهل العراق وكنت اجتمعت به بالموصل
ثم سار عني فكتبت اليه استهديه رطبا فقلت هذه المكاتبة ناطقة بلسان الشوق الذي يرف كلمه رفيف
الاوراق ويسجع سجع ذوات الاطواق وتهتف وهي مقيمة بالموصل فتسمع من هو مقيم بالعراق وابرح الشوق ما كان
عن فراق غير بعيد وود استحدث جلبه واللذة مقترنة بكل شي جديد وارجو ان لا يبلى قدم الايام لهذه الجدة لباسا
وان يعاذ من نظرة الجن والانس حتى لا يخشى جنه ولا ناسا وقد قيل ان للمودات طعما كما ان لها وسما وان ذا
اللب يصادف نفسا قبل ان يصادف جسما واني لاجد لمودة سيدنا حلاوة يستلذ دوامها ولا يمل استطعامها
وقد اذكرتني الان بحلاوة الرطب الذي هو من ارضها وغير عجيب لمناسبة الاشيا ان يذكر بعضها بعضها الا ان
هذه الحلاوة تنال بالافواه وتلك تنال بالاسرار وفرق بين ما يغرس في الارض وما يغرس بالقلب في شرف الثمار
فلا ينظر سيدنا علي في هذا التمثيل ولربما كان ذلك تعريضا بنوب مناب التطفيل وهذا من التخلصات البديعة
فانظر ايها المتامل كيف سقت الكلام الى استهداء الرطب وجعلت بعضه اخذا برقاب بعض حتى كانه افرغ
في قالب واحد وكذلك فليكن التخلص من معنى الى معنى وهذا القدر من الامثلة كاف للمتعلم ومما استطرف
من هذا النوع في الشعر قول ابن الدمكرم الموصلي

وليل كوجه البرقعيدي مظلم • وبرد اعانيه وطول قرونه •
سريت ونومي فيه نوم مشرد • كعقل سليمن بن فهد ودينه •
على اولق فيه التفات كانه • ابو جابر في خبطه وجنونه •
الى ان بدا وجه الصباح كانه • سنا وجه قرواش وضوء جبينه •

وهذه الابيات لها حكاية وذلك ان هذا الممدوح هو شرف الدولة قرواش ملك العرب وكان صاحب الموصل
فاتفق انه كان جالسا مع ندمائه في ليلة من ليالي الشتا وفي جملتهم هولاء الذين هجاهم الشاعر وكان البرقعيدي
مغنيا وسليمن بن فهد وزيرا وابو جابر حاجبا فالتمس شرف الدولة من هذا الشاعر ان يهجو هولاء المذكورين ويمدحه
فانشده هذه الابيات ارتجالا وهي غريبة في بابها لم يسمع بمثلها ولم يرض قائلها بصناعة التخلص وحدها حتى رقى في
معاينة المقصود الى اعلا منزلة فابتداء البيت الاول يهجو البرقعيدي فهجاه في ضمن مراده ذكر اوصاف ليل
الشتا جميعها وهي الظلمة والبرد والطول ثم ان هذه الاوصاف الثلثة جات ملايمة لما شبهت به مطابقة له
وكذلك البيت الثاني والثالث ثم خرج الى المدح بالطف وجه وادق صنعة وهذا يسما الاستطراد وما سمعت
في هذا الباب باحسن من هذه الابيات ومما يجري على هذا الاسلوب ما ورد لابن حجاج البغدادي وهي ابيات لطيفة جدا

فقال

فقال

الا يا ماء دجلة لست تدري • باني حاسد لك طول عمري •
ولو اني استطعت سكرت سكرا • عليك فلم تكن يا ماء تجري •
فقال الماء ما هذا عجيب • بما استوجبته يا ليت شعري •
فقلت له لانك كل يوم • تمر على ابي الحسن بن بشر •
تراه ولا اراه وذاك شي • يضيق عن احتمالك فيه صبري •

وما علمت معهم في هذا المقصد الطف ولا ارق ولا اعذب ولا احلى من هذا اللفظ ويكفي ابن حجاج من الفضيلة ان
يكون له مثل الابيات ولا يظن ان هذا شي انفرد به المحدثون لما عندهم من الرقة واللطافة وفات من تقدمهم من العرب
لما عندهم من قشف العيش وغلظ الطبع بل قد سبق اولئك الى هذا الاسلوب وان اقلوا منه واكثر منه المحدثون
واي حسن من محاسن البلاغة والفصاحة لم يسبقوا اليه وكيف لا وهم اهله ومنهم علم وعنهم اخذ فمن ذلك ما جاء
للفرزدق • وركب كان الريح تطلب عندهم • لها ترة من جذبها بالعصائب •
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم • الى شعب الاكوار من كل جانب •
اذا انسوا نارا يقولون ليتها • وقد حصرت ايديهم نار غالب •

فانظر الى هذا الاستطراد ما افحله وافخمه • واعلم انه قد يقصد الشاعر التخلص فياتي به قبيحا كما فعل
ابو الطيب في قصيدته التي اولها • ملث القطر اعطشها ربوعا • فقال عند الخروج الى المديح •

غدا بك كل خلو مستهاما • واصبح كل مستور خليعا •
احبك او يقولوا جر نمل • ثبيرا وابن ابرهيم ربيعا •

فهذا تخلص كما تراه بارد ليس عليه من مسحة الجمال شي وههنا يكون الاقتضاب احسن من التخلص فينبغي لسالك
هذه الطريق ان ينظر الى ما يصوغه فان اتاه التخلص حسنا كما ينبغي والا فليدعه ولا يستكرهه حتى ياتي هكذا
كما فعل ابو الطيب ولهذا نظاير واشباه وقد استعمل ذلك في موضع اخر في قصيدته التي اولها •

احيا وايسر ما لاقيت ما قتلا • فقال

علّ الامير يرى ذلي فيشفع لي • الى التي تركتني في الهوى مثلا • والاضراب عن مثل هذا التخلص خير من ذكره
وما القاه في هذه الهوة الا ابو نواس فانه قال • ساشكوا الى الفضل بن يحيى بن خالد • هواك لعل الفضل يجمع بيننا •
على ان ابا نواس اخذ ذلك من قيس بن ذريح لكنه افسده ولم يات به كما اتى به قيس • ولذلك حكاية وهو انه لما هام
بلبنى في كل واد وجن بها رق له الناس ورحموه فسعى له ابن ابي عتيق الى ان طلقها من زوجها واعادها الى قيس
فزوجها اياه فقال عند ذلك •

جزى الرحمن افضل ما يجازي • على الاحسان خيرا من صديق •
وقد جربت اخواني جميعا • فما الفيت كابن ابي عتيق •
سعى في جمع شملي بعد صدع • ورأى جرت فيه عن طريقي •
واطفا لوعة كانت بقلبي • اغصتني حرارتها بريقي •

وبين هذا الكلام وبين كلام ابي نواس بون بعيد • وقد حكي عن ابن ابي عتيق انه قال يا حبيبي امسك عن هذا المديح
فما يسمعه احد الا ظنني قوادا • واما الاقتضاب فهو الذي اشرنا اليه في صدر هذا النوع وهو قطع الكلام

واستئناف كلام اخر غيره لا علاقة تكون بينه وبينه • فمن ذلك ما تقدم من التخلص وهو فصل الخطاب والذى اجمع
عليه المحققون من علماء البيان انه اما بعد لان المتكلم بفتتح كلامه فى كل امر ذى شان بذكر الله وبحمده فاذا اراد
ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد ومن الفصل الذى هو احسن من الوصل لفظة
هذا وهى علاقة وكيد من الخروج من كلام الى كلام اخر غيره كقوله تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولى الايدى
والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات
عدن مفتحة لهم الابواب الاية ذكر الله نبيا عليهم السلام فلما اراد ان يذكر على عقب ذكرهم بابا اخر غيره وهو ذكر
الجنة واهلها فقال هذا ذكر وقال وان للمتقين لحسن مآب ثم لما انتهى ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار
قال هذا وان للطاغين لشر مآب وذلك من فصل الخطاب الذى هو الطف موقعا من التخلص • وقد وردت لفظة
هذا فى الشعر الا ان ورودها فيه قليلا بالنسبة الى الكلام المنثور • فمن ذلك قول الشاعر المعروف
بالختار البلدى من قصيدة اولها • العيش غض والزمان غرير •

انى لعمرى الرباع سحرة • وروق لى الحاشريه زير •
واكاد من فرح السرور اذا بدا ضوء الصباح من الستور اطير •
واذا رأت الحق فى فضيته • للغنم فى جنباتها تكسير •
منقوشه صدر البزاه كانه • فيروزج قد زانه بلور •
نادت لى اللذات ويحك فانتهز • فرص المنى يا لها المغرور •
ملى الى جور السفاه فانى • اهوى سقاه الكاس حين تجور •
هنا وكم لى الحينه سكره • انا مرة يا شربها مخمور •
باكرتها وغصونها مقرونة • والماء بين مروزها مذعور •
فى ستة انا والندامى قسنة • والكاس والمزمار والطنبور •

وهذه الابيات حسنة حرو جها من سدق هذا الرجل الخباز عجيب ولوحات فى شعر ابى نواس لزانت شعره • ولا قتضاب
الوارد فى الشعر كثير لا يحصى والتخلص بالنسبة اليه قطعه مرجوح ولا يكاد يوجد التخلص فى شعر الشاعر المجيد الا قليلا
بالنسبة الى المقتضب من شعره • ومن الاقتضاب قول ابى نواس فى قصيدته التونية التى اولها • اكثر النوح فى الدمن •
وهذه القصيدة هى عمر شعره • والملاحة للعيون • وهى تنزل من قلوب المتأملين منزلة الغزل من النفوس الا انه لم يحكم حسنها
بالتخلص من الغزل الى المديح بل اقتضبه اقتضابا فينا هو يصف الخمر ويقول

فاسقنى كاسا على عذل • كرهت مسموعه اذنى •
مركمت اللون صافية • حمرا سلسل فى اذنى •
ما استقرت فى فؤاد فتى • فدرى ما لوعة الحزن •
حتى قال نضحك الدنيا الى ملك • قام بالاثار والسنن •
سن للناس لندى فندوا • فكان البخل لم يكن •

واكثر مدائح ابى نواس مقتضبة هكذا والتخلص غير ممكن فى كل الاحوال وهو من مستصعبات علم البيان • ومن هذا
الباب الذى نحن بصدد ذكره قول البحترى فى قصيدته المشهورة بالجودة التى مدح بها الفتح بن خاقان وذكر لقاءه الاسد

وقتله اياه واولها • اجدك ما تنفك تسرى لريناه • وهى من مراثيات شعره ومع هذا فلم يوفق فيها للتخلص من
الغزل الى المديح فانه انما هو فى تعزله وهو يقول

عهدتك ان مينيت منيت موعدا • بهما ماوان ابرقت ابرق خلبا •
وكنت ارى ان الصدود الذى مضى • دلال فما ان كان الا تجنبا •
فواسفا حتى مراسا مانعا • وآمر خوانا واعتب مذنبا •

حتى قال اقول لركب معنقين تدرعوا • على مجل قطعا من الليل عيهبا •
ردوانا ملء الفتح رخا فان انه • اعم يدى فدكم وايسر مطلبا •

الى ان
فخرج المديح بغير وصله والاسبيب ولذلك قوله فى قصيدته المشهوره بالجوده التى مدح بها الفتح بن خاقان ايضا
وذكر فيها عدا محتاف الحسريه وقد اغرب فيها كل الاغراب واحسن كل الاحسان واولها •

متى لاح برق او بدى طلل قفر • فمنا هوى غزلها حتى قال

لعمرك ما الدنيا لنا قصد الجدا • اذا بقى الفتح بن خاقان والقطر • فخرج الى المديح مقتضبا لا معلقا به
وامثال هذه فى شعره كثيرة • **النوع الرابع والعشرون فى التناسب بين المعانى** وهو
ينقسم الى ثلثة اقسام القسم الاول فى المطابقه وهذا النوع يسمى البديع ايضا وهو ان المعانى ضد التجنيس
فى الالفاظ لان التجنيس هو ان تختلف اللفظ مع اختلاف المعنى وهذا هو ان تكون المعنيان ضدين وقد اجمع
ارباب الصناعه على ان المطابقه فى الكلام هو الجمع بين الشئ وضده كالسواد والبياض والليل والنهار وحاصل فهم
ذلك قدامه رجعفر الكاتب فقال المطابقه ايراد لفظ متساويين من البنا والصيغه مختلفين فى المعنى وهذا
الذى ذكره هو التجنيس بعينه غير ان الاسماء لا مشاحه فيها الا اذا كانت مشتقه ولنخرج من ذلك وهو ان يكشف
عن اصل المطابقه فى وضع اللغه وقد وجدنا الطباق فى اللغه مرادفا للبعير فى نبيره اذا وضع رجله فى موضع
يده وهذا يوجد ما ذكره قدامه لان الجمع بين الرجل والاضدها والموضع الذى يقعان فيه واحد وكذلك •
المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذى جمعهما واحد فقدامه سمى هذا النوع من الكلام مطابقا حشكا ان الاسم
مشتقا مما سمى به وذلك مناسب وواقع فى موقعه الا انه جعل التجنيس اسما اخر وهو المطابقه ولا باس به
الا ان كان مثله بالضدين كالسواد والبياض فانه يكون مخالفا للاصل الذى اصله بالمثال الذى مثلنا
واما غير ارباب هذه الصناعة فكانهم سموا هذا الضرب من الكلام مطابقا لغير استحقاق ولا مناسبة بينه
وبين مسماه كذا الظاهر لنا من هذا القول الا ان يكونوا قد علموا من ذلك مناسبة لطيفه لم نعلمها نحن ولنرجع
الى ذكر هذا القسم من التاليف وايضاح حقيقته فنقول الائق بحسن المعنى ان يسمى هذا النوع المقابله
لانه لا يخلو الحال فيه من وجهين اما ان تقابل الشئ ضده او مقابلا ما ليس بضده ولنا ثالث وجه ثالث فاما الاول
وهو مقابلة الشئ ضده كالسواد والبياض وما جرى مجراهما فانه ينقسم قسمين احدهما مقابله فى اللفظ والمعنى
والاخر مقابله فى المعنى دون اللفظ • اما المقابله فى اللفظ والمعنى فكقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا فقابل الضحك بالبكا والقليل بالكثير • وكذلك قوله تعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وهذا
من احسن ما جاء فى هذا الباب وقال رسول الله ﷺ خير المال عين ساهرة لعين نائمة • ومن الحسن المطبوع الذى
ليس بمتكلف قول على رضى الله عنه الصبر منى والله على الغصص مر • وان الباطل لخفيف وفى • وانت رجل ان صدقت سخطت

بين

وان كذبت رضيت فقابل الحق بالباطل والثقيل المرئ بالخفيف الوبي والصدق بالكذب والسخط بالرضى
وهذه خمسة مقابلات في هذه الكلم القصار • وكذلك ورد قوله صلوات الله عليه لما قال الخوارج لا حكم الا
لله فقال هذه كلمة حق اريد بها باطل • وقال الحجاج لسعيد بن جبير رض وقد احضره بين يديه ليقتله فقال له ما
اسمك فقال سعيد بن جبير قال بل انت شقي بن كسير وقد كان الحجاج من الفصحاء المعدودين وفي كلامه هذا
مطابقة حسنة وانه نقل الاسمين الى ضديهما فقال في سعيد شقي وفي جبير كسير وهذا النوع من الكلام لم
يختص به اللغة العربية دون غيرها من اللغات • ومما وجدته في لغة الفرس انه لما مات قباذ احد ملوكهم
قال وزيره حركنا بسكونه واول كتاب الفصول لابقراط في الطب قوله العمر قصير والصناعة طويلة
وهذا الكتاب في لغة اليونان • ومن كلامي في هذا الباب ما كتبته في صدر مكتوب الى بعض الاخوان وهو
صدر هذا الكتاب عن قلب مقيم وجسد سائر وصبر مليم وجزع عاذر وخاطر ادهشته لوعة الفراق فليس
بخاطر • وكذلك كتبت الى بعض الاخوان ايضا فقلت صدر هذا الكتاب عن قلب مايوس بلقائه وطرف
مستوحش لفراقه فهذا مرفوع بكآبة اظلامه وهذا ممتع ببهجة اشراقه غير ان لقاء القلوب غيب بمثله
خواطر الافكار وتناجي به من وراء الاستار وذلك اخو الطيف المسلم في المنام الذي تموه بلقاء الارواح
على لقاء الاجسام • ومن هذا النوع ما ذكرته في كتاب اصف المسير من دمشق الى الموصل على طريق المناظر
فقلت من جملته ثم نزلت ارض الخابور فغربت الارواح وشرقت الجسوم وحصل الاعدام من المسار
والاثراء من الهموم فطالبتني النفس بالعود والقدرة مفلسة واويت الى ظل الامال والامال مشمسة
ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب الى بعض الاخوان وعرضت فيه بذكر جماعة من اهل الادب فقلت
وهم مسؤولون ان لا ينسوني في نادي فضلهم الذي هو منبع الامال وملتقط اللآلي فوجوه الفاظه مشرقة
بايدي الاقلام المتسودة وقلب معانيه مستنبطة بنار الخواطر المتوقدة والواغل اليه يسكر من خمرته التي تنبه
العقول من اغفائها ولا يشربها احد غير اكفائها • وهذه الفصول المذكورة لا خفاء بما تضمنته من محاسن المقابلة •
ومما ورد من هذا النوع شعرا قول جرير • واعور من نبهان اما نهاره • فاعمى واما ليله فبصير •
وهكذا ورد قول الفرزدق • قبح الاله بني كليب انهم • لا يغدرون ولا يفون لجار •
يستيقظون الى نهيق حمارهم • وتنام اعينهم عن الاوتار • وكذلك ورد
قول بعضهم • ولا الجود يفني المال والجد مقبل • ولا البخل يبقي المال والجد مدبر • وقد اكثر ابو تمام
من هذا في شعره فاحسن في موضع واساء في موضع • فمن احسانه قوله
ما ان ترى الاحساب بيضا وضحا • الا بحيث ترى المنايا سودا • وكذلك قال من هذه القصيدة ايضا
شرف على اولي الزمان وانما • خلق المناسب ما يكون جديدا • وعلى هذا النهج ورد قوله
اذا كانت النعمى سلوبا من امرئ • غدت من خليجي كفه وهي منبع •
فان عثرت بيض الليالي وسودها • بوحدته الفيتها وهي مجمع •
ويوم بطل العز يحفظ وسطه • بسمر العوالي والنفوس تضيع •
مصيف من الهيجا ومن حاجم الوغا • ولكنه من وابل الدمع مربع • ومن هذا الاسلوب
قوله ايضا يقرب الشقة القصوى اذا اخذت • سلاحها وهو الارقال والرمل •

اذا

اذا تظلمت من ارض فضلت بها • كانت هي العز الا انها ذلل •
المرضياتك ما ارغمت انفها • والهاديات وهي الشرد الضلل • وعلى هذا
النحو ورد قوله • وناضرة الصبى حين استبكرت • طلاع المرط والدرع الندي •
تشكي الاين من نصف سريع • اذا قامت ومن نصف بطي • وقد حالا بي نواس
من ذلك فقال • اقلني قد ندمت على الذنوب • وبالاقرار عدت من الجحود •
انا استهديت عفوك من قريب • كما استعفيت سخطك من بعيد •
فقابل بين الاضداد من الجحود والاقرار والعفو والسخط والقرب والبعد • وعلى نحو من ذلك ورد قول
علي بن جبلة في ابي دلف العجلي وهو • مبتذل الوفر مصون الحرم •
تجري يداه بالنوال والدم • وان عدا في المارق العرمرم • ضمن اطراف القنا المقوم •
ايم ونكاح الايم • يوماك يوم ابؤس وانعم • وجمع مجد وندى مقسم • وكذلك
ورد قوله ايضا • هو الامل المبسوط والاجل الذي • يمر على ايامه الدهر او يحلو •
ولا يحسن الايام يفعل فعله • وان كان في تصريفها النقض والقتل •
فعش واحدا اما الثرى فمسلم • مباح واما الجار فهو حمى بسل • ومما جاء من هذا القسم
قول البحتري • احسن الله في ثوابك عن ثغر • مضاع احسنت فيه البلاء •
كان مستضعفا فعز ومحروما فاجدى ومظلما فاضاء • ومن احسن ما ورد في
هذا الباب قوله ايضا • اشكو اليك انا ملاما تنطوي • بخلا واخلاقا تقصفها اليد •
ارضيهم قولا ولا يرضونني • فعلا وتلك قضية لا تقصد •
فاذم منهم ما يذم وربما • سامحتهم فحمدت ما لا يحمد • وعلى هذا النهج ورد
قوله ايضا • وتوقعي منك الاساءة جاهدا • والعدل ان اتوقع الاحسانا •
وكما يسرك لين مسي راضيا • وكذاك فاخش خشونتي غضبانا •
واما ابو الطيب المتنبي فانه استعمل هذا النوع قليلا في شعره • فمن ذلك قوله
ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا • كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا •
وكذلك قوله • الى رب مال كلما شت شمله • تجمع في تشتيته للغنى شمل • ومما استعذبته من قوله
في هذا الباب • كان سهاد الليل يعشق مقلتي • فبينهما في كل هجر لنا وصل • ومما جاء من هذا القسم
قول بعضهم • لما اعتنقنا للوداع واعربت • عبراتنا عنا بدمع ناطق •
فرقن بين معاجر ومحاجر • وجمعن بين تنفسج وشقائق •
وهذا بحثه معنى يسال عنه غير المقابلة وذهب بعض اهل العلم الى ان المراد بالتنفسج والشقائق هو عارض
الرجل وخد المراة لان من العادة ان يشبه العارض بالتنفسج وهذا قول غير سائغ لان العارض انما
يشبه بالتنفسج عند اول ظهوره فاذا طر وظهرت خضرته في ابتداء سن الشباب شبه بالتنفسج لانه يكون بين
الاخضر والاسود وليس في الشعر ما يدل على ان المودع كان شابا قد طر عارضه والذي يقتضيه المعنى ان
المراة قامت للوداع فمزقت خمارها ولطمت خدها فجمعت بين اثر اللطم وهو شبيه بالتنفسج وبين لون خدها

وهو سبها السفائق وفرت بير خمارها ووجهها بالتمزيق ولها موجدة على الوداع هذا هو معنى البيت لا ما ذهب اليه هذا الرجل • واما المقابلة في المعنى وزن اللفظ في الاضداد فما جاء منه قول المفتع الكندي مر سعراء الحماسة • لهم جل مالي ان تتابع لي غنى • وان قل مالي لم اكلفهم رفدا • فقوله ان تتابع لي غنى بمعنى قوله كثر مالي فهو ادن مقابلة مرجعه المعنى لا مرجعه اللفظ لان حقيقة الاضداد اللفظية انما هي في المفردات من الالفاظ نحو قام وقعد وحل وعقد وقل وكثر فان القيام ضد القعود والحل ضد العقد والقليل ضد الكثير فاذا تركت المفرد من الالفاظ وتوصل الى مقابلته بلفظ مركب كان ذلك مقابلة مرجعه المعنى لا مرجعه اللفظ كقول الشاعر يتابع لي غنى • في معنى كثر مالي فهذه مقابلة معنوية لا لفظية فاعرف ذلك واما مقابلة الشيء ما ليس بضده فهو ضربان احدهما ان لا يكون مثلا والاخر ان يكون مثلا فالضرب الاول سنفرع الى فرعين الاول ما كان سر المقابل والمقابل نوعا من مناسبة وتقارب كقولنا وقرنت بر انيف • يجرون من ظلم اهل الظلم مغفرة • ومن اساءة اهل السوء احسانا • فقابل الظلم بالمغفرة وليس ضدا لها وانما هو العدل الا انه لما كانت المغفرة من سر العدل حسنت المقابلة بينها وبين الظلم وعلى هذا جاء قول الاخر اشداء على الكفار رحماء بينهم فان الرحمة ليست ضدا للشدة وانما ضد الشدة اللين الا انه لما كانت الرحمة من مسببات اللين حسنت المقابلة بينها وبين الشدة • وكذلك ورد قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك سيئة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل فان المصيبة ليست الا ان كل مصيبة سيئة وليس كل سيئة مصيبة فالمقابلة ههنا مرجعها العام والخاص • الفرع الثاني مما كان سر المقابل والمقابل يعد ذلك مما لا يحسن استعماله كقول ام الخشف وهو عدي فرط وقد كان زوج امرأة كانت لهته عنها فعالت مراسات بدمها فيها •

تربص بها الايام عل صروفها • سترمي بها في جاحم متسعر •
فكم مرك ممرود منا ه الاهه • ممذمومة الاخلاق واسعة الجحر •

فقوله ممذمومة الاخلاق واسعة الجحر من المقابلة البعيدة لا الاولى ان كانت فالت بصفة الاخلاق واسعة الجحر حتى يصح المقابل وهذا مما يدل على ان العربي غير مهتد الى استعمال ذلك بصنعة وانما يجيء منه ما يجيء بطبعه لا بكلفة واذا اخطأ فانه لا يعلم الخطأ ولا يشعر به والدليل على ذلك انه لو ادار لفظة مذمومة بلفظة ضيقة لصح الوزن وحصلت المقابلة وانما يعدل عن ذلك في تلك المقابلة في مثل هذا المقام اذا كان الوزن للابيات واما المحدثون من الشعراء فانهم استوفوا ذلك خلاف ما كانت العرب عليه لاحظ انهم اشد ملامة من العرب في ذلك وقول ابي الطيب المتنبي •

لم تطلب الدنيا اذا لم ترد ها • سرور محبب او اساءه مجرم •

فان المقابل الصحيح بسرور المحب والمبغض لا سرور المحب والمجرم وليست متوسطة الا ان حي يقدر الحال فيها وانما هي بعده فانه ليس كل مجرم البتة كارها مبغضا لك • ومما يتصل بهذا الضرب من الكلام تسمى المواخاة سر المعاني والمواخاة من المباني وكان ينبغي ان نعقد له بابا مفردا لكنا لما رأيناه ينظر الى المقابل من وجه وصلناه به اما المواخاة بين المعاني فهو ان يذكر المعنى مع اخيه لا مع الاجنبي منه مثاله ان تذكر وصفا مع الاوصاف وتقرنه بما يقرب منه ولتنتبه له فانك كثيرا مع ما يبعد منه كان ذلك قدحا في الصناعة وان كان جائزا • ومن ذلك قول الكميت •

ام هل اطعان بالعليا راقعة • وان تكامل فيها الدل والشنب •

يذكر مع اللعس وما اشبهه وهذا موضع يغلط فيه ارباب النظم والنثر كثيرا وهو منظنة للغلط لانه يحتاج الى ثاقب

فكره

فكره وصدق ذكاء يحسن به وضع المعاني مع اخواتها لا مع الاجنبي منها • وقرأت في كتاب الاغاني للاصفهاني انه اجتمع نصيب والكميت وذو الرمة والشداخ الكميت • ام هل طعان البيت • فعقد نصيب واحدة فقال له الكميت ماذا تحصي فاخطأك فانك تباعدت في القول ان الدل من الشنب لا قلت كما قال ذو الرمة • لماء في سفتيها حوة لعس • وفي اللثات وفي انيابها شنب • وراث ابا نواس نحو منه في ذلك كثيرا كقوله في وصف الدلال • له اعتدال وانتصاب قد • وحلة تشبه وشي البرد •

كانها الهباب في الفرند • محدود بالظهر كريم الجد • فانه ذكر الظهر وقرنه بذكر الجد وهذا لا يناسب هذا لان الظهر من جملة الخلق والجد من النسب وكان ينبغي ان يذكر مع الظهر ما يقرب منه وبواخيه كالصدر والعنق وما يجري مجراهما وكذلك يذكر مع الجد ما يقرب منه ويواخيه وكذلك اخطأ ابو نواس في قوله • وقد حلفت يمينا مبرورة لا تكذب •

بمرب زمزم والحوض والصفا والمحصب • فان ذكر الحوض مع زمزم والصفا والمحصب غير مناسب وانما يذكر الحوض مع الصراط والميزان وما يجري مجراهما واما زمزم والصفا والمحصب فيذكر معهما الركن والحطيم وما جرى مجراهما وعلى هذا الاسلوب ورد قوله ايضا •

احسن من منزل بذي قار • منزل خمارة وخمار •
وشم ريحانة ونرجسة • احسن من اينق باكوار • فالبيت الاول للمقابلة بير صيده وعجزه واين شم الرجل من الاينق بالاكوار لكان ينبغي له ان يقول شم ريحان احسن من شم الشيح والقيصوم وركوب الفتاة الرود احسن من ركوب الاينق بالاكوار وكذا هذا الاسقاط لوضعه في مواضعه في كل الاوقات • وقد كان يغلب على السهو في بعض الاحوال حتى اسلك هذه الطريق في وضع المعاني مع غير اشباهها واقاربها ثم اني كنت اتامل ما صنعته من ذلك بعد حين فاصلح ما سهوت عنه • واما المواخاة بين المباني فانه تتعلق بما اني للالفاظ من ذلك قول ابي تمام في وصف الرماح

مثقفات سلبن العرب سمرتها • والروم زرقتها والعاشق الصفرا •

وهذا البيت من اسات الى تمام لا فراد عمران قد نظر او هو قوله العرب والروم من قال العاشق ولو صح له ان يقول العشاق لكان احسن اذ كانت الاوصاف تجري على نهج واحد وكذلك قوله سمرتها وزرقتها ثم قال الصفرا وكان ينبغي ان يقول قصفها او رقتها • وعلى هذا الاسلوب ورد قول مسلم الوليد •

بضمن ذلك الحلاس بقض افاقة • واسر جمعت رعالها الامصار •

رعالها

فاذهب كما ذهبت غواد مزنة • اثنى عليها السهل والاوعار • والاحسن ان يقال السهل والوعر والسهول والاوعار ليكون البنا اللفظي واحدا اي ان يكون للفظتان واردتين على صيغة الجمع والاكون احدهما مجموعا والاخر مفردا • وكذلك ورد قول النواسي في وصف الخمر

صفراء احمد هما مرارتها • جلت عن النظراء والمثل • فجمع واوحد في معنى وهو انه قال النظراء مجموعا ثم قال المثل مفردا وكان الاحسن ان يقول النظر والمثل والنظراء والامثال • وعلى ذلك ورد قوله ايضا والانكار توجه فيه اكثر من الاول • الا يا بر الذين قضوا فما نوا • اما والله ما ماتوا لنبقى •

ومالك فاعلمن فيها مقام • اذا استكملت اجلا ورزقا • وموضع الانكار ههنا

انه قال اجلا ورزقا وان تقول اجلا ورزقا وقد زاده انكارا انه جمع الاجل فقال اجالا والانسان له الاجل واحد ولو
قال اجلا وارزاقا لما عيب لان الاجل واحد والارزاق كثيرة لاختلاف ضروبها واجناسها واذا اضفنا في هذا
الموضع وجدنا الناظر لبابه دون الناظم لامكان مكانه من التصرف وقد كنت اري هذا الصدر من الكلام واجبا
في الاستعمال فانه لا يحسن التجديد عنه حتى مر في القرآن الكريم مما يخالفه كقوله تعالى في سورة النحل اولم يروا الى ما خلق
لله من شيء يتفيؤ اظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون فافرد وجمع في قوله اليمين والشمائل ولو كان الاحسن
لزوم البناء اللفظي على اسن واحد لجمع اليمين كما جمع الشمائل كما افرد اليمين وكذلك ورد قوله تعالى ولذلك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون فجمع القلوب والابصار وافرد السمع وكذلك
ورد قوله تعالى اذا ما كنتم تشهدون عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم فذكر السمع بلفظ الافراد وذكر الابصار والجلود
بلفظ الجمع وفي القرآن الكريم مواضع هكذا ولو كان هذا معتبرا في الاستعمال لورد في كلام الشعر الذي هو افصح من
كل كلام والاحرى في مقام الفصاحة والبلاغة انما يكون منه والمعول عليه وما ينبغي ان نقاس على هذا قوله تعالى
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المومنين
ونزيد مجيلا ان هذه الاية استملت على بنية وجمع وافراد وظاهر هذا الباب وليس كذلك لانها مشتملة
على خطاب موسى وهرون عليهما السلام او لاحد المساعد لقومهما ممن يتأتى الخطاب لهما ولقومهما جميعا ثم
افرد موسى عليه السلام بالبشارة المومنين لانه صاحب الرسالة • الصدر الثاني في مقابلة الشيء بمثله وهو يتفرع
الى فرعين احدهما مقابلة المفرد بالمفرد والاخر مقابلة الجملة بالجملة • الفرع الاول كقوله تعالى نسوا الله
فنسيهم وكقوله تعالى ومكروا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف مكرهم كثيرا واورد في صدر الاية مر
الايات ما يحتاج الى جواب كان جوابه مماثلا له كقوله تعالى مكر فعله كفره وكقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وهذا
هو الاحسن والا فلو قيل مكر فعله ربه كان ذلك جائزا لكن الاحسن ما ورد في كتاب الله تعالى وعليه مدار الاستعمال
وهذا الحكم يجري في النظم والنثر مما الاسجاع والامثال الشعرية فاما ان كان ذلك غير جواب فانه لا يلزم فيه
هذه المراعاة اللفظية الا ترى انه قد وقعت الكلمة بكلمة في معناها وان لم تكن مساوية لها في اللفظ وهذا
يقع في الالفاظ المترادفة وانما استعمال ذلك في الموضع الذي ترد فيه الكلمة غير جواب • فمما جاء منه قوله تعالى
ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون ولو كان لا بد من الكلمة الامثلة لقيل وهو اعلم بما يعملون وكذلك
ورد قوله تعالى اذ اتاك الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا
على بعض فقال لا تخف بعد قوله ففزع ولما كان هذا في معنى هذا قوبل احدهما بالاخر ولو تقابل اللفظ نفسه
وكذلك جاء قوله تعالى ولرسالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون وذكر الاستهزاء
الذي هو في معنى الخوض واللعب وقابله بالخوض واللعب ولو ذكر على حد اخر لجاء المماثلة والمساواة لقال في الله
واياته ورسوله كنتم تخوضون وتلعبون فان قيل انك قد اصحبت في القرآن الكريم مما ذكرته ونراه قد ورد في القرآن
ما ينقضه كقوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة مثلها ولم يقل سيئة مثلها الجواب عن ذلك انا قد قلنا ان
ان ينقض على ما ذكرته فلم ينقضه ولكنك سيدته والذي ذكرته هو الاصل الا ترى انه لا فرق سر قوله جزاء
مثلها وسر قوله جزاء سيئة مثلها اذا المعنى واحد لا يختلف ولو جاء ضاء السيئة لفظ اخر يخرج معناها كالاذى
والشر وما جرى مجراهما لصح لك ما ذهبت اليه وقد ذهب بعض المتصدرين في علم البيان انه اذا ذكرت اللفظة في اول

كلام يحتاج الى تمام وان لم يذكر جوابا كالذي تقدم فينبغي ان يعاد نعتها في اخره ومتى عدل عن ذلك كان معيبا بمثل
ذلك نحو قول ابي تمام وقوله الى الطيب المتنبي فقال لا ابا تمام اخطأ في قوله •
بسطا الرجا لنا رعى تواثبت • كثرت بهن مصارع اللاهاة • فجعل ذكر الرجا في صدر البيت فكان سعى ان يعيد
ذكره انضى في عجزه او كان ذكر اللاهاة في صدر البيت وعجزه وكذلك اخطأ ابو الطيب المتنبي في قوله •
الى لا علم والبيب خبر • ان الحوق وان حرصت غرور • فانه قال لا علم والبيب خبر وكان سعى ان يقول والبيب
علم ليكون ذلك نقلا صحيحا وهذا الذي ذكره هذا الرجل ليس شيئا يعتمد عليه في هذا الباب انه اذا كانت
اللفظة في معناها اختصاص جاز استعمالها في المقابلة بنحوها والدليل على ذلك ما ورد منه مرارا في القرآن الكريم
وكفى به دليلا وهذه الرموز هي اسرار هذا الكلام لا سطر استعمالها الا احد رجلين اما فقيه في علم البيان قد مارسه
ودارسه واما مشغوف اللسان قد طوعا فاطلعا فيها • مستغنيا عن مطالعة صحائفها • وهذا لا يكون الا
عزيزا لفطرة تقول اما تقوله طبعا على انه لا بد من وجه اقوله ما لم يذكر معرفة الفطرة ممزوجة بمعرفة العرفة
الفرع الثاني في مقابلة الجملة بالجملة اعلم انه اذا كانت الجملة من الكلام مستقبلة قوبلت بمستقبلة وان كانت
ماضية قوبلت بماضية وربما قوبلت الماضية بالمستقبلة والمستقبلة بالماضية اذا كانت احداهما في معنى الاخرى
فمن ذلك قوله تعالى ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فان هذا بابه مرجعة
المعنى ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال وان اهديت فانما اهتدي لها وسيان بابا هذا الكلام من جهة
المعنى هو ان النفس كما ما عليها فوقها اعني ان كل ما هو وبال عليها وضار بها فهو بسببها ومنها لا غير اما ما ناله السوء
وكل ما هو لها مما ينفعها فبهداية ربنا وتوفيقه اياها وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسول الله ص ان يسند
ذلك الى نفسه لان الرسول اذا دخل لحته مع علو محله وسداد طريقه كان غيره اولى به • ومن هذا الضرب
قوله تعالى الم تر انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا فانه لما راعى التقابل في قوله ليسكنوا فيه ومبصرا
لان الناس يقضي ان يكون والنهار لتبصروا فيه وانما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ وهذا النظم
المطبوع غير المتكلف لان معنى قوله مبصرا لتبصروا فيه طرق الكسب في الحاجات • واعلم ان في مقابلة
المعاني بانا نحتاج الى امر يحتاج الى فصل باتمام وزيادة نظر وهو مختص بالفواصل من الكلام المنثور وبالاعجاز
من الابيات الشعرية • فمما جاء من ذلك قوله تعالى وذم المنافقين واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن
مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انومن كما امن السفهاء
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون الا ترى كيف فصل الاية الاخرى بقوله يعلمون والاية الى فصلها بقوله يشعرون وانما
فعل ذلك لان امر الديانة والوقوف على ان المومنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى
يكتسب الناظر العلم والمعرفة بذلك واما التفاوت وما فيه من البغي المودي الى الفتنة والفساد في الارض
فامر مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب وما كان فيهم من التجارب والتعاور
فهو كالمحسوس عندهم فلذلك قال الا انهم يشعرون وايضا فانه لما ذكر السفه في الاية الاخرى وهو جهل كان ذكر العلم
معهم احسن طباقا فقال لا يعلمون وايا ما كان فالقرآن جمعها وصلت هكذا كقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح
الارض مخضرة ان الله لطيف خبير وكقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض ان الله هو الغني الحميد وكقوله تعالى الم
تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس

لروف رحيم فانه انما فصلت الاية الاولى بلطيف خبر لان ذلك في موضع الرحمة لخلقه ما نزال الغيث وعمره واما
الاية الثانية فانما فصلت بغني حميد لانه قال له ما في السموات وما في الارض وعرف الناس ان جميع ما في السموات
وما في الارض له لا لحاجة به الى غنى تتهاجوادها لان لنس كل غني يا فعا نفناه الا اذا كان جوادا منعما واذا جاد وانعم
حمده المنعم عليه واستحق عليه الحمد فذكر الحميد لندل على انه الغني النافع بغناه خلقه • واما الاية الثالثة
فانما فصلت بروف رحيم لانه لما عدد للناس ما انعم به عليهم من تسخيرها في الارض لهم واجراء الفلك في البحر بهم •
وتسييرهم في ذلك الهول العظيم وخلقه السماء فوقهم وامساكه اياها عن الوقوع حسن ان يفصل ذلك بقوله
روف رحيم فان هذا الفعل فعل روف رحيم لهم • واعلم انها المتأمل لكتابنا هذا انه قل ما توجد هذه
الملائمة والمناسبة في كلام ناظم او ناثر ومن الايات ما يسكل فاصلته فيحتاج الى فكر وتأمل كقوله تعالى والذين يرمون
ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنت
الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان غضب الله
عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله توابٌ حكيمٌ فانه قد وردت لفاصلته في هذا
الموضع تنواب رحيم وبظن الظان ان هذا كذلك وبقول ان التوبة مع الرحمة لا مع الحكمة وليس الامر كما يظن
بل الفاصلة ههنا تنواب حكيم اولى من تنواب رحيم لان الله عز وجل حكم بالتلاعن على الصورة التي امر بها واراد بذلك ستر
هذه الفاحشة على عباده وذلك حكمة منه ففصلت الاية الواردة في احد الامرين تنواب حكيم لجميع ما فيها من التوبة
المرجوة من صاحبي الغضب وستر الحكمة في ستر ها على تلك الصورة وهذا الباب ليس من علم البيان اكثر نفعا منه
ولا اعظم فائدة • ومما جاء من هذا الباب في الشعر قول ابي الطيب

وقفت وما في الموت شك لواقف • كانك في جفن الردى وهو نائم •
تمر بك الابطال كلمى هزيمة • ووجهك وضاح وثغرك باسم •

وقد اخذ عليه ذلك وقيل آخر البيت الاول آخر البيت الثاني وآخر البيت الثاني آخر الاول لكان اولى • ولذلك
حكاية وهي انه لما استنشده سيف الدولة يوما وصدره التي اولها على قدر اهل العزم تاتي العزائم •
فلما بلغ الى هذا البيت قال قد اسقدتهما ملك كما اسقد على امرئ القيس قوله

كاني لم اركب جوادا للذة • ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال •
ولم اسباء الزق الروي ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال •

بيننا له لم يلتزم شطرها كما لم يلتزم سطر اتى امرئ القيس وكان سبغي له ان يقول كاني لم اركب جوادا ولم اقل
لخيلي ولم اسبا الزق الروي ولم اتبطن وكذلك كان سبغي ان يقول

وقفت وما في الموت شك لواقف • ووجهك وضاح وثغرك باسم •
تمر بك الابطال كلمى هزيمة • كانك في جفن الردى وهو نائم •

فقال المتنبي ان صح ان الذي استدرك على امرئ القيس هذا هو علما بالشعر منه فقد احطاء امرئ القيس واحطات
انا ومولانا بعلم ان الثوب لا يعلمه النساج كما يعلمه الحائك لان النساج يعرف حملته والحائك يعرف تفاصيله وانما
قرن امرئ القيس للنساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة سببا للخمر للاضياف بالشجاعة وهي منازلة الاعداء
وكذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الاول اتبعته بذكر الردى في اخره ليكون احسن تلاؤما • ولما كان وجه الحزم

المنهزم

المنهزم عبوسا وعينه باكية قلت ووجهك وضاح وثغرك باسم لاجمع بين الاضداد في المعنى فاعجب سيف
الدولة كلامه • القسم الثاني في صحة التقسيم وفساده ولسنا نريد ها هنا ما نعضيه التقسيم العقلية
كما يدعيه المتكلمون فان ذلك يقضي اشياء مستحيلة كقولهم الجواهر لا تخلو اما ان تكون مجتمعة او مفترقة او لا
مجتمعة ولا مفترقة او مجتمعة ومفترقة معا او بعضها مجتمعة وبعضها مفترقة الا ترى ان هذا التقسيم صحيح
مرضي العقل لاستيفاء الاقسام جميعها وان كان من جملتها ما يستحيل وجوده وانما نريد بالتقسيم ههنا ما ينقسم به
المعنى مما يمكن وجوده من غير ان تتراءى منها قسم واحد واذا ذكرت اقسام كل قسم منها بنفسه ولم يشاركه غيره •
فاما ان يكون التقسيم بلفظة اما او واو او بالعدد بان يذكر العدد المراد اولا ثم يذكر بعد ذلك كقولنا الشعب القوم
شعبا اربعة فشعب ذهب تيمنا وشعبة ذهبت شمالا وشعبة وقفت تمكانها وشعبة رجعت الى وراءها
فلما جاء هذا التقسيم قوله تعالى مدرارا وبنين الكلام الدراصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات وهذه قسمة صحيحة فانه لا يخلو اقسام العباد من هذه الثلثة فاما ظالم لنفسه واما مقتصد
الى الخيرات واما مقتصد سبقا • ومن ذلك قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب
المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون فهذه الاية مطبقة المعنى على الاية التي قبلها فاصحاب
المشامة هم الظالمون لانفسهم واصحاب الميمنة هم المقتصدون والسابقون هم السابقون بالخيرات وعلى نحو من
ذلك قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا فان الناس عند رؤية البرق صنف خائف وطامع وليس لهما قسم
ثالث فان قيل اذا استيفا الاقسام ليس شرطا وتراء بعض الاقسام للقدح في الكلام وقد ورد في القرآن الكريم
كقوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون فذكر اصحاب الجنة دون اصحاب النار والجواب
عن ذلك هذا لا نقض على ما ذكرته فان استيفا الاقسام يلزم فيما استبهم الاجمال فيه لا الى قوله تعالى مدرارا وبنين الكلام
الدر اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه فانه حيث قال فمنهم لم يستوفا الاقسام الثلثة ولو اقتصر على قسم منها لم يجز واما هذه
الاية التي هي لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة فانه انما خص اصحاب الجنة بالذكر للعلم بان اصحاب النار لا فوز لهم ولو
خص اصحاب النار بالذكر لعلم انه ما اراد اصحاب الجنة وكذلك كل ما جرى هذا المجرى فانه انما نطرفنا به الى المستبهم وغير
المستبهم واعرفه • وكان جماعة من ارباب هذه الصناعة يحسنون قول بعض الاعراب ورءوه ان ذلك من اصحاب التقسيم
وهو قوله • النعم ثلثة نعمة ولا له لكونها ونعمة يرجى مستقبلها ونعمة ما في غير محتسبة فاتقي الله عليك ما انت فيه وحقق
ظنك في ما ترتجيه ونفضل عليك بما لم تحتسبه وهذا القول فاسد فان اقسام النعم التي قسمها بعضا لابد منه
وزيادة للحاجة اليها فاما البعض فاغفل النعمة الماضية واما الزيادة ففوله بعد المستقبلها ونعمة ما في غير محتسبة
لان النعمة التي ما في غير محتسبة داخلة في قسم المستقبل ولذلك ان النعمة المستقبلة بقسم قسمان احدهما يرجى والاخر لا
يحتسب ففوله ونعمة ما في غير محتسبة توهم ان هذا القسم غير المستقبل وهو داخل فيه وعلى هذا فكان سبغي له ان
يقول النعم ثلثة نعمة ماضية ونعمة حالية ونعمة ما في مستقبل فحسن لذلك ان النعمة الماضية وان بقي عليك النعمة
التي انت فيها ووفر حظك من النعمة التي ستقبلها الا تراه لو قال ذلك لكان وطن به مرحصل الصواب •
وقد استوفى ابو تمام هذا المعنى في قوله

سمعت لنا فرقا الاماني منكم • بابرم مرور وحم الحسوم واوصل •
فصيغة في يومها وصيغة • وداحولت وصيغة لم تحول •

وراء لفظة من كقولنا ما رايت كما وكذا من رجل ما رايت كذا ومن كذا

كالمزن مر ماضى الرباب ومقبل • متسطر • ووقف على اعرابى على مجلس الحسن البصرى رض فقال ارحم
الله عبدًا اعطى مرسعة او واسى مركفاف او آثر مر قوت فقال الحسن ما ترك راحم عذرًا • وقد عاب ابو هلال العسكرى
على جميل قوله • لو كان فى قلبى كقدر قلامة • حبًا وصلتك او انتك رسائى • فقال ابو هلال ان اتيان الرسايل
داخل فى جملة الوصل وليس الامر كذلك فان جميلا انما اراد بقوله وصلتك اى اتيتك زائرًا او قاصدًا او كنت
راسلتك مراسلة والوصل الخلو عن هذين الوصفين اما زيارة واما رساله • ومر اعجب ما وقع له فى هذا الباب
ما ذكره ابو العلا محمد بن غانم المعروف بالغانمى وهو ابن العباس الاحنف • هذا
وصالكم هجر وهجركم قلى • وعطفكم صد وسلمكم حرب • فقال الغانمى هذا والله اصح من تقسيمات اقليدس
ويا لله للعجب اين التقسيم من هذا البيت هذا والله فى واد والتقسيم فى واد الا ترى انه لم يذكر شيئا تحصره
القسمة وانما ذم اجابه فى سوء صنيعهم به فذكر بعض احواله معهم ولو قال ابن •
وليتكم عنفٌ وفرقكم نوًى • واعطاوكم منع وصدقكم كذب • لكان جائزًا وكذلك لو زاد بدل اخر اجاز ولو هنا ٢
انه تقسيم لما احتمل زيادة والاولى ان يضاف هذا البيت الى الذى ذكره الغانمى فى باب المقابلة فانه اولى به
لانه قابل الوصل بالهجر والعطف بالصد والسلم بالحرب ومر فساد التقسيم قول المخترى فى قصيدته التى
مطلعها • ذا الشاء وادى الاراك فاجلس فليلا • فقال
قف مشوقًا او مسعدًا او حزينًا • او معينًا او عاذرًا او عذولا • فان المشوق يكون حزينًا والمسعد
يكون معينًا وكذلك يكون المسعد عاذرًا • وكثيرا ما تقع البحترى فى مثل ذلك وهكذا ورد قول الطيب المتنبى
فاخر فان الناس فيك بثلثة • مستعظم او حاسد او جاهل • فان المستعظم يكون حاسدًا والحاسد يكون
مستعظما ومر شرط التقسيم ان لا يدخل قسامه بعضها فى بعض • ومر هذا الاسلوب ما ورد فى بيات الحماسه
وهو • وكنت امرءًا اما ايمنتك خاليًا • فخنت واما قلت قولا لا علم •
وانت مر الامر الذى قد بيته • بمنزلة من الخيانة والاثم •
فان الخيانة من الاثم وهذا تقسيم فاسد • ومما جاء من ذلك قول بعضهم فى ذكر منهزم من • فقال
ثمن جريح متضرج بدمائه • وهارب لا يلتفت الى ورائه • فان الجريح قد يكون هاربًا والهارب قد يكون جريحا ولو
قال لم ير قتيلا وما سور وناج لصح له التقسيم او قال لم ير قتيلا وما سور وناج لصح له التقسيم او قال فمن بين
قتيل وما سور لصح له لعدم التداخل بين هذين وقد احسن البحترى فى هذا المعنى حيث قال •
غادرتهم ادنى المنيه صيحا • بالقنا بين راكع وسجود •
فهم فرقتان بين قتيل • قنصت نفسه بحد الحديد •
واسير غداله السجن لحمًا • وهو حى فى حالة الملحود •
فرقه للسيوف نفذ فيها الحكم قصدًا وفرقه للقيود • ومر فساد التقسيم
قول ابى تمام وموقف بين حكم الدل منقطع • صاليه او بحبال الموت متصل • فانه جعل صالى
هذا الموقف اما ذليلا عنه او هالك فيه • وهاهنا قسم ثالث وهو ان لا يكون ذليلا ولا هالكا بل يكون معذورا هنا ٣
فيه ناجيًا وفى هذا نظر على مراعى فساد تقسيمه فان اباتمام قصد العلو فى وصف الموقف فقال ان الناس فيه
احد طير اما ذليل يرتعد • واما هالك فيه الا انه لا ينجو منه احد تنزه وهذا تقسيم صحيح لا فساد فيه •

القسم الثالث

القسم الثالث فى ترتيب المفسر وما يصح من ذلك وما يفسد اعلم ان صحة الترتيب فى ذلك ان يذكر فى
الكلام معان مختلفة فاذا اعيد اليها ما لذكر لم تشتبه قدم المقدم واخر الموخر وهو الاحسن الا انه قد ورد فى
القرآن الكريم وغيره من الكلام الفصيح ولم يرع فيه تقديم المقدم ولا تاخير الموخر كقوله تعالى فلما رءوا بأسنا
قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فان رؤية البأس هى الايمان فى ذلك الوقت لا يكون عند منيب ولو
قدم تفسير المقدم فى هذه الاية واخر تفسير الموخر لقيل ان تشا نسقط عليهم كسفا من السماء او نخسف بهم
الارض • وكذلك ورد قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم فعدم الموخر واخر المقدم والقسمان قد
وردا جميعًا فى القرآن الكريم • ومما روعى فيه تقديم المقدم وتاخير الموخر قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من
الظالمين فان الكلام يدل بالاشارة انهم فقراء وانهم اشراف وانهم اغنياء وانهم رؤساء وانهم ذوو شهوات
وانهم ذوو زهد فى الدنيا وانهم ذوو اقبال عليها وانهم ذوو اعراض عنها فالذين يريدون وجه الله هم
الفقراء والاشراف والاغنياء والرؤساء وذوو الشهوات والزهد فى الدنيا والاقبال عليها والاعراض عنها
وهذه الاوصاف كلها متضادة فلما كان الامر كذلك لم يكن بد من تقديم المقدم وتاخير الموخر ليعلم ان
الطرد لا يقع على شىء من هذه الاوصاف وانما يقع على الظلم الذى هو ضد العدل وقد ورد فى القرآن
الكريم ما يدل على ان الترتيب فى ذلك ليس بواجب وهو قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فان الامر بالتسبيح والعبادة مقدم على
الامر بالصبر وقد ورد الامر بالصبر مقدما على الامر بالتسبيح والعبادة فى قوله تعالى فاصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى
وقد ورد فى القرآن الكريم ما يدل على ان الترتيب فى ذلك ليس بواجب وهو قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فان الامر بالتسبيح والعبادة
مقدم على الامر بالصبر وقد ورد الامر بالصبر مقدما على الامر بالتسبيح والعبادة فى قوله تعالى فاصبر على ما
يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى
وقد ورد فى القرآن الكريم ما يدل على ان الترتيب فى ذلك ليس بواجب وهو قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فان الامر بالتسبيح والعبادة
مقدم على الامر بالصبر وقد ورد الامر بالصبر مقدما على الامر بالتسبيح والعبادة فى قوله تعالى فاصبر على ما
يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى
وقد ورد فى القرآن الكريم ما يدل على ان الترتيب فى ذلك ليس بواجب وهو قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فان الامر بالتسبيح والعبادة
مقدم على الامر بالصبر وقد ورد الامر بالصبر مقدما على الامر بالتسبيح والعبادة فى قوله تعالى فاصبر على ما
يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى

يوم المتيم فيك حولٌ كامل • تتعاقب الفصلان فيه اذا اتى •
ما بين حرّ جوًى وماء مدامع • ان جرّ صاف وان بكا وجدًا شتا •

ومما اخذ على الفرزدق فى هذا الباب قوله

لقد خنت قومًا لو لجاءت اليهم • طريدة دم او حاملا ثقل مغرم •
لالفيت منهم معطيًا او مطاعنًا • وراءك شزرًا بالوشيج المقوم •

لانه اصاب فى النفسير واخطاء فى الترتيب وذلك انه اتى بتفسير ما هو اول فى البيت الاول ثانيًا فى البيت الثانى والاولى ان كان اتى بتفسير ذلك مرتبًا ففسر ما هو اول فى البيت الاول مما هو بارز فى البيت الثانى • واعلم ان الناظم لا ينكر عليه هذا مثل ما ينكر على الناثر لان الناظم يضطره الوزن والقافية الى مراعاة الاولى • واما فساد النفسير فانه قبيح مرفساك ترتيبه وذلك ان يوتى بكلام ثم يفسر تفسيرًا لا مناسبة بينه وبين ما فسر به كما قال بعضهم • فيا تيها الجبان فى طخية الدجا • ومرخاف ان يلقاه نغى مراعدى •

تعالى اليه تلق مرنور وجهه • صياءً ومركبه بحار الندى • وكان يحب لهذا الشاعر ان يقول بازاء نغى العدى ما يناسبه من النصرة والاعانة وما جرى مجراهما المذكور لك بتفسيره له كما جعل بازاء الطخية وفسرها بالضياء فاما ان جعل بازاء ما تخوف منه بحار الندى فان ذلك غير لائق •

النوع الخامس والعشرون فى الاقتصاد والتفريط والافراط

اعلم ان هذه المعانى الثلثة من الاقتصاد والتفريط والافراط توجد فى كل شئ من علم وصناعة وخلق ولا بد لنا من ذكر حقيقتها فى اصل اللغة حتى يسهل تطبيقها الى هذا النوع من الكلام فاما الاقتصاد فى الشئ فهو من القصد الذى هو الوقوف على الوسط الذى لا ميل الى احد الطرفين والمقتصد من الناس هو الذى لا يسرف فى نفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وظالم النفس والسبق بالخيرات طرفان والاقتصاد وسط بينهما وقال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا • فالاسراف والاقتار طرفان والقوام وسط بينهما وقال الشاعر •

علمك بالقصد فيما انت فاعله • ان التخلق يانى دونه الخلق •

واما التفريط فهو التقصير والتضييع ولهذا قال الله تعالى فى الكتاب مرتبًا ى ما اهلنا ولا ضيعنا • واما الافراط فهو الاسراف ومجاوزة الحد يقال افرط فى الشئ اذا اسرف ومجاوز الحد فالتفريط والافراط هما الطرفان البعيدان والاقتصاد هو الوسط المعتدل وقد قيل هذه المعانى الثلثة الى هذا النوع من علم البيان فاما الاقتصاد فهو ان يكون المعنى المضمر فى العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه من منزلته واما التفريط والافراط فهما ضدان احدهما ان يكون المعنى المضمر فى العبارة دون ما يقتضيه منزلة المعبر عنه والاخر ان يكون المعنى فوق منزلته والتفريط فى ايراد المعانى الخطابية قبيح لا يجوز استعماله بوجه من الوجوه والافراط يجوز استعماله فمنه الحسن ومنه دون ذلك فمما جاء من التفريط قول الاعشى

فما مزنة من حلية الفرات حوت غواربه بالتطم •
يجود منه بما عونه • اذا ما سماوهم اغر تغيم •

فانه مدح ملكا بالجود بما عونه والما عون كل ما ستعان به وستعار من قدوم او قصعة او قدر وما اشبه ذلك وليس للملوك فى بذله مدح ولا الاوساط الناس وقد مدح السوقة به قوم ان ومدح الملوك به عيب وذم

فاحش

فاحش وهذا من اقبح التفريط ومما يجرى هذا المجرى قول الفرزدق

الا ليتنا كنا بعيرين نارد • على حاضر الا يشل ويقذف •
كلانا به عر فحاف فراقه • على الناس مطلى المشافر احشف •

هذا رجل قد هجر عقله حيث نظم هذين البيتين فان مراده منهما التغزل بمحبوبه وقد قصر تمنيه على ان يكون هو ومحبوبه كبعيرين اجربين لا يقربهما احد ولا تقربان احدًا الا طردهما وهذا من الاماني السخيفة وله فى غير هذه الامنية مذهبات كثيرة وما اشبه هذا بقول القايل •

يا رب ان قدرته لمقبلي • غير فللمسواك او للاكؤس •
واذا حكمت لنا بعين مراقب • فى الدهر فلتك مرعيون النرجس •

فانظركم بين هاتين الامنيتين • ومما اخذ على ابى نواس فى قصيدته الممتنة الموصوفة التى مدح بها الامين محمد الرشيد وهو قوله • اصبحت بابن زبيدة انه جعفر • املا لعهد جباله استحكام • فان ذكر الخليفة فى هذا الموضع قبيح • وكذلك قوله فى موضع اخر •

وليس كحديثه امر موسى • اذ انشبت ولا كالحمزان • وهذا لغو من الحديث لا فايدة فيه فان شرف الانسان انما هو الى الرجال لا الى النساء ومالت شعرى ما سمع ابو نواس قول مسلم بن الوليد •

امحمد ولانت نخلة كريمة • مرقومها والفحل فحل معرق •

ما كان ضرك لو مننت وربما • من الفتى وهو المغيظ المحنق •

فانها ذكرت لام بعير اسم الام وابرزت هذا الكلام وهذا اللباس الا يليق وكذلك فليكن المادح اذا مدح وابو نواس مع لطافة طبعه ورقته وما كان يوصف من الفطنة قد ذهب عليه مثل هذا الموضع مع ظهوره وليس لقايل ان يعتذر على ما ذكرته بقوله تعالى حكاية عن موسى واخيه هرون عليهما السلام قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتى ولا براسى فان الفرق الموضع ظاهر لان المنكر على ابى نواس انما هو اللفظ باسم الام وهى زيادة وكذلك اسم الجدة وهى الجيزر وليس كذلك ما ورد فى الاية فان قيل قد ورد فى الشعر ما يسوغ لابى نواس مقالته وهو قوله تعالى حاكيا عن عيسى عليه السلام انه قال يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فناداه باسم امه قلت الجواب عن ذلك من وجهين احدهما ان عيسى عليه السلام لم يكن له اب فنودى باسم امه ضرورة اذ لو كان له اب لنودى باسم ابيه الوجه الثانى ان هذا انما هو من الاعلى الى الادنى اذ لا يسوغ ان يقال ان الرب وعيسى عليه السلام عبده وهذا لا يكون تفريطا لانه لم يعبر عنه بما هو دون منزلته على ان ابا نواس لم يوقعه فى هذه العثرة الا ما سمعه عمر بن عبد العزيز كقوله • وتبنى المجد اعمر بن ليلى • ويكفى المحل السنة الجماكا • وكذلك قوله كثيرة عزة انظر وليس المعنى هنا بخاف فان العرب قد كان يعير بعضها بعضا بنسبته الى امه دون ابيه الا ترى ان عمر الخطاب كان يقال له ابن حنتمة وانما كان يقول ذلك من بغض منه واما قول النبى صلعم للزبير صفية لقوله تش واما زبير صفيته بالنار فان صفية كانت عمة النبى صلعم وانما نسبه اليها رفعا لقدره وقرب نسبه منه وانه ابن عمته وليس هذا كالاول فى الغض من عمر فى نسبته الى امه وقد عاب بعض من تتهم بالمعرفة قول ابى نواس فى قصيدته السينية التى اولها •

تنبه بدر ملك قد نعس • فقال من حلنى • وورث الخلافة خامسًا • وبخر سادسهم سدس • قال وفى ذكر السادس نظر وا عجبًا له مع معرفته بالشعر كيف ذهب عليه هذا الموضع انما قراسوره الكهف يريد قوله تعالى ويقولون

خمسة سادسهم كلبهم وهذا ليس بشيء لانه قد ورد في القران الكريم ما ينقضه وهو قوله تعالى الم تعلم ان الله يعلم
ما في السموات والارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ومما عيب به البحتري
قوله في مدح الفتح بن خاقان في قصيدته المشهورة عند لقائه الاسد التي مطلعها اجدك ما ينفك يسري لزينبا
فقال • شهدت لقد انصفته حين تنبري • له مصلتًا عضبًا من البيض مقضبا •
فلم ار ضرغامين اصدق منكما • عراكًا اذا الهيابة النكس كذبا • فقوله الهيابة
النكس تفريط في المدح بل كان الاولى ان يقول اذا البطل كذب والا فاي مدح في اقدام المقدم في الموضع الذي
يفر منه الجبان والا فان كما قال ابو تمام • فتى كلما ارتاد الشجاع من الردى • مفرًا غداة المازق ارتاد مصرعا •
وعلى اسلوب البحتري ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة •
واني لقوال لعافي مرحبًا • وللطالب المعروف انك واجده •
واني لممن يبسط الكف بالندى • اذا شنجت كف البخيل وساعده •
وهذا معيب من جهة انه لا فضل في بسط يده عند قبض يد البخيل وانما الفضل في بسطها عند قبض الكرام
ايديهم • ومن هذا الباب قول ابي تمام • يقظ وهو اكثر الناس اغفاء على نائل مسروق • فانه اراد
ان يمدح فذم • ومما هو اقبح من ذلك قوله ايضا •
سقى الحرب حتى تغلي مراجلها بشيطان رجيم • وقد استعمل هذا في شعره حتى افحش كقوله
انت دلو وذو السماح ابو موسى قليب وانت دلو القليب • ومراده من ذلك انه جعله سببًا لعطاء الممدوح
اليه كما ان الدلو سبب في امتياح الماء من القليب ولم يبلغ هذا المعنى من الاعراب لحد يذ بذ ابو تمام حوله
هذه الدندنة ويلقيه في هذا المثال السخيف على انه لم يقنع بهذه السقطة الفضيحة في شعره بل اوردها في
مواضع اخر • فمن ذلك قوله • ما زال تهذي بالمكارم والعلى • حتى ظننا انه محموم • فانه اراد
ان يبالغ في ذكر الممدوح باللهج بالمكارم والعلى فقال ما زال تهذي وما اعلم ما كانت حاله عند نظم هذا البيت
وعلى نحو منه جاء قول بعض المتاخرين • ويلحقه عند المكارم هزة • كما انتفض المحموم من ام ملدم •
وهذا وامثاله لا يجوز استعماله وان كان المعنى المقصود حسنًا فكم من بناء لمعنى كريم فاساء في التعبير عنه
حتى صار مذمومًا كهذا وامثاله • ومن احسن ما قيل في هذا الموضع قول ابن الرومي •
ذهب الذين تهزهم مداحهم • هز الكماة عوالي المران •
كانوا اذا امتدحوا راوا ما فيهم • فالاريحية منهم بمكان •
ومن شاء ان يمدح فليمدح هكذا والا فليسكت • ووجدت ابا بكر محمد بن يحيى المعروف بالصولي قد عاب على حسان
بن ثابت قوله • لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى • واسيافنا يقطرن من نجدة دما • وقال انه جمع
الجفنات والاسياف جمع قلة وهو في مقام فخر وهذا مما يحط من المعنى ويضع منه وقد ذهب في غير مذهب [?] ايضا
وليس بشيء لان الغرض انما هو الجمع وسواء كان جمع قلة او جمع كثرة ويدل على ذلك قوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا
لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرًا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم افترى نعم الله كانت قليلة على ابراهيم
صلوات الله عليه • وكذلك ورد قوله تعالى في سورة النمل وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع ايات الى
فرعون وقومه انهم كانوا قومًا فاسقين فلما جاءتهم اياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها

انفسهم

انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فقال واستيقنتها انفسهم فجمع النفس جمع قلة
وما كان قوم فرعون بالقليل حتى يجمع نفوسهم جمع قلة بل كانوا مئين الوف وهذا انص مما يبطل قول الصولي
ويقدح في هذا الموضع • وكذلك ورد قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها والنفوس
المتوفاه والنائمة لا تنتهي الى كثرتها كثرة لانها نفوس كل من في العالم • واعلم ان للمدح الفاظا تخصه وللذم
الفاظا تخصه وقد تعمق قوم في ذلك حتى قالوا من الادب ان لا تخاطب الملوك ومن يقاربهم بكاف الخطاب
وهذا غلط بارد فان الله تعالى الذي هو ملك الملوك قد خوطب بالكاف في اول كتابه العزيز فقيل اياك نعبد
واياك نستعين وقد ورد امثال هذا في مواضع من القران غير محصورة الا اني قد راجعت نظري في ذلك فرايت
الناس بزمانهم اشبه منهم بابائهم والعوائد لها حكم ولا شك ان العادة اوحشت للناس من مثل هذا التعمق في ترك
الخطاب بالكاف لكن تاملت اداب الشعراء والكتاب في هذا الموضع فوجدت الخطاب بالكاف لا يعاب في الشعر ويعاب في
الكتابة اذا كان المخاطب دون المخاطب واما ان كان فوقه فلا عيب في خطابه اياه بالكاف لانه ليس من التفريط
في شيء • فمن الخطاب بالكاف قول النابغة
وانك كالليل الذي هو مدركي • وان خلت ان المنتاى عنك واسع • وكذلك قوله
حلفت فلم اترك لنفسك ريبة • وليس وراء الله للمرء مذهب • وعليه جاء قول المتاخرين ايضا فقال
ابو نواس • اليك ابا منصور عرفت بافتى • زيارة خل وامتحان كريم •
لاعلم ما اني وان كنت عالما • بانك مهمات غير ملوم • وكذلك ورد قول
السلامي • اليك طوى عرض البسيطة جاعل • قصارى المطايا ان يلوح لها القصر •
وبشرت امالي بملك هو الورى • ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر • وعليه قول
البحتري • ولقد اتيتك طالبًا فبسطت من املي واطلب جود كفك مطلبي • وجل خطاب الشعراء للممدوحين
انما هو بالكاف وذلك محظور على الكتاب فانه ليس من الادب عندهم ان يخاطب الادنى الاعلى بالكاف وانما
يخاطبه مخاطبة الغائب لا مخاطبة الحاضر على ان هذا الباب بجملته يوكل النظر فيه الى فطانة الخطيب والشاعر
وليس مما يوقف فيه على المسموع خاصة • ومن الطف ما وجدته انك اذا خاطبت الممدوح ان تترك الخطاب بالامر
بان تقول افعل كذا وكذا وتخرجه مخرج الاستفهام وهذا الاسلوب حسن جدا وعليه مسحة من جمال لا اثر عليه لجمال
كلم • فمما جاء منه قول البحتري في قصيدة اولها • بودي لو يهوى العذول ويعشق • فقال منها
فهل انت يا ابن الراشدين مختمي • بياقوتة تبهى علي وتشرق • وهذا من الادب الحسن في خطاب الخليفة فانه
لم يخاطبه بان قال ختمني بياقوتة على سبيل الامر بل خاطبه على سبيل الاستفهام • وقد اعجبني هذا المذهب وحسن
عندي وقد حذا حذو البحتري شاعر من شعراء عصرنا فقال في مدح الخليفة الناصر لدين الله ابي العباس
احمد من قصيدة له على قافية الدال فقال • مرامات تصف لها قصدته وهي •
افقبوله يا ابن الخلائف من قبلي لذلك توصي غادة الشعر روده • فقوله افقبوله من الادب الحسن الذي نسج على
منوال البحتري وهذا باب مفرد وهو باب الاستفهام في الخطاب واذا كان الشاعر فطنا عالما بما يضعه من الالفاظ
والمعاني تصرف في هذا الباب بضروب التصرفات واستخرج من ذات نفسه شيئا لم يسبقه اليه احد • واعلم ان من
المعاني ما يعبر عنه بالفاظ متعددة ويكون المعنى المندرج تحتها واحدا ومن تلك الالفاظ ما يليق استعماله بالمدح

ومنها ما يليق استعماله بالذم ولو كان هذا الامر يرجع الى المعنى فقط لكانت جميع الالفاظ الداله عليه
سواء في الاستعمال وانما يرجع في ذلك الى العرف دون الاصل ولنضرب لك مثالا فنقول هل يجوز ان يخاطب
الملك فيقال له وحق دماغك قياسا على وحق راسك وهذا يرجع الى ادب النفس دون ادب الدرس فاذا
اراد مؤلف الكلام ان يمدح ذكر الراس والهامه والكاهل وما جرى هذا المجرى واذا اراد ان يهجو ذكر
الدماغ والقفا والقذال وما جرى هذا المجرى وان كانت معاني الجميع متقاربة ومن اجل ذلك حسنت
الكناية في الموضع الذي يقبح فيه التصريح • ومن احسن ما بلغني من ادب النفس في الخطاب ان عثمن بن عفان رض
سال قباث بن اشيم فقال له انت اكبر ام رسول الله ص فقال رسول الله اكبر مني وانا اقدم منه في الميلاد فانظر
الى ادب هذا العربي الذي من شانه وشان امثاله جفاء الاخلاق والبعد عن فطانة الاداب • واما الافراط
فقد ذمه قوم من اهل هذه الصناعة وحمده اخرون والمذهب عندي استعماله فان احسن الشعر اكذبه بل اصدقه
اكذبه لكنه يتفاوت درجاته فمنه المستحسن الذي عليه مدار الاستعمال ولا يطلق على الله سبحانه وتعالى لانه مهما ذكر به
من المغالاة في صفاته فانه دون ما يستحقه • ومما ورد من ذلك في الشعر قول عنترة
وانا المنية في المواطن كلها • والطعن مني سابق الاجال • وقد يروى بالياء وكلا المعنيين حسن الا ان الياء
اكثر علوا • ومما جاء على نحو من ذلك قول بشار • اذا ما غضبنا غضبة مضرية • هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما •
ومنه ما يستهجن كقول النابغة الذبياني • اذا ارتعبت خاف الجبان رعابها • ومن يتعلق حيث علق يفرق •
وهذا يصف طول قامتها لكنه من الاوصاف المنكرة التي خرجت المغالاة به عن حيز الاستحسان وكذلك ورد
قول ابي نواس • واخفت اهل الشرك حتى انه • لتخافك النطف التي لم تخلق • وهذا اشد افراطا من قول
النابغة • ويروى ان العتابي لقي ابا نواس فقال له ما استحييت الله حيث تقول وانشده البيت فقال له
وانت ما راقبت الله حيث قلت

ما زلت في غمرات الموت مطرحا • تضيق عني وسيع الراي من حيلي •
فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لي • حتى اختلست حياتي من يدي اجلي •

فقال له العتابي قد علم الله وعلمت ان هذا ليس مثل قولك ولكنك قد اعددت لكل ناصح جوابا وقد ادار
ابو نواس هذا المعنى في قالب اخر فقال

كرت منادمة الدماء سيوفه • فلقل ما تختارها الاجفان •
حتى الذي في الرحم لم يك صورة • لفؤاده من خوفه خفقان •

وما يجيء في هذا الباب يجري هذا المجرى وقد استعمل ابو الطيب المتنبي هذا القسم في شعره كثيرا فاحسن في مواضع
منه فمن ذلك قوله • عجاج تعثر العقيان فيه • كان الجو وعث او خبار • ثم اعاد هذا المعنى في
موضع اخر فقال • عقدت سنابكها عليها عثيرا • لو يبتغي عنقا عليه امكنا • وهذا اكثر مغالاة من
الاول • ومن ذلك قوله ايضا • كانما يتلقاهم لتسلكهم • فالطعن يفتح في الاجواف ما يسع • وعلى هذا ورد قول
قيس بن الخطيم • ملكت بها كفي فانهرت فتقها • يرى قائم من خلفها ما وراءها • لكن ابو الطيب اكثر
علوا في المعنى وقيس بن الخطيم احسن لانه قريب من الممكن فان الطعنة تنفذ حتى يتبين منها الضوء واما ان يجعل
المطعون مسلكا يسلك كما قال ابو الطيب فان ذلك مستحيل ولا يقال فيه بعيد • واما الاقتصاد فهو وسط

بين

بين المنزلتين والامثلة كثيرة لا تحصى اذ كلما خرج عن الطرفين من الافراط والتفريط فهو اقتصاد ومن احسنه
ان يجعل الافراط مثلا ثم يستثنى فيه بلو او يكاد او ما جرى مجراهما • فمن ذلك قوله تعالى وانه لما قام عبد الله
يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وقد ورد هذا في القران كثيرا • ومما ورد منه شعرا قول الفرزدق
يكاد يمسكه عرفان راحته • ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم • وكذلك قول البحتري •
لو ان مشتاقا تكلف فوق ما • في وسعه لسعى اليك المنبر • وهذا هو المذهب المتوسط •

النوع السادس والعشرون في الاشتقاق

اعلم ان جماعة علماء البيان يفصلون الاشتقاق عن
التجنيس وليس الامر كذلك بل التجنيس امر عام لهذين النوعين من الكلام وذلك ان التجنيس في اصل الوضع
من قولهم جانس الشيء اذا ماثله وشابهه ولما كانت الحال كذلك ووجدنا من الالفاظ ما يتماثل ويتشابه في صيغته وبيانه
علم ان ذلك يطلق عليه اسم التجنيس فالتجنيس اذن ينقسم قسمين احدهما تجنيس في الالفاظ والاخر تجنيس في
المعنى فاما الذي يتعلق باللفظ فانه لم ينقل عن بابه ولا غير اسمه وقد ذكره في باب الصناعة واما الذي يتعلق بالمعنى
فانه نقل عن بابه في التجنيس وسمي الاشتقاق اي ان احد المعنيين مشتق من الاخر وهو على ضربين صغير وكبير
فالصغير ان ياخذ اصلا من الاصول فيجمع بين معانيه وان اختلفت صيغته ومبانيه كتركيب س ل م فانك
تاخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو سلم وسالم وسلمان وسلمى والسليم اللديغ اطلق عليه ذلك تفاولا
بسلامته والاصل في ذلك ان يضع واضع اللغة اسما اولا بمسمى اول ثم يجد مسمى اخر او مسميات شبيهة
بالمسمى الاول فيضع لها اسما كالاسم الاول كقوله ضرير اسم للاعمى والضر ضد النفع والضراء الشدة من
الامر والضر بالضم الهلاك وسوء الحال والضرار الضيق والضرة احدى الزوجتين فان هذه المسميات
كلها تدل على الاذى والشر واسماؤها متشابهة لم تخرج عن الضاد والياء والراء الا انا الان لا نعلم ما هو الاول
منها حتى نحكم انه مشتق منه لكن نعلم في السليم اللديغ انه مشتق من السلامة لانه ضدها قيل من اجل التفاول
بالسلامة وعلى هذا جاء غيره من الاصول كقولنا هشمك هاشم وحاربك محارب وسالمك سالم واصاب الارض
صيب فهذه الالفاظ لفظها واحد ومعناها واحد اما هاشم فلم يسم بهذا الاسم الا انه هشم الثريد في عام
محل فسمي بذلك واما محارب فهو اسم فاعل من حارب فهو محارب واما سالم فمن السلامة وهو اسم فاعل من سلم
واما الصيب فهو المطر الذي يشتد صوبه اي وقعه على الارض ولا يقاس على ذلك قول النبي ص اسلم سالمها
الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله فان اسلم وغفار وعصية اسما قبائل ولم يسم اسلم من المسالمة ولا غفار
من المغفرة ولا عصية من تصغير عصا وهذا هو التجنيس وليس بالاشتقاق والنظر في هذا يحتاج الى فكرة
وتدبر لكيلا يختلط التجنيس بالاشتقاق • ومما جاء من ذلك شعرا قول البحتري •
امحلتني سلما بكاظمة اسلما • وكذلك قول الاخر •
وما زال معقولا عقال عن الندى • وما زال محبوسا عن الخير حابس • وربما ظن ان هذا البيت وما جرى مجراه
تجنيس حيث قال فيه معقول وعقال ومحبوس وحابس وليس الامر كذلك وهذا الموضع يقع فيه الاشتباه
كثيرا على من لم يتقن معرفته وقد تقدم القول ان حقيقة التجنيس هي اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وعقال
ومعقول وحابس ومحبوس اللفظ فيهما واحد والمعنى واحد ايضا فهذا مشتق من هذا اي قد شق منه •
وكذلك قول عنترة • لقد علم القبائل ان قومي • لهم حد اذا لبس الحديد • فان حدا وحديدا لفظهما

لفظهما واحد ومعناهما واحد • واما الاشتقاق الكبير فهو ان ياخذ اصلا من الاصول فيعقد عليه وعلى تراكيبه
معنى واحدا يجمع تلك التراكيب وما يصرف منها وان تباعد شي من ذلك عنها رد بلطف الصنعة والتاويل اليها
ولنضرب لذلك مثالا فنقول ان لفظة ق ر م من الثلاثي لها ست تراكيب وهي ق ر م ق م ر
ر ق م م ر ق ر م ر ق فهذه التراكيب الست يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة فالقرم شدة شهوة
اللحم وتقمر الرجل اذا غلب من يقامره والرقم الداهية وهي الشدة التي تلحق الانسان من دهره شدة وعيش مرمق اي
ضيق وذلك نوع من الشدة ايضا والمقر شبه الصبر يقال امقر الشي اذا امر وفي ذلك شدة على الذائق وكراهة ومرق
السهم اذا نفذ من الرمية وذلك لشدة مضائه وقوته • واعلم انه اذا سقط من تراكيب الكلمة شي فجائز ذلك في الاشتقاق لان الاشتقاق ليس من شرطه كمال تركيب الكلمة
تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها وتاخيرها ادت الى معنى واحد يجمعها فمثال ما سقط من تركيب الثلاثي لفظة
و س ق فان لها خمس تراكيب وهي و س ق و ق س س و ق و س ق ق و س وسقط من جملة
التركيب قسم واحد وهو س ق و وجميع الخمسة المذكورة تدل على القوة والشدة ايضا فالوسق من قولهم استوسق
الامر اي اجتمع وقوي والوقس ابتداء الحرب وفي ذلك شدة على من يصيبه وبلاء والسوق متابعة السير وفي
هذا عنا وشدة على السائق والمسوق والقسوة شدة القلب وغلظه والقوس معروفة وفيها نوع من الشدة
والقوة لنزعها السهم واخراجه الى ذلك الرمي المتباعد • واعلم انا لا ندعي ان هذا يطرد في جميع اللغة بل قد
جاء شي منها كذلك وهذا مما يدل على شرفها وحكمتها لان الكلمة الواحدة تنقلب على ضروب من التقاليب وهي مع
ذلك دالة على معنى واحد وهذا من اعجب الاسرار التي توجد في لغة العرب واغربها فاعرفه الا ان الاستعمال
في النظم والنثر انما يقع في الاشتقاق الصغير دون الكبير وسبب ذلك ان الاشتقاق الصغير يكثر الالفاظ الواردة
عليه والاشتقاق الكبير لا يكاد يوجد في اللغة الا قليلا وايضا فان الحسن اللفظي الذي هو الفصاحة انما
يقع في الاشتقاق الصغير ولا يرى في الكبير الا ترى الى هذين الاصلين الواردين ههنا وهما ق ر م و س ق
واذا نظرنا الى تراكيبهما واردنا ان نسبكهما في الاستعمال لم يات منهما مثل ما ياتي في الاشتقاق الصغير حسنا
ورونقا لان ذاك لفظه لفظ تجنيس والاشتقاق الكبير ليس كذلك

النوع السابع والعشرون في التضمين

وهذا النوع فيه نظر بين حسن يكتسب به الكلام طلاوة وبين معيب عند القوم وهو عندهم معدود
من عيوب الشعر ولكل من هذين القسمين مقام فاما الحسن الذي يكتسب به الكلام طلاوة فهو ان يضمن الايات
والاخبار النبوية تضمين جزئي فاما التضمين الكلي فهو ان يذكر الاية والخبر بجملتهما واما التضمين الجزئي فهو ان يدرج
بعض الاية والخبر في ضمن كلام فيكون جزءا كالذي اوردته في حل الايات والاخبار في الفصل العاشر من مقدمة
الكتاب وقد قيل انه لا يجوز درج ايات القران الكريم في غضون الكلام من غير تبيين كيلا يشتبه وهذا القول لا
اقول به فان القران الكريم ابين من ان يحتاج الى بيان وكيف يخفى وهو المعجز الذي لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثله لا ياتون بمثله فان كانت المفاوضة في التفرقة بينه وبين غيره من الكلام اذا ادرج فيه مع جاهل لا يعرف الفرق
فذاك لا كلام معه وان كان الكلام مع عالم بذلك فذلك لا يخفى عنه القران من غيره ومذهبي في هذا ما تقدم ذكره
في الفصل العاشر من مقدمة الكتاب وهو احسن الوجهين وذاك ان لا توجد الاية بكمالها بل يوجد جزء منها ويجعل
اولا للكلام او اخرا هذا اذا لم يقصد به التضمين فاما اذا قصد التضمين فيوجد الاية بكمالها ويدرج درجا وهذا
ينكره من لم يذق ما ذقته من طعم البلاغة ولا راى ما رايته • واما العيب عند قوم فهو تضمين الاسناد وذلك يقع في

معناه معنى اشتقاق

وذلك يرد على وجهين احدهما تضمين كلي والاخر تضمين جزئي

منه

بيتين

بيتين من الشعر او بعضا من الكلام المنثور على ان يكون الاول منهما مسندا الى الثاني ولا يقوم الاول بنفسه
ولا يتم معناه الا بالثاني وهذا هو المعدود من عيوب الشعر وهو عندي غير معيب لانه اذا كان سبب عيبه
ان يعلق البيت الاول على البيت الثاني فليس ذلك بسبب يوجب عيبا اذ لا فرق بين البيتين من الشعر في تعلق
احدهما بالاخر وبين الفقرتين من الكلام المنثور في تعلق احدهما بالاخرى لان الشعر هو كل لفظ موزون مقفى
دل على معنى والكلام المسجوع هو كل لفظ مقفى دل على معنى والفرق بينهما ان يقع في الوزن لا غير والفقر المسجوعة
التي يرتبط بعضها ببعض قد ورد في القران الكريم في مواضع منه • فمن ذلك قوله تعالى في سورة الصافات فاقبل
بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول انك لمن المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
انا لمدينون فهذه الفقر الثلث الاخيرة مرتبط بعضها ببعض فلا تفهم كل واحدة منهن الا بالتي تليها وهذا كالابيات
الشعرية في ارتباط بعضها ببعض ولو كان عيبا لما ورد في كتاب الله تعالى • وكذلك ورد في قوله تعالى والصافات
ايضا فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صالي الجحيم فالايتان الاولتان لا تفهم احدهما الا بالاخرى
وهكذا ورد قوله تعالى في سورة الشعراء افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون فهذه ثلث ايات لا تفهم الاولى ولا الثانية الا بالثالثة الا ترى ان الاولى والثانية في معرض استفهام
يفتقر الى جواب والجواب هو في الثالثة • ومما ورد من ذلك شعرا • قول بعضهم

• ومن البلوى التي ليس لها في الناس كنه • ان من يعرف شيئا يدعي اكثر منه •

الا ترى ان البيت الاول لم يقم بنفسه ولا تم معناه الا بالبيت الثاني وقد استعملته العرب كثيرا • وقد ورد في شعر
فحول شعرائهم • فمن ذلك قول امرء القيس

فقلت له لما تمطى بصلبه • واردف اعجازا وناء بكلكل •
الا ايها الليل الطويل الا انجلي • بصبح وما الاصباح فيك بامثل • وكذلك ورد قول الفرزدق
وما احد من الاقوام عدوا • عروق الاكرمين الى التراب •
بمحفظين ان حلموا نا • عليهم في القديم ولا غضاب • وكذلك ورد قول بعض شعراء الحماسة
لعمري لرهط المرء خير بقية • عليه وان عالوا به كل مركب •
من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى • جزيل ولم يخبرك مثل مجرب •

الضرب الثاني من التضمين وهو ان يضمن الشاعر شعره او الناثر نثره كلاما اخر لغيره قصدا للاستعانة
على تاكيد المعنى المقصود ولو لم يذكر ذلك التضمين لكان المعنى تاما وربما ضمن الشاعر البيت من شعره بنصف بيت
او اقل منه كما قال جحظة • قم فاسقنيها يا غلام وغنني • ذهب الذين يعاش في اكنافهم • الا ترى انه لو لم
يقل هذا البيت ذهب الذين يعاش في اكنافهم لكان المعنى تاما لا يحتاج الى شي اخر فان قوله قم فاسقنيها يا غلام
وغنني فيه كفاية اذ لا حاجة الى تعيين الغنا لان في ذلك زيادة على المعنى المفهوم لا على الغرض المقصود • وقد
ورد هذا في عدة مواضع من شعر ابي نواس في الخمريات كقوله في مخاطبة بعض خلطائه على مجلس الشراب وهو

فقلت هل لك في الصهباء تاخذها • من كف ذات حر فالعيش مقتبل •
حيرية كشعاع الشمس صافية • يطير بالكاس من لالائها شعل •
فقلت هات وغنينا على طرب • ودع هريرة ان الركب مرتحل •

وكذلك قوله • وطبي خلوب اللفظ حلو كلامه • مقبله سهل وجانبه وعر •
تجلت له منها فخر لوجهه • وامكن منه ما تحيط به الازر •
فقمت اليه والكرى كحل عينه • فقبلته والصب ليس له صبر •
الى ان تجلى نومه عن جفونه • وقال كسبت الذنب قلت له العذر •
فاعرض مزورا كان بوجهه • تفقئ رمان وقد برد الصدر •
فما زلت ارقيه والثم خده • الى ان تغنى راضيا وبه سكر •
الا يا سلمى يا دار مي على البلا • ولا زال منهلا بجرعائك القطر •

وقد استعمل هذا الضرب كثيرا الخطيب عبد الرحيم بن نباتة • فمن ذلك قوله في بعض خطبه وهو • فيا ايها الغفلة المطرقون • اما انتم بهذا الحديث مصدقون • فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون • وكذلك قوله في ذكر يوم القيمة وهو • فيومئذ تفد الخلائق على الله بهما • فيحاسبهم على ما احاط به علما • وينفذ في كل عامل بعمله حكما • وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما • الا الى بداعة هذا التضمين الذي كانه قد رصع في هذا الموضع رصعا • وعلى نحو من ذلك جا قوله في ذكر يوم القيمة وهو • هنالك تقع الحساب على ما احصاه الله كتابا • وتكون الاعمال المشوبة بالنفاق سرابا • يوم يقوم الروح والملئكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا • ومما ينتظم بهذا السلك قوله في خطبة اخرى وهو • اسكنهم والله الذي انطقهم وابادهم الذي خلقهم وسيجدهم كما اخلقهم • ويجمعهم كما فرقهم • يوم يعيد الله العالمين خلقا جديدا • ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا • يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا • يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا • ومن هذا الباب ايضا قوله • هنالك ترفع الحجاب • وتوضع الكتاب • ويجمع من وجب له الثواب • ومن حق عليه العقاب • فيضرب بينهم بسور له باب • باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب • وامثال هذه التضمينات في خطبه كثيرة • وهي من محاسن ما يجي في هذا الباب

النوع الثامن والعشرون في الارصاد

وحقيقته ان يبني الشاعر البيت من شعره على قافية قد ارصدها له اي اعدها في نفسه فاذا انشد صدر البيت عرف ما ياتي به قافيته وذلك من محمود الصنعة فان خير الكلام ما دل بعضه على بعض في الافتخار بذلك يقول ابن نباتة السعدي •

خذها اذا انشدت في القوم من طرب • صدورها عرفت منها قوافيها •
ينسي لها الراكب العجلان حاجته • ويصبح الحاسد الغضبان يطريها • فمن هذا الباب

قول النابغة
فداء لامرئ سارت اليه • بعذرة ربها عمي وخالي •
ولو كفى اليمين بعتك خوفا • لافردت اليمين عن الشمال •

الا ترى انه يعلم اذا عرفت القافية في البيت الاول وصدر البيت الثاني ان في البيت الثاني يكون ذكر الشمال وكذلك جاء قول البحتري
احلت دمي من غير جرم وحرمت • بلا سبب يوم اللقاء كلامي •
فليس الذي حللته بمحلل • وليس الذي حرمته بحرام •

فليس يذهب على السامع وقد عرف البيت الاول وصدر البيت الثاني ان عجزه هو ما قاله البحتري وقد جاء الارصاد في الكلام المنثور كما جاء في الشعر • فمن ذلك قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا

كلمة

كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون فاذا وقف السامع على قوله تعالى فيما كانوا فيه عرف ان بعده يختلفون لما تقدم من الدلالة عليه • ومن ذلك ايضا قوله تعالى فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون • وعلى نحو منه جاء قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فاذا وقف السامع على قوله تعالى وان اوهن البيوت يعلم ان بعده لبيت العنكبوت • ورايت ابا هلال العسكري قد سمى هذا النوع التوشيح وليس كذلك بل تسميته بالارصاد اولى وذلك حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به • واما التوشيح فهو نوع اخر من علم البيان وسياتي ذكره بعد هذا النوع ان شا الله تعالى واعلم انه قد اختلف جماعة من ارباب هذه الصناعة في تسمية انواع علم البيان حتى ان احدهم يصنع لنوع واحد اسمين اعتقادا منه ان ذلك النوع نوعان مختلفان وليس الامر كذلك بل هما نوع واحد فممن غلط في ذلك الغانمي فانه ذكر بابا من ابواب علم البيان وسماه التبليغ وقال هو ان ياتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما من غير ان يكون للقافية فيما ذكره صنع ثم ياتي بها لحاجة الشعر اليها حتى يتم وزنه فيبلغ بذلك الغاية القصوى في الجودة كقول امرئ القيس • كان عيون الوحش حول خبائنا • وارحلنا الجزع الذي لم يثقب • فانه اتى بالتشبيه تاما قبل القافية ثم لما جاء بها بلغ الامد الاقصى في المبالغة ثم ان الغانمي ذكر بعد هذا الباب بابا اخر وسماه الاشباع فقال هو ان ياتي الشاعر بالبيت مغلق القافية على اخر اجزائه ولا يكاد يفعل ذلك الا حذاق الشعرا وذلك ان الشاعر اذا كان بارعا جلب لقدرته وذكائه وفطنته الى البيت وقد تمت معانيه واستغنى عن الزيادة فيه قافية متممة لا عارضة ووزنه فجعلها نعتا للمذكور كقول ذي الرمة قف العيس في اطلال مية فاسالن • رسوما كاخلاق الرداء المسلسل • هذا كلام الغانمي بعينه والبابان المذكوران سواء لا فرق بينهما بحال والدليل على ذلك ان بيت امرئ القيس لما قال كان عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع اتى بالتشبيه قبل القافية ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهو قوله لم يثقب وهكذا ذي الرمة فانه لما ان قال قف العيس في اطلال مية فاسالن رسوما كاخلاق الردا اتى بالتشبيه ايضا قبل ان ياتي بالقافية ولما احتاج اليها جا بزيادة حسنة وهي قوله المسلسل • واعلم ان ابا هلال العسكري قد سمى هذين القسمين بعينهما الايغال وقال هو ان يستوفي الشاعر معنى الكلام قبل البلوغ الى مقطعه ثم ياتي بالقطع فيزيد فيه معنى اخر واصل الايغال من اوغل في الامر اذا ابعد الذهاب فيه ثم مثل ابو هلال ذلك بقول ذي الرمة • قف العيس في اطلال مية فاسالن • البيت وهذا اقرب امرا من الغانمي لانه ذكره في باب واحد وسماه باسم واحد ولم يذكره في باب اخر كما فعل الغانمي وليس الاخذ على الغانمي في ذلك مناقشة على الاسماء وانما المناقشة على ان ينتصب لايراد علم البيان وتفصيل ابوابه ويكون احد الابواب التي ذكرها داخلا في الاخر فيذهب عليه ابوابه ويخفى عنه وهو اشهر من فلق الصباح • وها هنا ما هو اغرب من ذلك وذاك انه قد سلك قوم في منثور الكلام ومنظومه طرقا خارجة عن موضوع علم البيان وهي بنجوة منه لانها في واد وعلم البيان في واد • فممن فعل ذلك الحريري صاحب المقامات فانه ذكر تلك الرسالة التي حرف من حروف الفاظها معجم والاخر غير معجم ونظم غيره شعرا اخر كل بيت منه اول البيت الذي يليه وكل هذا وان تضمن مشقة من الصناعة فانه خارج عن باب الفصاحة والبلاغة لان الفصاحة هي ظهور الالفاظ مع حسنها على

ما اشرت اليه في مقدمة كتابي هذا وكذلك البلاغة فانها الاتيان في محاسن الالفاظ والمعاني مرقولنا
بلغت المكان اذا انتهيت اليه وهذا الكلام المصنوع مما اتى به الحريري في رسالته واورده ذلك الشاعر لا
تنضم فصاحة وبلاغة وانما تاتي ومعانيه عنه بارده وسبب ذلك انه يستكره استكراها ويوضع في غير مواضعها
وكذلك الفاظه تجي مكرهة انضم غير ملائمة لاخواتها وعلم البيان انما هو الفصاحه والبلاغة في الالفاظ
والمعاني فاذا خرج عنه شيء من هذه الاوضاع المشار اليها لم يكون معدودا منه ولا داخلا في بابه ولو كان
ذلك مما يوصف بتحسين في الفاظه ومعانيه لورد في كتاب الله تعالى الذي هو معدن الفصاحه والبلاغة او
ورد في كلام العرب الفصحاء ولوزن في شيء من اشعارهم ولا خطبهم ولقد رايت رجلا اديبا من اهل المغرب
وقد تغلغل في شيء عجيب وذلك انه شجر بحرا ونظمها شعرا وكلمت من ذلك الشعر نفرا على ضروب من الاساليب
اسائغا لشعب ذلك الشجر واغصانها فمنه ما نقرا كذا وناتي كذا وناتي بكوجزء منه هاهنا وناتي هاهنا
وناتي نقرا مقلوبا وكل ذلك الشعر وان كان له معنى يفهم الا انه ضرب من الهذيان فالاولى به وامثاله ان
يلحق بالشعبذه والمعالجه والمصارعه لا يدخل الفصاحه والبلاغة وراينا يا محمد عبد الله ابن سنان الخفاجي
قد ذكر بابا من الابواب في كتابه فقال ينبغي ان لا يستعمل في الكلام المنظوم والمنثور الفاظ المتكلمين والنحويين
والهندسيين ومعانيهم ولا الالفاظ التي يختص بها بعض المهن والعلوم لان الانسان اذا خاض في علم
وتكلم في صناعة وجب عليه ان يستعمل الفاظ اهل ذلك العلم واصحاب تلك الصناعة ثم مثل ذلك بقول ابي
تمام ● مودة ذهب ثمارها سية ● وهمة جوهر معروفها عرض ● وبقوله ايضا
خرقاء يلعب بالعقول حبابها ● كتلعب الافعال بالاسماء ● وهذا الذي انكره
ابن سنان هو عين المعروف في هذه الصناعه ● ان الذي تكرهون منه ● هو الذي شتهيه قلبي ●
وسايير فساد ما ذهب اليه فاقول اما قوله يجب على الانسان اذا خاض في علم او تكلم في صناعة ان يستعمل
الفاظ اهل ذلك العلم واصحاب تلك الصناعة فهذا مسلم ولكن شذ عنه ان صناعة المنظوم والمنثور مستمده
من كل علم وكل صناعة لانها موضوعة على الخوض في كل معنى وهذا لا ضابط له يضبطه ولا حاصر يحصره فاذا
اخذ مؤلف الشعر او الكلام المنثور في صوغ معنى من المعاني واداه ذلك الى استعمال معنى فقهي او حسابي
او نحوي او غير ذلك فليس له ان يتركه ويحيد عنه لانه غير مقتضى ذلك المعنى الذي قصده الا ترى قول ابي تمام
في الاعتذار وهو ● فان يك جرم عن اوانك هفوة ● على خطاء مني فعذري على عمد ● فان هذا من احسن ما
جيء في هذا الباب بابا الاعتذار عن الذنب وكان ينبغي له على ما ذكره ابن سنان ان يترك ذلك ولا يستعمل حشو فيه
لفظتا الخطا والعمد اللتان هما من اخص الفاظ الفقهاء وكذلك قول ابي الطيب المتنبي ● وهو
ولقيت كل الفاضلين كانما ● رد الاله نفوسهم والاعصرا ●
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما ● واتى وذلك اذ اتيت موخرا ●
وهذا من المعاني البديعه وكان ينبغي لابي الطيب ان لا ياتي في مثل هذا الموضع بلفظه فذلك التي هي من الفاظ
الحساب بل كان يترك هذا المعنى الشريف الذي لا تتم الابتلاك اللفظه موافقة لابن سنان فمما رواه وده
اليه وهذا محض الخطا وغير الغلط واما ما انكره على ابي تمام في قوله
مودة ذهب ثمارها شية ● وهمة جوهر معروفها عرض ● فان هذا البيت ليس منكرا لما استعمل فيه من لفظتي

الجوهر

الجوهر والعرض اللتين هما من خصائص الفاظ المتكلمين لانه في نفسه ركيك لتضمنه التشبيه فالفظه عامية
ركيكة وهي التي استحقت بالبيت لحملته وربّ قليل افسد كثيرا واما لفظتا الجوهر والعرض فلا عيب فيهما
ولا ركاكة عليهما واما البيت الاخر وهو ● خرقاء يلعب بالعقول حبابها ● كتلعب الافعال بالاسماء ●
فليس بمنكر وهل يشك في ان التشبيه الذي تضمنه واقع في موضعه الا ترى ان الفعل سفل الاسم من
الى الحال وكذلك تفعل الخمر بالعقول في تنقلها فما الذي انكره ابن سنان من ذلك وقد جا لبعض المتاخرين
من هذا الاسلوب ما لا مدافع في حسنه وهو قوله
عوامل رزق اعرت لغة الردى ● فجسم له حفض ورأس له نصب ● فانظر كيف حصل له المشابهة في الاسمية
بين عوامل الرماح والعوامل النحوية حسن موقع ما ذكره من الخفض والنصب وعلى ما ذكره ابن سنان فان
ذلك غير جايز وهو من مستحسنات المعاني هذا من اعجب الاشيا وعلى هذا الاسلوب ورد قول بعضهم ●
وفتى من فاق اهل البصر ● امه معروفة وابوه نكره ● وهل يشك في حسن هذا المعنى ولطافته
وكذلك ورد من هذا النوع في شعر بعض العراقيين يهجو طبيبا فقال
قال حمار الطيب يوما ● لو انصفوني لكنت اركب ●
لانني جاهل بسيط ● واركبي جاهل مركب ● وهذا من المعنى الذي اعرب في
الملاحه ● وجميع هذه الخفه السخريه ووقار الفصاحه ● وقد تقدم القول في ضد هذا وانه يجب على صناع
هذه الصناعه ان تتعلق بكل علم وكل صناعه والخوض في كل فن من الفنون لانه مكلف لان يخوض في كل
معنى من المعاني فاصمم بذلك على ما ذكرته ونصبت عليه وانزلك ما سواه فليس القايل بهذا كالقايل بظنه وتقليده وهذا النوع اذا استعمل على الوجه المرضي كان حسنا واذا استعمل بخلاف ذلك كان
قبيحا كما جا في كلام ابي العلا سليمان المعري وهو قوله في رسالة كتبها الى بعض اخوانه ● حرس الله سعادتك
ما ادغمت التا في الطا ● وتلك سعاده بغير انها ● ومن هذا الغث البارد لكن قد حاله في الشعر ما هو حسن
فايق كقوله ● قد ونكم حفض الحياه فاننا ● نصبنا المطايا في الفلاه على القطع ● والخفض والنصب
من الاعراب النحوي والخفض رفاهة العيش والقطع من منصوبات النحو والقطع قطع الشيء يقال قطعته اذا
بتره **النوع التاسع والعشرون في التوشيح** وهو ان يبني الشاعر ابيات قصيدته على بحرين
مختلفين فاذا وقف من البيت على القافيه الاولى كان شعرا مستقيما من بحر على عروض فاذا اضاف الى تلك ما
بني عليه شعره من القافيه الاخرى كان ايضا شعرا مستقيما من بحر اخر على عروض فصار ما ضاف الى القافيه الاولى
للبيت كالوشاح وقد رايت في زماننا هذا شاعرا نظم القصيد من بيتين البحر وكان ينشد قصيده بثلاث مرار
كل مره على بحر من تلك الابحر الثلثه واقترح علي ان نظم على تلك عدة قصايد ففعل وكذلك يجري الامر في الفرق بين
من الكلام المنثور فان كل فقره منها تضاهي مسجعين وهذا لا يكاد يستعمل الا قليلا وليس من الحسن في شيء استعمال
في الشعر احسن منه في الكلام المنثور ومن ذلك قول بعضهم
اسلم ودمت على الحوادث مارسا ركنا بثهلان اوهضاب حراء ●
ونل المراد ممكنا منه على رغم الدهور ● وفي بطول بقاء ● وهذا من الجنس
الذي ياتي في هذا النوع الا ان اثر التكلف عليه باد ظاهر واذا نظر الى هذه السين وجدا وهما ذكرا على قافيه اخرى

وبحر اخر وذالك ان تقاله • اسلم ودمت على الحوادث مارسا ركنا بشير •
ونزل المراد ممكنا • منه على رغم الدهور • وقد استعمل ذلك الحريري
في مقاماته كقوله • ياخاطب الدنيا الدنيه الهنا • شراء الردي وقراره الاكدار •
دارمتى ما اضحكت في يومها • ابكت غدا بعدا لها فهي دار •
واذا اظل سحابها لم ينقع • منه صدى لجهامه الغرار • واعلم ان هذا
النوع لا يستعمل الا متكلفا عند تعاطي المتكرم صناعة النظم وحسنه منوط بما فيه من الصناعة لا بما فيه
من البراعة الا ترى انه لو نظم عليه قصيدة من اولها الى اخرها تضمن غزلا او مدحا على ما جرت به عادة القصائد
لبس انه كان يجي باردا غثا لا يسلم منه على محك النظر عشر والعشر كثر وما كان على هذه الصورة من الكلام
فانما يستعمل احيانا على التطبع لا على التكلف وهو وامثاله لا يحسن الا اذا كان يسيرا كالرقم في الثوب
او الشيء في الخد • النوع الثلاثون في السرقات الشعرية ولربما اعترض معترض في هذا
الموضع فقال قد تقدم ذكر السرقات الشعرية في اول الكتاب وهو اخذ الناثر من الناظم والناظم من
الناظم فلم يكن الى ذكر السرقات الشعرية اذن حاجة ولو انعم هذا المعترض نظره لظهر له الفرق وعلم ان نثر
الشعر لم يعرض فيه الى وجوه المآخذ وكيفية التوصل الى مداخل السرقات وهذا النوع تضمن ذكر ذلك مفصلا
واعلم ان الفائدة في هذا النوع انك تعلم اين تضع يدك في اخذ المعاني فلا تستغني الا فهم الاستعارة من
الاول لكن لا ينبغي لك ان تعجل في سبك اللفظ على المعنى المسروق فتنادي على نفسك بالسرقة فكثيرا ما رأينا
متعجلا في ذلك فعثر • والاصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والاختفا بحيث لا يوقف لك اخفى مسلك
الغراب • وقد ذهب طائفة من العلماء الى انه ليس لقائل ان يقول ان لاحد من المتاخرين معنى مبتدعا فان
قول الشعر قد تمهد بنطق اللغة العربية وانه لم يبق معنى من المعاني الا وقد طرق مرارا وهذا القول وان
دخل في حيز الامكان الا انه لا يلتفت اليه لان الشعر من الامور المتناقله والذي نقلته الاحمار وتوارثت عليه
ان العرب كانت نظم المقاطيع من الابيات فيما تعن لها من الحاجات ولم يزل الحال على هذه الصورة الى عهد امرء القيس
وهو قبل الاسلام بمائة سنة زائدا فما قصدا فقصد القصائد وهو اول من قصد ولم يذكر له معنى اختص به سوى انه
اول من قصد القصائد لكان في ذلك كفاية فاي فضيلة اكبر من هذه الفضيلة ثم تتابع المقصدون واختر من القصائد
تلك السبع التي علقت على البيت وانفتح للشعراء هذا الباب في القصد وكثرت المعاني المقولة سيما ولم يزل
الامر ينمي ويزيد ونوتي بالمعاني الغريبة واستمر ذلك الى عهد الدولة العباسية وما بعدها الى الدولة الحمدانية
فعظم الشعر وكثرت اساليبه وشعبت طرقه وكان ختامه على الملة المتاخرين وهم ابو تمام حبيب اوس
وابو عباده الوليد عبد المحتر وابو الطيب المتنبي واذا قيل ان المعاني المبتدعة سبق اليها ولم يبق معنى
مبتدع هو رص ذلك بما ذكرته والصحيح ان باب الابتداع للمعاني مفتوح الى يوم القيمه ومن الدي يحجر على الخواطر وهي
قوة فذة مما لا نهاية له الا ان من المعاني ما يتساوى الشعراء فيه ولا يطلق عليه اسم الابتداع للاول قبل اخر لان الخاطر
ما ادى به من غير احتياج الى اتباع الاخر للاول كقولهم في الغزل عفت الديار وما عفت آثار من القلوب وكقولهم ان اللطف
لموجود مما يخبر به صاحبه وان الواشي لو علم مقدار اللطف لشناه وكقولهم في المدح ان عطاه كالبحر وكالسحاب وانه
لا يمنع عطاء اليوم عطاء غد وانه يجود ابتداء من غير مسالة واشباه ذلك وكقولهم في الرثاء ان هذا الوزء اول

حادث

حادث وانا استوى فيه الاباعد والاقارب وان الداهب لم يكن واحدا وانما كان قبيلا وان بعد هذا الذاهب
لا بعد للمنية دنبت واشباه ذلك وكذلك يجري الامر في غير ما اشرت اليه من معان ظاهرة تتوارد عليها
من غير كلفه وتستوي في ايرادها ومثل ذلك لا يطلق على الاخر فيه اسم السرقه من الاول وانما يطلق اسم
السرقه في معنى مخصوص كقولك الى تمام •
لا تنكروا صعدي له مردونه • مثلا سرودا في الندى والباس •
فالله قد ضرب الاقل لنوءه • مثلا من المشكاه والنبراس •
فان هذا معنى مخصوص ابتدعه ابو تمام وكان لابتداعه سبب والحكاية فيه مشهورة • وهي انه لما انشد
احمد المعتصم قصيدته السينية التي مطلعها • ما في وقوفك ساعة من باس • انتهى الى قوله
اقدام عمرو في سماحة حاتم • في حلم احنف في ذكاء اياس • فقال الحكم وائي مخزف في تشبيه امير المومنين
باجلاف العرب فاطرق ابو تمام ثم انشد هذين البيتين معتذرا عن تشبيهه اياه بعمرو وحاتم واياس وهذا
معنى شهد به الحال انا ابتدعه فرأى من بعده تهذا المعنى فانه كوسا رقاله وكذلك ورد قول الطف
المعنى في عضد الدوله وولديه فانه قال

وانت الشمس تبهر كل عين • فكيف وقد بدت معها اثنتان •
فعاشا عيشة القمرين يحيا • بضوء هما ولا يتحاسدان •
ولا ملكا سوى ملك الاعادي • ولا وزنا سوى مرتقبان •
وكان ابنا عدو كاثراه • ثنائي حروف ابنيتيان •

وهذا المعنى لابي الطيب وهو الذي ابتدعه اي ان زيادة اولاد عدو له كزيادة المصغر فانها زيادة
نقص وما ينبغي ان نقال ان ابن الرومي ابتدع هذا المعنى الذي هو
تشكي المحبت وتلقي الدهر ساكبة • كالقوس تعطي الرمايا وهي مرنان • فان علماء البيان يزعمون ان
هذا معنى مبتدع لابن الرومي وليس كذلك لكنه ماخوذ من المثل المضروب وهو قولهم بليد يغني وبصر
ذلك لمن يبدا بالاذى ثم يشكو وانما ابن الرومي قد ابتدع معاني اخر غير ما ذكرته وليس الغرض ان يوتى على
جميع ما جاء به هو ولا غيره من المعاني المبتدعه بل الغرض ان يبين المعنى المبتدع من غيره والذي عندي في
السرقات انه متى اورد الاخر شيا من الفاظ الاول في معنى من المعاني ولو لفظه واحده فان ذلك من اول الدليل
على سرقته • واعلم ان علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية واكثروا واوكلت القلب فيها كتابا
وقسمته ثلثة اقسام وهي نسخ وسلخ ومسخ • اما النسخ فهو اخذ اللفظ والمعنى من متقدم من غير زيادة
عليه ماخوذ اذلك من نسخ الكتاب واما السلخ فهو اخذ بعض المعنى ماخوذ اذلك من سلخ الجلد الذي هو
بعض الجسم المسلوخ واما المسخ فهو احاله المعنى الى ما دونه ماخوذ اذلك من مسخ الادميين قردة
وههنا قسمان اخران اخللت بذكرهما في الكتاب الذي الفته فاحدهما اخذ المعنى مع الزيادة عليه والاخر
عكس المعنى الى ضده وهذان القسمان ليسا بنسخ ولا سلخ ولا مسخ وكل قسم من هذه الاقسام يتنوع
وتتفرع ويخرج به القسمة الى مسالك دقيقه وقد استنفدت ما فاتني من ذلك في هذا الكتاب والله الموفق
للصواب • ومن المعلوم ان السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها الا لحفظ الاشعار الكثيرة التي لا تحصر عدد

الخواطر

فمن رام الاخذ بنواصيها والاشتمال على قواصيها بان يتصفح الاشعار تصفحا ويقشع تاملها ناظرا فانه لا
يظفر منها الا بالحواشي والاطراف • وكنت سافرت الى الشام في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ودخلت مدينة
دمشق فوجدت جماعة من ادبائها يلهجون ببيت من شعر ابن الخياط في قصيدة له اولها •
خذوا من صبا نجد امانا لقلبه • ويزعمون انه من المعاني الغريبة وهو •
اغار اذا انست في الحي انة • حذارا عليه ان يكون لحبه • فقلت لهم هذا ماخوذ من شعر ابي الطيب المتنبي
في قوله • لو قلت للدنف المشوق فديته • مما به لاعزته بفدائه • وقول ابي الطيب ادق معنى
وان كان قول ابن الخياط ارق لفظا ثم اني وفقتهم على مواضع كثيرة من شعر ابن الخياط وقد اخذها من شعر
المتنبي • وسافرت الى الديار المصرية في سنة ست وتسعين وخمسمائة فوجدت اهلها يعجبون ببيت من الشعر
يعزونه الى شاعر من اهل اليمن يقال له عمارة وكان حديث عهد بزماننا هذا في اخر الدولة العلوية بمصر وذلك
البيت من جملة قصيدة له يمدح بها بعض خلفائها عند قدومه عليه من اليمن وهو •
فهل درى البيت اني عند فرقته • ما سرت من حرم الا الى حرم • فقلت لهم هذا البيت ماخوذ من شعر
ابي تمام في قوله مادحا بعض الخلفا في حجة حجها وذلك بيت من جملة ابيات حسنة • فقال
يا من راى حرما يسري الى حرم • طوبى لمستلم ياتي وملتزم • ثم قلت في نفسي يا لله للعجب ليس ابو تمام
وابو الطيب من الشعراء الذين درست اشعارهم ولا هما ممن لم يعرف ولا اشتهر امره بل هما كما يقال اشهر
من الشمس والقمر وشعرهما دائر في ايدي الناس بخلاف غيرهما فكيف خفي على اهل مصر ودمشق بيتا ابن
الخياط وعمارة الماخوذان من شعرهما وعلمت ح ان سبب ذلك عدم الحفظ للاشعار والافتتاح بالنظر في
دواوينها ولما نصبت نفسي للخوض في علم البيان ورمت ان اكون معدودا من علمائه علمت ان هذه الدرجة
لا تنال الا بنقل ما في الكتب الى الصدور والاكتفاء بالمحفوظ عن المسطور •
ليس بعلم ما حوى القمطر • ما العلم الا ما حواه الصدر • ولقد وقفت من الشعر على ديوان ومجموع وانفدت
شطرا من العمر في المحفوظ منه والمسموع • فالفيته بحرا لا يوقف على ساحله • وكيف ينتهي الى احصاء قول لم يحص اسماء
قائله • فعند ذلك اقتصرت منه على ما يكثر فوائده • ويتشعب مقاصده • ولم اكن ممن اخذ بالتقليد والتسليم في اتباع
من قصر نظره على الشعر القديم • اذ المراد من الشعر انما هو ابداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل واللطيف • فمتى وجد ذلك
فكل مكان ختمت فيه فهو نائل • ولقد اكتفيت في هذا بشعر ابي تمام حبيب بن اوس وابي عبادة الوليد بن عبيد وابي
الطيب احمد بن الحسين المتنبي وهؤلاء الثلثة هم لات الشعر وعزاته ومناته • الذين ظهرت على ايديهم حسناته ومستحسناته
وقد حوت اشعارهم غرابة المحدثين الى فصاحة القدماء • وجمعت بين الامثال السائرة وحكمة الحكماء • اما ابو تمام فانه
رب معان وصيقل الباب واذهان • وقد شهد له بكل معنى مبتكر • لم يمش فيه على اثر • فهو غير مدافع عن مقام الاعراب
الذي برز فيه على الاضراب • ولقد مارست من الشعر كل اول واخير • ولم اقل ما اقوله فيه الا عن تنقيب وتنقير • فمن
حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه • وراض فكره برائضه • اطاعته اعنة الكلام • وكان قوله في البلاغة ما قالت حذام •
فخذ مني في ذلك قول حكيم • وتعلم ففوق كل ذي علم عليم • واما ابو عبادة البحتري فانه احسن من سبك اللفظ على المعنى
واراد ان يشعر فغنى • وقد جاز طرفي الرقة والجزالة على الاطلاق • فبينا يكون في سطف نجد حتى يتشبب ريف
العراق • وسئل ابو الطيب عنه وعن ابي تمام وعن نفسه فقال انا وابو تمام حكيمان والشاعر البحتري • ولعمري انه

انصف

انصف في حكمه • واغرب بقوله هذا عن مثابة علمه • فان ابا عبادة اتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة
الصما • في اللفظ المصوغ من سلاسة الما • فادرك بذلك بعد المرام • مع قربه الى الافهام • وما اقول الا انه
اتى في معانيه باخلاط الغالية • ورقى ديباجة لفظه الى الدرجة العالية • واما ابو الطيب المتنبي فانه اراد
ان يسلك مسلك ابي تمام فقصرت عنه خطاه • ولم يعطه الشعر من قياده ما اعطاه • لكن حظي في شعره بالحكم
والامثال • واختص بالابداع في وصف مواقف القتال • وانما اقول قولا لست فيه متاثما • ولا منه متلثما • وذلك
انه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه امضى من نصالها • واشجع من ابطالها • وقامت اقواله للسامع مقام افعالها
حتى يظن الفريقين قد تقاتلا • والسلاحين قد تواصلا • وطريقه في ذلك يضل سالكه • ويقوم بعذر باركه • ولا شك انه
قد كان يشهد الحروب مع سيف الدولة ابن حمدان فتصف لسانه • ما ادعاه اليه عيانه • ومع هذا فاني رايت
الناس عادلين فيه عن سنن التوسط • فاما مفرط في وصفه واما مفرط • وهو ان انفرد بطريق صار ابا عذره • فان
سعادة الرجل كانت اكثر من شعره • وعلى الحقيقة فانه خاتم الشعراء • ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق
الاطرا • ولقد صدق في قوله من ابيات يمدح بها سيف الدولة •
لا تطلبن كريما بعد رقبته • ان الكرام باسخاهم يدا ختموا •
ولا تنال بشعر بعد شاعره • قد افسد القول حتى احمد الصمم •
ولما تاملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى • وعين المعرفة التي ما ضل صاحبها وما غوى • وجدته اقساما
خمسة • خمس منه في الغاية التي انفرد بها دون غيره • وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه غيره • وخمس من متوسط
الشعر • وخمس دون ذلك • وخمس في الغاية المتقهقرة التي لا يعبا بها • وعدمها خير من وجودها • ولو لم يقلها ابو الطيب
لوقاه الله شرها فانها هي التي البسته لباس الملام • وجعلت عرضه شارة لسهام الاقوام • ولسائل هاهنا ان يسال
ويقول لم عدلت الى شعر هؤلاء الثلثة دون غيرهم فاقول اني لم اعدل اليهم اتفاقا وانما عدلت نظرا وذلك اني
وقفت على اشعار الشعراء قديمها وحديثها حتى لم يبق ديوان لشاعر مفلق يثبت شعره على المحك الا وعرضته على
نظري فلم اجد اجمع من ديوان ابي تمام وابي الطيب للمعاني الدقيقة ولا اكثر استخراجا منهما للطيف الاغراض والمقاصد
ولم اجد احسن تهذيبا للالفاظ من ابي عبادة ولا انفس ديباجة ولا ابهج سبكا فاخترت ح دواوينهم لاشتمالها
على محاسن الطرفين من المعاني والالفاظ ولما حفظتها الغيت ما سواها مع ما بقي على خاطري من غيرها وقد اوردت
في هذا الموضع من السرقات الشعرية ما لم يورده غيري ونبهت على غوامض منها وكنت قدمت القول في قسمتها
الى خمسة اقسام منها الثلثة الاول وهي النسخ والسلخ والمسخ ومنها القسمان الاخران وهاهنا ابين ما ينقسم
اليه هذه الاقسام في تشعبها وتفريعها فاقول اما النسخ فانه لا يكون الا في اخذ المعنى واللفظ جميعا
او في اخذ المعنى واكثر اللفظ لانه ماخوذ من نسخ الكتاب وعلى ذلك فانه ضربان الاول سيما وقوع الحافر على الحافر
كقول امرئ القيس • وقوفا بها صحبي على مطيهم • يقولون لا تهلك اسى وتجمل • وقال طرفة
ابن العبد • وقوفا بها صحبي على مطيهم • يقولون لا تهلك اسى وتجلد • وقد اكثر الفرزدق وجرير
من هذا في شعرهما فمنه ما ورد فيه مورد امرئ القيس وطرفة بن العبد في تخالفهما في لفظة واحدة كقول الفرزدق
اتعدل احسابا لئاما حماتها • باحسابنا اني الى الله راجع • وكقول جرير •
اتعدل احسابا كراما حماتها • باحسابكم اني الى الله راجع • ومنه ما تساويا فيه لفظا بلفظ كقول الفرزدق

وغرّ قد وسقت مسهرات • طوالع لا تطيق لها جوابا •
بكل ثنية وبكل ثغر • عرانيهن ينتسب انتسابا •
تلعن الشمس حيث تكون شرقا • ومسقط راسها من حيث غابا •

وكذلك قال جرير من غير ان يزيد • وقد حكي ان امراة من عقيل يقال لها ليلى كانت تتحدث اليها الشباب فدخل الفرزدق اليها وجعل يحادثها واقبل فتى من قومها كانت تالفه فدخل اليها فاقبلت عليه وتركت الفرزدق فغاظه ذلك فقال للفتى تصارعني فقال ذاك اليك فقام اليه فلم يلبث ان اخذ الفرزدق فصرعه وجلس على صدره فضرط فوثب الفتى عنه وقال يا ابا فراس هذا مقام العائذ بك والله ما اردت ما جرى فقال ويحك والله ما بي انك صرعتني ولكن كاني بابن الاتان يعني جريرا وقد بلغه خبري فقال يهجوني

جلست الى ليلى لتحظى بقربها • فخانك دبر لا يزال خؤون •
فلو كنت ذا حزم شددت وكاءه • كما شد حرباء الدلاص قيون •

قال فوالله ما مضى الا ايام حتى بلغ جريرا الخبر فقال فيه هذين البيتين وهذا من اغرب ما يكون في مثل هذا الموضع واعجبه ويقال ان الفرزدق وجريرا كان ينطقان في بعض الاحوال عن ضمير واحد وهذا عندي مستبعد فان ظاهر هذا الامر يدل على خلافه والباطن لا يعلمه الا الله تعالى والا فاذا راينا شاعرا متقدم الزمان قد قال قولا سمعناه من شاعر اتى من بعده علمنا بشهادة الحال انه اخذه منه وهب ان الخواطر تتفق في استخراج المعاني الظاهرة المتداولة فكيف تتفق الالسنة ايضا في صوغ الالفاظ • ومما كنت استحسنه من شعر ابي نواس قوله من قصيدته التي اولها • دع عنك لومي فان اللوم اغراء • فقال

دارت على فتية ذل الزمان لهم • فما يصيبهم الا بما شاوا •

وهذا من عالي الشعر • ثم وقفت في كتاب الاغاني لابي الفرج على هذا البيت في اصوات معبد • وهو لهفي على فتية ذل الزمان لهم • فما اصابهم الا بما شاوا • وما اعلم كيف هذا الضرب الثاني من النسخ وهو الذي يوجد فيه المعنى واكثر اللفظ كقول بعض المتقدمين يمدح معبدا صاحب الغناء فقال اجاد طويس والسريجي بعده • وما قصبات السبق الا لمعبد • ثم قال ابو تمام محاسن اصناف المغنين جمة • وما قصبات السبق الا لمعبد • وهذه قصيدة اولها •

عدت بسحر الدمع خوف نوى غد • فقال

وقائع اصل النصر فيها وفرعه • اذا عدد الاحسان او لم يعدد •
فمهما تكن من وقعة بعد لا تكن • سوى حسن مما فعلت مردد •

محاسن اصناف المغنين جمة • البيت • واما السلخ فانه ينقسم الى اثني عشر ضربا وهذا تقسيم اوجبته القسمة واذا تاملته علمت انه لم يبق شي خارج عنه • فالاول ان يوجد المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو اياه وهذا من ادق السرقات مذهبا واحسنها صورة ولا ياتي الا قليلا • ومن ذلك قول بعض شعراء الحماسة • لقد زادني حبا لنفسي انني • بغيض الى كل امرئ غير طائل • اخذ المتنبي هذا المعنى واستخرج منه معنى اخر الا انه شبه به فقال • واذا اتتك مذمتي من ناقص • فهي الشهادة لي باني فاضل • والمعرفة بان هذا المعنى اصله من ذلك المعنى عسر غامض وهو غير مبين الا لمن اعرق في ممارسة الاشعار وغاص في استخراج المعاني وبيانه ان الاول يقول ان بعض الذي هو غير طائل اياي مما زاد نفسي حبا الي اي جعلها في

عيني

عيني وحسنها عندي كون الذي هو غير طائل مبغضي والمتنبي يقول ان ذم الناقص اياي شاهد بفضلي فذم الناقص اياه كبغض الذي هو غير طائل ذلك الرجل وشهادة ذم الناقص اياه بفضله كتحسين بغض الذي هو غير طائل نفس ذلك الرجل عنده ومن هذا الضرب ما هو اظهر مما ذكرته وابين كقول ابي تمام •

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة • رعاها وماء الروض ينهل ساكبه • اخذ البحتري هذا المعنى واستخرج منه ما يشابهه كقوله في قصيدة يفخر فيها بقومه •

شيخان قد ثقل السلاح عليهما • وعداهما راي السميع المبصر •
ركبا القنا من بعد ما حملا القنا • في عسكر متحامل في عسكر •

فابو تمام ذكر ان الحمل رعا الارض ثم سار فيها فرعته اي اهزلته فكانها فعلت به مثل ما فعل بها والبحتري نقل هذا الى وصف الرجل بعلو السن والهرم فقال انه كان يحمل الرمح في القتال ثم صار يركب عليه اي يتوكا منه على عصا كما يفعل الشيخ الكبير • وكذلك ورد قول الرجلين ايضا فقال ابو تمام •

لا اظلم النأي قد كانت خلائقها • من قبل وشك النوى عندي نوى قذفا • اخذه البحتري فقال

اعاتك ما كان الشباب مقربي • اليك فالحي الشيب اذ هو مبعدي • وهذا اوضح من الذي قبله واكثر بيانا

الضرب الثاني من السلخ ان يوجد المعنى مجردا من اللفظ وذلك مما يصعب جدا ولا يكاد ياتي الا قليلا فمنه قول عروة بن الورد من شعراء الحماسة •

ومن يك ذا عيال ومقترا • من المال يطرح نفسه كل مطرح •
ليبلغ عذرا او ينال رغيبة • ومبلغ نفس عذرها مثل منجح • اخذ ابو تمام هذا المعنى فقال

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة • تقوم مقام النصر اذ فاته النصر • فعروة بن الورد جعل اجتهاده في طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح وابو تمام جعل الموت في الحرب الذي عليه اجتهاد المجتهد في لقاء العدو قائما مقام الانتصار وكلا المعنيين واحد غير ان اللفظ مختلف وهذا الضرب في السرقات من اشكلها وادقها واغربها وابعدها مذهبا ولا يتفطن له ويستخرجه من الاشعار الا بعض الخواطر دون بعض وقد يجيء منه ما هو ظاهر لا يبلغ في الدقة مبلغ هذه الابيات المشار اليها كقول ابن المقفع في باب الرثي من كتاب الحماسة • وقد جر نفعا فقدنا لك اننا • امنا على كل الرزايا من الجزع • وقد جاء بعده من اخذ هذا المعنى فقال وقد عزى ربيعة ان يوما • عليها مثل يومك لا يعود • وهذا من البديع النادر ومنها ما هو اشد ظهورا من هذين البيتين في هذا الضرب من السرقات الشعرية ياتي في الالفاظ المترادفة التي يقوم بعضها مقام بعض وذلك لا اعتداد به لمكان وضوحه لكن قد يجيء منه ما هو صفة من صفات الترادف لا الاسم نفسه فيكون حسنا كقول جرير • ولا يمنعك من ازن لحاهم • سواء ذو العمامة والخمار • اخذ ابو الطيب هذا المعنى فقال • ومن في كفه منهم قناة • كمن في كفه منهم خضاب • الضرب الثالث من السلخ وهو اخذ المعنى وتسيير من اللفظ وذلك من قبح السرقات واظهرها شناعة على السارق • ومن ذلك قول البحتري في غلام • فوق ضعف الصغير ان وكل الامر اليه ودون كيد الكبار • سبقه ابو نواس فقال • لم يخف من كبر عما يراد به • من الامور ولا ازرى به الصغر • وكذلك قوله ايضا •

كل عيد له انقضاء وكفى • كل يوم من جوده في عيد • اخذه من علي بن جبلة فقال

للعيد يوم من الايام منتظر • والناس في كل يوم منك في عيد • وكذلك قوله ايضا •
جاد حتى افنى السوال فلما • بادمنا السوءال جاد ابتداء • اخذه من علي بن جبلة في قوله
اعطيت حتى لم تدع لك سائلا • وبدأت اذ قطع العفاة سوالها • وقد افتضح البحتري في هذا الماخذ غاية
هذا على بسطة باعه في الشعر وغناه عن مثلها وقد سلك هذه الطريق فحول الشعر او لم يستنكفوا من سلوكها •
فممن فعل ذلك ابو تمام فانه قال قد قلصت شفتاه من حفيظته • فخيل من شدة التعبيس مبتسما
سبقه عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن فقال
واذا شئت ان ترى الموت في • صورة ليث في لبدتي رئبال •
فالقه غير انما لبدتاه • ابيض صارم واسمر عالي •
تلق ليثا قد قلصت شفتاه • فترى ضاحكا لعبس الصيال • وكذلك قول
ابي تمام • ولم امدحك تفخيما لشعري • ولكني مدحت بك المديحا • اخذه من حسان بن ثابت
في مدحه النبي صلعم حيث قال ما ان مدحت محمدا بمقالتي • لكن مدحت مقالتي بمحمد • ولا شك ان ابا بكر رض
سمع قول حسان حين استحلف عمر رض فقال له عمر استحلف غيري فقال ابو بكر ما حبوناك بها ولكن حبوناها
بك وهكذا فعل ابن الرومي • فمما جاء له قوله • جرحته العيون فاقتص منها • بجوى في القلوب دامي الندوب •
سبقه ابو تمام فقال ادميت باللحظات وجنته • فاقتص ناظره من القلب • وكذلك قال ابن الرومي
وكلت مجدك في اقتضائك حاجتي • وكفى به متقاضيا ووكيلا • سبقه ابو تمام فقال
واذا المجد كان عوني على المرء • تقاضيته بترك التقاضي • وكذلك قال ابن الرومي ايضا •
ومالي عزاء عن شبابي علمته • سوى انني من بعده لا اخلد • سبقه منصور النمري فقال
قد كدت اقضي على فوت الشباب اسى • لولا تعزي ان العيش منقطع • وكذلك ابو الطيب المتنبي فمما جاء منه
قوله • فدى نفسه بضمان النضار • واعطى صدور القنا الذابل • اخذه من الفرزدق حيث قال
كان الفداء له صدور رماحنا • والخيل اذ رهج الغبار مثار • وكذلك قوله
اين ازمعت ايهذا الهمام • نحن بنت الربى وانت الغمام • اخذه من قول بشار حيث قال
كان الناس حين تغيب عنهم • نبات الارض اخطاءه القطار • وكذلك قوله
فلا زالت ديارك مشرفات • ولا دانيت يا شمس الغروبا •
لاصبح آمنا فيك الرزايا • كما انا آمن فيك العيوبا • اخذه من قول ابن الرومي
حيث قال اسالم قد سلمت من العيوب • الا فاسلم كذاك من الخطوب • والذي عندي في الضرب
المشار اليه انه لا بد من مخالفة المتاخر المتقدم اما بان ياخذ المعنى فيزيده معنى او ياخذ في لفظه او يكسوه عبارة
احسن من عبارته ومن هذا الضرب ما يستعمل على وجه يزداد قبحه ويكثر الشناعة به وهو ان ياخذ احد الشاعرين
معنى من قصيدة لصاحبه على وزن وقافية فيودعه قصيدة له على ذلك الوزن وتلك القافية ومثاله في ذلك
كمن سرق جوهرة من طوق او نطاق ثم صاغها في مثل ما سرقها منه والاولى به ان كان نظم تلك الجوهرة في
عقد او صاغها في سوار او خلخال ليكون اكتم لامرها • وممن فعل ذلك من الشعراء فافتضح ابو الطيب المتنبي
حيث قال في قصيدته التي اولها • غيري باكثر هذا الناس ينخدع • فقال

لم

لم يسلم الكر في الاعقاب مهجته • ان كان اسلمها الاصحاب والشيع • وهذه القصيدة موضوعة
لابي تمام في وزنها وقافيتها • واولها اي القلوب عليكم ليس تنصدع • وهذا المعنى الذي اورده ابو الطيب
ماخوذ من بيت منها وهو • ما غاب منك من الاقدام اكرمه • في الروع اذ غابت الانصار والشيع • وليس في
السرقات الشعرية اقبح من هذه السرقة فانه لم يكتف الشاعر فيها بان يسرق المعنى حتى ينادي على نفسه انه
قد سرقه • الضرب الرابع من السلخ وهو ان يوخذ المعنى فيعكس وذلك حسن يكاد يخرجه حسنه
عن حد السرقة • فمن ذلك قول ابي نواس
قالوا عشقت صغيرة فاجبتهم • اشهى المطي الي ما لم يركب •
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة • نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب • فقال مسلم بن الوليد
في عكس ذلك • ان المطية لا يلذ ركوبها • حتى تذلل بالزمام وتركبا •
والحب ليس بنافع اربابه • حتى يفصل في النظام وتثقبا • ومن هذا الباب
قول جعفر • ولما بدا لي انها لا تريدني • وان هواها ليس عني بمنجلي •
تمنيت ان يهوى سواي لعلها • تذوق صبابات الهوى فترق لي •
وقال غيره • ولقد سرني صدودك عني • في طلابيك وامتناعك مني •
حذرا ان اكون مفتاح غيري • واذا ما خلوت كنت التمني • اما ابن جعفر فانه
تدايث والقى عن منكبيه رداء الغيرة واما الآخر فجاء بالضد من ذلك وبعلى غاية العلو • وكذلك ورد قول ابي
الشيص • اجد الملامة في هواك لذيذة • شغفا بذكرك فلتلمني اللوم • اخذ ابو الطيب هذا
المعنى وعكسه فقال • احبه واحب فيه ملامة • ان الملامة فيه من اعدائه • وهذا من السرقات الخفية
جدا وليس يسمى ابتداعا اولى من ان يسمى سرقة وقد توخيته في شيء من شعري فجاء حسنا • فمن ذلك قولي
لولا الكرام وما سنوه من كرم • لم يدر قائل شعر كيف يمتدح • اخذته من قول ابي تمام •
ولولا خلال سنها الشعر ما درى • بغاة الندى من اين تؤتى المكارم • الضرب الخامس من السلخ
وهو ان يوخذ بعض المعنى فمن ذلك قول امية بن ابي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان •
عطاؤك زين لامرئ ان حبوته • ببذل وما كل العطاء يزين •
وليس بشين لامرئ بذل وجهه • اليك كما بعض السوال يشين • اخذه ابو تمام
فقال • تدعى عطاياه وفرا وهي ان شهرت • كانت فخارا لمن يعفوه موتنفا •
ما زلت منتظرا اعجوبة زمنا • حتى رايت سوالا يجتني شرفا • فامية بن ابي الصلت
اتى بمعنيين احدهما ان عطاءك زين والآخر ان عطاء غيرك شين واما ابو تمام فانه اتى بالمعنى الاول لا غير
ومن هذا الضرب قول علي بن جبلة • واثل ما لم يحوه متقدم • وان نال منه آخر فهو تابع • فقال ابو الطيب المتنبي
ترفع عن عون المكارم قدره • فما يفعل الفعلات الا عذاريا • فعلي بن جبلة اشتمل ما قاله على معنيين
احدهما انه فعل ما لم يفعله احد ممن تقدمه وان نال الآخر منه شيئا فانما هو مقتد به وتابع له واما ابو الطيب المتنبي
فانه لم يات الا بالمعنى الواحد وهو انه لا يفعل ما يفعله غيره غير انه ابرزه في صورة حسنة • ومن ذلك قول ابي
تمام • كلف برب المجد يعلم انه • لا يبتدي عرف اذا لم يتمم • فقال البحتري •

ومثلك ان ابدى الفعال اعادة • وان صنع المعروف زاد وتمما • فابو تمام قال ان الممدوح يرب صنيعه
اى يستديمه ويعلم انه اذا لم يستديمه فما ابتداه والبحترى قال انه يستديم صنيعه لا غير وذلك بعض ما ذكره
ابو تمام وكذلك قال البحترى • ادفع بامثال ابى غالب • عادية العدم او استعفف • اخذه ممن تقدمه
حيث قال • انتجع الفضل او تخل عن الدنيا • فهاتان غاية الهمم • فالبحترى اخذ بعض هذا
المعنى ولم يستوفه وكذلك ورد قول ابن الرومى • نزلتم على هام المعالى اذا ارتقى • اليها اناس غيركم بالسلالم •
اخذه المتنبى فقال • فوق السماء وفوق ما طلبوا • فاذا ارادوا غاية نزلوا • وهذا بعض المعنى الذى
تضمنه قول ابن الرومى لانه قال انكم نزلتم على هام المعالى وان غيركم يرقا اليها رقيا واما المتنبى فانه قال
انكم اذا اردتم غاية نزلتم واما قوله فوق السماء فانه يغنى عنه قول ابن الرومى نزلتم على هام المعالى اذ المعالى
فوق كل شى لانها مختصة بالعلو مطلقا • الضرب السادس من السلخ وهو ان يوخذ المعنى فيزاد عليه معنى
اخر فمما جاء منه قول الاخنس بن شهاب •
اذا قصرت اسيافنا كان وصلها • خطانا الى اعدائنا فنضارب • اخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه وهو قوله
ان قصر الرمح لم يمش الخطا عددا • او غرد السيف لم يهمم بتغريد • وكذلك ورد قول جرير فى وصف
ابيات له فقال • غرائب الاف اذا خان وردها • اجدت طريقا للقصائد معلما • اخذه ابو تمام فزاد
عليه اذ قال فى وصف قصيدة له وقرن ذلك بالممدوح
غرائب لاقت فى فنائك انسها • من المجد فهى الان غير غرائب • وكذلك ورد قول ولد مسلم بن عبد الملك
اذل الحيوة وكره الممات • وكلا اراه طعاما وبيلا •
فان لم يكن غير احداهما • فسير الى الموت سيرا جميلا • اخذه ابو تمام
فقال • مثل الموت بين عينيه والذل • وكلا راه خطبا عظيما •
ثم سارت به الحمية قدما • فامات العدى ومات كريما • فزاد بقوله فامات
العدى ومات كريما ويقال انه نظر عبد الله بن على رض عند قتال المروانية الى فتى عليه ابهة الشرف وهو يبلى
فى القتال بلاء حسنا فناداه يا فتى لك الامان ولو كنت مروان بن محمد فقال الا اكن هو فلست دونه
قال فلك الامان ولو كنت من كنت فاطرق ثم تمثل بهذين البيتين المذكورين • وكذلك ورد قول ابى تمام
تصد عن الدنيا اذا عن سودد • ولو برزت فى زى عذراء ناهد • اخذه من قول المعدل بن غيلان •
ولست بنظار الى جانب الغنى • اذا كانت العليا فى جانب الفقر • الا انه زاده زيادة حسنة بقوله
ولو برزت فى زى عذراء ناهد • ومما يجرى هذا المجرى قول البحترى
خل عنا فانما انت فينا • واو عمرو او كالحديث المعاد • اخذه من قول ابى نواس
قل لمن يدعى سليمى سفاها • لست منها ولا قلامة ظفر •
انما انت ملصق مثل واو • الحقت فى الهجا ظلما بعمرو • الا ان البحترى زاد على ابى
نواس فى قوله او كالحديث المعاد وهكذا ورد قول البحترى ايضا •
ركبوا الفرات الى الفرات واملوا • جدلان يبدع فى السماح ويعرب • اخذه من مسلم بن الوليد فى قوله
ركبت اليه البحر فى ماخراته • فاوفت بنا من بعد بحر الى بحر • الا ان البحترى زاد عليه بقوله جدلان يبدع

فى

فى السماح ويعرب • وكذلك ورد قول ابى نواس • وليس لله بمستنكر • ان يجمع العالم فى واحد •
وهذا البيت قد لهج به الناس كثيرا ومنهم من ظنه مبتدعا لابى نواس • ويحكى عن ابى تمام انه دخل على ابن ابى
دواد فقال له احسبك عاتبا ابا تمام فقال انما تعتب على واحد وانت الناس كلهم قال من اين هذه يا ابا تمام
قال من قول الحاذق ابى نواس وانشده البيت وهذه الحكاية عندى موضوعة لان ابا تمام كان عارفا بالشعر
حتى انه قال لم انظم شعرا حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء خاصة دون الرجال وما كان يخفى عنه ان
هذا المعنى ليس لابى نواس وانما هو ماخوذ من قول جرير
اذا غضبت عليك بنو تميم • حسبت الناس كلهم غضابا • الا ان ابا نواس زاده زيادة حسنة
وذلك ان جريرا جعل الناس كلهم بنى تميم وابا نواس جعل العالم كله فى واحد وذلك ابلغ ومما ينتظم بهذا
السلك قول الفرزدق • غلام يلفتين وانت تحتى • وخير الناس كلهم امامى •
متى ياتى الرصافة تستريحى • من الانساع والدبر الدوامى • اخذه ابو نواس فصار
املك به واحسن غاية الاحسان فقال • واذا المطى بنا بلغن محمدا • فظهورهن على الرجال حرام •
فالفرزدق قال تستريحى من الانساع والدبر الدوامى وليست استراحتها بمانعة من معاودة اتعابها مرة اخرى
واما ابو نواس فانه حرم ظهورهن على الرجال اى انها تعفى من السفر اعفاء مستمرا ولا شك ان ابا نواس لم ينتبه
لهذه الزيادة الا من فعل العرب فى السائبة والبحيرة وعلى هذا الاسلوب ورد قول المتنبى •
وملمومة زرد ثوبها • ولكنه بالقنا مخمل • اخذه من ابى نواس فى قوله •
امام خميس ارجوان كانه • قميص محوك من قنا وجياد • فزاد ابو الطيب زيادة صار بها احق من ابى نواس بهذا
المعنى وكذلك قال ابو الطيب المتنبى • وان جاد قبلك قوم مضوا • فانك فى الكرم الاول • فاخذته
انا وزدت عليه فقلت • انت فى الجود اول وقضى الله بان • لا يرى لك الدهر ثانى • وهذا النوع من السرقات
قليل الوقوع بالنسبة الى غيره • الضرب السابع من السلخ وهو ان يوخذ المعنى فيكسى عبارة احسن من
العبارة الاولى وهذا هو المحمود الذى يخرج به حسنه عن باب السرقة • ومن ذلك قول ابى تمام
جذلان من ظفر حران قد رجعت • مخضوبة منكم اظفاره بدم • اخذه البحترى فقال
اذا اجتربت يوما ففاضت دماوها • تذكرت القربى ففاضت دموعها • ومن هذا الاسلوب قولهما ايضا فقال
ابو تمام • ان الكرام كثير فى البلاد وان • قلوا كما غيرهم قل وان كثروا • وقال البحترى •
قل الكرام فصار يكثر فذهم • ولقد يقل الشى حتى يكثرا • وعلى هذا النحو ورد قول ابى نواس
يدل على ما فى الضمير من الفتى • تقلب عينيه الى شخص من يهوى • اخذه ابو الطيب فقال
واذا خامر الهوى قلب صب • فعليه لكل عين دليل • ومما ينتظم فى هذا السلك قول ابى الطيب المتنبى
اذا ما ازددت من بعد التناهى • فقد وقع انتقاصى فى ازديادى • اخذه من ابن نباتة السعدى فقال
اذا كان نقصان الفتى فى تمامه • فكل صحيح فى الزمان عليل • وكذلك ورد قول ابى العلاء سليمان المعرى
فى مرثية • وما كلفة البدر المنير قديمة • ولكنها فى وجهه اثر اللطم • اخذه من الشاعر المعروف بالقيسرانى
فقال • واهوى الذى يهوى له البدر ساجدا • الست ترى فى وجهه اثر الترب • وكذلك قال ابن الرومى
اذا شنئت عين امرئ شين نفسه • فعين سواه بالشناة اجدر • اخذه من تاخر زمانه عنه فقال

اذا كان شيني بغيضًا الي فكيف يكون لها حبيبا • ومما ينخرط في هذا السلك قول بعضهم
ومحضرة الاوساط زانت عقودها • باحسن مما زينتها عقودها • اخذه ابو تمام فقال
كان عليها كل عقد ملاحة • وحسنًا وان اضحت وامست بلا عقد • ثم اخذه البحتري فقال
اذا اطفا الياقوت اشراق وجهها • فان عنا ما توجت عقودها • وامثال هذا كثيرة وفيما اوردناه مقنع
الضرب الثامن من السلخ وهو ان يوخذ المعنى ويسبك سبكا موجزا وذلك من احسن السرقات لما فيه من
الدلالة على بسطة الناظم في القول وسعة باعه في البلاغة • ومن ذلك قول بشار
من راقب الناس لم يظفر بحاجته • وفاز بالطيبات الفاتك اللهج • اخذه سلم الخاسر وكان تلميذه فقال
من راقب الناس مات همًا • وفاز باللذة الجسور • فبين البيتين لفظتان في التاليف • ومن هذا الاسلوب
قول ابي تمام برزت في طلب المعالي واحدًا • فيها بسير مغورًا او منجدا •
عجب بانك سالم في وحشة • في غاية ما زلت فيها مفردا • اخذه ابن الرومي
فقال غربته الخلائق الزهر في الناس • وما اوحشته بالتغريب • وكذلك ورد قول
ابي نواس وكلت بالدهر عينًا غير غافلة • من جود كفك تاسوا كلما جرحا • اخذه ابن الرومي
فقال الدهر يفسد ما استطاع واحمد • يتبع الافساد بالاصلاح • وعلى هذا ورد قول
ابن الرومي كاني استدني بك ابن حنية • اذا النزع ادناه من الصدر ابعدا • اخذه بعض شعرا
الشام وهو ابن قسيم الحموي فقال فهو كالسهم كلما زدته منك • دنوا بالنزع زادك بعدا •
ولقيت جماعة من الادباء بالشام ووجدتهم يزعمون ان ابن قسيم هو الذي ابتدع هذا المعنى وليس كذلك
وانما هو لابن الرومي • ومما يجري هذا المجرى قول ابي العتاهية •
واني لمعذور على فرط حبها • لان لها وجهًا يدل على عذري • اخذه ابو تمام فقال
له وجه اذا ابصرته ناجاك عن عذري • فاوجز في هذا المعنى غاية الايجاز • ومما يجري على هذا النهج
قول ابي تمام • كانت مسالة الركبان تخبرني • عن احمد بن سعيد اطيب الخبر •
حتى التقينا فلا والله ما سمعت • اذني باحسن مما قد راى بصري • اخذه ابو الطيب المتنبي
فاوجز حيث قال واستكبر الاخبار قبل لقائه • فلما التقينا صغر الخبر الخبر • وكذلك قولهما في موضع
اخر فقال ابو تمام • كم صارمًا عضبًا اناف على قفا • منهم لاعباء الوغى حمال •
سبق المشيب اليه حتى ابتزه • وطن النهى من مفرق وقذال • اخذه ابو الطيب فزاد
واحسن حيث قال يسابق القتل فيهم كل حادثة • فما يصيبهم موت ولا هرم • ومن هذا الضرب قول
بعض الشعراء • امن خوف فقر تعجلته • واخرت انفاق ما تجمع •
فصرت الفقير وانت الغني • وما كنت تعدو الذي تصنع • اخذه ابو الطيب المتنبي
فقال ومن ينفق الساعات في جمع ماله • مخافة فقر فالذي فعل الفقر • الضرب التاسع
من السلخ وهو ان يكون المعنى عامًا فيجعل خاصًا او خاصًا فيجعل عامًا وهو من السرقات التي يسامح صاحبها
ومن ذلك قول الاخطل • لا تنه عن خلق وتاتي مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم • اخذه ابو تمام
فقال الوم من بخلت يداه واغتدى • للبخل تربًا ساء ذاك صنيعا • وهذا من العام الذي

جعل

جعل خاصًا الا ترى ان الاول نهى عن الاتيان بما نهى عنه مطلقا وجا بالخلق منكرا فجعله سايغا واما ابو تمام
فانه خصص ذلك بالبخل وهو خلق واحد من جملة الاخلاق واما جعل الخاص عاما فكقول ابي تمام
ولو حاذرت سول عذرت لقاحها • ولكن منعت الدر والضرع حافل • اخذه ابو الطيب المتنبي فجعله
عامًا اذ يقول وما يولم الحرمان من كف حازم • كما يولم الحرمان من كف رازق • الضرب العاشر
من السلخ وهو زيادة البيان مع المساواة في المعنى وذلك بان يوخذ المعنى فيضرب له مثال يوضحه فمما
جاء منه قول ابي تمام • هو الصنع ان تعجل فتقنع وان ترث • فللريث في بعض المواضع انفع • اخذه ابو الطيب
المتنبي فاوضحه بمثال ضربه له وذاك قوله • ومن الخير بطوء سيبك عني • اسرع السحب في المسير الجهام •
وهذا من المبتدع لا من المسروق وما احسن ما اتى بهذا المعنى في المثال المناسب له وكذلك قولهما
ايضا في موضع اخر فقال ابو تمام • قد قلصت شفتاه من حفيظته • فخيل من شدة التعبيس مبتسما •
اخذه المتنبي فقال وجاهل مده في جهله ضحكي • حتى اتته يد فراسة وفم •
اذا رايت نيوب الليث بارزة • فلا تظنن ان الليث مبتسم • ومما ينخرط في هذا
السلك قول ابي تمام وكذاك لم يفرط كابة عاطل • حتى تجاوزها الزمان بحال • اخذه ابو عبادة
البحتري فقال وقد زادها افراط حسن جوارها • لاخلاق اصفار من المجد خيب •
وحسن دراري الكواكب ان ترى • طوالع في داج من الليل عيهب • فانه اتى بالمعنى
مضروبا له هذا المثال الذي اوضحه وزاده حسنا • الضرب الحادي عشر من السلخ وهو اتحاد الطريق
واختلاف المقصد ومثاله ان يسلك الشاعر طريقا واحدة فيخرج بهما الى موردين او روضتين وهناك
بيتين فضل احدهما على الاخر • فمما جاء من ذلك قول ابي تمام في مرثية لولدين صغيرين •
مجد تاوب طارقا حتى اذا • قلنا اقام الدهر اصبح راحلا •
نجمان شاء الله ان لا يطلعا • الا ارتداد الطرف حتى يافلا • يطلعان
ان الفجيعة بالرياض نواضرا • لاجل منها بالرياض ذوابلا •
لهفي على تلك الشواهد فيهما • لو امهلت حتى تكون شمائلا •
ان الهلال اذا رايت نموه • ايقنت ان سيصير بدرا كاملا •
قل للامير وان لقيت موقرا • منه بريب الحادثات جلاجلا •
ان ترز في طرفي نهار واحد • رزين هاجا لوعة وبلابلا •
فالثقل ليس مضاعفا لمطية • الا اذا ما كان وهما نازلا •
لا غرو ان فتيان من عيدانه • لقيا حماما للبرية اكلا •
ان الاسا اذا اصاب مهذب • منه اطال ذرى واث اسافلا •
سمحت خلالك ان يوسيك امرؤ • او ان يذكر ناسيا او غافلا •
الا مواعظ قادها لك سمحة • اسجاح لبك سامعا او قائلا •
لا تكلف الايدي بهز مهند • الا اذا كان الحسام الصاقلا •
وقال ابو الطيب المتنبي في مرثية لولد صغير •

فان تلك فى قبر فانك فى الحشا • وان يك طفلا فالاسى ليس بالطفل •
ومثلك لا يبكى على قدر سنه • ولكن على قدر الخيلة والاصل •
الست مر القوم الذين رماحهم • نباهم ومر قتلاهم مهجة النخل •
مولودهم صمت اللسان كغيرهم • ولكن فى اعطافه منطق الفصل •
تسليهم عليا وهم عن مصابهم • ويشغلهم كسب الثناء الشغل •
عزاء لك سيف الدوله المقتدى به • فانك نصل والشدائد للنصل •
تخون المنايا عهده فى سليله • وتنصره من الفوارس والرجل •
نفسى وليد عاد مر بطن امه لا تطرق بالحمل •
بداوله وعد السحابة بالروى • وصد وفينا غلة البلد المحل •
وقد مدت الخيل العتاق عيونها • الى وقت تبديل الرقاب من النعل •
وريع له جيش العدو وما مشى • وحاشت له الحرب الصروف وما تعلى •

فتامل ايها الناظر الى ما صنع هذان الشاعران فى هذا المقصد الواحد وكيف هام كل واحد منهما فى واد مع ائتلافهما فى بعض معانيه وسائر لك ما ائتلفا فيه وما اختلفا واذكر الفاضل من المفضول فاقول اما الذى ائتلفا فيه فان ابا تمام قال لهفى على تلك الشواهد فيها • لو امهلت حتى يكون شمائلا • واما ابو الطيب فانه قال مولودهم صمت اللسان كغيره • ولكن فى اعطافه منطق الفصل • فاتى بالمعنى الذى اتى به ابو تمام وزاد عليه بالصناعة اللفظية وهى المطابقة فى قوله صمت اللسان ومنطق الفصل • وقال ابو تمام •

بخيمان شاء الله ان لا يطلعا • الا ارتداد الطرف حتى يافلا • وقال ابو الطيب •

بداوله وعد السحابة بالروى • وصد وفينا غلة البلد المحل • فوافقه وزاد عليه بقوله وصد وفينا غلة البلد المحل لانه بين قدر حاجتهم الى وجوده واسفاعهم بحبوته • واما ما اختلفا فان ابا الطيب شعر فيه من تمام انعم وذلك ان معناه امتن من معناه وبناه احكم من بنائه وربما اكر هذا القول جماعة من المقلدين الذين يقفون مع سبهة الزمان وقدمه • لا مع فضيلة القول وتقدمه • وابو تمام وان كان اشعر عندى من ابى الطيب فان ابا الطيب اشعر منه فى هذا الموضع وبيان ذلك انه قد تقدم القول على ما ائتلفا فيه من المعنى واما الذى اختلفا فيه فان ابا الطيب قال عزاء لك سيف الدوله المقتدى به • فانك نصل والشدائد للنصل • وهذا البيت ممدوه خير مرثى الى تمام الدين هما •

ان تزر فى طرفى نهار واحد • زرتين هاجا لوعة وبلابلا •
فالثقل للنس مضاعفا لمطيته • الا اذا ما كان وهما نازلا • فان قول ابى الطيب
والشدائد للنصل اكرم لفظا ومعنى من قول ابى تمام ان الثقل انما يضاعف للبازل من المطايا وقوله انعم
لخون المنايا عهده فى سليله • ونصره من الفوارس والرجل • وهذا اشرف من مرثى الى تمام الدين هما •
لا غروان فتيان مرعيدانه • لفتيا حمامنا للبرية اكلا •
ان الاساءة اصابت مهذبا • منه اطال درى واث اسافلا • وكذلك قال

ابو الطيب — الست مر القوم الذين رماحهم • نباهم ومر قتلاهم مهجة النخل •

لنسلهم

تسليهم عليا وهم عن مصابهم • ويشغلهم كسب الثناء الشغل • وهذان خير مرثيتى
الى تمام اللذين بهما سمحت خلالك ان توشيك امرؤ • او ان تذكرنا سيا او غافلا •

الا مواعظ فاد هالك سمحة • اسجاح لبتك سامعا او قائلا • واعلم ان الفضل
بين المعنيين المتفقين ايسر خطبا من الفضل بين المعنيين المختلفين وقد ذهب قوم الى منع المفاضلة بين المعنيين
المختلفين واحتجوا على ذلك بان قالوا المفاضلة بين الكلامين لا تكون الا باشتراكهما فى المعنى فان اعتبار التالف
فى نظم الالفاظ لا يكون الا باعتبار المعانى المندرجة تحتها فاما ترتيب الكلام من استرائح المعنى حتى يعلم مواقع
النظم فى قوة ذلك المعنى وضعفه وانسياقه تلك اللفظ واضطرابه والا فكل كلام له تالف يخصه بحسب
المعنى المندرج تحته وهذا مثل قولنا العسل احلى من الخل فانه لبس فى الخل حلاوة حتى يقاس حلاوة العسل عليها
وهذا القول فاسد فانه لو كان ماذهب اليه هؤلاء من منع المفاضلة حقا لوجب ان يسقط التفرقة بين
جيد الكلام ورديه وحسنه وقبيحه وهذا محال وانما خفى عليهم ذلك لانهم لم ينظروا الى الاصل الذى تقع المفاضلة
فيه سواء اتفقت المعانى او اختلفت ومر هاهنا وقع لهم الغلط وسابر ذلك • فاقول ان المعلوم ان
الكلام لا يختص برتبة الحسن حتى تتصف الفاظه ومعانيه بوصفهما الفصاحة والبلاغة فثبت بهذا ان
النظر انما هو فى هذين الوصفين وهما الاصل فى المفاضلة بين الالفاظ والمعانى على ائتلافهما واختلافهما متى وجد فى
احد الكلامين مزية لم توز للاخر اوكانا اختص بمر الاخر حكم له بالفضل • وقرات فى كتاب الاغانى للاصفهانى فى
تفضيل الشعراء شاعر مضرم خطاء كثيرا وهو مروى عن علماء العربية لكثرة تهمر فى ذلك فان معرفة الفصاحة
والبلاغة شئ خلف معرفة النحو والاعراب • فيما وقفت عليه انه سئل ابو عمرو بن العلاء عن الاخطل فقال لو ادركته
يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه احدا وهذا تفضيل منه للاخطل لا للاشعار وقد مدحه فاحسن ولولا ان ابا عمرو عندى
بالمكان العالى لبسطت لسانى فى هذا الموضع • وسئل جرير عن نفسه وعن الفرزدق والاخطل فقال اما الفرزدق
ففى يده سعة من الشعر وهو فائض عليها واما الاخطل فاشد اجتراء وارمانا للفرائض واما انا فمدينة الشعر وهذا
القول من النفضل قول قنا عى لم يحصل منه على تحقيق لكنه اقرب حالا مما روى عن ابى عمرو بن العلاء • وسئل
الاخطل عن اشعر الناس فقال الذى اذا مدح رفع واذا هجا وضع فقيل فمن قال الاعشى قيل ثم من قال طرفه وهذا
القول فيه بعض التحقيق اذ ليس كل من رفع ممدوحه ووضع بهجاه كان اشعر الناس لان المعانى الشعرية كثيرة
والمدح والهجاء جزء منه • وسئل الشريف الرضى عن ابى تمام وعن البحترى وعن ابى الطيب المتنبى فقال اما ابو تمام
فخطيب منبر • واما البحترى فواصف جؤذر • واما المتنبى فقائد عسكر • وهذا كلام حسن واقع فى موقعه
فانه وصف كلا منهم بما فيه من غير تفضيل • وروى عن بشار انه وصف نفسه بجوده الشعر والتقدم على غيره فقيل
له وبوزانك فقال لانى بطنت بنتى عشرة الف قصيدة ومائتى واحدة منهن مرثيت واحدة جيدة فاكون فى
اثنى عشر الف بيت جيد وقد اعملت هذا القول فوجدته على بشار لان باقلا الذى ضرب به المثل فى العى
لو نظم قصيدا لما خلا من بيت واحد جيد ومر الذى نظم قصيدا واحدا من الشعر ولا يسلم له منه الا بيت
واحد لكن الاولى كان ببشار ان قال له اثنا عشر الف قصيدة لبس واحدة منهن الا وجيدها اكثر من رديتها
وليس فى واحدة منهن ما يسقط فانه لو قال ذلك وكان محقا لاستحق التقدم على الشعراء ومع هذا فقد وصل
الى ما فى ايدى الناس من شعره مقصدا او مقطعا فما وجدته تلك الغاية التى ادعاها للكر وجدت جيده

لا له ح

قليلا بالنسبة الى ردية وندر له الابيات اليسيره • وبلغني عن الاصمعي وابي عبيده وغيرهما انهم قالوا هو
اشعر الشعراء المحدثين فاطبة وهم عندي معذورون لانهم ما وقفوا على معاني ابي تمام ولا على معاني
ابي الطيب ولا على ما جاء به عباده البحتري وهذا الموضع لا تستفتي فيه علماء العربيه وانما يستفتي فيه
كاتب بليغ او شاعر مفلق فان اهل كل علم اعلم به وكما لا يسال الفقيه عن مسايل حسابيه وكذلك لا تسال الطبيب
عن مسايل نحويه ولا تعلم كل علم الا صاحبه الذي قلب ظهره لبطنه وبطنه لظهره وما مر احدا الا ويحب ان يتكلم
فيه حتى اني رايت جلاف العامه ممن لا يحط بيده ورايت اعتام الاخباز ممن لا ينطق بالكلمه صحيحه وكلهم يخوض
في قرض الكتابه والشعر ويابون فيه بكل مصحكه وهم يظنون انهم عالمون به ولا لوم عليهم • فانه بلغني عن
ابن الاعرابي وكان من مشاهير العلما انه عرض عليه ارجوزه ابي نمام اللاميه التي مطلعها • وعاذل عذلته في عذله •
وقيل له هذه لفلان من شعراء العرب فاستحسنها غايه الاستحسان ثم استكتبها فلما انتهى قيل له هذه لابي
تمام فقال لم اجز ذلك اري عليها اثر الكلفه ثم القى الورقه من يده وقال يا غلام خرق خرق واذا كان ابن الاعرابي
مع علمه وفضله لا يدري اي طرفيه طول في هذا الفن ولا يعلم ان يضع يده فيه ويبلغ به الجهل الى ان يقف
مع القليد الشنيع الذي هنا غايته فما الذي يقول غيره وماذا الذي يتكلم فيه سواه والمذهب عندي في
تفضيل الشعرا ان الفرزدق وجريرا والاخطل اشعر العرب اولا واخرا ومن وقف على الاشعار ووقف على
علل واوزان هولاء الثلثه علم ما اشرت اليه ولا ينبغي ان نوقف مع شعر امرء القيس وزهير والنابغه ولا الاعشى
فان كلا منهم اولى بذلك اجاد في معنى اختص به حتى قيل في وصفهم امرء القيس اذا ركب والنابغه اذا ارهب وزهير
اذا رغب والاعشى اذا شرب واما الفرزدق وجرير والاخطل فانهم اجاد وا في كل ما انوا به من المعاني المختلفه
واشعرهم عندي لثلثه المتاخرون وهم ابو تمام وابو عباده البحتري وابو الطيب المتنبي فان هولا الثلثه
لا ثاني لهم مدانين في طبقه الشعراء • اما ابو تمام وابو الطيب فانهما رايا المعاني واما ابو عباده فرب الفاظ
في دباجتها وسبكها • ولغني ان ابا عباده سال ولده ابا الغوث عن الفرزدق وجرير ايهما اشعر فقال لجرير
اشعر قال وبمذ لك قال لان حوكه ثيبه بحوكك فقال ثكلتك امك اني لاحكم عصبيه قال يا ابه فراشعر قال
الفرزدق قال وبمذ لك قال لان اهاجي جرير كلها تدور على اربعه اشيا هي القين والزنا وضرب الرومي
بالسيف والنفي من المسجد ولا يهجو الفرزدق بسوى ذلك • واما الفرزدق فانه يهجو جريرا بانيا مختلفه
ففي كل قصيده يرميه بسهام غير السهام التي يرميه بها في القصد الاخر وانا استكذب راوي هذه الحكايه واصدقه
فان البحتري عندي اذقى من ذلك وهو عارف باسرار الكلام خبيرا بوساطه واطرافه وحيده وريديه وكيف سعى
على جرير انه لم يهج الفرزدق الا تلك المعاني الاربعه التي ذكرها وهو القايل
لما وضعت على الفرزدق ميسمي • وضغا البعيث وجدعت انف الاخطل • فجميع ما يهجو هولا الثلثه في بيت
واحد • ولقد تاملت كتاب النقايض فوجدت جريرا رب تغزل ومدح وهجا وافتخار وقد كسا كل معنى من هذه
المعاني الفاظها اللايقه وكفيه من ذلك قوله

وعاوٍ عوى من غير شيء رميته • بقافيةٍ اعيا فؤادي انشادها فقطع لدما
خروجٍ بافواه الرواه كانها • شبا هندوانيٍ اذا هزّ صمما
واني لقوالٌ لكل غريبةٍ • وروادٍ اذا السارى بليل ترنما

(هجا الاخطل الفرزدق بهذه القصيده)

ولو لم

ولو لم نكثر بجرير سوى هذه الابيات لتقدم بها على الشعراء • وسنذكر مع هجاء الفرزدق ما لمسنا فيه شيئا من تلك
المعاني الاربعة التي اشار البحتري اليها • ومن ذلك قوله

وقد زعموا ان الفرزدق حيةٌ • وما قتل الحيات مثل فتيل •
الم تر اني لا ابالي رميتي • فمن اي رميٍ لا تخطى مقاتلي •
رايتك لا تحمي عقارا ولم ترد • قتالا فما لقيت شر القتال •

وقوله ابلغ هديتي الفرزدق انها • عيرٌ تراد على حسيرٍ مقفل •
اني اصبت من السماء عليكم • حتى اخطفتك يا فرزدق من علٍ •

وقوله زعم الفرزدق ان سيقتل مربعا • ابشر بطول سلامة يا مربع •
ورايت بنلك يا فرزدق قصرت • ورايت قوسك ليس فيها منزع •
ان الفرزدق قد تبين لؤمه • حين التقت حشفا وه ولاخيع •

وقوله احارث خذ من شئت منا ومنهم • ودعنا نقسم مجدنا تعد فضايله •
لبست سلاحي والفرزدق لعنةٌ • عليه وشاحا كرٍ وجلاجله •
فلست بذي عزٍ ولا ذي رومةٍ • وما تعط من ضيم فانك قابله •

وقوله لا لحفتن عليك ان مجاشعا • لو نفحوني من الخوة طاروا •
قد يوسرون ولا يفك اسيرهم • ويقتلون فتسلم الاوتار •

وقوله بني مالك ان الفرزدق لم يزل • فلوّ المجازي من لدن ارتيفعا •
مددت له الغايات حتى تركته • قعود القوافي في اعلى موقعا •

وقوله الا انما كان الفرزدق ثعلبا • ضغا وهو اشدا فليث ضبارم •

وقوله مهلا فرزدق ان قومك فيهم • خورٌ القلوب وخفة الاحلام •

الظاعنون على العما بجميعهم • والنازلون بشر دار مقام •

وقوله اذا اسفرت يوما نساء مجاشع • بدت سوءة مما تجن البراقع •
مباشيم من غب الحرير كانما • تصوّت في اعفاجهن الصفادع •
رات ما لك نبل الفرزدق قصرت • عن الغلوا ذلا يا تي الغلو نازع •
اتعدل احسابا كراما حماتها • باحسابكم ان الى الله راجع •
اذا قيل اي الناس شر قبيله • واعظم عارا قيل تلك مجاشع •

وقوله علق الاخيطل في حبالي بعدما • عثر الفرزدق لا لعا للعاثر •
لقي الفرزدق ما لقيت وقبله • طاح البعيث بغير عرض وافر •
واذا رجوا ان ينقضوا الى مرةٍ • مرست قواي عليهم ومراري •

ولجرير مواضع كثيرة في هجاء الفرزدق غير هذه لو لا خوف الاطاله لاوردتها جميعها ثم لو سلمت الى البحتري ما
زعم من ان جريرا لم يسل له في هجاء الفرزدق الا تلك المعاني الاربعه لاعترضت عليه بانه قد قرن جريرا بالفضل
وذلك ان الشاعر المفلق او الكاتب البليغ هو الذي اذا اخذ معنى واحدا تصرف فيه بوجوه التصرفات

واخرجه في ضروب من الاساليب وكذلك فعل جرير فانه ابرز من هجا الفرزدق بالقين كل غريبة وتصرف فيه تصرفا مختلف الانحاء • فمن ذلك قوله

الهى اباك عن المكارم والعلا • لي الكنائف وارتفاع المرجل •

وقوله

وجد الكنيف مضجعا في قبره • والكلبتين جمعن والمنشار •

يبكي صداه اذا تصدع مرجل • او ان تفلق برمة اعشار •

قال الفرزدق رقعي اكيارنا • قالت وكيف ترقع الاكيار •

وقوله

اذا اباونا وابوك جدوا • فاين المقرفات من العراب •

فاورثك العلاة واورثوني • رباط الخيل افنية القباب •

وسيف ابي الفرزدق فاعلموه • قدوم غير ناتية النصاب •

فانظر ايها المتامل في كتابي هذا الى هذه الاساليب التي تصرف فيها جرير وادارها على هجاء الفرزدق بالقين فقال اولا ان اباه شغل عن المكارم بصناعة القيون ثم قال ثانيا انه يبكي عليه ويندبه بعد الموت المرجل والبرمة الاعشار التي يصلحها ثم قال ثالثا ان اباك اورثك آلة القيون واورثني ابي رباط الخيل وقد اورد جرير هذا المعنى على غير هذه الاساليب التي ذكرتها ولا حاجة الى التطويل بذكر ذلك هاهنا وهذا القدر فيه كفاية ومقنع وحيث انتهى بنا القول الى هاهنا فلنرجع الى النوع الذي نحن بصدد ذكره وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد فمما جاء منه ايضا قول النابغة •

اذا ما غزا بالجيش حلق فوقه • عصائب طير تهتدي بعصائب •

جوانح قد ايقن ان قبيله • اذا ما التقى الجمعان اول غالب • وهذا المعنى قد توارد عليه الشعراء قديما وحديثا واوردوه بضروب من العبارات فقال ابو نواس •

يتوخى الطير غزوته • ثقة باللحم من جزره • وقال مسلم بن الوليد •

قد عود الطير عادات وثقن بها • فهن يتبعنه في كل مرتحل •

وقال ابو تمام

وقد ظللت عقبان اعلامه ضحى • بعقبان طير في الدماء نواهل •

اقامت مع الرايات حتى كانها • مع الجيش الا انها لم تقاتل •

وقد ذكر هذا المعنى غير هولاء الا انهم جاوا بشي من واحد لا تفاضل بينهم فيه الا من جهة حسن السبك او من جهة الايجاز في اللفظ ولم ار احدا اغرب في هذا المعنى فسلك هذه الطريق مع اختلاف مقصده اليها الا مسلم بن الوليد فقال

اشربت ارواح العدى وقلوبها • خوفا فانفسها اليك تطير •

لو حاكمتك فطالبتك بذحلها • شهدت عليك ثعالب ونسور •

فهذا من المليح البديع الذي فضل به مسلم غيره في هذا المعنى وكذلك فعل ابو الطيب المتنبي فانه لما انتهى الامر اليه سلك هذه الطريق التي سلكها من تقدمه الا انه خرج فيه الى غير المقصد الذي قصدوه فاغرب وابدع وحاز الاحسان بجملته وصار كانه مبتدع لهذا المعنى دون غيره • فمما جاء من قوله •

تعدى اتم الطير عمرا سلاحه • نسور الملا احداثها والقشاعم •

وما ضرها خلق بغير مخالب • وقد خلقت اسيافه والقوائم •

ثم اورد

ثم اورد هذا المعنى في موضع اخر من شعره • فقال

سحاب من العقبان ترجف تحتها • سحاب اذا استسقت سقتها صوارمه • وهذا معنى قد حوى طرفي الاغراب والاعجاب وقال في موضع اخر • ودي لجب لا ذو الجناح امامه • بناج ولا الوحش المثار بسالم •

تمر عليه الشمس وهي ضعيفة • تطالعه من بين ريش القشاعم •

اذا ضوءها لاقى من الطير فرجة • تدور فوق البيض مثل الدراهم •

وهذا من اعجاز ابي الطيب المشهور ولو لم يكن له من الاحسان في شعره الا هذه الابيات لاستحق بها فضيلة التقدم • ومما ينتظم بهذا النوع ما توارد عليه ابو عبادة وابو الطيب المتنبي في وصف الاسد وقصيدتاهما مشهورتان • فاول احديهما • اجدك ما تنفك تسري لزينبا • واول الاخرى في الخدان عزم الخليط رحيلا • اما البحتري فانه الم بطرف مما ذكره بشر بن عوانة في ابياته الرائية التي اولها • افاطم لو شهدت ببطن خبت • وقد لاقى الهزبر اخاك بشرا • وهذه الابيات من النمط العالي الذي لم يات احد بمثله وكل الشعراء لم تسم قرائحهم الى استخراج معنى ليس بمذكور فيها ولولا خوف الاطالة لاوردتها بجملتها لكن الغرض انما هو المفاضلة بين البحتري وابي الطيب فيما اورداه من المعاني في هذا المقصد المشار اليه • فمما جا للبحتري من قصيدته •

وما نقم الحساد الا اصالة • لديك وعزما اريحيا مهذبا •

وقد جربوا بالامس منك عزيمة • فضلت بها السيف الحسام المجربا •

غداة لقيت الليث والليث مخدر • تجدد نابا للقاء ومخلبا •

اذا شا غادى عانة او عدا على • عقائل سرب او تقنص ربربا •

شهدت لقد انصفته حين ينبري • له مصلتا عضبا من البيض مقضبا •

فلم ار ضرغامين اصدق منكما • عراكا اذا الهيابة النكس كذبا •

هزبر مشى يبغي هزبرا واغلب • من القوم يغشى باسل الوجه اغلبا •

ادل بشغب ثم هالته صولة • راك لها امضى جنانا واشغبا •

فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا • واقدم لما لم يجد عنك مهربا •

فلم يغنه ان كر نحوك مقبلا • ولم ينجه ان حاد عنك منكبا •

حملت عليه السيف لا عزمك انثنى • ولا يدك ارتدت ولا حده نبا •

ومما جاء لابي الطيب المتنبي من قصيدته •

امعفر الليث الهزبر بسوطه • لمن ادخرت الصارم المصقولا •

ورد اذا ورد البحيرة شاربا • ورد الفرات زئيره والنيلا •

متخضب بدم الفوارس لابس • في غيله من لبدتيه غيلا •

ما قوبلت عيناه الا خيلتا • تحت الدجا نار الفريق حلولا •

في وحدة الرهبان الا انه • لا يعرف التحريم والتحليلا •

يطاء الثرى مترفقا من تيهه • فكانه آس يجس عليلا •

ويرد عفرته الى يافوخه • حتى يصير لراسه اكليلا •
قصرت مخافته الخطى فكانما • ركب الكمي جواده مشكولا •
القى فريسته وزمجر دونها • وقربت قربا خاله تطفيلا •
فتشابه الخلقان في اقدامه • وتخالفا في بذلك الماكولا •
اسد يرى عضوبه فيك كليهما • متنا ازل وساعدا مفتولا •
ما زال يجمع نفسه في زوره • حتى حسبت العرض منه طولا •
وكانما غرته عين فادنى • لا يبصر الخطب الجليل جليلا •
انف الكريم من الدنية تارك • في عينه العدد الكثير قليلا •
والعار مضاض وليس بخائف • من حيفه من خاف مما قيلا •
خذلته قوته وقد كافحته • فاستبصر التسليم والتخذيلا •
سمع ابن عمته هناك بحاله • فمضى يهرول ليس منك مهولا •
وامر مما فر منه فراره • وكفيله ان لا يموت قتيلا •
تلف الذي اتخذ الجراة خلة • وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا •

وساحكم بين هاتين القصيدتين والذي يشهد به الحق وتنفيه العصبية اذكره وهو ان معاني ابي الطيب اكثر عددا واشد مقصدا الا ترى ان البحتري قد قصر جميع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح في تشبيهه بالاسد مرة وتفضيله عليه اخرى ولم يات بشي سوى ذلك واما ابو الطيب فانه اتى بذلك في بيت واحد وهو قوله امعفر الليث الهزبر بسوطه • لمن ادخرت الصارم المصقولا • ثم انه تفنن في ذكر الاسد فوصف صورته وهيئته واحواله في انفراده في حبسه وفي هيئة مشيه واحتياله ووصف خلق نحله مع شجاعته وشبه الممدوح به في الشجاعة وفضله عليه بالسخا ثم انه عطف بعد ذلك على ذكر الانفة والحمية التي بعثت الاسد على قتل نفسه بلقاء الممدوح واخرج ذلك في احسن مخرج وابرزه في اشرف معنى واذا تامل العارف لهذه الصناعة ابيات الرجلين عرف ببديهة النظر ما اشرت اليه والبحتري وان كان افضل من المتنبي في صوغ الالفاظ وطلاوة السبك فالمتنبي افضل منه في الغوص على المعاني • ومما يدلك على ذلك انه لم يعرض لما ذكره بشر في ابياته الرائية لعلمه ان بشرا قد ملك رقات تلك المعاني واستحوذ عليها ولم يترك لغيره شيا يقوله فيها ولفظانه ابي الطيب لم يقع فيما وقع فيه البحتري من الانسحاب على ذيل بشر لانه قصر عنه تقصيرا كثيرا ولما كان الامر كذلك عدل ابو الطيب عن سلوك تلك الطريق وسلك غيرها فجاء فيما اورده مبرزا • واعلم ان من ابين البيان في المفاضلة بين ارباب النظم والنثر ان يتوارد اثنان منهما على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معان كتوارد البحتري والمتنبي هاهنا على وصف الاسد وهذا بين في المفاضلة من التوارد على معنى واحد يصوغه هذا في بيت من الشعر او في بيتين ويصوغه الاخر في مثل ذلك فان بعد المدى يظهر ما في السوابق من الجواهر • وعنده يتبين ربح الرابح وخسر الخاسر واذا اردت ان تعرف فضل ما بين هذين الرجلين فانظر الى قصيدتيهما في مراثي النساء التي مفتتح احديهما

يا اخت خير اخ يا بنت خير اب • كناية بهما عن اكرم العرب • وهي لابي الطيب ومفتتح الاخرى •
غروب دمع من الاجفان ينهمل • وحرقة تعليل الحزن تشتعل • وهي للبحتري فان ابا الطيب انفرد بابتداع

ما

ما اتى به في معاني قصيدته والبحتري انما اتى بما هو غث بارد والمتوسط منه لا فرق فيه بين رثاء امراة او رجل ومن الواجب انه اذا سلك الناظم او الناثر مسلكا في غرض من الاغراض ان لا يخرج عنه كالذي سلكه هذان الرجلان في الرثا بامراة فان من حذاقة الصنعة ان يذكر ما يليق بالمراة دون الرجل وهذا الموضع لم يات فيه احد مما يثبت على المحك الا ابو الطيب وحده واما غيره من مفلقي الشعراء قديما وحديثا فانهم قصروا عنه وله في المعنى قصيدة اخرى مفتتحها • نعد المشرفية والعوالي • ونقتلنا المنون بلا قتال • وكفى بهما شاهدا على ما ذكرته من انفراده بالابداع فيما اتى به والفتيا عندي بينه وبين البحتري ان ابا الطيب انفذ في المضيق واعرف باستخراج المعنى الدقيق • واما البحتري فانه اعرف بصوغ الالفاظ وحوك ديباجتها وعلى هذا الاسلوب توارد البحتري والشريف الرضي على ذكر الذيب في قصيدة للبحتري اليه اولها

سلام عليكم لا وفاء ولا عهد • ومقطوعة الشريف الرضي اولها •

وعاري الشوى والمنكبين من الطوى • اتيح له بالليل عاري الاشاجع • وقد اجاد البحتري فوصف حاله مع الذيب والشريف اجاد في وصف الذيب نفسه • واما المسخ فهو قلب الصورة الحسنة الى صورة قبيحة والقسمة تقتضي ان تقرن اليه ضده وهو قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة فالاول كقول ابي تمام • فتى لا يرى ان الفريضة مقتل • ولكن يرى ان العيوب مقاتل • وقول ابي الطيب المتنبي • يرى ان ما ما بان منه لضارب • باقتل مما بان منه لعائب • فهو وان لم يشوه المعنى فقد شوه الصورة • ومثاله في ذلك كمن اودع الوشي شملا • واعطى الورده جعلا • وهذا من ارذل السرقات وعلى نحو منه جاء قول عبد سلام بن رغبان •

نحن نعزيك ومنك الهدى • مستخرج والصبر مستقبل •
نقول بالعقل وانت الذي • ناوي اليه وبه نعقل •
اذا عفا عنك واودى بنا • الدهر فذاك المحسن المجمل • اخذه ابو الطيب فقلب اعلاه اسفله وقال • ان يكن صبر ذي الرزية فضلا • يكن الافضل الاعز الاجملا •
انت يا فوق ان تعزى عن الاحباب • فوق الذي يعزيك عقلا •
وبالفاظك اهتدى فاذا عزاك • قال الذي له قلت قبلا • والبيت الاخر من هذه الابيات هو الاخر قدرا وهو المخصوص بالمسخ • واما قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة فهذا لا يسما سرقة بل يسما اصلاحا وتهذيبا • ومن ذلك قول ابي الطيب المتنبي •

لو كان ما تعطيهم من قبل ان • تعطيهم لم يعرفوا التاميلا • وقول ابن نباتة السعدي •
لم يبق جودك لي شيا اومله • تركتني اصحب الدنيا بلا امل • وعلى هذا النحو ورد قول ابي نواس في ارجوزة يصف فيها اللعب بالكرة والصولجان فقال من جملتها •

جن على جن وان كانوا بشر • كانما خيطوا عليها بالابر • ثم جاء المتنبي فقال

فكانما نتجت قياما تحتهم • وكانهم ولدوا على صهواتها • وبين القولين كما بين السماء والارض فانه يقال ليس للارض الى السماء نسبة محسوسة وكذلك هاهنا ايضا فان تقدير ما في قول ابي نواس من النزول والضعف كذلك في قول ابي الطيب من العلو والقوة وربما يظن بعض الجهال ان قول الشماخ

في قول ابي الطيب يقال

اذا بلغتني وحملت رجلي • عرابة فاشرقي بدم الوتين • وقول ابي نواس •
واذا المطي بنا بلغن محمدا • فظهورهن على الرجال حرام • من هذا القبيل الذي هو قلب الصورة القبيحة
الى صورة حسنة وليس كذلك فان قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة هو ان يوجد المعنى الواحد فيكسى
عبارتين احداهما قبيحة والاخرى حسنة فالحسن والقبح فيها يرجع الى التعبير عن المعنى لا الى المعنى نفسه وقول ابي
نواس هو عكس قول السماح وقد تقدم مثل ذلك فيما مضى من ضروب السرقات الا ترى الى قول ابي الطيب وقول الشريف
الرضي فقال ابو الطيب • اني على شغفي بما في خمرها • لاعف عما في سراويلاتها • وقال الشريف
الرضي • احن الى ما تضمن الخمر والحلي • واصدف عما في ضمان المآزر • فالمعنى واحد والعبارة مختلفة في
الحسن والقبح وهذه الوجوه السرقات وهي ستة عشر نوعا ولا يكاد يخرج عنها شي واذا اتصف الناظر في الذي اتيت
به هاهنا علم اني ذكرت ما لم يذكره غيري وانا اسال الله التوفيق لان اكون لفضله شكورا وان لا اكون مختالا فخورا •
واذا فرغت من تصنيف الكتاب وحررت القول في تفصيل اقسام الفصاحة والبلاغة والكشف عن دقائقها
وحقائقها فينبغي ان اختمه بذكر فضيلتهما فاقول اعلم ان هذا الفن هو اشرف الفضائل واعلاها
درجة ولولا ذلك لما فخر به رسول الله ص في عدة مواقف فقال تارة انا افصح من نطق بالضاد وقال تارة اعطيت خمسا
لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث في قومه وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض
طيبة وطهورا ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر واوتيت جوامع الكلم وما سمع بان رسول الله ص افتخر بشي
من العلوم سوى علم الفصاحة والبلاغة فلم يقل انا افقه الناس ولا اعلم الناس بالحساب ولا بالطب ولا بغير
ذلك كما قال انا افصح من نطق بالضاد وايضا فلو لم يكن هذه الفضيلة من اعلى الفضائل درجة لما اتصل الاعجاز بها
دون غيرها فان كتاب الله تعالى نزل عليها ولم ينزل بمعجزة من مسائل الفقه ولا من مسائل الحساب ولا من مسائل الطب
ولا غير ذلك من العلوم ولما كانت هذه الفضيلة بهذه المكانة صارت في الدرجة العالية والمنثور منها اشرف من
المنظوم لاسباب من جملتها ان الاعجاز لم يتصل بالمنظوم وانما يتصل بالمنثور الاخر ان ارباب النظم اكثر ولهذا
نجد المجيدين منهم اكثر من المجيدين من الكتاب بل لا نسبة لهولاء الى هولاء ولو شئت ان تحصي ارباب الكتابة من
اول الدولة الاسلامية الى الان لما وجدت منهم من يستحق اسم الكاتب عشرة واذا حصلت الشعراء في تلك المدة
وجدتهم عددا كثيرا حتى لقد كان يجتمع منهم في العصر الواحد جماعة كثيرة كل منهم شاعر مفلق وهذا لا نجده في
الكتاب بل ربما ندر منهم الفرد الواحد في الزمن الطويل وليس ذلك لوعورة مسلك النثر وبعد منا له والكاتب هو
اجد دعامتي الدولة فان كل دولة لا تقوم الا على دعامتين من السيف والقلم وربما لا يفتقر الملك في ملكه الى السيف
الا مرة او مرتين واما القلم فانه يفتقر اليه على الايام وكثيرا ما يستغني به عن السيف واذا سئل عن الملوك الذين عبرت
ايامهم لا يوجد منهم من جيش اسمه من بعده الا من حظي بكاتب خطب عنه وفخم امر دولته وجعل ذكرها خالدا يتناقله الناس
رغبة في فضل خطابه واستحسانا لبداعة كلامه فيكون خلود ذكرها في حفاره ما دونه قلمه ورقمته اساطيره
وليس الكاتب بكاتب حتى يضطر عدو الدولة ان يروي اخبار مناقبها في حفلة ويصبح ولسانه حامد لمساعيها
وبقلبه ما به من غلة • ولقد احسن ابو تمام في هذا المعنى حيث قال

ساجهد حتى ابلغ الشعر شاوه • وان كان طوعا لي ولست بجاهد •
فان انا لم يحمدك عني صاغرا • عدوك فاعلم انني غير حامد •

وهذا

وهذا الذي ذكرته حق وصدق لا ينكره الا جاهل به وانا اسال الله المزيد من فضله وان لم يكن اهلا له فانه
هو من اهله • ووقفت على كلام لابي اسحق الصابي في الفرق بين الكتابة والشعر وهو جواب لسائل ساله فقال
ان طريق الاحسان في منثور الكلام يخالف طريق الاحسان في منظومه لان الترسل هو ما وضح معناه •
واعطاك سماعه من اول وهلة ما تضمنته الفاظه وافخر الشعر ما غمض فلم يعطك غرضه الا بعد مماطلة منه
ثم قال بعد ذلك ولسائل ان يسال فيقول من اية جهة صار الاحسن في معنى الشعر الغموض وفي معاني الترسل
الوضوح فالجواب ان الشعر بني على حدود مقررة واوزان مقدرة وفصلت ابياته وكان كل بيت منها
قائما بذاته وغير محتاج الى غيره الا ما جاء على وجه التضمين وهو عيب فلما كان النفس لا تمتد في البيت الواحد
باكثر من مقدار عروضه وضربه وكلاهما قليل احتيج الى ان يكون الفضل في المعنى فاعتمد ان يلطف ويدق
والترسل مبني على مخالفة هذه الطريق اذ كان كلاما واحدا لا يتجزى ولا ينفصل فصولا طوالا وهو موضوع
وضع ما يهد هدا ويمر به على اسماع شتى من خاصة ورعية وذي افهام ذكية وافهام غبية فاذا كان متسلسلا
متسلسا ساغ فيها وقرب فجميع ما يستحب في الاول يكره في الثاني حتى ان التضمين عيب في الشعر وهو فضيلة
في الترسل ثم قال بعد ذلك والفرق بين المترسلين والشعراء ان الشعراء انما اغراضهم التي يرتمون اليها وصف
الديار والاثار والحنين الى الاهواء والاوطار والتشبيب بالنساء والطلب والاجتداء والمديح والهجاء واما
المترسلون فانما يترسلون في سداد ثغر واصلاح فساد او تحريض على جهاد او احتجاج على فئة او مجادلة لملة
او دعاء الى الفة او نهي عن فرقة او تهنية بعطية او تعزية برزية او ما شاكل ذلك هذا ما انتهى اليه كلام ابي اسحق
الصابي في الفرق بين الترسل والشعر ولقد عجبت من ذلك الرجل الموصوف بذلاقة اللسان وبلاغة
البيان كيف يصدر عنه مثل هذا القول الناكب عن الصواب الذي هو في باب ونص النظر في باب اللهم
غفرا وساذكر ما عندي في ذلك لا ارادة للطعن عليه بل تحقيقا لمحل النزاع فاقول اما قوله ان
الترسل هو ما وضح معناه والشعر ما غمض معناه فان هذا دعوى لا مستند لها بل الاحسن في الامرين
معا انما هو الوضوح والبيان على ان اطلاق القول في هذا ان يقال كل كلام من منثور ومنظوم فينبغي ان
يكون مفردات الفاظه مفهومة لانها ان لم يكن مفهومة لا يكون فصيحة لكن اذا صارت مركبة نقلها التركيب عن
تلك الحال في فهم معانيها عن المركب منها ما يفهمه الخاصة والعامة ومنها ما لا يفهمه الا الخاصة ويتفاوت
درجات فهمه ويكفي من ذلك كتاب الله تعالى فانه افصح الكلام وقد خوطب به الناس كافة من خاص وعام ومع
هذا فمنه ما يتسارع الفهم الى معانيه ومنه ما يغمض فيعز فهمه فالالفاظ المفردة ينبغي ان يكون
مفهومة سواء كان الكلام نظما او نثرا واذا تركبت فلا يلزم فيها ذلك وقد تقدم في كتابي هذا ادلة
كثيرة على هذا فلتوخذ من مواضعها • واما الجواب الذي اجاب به في الدلالة على غموض الشعر
ووضوح الكلام المنثور فليس ذلك بجواب وهب ان الشعر كان كل بيت منه قائما بذاته فلم كان ذلك غامضا
وهب ان الكلام المنثور كان واحدا لا يتجزى فلم كان مع ذلك واضحا ولو سلمت اليه هذا فماذا يقول في
الكلام المسجوع الذي كل فقرة منه بمنزلة بيت من الشعر • واما قوله في الفرق بين الشاعر والكاتب بان
الشاعر من شانه وصف الديار والاثار والحنين الى الاهواء والاوطار والتشبيب بالنساء والطلب والاجتداء
والمديح والهجاء وان الكاتب من شانه الافاضة في سداد ثغر واصلاح فساد وتحريض على جهاد واحتجاج على فئة

ومجادله لمله ودعاء الى الله او نهى عن فرقه او تهنيه بعطيه او تعزيه برزيه فانه تحكم محض لا يستند الى
شبهه فضلا عن بينه واى فرق بين الشاعر والكاتب فى هذا المقام فكما يصف الشاعر الديار والاثار
ويحن الى الاهواء والاوطار فكذلك يكتب الكاتب فى الاشتياق الى الاوطان ومنازل الاخوان والاحباب
ويحن الى الاهواء والاوطار ولهذا كانت الكتب الاخوانيات بمنزله الغزل والتشبيب من الشعر وكما يكتب
الكاتب فى اصلاح فساد او سد ثغر او دعاء الى الفه او نهى عن فرقه او تهنيه او تعزيه فكذلك الشاعر فان
شذ عن الصابى قصايد الشعرا فى امثال هذه المعانى فكيف خفى عنه قصيده ابى تمام فى استعطاف
مالك بن طوق على قومه التى مطلعها • لو ان دهرا رد رجع جواب • ام كيف اخل بالنظر فى ديوان
ابى الطيب المتنبى وهما فى زمن واحد فما تامل قصيدته فى الاصلاح بين كافور الاخشيدى وبين ولد مولاه التى
مطلعها • حسم الصلح ما اشتهته الاعادى • وكذلك لا شك انه لم يقف على قصيد ابى عبادة البحترى
فى غزو البحر التى مطلعها • الم تر تغليس الربيع المبكر • ولو اخذت فى تعداد قصايد الشعرا فى الاغراض
التى اشار اليها وخص بها الكتاب لاطلت وذكرت الكثير الذى يحتاج الى اوراق كثيره وكل هذه الفروق
التى نص عليها وعددها فليست بشى ولا فرق بين الكتابة والشعر فيها والذى عندى فى الفرق بينهما من ثلثه
اوجه الاول من جهه نظم احدهما ونثر الاخر وهذا فرق ظاهر الثانى ان من الالفاظ ما يعاب
استعماله نثرا ولا يعاب نظما وذلك شى استخرجته ونبهت عليه فى القسم الاول المختص باللفظه المفرده
فى المقاله الاولى من هذا الكتاب وساعيد ها هنا منها شيا فاقول قد ورد فى شعر ابى تمام قوله
هى العرمس الوجناء وابن مسلمة • وحاش على ما يحدث الدهر خافض • وكذلك ورد فى شعر ابى الطيب المتنبى
ومهمه جبته على قدمى • تعجز عنه العرامس الذلل • فلفظه العرمس ولفظه العرامس لا يعاب استعمالهما
فى الشعر ولو استعملا فى كتاب او خطبه كان استعمالهما معيبا وكذلك ما يشاكلهما ويناسبهما من الالفاظ
وكل ذلك قد ضبطته بضوابط وحددته بحدود تفصله عن غيره من الالفاظ فليوخذ من المقاله الاولى ولولا
خوف التكرار لاعدته ههنا الثالث ان الشاعر اذا اراد ان يشرح امورا متعدده ذوات معانى
مختلفه فى شعره فاحتاج الى الاطاله بان ينظم مايتى بيت او ثلثمائه او اكثر من ذلك فانه لا يجيد فى الجميع
ولا فى الكثير منه بل يجيد منه فى جزء قليل والكثير من ذلك ردى غير مرضى والكاتب لا يوتى من ذلك بل يطيل
فى الكتاب الواحد اطاله واسعه تبلغ عشر طبقات من القراطيس او اكثر ويكون مشتملا على ثلثمائه سطر او اربعمائه
سطر او خمسمائه وهو مجيد فى ذلك كله وهذا لا نزاع فيه لانا رايناه وسمعناه وقلناه وعلى هذا فانى وجدت
العجم يفضلون العرب فى هذه النكته المشار اليها فان شاعرهم يذكر كتابا مصنفا من اوله الى اخره شعرا
وهو شرح قصص واحوال ويكون مع ذلك فى غايه الفصاحه والبلاغه فى لغه القوم كما فعل الفردوسى
فى نظم الكتاب المعروف بشاه نامه وهو ستون الف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس وهو قران
القوم وقد اجمع فصحاوهم على انه ليس فى لغتهم افصح منه وهذا لا يوجد فى اللغه العربيه على اتساعها
وتشعب فنونها واغراضها وعلى ان لغه العجم بالنسبه اليها كقطره من بحر والله اعلم •

• كتاب المثل السائر بحمد الله وحسن اعانته بعد صلوة العصر من يوم الثلثا اليوم ٢٤ من
• شهر ربيع الاول من سنه ٩٨٣ الهجريه على صاحبها افضل الصلوة والسلام •

بلغ
مقابله على الاصل
المنسوخ عليه

١٥٠

كتاب الفلك الدائر على المثل السائر

تصنيف

الشيخ الامام العالم الفاضل الكامل

الكامل عز الدين ابي حامد عبد الحميد

ابن ابي الحديد رفع الله درجته بمنه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى فاوت بين عقول البشر واختلافهم كما فاوت بين اعمارهم وارزاقهم فكان من خفيا تدبيره ولطائف حكمته وتقديره ان ارضى كلا منهم بعقله وخلقه لا يعمره ورزقه فلست ترى مذهبا الا الراضى بعقله ورأيه المعجب بما يرتئيه الحامد لسجيته الزارى على الناكب عن طريقته تصديقا لقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معايشهم الراضى عرفته بما قسم له واعطاه فلا ترى الا قانطا او ساخطا او حاسدا او غابطا ذأبهم الكدح والنصب والجد والطلب تصديقا لقوله لو كان لابن ادم واديان من ذهب وصلى الله على سيدنا محمد رسوله المؤيد بروح قدسه والمعصوم من خطل القول ولبسه والحاكم بان مرجلة الملك المهلكات عجب المرء بنفسه وعلى اله واصحابه الذين منهم مرهوب منوعه ومنهم مرهوب حنفه وبعد فقد وقفت على كتاب نصر الله سيدنا محمد الموصلى المعروف بابن اثير الجزرى المسمى كتاب المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر فوجدت فيه المحمود المقبول والمردود المرذول اما المحمود منه فانشاوه وصناعته فانه لا باس بذلك الا فى الاقل النادر واما المردود منه فنظره وجدله واحتجاجه واعتراضه فانه لم يات فى ذلك فى الاكثر الاغلب بما يشفى اليه ولا يعتمد عليه فحيانى على تتبعه ومناقضته فى هذه المواضع النظرية امور منها ازراوه على الفضلا وغضه منهم وعيبهم وطعنه عليهم فان ذلك مما يدعوا الى الغيره عليهم والانتصار لهم ومنها افراطه فى الاعجاب بنفسه والتنبيه برايه والتقريظ لمعرفته وصناعته وهذا عيب قبيح يحبط الاحساب والاجتهاد ويوجب المقت كما ورد فى الاثر النبوى من الله تعالى والعباد ومنها انه قد اوماء مرارا فى كتابه الى عتاب دهره اذ لم يعطه على قدر استحقاقه فاردنا ان نعرفه ان الارزاق ليست على قدر الاستحقاق وان الرزق مقسوم للمجلب للفضل ولا يزيده النقص ومنها ان جماعة من اكابر اهل الموصل قد حسن ظنهم فى هذا الكتاب جدا وتعصبوا له حتى فضلوه على اكثر الكتب المصنفه فى هذا الفن واوصلوا به نسخا متعددة الى مدينة السلام واشاعوه بها وتداولوه كثيرا فاحببت عليه هذا الكتاب وتقربت به الى الخزانه الشريفه المقدسه النبويه الامامية المستنصرية عمر الله بعمارتها البدية الفضل وربا عنه واطال بطول بقاء ما لكها يد العلم وباعه وجعل ملائكة السما انصاره واشياعه كما جعل ملوك الارض اعوانه واتباعه وكان اكثر قصدى فى ذلك ان يعلم مصنف هذا الكتاب ورؤساء بلدته ان مراصاغر خول هذه الدوله الشريفه ولا اغنى نفسى فالتجئ مبينه ولا اكنى عنى فمثلى كثير مراذ اطعر ادرى واذا ضرب افرى واذا رشق اصمى واذا نكا ادمى وان دار سلم وحضر امام ماخلت كلا ترعم المواصله مرا ذا سوبق جلا واذا يوسر فانا لقدح المعلى واذا خطب حضنت لبراعة المناصل واذا كتب سجدت لبراعة الدوايل واذا شاعل الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل وارتج الاقفال المغمورين مرعايها مرلو هدر لفرت له الشقا شق ولو نطق لتخلت بسموطه المهارق ولو جرد حسام قلمه لقال الملك للسيف اغرب فانك طالق فكف بسيدنه كعبتها الحافيه بشريف سدتها وبمحول البلاغه الدرادار كض احدهم فى حلبة البيان انجلى البروق وسخرها الرياح واذا ضرب الاعداء بصارم اللسان قدا لسلوق المضاعف حتى يوقدها الحباحب فى الصفاح وهذا الكتاب وقع الى فى غرة ذى الحجه من سنه ثلث وثلثين وستمائه فتصفحته اول اول فى ضمن اشغال الديوانيه التى انا بصددها وعلقت هذا الكتاب فى اثناء تصفحى على المواضع المستدركه له فى منتصف الشهر المذكور فكان مجموع ما علقته واعترضت عليه خمسة عشر يوما ولم اعاود النظر فيه دفعه ثانيه وربما سنح لى عند المعاودة نكت اخرى وان وقع ذلك الحقتها وقد سميت هذا الكتاب **الفلك الدائر على المثل السائر** لانه شاع فى كلامهم وكثر استعمالهم ان يقولوا لما بادر ودثر قد دار على الفلك كانهم يريدون انه قد طحنه ومحى صورته ومن ذلك قول الخناهيه اركنت بنشديم فانهم همدوا ودار عليهم الفلك وانا اسال الله المعونه والتوفيق واستمنحه الهدايه الى سواء الطريق عمه وكرمه **قال المصنف** نسال الله ان سلخ بنا من الجد ما هو اهله **اقول** ان

اول

١٥١

اول ما تكلم سائل امرا يستحيل عقلا لانه تعالى لا نهاية لما هو اهل من المحامد سواء جعل الحمد بمعنى المدح او اخص منه والاول فلان حلاله تعالى وعطيته وصفاته كما له لا تقف عند غاية ولا تنقطع عند حد واما الثانى فان نعمه لا نهايه لها بتعرض لنا بالثواب والنعيم الذى لا نهاية له فاذن هو كما هو اهل للحمد الذى لا نهاية له على كلا التفسيرين ومستحيل ان يبلغ نا الى ذلك لان القوه المتناهية لا تقوى على امور غير متناهيه وليس لظان ان يظن ان هذا القول يجرى مجرى قول الناس الحمد لله كما هو اهله فان ذلك كلام مجمل لا يتضمن سوا لا ولا يقتضى دعاه لعل ان يجعلنا حامدين حمدا لا نهايه له والفرق بين القولين كالفرق بين قولنا الحمد لله حمدا لا بدايه له ولا نهاية وقولنا اللهم اجعلنا حامدين حمدا لا بداية له ولا نهاية **قال المصنف** وان تعلمنا من لسان ما تقصر عنه غريزة النطق وفصل **اقول** وهذا ايضا سوال امر مستحيل لان النطق هو كمال الصوره الانسانيه لان الانسان انسان فيستحيل ان يفصله البيان عن مزيته وفضيلته لان الفرع لا يفصل الاصل الذى هو له كما ان الاكمه لا يفصله العمى عن مزيته وفضيلته **واعلم** ان هذين الاعتراضين قد يعتذر لهما عنهما بانه انما قال ذلك على سبيل المبالغه كما يقال للشاعر يسمو فوق الفرقد وهو مستهجن فى الكتابه واحد عيوبها القبيحه وانما تستملح الشعرا واما الكاتب ففى سعه عنه ومذهب الكتابه غير مذهب الشعر **قال المصنف** وان نوفقنا للصلوة على رسوله محمد الذى هو افصح من نطق بالضاد ونسخ بهديه شريعة كل هاد **اقول** فى هذا الكلام عيب ظاهر وذلك عطف الفعل وهو قوله ونسخ على الاسم وهو افصح وهذا قبيح لا ترى انه يقبح ان تقول زيد افصح القوم وضربت عمرا والوجه ان يقال الذى هو افصح من نطق بالضاد والمنسوخ بهديه شريعة كل هاد **قال المصنف** ولا ادعى فيما صنفته فضيلة الاحسان ولا السلامة مرسلق اللسان ممن قال بعد سطر واحد واذا ركبت الهوى قلت هذا الكتاب بديع فى اغراضه وليس له صاحب من الكتب فيقال انه مفرد من سراجى به **اقول** وهل يدعى احد فضيلة الاحسان بابلغ من هذا الكلام وقد قال قبل هذا التواضع ثلثة اسطر ان لسهدانى لابتداع اشيا لم تكن قبلى بمبتدعه ومنحى درجة الاجتهاد التى لا تكون اقوالها تابعة وانما تكون متبعه فمن زعم ان الله هداه فى هذا الفن الى ابتداع اشيا لم يسبق لها ورقه فيها بلوغ درجة الاجتهاد التى يتبعها الناس ولا تكون تابعة لاحد منهم كيف يقول لا ادعى فيما الفته فضيلة الاحسان وهل تراه غاية من ادعاء الفضيلة الا ولغها **قال المصنف** موضوع الحساب هو الاعداد من حيث ما يعرض لها من الضرب والقسمه ونحوهما وموضوع الطب بدن الانسان من حيث ما يصح ويمرض وموضوع النحو هو اللفظ من حيث الدلاله على المعنى من طريق الاوضاع اللغويه وموضوع علم البيان هو اللفظ والمعنى من حيث الحسن والقبح ثم قال واصاحب هذا العلم هو النحوى بشركان فى النظر فى دلاله الالفاظ على المعانى الا ان النحوى ينظر فى دلاله اللفظ على المعنى من حيث الوضع اللغوى وتلك دلاله عامه وصاحب علم البيان ينظر فى فضيل تلك الدلاله وهى دلاله خاصه **اقول** اما موضوع علم النحو فصحيح واما موضوع علم اللغه فغير مذكور بل الذى ذكره موضوع علم النحو لان اللغوى هو الذى ينظر فى الالفاظ من حيث دلالتها بالوضع اللغوى على المعانى واما موضوع علم النحو فهو الالفاظ من حيث تغير اعراب بعضها او اخرها او بلحقها انفسها على قول من جعل التصريف جزءا من النحو ولم يجعله علما مفردا **قال المصنف** فقد غلط مفسروا الاشعار فى اقتصارهم على شرح المعنى وما فى الشعر من الكلمات اللغويه وتبيين مواضع الاعراب منه دون ما تتضمنه من اسرار البلاغه والفصاحه **اقول** ان مفسروا الاشعار جعلوا قصدهم ووكدهم كشف مراد الشاعر ليعلم مفسرا الالفاظ اللغويه وما فى الشعر من اعراب نحوى يتعلق فهم المعنى به وتارة يشرحون المعنى فقط اذا لم يكن البيت الفاظ لغويه ولا يرتبط المعنى باعرابه كانهم انما وضعوا الشروح المصنفه لتفسير مراد الشاعر فقط فكلما ذكره من زيادة معنى فى ذلك فهى مقصوده ما لم يعرض لها ما لذات واذا كانت الحال هكذا لم يجز ان نقال انهم غلطوا لاخلالهم بنقد الشعر

مفسر

والكلام على ما نبه من علم الصناعة الشعرية والبحث عن فصاحته وبلاغته لان ذلك فن مفرد لم يضعوا شروحهم له ولذلك
لم يتكلموا في العروض والقوافي ودقائق التصريف فان قلت قد تكلم كثير من شارحي الاشعار في العروض والقوافي
والتصريف ايضا وقد تكلم كثير من شارحي الاشعار في نقدها وبحثوا عن فصاحتها وبلاغتها وما تحتها من اسرار ذلك ثم يقال له
ان جمهور مفسري القران الكريم اقتصروا على شرح المعاني واللغة والاعراب واسباب النزول وما يتضمنه الكتاب العزيز من الفقه
والاصول ونحوهما ولم يذكروا في تفاسيرهم نقد ما فيه من البلاغة والفصاحة واسرارهما فان ارتكبت في ذلك قياسك
وغلطت المفسرين كنت مغلطا لاكابر الصحابة كعلي بن ابي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهما الرجلان اللذان اخذ علم
التفسير كله عنهما ويكفيك ذلك قبحا وشناعة وان لم تغلط المفسرين فقد انتقض ما قلته في شرح الاشعار قال المص وصناعة
تاليف الكلام من المنثور والمنظوم تفتقر الى آلات كثيرة وقد قيل ان كل ذي علم يسوغ ان ينسب نفسه اليه فيقال فلان
النحوي وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ ان يقال فلان الكاتب لما يفتقر اليه من الخوض في كل فن اقول هذا الكلام
من ايهامات الكتاب وتزويقاتهم ولا يعول عليه محصل وهذه الفنون التي تذكرها الكتاب يزعمون ان الكتابة مفتقرة
اليها ان ارادوا انها ضرورية فهذا باطل لان سحبان وقسا وغيرهما من خطباء العرب ما كانت تعرفها وكذلك من كان
في اول الاسلام من الخطباء كمعوية وزياد وغيرهما وان ارادوا انها متممة ومكملة فهذا حق ولكن عدمها لا يقتضي سلب
اسم الكتابة عن من لم يعرفها ثم كيف جاز ان ينسب الانسان الى الشعر ولا ينتسب الى الكتابة مع ان كلما يحتاج اليه الكاتب
يحتاج اليه الشاعر وزيادة قال المص ومن اقسام الفاعل والمفعول ما لا يفهم الا بعلامة كتقديم المفعول على الفاعل فانه
اذا لم يكن ثم علامة تبين احدهما من الاخر والا اشكل الامر كقولك ضرب زيد عمرو بالوقف عليهما ويكون زيد هو المضروب
فانك اذا لم تنصب زيدا وترفع عمرا لم يفهم ما اردت ومن هذا قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اقول ان هذه الاية لا
مدخل لها في هذا الموضع لانا لو وقفنا على الفاعل والمفعول فيها لم يحصل الالتباس لعلمنا ان الله تعالى لا يخشى احدا الا من
العلماء ولا من غيرهم فالاية تدل بنفسها لا بعلامة لفظية على انه تعالى مفعول وان العلماء فاعل بخلاف ما اذا وقفنا على
زيد ومحمد في قولنا ضرب زيد محمد فقد بان ان تمثيله بهذه الاية مضافا لتمثيله بضرب زيد محمد غير صحيح وان احدى المسالتين
لا تشابه الاخرى قال المص وكل خماسي فانه يحذف منه في التصغير حرف سواء كان في الكلمة حرف زائد او لم يكن مثال
الزائد منطلق تصغيره مطيلق كان في الكلمة حرفان زائدان فاستبقيت الميم لانها زيدت لمعنى وسقطت النون
لانها زيدت لغير معنى ومثال الوصول جحمرش تصغيره جحيم اقول هذه القضية على اطلاقها غير صحيحة فانهم قالوا في
تصغير سكران سكيران فلم يحذفوا شيئا والكلمة خماسية وقالوا في تصغير حمراء ونحوها حميراء وهي خماسية ولم يسقطوا شيئا
وكذلك لفظة اجمال صغروها فقالوا اجيمال فهذه الخماسيات ما اسقطوا منها شيئا ولا تصرفوا فيها بشيء سوى
ياء التصغير فقط ومن الخماسيات ما تصرفوا فيه نوع تصرف ولم يسقطوا منه شيئا نحو ميزان فانهم قالوا مويزين
فابدلوا ولم يسقطوا وبالجملة فقولهم كل خماسي لا بد ان يسقط بعض حروفه قول غير صحيح قول المص وقد غلط ابو نواس
فيما لا يغلط فيه مثله فقال • كان صغرى وكبرى من فواقعها • حصباء در على ارض من الذهب • فان فعلى افعل لا يجوز
حذف الالف واللام منها الا اذا اضيفت وانما يحذفان من فعلى التي لا افعل لها نحو حبلى اقول انا لا ننكر ان كثيرا من
ائمة العربية طعن في هذا البيت لكن كثير منهم انتصر له وقالوا قد وجدنا فعلى افعل في غير موضع واردة بغير لام ولا مضافة
مثل دنيا في قول الراجز • في سعي دنيا طالما قد مدت • وقال الاخر • لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة • ومثله اخرى وقد جاء حلى
في قوله • وان دعوت الى جلى ومكرمة • وقالوا طوبى لك • وفي البيت وجه اخر وهو ان يجعل من في قوله فواقعها زائدة على مذهب

الى

الى الحسن في زيادة من الواجب فانه يذهب الى ذلك ويحتج بقوله تعالى فيها من برد اي فيها برد وعلى هذا يكون فعلى في البيت
مضافة وقد وقع الاتفاق على جوازه قال المص وقد غلط ابو تمام في قوله • بالقائم الثامن المستخلف اطادت • قواعد الملك ممتدا لها الطول •
والصواب اتطدت بالتاء لان التاء تبدل من الواو في موضعين احدهما مقيس عليه كهذا الموضع لانك اذا بنيت افعل من
الوعد قلت اتعد وههنا يجب ان يكون اطئد لانه من وطد يطد مثل وعد يعد وغير المقيس عليه نحو قولهم في وجاه تجاه وقالوا
التكلان واصله الواو لانه من وكل يكل فابدلت الواو تاء للاستحسان اقول قرات بخط ابي زكريا رحمه الله قال ابو العلا اشتقاق
اطادت من الطود مهموز الجبل بني على افتعلت من ذلك فقيل اطادت مليا غير مهموز لان تاء الافتعال اذا كان بعدها طاء
قلبت اليها ثم همزها في الشعر للضرورة قال المص وقد لحن ابو نواس في امر ظاهر فقال للامين • يا خير من كان ومن يكون الا النبي الطاهر الميمون •
فرفع بعد الاستثناء في الموجب اقول ان ابا نواس يستعمل في شعره مذهب الكوفيين كثيرا وهذا الموضع من جملة مذاهبهم وقد قال
لمن طلل عافي المحل دفين • عفا آية الا خوالد جون • فابتدا بقوله خوالد جون وحذف الخبر وتقديره فلما يعف كذلك
حذف الخبر في البيت وتقديره فان الامين لا يفضله خلق ان من الناس من رواه الا النبي الطاهر الميمون فنصب اللفظتين
الاولتين على الاستثناء من الموجب ونعته ورفع الميمون على حذف المبتدا تقديره هو الميمون ويجوز في الوصف اذا تكرر ان
يتبع او يستانف قال المص وقد خفي على ابي الطيب المتنبي امر ظاهر فقال يصف ناقة • وتكرمت ركباتها عن منزل يقعان فيه وليس مسكا اذفرا • ركباتها
فجمع في حال التثنية فقال ركباتها وليس للناقة الا ركبتان اقول ان هذا من اتساع العرب ومذاهبها غير بعيد كقولهم امراة
ذات اوراك وهما وركان قال الشاعر • ولا رهل لبانة وبادله • وقد جاء مثله في الكتاب العزيز فقد صغت قلوبكما وقال في حكم
داود وسليمن في الغنم التي نفشت في الحرث وكنا لحكمهم شاهدين قال المص فاما الادغام فلا حاجة اليه لكاتب لكن الشاعر ربما
احتاج اليه لانه قد يضطر في بعض الاحوال الى الادغام حرف او فك ادغام من اجل اقامة الميزان الشعري اقول
ان المعرفة بابواب الادغام ومباحثته يحتاج اليه الشاعر لاقامة الميزان الشعري وقد يحتاج اليه الكاتب للقرينة وقد
يصيب فيه وقد يخطئ مثال الخطا ان تقول واخلص بعد ما نافق • واصحب بعد ما شاقق • فقد دعته القرينة الى ان
اخطا في فك الادغام في موضع لا يجوز فكه فيه ومثال الصواب ان تقول واولاهم الاحسان من لم يغش ولم يماذق ولم يشق
عصا ولم يشاقق قال المص والاسماء المترادفة التي يتحد فيها المسمى ويختلف اسماؤه كالخمر والراح والمدام فان المسمى بها
واحد والاسماء كثيرة اقول هذا الموضع من مثار الغلطات التي نبه عليها المنطقيون قالوا قد نطق في كثير من الاسماء انها
مترادفة وهي في الحقيقة متباينة كالسيف والصارم والمهند فان السيف اسم موضوع لهذه الحديدة المخصوصة والصارم
موضوع لذي الصرامة وهو القطع والمضاء والمهند موضوع للمنسوب الى الهند وكل واحد من هذه المعاني مباين للاخر
فالاسماء الموضوعة لها متباينة في الحقيقة وان ظن في الظاهر انها مترادفة وكذلك ما مثل به هذا المص فان الخمر اسم موضوع
لهذا الشراب المخصوص وان كان مشتقا غير مرتجل والراح اسم لما يرتاح به النفس والمدام اسم ما يدام استعماله كانه اديم يدام
فهو مدام فالمعاني متباينة في انفسها فالاسماء الموضوعة لها تكون متباينة لا محالة وان توهم في الظاهر انها مترادفة قال المص
والاسماء المشتركة هي التي يتحد ويختلف مسمياتها كالعين اقول ينبغي ان يزاد في ذلك زيادة فيقال ويختلف مسمياتها التي وضعت
لها وضعا ولا يكون ذلك احترازا عما يدل على شيء بالحقيقة وعلى غيره بالمجاز فانه متحد يختلف مسمياته ولا يسمى مشتركا قال المص ومن
الناس من يمنع وقوع اللفظ المشترك بمعنى انه لا يكون حقيقة في الاسمين بل يكون مجازا في احدهما واحتج بان ذلك يخل بفائدة وضع
اللغة لان مقصود الواضع الافهام والابانة والاشتراك يخل بذلك ثم اجاب فقال لا نسلم ان مقصود الواضع هو البيان
فقط بل البيان والتجنيس فالبيان يحصل بالالفاظ المتباينة التي هي كافية في الافهام واما التجنيس فانه مهم في هذه اللغة

لانه عمدة الفصاحة والبلاغة ولا تقوم به الا الاسماء المشتركة وهي وان اخلت بفائدة البيان الا انه اخلال يمكن استدراكه
بالقرينة الدالة على المراد من اللفظ المشترك والاخلال بوضع الالفاظ المشتركة يسقط بها الفصاحة والبلاغة ورونقها
ولا اشتراك له بحال فكان وضع الالفاظ المشتركة متعينا **اقول** لا نسلم ان تقدير عدم الالفاظ المشتركة يذهب
التجنيس من الكلام ولا يزول رونقه وبهاؤه كما زعم هذا الرجل بتشابه ان التجنيس من الكلام يحصل بتشابه لفظين في الحروف
الاصلية وان كانت في احداهما زيادات ليست في الاخرى مثاله قول ابي تمام • متى انت عن ذهلية الحي ذاهل • وقوله
يطل الطلول الدمع في كل موقف • وقوله منازل لم يخف الربيع ربوعها • فذهلية منسوبة الى ذهل اسم رجل وذاهل
فاعل ذهل عن الامر يذهل ويطل الطلول كذلك لان يطل مضارع طل دمه اي اهدره والطلول جمع طلل وهو ما شخص من
آثار الديار وكذلك الربيع وهو العشب والربوع جمع ربع وهو المنزل فهذه كلها تتضمن التجنيس وليست من المشتركات لانها
ليست لفظين متماثلين دالين على مسميين مختلفين كلفظة العين واكثر التجنيس في الرسائل والشعر مثل هذا ولا يستعمل فيه
التجنيس المشترك الا في النادر وايضا فلو كان تجنيس في الدنيا بالمشترك فقط لم يكن ذلك من المقصودات الاصلية التي يقتضي
وضع المشترك مع ما فيه من تردد فهم السامع وعدم معرفته فان كان محدود ذلك اعظم من تزويق اللفظ بالمشتركات
خصوصا ويمكن استدلال تحسين اللفظ بغير التجنيس كالمطابقة والمقابلة وغيرهما من انواع البديع والعجب من قول
هذا الرجل ان عدم التجنيس يذهب حسن الكلام وقوله ان واضع اللغة نظر الى ما يحتاج اليه الفصاحة والبلاغة فوجد من
مهمات ذلك التجنيس الذي لا تقوم به الاسماء وان اردت الثاني فان اصحاب علم البيان قبلك لم يخالفوك في ذلك لتحاجهم
وترد عليهم وانت لما حكيت اقوال اهل هذه الصناعة لم تحك عنهم انهم لم يشترطوا ذلك في الكناية اعني ان يكون مترددة بين
محمل حقيقي ومحمل مجازي وانما حكيت عنهم انهم لم يشترطوا ان يجوز حمل الكلام على كلا المحملين فهذا هو الذي حكيته عنهم
وخالفتهم فيه وزعمت انك استنبطته وتكلفت الدلالة عليه فكيف تتركه جانبا وتستدل على ما لا تعلق له به اصلا •
ثم يقال له قد دللنا على ما تريده ونحن نكلمك فيما تتعلق دليلك به لم قلت انه لا بد ان يتردد لفظ الكناية بين محملي حقيقة
ومجاز ولم لا يتردد بين مجازين والذي تكلمت به على ذلك ليس بشيء اما اولا فانك اردت ان تقول اما ان يكون اللفظ الدال على
المجازين شركة في الدلالة على الحقيقة او لا يكون لان كلامك هكذا فلم تقل وقلت اما ان يكون للحقيقة شركة في اللفظ
الدال على المجازين وهذا قلب للكلام وعكس له واما ثانيا فلم قلت انه لا يكون اللفظ الدال على المجازين شركة في الدلالة
على الحقيقة التي هي اصل لهما فاما قولك هذا يقتضي ان يكون الانسان متكلما بشيء وهو يريد شيئين غيره واصل الوضع ان
يتكلم بشيء وهو يريد شيئا غيره فيقال لك ليس معنى قولهم الكناية ان يتكلم بشيء وانت تريد غيره انك تريد شيئا واحدا غيره كلا
ليس هذا هو المقصود بل المقصود ان يتكلم بشيء وانت تريد غيره فان اردت شيئا واحدا فقد اردت غيره وان اردت
شيئين او ثلثة اشياء وما زاد فقد اردت غيره لان كل ذلك غير ما دل عليه ظاهر لفظك فليس في لفظ غير ما يقتضي التوحيد
والافراد واما ثالثا فلم لا يجوز ان لا يكون اللفظ الدال على المجازين شركة في الدلالة على الحقيقة اصلا بل لا يدل الا على المجازين
فقط فاما قولك اذا خرجت الحقيقة عن ان يكون لها في ذلك شركة لم يكن الذي تكلمت به دالا على ما تكلمت به وهو مجاز فيقال
لك لم قلت ذلك ولم لا يجوز ان يكون للحقيقة مجازان قد كثر استعمالهما حتى نسيت تلك الحقيقة فاذا تكلم الانسان
بذلك اللفظ كان دالا به على احد ذينك المجازين ولا يكون له تعرض ما بتلك الحقيقة فلا يكون الذي تكلم به غير دال على
ما تكلم به كما زعم المص بل يكون دالا على ما تكلم به لان الواحدة قد دلت على ثلثة اشياء احدها الحقيقة وهذا خلاف الاصل
لان اصل الوضع في الكناية ان يتكلم بشيء وانت تريد غيره وههنا يكون قد تكلمت بشيء وانت تريد شيئين غيره وان لم يكن للحقيقة
شركة

يقتضي ولا ينتظم الا اذا قلت هكذا

شركة في الدلالة كان ايضا مخالفا لاصل الوضع لان الوضع ان يتكلم بشيء وانت تريد غيره فيكون ما تكلمت به دالا على
ما تكلمت به وعلى غيره واذا خرجت الحقيقة عن ان يكون لها شركة في الدلالة لم يكن الذي تكلمت به دالا على ما تكلمت به وهذا
مح فثبت ان الكناية ان يتكلم بالحقيقة وانت تريد المجاز **قال** وهذا كلام لم يسبقني اليه احد **اقول** انا ما عرفنا ان الحدود يبرهن
عليها ولا هي من باب الدعاوي الذي يحتاج الى الدلالة لان من وضع لفظة الكناية لامر من الامور ولا يحتاج الى دليل كمن وضع
لفظة الجدار للحائط لا يحتاج الى دليل ثم يقال له الم تعد في امثلة الكتاب قوله عليه السلام للحادي يا انجشة رفقا بالقوارير
يعني النساء وقول عبد الله بن سلام لمن راى عليه ثوبا معصفرا لو ان ثوبك في تنور اهلك او تحت قدورهم لكان خيرا وقول
الشاعر • ان لم يكن نصلا فغمد نصول • يعني امراة هلكت فهل هذه المواضع مما يتجاذبها جانبان يجوز حملها على كل واحد منهما
وهل يتوهم عاقل ان رسول الله صلعم امر انجشة ان يرفق بالزجاج وان عبد الله بن سلام امر صاحب الثوب المعصفر ان يحرق
ثوبه والبيت الشعر انفذ لان المراة انسان والانسان لا يكون غمدا للسيف لان الحيوان لا يكون جمادا فان جاز ان
يكون هذه المواضع كنايات مع ان الاذهان لا يحملها الا على محمل واحد ولا يسوغ حملها على غيره جاز ان يكون قوله تعالى وان
كان مكرهم لتزول منه الجبال وقول الشاعر • ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب • كناية وان كان لا يجوز حمله على كل
واحد من المحملين والا فما الفرق • ثم يقال له هذا الاستدلال هو الاستدلال على الكناية هي ما جاز حمله على كل واحد من
محملي الحقيقة والمجاز ام على ان الكناية لا بد ان يتجاذبها جانبا حقيقة ومجاز مع قطع النظر عن جواز الحمل عليها معا وعدم
جوازه فان اردت الاول فالاستدلال لا يماس ذلك بحال ولا تعلق له به قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا
ما يدل على اختلاف المعنيين كما لا يدل قوله لا يمسهم فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب على اختلاف المعنيين ولا قوله
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا على اختلاف المعنيين **قال المص** وانما قال سبحانه ذهب الله بنورهم ولم يقل اذهب الله نورهم
لان كل من ذهب بشيء فقد اذهبه وليس كل من اذهب شيئا فقد ذهب به لان قولنا ذهب به يفهم منه انه استصحبه معه
وامسكه عن الرجوع الى حالته الاولى وليس كذلك اذهبه **اقول** نقول ان الله تعالى ذهب بنورهم بمعنى استصحبه
ومضى كما تقول مررت بزيد وعنده سيف فذهبت به اي اخذته ومضيت وكما قال سبحانه فلما ذهبوا به واجمعوا معناه
اخذوا يوسف صحبتهم ومضوا فان قال نعم هكذا افسر الاية فهذا كفر وتجسيم واما قوله كل من ذهب بشيء فقد اذهبه
فهو على اطلاقه غير صحيح لانه ليس كل من ذهب بشيء فقد اذهبه بمعنى انه اعدمه عن الوجود اصلا لكنه قد اذهبه عن موضعه
الاول الذي اخذ منه • واعلم ان الغلط دخل عليه من اشتراك لفظة ذهب فلان فانها تستعمل في معنيين احدهما قوله
ذهب فلان في الطريق الفلاني اي مضى فيه ونفذ فيه ومنه سمي السبيل مذهبا لانه يذهب فيه اي يمضي فيه وسمي قول
الشارع وغيره مذهبا كانه صار طريقا تسلكه الفقهاء وغيرهم والمعنى الثاني ذهب بمعنى عدم وفقد وقولهم ذهب الشباب
وذهب العمر اي فني وعدم ولعل هذا الاعتبار الثاني هو الحقيقة الاصلية والمحمل الاول مجاز مشهور لانه لما مضى زيد في
تلك الطريق فقد عدم بالنسبة الى غيرها فيها ذهابا واذا بان تلك اشتراك اللفظة ظهر غلطه لانه توهم ان قوله تعالى ذهب الله
بنورهم مثل قولنا ذهب زيد بثياب عمرو اي احتملها ومضى وقد صرح بتفسير الاية على هذا الوجه وهذا معنى لا يجوز ان
ينسب الى الله تعالى لانه لا تصح عليه الحركة ولا استصحاب الاشياء واحتمالها من مكان الى مكان وعلى انه لو صح عليه سبحانه ذلك لكان
قوله اذهب الله نورهم ابلغ في المعنى من قوله ذهب الله بنورهم على هذا التفسير لان اعدام النور بالكلية ابلغ في قوله
وتركهم في ظلمات لا يبصرون من ان يذهب بالنور وبالتفسير الذي زعمه فيكون للنور وجود في الجملة الا انه نقل من موضع
الى موضع واذا ظهر لك غلطه فاعلم ان معنى قوله ذهب الله بنورهم هو معنى قوله اذهب الله نورهم كلا اللفظين

ولا

يدل على معنى واحد

كما ان قولك قعدت بزيد مثل قولك اقعدت زيدًا الا فرق بين الكلامين لان الافعال اللازمة اذا اردت تعديتها مارة بحرف الجر ومارة بالهمزة يقولون ذهب الشباب وذهبت بالشباب واذهب الدهر الشباب كما تقول خرجت بزيد من البلد واخرجت زيدا من البلد ولست تعني بقولك خرجت بزيد من البلد انك خرجت من البلد واسمحت زيدًا معك كلا ليس هذا المراد من تعدية اللازم بل الخص قولك اخرجت زيدًا للزيادة على ذلك **قال الم** فاما الاسماء المفردة الواقعة على المحلى التي تكون منها وسر واحدها تا التانيث فانه متى اريد النفي كان استغراقا لاحدها المبلغ ومتى اريد باسات كان استغراقا لها المبلغ نحو قوله تعز فصد نوح وقال الملاء من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة فانه لما قال ليس بي ضلالة كان ابلغ في نفي كونه ضالا من ان يقول ليس بي ضلال كما لو قيل لك تمر فتقول الجواب ما لي تمر لم يود المعنى الذي اداه القول الاول قال ولا تظن انه لما كان الضلال والضلالة مصدرين من قولك ضل ضلالا كان القولان سواء لان الضلالة في هذه الاية ليست عبارة عن المصدر بل عن المرة الواحدة كما تقول ضربت ضربة واكلت اكلة بمعنى مرة واحدة فاذا نفي نوع عليه السلام عن نفسه المرة الواحدة من الضلال فقد نفى ما فوقها من المرتين والمرات الكثيرة

اقول ان الذي ذكره غير صحيح لان كانت لفظه ضلاله في الاية مصدرًا ولان كانت للمرة الواحدة اما الاول فلانه اذا كانت لفظة هذه مصدرا وقد وافق على ان لفظة ضلالا مصدرٌ اهم وجب ان يكون لا لتهما سواء في نفي كونه ضالا على الاطلاق ولا يكون احدا للعطش ابلغ في الدلالة من الاخر لانهما معًا يدلان على نفي ماهية الضلال نفسه فان المصدر يدل على الماهية فقط من غير دلالة على شيء اخر فاذا نفي فقد نفيت الماهية نفسها فلا فرق على هذا التقدير بين الضلال والضلالة واما الثاني وهو انه لا يصح ما قاله سقدير ان يكون المراد بالضلالة المرة الواحدة لانه لو قال القائل ما عندي تمر معنى تمرة واحدة وعنده تمر كثير لصح ذلك ولم يكن كاذبا الا ترى انه لو اظهر ما اضمر فقال ليس عندي تمرة واحدة فقط بل عندي تمر كثير لم يكن ما قاله متناقضا المثال الذي ذكره يدل على عكس ما اراده وهو انه نوع عليه السلام ليس بي ضلالة لو كان يريد به العدد بمعنى انه ليس في ضلالة واحدة كما زعم هذا الرجل ثم تركنا وظاهر اللفظ لم يكن نافيا كونه ضالا لانه اذا كانت الضلالات مختلفة الانواع وقال ليس بي ضلالة واحدة فقط لم يكن هذا اللفظ مفيدًا لانتفاء كونه ضالا لجواز ان لا يكون به ضلالة واحدة بل ضلالات مختلفة متنوعة فاللفظ لو تركنا وظاهره لم يدل على انتفاء كونه ضالا بتقدير ان يراد بالضلالة المرة الواحدة على ما قد توهمه هذا الرجل اما قوله اذا نفى عن نفسه المرة الواحدة من الضلال فقد نفى ما فوقها من المرتين والمرات الكثيرة فكلام مردود نحو النظر الى قوله المرة الواحدة لانه اذا اخذ في تفسير الضلالة ان تكون واحدة لانه اذا اخذ في تفسير الضلالة ان تكون واحدة وجعل الضلالات اشياء متعددة مختلفة كالضربات المختلفة والاكلات المتنوعة لم ينفي عن نفسه ضلالة واحدة مشروطا فيها ان تكون واحدة ثم يلزم من انتفائها هذا القيد ان تنتفي عنه ضلالات كثيرة لان وجود الضلالات ماخوذ فيها كونها واحدة لان معنى الواحدة انه ليس معها غيرها ومن وجدت عنده ضلالات كثيرة فقد صدق عليه انه قد انتفت عنه ضلالة واحدة بمعنى انه ليس معها غيرها واعلم ان مراده تعالى بقوله حاكيا عن نوح ليس بي ضلالة نفي الضلال الذي هو المصدر لانه هو الذي بانتفائه تنتفي كون نوع ضالا انتفاءً مطلقا لا كما توهمه هذا الرجل من انه عبارة عن المرة الواحدة واللفظ واضح والمعنى ظاهر وعند التعمق الكل

قال الم واعلم ان القياس يقتضي ان يقال ما لهذا الكتاب لا يغادر كبيرة ولا صغيرة الا احصاها لانه اذا تقدم الصغيرة لم يحتج الى ان تقول ولا كبيرة لان وجود المواخذة على الصغيرة يلزم منه وجود المواخذة على الكبيرة واذا لم يعف عن الصغيرة لم يعف عن الكبيرة واذا قدم في اللفظ الكبيرة احتاج الى ان تقول ولا صغيرة لانه اذا لم يعف عن الكبيرة فجوز

ان

فالمثال

كثيرة للنافي انتفاء الضلالة الواحدة عنه ماخوذا فيها كونها ج

ان يعفو عن الصغيرة فاحتاج ان يذكرها قال واعلم ان الكتاب لما غادر اي ترك القياس لاجل هذه الاية **اقول** اما اولا فان هذه الاية لم يذكر فيها ان المواخذة والعفو ولا معنى قوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا العقاب والغفران بل معناه الاحصاء والعد الا ترى الى قوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهو امر راجع الى احاطة علم الباري تعالى بافعال العباد خفيها وظاهرها وجليلها وحقيرها فالذي توهمه هذا الرجل من كون هذه الاية لتفصيل احوال المواخذة توهم باطل واما ثانيا فلان هذه الاية وردت لبيان انه تعالى يعلم الكبائر من الذنوب والصغائر وللناس خلاف مشهور في الكبائر والصغائر من الذنوب ما هي فمعنى الاية انه تعالى يعلم كبائر الذنوب وصغائرها وعلى هذا التفسير اذا قدم الصغيرة للتلازم سواء ان استغنى عن ذكر الكبيرة لانه ليس اذا علم الصغائر كان بان يعلم الكبائر اولى كما يقول القائل اذا ابصرت عمرًا فرأيت كتب بان ابصر فرسخ واحدا اولى لانه ليس احد نوعي الكبائر والصغائر بالنسبة الى علمه تعالى اجلى من الاخر على جميع مذاهب العقلاء والايضاح على حد فرسخ واحدا ولم يبصر على حد عشر فراسخ واما الثالث فلو سلمنا انه لم يعن كبائر الذنوب وصغائرها بل عنى الخفي من افعال العباد وهي افعال القلوب والجلي الظاهر منها وهو افعال الجوارح فانه لا يمكن حمل الاية على احد هذين المحملين ولا بالث لهما لم يقتض القياس ان نقول لا يغادر كبيرة ولا صغيرة لانه لو قال المفسر عوض المفسر وذلك بان يقول ما لهذا الكتاب لا يغادر خفيًا ولا جليًا الا احصاه لما كان على خلاف القياس لان كل ما ثبت للباري تعالى عالما فعال الجوارح اثبته عالما فعال القلوب والدلالة على انه تعالى يعلم الخربات عامة من القسمين فليس احدهما اولى بالتقديم من الاخر فان قلت ليس قد ثبت في الانفس ان الجلي اولى بالمعلومية من الخفي والقرائن العرفية تنزل على ما تعارفه الناس وخوطبوا به على قدر افهامهم قلت انه تعالى وان قال ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة الا احصاها فربما توهم ان الكتاب موضوع لاحصاء افعال القلوب فقط لا بمعنى انه قد توهم ان الكتاب الذي فيه ذنوب بني ادم وحسناتهم موضوع لاحصاء افعالهم خاصة ولا يكون فيه شيء من افعال جوارحهم ويكون افعال جوارحهم تعلم بسمة وغيرها لا يكون لها شيء من معدودة مضبوطة فيه والمراد من هذه الاية واشباهها ارباب المعاصي فانهم كلهم مضبوطة مكتوبة في كتاب يشتمل عليه ديوان الحساب على ما فهموا كانوا يخوفون واشد تباعدًا من المعاصي لهذه الطريق قال ولا كبيرة لكون الاية لتعديد التوبيخ الذي يخل بنظام الزجر والتخويف **قال الم** وكذلك وكان القياس ان تقول فلا نهرهما ولا تقل لهما اف لانه اذا لم تقل لهما اف فقد امتنع ان نهرهما فاولى ان لا يطرق ذلك الى الرتب الواقع على وفق القياس فوق التحتي بصف نحو الركاب كما تقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار بل الاسهم والاوتار بل النحول من القسي والقسي من النحول بل الاوتار لانها البلغ في النحول من الاسهم قال **لكني** قد رفضت القياس وقدمت ما استعمل في الكتاب العزيز عليه **اقول** انه تعالى لو قال فلا تقل لهما اف بل لا تنهرهما لكان على خلاف القياس لان لفظة بل للاستدراك فتعطي في الثاني معنى لم يكن في الاول فيقبح ان تقال لا تنهر السايل بل لا تضربه ومقتضى القياس ان يقال لا تضرب السايل بل لا تنهره وبئس التحتي انما وقع موافقا للقياس لاستعمال لفظة بل فاما الاية فوردت بالواو العاطفة وهي غير مقتضية للترتيب فلا فرق بين ان تقول فلا تنهرهما ولا تقل لهما اف وان تقول فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما **قال الم** وقد اغفل كثير من الشعراء الترقي من الادنى فالادنى الى الاعلى كالمبني في قوله

يا بدر يا بحرا يا غمامة يا ليث لشرى يا حمام يا رجل

فان الواجب ان تقول يا بدر لانه اسم الممدوح ثم تقول يا رجلا ليث لشرى يا غمامة يا بحرا يا حمام لان الليث اعظم من الرجل والغمامة اعظم

الترتيب

من الليث والبحر اعظم من الغمامة والحمام اعظم من البحر فيرتفع من شي الى ما هو اعلى منه لانه مقام مدح ولو كان مقام ذم
لعكس القضية **اقول** ان ابا الطيب لم يقصد الا مقصدا صالحا ولكن هذا الرجل لم يتفطن له لانه مدحه بالسخاء والشجاعة
وهما المعنيان الشريفان الجليلان فقال في القسم الاول وهو قسم السخا بالبحر بالغمامة وابتداء بالبحر لانه دون الغمامة
مكانا ورتبة لانه منها يتكون ولولا الغمامة لم تكن مياه الغدران والامطار وما يتكون منها كالانهار والاعمدة الموجودة
فان هذه الاشياء التي هي بعينها كالبحر الذي هو الماء والملح وهو الاسطقس الكلي ثم قال في قسم الشجاعة بالليث الشري
يا حمام فابتداء بالليث وانتقل الى الحمام بعده لان الليث لولا الحمام لم يرهب فالحمام اشد رهبة في الصدر من الليث ثم ختم
البيت بقوله يا رجل اي انت هذه الاشياء كلها وانت مع ذلك انسان من البشر وذلك اعجب واطرف وانما قدم السخاء على
الشجاعة لان حاجة جمهور الناس الى السخاء اكثر من حاجتهم الى الشجاعة والناس الى رئيس عظيم السخا اميل منهم الى رئيس عظيم الشجاعة
لان انتفاعهم به اكثر فابو الطيب قصد هذا المقصد ويصلح ان يقصد هذا المقصد ولو اتى بالبيت على الترتيب الذي
ذكره المص لم يحصل له هذا المعنى **قال المص** ونظير هذا قول ابي تمام في الافتخار بقومه نجوم طوالع جبال قوارع غيوث هوامع
سيول دوافع فان السيول دون الغيوث والجبال دون النجوم ولو قدم ما اخر لما اختل النظم وذلك بان تقول
سيول دوافع غيوث هوامع جبال قوارع نجوم طوالع **اقول** ان في بيت ابي تمام سرا خفيا اما ان يكون قصده او
يمكن ان يقصده وذلك ان قبله سما بي اوس في السماح وحاتم وزيد القنا والاثرمان ورافع فاوس هو اوس بن حارثة بن
لام الطائي وكان رصينا جميلا وحليما ركينا يضرب به المثل في وضاءته ورصانته فهو المراد بقوله نجوم طوالع جبال
قوارع وحاتم بن عبد الله الجواد وهو المراد بقوله غيوث هوامع واما زيد القنا والاثرمان ورافع وهو رافع بن عميرة بن جابر
ويعرف بجدرجان الطائي فهم بالشجاعة اشهر وهم المراد بالسيول الدوافع التي تهلك وتحرق ما تاتي عليه فهذا هو وجه
ترتيب البيت **قال المص** فاما تقديم المفعول على الفعل نحو قولك زيدا ضربت فانه يفيد معنى لا يفيده قولك ضربت زيدا
لان اللفظ الاول يفيد انك لم تضرب الا زيدا خاصة والثاني لا يقتضي ذلك قال وذلك لانك اذا قدمت الفعل كنت
بالخيار في ايقاعه على اي مفعول شئت بان تقول بكرا او عمرا او خالدا واذا اخرت الفعل لزم الاختصاص بزيد وحده **اقول**
انا لا ننكر ان قوما من اهل العربية قد ذهبوا الى هذا المذهب ولكن ارباب النظر في هذه المباحث وهم الاصوليون لا يعرفون
هذا وقولهم فيه هو الصحيح ولا فرق عندهم بين قولك ضربت زيدا وزيدا ضربت في كل اللفظين لا يدل واحد منهما على اختصاص
الضرب بزيد وحده وكذلك لو قلت زيدا ضربت وعمرا لم يكن الكلام متناقضا ولو كان قولك زيدا ضربت يدل على ان الضرب
مقصور على زيد وحده لكان قولك وعمرا نقضا لذلك فاما قوله لانك اذا قدمت الفعل كنت بالخيار من تعيين المفعول اذا
اخرته لزم الاختصاص فيقال له اتكون بالخيار اذا قدم الفعل وان كان قد تلفظ بالمفعول الاول ممنوع لانه بعد تعيين المفعول
لا يبقى خيار والثاني مسلم لكن مثل هذا موجود في تاخير الفعل لانك اذا قدمت المفعول فانت بالخيار قبل ان تتلفظ بالفعل
فيمكن ان تقول الزمت او ضربت او رايت فلست مضطرا عند ذكر المفعول وقبل ذكر الفعل الى ان تقول زيدا ضربت
لا غير ذلك من الالفاظ فالحاصل ان الصورتين سواء في التخيير لكن تقديم المفعول يتخير فيه في الفعل لا في المفعول لانك قد
قد ذكرته وسبق منك تعيينه فان كان قولك زيدا ضربت يفيد في اللغة انك لم تضرب الا زيدا كان قولك ضربت زيدا
يفيد انه لم يقع منك في حق زيد الا الضرب فقط وهذا مح لانك لا تنفي بقولك ضربت زيدا ان يكون قد شتمته ولا رايته ولا
حبسته ولا اعطيته فكما لم يدل بعض الفعل اولا والابتداء به على انتفاء غيره من الافعال كذلك لا يدل على تعيين المفعول اولا
والابتداء به على انتفاء غيره من المفعولين ويدل على فساد هذا القول قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا

من

من قبل فان ذلك لا يدل على اختصاص اسحق ويعقوب بالهداية لانه قد هدى اسمعيل ايضا وهو اخو اسحق ولا على اختصاص نوح
بالهداية لانه قد هدى غيره ممن كان في زمانه **قال المص** وعلى هذا ورد قوله تعالى بل الله فاعبد وكن من الشاكرين فانه يفيد الامر باختصاص
العبادة به دون غيره ولو قال اعبد الله وكن من الشاكرين لم يفد الاختصاص **اقول** ان الاختصاص ما استفيد في هذه الاية
من مجرد تقديم المفعول بل من القرينة لانه تعالى قال ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن
من الخاسرين بل الله فاعبد وهذا تصريح بالاختصاص لانه قال لا تشرك بالله في العبادة فتخسر بل وحد الله في العبادة
فالاختصاص مفهوم من سياقة الكلام لا من تقديم المفعول ولو قال في هذه السياقة بل اعبد الله لافاد الاختصاص لا محالة
فلا تاثير هاهنا في الاختصاص المعلوم ولا لتقديم المفعول ولا لتاخيره **قال المص** وقد قال الزمخشري ان قوله تعالى اياك
نعبد واياك نستعين لاختصاص العبادة والاستعانة به سبحانه دون غيره قال وليس الامر كذلك بل هو هاهنا لمراعاة
السجع الذي جاء في الايات السابقة على حرف النون فلو قال نعبدك ونستعينك زالت طلاوة السجع **اقول** ان كان
تقديم المفعول يقتضي الاختصاص كما يراه الزمخشري وجماعة من اهل العربية فلا مانع من ان يكون اياك نعبد واياك
نستعين يفيد كلا الامرين الاختصاص والسجع ولا منافاة بين هذين المطلوبين **قال المص** وكذلك قوله تعالى ثم الجحيم صلوه وليس
تقديم المفعول هاهنا للاختصاص بل للفضيلة السجعية فقط فانه لو قال خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه لم يكن في الحسن
كالاول فان قلت بل تقديم المفعول هاهنا للاختصاص فان الجحيم نار عظيمة فقدمت في الذكر لاختصاص صلا الكافر
بها قلت فالدرك الاسفل اعظم من الجحيم فكان ينبغي ان يخص بالذكر دون الجحيم قال والمقصود من لفظة الجحيم هنا
النار لا غير لكن استعمال هذه اللفظة هنا احسن من استعمال غيرها من الالفاظ نحو لظى جهنم ونحوهما والطلاوة عليها دون
غيرها اكثر **اقول** ان كان تقديم المفعول يقتضي الاختصاص كما قاله قوم فلا مانع ان يكون الاختصاص مرادا بقوله
ثم الجحيم صلوه لان الجحيم الجاحم في اللغة اشد النار قال ابو تمام ان يعد من حرها عدو الظليم فقد اوسعت جاحمها من كثرة الحطب
ولا منافاة بين ان يراد الاختصاص ويراد الفضيلة السجعية معا وقوله مهلا ذكر الدرك الاسفل من النار فيقال له لم لا
يكون الدرك الاسفل هو الجحيم بعينه وايضا فلم لا يكون الجحيم اشد احراقا وتعذيبا من الدرك الاسفل وليس في قوله ان
المنافقين في الدرك الاسفل ما يقتضي ان يكون هذا الموضع اشد المواضع النارية احراقا لجواز ان يكون غير المنافقين
اشد عذابا منهم وايضا فلو كان الدرك الاسفل اهول واصعب لم يلزم ذكره لان الترغيبات والترهيبات تذكر على حسب
ما يراه المتكلم من المصلحة وقد يرهب ويرغب باشياء غيرها ابلغ في الترهيب والترغيب منها الا ترى انه لو قال عوض
عوض قوله تعالى في جيدها حبل من مسد في جيدها ثعبان من نار كان ارهب وازعج ولم يقل ذلك واما قوله ان الطلاوة
في لفظ الجحيم فقط دون غيرها من الالفاظ فانه يقال لم قلت ذلك ومعلوم انه لو قال عوض الجحيم السعير لكان على
عدد حروفها ووزنها ولا يتغير انتظام الكلام واسلوبه باستعمالها حسب استعمال لفظ الجحيم حذو القذة بالقذة
قال المص من مقتضيات الاختصاص ايضا تقديم خبر المبتدا عليه فانك اذا قلت قائم زيد فقد اثبت له القيام دون
غيره واذا قلت زيد قائم لم يكن قد خصصته بالقيام دون غيره من الناس والعلة فيه ما ذكرناه من تقديم المفعول
فانك اذا قلت زيد قائم كنت بالخيار حيث ابتدات بذكر زيد ان شئت قلت جالس او ضاحك او غيرهما واذا قدمت
قولك قائم حصل الاختصاص لزيد بالقيام دون غيره من الناس **اقول** انا لا نعرف ذاهبا ذهب الى قولنا قائم زيد
يقتضي اختصاص زيد بالقيام دون غيره من الناس لكن جماعة من النحاة الذاهبين الى ان تقديم المفعول يقتضي الاختصاص
يقولون ان قولنا القائم زيد بالالف واللام يقتضي اختصاص زيد بالقيام كما تقول الشجاع علي والجواد حاتم اي لا شجاع

الاذاك ولا جواد الا هذا فاما تقديم خبر المبتدا عليه مع ابقائه على التنكير فانا لا نعرف ذاهبا ذهب الى انه يقتضي
الاختصاص والعلة في اختصاص زيد بالقيام اذا قلت القائم زيد عليه يعود الى دخول اللام على الخبر وهي ان قولك
القائم معناه الذي له القيام فكانك قلت الذي له القيام هو زيد وقولك الذي له القيام هو من طريق الاصطلاح
العرفي في قوة قولك الذي يختص بالقيام او الذي ينفرد بالقيام ونحو ذلك والقائلون بهذا القول يلزمهم عليه ان يفيد قولنا
زيد القائم الاختصاص الذي يذكرونه ايضا لانك اذا ازلت عن نفسك الوهم في كون القائم صفة زيد واخلصت ذلك للمبتدا والخبر
صار تقديره زيد هو الذي يختص بالقيام فلو كان غيره قائما لما صدق قولك زيد هو الذي القائم فقد ظهر انه لا فرق بين تقديم
القائم وتاخيره وان هذا لو صح لكان في الاخبار المعرفة باللام لا في الاخبار المنكرة كما توهمه هذا الرجل واما احتجاجه بانك
تكون مخيرا اذا اخرت الخبر ولا تكون مخيرا اذا قدمته فاحتجاج ضعيف وقد تكلمنا عليه في تقديم المفعول **قال المص** ومن باب
تقديم خبر المبتدا الذي يفيد الاختصاص قوله تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فانه قال سبحانه ذلك ولم يقل وظنوا ان
حصونهم تمنعهم او مانعتهم لان في تقديم الخبر الذي هو مانعتهم الى المبتدا الذي هو حصونهم دليلا على فرط اعتقادهم في
حصانتها وزيادة وثوقهم بمنعها اياهم وفي جعل ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على تقريرهم في انفسهم انهم
في عزة وامتناع لا يبالي معهما بقصد قاصد او تعرض متعرض **اقول** ان حصونهم لا يرتفع بانه مبتدا كما قد ظنه الا على وجه
ضعيف والصحيح انه فاعل تقديره وظنوا انهم يمنعهم حصونهم فمانعتهم اسم فاعل معتمد على ما قبله لانه في الحقيقة
خبر مبتدا من حيث كان خبرا لان الى من شانها ان تدخل على المبتدا والخبر ومتى كان اسم الفاعل خبر المبتدا كان معتمدا عليه
فعمل فيما بعده عمل الفعل كقولك زيد قائم ابوه فابوه رفع بالفاعلية وليس بمبتدا على القول الصحيح في صناعة العربية
وكذلك اذا اعتمد اسم الفاعل على همزة الاستفهام او حرف النفي او وقع حالا لذي حال او صفة لموصوف او صلة لموصول
وحكم الظرف حكم اسم الفاعل اذا وقع معتمدا ايضا في كونه يرتفع ما بعده بالفاعلية لا غير كقوله تعالى فاولئك لهم جزاء الضعف
بما عملوا وقوله افي الله شك وقوله ومن عنده علم الكتاب فجزاء وشك وعلم كلها مرفوعة بالفاعلية لاعتماد الظرف تارة على المبتدا
وتارة على همزة الاستفهام وتارة لوقوعه صلة ومما جاء من ذلك شعرا قول حسان •
ظننتم بان يخفى الذي قد صنعتم • وفينا نبي عنده الوحي واضعه • فالوحي فاعل • وقال الشاعر •
احقا بني اسما سلمى بن جندل • تهددكم اياي وسط المجالس • فتهددكم فاعل وليس بمبتدا واما قوله ان في تقديم مانعتهم
زيادة معنى فقد تكلمنا عليه فيما سبق **قال المص** ومن هذا الباب قوله تعالى اراغب انت عن الهتنا يا ابرهيم فقدم خبر المبتدا عليه
ومثله قوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا قال فهذا يدل على تخصيص الشخوص بالابصار دون غيرهم اما الاول
فلانه لو قال فاذا ابصار الذين كفروا شاخصة جاز ان يضع موضع شاخصة حائرة او مطموسة او غير ذلك فلما قدم
قدم الخبر اختصت الابصار بالشخوص دون غيره واما الثاني فلانه لما اراد ان الشخوص خاص بالكفار دون غيرهم
دل عليه بتقديم الضمير اولا ثم بصاحبه ثانيا كانه قال فاذا هم شاخصون دون غيرهم ولولا انه اراد هذين الامرين
المشار اليهما لقال فاذا ابصار الذين كفروا شاخصة لانه اخصر بحذف الضمير من الكلام قال ومن هذا النوع قوله عليه السلام
في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وتقدير الكلام هو الذي ماؤه طهور وميتته حل لان الالف واللام ههنا
بمعنى الذي **اقول** لا يخ اما ان يكون الضمير وهو هي في قوله تعالى فاذا هي ضمير الشان والقصة او ضمير الابصار وقد قدم بشرط
التفسير فان كان ضمير الابصار لم يكن قوله ايضا والذين كفروا مرفوعا بالابتدا وكان فاعلا لان شاخصة اسم فاعل معتمد
على ما قبله وهي هو الذي موضعه رفع بالابتدا وقد تقدم ان اسم الفاعل اذا وقع خبرا لمبتدا رفع ما بعده على القول

الصحيح

الصحيح كما يرفعه الفعل الصريح نحو قولهم زيد قائم ابوه وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فعلى هذا
التقدير يبطل قوله ان شاخصة خبر مقدم وان كان في قوله تعالى فاذا هي ضمير الشان والقصة كان شاخصة خبرا
مقدما كما ذكره ويصير تقديره فاذا الشان والامر ابصار الذين كفروا شاخصة ولا يكون على هذا التقدير شاخصة
اسم فاعل معتمدا على ما قبله لان ضمير الشان والقصة لا يعتمد عليه ويصير هذه الاية كقوله تعالى انه مصيبها
ما اصابهم فان الضمير في انه للشان وبعده جملة مركبة من مبتدا وخبر والمبتدا مؤخر والخبر مقدم وكل موضع
جاء فيه ضمير الشان والقصة وبعده مثل هذه الجملة فهي مبتدا وخبر لا فاعل لعدم الاعتماد الذي هو شرط في الفاعلية
لكن على هذا التقدير يبطل قوله لما اراد تعالى ان الشخوص خاص بالكفار دون غيرهم دل عليه بتقديم الضمير اولا ثم بصاحبه
ثانيا كانه قال فاذا هم شاخصون دون غيرهم لان هذا الكلام يقتضي ان الضمير وهو هي في قوله تعالى فاذا هي ضمير الابصار
لا ضمير الشان الا تراه كيف قال دل عليه بتقديم الضمير اولا ثم بصاحبه ثانيا فالحاصل ان كلام هذا الرجل لا
يستقيم سواء جعلنا الضمير للشان او للابصار فاما قوله ان قوله تعالى اراغب انت قد قدم فيه خبر المبتدا عليه فغير
صحيح ايضا لان قوله اراغب اسم فاعل معتمد على همزة الاستفهام فيكون قوله انت في موضع رفع بالفاعلية الا على
القول الضعيف المتروك والمسئلة اذا هب اخوك اقائم الزيدان يرتفع قائم وذاهب بالابتداء ويسد كل واحد من الفاعلين
مسد الخبر قال النحاة ان همزة الاستفهام تستدعي الفعل بذاتها لان الاستفهام انما يكون عن فعل الا ترى انك اذا فرضت
شيئا مجردا عن فعل لم تستفهم عنه فاجروا قوله اراغب مجرى ارغب ولذلك قلنا ان قوله تعالى اذا السماء انشقت ان السماء
مرفوع بالفاعلية بتقدير فعل دل عليه انشقت وان كان ذا اتى في هذا المعنى وكذلك لو نحو قولهم لو ذات سوار لطمتني
وان الله امكنني من فلان • فاما قوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وتوهمه ان ذلك من باب تقديم الخبر
على المبتدا فمثل الوهم الاول في اللفظ بل هما مرفوعان بالفاعلية كانه قال هو الشيء الذي طهر ماؤه وحلت ميتته فحذف الموصوف
واقام الصفة المركبة من موصول وصلة مقامه والصفة تعمل عمل الفعل في هذا الموضع فيكون ماؤه وميتته فاعلان
ومثله في التنزيل عاليهم ثياب سندس في قول من جعل عاليهم صفة لقوله تعالى ولدان مخلدون فاما استنباطه زيادة المعنى
في التقديم والتاخير فشيء قد تكلمنا عليه **قال المص** ومن المواضع التي تفيد الاختصاص تقديم الظرف اذا كان الكلام
اثباتا كقولك ان الي مصير هذا الامر فانه يدل على انه ليس مصير هذا الامر الا اليك بخلاف ما اذا اخرت الظرف فقلت
ان مصير هذا الامر الي فانه لا يفيد الاختصاص لانه يحتمل ان يوقع الكلام على غيرك فتقول عوض ضميرك زيدا وعمرو
ومنه قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم **اقول** انه انما فهم ان الايات والحساب الى الله تعالى من دليل اخر لا من مجرد هذا
اللفظ لم يدل على الايات والحساب ليس الا اليه وعليه سبحانه فانك لو قلت ان في الدار زيدا لم يدل ذلك على ان غيره ليس في
الدار وكذلك لو قلت وعمرا لم تناقض الكلام وقال سبحانه وجعلنا في الارض رواسي ولا يدل ذلك على ان غير الرواسي
لم يجعله تعالى في الارض وقال لادم عليه السلام ان لك ان لا تجوع فيها ولم يكن ذلك مختصا به فقد كانت حوا مثله • وقال تعالى
اذ نفشت فيه غنم القوم ولا يدل ذلك على انها ما نفشت الا فيه لان النفش هو انتشار الغنم من غير راع سواء كانت
في حرث او غير حرث وقال تعالى وكنا لحكمهم شاهدين فقدم الظرف ولا يدل ذلك على انه لم يشهد الا حكمهم وقال تعالى فوهبنا له
يحيى واصلحنا له زوجه ولا يدل على انه ما اصلح الا زوج احد الا زوج زكرياء وفي الكتاب العزيز الف اية مثل هذا تبطل دعوى
الحصر والاختصاص فاما قول القائل ان الي مصير هذا الامر فاما ان لا يدل ذلك على الاختصاص وهو الصحيح او يدل
لكن كما يدل مع تقديم الظرف ويدل مع تاخيره اذا قلت ان مصير هذا الامر الي ولا فرق بين الموضعين والصحيح ان القرينة

تدل على الاختصاص في هذا الموضع الا مجرد الصيغة لانه ما جرت العادة ان الولاية وما يجري مجراها تنتقل الا الى واحد
فقط وقوله الثاني اذا اخترت احد ان يوقع الكلام على فعل ضعيف ووكلنا عليه في بعد ما المفعول **قال المص** فاما اذا
كان الكلام نفيا فقد يتقدم الظرف ويكون القصد بتقديمه النفي عن غير كقوله تعالى فيها غول ومراده بتفضيلها على خمور
اهل الدنيا وقد يتاخر الظرف ويكون القصد به النفي فقط لا التفضيل كقولك تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه فان القصد في
ايلاء حرف النفي الريب عنه واثبات انه حق ليس بزعم المشركون ولو اولاه الظرف فقال لا فيه ريب لكان قد قصد كما ما
اخر فيه الريب لا في هذا الكتاب كما قلنا في قوله لا فيها غول قال ومثل ذلك ان تقال لا عيب في الدار وتقال لا فيها عيب في
ان الاول تقتضي بتفضيلها على غيرها اي ليس فيها ما في غيرها من العيوب **اقول** ان هذا الذي ذكره شيء لا يعرفه اهل العربية ولا
اهل اصول الفقه ولا فرق عندهم في النفي المطلق بين قولهم لا ريب فيه ولا فيه ريب لا من جهة اخرى وهي انه تقع في
على قوله لا ريب في القواعد النحوية حتى يضم اليه شيء اخر وتقول ولا شك مثلا او نحو ذلك فاما فيما نحن فيه الريب
فالقطعان يدلان عليه دلالة واحدة ولعله طن ان حرف النفي اذا شابه المنفي بغير واسطة كان ابلغ في القطع من ان تحلل
بينهما واسطة ويجريه مجرى الموثرات الحسية فان السيف اذا شافه الجسم بلا واسطة كان ابلغ في القطع من ان تحلل
بينهما ثوب او درع فسطران هذا مثل ذاك وهذا وهم عامي لا يليق بمحصل وما نعلم كيف قد وقع له انه لو قال ليس
فيه ريب لدل على انه ليس كغيره من الكتب التي فيها ريب وانه لو قال ليس في الدار عيب لدل على انها ليس كغيرها من الدور
المعيبة وانه اذا قال ليس في الخمر الحتمة غول يدل على انه ليس كخمور الدنيا التي فيها غول فانه ليس في اللفظ تعرض لذلك
ولا بصريحه ولا بفحواه ولو جاز ان ينسب الى الالفاظ دلالة لا تقتضيها بصريحها ولا بفحواها لجاز ان ينسب اليها امور
لا تنتاها وذلك فتح وقد قال صحيح يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها ولا تاثيم وليس بتفسير هذا الرجل لقوله تعالى لا فيها غول ان
المراد تفضيلها على الخمور التي فيها غول ما ولي ان نعكس القضية عليه ونفسر به قوله تعالى لا لغو فيها بانه يدل على تفضيلها
على خمور الدنيا التي فيها اللغو والتاثيم فيجعل حرف النفي اذا باشر المنفي واخر الظرف دالا على الافضلية واذا تقدم الظرف
دالا على المنفي المطلق على ما قضته ما ذكره فانه للفصل بين القولين لا لمجرد التشهي والتحكم **قال المص** وتقدم الحال على ذي
الحال يفيد الاختصاص ايضا كقولك جاءني راكبا زيد فانه يدل على اختصاص زيد بالركوب فقط بخلاف ما اذا قلت جاءني زيد راكبا
فانه لا يدل على ذلك لجواز ان يكون ضاحكا وماشيا وعرفت ذلك **اقول** ان زعمت انك اذا قلت جاءني راكبا زيد فانك قد قصرت
زيدا من دون سائر الاحوال والهيئات على الركوب فقط وان ذلك سفي كونه لابسا وضاحكا وحاملا وغير ذلك من الاحوال
التي يحتمل ان يكون عليها فان قال نعم قيل له كيف زعمت ذلك ولا منافاة بين كونه راكبا وكونه على هذه الاوصاف
واي دلالة في تقدم الحال على اسفاء غيرها وهذا لغو من القول **قال المص** والاستثناء المقدم جاء هذا المجرى نحو قولك
ما قام الا زيدا احد فانه يدل على الاختصاص بخلاف قولك ما قام احد الا زيد والا زيدا **اقول** لعمري ان قولك ما قام الا
زيدا احد يدل على اختصاص زيد بالقيام لا لاجل تقديمه على الفاعل بل لاجل الاستثناء الذي يدل على اخراجه مما حكمت به على
غيره فلو لا اختصاصه بذلك لبطلت فائدة الاستثناء ولكن هذا المعنى مطرد في حالتي تقديم زيد وتاخيره لان الاستثناء
يدل في كلا الموضعين دلالة واحدة على اختصاص زيد بالقيام دون غيره لكذب في قولك الا زيدا لا تزال ان مر بحاولك ان
تقول له كذبت فان خالدا قد قام ايضا فلا فرق في هذا الاختصاص بين تقديم المستثنى وتاخيره فان كان هذا الرجل يذوقه
وحسه قد يفطر لاختصاص زائد على هذا المعنى عند تقديم المستثنى لا يوجد عند تاخيره فهيا الرجل قد ادرك ما غفل عنه
الاولون والاخرون وبرق حسا وذوقا وقف بهما على ما لم تقف عليه غيره والكلام لنا مع من هو هذه الصفة وانما
نتحدث

نتحدث مع اشكالنا وانما مر قدر ترقى الى طبقة اخرى فان امر مع بجاءة ذلك **قال المص** وقد احتلف الناس في حمل مر
عليها كلام كم مدة فقال قوم كحمل غيرها من النساء وقيل ثلثة ايام وقيل اقل وقيل اكثر قال والصحيح ان حملها ووضعها كانا
متقاربين على الفور من غير مهلة وربما كان ذلك في يوم واحد او اقل لقوله تعالى فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاها
المخاض الى جذع النخلة لانه عطف بالفاء وهي للفور ولو كان هناك تراخ ومهلة لعطف بثم التي تعقد لها **اقول** ان الفاء
ليست للفور بل هي للتعقيب على حسب ما يصح اما عقلا او عادة ولهذا صح ان تقال دخلت البصرة فبغداذ وان كان بين
بينهما زمان كثير لكثرة تعقد خول هذه على ما مكن بمعنى انه لم يمكث بواسط مثلا او مدة طويلة بل طوى المنازل بعد البصرة
ولم يقم بواحد منها اقامة يحرج بها عن حد السفر الى ان دخل بغداذ هذا هو الذي تقوله اهل اللغة واهل الاصول وليست
الفاء للفور الحقيقي الذي معناه حصول ما هنا بعده بغير فصل ولا زمان كما قد توهمه هذا الرجل الا تراه الى قوله لا نفرق
على الله كذبا فيسحتكم بعذاب والعذاب متراخ عن الافتراء وقال فلا تصدنك عنها من لا يومن بها واسع هواه فتردى والردى
متراخ عن الصد عنها وقال وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى فليس خروج النبات عقب نزال المطر هو
متراخ عنه وقال ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ان مكث متجنبا للشجرة التي
نهي عن اكلها مائة عام ثم اكلها وهي افراد هذا الجنس الكثير الواسع فاذن لا يدل قوله تعالى فاجاها
المخاض الى ان ذلك كان كله في يوم واحد او اقل كما اعتقده هذا الرجل **قال المص** ومن هذا الباب قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما
فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون
ثم لما صارا الى التقدير الذي تتبع بعضه بعضا من غير تراخ عطف بالفاء فلما انتهى الى جعله ذكرا وانثى وهو اخر الخلق
عطفه بثم ثم اعترض نفسه فقال قد وردت آية اخرى بلفظة ثم وهذه التمثيلات بعينها وهو قوله تعالى ثم كان من
ربيع من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم ليسئل عن الجواب فلم نقل شيئا هكذا وجدته في
نسخة هذا الكتاب وصلت اثنا مر الموصل وطلبت به نسخة اخرى فتاملتها فوجدته اخلى بياضا للجواب **اقول** وكان
الجواب عليه ان نقطع ما هنا لحقيقة الفاء وانها للست كما نظر الفا يقتضي الفور الحقيقي وانما يوجد احدهما في الزمان
الاول والثاني في الزمان الثاني بلا فصل بل يقتضي التعقب على ما يصح وتارة كما قد منا فاما مما يقتضي تراخيا ومهلة
اكثر ما في الفاء من العجب ظنه ان الفاء في قوله فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما
للتعقيب الذي توهمه وهو عدم الزمان المحسوس بين الحالين وكيف تمكن ان تعتقد هنا وبين صيرورة العلقة مضغة
زمان طويل وبين صيرورة المضغة عظاما مثل ذلك ولو كان لا مر كما تصوره هذا الرجل لوجب ان يكون الزمان
الذي تكون فيه النطفة علقة تكون في الزمان الثاني منه بلا فصل مضغة وتكون في الزمان الذي يليه على
تلك العظام لحما فتكون هذه المراتب كلها ويقع جميعها في اقل من عشر من عواشر دقائق الفلك وهذا امر ما قاله مخلوق
قط وهو مع ذلك مخالف للحس والوجدان فالاية الثانية الواردة بلفظه ثم غنية عن التاويل محكمة واضحة لان لفظة
ثم وارد في موقعها فاذا اذا اسعفنا على سياق كلامه ان نقول قام زيد يوم السبت فقام عمرو يوم الاحد لاحل ان بينهما
يوما واحدا واوجبنا ان نقول ثم قام عمرو يوم الاحد وجعلنا مدة اليوم مهملا وتراخيا ملتبسا ان نوتي بثم لاجلها فالاولى
ان نوتي بثم في اطوار الخلقة التي لا تستقل طور منها الى طور اخر الا في الايام الطويلة التي تجاوز الشهر واما قوله فلما صار الى
جعله ذكرا وانثى وهو اخر الخلق عطفه بثم فقال الذي جعله ذكرا وانثى فاركبت يعني قوله ثم انشاناه خلقا آخر فان

اي ان ثم تحتمل الامهال في الزمان بعد الزمان كما تحتمل الامهال في الرتبة بعد الرتبة وهو
كما يقال لبعض اولاده ان اكرمت زيدا ثم اكرمت عمرا اعطيتك كذا وكذا فان ثم هنا لا تقتضي
تراخي الزمان بل تراخي الرتبة لان اكرام عمرو اعظم من اكرام زيد

نقسم الحيوان المخصوص الى ذكر واناثى كما كان ٢ اخر المرات كما تقوم بل اما قبل واول التذكير والتانيث كالطوارئ على ما تعتقده قوم او
عند جعل عظامًا او لحمًا لانه لا تتصور ان يجعل عظامًا ولحمًا فتكون انسانا كاملًا ومع ذلك فليس بذكر ولا انثى فالذى يسبق
الى ذهن هذا الرجل ان المراد بقوله ثم انشاناه خلقا اخر الذكور والانوثة قد سبق قبيل الى اذهان قوم من ضعفة المفسرين
وهو غلط بل المراد بذلك انا اخرجناه من ذلك الوعاء الى خارج وجعلناه مستقلا بنفسه بعد ان كان جزءً امرأته
لانه كان يتغذى بأغذائها كما تتغذى عضو اعضائها فلما استقل بنفسه فى الغذاء وغيره وسمع صوته ورؤى شخصه
صار خلقا اخر قال المص ومر الالفاظ الفاظ يراد بها المبالغة والكثرة كالالفاظ التى تجى على وزن فعال كتواب وغفار فانهما
تفيدان كثرة التوبة والمغفرة وتكررهما من الفاعل وللسكاكى وغيره فانهما تدلان على وقوع المغفرة والتوبة من الفاعل
ولو مرة واحدة قال وقد وهم بعض شعراء الحماسة فى هذا الموضع فقال

لله تيوا اى ريح طرادة ● لاقى الحمام واتى فضل جلادة ● ويحش حرب مقدم متعرض ● للموت غير مكذب جبناه ●

قال فانعكس عليه المقصد لانه اذا نفى انه جبانا فقد نفى عنه كثرة الهمة والانحراف عن قرنه وذلك لا ينفى ان يكون قليلها
ولا شبهة انه يكون جبانا ولو وحد وامنه مرة واحدة والواجب ان يقول غير مكذوب حايد اقول فعلى هذا القياس يكون
قولك تعرو مباركك بطلام للعبيد يقضى ان لا يكون منكر الظلم ويكون مفهوم ذلك ونحوه انه يظلم العباد ظلما قليلا
كما كان محوى بيتا لشاعر ان هذا المرثى يحدث نادرًا واوان يكون قوله ٣ لا عطر الرأة غيرا رحلا لحب الله ورسوله وحبذا لله
ورسوله غيرا رأى لا يكثر القتل نفرا حيا ناى النادر وان يكون قول سطيح ٢ كهانة على رسول الله ٣ ليس بفظ ولا صخاب يقضى
انه لا يصخب كثيرا ولا يصخب ٢ وقت بعيد ● واعلم ان العرب اذا استعملت هذه اللفظة ٢ النفى فانهم لا يعنون بها الا
ما يعنون بلفظة فاعل فقط ولو شئت ان اذكر مر ذلك الا مثلا الكثرة لذكرتها فما فى الاثبات فانهم قالوا ان استعملوها الا ٢
الكثرة والتكرير كما ذكره هذا الرجل وقد كان الواجب ان ننصف مجارى كلامهم ونفرق بين استعمالهم لها اثباتا قال المص واعلم
ان قوة اللفظ لقوة المعنى ٢ مثل قولنا فعل بالتشديد انما كان كذلك اذا نقلت صيغة الثلاثى الى الرباعى مثل قتل وقتل
وكلم بمعنى جرح وكلم فانهما بعد النقل الى الرباعى يدل على القوة والكثرة وكل فعل مشدد وليس له ثلاثى قد نقل عنه فانه لا يدل
على كثرة وقوة مثل قولك رتل القراة فانها لا تدل على الكثرة بل على القراة على هيئة التانى والتدبر لانه ليس لهذه اللفظة فعل
ثلاثى وانما وضعت رباعيته لهذا المعنى فقط قال ومثل ذلك كلم الله موسى لا يدل على التكثير اذ لا ثلاثى لهذه اللفظة اقول
انه لا يصح ان تقال على الاطلاق انه متى كان لهذه الصيغة وهى فعل بالتشديد ثلاثى فانها تعطى معنى الكثرة والقوة وذلك
لانا قد وجدنا لها فى مواضع كثيرة بخلاف هذه الصيغة نحو قولك فلصت سفته اذا انزوت بالتخفيف ومثله قلصت بالتشديد
ولا فرق بينهما عند اهل اللغة فى كثرة وقلة وقد نصوا عليه وذكر ذلك صاحب ديوان الادب ومثله قصرت الصلوة وقصرت
واما قوله ان فعل مشددا اذا لم يكن له ثلاثى ونقل عنه فانه لا يدل على الكثرة فصحيح لكن مثل قولهم رتل القراة غير صحيح
لان هذه اللفظة لها فعل ثلاثى وهو رتلت ورأة بالكسر رتلا ورتلا ثغرها بالكسر ٢ اذا نضد وتقول منهما ثغر مرتل وكلام مرتل
فاما تمثيل بكلم فمثل صحيح لا نزاع فيه قال المص وقد ذهب جمهور علماء العربية الى ان علما البلغ فى معنى العلم من عالم قال
ولا ارى ذلك صوابا لان الحروف ٢ الموضوعة عدة واحد لم ينقل فيها الا ادنى عدد الى الا على بل الذى يوجبه القياس
نقيض ما قالوه لان فعلا ٢ وزن ظريف وكريم وامثالهما من افعال الاخلاق والطبايع التى لا تقع الا قاصرة وفاعلها
على هذا الغزير وهو فعيل لا غير وليس بناء فاعل كذلك لانه يجى من المتعدى كضارب ومن اللازم كقائم وما شبههما لا
يكون الا للقاصر اضعف مما يكون بناء وهو للمتعدى والقاصر معًا اقول ان فعلا وان لم ينص العرب على انه للمبالغة فقد

نبهوا

نبهوا على ذلك باستعمالهم اياه خبراء الحماسة فى قولهم حبر حلو العيون النجل ترعى بنا عين اعداء وهن صديق ●
اى وهن اصدقاء وقال المبرد وحسن اولئك رفقا اى رفقا واما وصف المونث به فكقولهم امراه صديق ومما فى الكتاب
العزيز قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ولم يقل قريبة واما وصف به المونث والمذكر وقع خبراء الحماعة صار كالمصادر
الواقعة للاجناس المشترك فى الوصف بها المفرد والجمع والمذكر والمونث نحو قولهم رجل فطر وامراه فطر ورجال ونساء
فطر ومثل هذا لم يجى ٢ وزن فاعل وعلة ذلك ان فعلا اشبه فعولا لانه صفة مثله والتاء حرف مد وفعول قد وقع
للجمع والمفرد والمذكر والمونث بلفظ واحد قال المبرد فانهم عدولى الا رتاب العالم فعدوه فعول وقد اخبر عن الحماعة اى
انهم اعداء وقالوا امراه شكور كما قالوا رجل شكور وانما استعملوا فعولا للمبالغة والكثرة لانه على لفظ فعول الذى يقع مصدرا
نحو الدخول والخروج وليس بينه وبين لا ضرب هذا وفتح هذا وقال ابو الفتح رحمه سرى التذكير من فعول المصدرى الى فعول
الوضعى يعنى ان المصدر للجنس والغالب على التذكير فلذلك لم يونث فعول اذا وقع للمونث نحو فاعل نحو امراه صبور
وامراه شكور ● وشذ قولهم امراة عدوة حملوه على قولهم امراة صديقة بالهاء الفارقة الواحد من المذكر والمونث فاما
قوله ان فعلا يجى مرافعا الغرائز فذلك لانا فى وقوعه للمبالغة لان قولنا قدم فهو قديم فيه مبالغة كذلك عتق
وهو عتيق بمعنى قدم فى الزمان على جهة المبالغة وقال ابو حنى عاد كالعرجون القديم قال المص ومر التطويل الذى لا
حاجة اليه قول العجير السلولى من شعراء الحماسة ● طلوع الثنايا المطايا وسايق ● الى غاية من سيرها يتقدم ● قال
فى الزيادة قوله المطايا لانه ان اراد ما اراده الحماح بقوله ● انا ابن جلا وطلاع الثنايا ● اى سامى الهمم الى معالى الامور
فالمطايا فضل لان معالى الامور لا يرتج اليها بالمطايا وان اراد به كثرة الاسفار فتحصيصه الثنايا بالذكر وسايير
الارض من المفاوز وغيرها لا فايدة فيه وعلى كلا الوجهين فذكر المطايا فضل لا حاجة اليها وهو تطويل بارد غث اقول
ان هذا الكلام مدخول من وجه الاول انه لو اراد ما اراده الحماح من سموهمته الى معالى الامور واحاطته علما بالخفايا كما
يحط علم الرينة الى بقرع الثنايا باحوال الارض ومرسيرها لها ولم يكن قوله المطايا زيادة لان معنى بحثها لانه كنى بالمطايا
عن مساعيه واثاره ومقاماته التى تقدم بها فى معالى الامور واكتسبها بها وسماها مطايا لانها هى التى اوصلته الى المعالى
كما يصل الانسان بالمطية الى مقصده ولهذه العلة استعار هذه اللفظة فقالوا الهار والليل مطيتان تقربان
البعيد وسمى ابو الطيب ناقته فقال ● لانا قتى تقبل الرديف ● لما كانت توصله الى مقصده فمراد الشاعر اذن
انتى لست معالى الامور بالسعى والاثار والتوصل لا بالميراث ولا مقتصرا على شرف الانساب ● الوجه الثانى انه
لو اراد ذلك لكان قاصرا عن كثرة اسفاره لكان لقوله الثنايا مزية ظاهرة على غيرها من الارض لان كثرة الثنايا والعقاب والروابى
اشق سيرا من ● الشاعر ● وثنية وذف يحارها القطا ● ويظل فيها حين يعدو الاحقب ● وقال
ومرياة لا تستطاع قطعتها ● بهيق كانبوب النصارى شمردل ● واشعارهم ٢ هذا الباب كثيرة جدا ● الوجه
الثالث انه اذا دعى ان لفظة المطايا هى الفضلة الزايدة برهن على ذلك بان قسم المعنى الى قسمين بين ان احد
القسمين ان كان هو المراد فالمطايا فضل زايد وهو المطلوب وان كان القسم الثانى هو المراد فالثنايا فضل زايد فاذن
استدلاله لا ينتج المطلوب لو ثبت زيادة قوله المطايا على كلا القسمين فاما اذا كان احد القسمين لا يقتضى زيادتها بل زيادة
غيرها فقد بطل قوله ودعواه ان على كلا الوجهين فذكر المطايا فضل لا حاجة اليها قال المص فاما بيت الحماسى ● واحد ●
يتجنب الاثام ثم يخافها ● فكلاهما حسنة اثام ● فانه قد جاء فى اكثر النسخ ● يجتنب الاثام حيث عنها وليس بشى لان
المعنى لا يصح به والوجه والرواية الاولى وقد خطر لى ٢ معناه انه نظر قوله ● والمدن بونون ما اتوا وقولهم ● وجلم

صلته فالمحوز تقدمه عليه الاعلى ما ولا نفسد وهو ان تقدر قبله شيء يدل عليه المصدر المتاخر وهو ٢ هذا الموضع خاصة متعلق التقدير او مستهجن التقدير ومن ذلك قوله وسهرت له احفان السوف سهر العيون عراحفانها كلام بارد لان العيون لا تسهر عن الاجفان وما سمعنا في نظم ولا نثر سهرت عيني عن جفني ولا شبهه انه اراد وسهرت لها اجفان السوف سهر اجفان العيون فلم يستوسق له ذلك فاني بلفظ اما ان لا يكون صحيحا اصلا او لا يحتاج في تصحيحه الى تعب شديد ليس تحت اللفظ من المعنى الغريب ما يساوي تكلف ذلك التعب **قال المص** وانما قصدنا ان يكون الكتاب الذي نكتب في هذا المعنى مشتملا على الترغيب والترهيب والمسامحة في موضع والمحاققة في موضع **اقول** قد ظهرت فائدة علم الادغام في باب الكتابة كما قدمناه فان هذا الكاتب اراد ان يوازن لفظه المسامحة لفظه المحاققة وسهى عن المحاققة فذكر ٢ الادغام عن جايز **قال المص** اللفظ قد تنازل على المعنى وصده فقد يساوي المعنى وغيره الذي ليس بضده والاول اغرب واطرف ٥ فمنها حامنه قوله عليه السلام صلوة في مسجدي هذا خير من صلوة في غيره من المساجد الا المسجد الحرام قال وفي هذا الحديث يستخرج منه معنيان ضدان احدهما ان المسجد الحرام افضل من مسجد رسول الله ص لان مسجد رسول الله ص افضل من المسجد الحرام اي بصلوة واحدة فيه لا بفضل الف صلوة في المسجد الحرام بل يفضل ما دونها خلافا لمن ساعد بالفه فان الف صلوة فيها بقصر عن صلوة واحدة فيه **اقول** هذا الحديث لا يدل قطعا على ان المسجد الحرام افضل من مسجد رسول الله ص ولا على ان مسجد رسول الله ص افضل من المسجد الحرام وليس الامر كما توهمه هذا الرجل وانما يدل على ان حكم المسجد الحرام مخالف لهذا الحكم الذي قد حكم به ص في مسجده وما في المساجد لان تقدير الكلام كل مسجد ٢ لا رص اذا صلي فيه الف صلوة فيها ٢ الفضل دون الصلوة الواحدة في مسجدي واستثنى عن هذا الحكم المسجد الحرام واستثنا وه المسجد الحرام عن هذا الحكم يدل بالمطابقة على ان المسجد الحرام مخالف لباقي المساجد ٢ هذا الحكم هذا هو الذي يدل عليه هذا اللفظ فقط ولا يدل على شيء اخر لا ٢ افضلية مسجده على المسجد الحرام ولا افضلية المسجد الحرام على مسجده لكن هذه المخالفة تحتمل امورا منها ان يكون مسجده عليه السلام لا تفضل الصلوة الواحدة فيه الف صلوة في المسجد الحرام بل تفضل تسعمائة صلوة او ما دونها بقليل ومنها ان يكون مسجده عليه السلام تفضل الصلوة الواحدة فيه صلوة واحدة في المسجد الحرام لا صلوتين ومنها ان يكون الصلوة الواحدة في المسجد الحرام افضل من الصلوة الواحدة في مسجده عليه السلام ومنها ان يكون الصلوة الواحدة في المسجد الحرام افضل من صلوات كثيرة في مسجده عليه السلام اما الف صلوة او اقل منها او اكثر ومراتب ذلك غير متناهية ولا معلومة فهذه احتمالات كلها تدخل تحت المخالفة التي دل الاستثناء عليها فقد ظهر انه لم يصب ٢ قوله ان هذا الحديث يمكن ان يستخرج منه معنيان ضدان هما افضلية مسجده عليه السلام للمسجد الحرام وبالاخرى افضلية المسجد الحرام لمسجده عليه السلام لانا قد بينا ان الحديث انما يدل على ان حكم المسجد الحرام مخالف لما قد حكم ٢ مسجده ونفيه للمساجد ولا يدل على شيء اخر لا في هذا المعنى ولا في ذاك لكن المخالفة المدلول عليها يمكن انقسامها الى افضلية كل واحد منهما والى تساويهما الص فالحاصل ان الحديث ما دل على شيء ضد ما ذكره المص وان سلم له انه قد دل فانه يدل ايضا على المساواة وهي امر ثالث وضد الص ولو شيء غير افضلية كل واحد منهما وذاك قسم لم يذكره المص فقد ظهر ان الذي ذكره مستدركا على كلام المقدسي **قال المص** وقد قال الواطسي المبني

واظلم اهل الظلم مرتاح ساعة ٥ لمرتاح في نعمائه متقلب ٥ **قال** وفي هذا البيت يستخرج منه معنيان ضدان احدهما ان المنعم عليه يحسد المنعم والاخر ان المنعم يحسد المنعم عليه **اقول** اما اولا فان هذين المعنيين ليسا بضدين لانه يجوز اجتماعهما معا فيكون زيد قد انعم على عمرو وحسده عمرو ولحسده الص فيكون المنعم والمنعم عليه كل واحد منهما محسد صاحبه فقد بطل

ونقدره انه يجتنب الاثام فيكون قد اتى بحسنة ثم تخاف تلك الحسنة فكانما حسنات اثام وهو على طباق الاية سواء **اقول** ان هذا المفسر الذي ذكره كاد يكون المفسر ولكنه لم يوضحه لانه قال يتخاف تلك الحسنة ولا ريب ان الحسنة التي صدرت منه هي تجنب الاثام لا الاثام نفسها وتجنب الاثام طائعة لا تخافه احد فما بال تخافه حتى صار كانه من الاثام فقد بان انه قد اعوزته كلمة لم يذكرها وهو انه لا تخاف تجنب الاثام نفسه بل تخاف ان لا تقبل منه وان لا ثاب عليه فيكون خوفه من ذلك كخوفه من الاثام نفسها ويكون هنا من باب حذف المضاف كانه قال يتجنب الاثام تم تخاف رد ها او تخاف احباطها والضمير رجع الى مصدر قوله يتجنب لان تتجنب قد دل على التجنب فان قلت صمير المؤنث ههنا كيف جا والتجنب مذكر قلت هو محمول على المعنى لان التجنب كالجفوة والهجرة والمفارقة واعادة مثلا ٥ الكعاب جمع كعب ووضع مواضع الكعاب جمع كعبة وكذلك ما جا مثل الراح المفرد والراح الجمع لسما اخر بجوز ان يكون ورد ٢ قبيلتين كل واحدة منهما وضعتا للفظ لسما غيرها وضعتا لقبيلا الاخرى له فالعدول الاول ٢ وقوع الاسراف في اللغة مطرد فيما ظن هذا المص انه لا يمكن اطراده فيحدوا لفعل بالفعل **قال المص** وحد المثل هو القول الموجز المرسل ليعمل عليه **اقول** هذا باطل بقوله تعالى اقيموا الصلوة فانه قول وجيز مرسل ليعمل عليه وليس بمثل وايضا فان اراد ليعمل عليه اي ليعمل بموجب ما فيه من الاقتضاء والطلب فهذا باطل باكثر الامثال نحو قولهم هو افعل منك وان اراد بقوله ليعمل عليه ان يستعمل ٢ الموضع الا يليق به كما يبت شعر من الاشعار الجاهلية والحدث قول وجيز مرسل يستعمل ٢ موضع يليق به وذلك يقتضي ان يكون الشعر كله امثالا ولم يقل بذلك قايل والصحيح ان يقال المثل ٢ على نوعين احدهما ما قصد به المبالغة لمفظة افعل كقولهم اشعر من ذات النحيين والثاني كل كلام وجيز منثورا او منظوما قيل ٢ واقعة مخصوصة تتضمن معنى وحكمة قد تهيأ بتضمنه ذلك لان تستشهد به في نظائر تلك الواقعة **قال المص** وقد كتبت كتابا لما اقترحه على اذكر فيه فتح مصر معارضا الكتاب كتبه عبد الرحمن ٢ اليبساني ٢ المعنى فعلت فيه ومن حملتها ما فعل الحادم ٢ الدولة المصرية وقد قام بها منبر وسر ٥ وقالت منا امير ومنكم امير ٥ ورد الدعوة العباسية الى معادها واذكر المنابر ما نسيته بها من رؤوا عوادها ٥ ولم يعد الى وطنها حتى عرفت لها الارواح اوطانها ٥ وسهرت لها احفان السوف سهر العيون عراحفانها فانظر الى هذا الكلام كيف اتيت به بكلام الحباب المنذر الانصاري حيث قال يوم السقيفة للمهاجرين منا امير ومنكم امير والقصة مشهورة فقال ابو بكر بل الخلفاء واتمة القرشاء قال وهذا هو نكتة هذا الفتح التي عليها المعول ومركزه الذي عليه يدور ومعجب من عبد الرحمن ٢ اليبساني مع تقدمه ٢ الكتابة كيف فاته ان يأتي به في كتابه **اقول** ان القاضي الفاضل ابا علي رحمه الله كان موفقا حيث لم يذكر ما ذكره هذا الرجل واعجب به وذلك ان الحباب بن المنذر والانصار رضوا ان يكون منهم امير ومن المهاجرين امير وملوك الدولة الطائية عصر لم يقصروا على ان يكون منهم خليفة ومن الائمة العباسية رضوان الله عليهم خليفة بل كانوا يدعون بان الخلافة ليست الا لهم خاصة دون غيرهم وما زالت الحرب بين الفريقين قائمة والمهيع سالكة على ذلك ولو لم يكن الا ما جرى ٢ الايام القايمة للكفي وكيف كان القاضي الفاضل ٢ حالا لا تمر بذهب عليه مثل هذا ونشبته واقعتهم بواقعة الانصار ويورد كلام الحباب بن المنذر ويشوق وجه رسالته الحسنا وانما ترصع الرسائل بالنوادر والايام المشهورة اذا كانت مطابقة للحال الحاضر لا اذا كانت مخالفة لها فاما الكلام المنثور الذي انشاه في هذا فليس من حد قوله وقد ما لا يجوز وان يجاز فهو على ضعف شديد وتكلف عظيم ثم ذلك قوله واذكر المنابر ما نسيته بها من رؤوا عوادها فان الباء في بها لا محال له معلقة بنزهو والا لم يبق للكلام معنى ٢ ويكون التقدير واذكر المنابر ما نسيته من زهو عوادها بها وحرف الجر اذا تعلق بالمصدر صار من

صلته

نفذ القضاء عما اردت كانه لك كلما ازمعت شيا ازمعا • واطاعك الدهر العصى كانه عبدٌ اذا ناديت لبى مسرعا •
ولكرسيف الدوله لما استتر اخلاص الى الطيب في ولايه عدل الناس في هذا الشعر الذى كان يضمر ذكر الحدو الحط فلم
يذكروه ولم يجعلوه موجها شوطا مار المدح والذم وقالوا اذ ذلك في فور لكان تقصيرا يابى الطيب واعراب كل واحد
منهما عن صاحبه ومجاوزه الى الطيب له بعد مفارقته الهجاء ولو املت الاشعار كلها واردت ان استنبط منها ما يمكن
ان يكون هجا لقدرت هذا السيد الحميري من الشيعة العلوية الحلف في ذلك ثنايا وقال ابو عمر الزاهد في كتاب
الياقوتة ان بعض الشيعة انشدنا محالة قول السيد •

اقسم بالله واللاته • والمرء عما قاله مسؤل • ان علي ربي طالب • على الهدى والبر محمول •
وانه كان لاهام الذى • له على الامه تفضيل • كان اذا الحرب مرها القنا • واحمحت عنها البها الليل •
تمشي الى الروع وفي كفه • ابيض ماضي الحد مصقول • مشي الغضنفر ابي اشباله • اضجره للغيض الغيل •
ذاك الذى سلم في ليلة • عليه ميكال وجبريل في الف وتلوهم سرافيل •
في يوم بدر بدءا كلهم • كانهم طرا ابابيل • فقال له ابو محالة ما هذا ان الشاعر لم يمدح صاحبه
وانما هجاه في موضعين احدهما زعم ان عليا مجبول على البر والهدى ومرجبل على امر لم يمدح عليه لانه لم يكسبه بعينه والثاني
انه زعم انه لقي حروبه ما لملئكه ولا فضيلة له اذن في الظفر لان ابا جهل النمري لو ايده هولاء لقهر الاعداء وغلبهم •
واعلم ان الشعراء ما زالت في ورم الوقت وحدثه يمدحون الرئيس بعلو جده ومساعدة الاقدار له ومطاوعة
الافلاك والكواكب والدهر لارادته واقوالهم في هذا اكثر من ان تورد وتحكى وكان البيت الاصلي في اكثار هم مرد كل ارعلوا
اسماع اعداء الممدوح وخصومه ويوقروا في صدورهم وشتتوا في نفوسهم انه منصور من السماء وانه محوط بالعناية
الالهية وان الكواكب تساعده والاقضيه والاقدار تجري على مراده فوقعوا الرعب منه في الصدور والخوف في القلوب
الى ان لخذلان ربنا وبه من غير حرب ولا كيد • وقد روى ان ملك الصين عرض عسكره على الاسكندر فاستعظمه ورأى ما
هاله فقال له قد كنت قادرا على ان اصادمك لهذه العساكر العظيمة لكني رايت الافلاك ناصرة لك ورايتني لا احارب
من ينصره الفلك ثم اعطاه الطاعة ودفع اليه الاتاوة • ما الحص فاما ما استدل به على الشئ وعبر به عن الشئ وصدر مثل
قوله تعز في قصد ارهم وولده فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك الى قوله
وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال فقوله وبشرناه باسحق يحتمل ان يكون استينافا فاذكر اسحق عليه السلام بعد ذكر الغلام
الحليم صاحب القصة وهو اسمعيل عليه السلام ويحتمل ان يكون وبشرناه باسحق بشارة بنبوته بعد البشارة بميلاده اى
يكون قوله ثم وبشرناه بغلام حليم اشارة الى اسحق وهي بشرى الولادة فقط وقوله وبشرناه باسحق نبيا بشرى النبوة ويكون
هو صاحب القصة لاغير • اقول هذا القسم بان يجعل في القسم الاول وهو ما استدل على الشئ وضده اليق لان هذه لا
تخلو فيها احتمالان يستحيل الجمع بينهما لان الناس مجمعون على ان احدهما هو المذبح لا كلاهما فكل واحد من القولين
مناقض للاخر ويضاده فيكون لا محالة من باب ما امكن استخراج امر متنافيين منه فلا وجه لادخالها في هذا القسم
ولا هي من صورة ان صح ان هذا لا احتمال ان تتخذ بانها على سواء الصحيح ان حملها على ان الذبيح هو اسمعيل ارجح واظهر
من حملها على انه اسحق لان الظاهر من قضى البشارة بمولد اسحق لا بنبوته لانه اذا قيل قد بشر عمران موسى تبادر الافهام
الى ان البشارة بمولده ولانها عطف على قوله رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم ثم قال وبشرناه باسحق فهذه
البشارة هي مثل تلك البشارة وكلاهما بالمولد ولانه لو كان صاحب القصة هو اسحق والمراد بالبشارة الثانية البشارة

الفضاء الذى ذكره ووجب دخول هذا البيت في القسم الاخر وهو ان تناول اللفظ على المعنى وغيره الذى ليس بضده
وانضر فان لفظ البيت يشعر انه اراد ان المنعم عليه يحسد المنعم وكذلك سياقة الشعر اما لفظ البيت فلانه سماه
ظالما وقال انه اظلم الظالمين ولا شبهه ان من انعم عليه بنعمة يحسد من انعم عليه بها وود زوال النعمة وانتقالها الله
فانه يكون مكافا الاحسان بالاساءة فكان ظالما فاما اذا انعم انسان على غيره ثم حسده لكل الغدر فانه لا يسمى ظالما لانه لم يكافئ الاحسان بالاساءة نعم قد يسمى الحاسد ظالما كما قال ارهاني • وهب الدهر يفيشا فاستردّ • ربما جاء الخيل محسد •
واما سياقة هذا البيت فان هذا المصدر يحتمل ان يكون مضافا الى الطيب ويحتمل ان يكون مضافا الى ما املت فرعا شرت بما يجر الطير ورده
انه ليس متردد ابين المدح والذم كما قد توهمه قوم لان سياقة الشعر يقتضي انه اراد المدح لا الذم واذا كان كذلك
فسياقة هذا الشعر يقتضي انه اراد ان المنعم عليه يحسد المنعم لانه قال • خيبوا •
يريد بذلك الحساد ما السداد فيه • وكسروا العوالي والحديد المذرب • اذا طلبوا حدوا اذا اعطوا وحلموا وان طلبوا الفضل الذى فيك
ولو جازان يحوا علاك وهبتها • ولكن مرالاشيا ما ليس يوهب • واظلم اهل الظلم من بات حاسدًا • لما بات في نعمائه يتقلب •
فهذا يدل على ان الممدوح بعطي هولاء ويمنع حسدونه واذا كانت السياقة تدل على انه اراد هذا المعنى خرج من كونه دالا
على معنيين ضدين كما حكم به في البيت المتقدم • قال المص وقد قال ابو الطيب في كافور •
ما لك تغني بالاسنة والقنا • وحداؤك طعان بغير سنان • وما لك تختار القسي وانما • عداك السعد رمي وبك الهوان
فان هذا يحتمل المدح والذم بل هو الذم اشبه لانه يقول لك لا تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل الجد وسعادة
وهذا لا فضل فيه لان السعادة ينالها الخامل ومر لا يستحقها فاذا كثيرا ما كان المبنى يستعمل هذا الفرق في القصائد
الكافوريات • اقول ان الناس وقع لهم واقع طريف مع المبنى في هذا الباب وكان اصل الشيخ ابو الفتح عثمن بن جني رحمه
فانه نبه المبنى على شي من هذا الباب لم يكن قد قصده ولا خطر بباله فضحك المبنى ولم يكره ذلك لبغضه لكافور وحنقه
عليه فصار فيه حديث طويل وزعم مرجا بعده ان المبنى كان يقصد ذلك ويتعمده ويمدحه بالشعر الموجه الذى يحتمل
المدح والذم ومنهم من زعم ان كافورا كان يفطن لذلك ويغيظ به المبنى وما كان ذلك قط ولا وقع سي
منه ابو الطيب محمود لك اصلا • فاما هذان البيتان فقد قال سيف الدوله الى الحسن مثلهما كثيرا مثل قوله له •
ولقد مت بالسعادة بعضًا • من نفوس العدى فادركت كلا • وقوله ايضا • اذا سعدت لا عدا في كيد مجده • سعى جده في مجده سعي محنق •
وهذه الرواية اولى من رواية من روى سعي مجده في حده لان قوله بعده • وما نصر الفضل المبرز غالبا • اذا لم يكن فضل السعد الموفق •
يؤكد ما ذكرناه • ونحو قوله له • لو لم يكن بحرى على سياسه • مجانهم لجرت على اقباله • ونحو قوله •
ثم يطلبون مرادركوا • وهم يكذبون فيصدقوا • وهم يمنون ما تشتهون • وهم دونه حدك المفتل •
وقد قال لعضد الدوله الى شجاع وهو اعظم ملكا من سيف الدوله الى الحسن واشد بأسا واكثر اسقاء للشعر وهو ذكر هزيمه
وهسودان عسكر ركن الدوله ابيه • ولست بومي قفا عسكره • ولم ار دانيا والشاهد •
ولم يعب غائب خليفته • جيش ابيه وحده الصاعد • وقال له في هذه
القصيده وقد صرح بانه يقهر الاعدا بالجد فقط والحظ مع وهشودان •
ان كان لم يعدك للامير لما • لقيت منه يمنه عامد •
فلا نيل قاتل اعاديه • اقاما نا لذاك ام قاعد • وقال له في قصيده الوداع
واني شتمت باطرفي فكوني • اذاة او نكاه او هلاكا • يشرد بمن فتا خسر عني • قنا الاعداء والطعن الدراكا • وقال لعضد ايضا من قصيده

بنبوته لقال ونشرناه به بنيامر الصالحين لان قبلها ضمايركثيره ترجع اليه فلوكان هو المراد لذكره بالضمير كالضمائر المتقدمة
قال المص ومرهذا القسم انضما يحكى ان الحرورية طفرت برجل فقالت ابرامر علي وعثمان فقال اما مر علي وعثمان برى قال
فهذا دل على معنيين احدهما انه برى مرعثمان وحده والاخر انه برى منهما ولكر الرجل لم يرد الا الوجه الاول **اقول** الرواية اما مر
علي ومر عثمان برى باثبات من الثانية وهو الصحيح لانها لوحذفت لعطف بالواو على عامليرو هو غير جايز بل المعتمد انا مر
علي اى مر اصحابه وانا مر عثمان برى والواحد لفظه في النسخه التي وقعت عليها هذا الكتاب ولعل الناسخ قد اوهم وانض فان
هذه الحكاية مان يلتحق بالقسم الاول الى فانه قد استخرج منها معنيان متضادان احدهما البراة مرعلي وعثمر معًا والاخر
ولاء علي وحده والبراة مرعثمان ولاريب ان احدهذ القسمر مناف للثاني فهو بالقسم الاول اشبه **قال المص** ومرهذا ما
يحكى ان عبد المسيح رُقَيْلَه دخل على خالد بن الوليد باجرية فقال له خالد مراين اقصى اثرك قال مرظهر ابي قال مراين جئت
قال مر بطن امي قال فاعلام انت قال على الارض قال فمم انت قال من ثيابي قال ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال وهذا مر توجيه
الكلام على نمط حسن وهو يصلح ان يكون جوابا لخالد عما سال ويصلح ان يكون جوابا لغرض مما ذكره عبد المسيح **اقول** ان
اللفظ الذي يحمل على المعنى وغيره في هذه الحكاية هو الفاظ خالد لا الفاظ عبد المسيح لان قول خالد علام انت تحتمل ان
يريد به على اي حال انت مر على اي ءمر انت وعلى اي مكان انت وكذلك نقد لا الفاظ فعدل المسيح
ترك ما علم انه عرض خالد وعدل الى المحمل الاخر الذي يعلم انه ليس بغرضه فقول المص هذا مر توجيه الكلام على نمط حسن وهو
يصلح ان يكون جوابا لخالد هو اشارة بلا شك الى الفاظ عبد المسيح لست بموجها بل الموجه الفاظ خالد لانها هي المحتملة
للامر فقد بان ان قول المص ان الفاظ عبد المسيح موجهة ليس بصحيح وانض قوله وهو يصلح ان يكون جوابا لخالد عما سال ويصلح ان
يكون جوابا لغيره غير صحيح انض لان هذه لا يجوز ان يكون جوابا لخالد عما سال لانه خالد انما سال عن امر فاجاب عبد المسيح
بغير ما لذي قاله عبد المسيح لا يصلح ان يكون جوابا لخالد عما سال عنه بخلاف ما قاله هذا الرجل **قال المص** وقد ورد في
التوريه لا تاكل الجدي بلبن امه وهذا التحريم يحتمل وجهين احدهما ما دل عليه ظاهر اللفظ وهو تحريم اكل الجدي بلبن امه
خاصة فاذا اكل بغير لبن امه جاز ولم يكر حراما والهود لا يقول بذلك والاخر ان اكل كل ما يسي مر اللحوم كل شيء مر اللبر حرام وهو
قول كافة اليهود **اقول** الذي في التوريه لا ينضج الجدي بلبن امه لا لا تاكل وهذه الاية سواء كانت لا ينضج او لا تاكل خارجه
عن هذا القسم وعن القسم الذي قبله لانها دالة على تحريم انضاج الجدي بلبن امه او تحريم اكله بلبن امه وليس فيها ما يدل
بالمطابقه ولا التضمن ولا بالالتزام على تحريم اكل غير الجدي بغير لبن الام او اليهود لم تحرم اكل اللحم باللبر المخرج هذه بل منصوص
اخرى نقلها فقهاؤهم عليه سلمناه لكن ادخال هذه الاية في باب الالفاظ المتردده مر المعاني المختلفه لا وجه له **قال المص**
وما يجري على هذا النهج وما حكي عر افلاطر انه قال ترك الدواء افضل من اداء الطف المزاج وانتهى
الى غاية لا يحتمل الدواء معه ربح ولا اضراب عنده والدهر اخرون الى انه اراد بالترك الوضع اي وضع الدواء على الدواء
ليشر بذلك الى حذق الطبيب في وقت علاجه **اقول** ان مراد الحكيم ليس واحدا مر هذين المعنيين ومراده ظاهر بقوله العاقل
دائما وهو ان ترك الداوي حيث لا حاجة اليه هو الداوي بعينه وقد شرح ذلك الفيلسوف فقال الجسد في الصحة كالمخلط
في المرض فاما المفسران المذكوران فقد ران جدًا وخصوصًا الثاني منهما فانه لا يعد ان يحمل الكلام عليه وليست
الادواء كلها مما يوضع الدواء عليها واكثرها باطنة غامضة وانما يوضع الدواء على داء عارض في الاعضاء الظاهرة وسطح
البشرة وبالجملة فهو يفسر بكل لا يستحسن حمل كلام ذلك الحكيم الفاضل عليه **قال المص** ومما يخرط في هذا السلك قول ابي
كثير الهذلي • عجبت لسعي الدهر بيني وبينها • فلما انقضى ما بيننا سكر الدهر • قال وهذا يحتمل وجهين الاول احدهما

انه اراد بسعي الدهر سرعة بعض الاوقات مدة الوصال فلما انقضى الوصال عاد الدهر الى حالته الاولى في السكون
والبطوء والاخر انه اراد بسعي الدهر سعي اهل الدهر بالتماهر والوشايات فلما انقضى ما كان بينهما مر الوصال سكنوا
وتركوا السعاية **اقول** التفسير الثاني هو الصحيح والاول غير صحيح لا لاحتمال وفي البيت ما يمنع منه بيان ذلك انه قال
بيني وبينها وهذه اللفظة تمنع مر ان يريد بحبت لسرعه تقضي الزمان ايام وصالنا فانها قريبة بحال لفظة السعي على
السعاية والنميمة بالشر لاعلى السعي بمعنى الحركة والسير لان العرب تقول سعى فلان بر بني فلان بالشر اي ضرب بينهم
وحمل بعضهم على بعض ولا تقول سعى بينهم مر السعي بمعنى الحركة والسير الا ان يراد به انه كان تحرك وسير بين قوم
متفرقين اما كر شيء وليس هذا مقصود البيت ولو اراد السعي بمعنى مرور الزمان لقال ما حبت لسعي الدهر ايام
وصلنا او ما شبه ذلك وبالجملة فمنشاء المحمل الاول ظاهر عند مر له ادنى نقد للمعاني الشعرية **قال المص** وليس كلام
محمل مترانا سمي ضرافا ولا كلام موزن به سمي عرافا **اقول** هو الكاهن وليس الموزن مر الكهانة ولا بينا سببها ولو قال ولا كلام
نقدا وتكهن سمي عرافا لكان اولى اللهم الا ان يريد ليس كلام موزن بخاطر اي لحم ونقد سمي عرافا فيجوز لكنه ناول
وخير الكتابة ما كان معناه جليًا ومحمد فهام موضوح المعاني مما لا محيد مر الكثير مر الشعر **قال المص** الفرق بين الترجيح
البياني والترجيح الفقهي ان لترجيح الفقهي ترجيح بدليل الخصم وحكم شرعي وها هنا ترجيح مر جانبي فصاحة وبلاغة
في الفاظ ومعان خطابية وبيان ذلك ان صاحب الترجيح الفقهي رجح بين خبر الواحد مثلا وبين خبر التواتر او بين المرسل
والمسند وما جرى هذا المجرى وهذا لا تعرض له صاحب علم البيان لانه ليس مر شانه ولكر الذي مر شانه ان يرجح بين
حقيقة ومجاز او بين حقيقتين او بين مجازين ويكون في ذلك كله ناظرا الى الصناعة الخطابية **اقول** انه قد طال في هذا
الفصل واسهب مما لا ثمرة له الا تسويد الكاغد وتضييع الزمان فان كل احد يعلم ان باب المعقود في هذا العلم
للترجيحات لكون لا متضمنًا ترجيحات الفقهاء ولا ترجيحات النحاة ولا ترجيحات الاصوليين فاي حاجة الى بعض
هذا التقصص وتطويل هذه الاطالة ومر العجب قوله وسيان ذلك وهذه لفظة تقال فيما يحتاج الى بيان وبرهان
فاما مر قال ان مباحث النحاة مثلا في باب الفاعل والموصول غير مباحث الفلاسفة وما هذا الزمان والمكان فانه
لا شارعة في ذلك فاقل حتى يحتاج الى ان يقول وسيان ذلك **قال المص** والترجيح انما يقع بين معنيين يدل عليهما
لفظ واحد والا لم يكر الترجيح فيهما مر ثلثة اقسام اما ان يكون اللفظ حقيقة في احدهما مجازًا في الاخر او حقيقة فيهما
معًا او مجازا فيهما كذلك والترجيح بين الحقيقتين او بين المجازين يحتاج الى نظر واما الترجيح بين الحقيقة والمجاز
فانه يعلم بالبديهة لكن لا خلاف بينهما والشيان المختلفان يظهر الفرق بينهما بخلاف الشيئين المشتبهين **اقول**
الذي يعلم بالبديهة هو الفرق بين الحقيقة والمجاز لا الترجيح لانا اذا علمنا في لفظ مستعمل في شعر او خطابة انه
متردد بين معنيين احدهما موضوع له وضعًا اولًا ومنقول الى الاخر ثانيا فقد علمنا الفرق واما ترجيح احد
المحملين على الاخر فانه لا يعلم الا بالنظر كما لا يعلم الترجيح بين مجملين في لفظ واحد وكلاهما حقيقة او كلاهما مجاز الا
بالنظر ويدل على ذلك الاية التي اوردها بعد هذا الكلام بلا فصل وهي قوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
فان لفظة الجلود هنا متردده عنده بين الجلود والحقيقة وبين الفروج على سبيل المجاز والمحاج ترجيح احد المحملين
على الاخر الى نظر دقيق **قال المص** وبيان الترجيح بين الحقيقة والمجاز قوله تعالى حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم
وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون قال في الجلود يمكن ان يكون هذه الجلود الحقيقة ويمكن ان يراد بها الفروج
مجازا لكر المانع البلاغي منع مر حمل لفظة الجلود في هذا الموضع على حقيقتها لما قدم مر ان لفظ الكناية عر الكني عنه

قال وتمكن ان يستدل على ذلك بوجه اخر استنباطا بان نقال اما ان يراد بالجلود هذه الجلود المعروفه او الجوارح التي ذوات الاعمال والاول باطل لان شهادة الجلود وهي غير الفاعلة شهادة باطلة لان المراد الاقرار بان تقولوا لبدانا احدثتم كنا والرجل اذا مشيت الى كذا وكذلك الجوارح والثاني لانا نحن اما ان يراد كل الجوارح وهو باطل لانه قد دخل تحته السمع والبصر فلا يكون لتخصيصهما بالذكر فائدة او بعض الجوارح فيكون ذلك البعض هو الفروج لان حملها عليها اولى من حملها على احدهما ان الجوارح كلها قد ذكرت في القران شاهدة على صاحبها بالمعصية ما عدا الفرج فكان حمل الجلد عليه اولى انتهى كلامه جميع الاعضاء والثاني انه ليس في الجوارح ما ذكره التصريح بحد ذكره الا الفرج فكني عنه بالجلد كراهة لذكره تسترا لنفسه فعال لم يجز ان يراد كل الجوارح ويكون ذكر السمع والبصر مرتبا للمفضل كقوله تعرفا كهة ونخلا ورمان وهما من الفاكهة واجاب فعال هذا الكلام يوكد استدلالنا لان النخل والرمان انما افرد بالذكر لفضلتهما على الفاكهة وليس السمع والبصر افضل او اكثر واوفى من سائر الاعضاء في المعصية لان قصارا المعصيتان بهما ابصار محرم او سماع محرم وكذلك لا يوجب الحد واما غيرهما من الاعضاء فقد يقع به الكبائر التي توجب الحدود فكان ينبغي ان تكون تلك الاعضاء هي المخصوصة بالذكر دون السمع والبصر هذا ملخص ما ذكره بعد حذف المطولات اقول اما الوجه فليس بشيء لانه ما زاد على ان قال هذا مانع بلا غنى تمنع من حمل الجلود على حقيقتها لما قدمه من لطف الكناية عن المكني عنه فوجب ان لا تحمل الجلود على حقيقتها وان تحمل على الفروج وهذا ضعيف لانه تمنزله قول من يقول ان الجلود في قوله تعز كلما نضجت جلودهم بدلنا بهم جلودا غيرها معنى الفروج وان هذه الاية نزلت في الزناة وكني عن الفروج بالجلود لانها كناية لطيفة وانما كان كذلك قد ذكر الله اجزاء من اجزاء بدن الانسان وهي السمع والبصر والجلد وقال انها تشهد عليهم فلم يحمل الجلد على الفرج لان الفرج لم يتوان لا ذكره تصريحا وحسن ان يكني عنه بغيره ولي من ان يحمل السمع والبصر على الفرج لهذه العلة وانما نحن حملنا الجلد على الفرج اذا كان بين لفظتي الجلد والفرج ومعناهما مناسبة ولا يحصل بين السمع والفرج ولا بين البصر والفرج ونحن لا نحذر فرقا بين هذه الاجزاء الثلثة وكل واحد منها بعيد عن الفرج لا مناسبة بينه وبينه اللهم الا ان يكون مراجعا ان الجلد جزء من اجزاء ماهية الفرج فيعتبر الكل لبعض وهذا بعيد جدا واما استدلاله ثانيا وابطاله ان يراد بالجلود هذه الجلود الحقيقة لانها لست هي الفاعلة لخلاف الاعضاء كاليد والرجل فسيغني ان نجاب عنه بالضحك مرعاة لتوهم ان اليد هي التي فعلت الكتابة وان الرجل هي التي فعلت المشي وان اللسان هو الذي فعل النطق وهذا وهم عامي لا يعتقده محصل فاما ابطاله ان يكون الجلود هي جملة الاعضاء والجوارح بقوله انه قد ذكر السمع والبصر فلا يكون لافرادهما بالذكر فائدة فجوابه ما سال عنه نفسه وهو ان المراد بذلك ما اردتم قوله تعرفان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين والملك بعد ذلك ظهير وقوله هنا لا تحذروا لان العصيان بالسمع والبصر اخف فنقال له بل هنا هو الترتيب الصحيح في نظم الكلام كما توهمه مثال ذلك ان يقال دخلت قرية كذا فوثب علي الولدان والنساء وكلموني فيها تفرد الولدان والنساء وتخصيصهم بالذكر لانه ليس من شانهم ان يثبوا على الرجال وتقتلوهم وانت انما تريد انه وثب علي الضعيف والقوي فكذلك الاية تقدرها شهد عليهم جوارحهم بالمعصية به صغير وما المعصية به كثير ثم يقال له سلمنا انه ليس المراد كل الجوارح بل بعضها فلم قلت ان ذلك البعض هو الفرج قوله لان سائر الاعضاء قد ذكرت في القران الها تشهد الا الفرج فوجب ان يكون هو المراد بالجلود ليكمل شهادة كل الاجزاء باطل لانه لم يذكر في القران شهادة سائر الاعضاء وانما ذكر شهادة الايدي والارجل والسمع والبصر والالسنة والجلود في ايات متفرقة فاما القلوب فلم يذكر في صريح شهادة بل قال ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسئولا ولم يذكر شهادة القلوب الى قوله بالدليل

لا ي

ان

ان الاعتقادات والعلوم والجهالات فيها ولا ذكر شهادة الذوق وهي اللماه مما ذاقته من الحرام والحلال ولا شهادة حاسة اللمس مما لمسته من المحرمات فقد بطل قوله انما وقع الاخلال من جميع الاعضاء في الشهادة بالفرج وحده واما قوله انه يجب حمله على الفرج لانه مما ذكره التصريح بذكره فوجب ان يجعل هذا اللفظ كناية عنه فباطل لانه تعرف ذكره في غير موضع فقالوا والذين هم لفروجهم حافظون وقال قل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن وقد يعلم ما في الارحام وما يشاء كني في هذه المواضع بكناية اصلا قال المص ومما يستدل به على مراد المتكلم تفهمه لطيفة دقيقة قوله عليه السلام من عمل قاضيا بين الناس فقد ذبح بغير سكين قال معناه ان من عمل قاضيا بين الناس فعد جسيما بين نفسه وهواها لانه يكون محمولا على الامتناع من اخذ الرشا وما مورا ان يحكم لعدوه على صديقه وان يرفع الحجاب بينه وبين الناس ويجلس للقضاء في وقت راحته وتتعب نفسه ويجهدها قال فلما اشتراء القضاء والذبح في الالم الشديد وكان الذبح الحقيقي هو قطع الحلقوم والقضاء هو قطع النفس عن هواها للاجرم كان الشخص الذي يجعل قاضيا مذبوحا ذبحا معنويا قال وهذا موضع غامض لطيف اقول ان تاويلات الباطنية لايات الكتاب الغريبة واقرب الى العقل من هذا التاويل وكيف يجوز ان ينسب رسول الله ص الى انه اراد هذا المعنى وهل هذا الا في قوة ان يقال امر يترتب قاضيا فانه تتعب بجد مشقة وينقطع عليه كثير من اوقات راحته ومنصب رسول الله ص اجل واعظم من ان يكون هذا المقدار فحوى كلامه ومعلوم انه انما اخرج عليه السلام هذا اللفظ مخرج التحذير لاصحابه من القضا لما فيه من التعرض للاثام والمواخذة الاخروية وانه ليس لاحد ان يقدر على ضبط نفسه عن الميل الى احد الخصمين ولا يملك سورة الغضب التي تفضي به الى الظلم بغير الحق ولا يستطيع بحسب المراقبة والمحاباة لابناء الدنيا واصحاب السلطان ولذلك كان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم اجمعين يتفادون من القضا ويفرون منه ويستعيذون الدهر الاطول اذا ندبوا اليه ويحملون مشقة الهرب والاستتار ومفارقة الاوطان حذرا من عقاب الاخرة لا وطان حذرا من عقاب رسول الله ص اصحابه وامته من الدخول في القضاء لكونه مجانبا لهوى النفس وكونه يورث التعب والمشقة الدنيئة وهو عليه السلام يامرهم بالجهاد ومناهضة المشركين وقتل اولادهم وابائهم واخوانهم في طاعة الله ورسوله ومعلوم ان ذلك اصعب واشق من تعاطي القضا باضعاف مضاعفة وهم ماجورون به لما فيه من ثواب الجهاد وكذلك تعاطي القضاء مجوز فيه مرتبا لاستصواب للحكم بالحق ونصر المظلوم واقامة شعار الاسلام وما اعلم ما اقول فيمن حمل كلام رسول الله ص على ذلك التاويل الردي قال المص ومثال ما تتردد بين معنيين وحمل على احدهما لقرينة مقدمة في اول الكلام قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فانه يحتمل ان يريد به لا تدعوه باسمه فقولوا يا محمد كما يدعو بعضكم بعضا باسمائكم ويحتمل ان يريد به انكم اذا حضرتم في مجلسه فلا تركضوا كحضوركم في مجالسكم اي لا تفارقوا مجلسه الا باذنه وانتوا معه الادب قالوا والحمل على هذا المجاز اولى لان قبل هذه الاية انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه اقول هذه قرينة مستقلة بنفسها لكن لا تصرف الاية قرينة اخرى متاخرة تقتضي حمله على محمل اخر غير هذا المحمل وعلى غير المحمل الاول ولعله الاصح وهو ان يراد بالدعاء الامر يقال دعا فلان قومه الى كذا اي امرهم به وندبهم اليه وقد يجيء بمعنى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم اي ندبكم وقال يحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة واني كما دعوتهم لينفروا لهم اي امرتهم وندبتهم والقرينة المتاخرة قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة فلم كان حمل الاية على ما ذكره لاجل القرينة المتقدمة اولى من حمله على هذا المحمل لاجل القرينة المتاخرة قال المص وحد الخصيصة هي اللفظة الدالة على موضوعة لا صلي والمجاز ما اريد به غير المعنى الموضوع له في اصل اللغة وهو ماخوذ

من جاز من هذا الموضع الى هذا الموضع اذا تخطاه اليه فالمجاز اذاً اسم للمكان الذي يجاز فيه كالمعاج والمزار
واشباهها وحقيقته هي الانتقال من مكان الى مكان فجعل ذلك لنقل الالفاظ من محل الى محل **اقول** اما حد الحقيقة
الذي ذكره فمنقوض بلفظة الدابة اذا استعملت في الدودة والقملة فانها قد دلت على موضعها الاصلي لانها موضوعة لما
يدب مع انها بالنسبة الى الموضع العرفي مجاز فاذاً قد دخل المجاز العرفي فيما جعله حداً لمطلق الحقيقة وبلفظ الصلوة
اذا استعملت في الدعا فانها قد دلت على موضعها الاصلي فيكون قد دخل المجاز الشرعي فيما جعله حداً لمطلق الحقيقة وهو
غير جائز والواجب ان يقال الحقيقة ما افسد بها ما وضعت له في اصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به فيدخل في
ذلك الحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية فانهما يدلان على غير ما وضعا له في الاصل وهما حقيقتان على ان له المجاز
ما اريد به غير المعنى الموضوع له في اصل اللغة ليس بجيد لانه لو عبرنا اسما عن الارض لكان قد اردنا باللفظ غير المعنى
الموضوع له في اصل اللغة وليس بمجاز والاجود ان يبدل لفظة ما اريد به لفظة ما افيد به او ما يدل وفيه مع ذلك
الاشكال الذي ذكرناه اولاً واصلح ما قيل في حد المجاز انه ما افيد به معنى مصطلح عليه غير ما اصطلح عليه في اصل تلك
المواضعة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الاول ولهذا القيد الاخر يتم تحديد المجاز لانه لولا تلك العلاقة
لما كان مجازا من الاول بل كان وضعاً جديداً ومن العجب ان هذا الرجل قال المجاز اسم للمكان الذي يجتاز فيه ثم قال عقيبه
بلا فصل المجاز هو الانتقال من مكان الى مكان فتارة يجعل الفعل ها هنا اسماً للمكان كالمقام لموضع الاقامة وتارة
يجعله اسماً للمصدر كالمقال من قال يقول قولاً ومقالاً وهذه مناقضة ظاهرة فاما قوله فجعل ذلك لنقل الالفاظ
من محل الى محل اراد من مسمى الى مسمى فعدل عن اللفظ الجيد الى اللفظ الردي كانه يتوهم ان المعنى شي يحل فيه اللفظ ولسنا
نضايقه في ذلك وامثاله **قال المص** والفرق بين الحقيقة والمجاز تبادر الفهم عند الاطلاق الى الحقيقة دون المجاز
كالشمس لهذا الكوكب المخصوص دون الوجه المستحسن فان قلت انا نرى الافهام تتبادر عند سماع كثير من الالفاظ
العرفية الى غير حقائقها الاصلية كالغائط الذي لا يفهم منه الا الحاجة المخصوصة دون المطمئن من الارض قلت
هذا الشي يذكره الفقها ولا طائل له لان المعتبر بمبادرة افهام الخاصة من الناس لا العامة كالحدادين والنجارين والخبازين
والاساكفة ومعلوم ان الخواص من العلما لا يفهمون من الغائط الا المطمئن من الارض قال والعجب من الفقها كيف دونوا
هذا وذهبوا اليه **اقول** الجواب الصحيح ان يقال ان تبادر الافهام الى المراد بالغائط الحاجة المخصوصة وبالدابة
الفرس وبالراوية المزادة والملك الرسول الروحاني خاصة دليل على ان هذه الالفاظ حقائق في الوضع العرفي الجديد
وذلك لا ينقض قولنا ان تبادر الافهام الى المعنى دليل على ان اللفظ حقيقة فيه لانا قد قلنا بموجبه وجعلنا هذه حقائق
ولكنها عرفيات فاما الجواب الذي اجاب به فليس بجيد لانه اما ان ينفي الحقائق العرفية او يثبتها فان اثبتها فقد بطل قوله
انه الاعتبار بمواضعة اهل العرف فان نفاها فهو باطل لان الحقائق الاصلية اللغوية ما كانت حقائق لقرار انزله الله تعالى
بها بل طائفة من الناس تواضعوا عليها فلاي حال كانت مواضعة العرب في الجاهلية على الفاظ مخصوصة يقتضي
جعلها حقائق مسمياتها ولم تكن مواضعة طائفة اخرى موجودين الان على الفاظ مخصوصة لمعان مخصوصة يقتضي
جعلها حقائق في مسمياتها ومواضعة الشارع عليه السلام وامته على الفاظ مخصوصة يقتضي جعلها حقائق في
مسمياتها اليس وضع الاكراد والفرس والترك والروم لغاتهم والفاظهم لمعان قد اصطلحوا عليها بينهم يوجب جعل تلك
الالفاظ حقائق فيما وضعت له وليس الامر في هذا الباب موقوفا على مواضعة العرب قبل الاسلام فقط فقد ظهر ان
الذي دونه الفقها هو الحق وانما اعترضهم به ليس بحق ونحن نستنبط بعده هذا من نص كلامه ما نخصمه به وننتصر

للفقها

للفقها عليه وذلك انه قال ما هذه صورته ان كان اطلاق اللفظ من عامة الناس من اسكاف وحداد ونجار وخباز
ومن جرى مجراهم فهولاء لا اعتبار بهم ولا اعتداد باقوالهم فيقال له ما تعني بالاسكاف كل صانع ام صانع النعال خاصة
فان قال صانع النعال خاصة قيل له فانت من الخاصة لا من العامة وقد تبادر ذهنك الى ما ليس بحقيقة اصلية لان كل
صانع اسكاف عند العرب وكتب اللغة تشهد بذلك وان قال اردت كل صانع قيل له لا تغالط فانك قلت من اسكاف
وحداد ونجار وخباز فجعل الاسكاف صاحب صناعة مفردة كالنجار والحداد ولو اردت العموم لقلت من حداد
ونجار وخباز وغيرهم من الاساكفة ولم تقل ذلك فان كان نص كلامك يشهد عليك ان ذهنك قد تبادر الى الاصطلاح
العرفي وهو قصر لفظة الاسكاف على هذا الصانع المخصوص كقصر لفظة الدابة على هذا الحيوان المخصوص فقد
بطل قولك انه لا يتبادر الى افهام الخاصة من اطلاق كل لفظ الا حقيقته **قال المص** والفرق بين الحقيقة والمجاز ان
الحقيقة جارية على العموم في نظائره كقولنا عالم لما صدق على ذي علم واحد صدق على كل ذي علم بخلاف قوله واسال
القرية لانه لا يصح الا في بعض الجمادات دون بعض اذ المراد به اهل القرية لانهم ممن يصح السؤال لهم ولا يجوز ان يقال
واسال الحجر والتراب **اقول** اما دعوى وجوب اطراد الحقيقة ففيه كلام فانا قد رايناها غير مطردة في مواردها اما لان
العقل يمنع من ذلك كلفظ الدليل عند من يقول انه حقيقة في فاعل الدلالة فانه لما كثر استعماله في نفس الدلالة لا جرم
لم يحسن استعماله في حق الله سبحانه وتعالى الا مقيداً كقولهم يا دليل المتحيرين واما لان الشرع يمنع من ذلك لتسميته تعالى بالفاضل
والسخي فان الشرع يمنع من ذلك من حصول حقيقتهما له تعالى واما لان اللغة تمنع من ذلك كامتناع استعمال الابلق في
غير الفرس ولا يصح ان يعتذر عنه بان الابلق موضوع لكون هذين اللونين بشرط ان يكون فرساً لانه يلزم عليه ان يجوز في
كل شي مجاز لا يطرد ان يكون عدم سبب اطراده سبب عدم اطراده اشتراط كونه ذلك المسمى بعينه وح لا يمكن الاستدلال
بعدم الاطراد على كونه مجازاً فاما قوله عالم لما كان موضوعاً لذي العلم اطرد في كل ذي علم واسال اهل القرية لم يطرد في
كل الجمادات فانه استدلال على امر كلي بصورة جزئية ومن اين له ان كل حقيقة فانها جارية في الاطراد مجرى قولنا
عالم لذي العلم وان كل المجازات لا تطرد كقوله واسال القرية ولم لا يجوز ان يكون المجاز وان لم يجب اطراده فان
بعضه قد يطرد على سبيل الوجوب ولا يمكن ان يدعى انه قد استقرأ الالفاظ كلها فلم يجد فيها مجازاً يطرد ولو كان
ذلك قد وقع لكانت الفاظ المجاز كلها قد علمت وعلم ان ما عداها حقيقة قبل العلم ينفي اطرادها وذلك يقتضي
ان يكون الفرق بين الحقيقة والمجاز قد وقع قبل هذه الدلالة **قال المص** واعلم ان كل مجاز فله حقيقة لانه لا
يصح ان يطلق عليه اسم المجاز الا لنقله عن حقيقة موضوعة له وليس من ضرورة كل حقيقة ان يكون لها مجاز وان
من الاسماء ما لا مجاز له كاسماء الاعلام التي وضعت للفرق بين الذوات لا الفرق بين الصفات **اقول** هذا يدل
على انه يتوهم ان اسماء الاعلام حقائق في اشخاص المسمين بها وليس كما يتوهمه لان الحقيقة هي ما افيد به ما وضع له
ونعني بقولنا ما وضع له وضع اهل اللغة وارباب الاصطلاح فيكون اللفظ حقيقة منع لكونها موضوعة لشي
قبل استعمال المستعمل حتى اذا استعملها المستعمل فيما وضعت له كانت حقيقة فيه واسماء الاعلام لم تقع
على مسمياتها المعينة بوضع من اهل اللغة ولا من الشرع حتى يكون مرائيهم فيها في اصل موضوعهم فقد استعملها
على حقيقتها وهذا الكلام كما ينفي ان يكون الحقيقة داخلة من اسماء الاعلام ينفي ان يكون المجاز ايضاً داخلاً فيها
واعلم ان الحكم الذي ادعاه وان احتجاجه عليه ليس بصحيح والصواب ان يقال ان المجاز هو المستعمل في غير موضوعه
الاصلي لمشابهة بينهما وهذا تصريح بان ضرورة تحقق المجاز ثبوت الحقيقة وليس يلزم من كون اللفظ موضوعا

ان تصير موضوعًا للشيء
لشيء اخر بينه وبين الاول مشابهة ومناسبة يجوز ان تقدم ذلك عن بعض المسميات فهو اما ان يكون
المعنى من الوضع الاول قد دخلت عركوها حقيقة ومجازًا لان الحقيقة استعمال اللفظ في موضوعه
الاصلي فلا يكون الحقيقة حقيقة اذا كانت مسبوقة بالوضع الاول والمجاز والمستعمل في غير موضوعه
الاصلي فيكون هو انه مسبوقا بالوضع الاول فبنت كون شرط اللفظ حقيقة او مجازا حصول الوضع الاول
فالوضع الاول وجب ان لا يكون حقيقة ولا مجازا وهذا كلام على ظاهره يقبح في قولنا المجاز فرع الحقيقة
ومتى وجدا لفرع وجد الاصل فالمجاز لا يكون مجازا الا والحقيقة موجودة لان المجاز لا يستدعي الا مجرد
كونه موضوعًا قبل ذلك لمعنى اخر فهو متوقف على ذلك فقط لا على الحقيقة لان الوضع الاول ليس
بحقيقة وجوابه لا نا ندعي ان المجاز هو الموقف على الحقيقة بل هو موقف على انه موضوع في الاصل لمعنى اخر متى
استعمل اللفظ من ذلك الموضوع كان حقيقة **قال المص** واما الفرق بين الفصاحة والبلاغة فقد اكثر الناس فيه
وخلاصة ما ذكروه ان الفصاحة هي الظهور يقال افصح الصبح اذا ظهر ثم يقفون عند هذا ولا يكشفون السر فيه
اقول ووقفت لابي محمد الخشاب على رسالة في الفرق بين الفصاحة والبلاغة اتى فيها بنوادر شريفة وذكر ابو هلال
العسكري في كتاب الصناعتين كلامًا جيدًا في هذا الفرق وقد ذكرها الخسان اقوالا كثيرة في هذا الباب
وما اظن احدًا ممن تصدى لهذا الفن الا وقد قال قولا ما لغويًا في هذه المسئلة فما اعلم كيف يدعي هذا الرجل على الناس انهم
يقصرون في هذا البحث على تبيانك للفظ بين الاغر **قال المص** ولا لحوران يفسر الفصاحة بظهور احدهما ان اللفظ
قد يكون ظاهر المعنى عند زيد لا عند عمرو فصح ان يكون فصيحًا غير فصيح وهذا قبيح بل الفصيح يجب ان يكون فصيحًا
مطلقا والثاني ان اللفظ القبيح الذي ينبو عنه السمع ولكنه ظاهر المعنى يجب ان يكون فصيحا وهذا قبيح لان الفصاحة
وصف حسن **ولا لحوران** يكون اللفظ قبيحًا **اقول** ان ارباب علم اللسان لم يقصروا في حد الفصاحة على انها ظهور المعنى
من اللفظ فقط بل والوا في حدها وحقيقتها ما يعرفه من مارس كتبهم ولو قالوا ذلك لم يكن ما اورده عليهم قادحًا في كلامهم
اما الوجه الاول فانه ليس من شرط الفصيح ان يكون ظاهر المعنى لكل سامع فان الزنج والروم لا يفهمان المراد بالقرآن
ولا يقدح ذلك في كونه فصيحًا والفصاحة امر نسبي لانها صفة اللفظ واللغات والالفاظ مختلف باختلاف الامم
بل اللغة الواحدة تختلف باختلاف قرونها وبلادها اما الوجه الثاني فان اللفظ القبيح الظاهر المعنى قد يصير من حيث
ظهور معناه وان كان قبيحًا من وجه اخر وبطرد ذلك الكلام الفصيح تنفر منه لانبيا والشنا على ابليس والسياطين
او غير ذلك من الوجوه التي يقبح لاجلها فانه يحسن من وجه وليس يلزم من قبح الشيء من وجه ان لا يكون حسنًا من وجه اخر كما لا يلزم من
كون سماع صوت العود حرامًا ان لا يكون لذيذًا **قال المص** والفصاحة مختصة بالالفاظ دون المعاني لوجوه منها ان
الفصيح هو المالوف الاستعمال وانما كان مالوف الاستعمال لحسنه وحسنه مدرك بالسمع لانه امر عائد الى تركيب حروفه
وخفتها وتنافر مخارجها والذي مدرك بالسمع انما كون صوتيا يتلفظ من مخارج الحروف وكما ليس بمسموع لا يكون فصيحًا
اقول هذا الكلام يحتمل امرين احدهما ان يجعل حدا لفصاحة هي الالفاظ المالوفة لاستعمال لخفتها وسلاستها والاخر
ان يجعل ذلك حدًا للفصاحة بل مراده بعلل اختصاص اللفظ بوصف الفصاحة وكون المعاني لا يجوز ان يوصف
بالفصاحة فان اراد الاول لم يوافق على ذلك لان لكل احد ان يتكلم بما شاء ويقول عنيت به كذا وكذا وان اراد الثاني وهو
الظاهر من كلامه قيل له ان كثرة الاستعمال وسلاسة اللفظ يوجب ان يسمى اللفظ فصيحًا فليس ذلك مما يقع فيه تجاذب
توجد دلالة اخرى على تسمية المعنى فصيحًا لا ارى لذلك على ما يدعيه وجه انتفاء دلالة على اطلاق هذه اللفظة على
المعنى فغاية ما في الباب ان ذلك استدلت على ان اللفظ يطلق عليه الوصف بالفصاحة فلم قلت ان الوصف بالفصاحة

لا

لا يطلق على المعاني **قال المص** وايضًا فان لفظتي المزنة والديمة كلفظة السحاق وكل واحد من هذه الالفاظ يدل على
معنى واحد ولو كانت الفصاحة ترجع الى المعاني لما اختلفت هذه الالفاظ ولا كان فيها ما يستحسن استعماله
وفيها ما يستقبح لانها في الدلالة على المعنى سواء لكن لا ريب في حسن استعمال اللفظتين دون الاخرى واما لفظة السحاق فقبيحة
منكرة **اقول** ان هذا الرجل يتوهم ان من قال ان المعاني قد يوصف بالفصاحة فقد اراد ان المعاني المفردة وهذا غلط
فان احدًا لم يقل ذلك وانما قالوا ان الكلام المركب الدال على معنى قد يسمى فصيحًا وقد يسمى المعنى الذي دل عليه ذلك
الكلام فصيحًا الخ وقد يقولون لمعنيين احدهما اكثر بيانا واوضح عند السامعين هذا المعنى افصح لا نقالا له فصيح
بل يقال له بليغ والفصاحة للالفاظ فوقع بينهم النزاع في ذلك لا في اللفظة المفردة الدالة على المسمى المفرد
قال المص وايضًا قال الفصيح على وزن فعيل لمعنى فاعل نحو كريم وشريف ولطيف والفاعل للابانة عن المعنى هو اللفظ
لا غير فكانت الفصاحة مختصة به لا غير **اقول** ان هذا الموضع من المواضع التي اشتبهت على هذا الرجل وذلك ان افعال
الطبائع نحو فصيح وشريف ولطيف وكريم انما تعطي معنى الاتصاف بتلك الصفة فقط ولا تعطي معنى الفاعلية
اصلًا ولا تدل على المؤثر الا ريان قولنا كريم ولطيف يدل على انه فعل اللطف والكرم وانما تدل على انه ذو لطف
وكرم فقط مع قطع النظر عن الفاعل لها مرهوفا لفصيح معناه دون الفصاحة لا فاعل الفصاحة كالجميل والصبيح
معناهما ذو الجمال والصباحة لا فاعلهما وهذا الرجل يتوهم ان فصيحًا فاعل ثم يبني الدليل على هذا وقال انه فاعل كالبانه
للمعنى والكشف له هو اللفظ وهذا من الغلط على ما تراه وعلى انه لو كان ما توهمه صحيحًا لكان لخصمه ان يقول والمعنى
الواضح هو الذي فعل الفهم والافادة الخ نفس السامع واوضحه له وجعله مرتسما منكشفا له فخواه ومغزاه
فهلا سمت المعنى فصيحًا لهذا الاعتبار **واعلم** ان النزاع في هذه المسئلة لفظي محض والذي قاله المحققون انا
وجدنا الاصطلاح واللغة يشهدان بان الفصاحة للالفاظ والبلاغة للمعاني وانهم يقولون هذا معنى دقيق وهذا
معنى غامض وهذا معنى جلي ولا يقولون هذا معنى فصيح كما لا يقولون هذا لفظ دقيق ولا هذا لفظ غامض ولهذا نقول
من الحيوان غير الناطق كالببغاء هو فصيح لاقامته الحروف ولا نسميه بليغا اذ ليس له قصد الى المعنى واذا كان اهل اللغة
والسماع قد اصطلحوا على ذلك واتفقوا عليه وجب اتباعهم لا البحث لفظي **قال المص** وعلم البيان علم عقلي مدركه الذوق
والعقل حسنه وقبيحه وليس كعلم النحو فانه تقليدي للعرب والذي يكلفه النحاة من التعليلات واهية لا ثبت على محك
النظر لانهم انما سمعوا مواضع اللغة رفع الفاعل ونصب المفعول من غير دليل ابداه لهم فاستخرجوا لذلك ادلة وعللا
والا قرن من علم هؤلاء ان الحكمة التي دعت الواضع الى رفع الفاعل ونصب المفعول هي التي ذكروها **اقول** ان كان هذا الرجل
مما سفى القياس في الشرعيات كلامًا اصوليًا كما لكلام الشيعة والنظام واهل الظاهر وغيرهم من سفى القياس في
الفقه وان كان يعرف القياس في الشرعيات كالقياس في النحويات لانا علمنا ان الحكمة التي دعت الواضع الى رفع الفاعل
ونصب المفعول هي الوجوه التي ذكرها النحاة لكونها مناسبة والحكم ثابت على وفقها نحو قولهم الفاعل للفعل الواحد لا
يكون الا واحدًا والمفعولات قد تكثر وتتعدد والفعل واحد وسعدي مع ذلك الى اشياء كالمفعولات والمعنى نحو الحال
والظرف والمصدر فكان الفاعل اخف لقلته فاعطي الرفع وهو اثقل الحركات تعديلا للخفيف والثقيل ونحو قولهم
لما كان الفعل والفاعل جملة مفيدة كالمبتداء والخبر اعطي الفاعل اعراب المبتداء وهو الرفع للمشاطرة بينهما من الجهة
المذكورة وغير ذلك من الوجوه التي ذكرناها في كتاب الحسان وذكرها غيرنا فصارة لك كتعليل سقوط قضاء الصلوة
عن الحائض بالمشقة فانه مناسب وقد ثبت الحكم على وفقه في سقوط قضاء الركعتين من صلوة الظهر في السفر فهذا

لبغا

كتعليل

تعلل مفقود القياس على صحته ولم يذكر لقائل ان يقول امر ايريد علمتم ان الحكمة التي دعت الى اسقاط قضاء الصلوة عن الحائض هي المشقة لان الشارع لم يذكر ذلك وانما حكم بسقوط القضا فقط ولم يذكر العلة **قال الم** فاما ثر المنظوم فينبغي ان يكون كذا وكذا ثم ذكر له شروطا وضرب له مثلا مثلا اكثرها جيد وفيها ما ليس بجيد مثل قوله فسرنا في عمامة من الكتائب تظلها عمامة من الطيور الاشائب - فهذه ضمها الحرم جديد وهذه ضمها الحرم صعيد وذلك لان الصعيد وحة الارض والطيور التي تظلل الجيش انما ضمها بحر الجو والهوى للامر الارض ومثل قوله في ذكر الصلت ولم يعلموا ان الله كتب عليه الهوان عقب ملك الكرامة وانده وشعب اربع والتسع خمس في حكم النجامة فان لفظة النجامة لفظة رديئة مستثقلة على انا لا نعرف صحتها وجوازها ولا سمعنا اسما للنجيم ولا مصدرا ومثل قوله قد عدا الخادم اعمال ثقيله مرحلة الايادي التي تعلته واراد ان يجري معها سوابق شكره فاعجلته وما امهلته وهو كلام مرتهن منها بريء قديم وجديد واصبح كخراش اذا كاثرت الطباء علة فلا يدري لكثرتها ما يصيد فان شبيهة نفسه بخراش قبيح جدا لانه ان كان لا يعلم ان خراشا في هذا البيت اسم كلب فهو معتد ورحشت لم يعلم مراد الشاعر وان كان يدري فقد شبه نفسه بشيء قبيح ايليس هو الذي استقبح في هذا الكتاب قول الرضي الموسوي اعزز علي بانا راك وقد خلت مرحابنيك مقاعد العواد لاجل لفظة مقاعد وقول الى الطيب اذا قنا لغوالي حسنه ما اذ قتني وعف محاذاهن عني بالصرم لاجل لفظة الصرم وقول الى تمام اعطيتني مية العتيل ولست لي عقلا ولاحق عليك قديم لاجل قوله ولست لي عقلا ومثل قوله في صفة فرس وخلفها جنيب مر النحيل يقيل الجذع وبدر بصخرة ونظر مر غير محظه ويسمع باذن حشره فاما ما سمعنا الا عينا حاظه ولم يسمع محظه ولو قال مر غير حدره لاشعر غير محظه التي لم تستعمل وكان قد زاد في القرائن قرينة واتى بلفظة امرء القيس في قوله وغير لها حدرة بدرة سقت ماقتهما مر اجر والغير الحدرة هي المكتنزة الصلبة ومثل قوله ان انسانا كلفه ان يرصع قوله عليه سلم ان الملكة لا يدخل بيتا فيه صورة ولا تمثال في فصل من الكتابة فقال قد اصبح الخادم وليس تقليده سوى الولاء والامان فهذا مطهراثره في طاعة السر وهذا مظهر اثره في طاعة العلان وما عداهما فان دخوله الى قلبه من الاشياء المحظورة والملكة لا يدخل بيتا فيه تمثال ولا صورة فان رصيع الخبر في هذا المقصد لعمد حقا لان الولاء والامان ليسا بصورة ولا تمثال ثم ان ما عداهما امر يعم ويتسع جدا الى ما لا نهاية له وقد يكون مضادا لهما كالكفر والشقاق ولا يحسن ان يقال كالكفر ونية الخروج على الامام لا يدخلان في قلبي لان الملكة لا يدخل بيتا فيه صورة ولا تمثال ولا هذا مناسب لذاك ولا قريب منه وقد سألني بعض الاصدقاء فقال هل لك ان تستعمل هذا الخبر في الكتابة واخراجه من معرض اخر الطف من هذا واحسن فقلت قد يمكن ذلك بان تكتب الى صديق وحبيب قد تمثلت صورتك في سواد العين وسويدا القلب وملاءة اقطارهما فليس يسعني لغيرهما فيهما مكان فاذا صليت الظهر فلم اعلم ركعتان هي ام ثمان وقد منعت صورتك ان تقبله محلها من اعتقاد الهدى وفرعه من اعتقاد الضلال لانهما من امارات الملك وشيطان والملكة لا يدخل بيتا فيه صورة ولا تمثال واعلم ان هذا الباب وهو حل المنظوم هو غير الكتابة وخلاصته ووجه حملته وطرائر حلته وكانه لم يصفه لانه لاجله ولمطهر ضناعته فيه وعلى ان كتابته كلها اذا تاملها العارف لهذا الفرد حدير ان يكون من هذا الباب لانها اما محلول ومنظوم او ترصيع اية او خبر او مثل او واقعة وهذه احد طرائق الكتاب عندي والبها اذهب ولها استعمل قد كنت سرعت في حل سيقيات الطيب المبني لشهرتها وغلبتها على السنة الناس وان اجعل ذلك كتابا مفردا اتقرب به الى الخزانة الشريفة عمر الله بمحرج بعضه وصدوع عزائمه عوائق الوقت وشواغله واتا اورد هيهنا بعضه لك لتكون مطالعا رضا لما جاء به هذا الرجل

ولكنا

ولكنا لا نكون كتابنا هذا مقصورا على المناقضات النظرية والمواخذات الجدلية في علم الكتابة فقط بل يكون حاويا لذلك ولجزء من الكتابة نفسها **فصل في الهناء بعيد** لا رالت لمواسم تغشاك واعضاها ورقه وحدائقها انيقة والاعياد لقاك وانت عيد لها على الحقيقة ولا برحت لهتصر الشباب لذا رطبا ومنضوم الاعياد سمطا ولبس قشيبا فهذا اليوم الشريف في الايام مثلك في الانام لكنه احد عام محصور وانت احد الازمان والدهور ولا احمل ذلك على محض الحد الذي ميز بين امير المؤمنين وفصل احد المغبيين على الحد الذي اشهر اك وحاسدك راقد واقامك وشانيك قاعد هذا محلول قوله

هنيئا لك العيد الذي انت اهله وعيد مرسى وصحى وعيدا ولا رالت الاعياد لبسك في الورى سلما محروقا وتغطى محمدا فذا اليوم في الايام مثلك في الورى كما كنت فيهم اوحدا كاروطا هو الحد حتى يفضل العير اختها وحتى يكون اليوم لليوم سيدا **فصل في لقاء العدو** ولو كسفت لك عزما ولونا لرالت الشوق قد فعل فيها بريحانة فعل قنا الامير في صدور اعدائه فانهم جعلهم هلكى يطعنون محلوحه وسلكى فالفضا الرحب لديهم احرج من الثابوت وسيوفه اوهن من بيت العنكبوت هذا محلول قوله نود عهم والبين فينا كانه فنا ان الى الهيجا في قلب فيلق قوابض مواضٍ تسيح داود عندها اذا اوعبت فيه كنسج الخذريق وقد يحمل قول امرء القيس فطعنهم سلكى ومجلوحه كرك لامن على انابيك **فصل في وصف منهزم** اجفل اجفال النعام واتسع اقشاع الغمام شوهم كخضف يسمعه رشقة نابل وترى الارض في عنسه كفة حابل وقد كان الى ان لا تكل له قدم وعقبى غير الحنان حنث وندم فاذا تراهلت الاقدام لم ترد الهمم في الاقدام والحرب بحسن الهزائم وتغير العزائم ويحمل اهون شيء ما يقول اللوائم وهذا محلول قوله حقبي اليمين على عقبي الوغا ندم ماذا ارتدك مر اقدامك القسم وقوله

والعيان الجلي لحدث للظر وا والاول للراد اسفلا اله وقال بعض سعراء الحماسة

ملاءت علية الارض حتى كانها مر الضيق في عينيه كفة جابل وقول العامل اذا هبت النكباء بيني وبينكم فاهون شيء ما يقول العواد **فصل في التصفح عن الجرائم** سيف للاحسان ولا جمال اقتل من سيف للقتل والاستيصال وطالما غاثت مطلقها واسترقت رقبة معتقها الا ان اليسير يفسده الاحسان وتصلحه الهوان كما ينفر مر الضيم ذو الانف الحمي وتفسد عنه قرار الطائر الوحشي هذا محلول قوله وما قتل الاحرار كالعفو عنهم ومر ملك بالحزم الذي لحفظ البدا

اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا وقال الشريف الرضي الموسوي

ما مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وانف حمي

واباء يحلق بي على الضيم كما زاغ طائر وحشي وقد ذكرت فيه ايضا لفظة لبعض الخوارج وهي القطري من الفجاءة والقصة مشهورة **فصل في ذكر المراسلة** وتوالت منهم رسائل جعلوها عليهم ادراعا وقصدوا بها رحمة الموفق وذفاعا فطالما لم الاعظام لنا والاجلال وباطنها لا رجا لهم وكلا مهال هذا محلول قوله درع لملك الروم هذي الرسايل تذب لها عن نفسه ويشاغل

هي الزرد الصافي عليه ولفظها عليك ثناء سابغ وفواضل

فصل باه المعمور كعبة الجباه ومغناطيس الشفاه فالمملوك تقبل بساطه بنوانه وتصغر بتقبيل كمه وبنانه هذا محلول قوله تقبل افواه الملوك بساطه وبكر عنها كمه وبراجمه **فصل** اذا كان الهوى مر الفلك في الشقا والصمم واللوم يجوم حول ذلك الحمى والحرم وكما شاء هذا الحرف وكما عان النار استطار لاجرم ان يستحل جوهر عباءة

ومورث عليه ان جعلت يوجه الاستحقاق الى المبارك كل ما ملك
وفند زاد ما اخرى وطي عمود توجه وخصوص توجه الصدر الى يوم
العالم كفرده ٥ ٥

وقوله • وماضرها خلق بغير مخالب • وقد طفرت اسيافه والقوائم • فصل العادة طبيعة غالبة
وبحيته الى فعل المعتاد جاذبه • وعاداتك طعن الاحداق وضرب الاعناق • وطباك وفاك هو ان ذاك وانت مبلغ
النفوس هواها والقلوب منالها • فاجر معها على اعراقك • ومعهود عوائدك واخلاقك • فان الملك لاتثبت دعائمه
حتى تخضب بالدم صوارمه • هذا محلول قوله لكل امرء من دهره ما تعودا • وعادات سيف الدولة الطعن في العدى
وقوله ايضا • لايسلم الشرف الرفيع من الاذى • حتى يراق على جوانبه الدم • وقول ابن هند •
سيوفك تهوى ان تبيح لها العدى • فلا تحرمنها ان عادتك الفدى • فصل في نثر فوله
لاتعذر المشتاق في اشواقه • حتى يكون حشاك في احشائه • نثره هذا المعنى فقال لاتعذر المحب فيما يهواه حتى
تطوي القلب على ما طواه • ونثره ايضا على وجه فعال اذا اختلفت العينان في النظر • فلا تعذل المحب في ما يأتي ويذر
نثراه نحن على وجوه منها لاتعذر المحب في حبه حتى يطوق لسانك عن قوله • ومنها لاتعذل المتبول لعذر المقبول والفارغ
متعزيا بالمشغول • ومنها لو ذقت ما يذوق العاشق لتركت عذله • وعرفت عذره • ومنها لو ألقيت في الماء بحذ برده • وتعرف
حره • ومنها اذا توالت الشواهد دلت على مورد واحد • فلا تعذل صبا برد في حديد بارد • ومنها لو اتخذت الغرائز
والاخلاق لعذرت المشتاق في الاشواق • لكن النفس الواحدة لاتدين بدينين • كما لايكون الانسان واحدا ولا الواحد
اثنين • ومنها لو كنت تود تقلبي وترى بطرفي لعذرتني فيما أبدي • ورحمتني فيما اخفي • وفي هذا اشارة الى قوله في هذه
القصيدة • ما الحال الا مرادة لقلبه • وارى بطرف لايرى بسواه • فصل في صفة السيوف
فهذا اليهم وفي اذننا النار الموقدة في الرؤس المعبودة قبل ملة المجوس التي لاتفسد الماء ولاتطفيها الهواء ولا
تحرق الاغماد • ولاخمدت ليلة الميلاد • ترمي بالدم لابالشرر • وتوقد بالناس لابالجمر • تارة بالعظم وتارة بالصغر •
يتبع قوما جمع السلامة وقوما جمع التكسير • هذا محلول قوله
وفي اكفهم النار التي عبدت • قبل المجوس الى فيها اليوم يضطرم •
هذه ان تصغر معشرا صغروا • لحدها او تعظم معشرا عظموا • وقد زدت عليه زيادات
كثيرة ومرمت الى الخبر الوارد في نار فارس خمدت ليلة ميلاد بنتناص وخرجت الى قوله انها ترمي بشرر كالقصر وقوله
سخم يعبد وقودها الناس والحجارة ثم خرجت الى نكته لغوية وهي جمع السلامة وجمع التكسير • فصل السيف بالضارب
لابمضاء المضارب • فالحسام في يد الجبان كهام • والكهام في يد الشجاع حسام • ولذلك قال عمر لو لعمر للوم على ولا
حيف فاني لم اخلك لساعد وانما اخلتك السيف • هذا محلول قوله
ان السيوف مع الدين قلوبهم • كقلوبهن اذا التقى الجمعان •
لقي الحسام على حراره حده • مثل الجبان بكف كل جبان • فصل في العتاب
العتاب نسيم الحياة والعتب سموم الحيات • فاما عتابك الاول فانه مرشم الاحباب • والود باق ما بقي العتاب
واجل تجدك الرفيع المباني عن المعاملة الثاني • نظرت في هذا الى قوله
هذا عتابك الا انه مقة • فرضم الدر الا انه كلم • فصل في ذكر السبايا فلم يعتصم منا الاربات التفاح
ولا قاح • ومر شيهم بجر الذيول لاجر الرياح • فانهن طعن فينا بالقدود لا بالمران • وكان لهن وجه شفيع الينا وهو
الشفيع العريان • فمحن بهن سر لاه ولاعب • واهلهن علينا من سر ياه وادب • وهذه بهجة الدنيا تعمر البيت بحراب البيت
وتمت الحي الحياة البيت • هذا محلول قوله • فلم يتوا لامر حماها من الظبا • الا شفيتها والثدي النواهد •

وقول

تبكي عليهن البطاريق في الدجا • وهن لديها ملقيات كواسد •

بلا قضت ٣ ايام ما بين اهلها • مصاب قوم عند قوم فوائد • وقد رمزت فيه الى

قول القائل كتب القتل والقتال علينا • وعلى المحصنات جر الذيول •

وقول ٣ الاخر ليس الشفيع الذي باتت مؤرزا • مثل الشفيع الذي باتت عريانا • فصل في نثر قوله

ان القتيل مضرجا بدموعه • مثل القتيل مضرجا بدمائه • نثره هذا المعنى فقال القتيل بسيف المنون غريان داكي الجرد مرغده • والافقاد صاحبه بعده • ونثره على وجه اخر فقال دمع المحب ودم القتيل متفقان في التشبيه والتمثيل ولا تحد بينهما تباينا سوى انهما مختلفان لونا • وقد نثرناه نحن على وجوه منها القتيل المتشحط في خميعة كالعاشق المتخبط في دموعه • وكلا المائين دم الا ان هذا سائل عن اصل الحلقة • وهذا صعد به حرقة الفرقة • ومنها القتيل الذي قطعت شرايين جميعه اروح من القتيل الذي قطعت شرايين دموعه • فذاك قد فارق الدنيا فاستراح وخلص • وهذا كلما نضحت جلوده بدل جلودا غيرها • ومنها الدمع دم احالت لونه نارا الهوى فابيض • وقطعت سلكيه يد النوى فتبدد وارفض • ولا فرق بينهما عند البصر والبصيرة الا ان هذا سيل عن عضو واحد ودماء اعضاء كثيرة • ومنها مصارع العشاق كمصارع الشجعان تماثلا في المعنى وان اختلفا في العيان فكلا القتيلين شهيد فهذا نزهة من العين وذاك من الورد • فصل لله اراوك التي نكست الروم عن صهوات السوابق الاعن صهوات السوابق • وطعنت فرسانها برماح الكمد والخط لا برماح سمهر والخط • فكانما كانت جبالها تشكو عطل العناق فتطمت حمالك لها مكان القلائد وارتها مكان الاطواق • وعضت في ذلك الصعيد الخضاب من الدماء لا من الكتم والحنا • وجعلت عمائم تجود في عمر محراب وهجود لا ترون حلما الا الحلم العذاب • وكم هدمت لهم عصر بعد عصر ومشهد بعد مشهد • واعدتها اطلالا ولكنها ليست لحوله بيرقه لهمد • وجعلت عمائم تلك المعالم كرواجع الوشوم من نواشر المعاصم • واد فقت الردى اهلها والخنادل • وسقيت ما فوق المعاقل حتى كدت تسوق المعاقل • هذا محلول قوله

فتنكسهم والسابقات جبالهم • وتطعنهم والرماح المكاسر •

وتضحي الحصون المشمخرات في الذرى • وخيلك في اعناقهن قلائد •

بخصيه والقوم صرعى كانهم • وان لم يكونوا ساجدين مساجد •

والحق بالصفصاف سابور فانهوى • وذاق الردى املاهما والجلامد • واصفا الله من مواضع اخرى ما كمله المعنى وهو قول الشاعر • وارضك ارضك اراتنا • تنم نومة ليس فيها حلم •

ونردنا على هذا المعنى ان نفوسهم تقذف بعد الموت فيتالمون كما يتالم النائم بالاحلام المزعجة • وقول طرفة بن العبد لخوله اطلال ببرقة ثهمد • وقول زهير • ديارها بالرقمتين كانها • رواجع وشم في نواشر معصم •

وقول البحتري • وقد سقت ما فوق المعاقل منهم • فلم يبق الا ان تسوق المعاقلا • ونزدنا على لفظه الى الطيب وهي مخضبة قول على عليه السلام • وقبض على لحيته اما والله لتخضبن هذه بخضاب دم لا خضاب طير وغدر مخرج من مجموع هذا ما قد وقفت عليه • فصل عذر الخمة واضح في السقوط لانها علت على مولانا فتابت له بالهبوط وعلمت عجزها عن تشمم رشمل الزمان • وان تعلو على علم يعلو الهرام وكيوان • فارجاوها في السعة حيث ركض في كل قطر منها جحفل • ولكنها تضيق عن العالم المجموع في الواحد الاكمل • وتقصر عنه وتطول على القنا الذبل • فاظنها لما اشرقت بانواره • وتاهت لما غدت من حمل ديباره لم تملك نفسها فخرت وصعقت • وربت نفس اوفر عليها الفرح فزهقت • ولو رزق

الناس

الناس ما رزقت من الشرف لباذخ البنيان لخانتهم ٣ ارجل وخروا سجودا للجباه ولاذقان • ما سقطت عبثا وانما اشارت بالرحيل كما ان القصوا ما خلات ولكن حابسها حابس الفيل • هذا محلول قوله •

اينفع في الخمة العذل • وتشمم مدهره يشمل • ويعلوا الذي خر فوقه • محال لعمرك ما يسأل •

تضيق لسخطك ارجاوها • وتركص الواحد الحفل • وتقصر ما كنت في جوفها • وتركز فيها القنا الذبل •

رات لون نورك في لونها • كلون الغرا لا لا نغسل • وان لها شرفا باذخا • وان الخيام لها تخجل •

فلا تنكرن لها صرعة • فمن فرح النفس ما يقتل • ولو بلغ الناس ما بلغت • لخانتهم حولك ٣ ارجل •

ولما امرت بتطنيبها • اشيع بانك لا ترحل • فما اعمد الله تقويضها • ولكن اشارت بما تفعل •

وزدت على ذلك الخبر المشهور وهو ان رسول الله ﷺ ركب ناقته القصوا في عام الحديبية متوجها الى مكة فلم تبعث لحنة فزجرها مرارا وزجرها اصحابه فقالوا خلات القصوا فقال عليه السلام ما خلات وانما حبسها حابس الفيل وجرى من توقفه عن مكة وصلحه قريشا في تلك السنة ما هو مشهور • فصل هنيئا لاهل كنا جميل رايك • وحسن بلائك وعميم الائك • فقد كان الدهر جار عليهم واعتدى فتفقته فاعتدل • واعترق العظم منهم واستفى وزحزحته فاستقل • فارمك ممتثل في خطبه وخوفك ماثل في قلبه • فارشك فليحدث بهم ضرما من الحادثات لترفل اليه القنا ما للهادم الراعفات • فيوما ك يوم بحمدنا راك الحرب فالحرب • ويوم تبرد اوارا الجدب والسغب • هذا محلول قوله

هنيئا لاهل الثغر رايك فيهم • وانك حرب الله صرت لهم حربا •

وانك رعتا لدهر فيها واهله • فارشك فليحدث بساحتها خطبا •

فيوما تخيل تطرد الروم عنهم • ويوم بجود تطرد الفقر والجدبا • وقول ٣ الحية

النميري • اما انه لو كان غيرك ارقلت • اليه القنا بالراعفات اللهادم • فصل كرمك ما شتم

ولا شتم ولا طلم ولا طلم • فالملوك تشتم بالفعل لا بالقول كالاسود لا تفرس بالحيل بل بالحول • وما افرحت الاعداء عن البلاد حبا له بل حذارا من شده نكاله • ولا فرت عنه بقيا عليه بل خوفا من شرد بناله • هذا محلول قوله

ولم تفترق عنه ٣ سنة رحمة • ولم ترك الشام ٣ لا عادي له حبا •

ولكن تقاها عنه عن كرم نفس • كرما ما استقطوا ولا استبا • وقد اضفت الله قول

٣ اول وتجهل ايدينا ونحلم رايينا • ونشتم بالافعال لا بالتكلم • وقول ٣ اخر

فما بقيا على تركتماني • ولكن خفتما صرد النبال • فصل في حل قوله

تبارى بنجوم القذف في كل ليلة • نجوم له منهن ورد وادهم • قد حلله هذا المعنى فقال تركب ظهر الليل ساري مسيره شهبه • ويستقرب بعد المدى في نيل مطلبه • غير ان تلك تقرى ادهم الغياهب • وهذا تقرى ادهم السباسب • وقد ينثره ناحرا وحوم منها ما نزلنا تقطع ٣ ادهم الواقف بالادهم السارات • وتساوى الشهب لنيرات بالشهب الطارات الا ان تلك تحوم القذف والرجوم • وهذه تحوم الغارة والهجوم • ومنها فما زلت ابارى ادهم الليل ادهم الخيل • واجارى شهبه بالشهب التي يسبق جري النيل حتى وردت مدينة كنا قبيل الصباح • والثريا متعرضة تعرض اثناء الوشاح • ومنها ادهم تقدود من الغياهب • ملطوم الوجه سعض الكواكب • نفوت الرياح اذا جرت ويسبق النجوم اذا انكدرت الا ان تلك تقذف من انصت للسمع واسترق • وهذا تقذف من خرج عن الدين ومرق • فصل في صفة قسطاط مصر وغزلنا الخيمة من الحرير مصورة بانواع التصاوير تكاد اساريه تزار وتصول وفرسانها تطق

هاء

ونقول وافراسها تركض وتحول ولم تغن الحمائم على حدائق جنانها ولا حالت يد السحائب رياض جدرانها ولا عطت الى فروع
الاراك اعناق غزلانها ولا خضعت رعيتها لملوكها ولا نظمت قلائد عذاراها في سلوكها اذا صافحت الرياح جلبابها
ونازعتها اهدابها مالت ميل الغزل ورقصت رقص الشارب الثمل قد يالفت الاضداد فيها بالف الاضراب والاشكال
فالكلب ضيف الارنب والفهد نزيل الغزال هذا محلوله قوله

واحسن من ماء الشبيبة كله • حيا بارق في فازه انا شائمه •
عليها رياض لم تحكها سحابه • واغصان دوح لم تغن حمائمه •
وفوق حواشي كل ثوب موجه • من الدر سمط لم تثقبه ناظمه •
ترى حيوان البر مصطلحا به • يحارب ضد ضده ويسالمه •
اذا ضربته الريح ماج كانما • يحول مداكيه وتداى صراعمه •

فصل قصار رماحك اطول من ظلالها وطوال ارماح اعدائك اقصر من زجاجها ونصالها وكم من رامح قصر فاصله بخطاك
وكم من بلد تعد قفرته بسراك وقطرك في الندى والردى سيول وبحار وعزمك في الخصوم والعدى نصول وشفار
وانانك راجحه ولكن خلقت سيوفك من عجل فكلما نهنهتها عن ولوغ الدماء قالت سبق السيف العذل وقد ينسب
الجاهل حلمك احيانا الى تدبير او خداع ولا يعلم ان الليث لا ياكل الجيفه ولا يفترس الضباع هذا محلول قوله

طوال قنا يطاعنها قصار • وقطرك في وغا وندى بحار •
وفيك اذا جنى الجاني اناة • تعد كرامة وهي احتقار •

وقال السموءل
اذا قصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فتطول **فصل** الاراء الصائبة والافكار الثاقبة
تستعبد الصوارم وتستخدم المخادم فالتدبير امير والشجاعة جنده والراي حسام والصرامة غمده ولو لم يلحظ
هذا المعنى ويعتبر لكانت السباع افضل من البشر فطالما نكست الاعلام بالاقلام وملكت الاصقاع بالرقاع
ونفذت المكائد قبل نفوذ الحدائد فاذا اجتمع لنفس سعيدة هذان الامران نالت اقصى الامكان وبلغت من العليا
كل مكان هذا محلول قوله

الراي قبل شجاعة الشجعان • هو اول وهي المحل الثاني •
فاذا هما اجتمعا لنفس حرة • بلغت من العليا كل مكان •
ولربما طعن الفتى اقرانه • بالراي قبل تطاعن الاقران •
لولا العقول لكان ادنى ضيغم • ادنى الى شرف من الانسان •

فصل عزائمك لا تقل واراؤك ومدائحك لا تمل واحكامك لا تمثل وسيفك شريك المنايا في قبض النفوس
فهذه لاختطاف الارواح وهذا لاقتطاف الرؤوس فكل دم لم تخضبه دماك اصبح مطلولا وكل حتف لم يشارك فيه
عد جبانه وغلولا هذا محلول قوله شريك المنايا والنفوس غنيمة • فكل ممات لم تمته غلول **فصل في حل قوله**
وما الحسن في وجه الفتى شرفا له اذا لم يكن في فعله والخلائق وقد نثرناه على وجوه منها شرف الفتى بافعاله
لا بحسنه وجماله كالسيف يقطع بجوهره لا بحسن منظره ومنها لو كان شرف الانسان بصورته وخلقه
لا بمعناه وخلقه لما قيل ما الانسان الا القلب واللسان ومنها لا فخر في الصورة المليحة وافعالها قبيحة
كالشجرة السمية خضراء ناظرة وفي اكلها الفاقرة ومنها لو كان الفخر بما بدا من الصورة وظهر لا بما بطن من المعنى
واستتر لكانت صورة النمارق اشرف من الحيوان الناطق **فصل في صفة عسكر** للامير ايده الله جيشان

النسور

النسور في الجو والجياد في الدو فكان الفضاء ثوب مطير بالجوارح والعقبان وكان الغبرا فرش مخيل بالسوابق
والفرسان فعسكر الطير ضيف يستطعم عسكر السيف فاذا رمى بهما جيشا تقاسماه فاباد هذا ارواحه واباد
هذا اشباحه هذا محلول قوله له عسكرا خيل اذا رمى • بها عسكرا لم يبق الا حماحمه •
سحاب من العقبان يرجف تحتها • سحاب اذا استسقت سقتها صوارمه •
وقد حل المص فقال فسرنا في غمامة من الكتائب يظلها غمامة من الطيور الاشائب فهذه يضمها بحر من حديد وهذه
يضمها بحر من صعيد وهذا من القصور عما اتينا به على ما نراه وقد تقدم الاعتراض على قوله ان الطيور يضمها
بحر من صعيد **فصل** حسام لولا ترقرق الماء في جوانبه لناسبت النار الموقدة من مضاربه فقد اضر به
حب الجماجم والاعناق حتى عاد نضوا كالهلال وودت سباع الطير والوحش انها تفديه بالمخالب والانياب اذا فدى
غيره بالانفس والاموال فاحسن ما خضب بالدم الممار لا بالعسجد والنضار والحسناء حسناء وهي في الاشمال
والاطمار واذا كان الحلي لاتمام البعض يعمل فقشف الافضل انبل وعطل الاكمل اجمل هذا محلول قوله

احسن ما يخضب الحديد به • وخاصبيه النجيع والغصب •
دفلا تشينه بالنضار فما • يجتمع الماء فيه والذهب •

فصل في ذكر الدنيا هي الهرة تاكل اولادها والموتورة تظهر احقادها اخون البغايا واخدع من الخبايا
تصيد الصقر بالحرب وتكسر النبع بالعرب تغدر باضيافها وتقتل ازواجها ليلة زفافها افنت العشائر والقبائل
ولم يحصلوا من حبها على طائل هذا محلول قوله

فلا تنلك الليالي ان ايديها • اذا ضربن كسرن النبع بالغرب •
ولا تغش عدوا انت قاهره • فانهن يصدن الصقر بالخرب •

وقوله

فذا الدار اخون من مومس • واخدع من كفه الحابل •
تفاني الرجال على حبها • وما يحصلون على طائل •

فصل فلما ابوا الا شقاقا وجماحا واستنزلوا حينا عليهم مكتوبا ولهم متاحا نهد الامير ايده الله اليهم في كتيبة
حسناء تهز حوله جانبيها كما تنفض العقاب جناحيها فهو زينتها في المسير وحارسها في النزول وطليعتها في النفير وساقتها
في القفول هذا محلول قوله تهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب وقول البحتري
طليعتهم ان وجه الجيش غازيا وساقتهم ان وجه الجيش قافلا **فصل في صفة الخيل** جيش قد حملت فيه
الرجال على السلاهب بل الافاعي على العقارب وعلت فيه الاسود على الغزلان بل الاجادل على العقبان خوارق
الارض فلا تحمل الا الابطال والحديد ومبدلات الاحوال فكم لها من بئر معطلة وقصر مشيد من كل جياش العنان
مضمون السبق يوم الرهان ان قرع الطود فقصر جارح او ركب البحر فنون سابح لها من النقع براقع وجلال ومن
الكواكب غرر ومن الاهلة نعال قد حالفتنا صدورها وعاقدتنا لباتها ونحورها ان تجول مع فارسها حيث جال وان
تخوض دونه المكاره والاهوال وان تجري في المضيق ولو انه الصراط وان تلج المارق ولو كان اضيق من سم الخياط هذا
محلول قوله

فاتتهم خوارق الارض لا تحمل الا الحديد والابطالا •
حافيات الالوان قد نسج النقع عليها براقعا وجلالا •
حالفته صدورها والعوالي • لتخوض دونه الاهوالا •

وتمضي حيث لا يجد الرمح مدارا ولا الحصان مجالا

وطير

من

فلنسر

فاقتمار صنعا ات الفرار العزيز والحكم البنوية والامثال في الكتابة فقد ذكرهذا المعنى انشاده فصولا سفر ذلك ولما
كنا قد ذكرنا في حل المنظوم ما عارضنا به ما ذكره وجب ان نذكر هنا كلا منا في رصنع الابات فصولا لتعارض ما ذكرناه ٥ ٥
ومن ذلك قولي في توقيع الى احد النظار بعض الصدقات لشريفة المتقبل والمحرس فلان عليه هذا المشرف لتمنع عن
ريق التكدير ولا يشوه وجه هذه البرة المتقبلة بالمطل والتاخير ولتحذف عنه اسباب الارجاء والمماطلات ومطاعن
الاعتراض والماولات فهذه صدقة تبرع لها مالك والمام الحق فاستد الخلق فجعل لتلك الصدقات المبرورة الى الله تدركها
الاوهام ولا تحصرها الافهام ولوان ما في الارض من شجرة اقلام جنود تحشده حول لوائه المنصور وكافلة لدولته الشريفة
بالخلود الى يوم النفخ في الصور ومعقبات من بين يديه ومن خلفه من امر الله تحفظه احقابا وباقيات صالحات هي عند الله احسن
عملا واخير ثوابا ٥ فهذا الفصل قد رصع سلك ابات من الكتاب العزيز واقعة مواقعها ٥ ومن ذلك قولي من جملة كتاب اصف
فيه حربا جتى دارت الارض عليهم بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وعركتهم الحرب عرك الرحا بثفالها وعصلتهم الهيجاء
عصل السلم وعمرتهم عمر التين وازعم الروع هز الجنوب ضحى عيدان يبرين ما لم تكن الا كحسوة طائر او خطوة سابر
حتى خالت السيوف اجسامهم ووطئت الخيول اشلاءهم وهامهم ٥ فاول هذا الكلام اتان من الكتاب العزيز وقولي
وعركتهم عرك الرحا بثفالها ٥ وقولي وعصلتهم مر قول المجاج لاهل العراق والله لاغضبنكم
عصل السلم ولا لحوتكم لحو العصا ولا عمرنكم عمر التين وقولي وهزهم مر قول الشاعر
تهزر للمشي اعطافا منعمة ٥ هز الجنوب ضحى عيدان يبرينا ٥ فاحسن ما نقل المنظوم وغيره الى الكتابة اذا كان هكذا
لان الشاعر ذكر هذا التشبيه في الغزل فنقلته انا الى وصف الحرب ٥ وقولي حسوة طائر مر قول الباخرزي ساعر العجم
ولو غبت عن هذر حسوة طائر لزال نظام او لفض ختام ٥ ومن ذلك قولي في توقيع لبعض العدول وقد رتب
مشرفا بعض الاعمال ٥ احذر من الخيانة وانه ان واقعت ذلك اخذ طيلسانه واسقطت عدالته وهو كناية لطيفة
نزع الى القران الكريم سكونا الى امانته ونزاهته ووثوقا لخبرته وكفايته واستنامة الى نصحه بحلباب الديانة
وحلية الحلاما واخلاقا الى ما هو موسوم به من العدالة التي يفترن لفظها معناها ان شاء الله ثم اتممت هذا الكتاب
بما ينا سبه الى ان قلت واهم ما نفرضه عليه واكدما هيب به اليه لزوم الامانة والعفاف وصيانة الغرض وحفظ
الاطراف فليحذر ان تذله الاطماع لغررها وجهلها وليهبه الحلاوة تشهدها عن ابرخلها وليكبر من اغواء شيطان الطمع
السجوح على اتجهذه واكذفرق فانه ان استزله نزع عنه لباس الرضى ثم لا يتمكن من خصف الورق فليحرس قاعدة العدالة
التي هو موسوم شعارها ٥ وتندرج الى اقتفاء اثارها والاهتداء بمنارها ٥ فهذي الكتابة من قوله تعالى يا بني ادم لا يفتننكم
الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما وقولي في اول التوقيع التي يصرن لفظها ان شاء الله
معناها لا يخفى ما فيه من الحلاوة في هذا الموضع ٥ ومن ذلك قولي في جمل وصايا ضمنها توقيع بعض النظار مذيلا بذكر بعض
الاعمال الواسطية ٥ وحراسة الارتفاعات بالسطوة التي تخلع القلوب وترهق النفوس وبعض لها الابصار وتكس
الرؤس وبحفظها الاموال المصرفة في اقاصي الدنا بك لسدده تحت الكواكب كتدد الكواكب فهو شجاعها المقدام
وصارمها الصمصام ٥ وقد سميناها عمرو ان كان لاسنام فلستاصل شافه المفسدين ولتغلظ عليهم واما الخائن
مرصوم خيانته فابدا لنهم فالسياسة شموس جامح لا يصحى الا بالسيف والقطع وعروس فارك لا تعطف حتى تخلق
رداها بالنجيع ٥ وقد رصعت هذا الفصل ببعض قوله تعرفا ما لحافر قوم خيانه فابدا لنهم على سواء ان الله لا يحب
الخائنين ٥ وقد حللت فيه قول الشاعر ٥ اذا انقطتك حروب العدى ٥ فنبه لها عمرا ثم نم ٥ وقد اعمانة النمي

ان المعالي عروس غير واصلة ٥ ما لم يحلق رداسها نصح دم ٥ ومن ذلك قولي في هذا التوقيع في الوصاة بحر العمال
وعماله ونوابه فهم حدوف مزاجر اثارهم وشعاع من شمسه ود وجه من عرسه وفضيلتهم نتيجة فضل واختيار المرء
صنعه من عقله فليحسن في ارتيادهم واجتنابهم وليجمل في اصطناعهم واصطفائهم ولتتجنبوا رباب الاعراض الزكية
والافعال المرضية والتخربة والمسكة والثبات والحنكة فان كبا منهم سابق والجواد وربكبوا ونبا منهم صارم والحسام
قد ينبو عالجه بالتقويم والارشاد فان اصر فبالتخويف والابعاد وان اصر فبالاقصاء والابعاد وان اس من احدهم
ما تقدح في الامانة بوقوع الخيانة عاقبه معاقبة المجرمين وجعل كالامثلة يديه وما خلفه وموعظة للمتقين ٥
اخر هذا الفصل من الغرار العزيز وقد يضم ايضا مثالا غير خافية ٥ ومن ذلك قولي في هذا التوقيع وليواصل بالجمول
الدارة في اوقاتها مواصلة توجب له الزيادة ويستبدر له اخلاف السعادة ويحمله مرموضحة براهنة وتقلب موازنة
والنار رصباحة وفارت قداحة وتطلق عقله لسانه اذا خرس العاجز فلا نفوه وبيض وجهه يوم يبيض وجوه ويسود
وجوه ٥ وموضع الترصيع من هذا الكلام بالالفاظ القرانية الشريفة واضح ٥ ومن ذلك قولي في هذا التوقيع ولتطالع
الدواوين العزيز عمصالح الاعمال ومتحدات الاحوال في اوقاتها وازمانها وبطلانها ليدر من مدامات العالية والرائة
السامية مما يجعله من الارشدين دليلا والاوضحين سبيلا وينتظم باقتفائه واحتذائه في سلك الذين يحسنون في
الاخلاص باعمالهم ويعدبا تباعه وامتثاله من الذين يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ٥ وموضع الترصيع من هذا الفصل بالاية
بالاية الضاطاهر ٥ ومن ذلك ما كتبته في بعض التوقيعات لناظر من نظار السواد والضياع هي الامهات الحوامل والمرضعات
الكوافل فلتتحر ها طيبة البقاع ضامنة نمو الارتفاع فتخير الضياع كتخير المناكح من احسن ما فيها الاختيار اليوم
الذي يحب عرسه غدا والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا والفدن فهي حاملة ثقال وعامرة
الاعمال ومراكز البضاعة وراس المال فليجتهد في اراحة عليها وسلامة مدرك نقصها وخللها وما عساه يعوزها
نتمه وما شذ منه بجمعه وبلمه فقد مرت على عباده بان خلقها من الله تشير الحرث وسقاهم مما في بطونها من بين فرث ودم
ولبان المندرجة في غضون هذا الكلام ظاهر ٥ ومن ذلك قولي في هذا التوقيع فاد اتوار تفاعه وتكامل اصلاحه وانتاعه
وبلغ الكتاب اجله لمعاده وذنا الوقت الذي قبل فيه وانواحقه يوم حصاده فليواصل بالحمول ادرارا ولتدئب
نفسه في جمع المال للاونهارا ولير هف الاسفاء والاستخراج شأ الغرم وليتنصب لذلك انتصاب امثال المردوي
البصير والحزم في استيفاء الاموال والحقوق هو النتيجة المراده والثمرة المستفاده وذلك المخض عن هذه الزبدة
اسفر وذلك السراج عن هذا الهلال ابدر وذلك الغرس لهذه الفائدة اثمر وذلك البدر لهذه النفس النفيسة صور
وعلى قالبها تصور ٥ والمصحح في الاستيفاء لعذار تكاظه السابق وتعبه مستحق للمثل كالاهي التي بعضت غرها من
بعد قروء اكلا ٥ وناهك فاولها هذا الفصل اتة واخرها اتاخرى ومروصانا التوقيعات التي تضم الكلام
النبوي قولي في توقيع بعض النظار ٥ ولتعن بالامر الاكبر فانهم عمار الاراضي والضياع وقوام المال والارتفاع
وحند السواد واوتاد البلاد ولتشملهم بالعدل والانصاف ولتومنهم بوائق الجور والاجحاف ولتسهل ادنه عليهم
وليواصل احسانه اليهم فالكسر فيهم شتت بالشر والطلاقة وتنفر وتقربا لعنف والقطاطة والاستقصاء على الريبة
فراق وفي الحكمة النبوية اذا لم تسعوا الناس باموالكم فسعوهم بالاخلاق وهذا هو الخبر النبوي انكم لن تسعوا الناس
باموالكم فسعوهم باخلاقكم ويقال انه ليس كلمة اجمع لمكارم الاخلاق منها وامّا الكتابة التي تضمن الامثال
وهي مرصعة بالوقايع والايام والنكت ٥ ومن ذلك قولي من جملة توقيع ٥ وانتم ما يومه به وان كان شبيه بنته والكدما يوصى به

وان كان خلقه وسجيته الاستمرار على ما اشتهر به من الامانة التي فاز من تدرع باثوابها وتدرع باسبابها وتحلى بسمطها
ووشاحها وتجلى في لاء لاء اصباحها وارتقى على مراقيها واقتنى اسنى مناقبها وارتدى بارديتها واجتبى باندنتها وحسن
من رضاء ثيابها وانضى ركابها وعند عن طريقها وكند القيام بحقوقها وباعها بالثمن البخس ووكس فيها شر وكس ورجع
بالجد المنعوس والحظ المنحوس والراس المنكوس متلفعا في العاجل ثوبي الخزي والصغار متعرضا في الاجل للنكال والبوار
فالحرة لا تاكل ثديها وان جاعت ولو اضطرت الى الدنية لما اطاعت ورب اكلة هاضت وزيادة زيد عليها فغاضت وطالما
نزت البطنة بصاحبها ثم ندم على سوء غولها ومن اكل قليلا نام قريرا والمثري من القناعة غني وان كان فقيرا فهذا الفصل
يشتمل على امثال عدة مع ما فيها من شرف الصنعة ومن ذلك ما قلته في توقيع بعض النظار باعمال السواد وليجتهد في
تربية المزدرعات وليكن عنده كتربية الاولاد وليحرسها من بوائق العبث والفساد وليستكثر من نواظرها وسقاتها وطوافه
عليها بنفسه في معظم اوقاتها ففضيلة العمل في استتمامه والهلال حسن وليس كحسنه لتمامه وليهتم باصلاح الشكور
والبرندات والردف والمردات ليامن عليها من الانفتاح والانفجار وياسس اساسها على شفا جرف هار وليكن على الاعتناء
بها والاهتمام بحيث يحكم بها في المنام ويتخيلها في الاحلام فان الزلل فيها يذهب الاموال ويجتاح الرعية وهي من المصالح
الكلية لا من المحقرات الجزئية فاياه ان يستصغر منها الصغير او يستحقر الحقير فرب امر ثم جل وفي المثل اول الغيث طل
هذا الفصل يشتمل على امثال ماخوذة من الشعر فمنها قول ابي تمام
هذا الهلال يروق ابصار الورى حسنا وليس كحسنه لتمامه ومن ذلك قوله ايضا
وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه واول الغيث قطر ثم ينسكب ومن ذلك قولي في هذا التوقيع واياه ان يسلك في
حراسة الاموال مسلك المداهنة او يذهب في السياسة مذهب الاعضاء والملاينة فتضيع حركاته ويذهب حسناته
ويصبح كالتي اراقت سجلها او كالتي نقضت غزلها ويكثر العبث والفساد ويستحكم الطمع ويزداد فادعى الاشياء الى
انحلال النظام وضع الصفح موضع الانتقام ولينتصب لاستيفاء الاموال وحملها فقد علم انها الثمرة المنتظرة
والغاية المرتقبة والزبدة التي تمخضت عنها هذه الحركات والنتيجة التي تقدمت لها هذه المقدمات فليواصل بها
مواصلة يجتني جناها ويحمد عند الصباح مسراها وليطالع الديوان العزيز بمجاري احواله ومصالح اعماله ليدبر
من ارائه العالية وتقدماته السامية بما ينصره ويرشده ويوفقه ويسدده ويحميه موارد الردى ويجعله من الذين
اهتدوا وزادوا هدى فهذا الفصل يتضمن بعض ايتين من الكتاب العزيز وهي التي نقضت غزلها والذين اهتدوا
زادهم هدى ويشتمل على امثال شعرية وهي قول المتنبي ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى
وقال الراجز عند الصباح يحمد القوم السرى ومن ذلك ما قلناه في توقيع بعض كتاب الاعمال وليرتب بديوان
المعاملات نائبا جلدا يثق بامانته ويسكن الى كفايته يقوم مقامه ويسد مسده فانه لا غناء له عن المساعدة على اثقاله
والمعاضدة له في جميع احواله فالوادي لا يزخر بغير شعابه والبيت لا يقوم الا بعمده واطنابه والسيف محتاج
الى القائم والخوافي عدة للقوادم فهذا الفصل يتضمن امثالا شعرية منها قول ابي تمام
فاضمم قواضيهم اليك فانه لا يزخر الوادي بغير شعاب
والسهم بالريش اللوام ولن ترى بيتا بلا عمد ولا اطناب
ومنها قول بشار فلا تجعل الشورى عليك غضاضة فان الخوافي عدة للقوادم
وما خير كف امسك الفك اختها وما خير سيف لم يؤيد بقادم ومن ذلك ما قلناه في
هذا

هذا التوقيع ايضا وليباشر بنفسه او من يقوم مقامه كل ما يستوفي ويحرر ويقرر ويحل ويعقد ويستظهر على الاموال
المستوفاة بختمه ويضبط الحقوق بقلمه وعلمه فهو الشاهد المصدق في النقض والابرام وحذام في صناعته
والقول ما قالت حذام وموضع المثل من هذا الفصل والبيت الذي فيه المثل معلومان ومن ذلك قولي في هذا
الموضع ايضا عند وصية الكاتب بقوانين وقواعد يعتمدها في وضع الحساب ورفعه ولا حاجة ان يجدي له في هذا الباب
ما يتبعه ويقفوه ولا يمثل له ما يطاء عقبه ويتلوه فغيره تقرع له العصا وسواه يقعقع له بالحصا والعوان لا يعلم
الخمرة واللقن لا يوصي الامرة واذا احتاج الحسام الى الهز والجواد الى الهمز فهو الغني يرشده عن الارشاد وابن جلا
وطلاع النجاد هذا الفصل يتضمن امثالا عدة منها فغيره تقرع له العصا من قول الشاعر
ارى الحلم قبل اليوم ما يقرع العصى وما علم الانسان الا ليعلما وذو الحلم هو عامر بن الطفيل العدواني حكم العرب
وقصته في قرع العصا مشهورة ومنها وسواه يقعقع له مثل مشهور اي لست بصبي يستغر كما يستغر الصبيان
بالقشاقش واما العوان لا يعلم الخمرة مثل مشهور وكذلك اللقن لا يوصي الامرة واما ابن جلا وطلاع النجاد
فمثل شعري اصله قول القائل انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني ومن ذلك ما كتبته في
توقيع كاتب اخر وهو حيث يوقل في هذه الصناعة قللها واجتاب ملابسها وحللها وكشفت التجربة انه ابن بجدتها
ورضيع درتها وجهينة اخبارها وجواد مضمارها ونسيج وجدها وصمصامة غمدها واستهرت عنه الامانة التي
تقمص بردتها واستلام سكتها ونهج طريقتها وحما حقيقتها في هذا الكلام امثال كثيرة والالفاظ تجري مجرى
الامثال ومن ذلك ما كتبته في وصايا توقيع بعض النظار وهو والحركة الدائمة التي تذهب الكلال وترهب الكليل
وتنزع الغل وتشفي الغليل وتعقب الراحة وان عجلت النصب وتقوم للاعمال مقام الدواء للوصب فليكن لها
ملازما وعليها مواظبا ولمهاد الدعة وجانب الكسل مجانبا فمن لم يسوده البيداء لم تسوده العليا ومن لم يلوح جسمه
السمائم لم يبيض وجهه المكارم هذا ماخوذ من قوله ما ابيض وجه المرء في طلب العلى حتى يسود وجهه في البيد
ومن ذلك قولي في هذا التوقيع لناظر قد رتب على زراعة وامر بتربية ذلك المزدرع وهو وتربية المزدرعات لسنة
كذا الخراجية وترتيب النواظر عليها والحفظة لها وتعاهدها بالسقي عند حاجتها فليكن معظم زمانه مصروفا
اليه وموقوفا عليه فهو الارتفاع ان لم يكن غارسه فهو حارسه وان كان قد سبقه انشاؤه وابتداؤه فعليه تربيته
وانماؤه فالاعمال بختامها والمبادي باتمامها وليس البنا لمن وضع اسه بل لمن كمله ولا الصيد لمن اثاره بل لمن حصله
في هذا الكلام من الامثال المشهورة قولهم الاعمال بخواتيمها ومن الامثال النبوية قوله عليه السلام ليس الصيد لمن اثاره
بل لمن حصله ومن ذلك قولي في هذا التوقيع وصية في المعاملات لسنة كذا الخراجية فليضاعف رجالها
وليعمر اعمالها فهو مفتتح ارتفاعه وبكر خدمته والشاهد على وفور اجتهاده وعلو همته وعليه الاعتماد والمعول
فليحذر ان يقال اذا ما اول هذه اشارة الى البيت المشهور الذي قد صار مثلا وهو
اذا ما اقبل الخطي اخطا فلن يرجى لاخره انتصار ومن ذلك قولي والروف بالمعاملات فليحكم بنيانها
وليشد اركانها وليستر عوارها ويامن انفجارها ويبيت تحت المياه عند طغيانها ويقوى على تمردها وعصيانها
وليحذر عاقبة التهوين فيها مغبة الاهمال لامرها فالدخان يلهب ناره والشر يبدؤه صغاره هذان مثلان مشهوران
قد وقعا في هذا الكلام موقعهما ومن ذلك قولي في الوضاءة بالاكرة وهو والاكرة فهم جنده الذي به يحارب وسيفه
الذي به يضارب فليسجح بهم في ملكته ولينصف ضعيفهم في معاملته وليوفر عليهم حصصهم وحقوقهم والتخفيف

ما استطاع رسومهم وطسوتهم فهم جند الرغبة لا جند الرهبة وعبيد البر والاحسان لا عبيد الظلم والطغيان
ومن طوق الاجياد فقد اوثق الاقياد ومن لم يملك القلوب لم يملك الاجساد والاكرة جند لا تزال البلاد ساكنة امنة
ما سكنوا وامنوا وفي الحكمة القديمة استوصوا باهل الخراج فلا تزالون سمانا ما سمنوا في هذا الكلام من الامثال
قولهم ملكت فاسجح وقول اردشير بابك استوصوا باهل الخراج فانكم لا تزالون سمانا ما سمنوا وفيه نظر الى قول
المتنبي وقيدت نفسي في هواك محبة ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا ومن ذلك ما صدرت توقيعا في تقرير
بعض النظار وهو لما كان فلان من الرجال الافراد الذين عليهم الخناصر تعقد واذا وجدت النظائر والاشباه فمثلهم
يعز ويفقد وكانت شمائله وشواهده تنطق عنه بالكفاية ولو لم يخبر وتشهد له مخايل الفراسة بخصائص النجابة
وان لم تسبر فكيف وقد دلت سوابق الاختبار له على حسن الاختيار وانبأت سوالف خدماته على حميد الاثار
واستحقاق الايثار وكان الديوان العزيز قد تلاه في حالتي عمله وعطلته وعرف ما ينطوي عليه اثناء بردته في يومي
فقره وثروته فكان في ايام خدماته الرجل الشهم الذي ينفذ نفوذ السهم ويدرك بحسه الثاقب خفي الوهم
اذا سقا به ارضا صابها وان رمى به رمية اصابها وان عالج بتدبيره معاملة سفيهة ابرا اوصابها هذا الى ما
خص به من سياسة تمنع خطرات الضمير فضلا عن خطوات التدبير وامانة صح عليه اهابها وسبغ قوته جلبابها
وصفا عليه سربالها وسحبت وراءه اذيالها في ايام عطلته رب الصيانة التي لا تجحد ومدخر القناعة التي هي كنز لا
ينفد والصابر على البوس بل على العطب ولا يصبر على النار الا خالص الذهب فراى الديوان العزيز اعادة النظر
بالمعاملات الفلانية اليه والتعويل في اصلاح فاسدها وتقويم مايدها عليه علما انه قد سلم القوس الى باريها
واضاف العقيلة الى كفئها وكافيها في هذا الكلام من الامثال والنكت الرائقة ما لا خفاء به ومن ذلك قولي في
هذا التوقيع في الوصايا وليهتم اولا بحفظ البذور التي هي راس المال وذخيرة الاعمال والغروس التي يجتنى ثمارها
والبضاعة التي اذا حرست امن بوارها والتفريط بالقليل منها ليس بقليل ولا قريب وفي المثل كم بذي الاثل دوحة من
قضيب وليتحيرها خالية من الغش والدغل فالغش في المتاجر الدنيوية كالغش في المتاجر الدينية كلاهما يبطل
العمل ومن هون في البذر فيوم الحصاد يندم وكل امرئ على ما قدم يقدم ولا يتولد عن المعدوم الا العدم ومن اشبه
اباه فما ظلم هذا الفصل يتشعب شعبا فمنه ما ينزع الى الخبر النبوي وهو قوله عليه السلام وانكم لتقدمون على
ما قدمتم ومنه ما هو ماخوذ من قول القائل اذا انت لم تزرع وادركت حاصدا ندمت على التقصير في زمن البذر
ومنه ما يرجع الى قول ابي تمام لا تذبلن مصون همك وانظر كم بذي الاثل دوحة من قضيب وقد دخل فيه
ايضا المثل السائر من اشبه اباه فما ظلم وقولي ولا يتولد عن المعدوم الا العدم نكتة كلامية وقولي ان الغش الدنيوي
كالغش الديني كلاهما يبطل العمل لا يخفى ما فيه من الحلاوة مع لطف الصنعة ومن ذلك قولي في الوصاة بحراسة الارتفاع
وحراسة الغلات عند الادراك والحصاد واظهار الورعة التي تشرد بالرقاد وتغني عن تجريد السيوف من الاغماد
فانت رضيع لبانها لا شريك عنانها والمضروبة به بين امثاله الامثال والمفوضة لديه للاحراس والمحطوطة اليه
الرحال سبيلك ان تواخذ على الفتيل والنقير ولا تحتقر في هذا الباب ما هو اخف من الحقير فقليل الخيانة يدعوا
الى كثيرها وربما تهاج كبيرات الامور بصغيرها والتراك بالتراك يتصل ومن الذود الى الذود ابل في هذا الفصل
من الامثال والنكت قولهم هما رضيعا لبان وقولهم هما شريكا عنان وبيت الحماسة وربما يهيج كبيرات الامور صغيرها
وبيت البحتري من لفا هذا الى محبوس ذا ومن الذود الى الذود ابل ومن ذلك ما قلته في الوصاة بتحير النواب

والعمال

والعمال وهو والمستنابون بالاعمال فهم اليد الباطشة والرجل الساعية والعين الباصرة والاذن الواعية
وانت لهم بمنزلة الجسد ذي الادوات والقلب المستعمل للاعضاء والالات فاذا صحوا كنت الصحيح السليم واذا سقموا
كنت المريض السقيم لانهم اجزاؤك وابعاضك فصحتهم صحتك واعراضهم اعراضك فادل عليهم عيون التطلع
ولا تخلهم من ارصاد التصفح والتتبع واجعلهم نصب عينك وتجاه ناظرك وتلقاء وجهك وازاء خاطرك فمن كان لينا
اقررته وادنيته ومن سلكت فيه طردته واقصيته ومن ثبتت عليه هفوة او صحت عليه عثرة او كبوة فسبيلك لا
لا تتكل فيه وتبالغ في حسن ادبه ولا تسلك في ذلك مسلك المجاملة والمداهنة فما كل وقت يصلح الملاينة وليس كل
ذنب يحتمل الاغضاء والطي ومن الامراض ما لا يحسم الا بالكي وافسد الاشياء لقانون الرياسة وضع الصفح
موضع السياسة وهذه اللفظة الاخيرة قد تقدم نظيرها وهو قولنا فادعى الاشياء الى انحلال النظام وضع
العفو موضع الانتقام وقد ذكرنا بيت ابي الطيب الذي اخذناها منه ومن ذلك قولي في خاتمة الوصايا في هذا
التوقيع ولا حاجة لنا مع كماله وسداده وهديه المجمع عليه ورشاده الى استقصاء في الوصايا والاوامر وتشقيق
كتابه فها كم يقال ترك الاول للاخر فهو يخترع من محاسن التصرف في الخدمة ما يعجز عنه كثير من ارباب السياسة والتدبير
ويستنبط بخبرته ما يستغني به عمن يرشده ولا ينبئك مثل خبير فاخر هذا الفصل من الكتاب العزيز وفي صدره
مثل شعري نظمه ابو تمام فقال لا زلت من شكري في حلة لا تشهد ذو سلب فاخر
يقول من تقرع اسماعه كم ترك الاول للاخر ومن ذلك قولي في هذا
التوقيع وليطالع الديوان العزيز باحوال عمله من اوقاتها من غير ارجاء يفضي الى فواتها مستمدا من تدبيره الصائب
ورشده ما يبصر به سبيل قصده ومستنجدا من رايه الثاقب ما اذا شد بزنده ضرب بنصل يقطع الهام في غمده
هذا يتضمن من الامثال الشعرية قول ابي الطيب المتنبي اذا شد زندي حسن رايك في يدي ضربت بنصل يقطع الهام مغمدا
ومن ذلك قولي في توقيع بعض مشرفي الاعمال في ذكر الامانة فانها الذراع التي تسخر بالنبال وتهزا بالنصال وتضمن سلامة
ذارعها يوم النزال وقل من اصبح منها حاسرا الا وامسى في صفقته خاسرا وكان لها مجانبا الا وترك السعادة
جانبا فالامانة سر المرء وجوهره وباطن الانسان ومخبره وبها يستدل على شرف نفسه ودنايتها ومنها يعلم
ثمنها ومقدار قيمتها فان كملت ونمت دلت على عزة النفس وعلوها واحتقارها لدنايا الحطام وسموها وان نقصت
وانثلمت ابانت عن لؤم المرء ونقصه وكشفت عن شرهه وحرصه فيستسلف عاجلا قبح الذكر ويتحمل اجلا ثقل
الوزر وقل ان يقدم بينهما تقديم العقوبة وتعجيلها وطروق الحادثة وحلولها فليكن عصمة الله ممن يستشعر الحذر
ويشاهد الاشياء بالبصيرة قبل مشاهدتها بالبصر في اول هذا الفصل معنى قول الراجز وقد صار مثلا
ومثرة تهزا بالنصال كانها من خلع الهلال ومن ذلك قولي في هذا التوقيع غير مستهين بالنزر اليسير ولا
مغض عن الامر الحقير ولا مسامح في الفتيل ولا في النقير فقد يهدي الابؤس الغوير وكم مطر بدؤه مطير في هذا
الكلام ثلثة امثال احدها الفتيل والنقير والثاني قولهم عسى الغوير ابؤسا وقد نظمه ابو تمام فقال
هن البحاري يا بحير اهدى لنا الابؤس الغوير والثالث قولهم ان اول المطر مطير وقد نظمه ابو تمام ايضا فقال
رب قليل جدا كثيرا كم مطر بدؤه مطير ومن ذلك قولي في توقيع اخر لبعض المشرفين ايضا سكونا الى تدرعه من العفة
والنزاهة باوفى جنة والاعتصام من حولهما وقوتهما باتم حول واعظم منة واتخاذهما الزم فرض واكد سنة فليواظب
على حج كعبتها والتوجه الى قبلتها والتدين بشرعهما والسلوك في شرعتها وليستمر على التقمص ببردها السني والتعري
بشريعتها

عن ثوب الاشفاق الدنى ولكن في احراز الذكر الجميل اذا عرض ماهرا ولنفسه عن مطعم السواد اذا اعترض قاهرا
وفيما ثبت قدمه جاهدا وللشيطان المسول له مجاهدا ليكون بافعاله الحسنة مكافيا للانعام ومستحقا لزيادة
الموهبة والدوام فقديما قيل في المثل الزم الصحة يلزمك العمل هذا مثل مشهور من امثال الكتاب الزم الصحة
يلزمك العمل وقد ذكره عبد الحميد بن يحيى الكاتب في رسالته الى الكتاب ومن ذلك قولي في هذا التوقيع اذا كان
وقت الحصاد ونفقت الاكمام عن ثمار الاجتهاد رتب من الاعوان من يثق بمناصحته ويسكن الى حراسته وادلى عليهم عيون
التطلع واصغى اليهم بمسامع التصفح والتتبع فمن وجده للمحجة سالكا وللدناة تاركا اقره واستخدمه وادناه
واكرمه ومن الفاه عن الجد ناكبا ولا تباح الطمع راكبا احسن تاديبه وتقويمه وفرى بغرب السياسة اديمه
وجعل ما يعتمده من نكاله رادعا لامثاله ونافعا له في مستقبل امره وماله فليس الكهل كالحدث الصبي ولا
القارح كالجذع الفتي والحوادث ذخيرة العواقب والمصائب اثمان التجارب هذا معنى قولهم في المثل المشهور
ان المصائب اثمان التجارب ومن ذلك قولي في اخر هذا التوقيع فحقيق عليه بعد تعيينه واختياره وافراده
بالتقديم والتاهيل وايثاره ان تهجر لذة الرقاد في بلوغ المراد وان يكون لين المهاد عنده اخشن من شوك القتاد
الى ان يقال له قد وفيت وكفيت وعولج بك فشفيت هذا ينظر الى قول ذيك الجن
فاذا شوفي بي كنت حماما واذا عولج بي كنت شفاء ومن ذلك قولي في هذا التوقيع ايضا ولتواصل متجددات
العمل في اوقاتها على اختلاف انواعها وجهاتها ولا تستحقر منها حقيرا ولا تستصغر صغيرا فالكتاب سطر الى
سطر واول الغيث قطر هذا هو البيت المشهور للطائي
وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه واول الغيث قطر ثم ينسكب ومن البديع النادر اللفظة التي ضممتها اليه وهي
قولي فالكتاب سطر الى سطر ومن ذلك قولي في توقيع لبعض النظار ولتشرع في تطواف المعاملات واستقرائها
وتصفحها واستبرائها ومشاهدة مزارعها وضياعها ورساتيقها وبقاعها ومحاويلها واعمدتها ونواحيها واكرتها لتحصل
عنده صورها واشكالها وتثبت في ذهنه هيئتها وخيالها ولا تقنع بالاخبار والسماع والتعويل على ما في المطالعات
والرقاع فليس الخبر كالعيان ولا التقليد كالبرهان ومن عول على سماع الاقوال واكتفى بها عن مشاهدة الاحوال قصرت
بنانه عند المطاولة وافحم لسانه عند المجادلة وكان منقطع المادة محتاجا لنقصه الى التمام والزيادة ولتواصل
الحركة التي يدرك بها ما بعد من اعماله ونأى كادراكه ما قرب اليه ودنا بحيث يكون كل عامل من عماله ومتقدم من اكرته
ورجاله لا يامن هجومه على غرة وقدومه على فترة فيكون اعماله كلها اخذة اهبتها لابسة زينتها منتظرة طلوعه عليها
مرتقبة وصوله اليها فلا تزال الاجتهاد فيها بين المنار ظاهر الاثار هذا المعنى ينظر الى قول اخت المنتشر وهب
الباهلي يرثيه في قصيدتها المشهورة لا يامن القوم ممساه ومصبحه من كل اوب وان لم يغز ينتظر ومن ذلك
قولي في توقيع لكاتب لما كانت الكتابة بالاعمال الفلانية محتاجة الى ناهض باعبائها فارح لغمائها كاشف لمبهمها
ومجهولها ضابط لجملها وتفاصيلها نثلت كنانة الرجال وعجمت عيدان النصال وانضيت صوارم الكتاب
الاجلاد ليوم الجلاد واجريت سوابق الكفاة في مضمار السباق والطراد فكان فلان اوراها زندا وارواها عدا
واصفاها وردا واصفاها بردا واتقنها صناعة واوسعها بضاعة واظهرها جيبا وآمنها عيبا وابعدها
عيبا فعول عليه في الكتابة بالاعمال المذكورة علما بان قلمه يتم نقصها ويرقع خرقها ويراب صدعها ويجمع
شملها ويجبر وهنها ويلم شعثها ويسد خللها ويمحو زللها ويحيي رسومها الداثرة ويعمر ربوعها العافية اول

هذا

هذا الفصل ماخوذ من قول الحجاج في خطبته بالكوفة ان امير المومنين نثل كنانته فعجمها عودا عودا فوجدني اشدها
عودا واصلبها مكسرا وباقي الفاظ الفصل نكت تجري مجرى الامثال ومن ذلك قولي في صدر توقيع يصلح ان يوقع
لعارض الجيش وهو عوائد الديوان العزيز اهداء عقائل النعم الى الاكفاء واسداء صنائع الكرم الى الاولياء وايداع
المعروف حيث ينشر ويشكر لا حيث يجحد ويكفر وعند من يعرف مواقعه لا عند من ينفر واقعه وان يتحير لغروس
احسانه طيب المغارس واركاها واخلقها ان يحلو لي جناها لتكون نعمه مستقرة في نصابها رافلة في قشيب جلبابها
مودعة حيث تصان الودائع وتزكو الصنائع ولما كان فلان الرجل الذي يضرب به الامثال ولا تعد له الامثال
والمهذب الذي لا يقال له اي الرجال الفائز بشرف الاستعلاء على الاقران والحائز لقصب السبق يوم الرهان والمتوحد
بخصائصه عن مزاحمة المناكب والمنفرد عن الاضراب بجميل الضرائب راى الديوان العزيز الانعام عليه برد النظر في
ديوان العرض المعمور اليه علما باستقلاله واستطلاعه وثقة بسعة صدره وامتداد باعه وسكونا الى اغنائه وغنائه
وايفائه ووفائه وعلمه وتيقظه وحزمه وتحفظه وطمانينة الى قيامه بالمهم ودفاعه للملم وثباته حين تطيش الحلوم
وانتصاره حين يجيش الخصوم فليقابل هذه النعمة بالشكر الذي يكون لزيادتها مقتضيا ولمضاعفتها ممتريا ولامثالها
مستمدا ولما اخلق منها مستنجدا فالنعمة ضيف الشكر ان وجدته لم ترم وان فقدته لم تقم في هذا الكلام اشارة الى قول
النابغة ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب ومن ذلك قولي في هذا التوقيع ولينتصب
لاستيفاء اموال الاقطاعات انتصابا يظهر اثره ويجتنى ثمره في ضمن قوة خالية من العنف ولئن لا ينسب معه الى ضعف
فالزعماء كثرهم الله اولوا الحمية والنفوس الابية وعلى الحقيقة فهم السباع الوحشية في الصور الانسية فليحسن
التوصل في مداراتهم والاستيفاء منهم والاستعانة بهيبة الديوان العزيز عليهم غير مراقب في ذلك لعظيم منهم ولا جليل
ولا مغض عن كثير مما عليهم الا قليل فبالمال تستمال الرجال ويبلغ الامال ويفتح الصياصي ويملك النواصي ويستدني
القاصي والجند بالمال يجمع والملك بالجند يمنع في هذا الفصل اشارة الى قول الغزي في صفة الاتراك
من راى قبلهم مجتمعا حلق الناس واحلاق الاسود ومن ذلك ما قلت في صدر توقيع لناظر بالسواد لما كان فلان ممن
خبر رشاده فعلا وسداده قولا وتكاملت محاسنه وخصائصه فلا يقال فيها لولا وسبقت له سوابق الكفاية التي
تقلد نطاقها واقام اسواقها واحكم ميثاقها واجتلى بها عقائل المحامد بعد ان اغلى صداقها وحمدت مذاهبه
في حالتي اصداره وايراده وشهدت بعفافته وامانته السنة اوليائه وحساده راى الديوان العزيز الانعام عليه بنظر
كذا فليسال الله التوفيق والخيرة وليقدم تقواه فهو انفع عدة وانفس ذخيرة وليتوجه الى الاعمال المذكورة
بصدر رحيب الفناء وعزم نافذ المضاء وامل واثق بشمول الالاء وليسلك في جميع انحائه مسلك امثاله من ذوي الرشاد
والتحصيل ولا يتبع الهوى فيضله عن سواء السبيل اخر هذا الكلام من القران العزيز وفي اوله اشارة الى قول
ليس فيها ما يقال له كملت لو ان ذا كملا وانا اختم هذا الفصل بتوقيع كتبته لبعض الزعماء
وقد رتب سحنة بواسط وهو اولى الاولياء باجتلاء عقائل النعم الجزيلة وامتطاء كواهل الرتب الجليلة واعتلاء
صهوات المنازل السنية وارتقاء درجات المناصب العلية من تمحضت طاعته وعبوديته واستوى سره في الاخلاص
وعلانيته وحسنت افعاله واثاره وطابت انباؤه واخباره وكرم معيبه وعظم مشهده وابر يومه على امسه
وازبى على يومه غده ولما كنت ايها الامير الاجل فلان الدين جامع هذه الاوصاف والخصائص والمتحلي من جوهر
المناقب بما لم تظفر بمثله يد غائص واقترنت بسالتك التي سالت منها السيوف نفوسا ومهجا بدياناتك التي لم

يجعل الله فيها امتي ولا عوجا هذا الى ما خصصت به من اناتك وحجان حصاتك وعلو همتك وطهارة شيمتك وانك
بددت الاشكال والاضراب واوتيت حزم الشيخوخة في عنفوان الشباب روى الانعام عليك برد شحنة الاعمال الواسطية
اليك لاستقبال كذا فتلق هذه النعمة التي ترضيك بشكر يرضيها هذه المنزلة التي تضاهيك بحمد يضاهيها وتوجه
الى الاعمال المذكورة بصدر رحيب وراي مصيب وسيف من دم اهل الفساد خضيب استشعر تقوى الله فالعاقبة
لاهلها وقف عند حدودها واستظل بظلها وتذكر لها كلمة قصيرة عن طويلة ان الله مع الذين اتقوا وناهيك بها فضيلة
وابدا بالرفق الذي دخل في شيء الا زانه ولا استعان به لبيت في مشكل الا اعانه والق الناس بلطفك وبشرك
وطولك ولا تبداهم بالفظاظة فلو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك والرعايا فهم الودائع عندك الموثوق
لهم ان تلحقهم اناتك ورفقك وتفرشهم سدادك ورشدك فاكفف عنهم الاذى واطرح عنهم القذى وقل لهم
كما ادبك الله حسنا وبدلهم من خوفهم امنا ولا تمدن عينيك الى ما متعنا ولكن كن لهم جنة من الجور وحصنا واحمهم
ممن يتعرض بهم في عرض هذا الادنى واسلك بالمعدلة فيهم صراطا سويا واجعل قوتهم في الباطل ضعيفا وضعيفهم
في الحق قويا وحراسة الارتفاعات الديوانية بالسطوات المرهوبة والنقمات المصبوبة والهيبة التي تملاء القلوب
ارتياعا وتطير الانفس منها شعاعا فانت فارسها المعلم وشجاعها المقدم ولبثها التي تحجم الليوث ولا تحجم فاشدد
وطاتك على اهل الريب والفساد وشردهم عن جميع الاعمال والبلاد وانتدب المقام بسياستهم كانتدابك للقيام
بالفرض فما كان لزعيم ان يكون له سياسة حتى يثخن في الارض والاموال المتمزقة في اقاصي الاعمال وادانيها لا تحرس
الا باراقة الدماء على جوانبها ومن الجور البين والحيف وضع الصفح موضع السيف ونوابك وشحنك الذين
ترتبهم في الاعمال وتستعين بهم على حراسة الاموال فاصلحهم اولا وطهرهم ليحصل بهم الصلاح والطهارة ولا ترض
لهم ان يكونوا ممن يامر الناس بالبر وينسى نفسه الامارة والزمهم بمداومة فعل الخير يكونوا اهله ولا تجعلهم ممن ينهى
عن خلق ويأتي مثله واقم عليهم الارصاد واقعد لهم بالمرصاد ورضهم على اتباع منهاجك القويم واهتداء صراطك
المستقيم وعلمهم سجاياك المحمودة ما لم يعلموا وفوق كل ذي علم عليم وحراسة الطرق والمذاهب وحماية المسالك
والمشارب وقمع كل ناجم بفساد او قادح للشر بزناد ومخيف سبيل او فائد رعيل فكن في ذلك كالليث الشغب
ينهض الى فريسته والصقر القطم يخلي عن طريدته حتى يوسع كل ساع بالفساد قتلا واسرا وتوثق كل عادل عن السداد
حبسا وحصرا ويامن السبل والاكناف ويصبح الناس فيها كحمام الحرم لا تخاف فهذه الاعمال مظلمة فكن اضوء
من السراج وهذه المدرة حجاجية فكن اهيب من الحجاج وقد تلخص من مجموع وصايانا لك ان تكون ذا لونين ازهر
واقتم وذا طعمين احلى من العسل وامر من العلقم وذا وجهين طلق وشتيم وذا يومين يوم بوس ويوم نعيم فالدعامة
التي تقوم بها السياسة وتنتصب عليها عمد الرياسة هي القوة من غير عنف واللين من غير ضعف فالرعية
كمريض هذه زبدة علاجه والسياسة كبدن هذه تعديل مزاجه واجعل اعظم وكدك وغاية استجلاب الادعية
الصالحة لهذه الايام الشريفة الزاهرة التي تحسدها سالف الايام وتتنافس عليها فلا يبيعون ساعاتها بالاعوام
وتذم لاهلها فهم من الحوادث في امان وتظن لرونقها ونضارتها انها ايام الجنان امدك الله بدوام لا تماسك
لسحابه وبقا لا فذلك لحسابه فهذه معظم وصايا التوقيع المذكور وقد تضمنت من ترصيع الايات الشريفة والابيات
الشعرية والنكت والامثال الجميلة جملة صالحة اما الايات الشريفة فقوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقوله تعالى
والعاقبة للمتقين وقوله تعالى مع الذين اتقوا وقوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقوله وقولوا

للناس

للناس حسنا وقوله ولنبدلنهم من بعد خوفهم امنا وقوله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وقوله تاخذون
عرض هذا الادنى وقوله اهدك صراطا سويا وقوله فشرد بهم من خلفهم وقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى
حتى يثخن في الارض نقلته انا الى السياسة فقلت ما كان لزعيم ان يكون له سياسة حتى يثخن في الارض ولا يخفى
ما لهذا النقل من اللطافة وقوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله تعالى واقعدوا لهم كل مرصد وقوله صراطك
المستقيم وقوله وفوق كل ذي علم عليم **واما حل الابيات الشعرية**
حالك اليوم فوق حالك بالامس وارجو لك المزيد غدا نثرناه فقلنا وابر يومه على امسه وازبى يومه على غده
وقول السموءل تسيل على حد السيوف نفوسنا وليست على غير السيوف تسيل اخذناه فقلنا بسالتك
التي سالت منها السيوف نفوسا ومهجا وقول المتنبي وشيخ في الشباب وليس شيخا يسما كل من بلغ المشيبا
حللناه نحن فقلنا واتيت حزم الشيخوخة في عنفوان الشباب وقول ابن الاطنابة من شعراء الحماسة
اقول لها وقد طارت شعاعا من الابطال ويحك لا تراعي اخذناه فقلنا تملاء القلوب ارتياعا وتطير الانفس
منها شعاعا وقول المتنبي لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم حللناه فقلنا
والاموال المتمزقة في اقاصي الاعمال وادانيها لا تحرس الا باراقة الدماء على جوانبها وقول المتنبي ايضا
ووضع الندى في موضع السيف للعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى حللناه فقلنا من الجور البين
والحيف وضع الصفح موضع السيف وقد حللنا هذا البيت بعبارات ثلث والمعنى واحد وقد تقدم ذكرها
وهي فافسد الاشياء لقانون الرياسة وضع العفو موضع السياسة والثانية فادعى الاشيا الى انحلال النظام
وضع الصفح موضع الانتقام الثالثة هذا الموضع وقول القائل
لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم اخذناه نحن فقلنا والزمهم بمداومة فعل الخير يكونوا اهله ولا
تجعله ممن ينهى عن خلق ويأتي مثله وقول ابن هرمة كريم له وجهان وجه لدى الرضى اسيل ووجه في الكريهة باسل
اخذناه نحن فقلنا ذا وجهين طلق وشتيم وقول الشاعر تنافس الناس في ايام دولته فلا يبيعون اياما باعوام
اخذناه فقلنا وتتنافس الناس عليها فما يبيعون ساعاتها بالاعوام وقول المتنبي
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما واني فذلك اذا اتيت موءخرا اخذناه نحن فقلنا بدوام لا تماسك لسحابه
وبقاء لا فذلك لحسابه **واما الامثال والنكت** فقولهم ما دخل الرفق في شيء الا زانه وقول النبي
في دعائه على قريش اللهم اشدد وطاتك على مضر وقد صار ذلك مثلا سائرا وقولهم السياسة لين من غير ضعف وقوة
في غير عنف ويقال ان اول من قال ذلك ابو بكر الصديق رض وقولهم هذا عصر يجده الاعصر الخالية وقد جاء في
الشعر كثيرا كقول ابن هاني فاما الليالي السالفات فقطعت اناملها من حسرة وتندم
واما الليالي الحاضرات فادركت ما ربها من بهجة وتكرم
وفي الفصول المذكورة من الالفاظ والنكت الجارية مجرى الامثال عدا ما ذكرناه ما لا خفاء به فهذه نبذة من حل
المنظومات ذكرناها عجالة القرى ولهيه الطارق اذا عرى وان وجدنا ادنى فسحة اتممنا ما شرعنا فيه من حل
سيفيات ابي الطيب المتنبي وتقربنا به الى خزانة مالك الامر ووارث الدهر جعله الله بالطافه الخفية وكراماته
الجلية ممنوحا واتاه من البسطة في الملك والعمر ما لم يات الاسكندر ونوحا بمحمد واله قال المص وقد ذكر ابن سنان
الخفاجي ان احد ما يشترط في حسن اللفظة ان يكون مخارج حروفها متباعدة قال وهذا باطل لانه لو كان العلم بحسن اللفظة

وقبحها مشروطا بتباعد مخارجها او تقاربها لوجب ان لا يحكم على الفور بقبح لفظة وحسنها حتى يعتبر مخارج الحروف
ونحن نجد الامر بعكس ذلك فانا ساعة ما نسمع اللفظة يعني بحسنها وقبحها وما ذاك الا ان هذا امر يرجع الى حاسة
السمع فاذا استحسن شيئا او استقبحه وجدنا ما يستحسنه متباعد مخارج الحروف فاستحسانها واستقباحها
انما هو قبل اعتبار المخارج لا بعده **اقول** ليس بمنكر ان يعلم المعلول قبل العلة والمشروط قبل الشرط الا ترى انك اذا
رايت الجارية الحسناء فانك تستحسنها على الفور ولا تتوقف استحسانك اياها على ان يستحضر في ذهنك علة الحسن من
دقة شفتيها وامتداد سالفتيها واختلاط الحمرة بالبياض في بشرة وجهها وغير ذلك من اسباب الحسن فلا تطعن حكمك
بالحسن على الفور من تقليد الحسن بهذه الامور وتبين ذلك انه قد اعترف ان كل ما يستقبحه من الالفاظ تجده متقارب
الحروف وما يستحسنه منها تجده متباعد الحروف ولكنه يزعم انه لا يعلل الاستقباح والاستحسان بهما فيقال
له اذا كان تقارب المخارج والاستقباح متلازمين لا يفترقان فلا بد من امر اوجب تلازمهما وليس ها هنا علة خارجية
اقتضت تلازمهما افيمكنك ان تقول ان الاستقباح اوجب تقارب المخارج فيما هو متقارب المخارج مع ان تقارب
المخارج امر ذاتي له لا يتوقف على استقباح فاذا لم يكن الاستقباح اوجب تقارب المخارج ولا لملازمته اياه من سبب
فلا سبب الا تقارب المخارج علة الاستقباح **قال المص** وقد وجدنا الفاظا متقاربة المخارج وهي غير مستقبحة كلفظة
شجر وجيش وفم والفاظا متباعدة المخارج وهي مستقبحة كلفظة ملع اذا عدا واسرع **اقول** ان ابن سنان لم يدع الاطراد
المطلق وانما قال ان الاكثر الاغلب استقباح الالفاظ المتباعدة المخارج اذا لم يوجد فيها علة اخرى توجب استقباحها
والشاذ لا يعتد به على ان هذا لازم له لانه قد اعترف ان كل لفظة متقاربة مخارج الحروف فانها مستقبحة وان لم
يعلل الاستقباح بذلك فما اورده ابن سنان لازم على ما اعترف به من تلازم الامرين **قال المص** وقد غلط ابو نواس في لفظة
الظرف فقال

اختصم الجود والجمال • فيك فصارا الى جدال •
فقال هذا يمينه لي • العرف والبذل والسوال •
وقال هاذا وجهه لي • للظرف والحسن والكمال •
فافترقا فيك عن تراض • كلاهما صادق المقال •

قال فوصف الوجه بالظرف
والظرف من صفات النطق خاصة وليس كما يتوهمه العامة من حسن الصورة ودماثة الاخلاق **اقول** ان هذا الذي
ذكره قد قاله كثير من الناس غير ذلك فان صاحب ديوان الادب قال الظرف الكياسة ولم يزد على ذلك وهكذا قال صاحب
الصحاح ومعلوم ان الكياسة لا تكون راجعة الى النطق اللساني خاصة وعلى كل الاحوال فابو نواس لم يغلط فان اداة
الظرف وهي اللسان على ما يريده جزء من اجزاء الوجه فاذا قال الجمال ان وجه هذا الممدوح لي لانه محل الظرف كان صادقا
لانه محل آلة الظرف ومحل آلة الشيء محل لذلك الشيء كما يقال الراس محل الشم والذوق لانه محل التيهما **قال المص** وقد
غلط ابو تمام فقال

ودماثة الخلق التي لو مازجت • خلق الزمان القدم عاد طريفا •

فوصف الخلق بالظرف
والظرف من يختص باللسان والنطق **اقول** لو سلمنا ما يريده من تفسير الظرف لكان لقول ابي تمام مذهب لا باس به
لان تهذيب الاخلاق ورياضتها وتسهيل حزنها وتدميثه مما يعين على حسن التوصلات النطقية ويؤثر في الالفاظ
اصابة الاغراض بها الا ترى ان النبطي الجلف الجافي لا يكاد يبلغ اغراضه بالكلام ولا يحسن التوصلات الى ادراك ما يرومه
بلسانه بخلاف من خالط وجرب وراض اخلاقه وهذب نفسه فمن هذا الوجه جعل ابو تمام دماثة الخلق مؤثرة في الظرف
وان كان عائدا الى النطق اللساني خاصة **قال المص** وقد ذكر ابن سنان الخفاجي في كتابه ان من اوصاف الكلمة ان تكون

مؤلفة

فيها

تلطف

مؤلفة من اقل الاوزان تركيبا وانها اذا طالت قبحت ومثل ذلك بقول المتنبي •
ان الكرام بلا كرام منهم • مثل القلوب بلا سويدا وانها • فان لفظة سويدا وانها قبيحة لطولها وقال الامر ليس
كذلك فانها لو قبحت لطولها لقبح قوله تعالى فسيكفيكهم الله وقوله تعالى ليستخلفنهم في الارض فان احداهما تسعة
احرف والاخرى عشرة احرف **اقول** الست قلت في باب المعاظلة اللفظية انها مما وقع الاجماع على قبحه وقلت
انها تكرير الحروف ومثلها بقول القائل جنا جنات وجنات الحبيب • وقولهم وليس قرب قبر حرب قبر • فلقائل
ان يقول لك قد ورد في القران الكريم مثل هذا وهو قوله تعالى بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم
ثم يمسهم منا عذاب اليم فهذه ميمات كثيرة يتلو بعضها بعضا فاما ان يكون استعمالها في القران غير مستحسن او يكون
مستحسنا فان لم يكن مستحسنا مع انها قد استعملت فيه فاخبر ابن سنان ان تكون الطويلة كقولهم ليستخلفنكم
غير مستحسنة وقد استعملت وان كانت المعاظلة قبيحة الا في القران فاخبر ابن سنان ان تكون كثرة حروف الكلمة على
القبح الا في القران وبالجملة فاما ان يلزمك ما الزمته واما ان تتخلص بما تتخلص به **قال المص** واكثر اسجاع الصابي وابن
العميد وكثير من المتقدمين والمتاخرين من الكتاب تكرير المعنى بعينه في السجعتين المزدوجتين كقول الصابي في
التحميد لا تخلقه العصور بمرورها • ولا تهزمه الدهور بكرورها • ثم قال في ذكر النبي ص فلم يدع للكفر اثرا الا طمسه ومحاه
ولا رسما الا ازاله وعفاه قال ولا فرق بين محو الاثر وتعفية الرسم ولا بين مرور العصور وكرور الدهور وقال
ومثل قوله ولم تزل الدولة العباسية تعتل طورا وتصح اطوارا • وتلتاث مرة وتستقل مرارا • من حيث اصلها راسخ لا
يتزعزع • وبنيانها ثابت لا يتضعضع • قال وهذه الالفاظ كلها متساوية المعاني فان الاعتلال والالتياث والطور
والمرة والرسوخ والثبات سواء ثم ذكر عدة مواضع من كلامه يجري هذا المجرى **اقول** هذه سنة الكتاب وعادتهم ما
زالوا عليها قديما وحديثا وهم يرون ذلك من باب سعة العبارة والاقتدار على الالفاظ ثم ان السجعة الثانية تؤكد معنى
الاولى والتاكيد عمدة البيان والكتابة ولذلك احبوا فيها الاطالة وفي الشعر الاختصار ولهم في هذا باب مفرد يتضمن
تعليله والسبب الذي من اجله توسعوا في عبارات الكتابة واسهبوا واختصروا في النظم واختصروا على القران الكريم
وهو على غاية الايجاز والاختصار وقد تضمن ذلك في كثير من المواضع نحو قوله تعالى اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس
فالرب ههنا والملك والاله واحد وكل واحدة من هذه السجعات قد اعطت معنى الاخرى • ومثل قوله لنخرج به حبا
ونباتا وجنات الفافا فان الجنات هي البساتين ولا معنى للبساتين الا ما كان محتويا على الحب والنبات • ومثل قوله
انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا فان عدم اعتقادهم للحساب هو تكذيبهم بالايات ومثل هذا في
القران العزيز كثير جدا فان قلت يمكن ان يقال ان الملك غير الاله لان امير كل بلدة يوصف بانه ملكها ولا يوصف
بانه الاهها وكذلك رب الدار لا يقال له الاهها وايضا يمكن ان يقال انه اراد بالحب الاقوات وبالنبات ما لا ساق
له من الشجر وبالجنات ما له ساق من الشجر وغير ذلك من التاويلات قلت اذا شرعت في هذا كان لقائل ان يقول
ان قول الصابي لا تخلقه العصور غير قوله لا تهزمه الدهور لان الهرم انما يكون للحي المختار والاخلاق اعم من
ذلك لانه يكون للجماد فمراده انه لا يغيره الاوقات على مذهبي المسلمين والحكماء وقوله لم يدع له اثرا من اثار الديار
والاماكن ولا رسما من قولهم قد رسمت لك في هذا الكتاب رسوما فاعمل بها وايضا فان تعتل غير ملتاث لان الالتياث
الضعف فقط وان لم يكن عن علة ولذلك عقبه بقوله تستقل كما عقب الاعتلال بالصحة ومثل هذه التدقيقات
الخفية في التاويلات لا يتعذر تحصيلها على من عنده سعة في موارد هذه الصناعة **قال المص** والتصريع سبعة

الكلمة

انواع الاول ان يستقل كل واحد من المصراعين بنفسه استقلالا تاما وهو التصريع الكامل كقول امرء القيس
افاطم مهلا بعض هذا التدلل • واركنت ودارمعت همري فاجملي • وقال المتنبي
اذا كان مدح فالنسيب المقدم • اكل فصيح قال شعرا متيم • الثاني ان يكون المصراع الاول مستقلا بنفسه والثاني غير مستقل بنفسه بل يكون مرتبطا بالاول كقول امرء القيس
قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل • تسقط اللوى بين الدخول فحومل • وقول ابي تمام
اما آن لربوى الطبا الحوائم • وان ينظم الشمل المبدد ناظم • والثالث ان يمكن وضع كل من المصراعين موضع الاخر وهو التصريع الموجه كقول ابن الحجاج • مرشروط الصباح في المهرجان • خفه الشرب مع خلو المكان • وهذا في الحودة كالنوع الثاني • والرابع ان يكون المصراع الاول مستقلا بنفسه ويفتقر فهم معناه الى الثاني وهو مذموم وسمى التصريع الناقص كقول المتنبي
مغاني الشعب طيبا في المعاني • كمزلة الربيع من الزمان • والخامس التصريع بلفظة واحدة في الصدر والعروض اما حقيقة كقول عبد يغوث الحارثي • وكل اذى عينيه نوء وغائب الموت لا يوءب • واما مجازا كقول ابي تمام • فتى كان شربا للعفاة ومرتعا • فاصبح للهندية البيض مرتعا • والسادس ان يذكر المصراع الاول وسمى التصريع المعلق وهو معيب جدا ومثاله قول امرء القيس
الا ايها الليل الطويل الا انجلي • بصبح وما الاصباح فيك بامثل • فان المصراع الاول معلق على قوله بصبح ومثل قول المتنبي • قد علم البين منا البين اجفانا • تدمي والف ذا القلب احزانا • فان المصراع الاول معلق على قوله تدمي • والسابع ان يكون التصريع في البيت مخالفا لقافيته وسمى التصريع المشطور وهو اقبح التصريعات كقول ابي نواس • اقلبي قد ندمت على الذنوب • وبالاقرار عدت من الجحود • اقول ان النوع السادس عند المحقق هو الثاني فان كان الثاني حسنا كما زعم فالسادس جيد وان كان السادس معيبا كما زعم فالثاني معيب بيان ان المصراع الاول من النوع السادس مستقل بنفسه غير محتاج الى الذي يليه اصلا لانه لو وقف على قوله الا ايها الليل الطويل الا انجلي • لكان مفيدا لانه سأل الليل ان ينجلي وينكشف وهذا كلام تام ومعنى مستقل بنفسه كقوله قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل • بل انما استقلا لانه لانه اذا ذكر الحبيب والمنزل ولم ينعتهما كاد الكلام يخرج عن الافاده وقوله الليل الا انجلي معنى واضح كانه قال يا ليل فانكشف وبنت المنبي مثل هذا الا انه استقلالا لان قوله • قد علم البين منا البين اجفانا • كلام حسن مفيد عند من يفهم معناه ومعنى هذا المصراع ان البين قد علم اجفاننا البين اي فراق الاحباب وقد علم اجفاننا ان يفارق بعضها بعضا وهذا معنى لطيف وكلام حسن مستقل بنفسه لا حاجة له الى المصراع الثاني ولا هو معلق عليه اصلا ولئن كان قوله تدمي يوجب تعلق المصراع الاول عليه لان موضعه النصب من حيث كان صفة لقوله احفانا للكون المصراع الاول من بيت امرء القيس معلقا على قوله بسقط لان موضعه الجر من حيث كان صفة لقوله منزل بالفصل بين الموضعين • واعلم انه قد داخل في اقسام التصريع تقسيم اخر بين احدها ان يكون معنى المصراع الاول مساويا لمعنى المصراع الثاني بالكلية لارتباطه بهما كقول المتنبي
جلا الكاس في لبك التنوخ • اغداة الرشاء الاغن الشنيح • فانه لا مناسبة بين صدر هذا البيت وعجزه وان ثبت ان بينهما مناسبة تاما كما قد يتكلفه قوم فما الغرض المشل هنا غير القسم الاول الذي ذكره المصنف

قوله • واركنت ودارمعت همري فاجملي • له ارتباط معنوي في الجملة بقوله • افاطم مهلا بعض هذا التدلل • بتقدير الكلام ان كان صدك اذ دللا فاقلي منه وان كنت ودارمعت الهجر والقطيعة فاجملي في ذلك • والقسم الثاني التصريع في العروض لحركة مخالفة لحركة الضرب بحوان يكون احدهما بالرفع والاخر بالجر كقول ابي نواس • اخصص الجود والجمال • فلك فصارا الى جمال • وهذا مخالف للقسم السابع الذي ذكره المصنف لان ذاك اختلاف الحرفين وهذا اختلاف الحركتين • واما التخيلس فهو ان يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا وهو ينقسم الى اقسام يدخل فيها ما هو التخيلس الحقيقي وما يشتبه به • قال وقد نظر قول ابي تمام
اطن الدمع وحدي سيبقى • رسوما مثل ما بكاى في الرسوم • في هذا الباب نظر الى مساواة اللفظ وتفاوت المعنى غير مختلف فيهما ومن شرط التخيلس وما يشاكله اختلاف المعنى مع تماثل اللفظ ثم قال ومثال التخيلس الحقيقي قول ابي تمام • من القوم جعد اسفل الوجه والندى • وليس بنان يجتدى منه بالجعد • قال فالجعد المسترخي يقال للبخيل انه لجعد البنان قال ومثل قوله
كم احرزت قضبا الهندي مصلتة • هتزت قضب هتزم وكتب •
بعض اذا انتضيت مرجيها رجعت • احق البيض اترابا من الحجب • قال فالقضب السيوف والقضب القدود والبيض السيوف والبيض النساء • اقول ان لفظ القضب في البيت الاول ولفظ البيض في البيت الثاني خارجة عن باب التخيلس بالكلية لان القضب جمع قضيب وهو العود الرشيق من الشجر هذا هو معنى هذا اللفظ في اصل وضعه وانما سمي به السيف مجازا ولا يظن ان تسمية السيف قضيبا من حيث كان قاطعا من القضب وهو القطع وفعول يكون فعيلا بمعنى فاعل كقدير وعليم لانهم كانوا اذا وادوا ذلك فسموا السيف العظيم العرض صقيلا ومارانا نهم سموه بذلك وانما سموا به السيف اللطيف ومثل ذلك البيض لستم ارسما النساء ولا بيضا واحدة لبيضتين مترادفتين كالموم والمملوك ونحوهما ولا البيض انضم اسماء السيوف ولا سمعنا ان احدا من العرب سمى السيف ابيض كما ان اللث سمي الاسد وانما البيض عبارة عن اشياء ذات بياض فقط ثم اسعرت هذه اللفظة للسيوف والنساء صفة لا اسما وهذا امر خارج عن باب التخيلس ولو كان هذا من التخيلس لوجب ان يقال في الليل اسود وفي الحية اسود وفي التمر اسود من قولهم عندي لاسود ان لا يكون هذا مخيلسا ولم يقل ذلك احد لان هذه الصفات مختلف موصوفاتها لا غير ولا مختلف هي ان كان مثل هذا مخيلسا فلكرسيت الى تمام لاولى مخيلسا لان رسوم الدمع هي مجاريه واثاره ورسوم الدار جمع رسم وهي مصدر رسمت الدار اي عفيتها فالرسم امر رسم دار مربع ومصيف • وهذا اشد اختلافا من البيض والبيض والقضب والقضب • قال ومن التخيلس ايضا قول ابي تمام • اناس اذا ما استلحم الروع صدعوا • صدور العوالي في صدور الكتائب • قال فلفظ الصدور في البيت واحد والمعنى مختلف • اقول وهذا ايضا من الطراز الاول الذي قلناه انه ليس تخيلسا لان الصدر اسم لهذا العضو المخصوص لكنه لما كان هو مقدم الانسان نقل الى صدر العوالي وهي رؤوسها وما تقدم منها الى صدور الكتائب وهي ما سقدم منها ايضا فالمعنى واحد في الموضعين واذا اتحد المعنى خرج عن باب التخيلس • قال ومن اقسام التخيلس ان يقع الاختلاف في الوزن والتركيب بحرف واحد كقول محمد بن وهيب
قسمت حروف الدهر بؤسا ونائلا • فمالك موتور وكفك واتر • اقول ان ادخال هذا البيت في التخيلس من طريق الاشياء فان المعنى في الكلمتين واحد وانما اختلف صيغة الفاعل وصيغة المفعول كالضارب والمضروب

ولوكان هنا لخيسًا لوجب ان يكون قول القايل ضربت زيدًا بالعصا صرية فاعلق المضروب بالضارب قد يضم
التجنيس ع اربعة مواضع الفعل والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وهذا مما لم يذهب اليه ذاهب قال المص
فى باب الموازنه • ومما جاء فى الموازنه شعرًا قول الاول •

ان تمتلوك فقد ثللت عروشهم • بعتيبه بن الحرث بن شهاب •
باشد هم باسًا على اعدائهم • واعزهم فقدًا على الاصحاب • فان باسًا وفقدًا

على وزن واحد اقول انه قال ع اول قسم الالفاظ المركبه ان صناعة تركيب الالفاظ والمعانى تنقسم الى ثمانيه
اقسام منها السجع وهو يختص بالمنثور ومنها التصريع وهو يختص بالمنظوم ومنها التجنيس وهو عام لهما ومنها
الموازنه وهو يختص بالمنثور وهو ان يذكران ع الشعر موازنة وذلك ينقض ما قدمه قال المص فى الكلام والصناعه
المعنويه وصاحب هذا الفن لا يحتاج الى ما ذكره الحكماء فى علم المنطق ع الشعر وقد قرات كلام ابى على رسناء فى
المنطق وتاملت ما قاله ع الشعر فوجدته تقول ان ذلك يورد على مقدمتين وتنتجه قال وقد كان ابن سنا نظم
شعرًا ولا ريب انه عند افاضته ع صوغ ما صاغه منه لم يخطر المقدمتان والنتيجه له ببال ولو انه استحضر
المقدمتين والنتيجه ثم اتى بالنظم والشر بعدهما لم يات بشى ينتفع به وانما هذه قعاقع والفاظ طول القوم بها
كتبهم اقول هذه جناية عجب لمرء نفسه وذلك ان الانسان مدعوم فرط اعتقاده فى نفسه وشغفه بما يخطر له
ان يتكلم على علم قوم لا يعرف اقوالهم ولا يحصل معنى اصطلاحهم فضلا عن ان يبلغ رتبته ويترقى درجته ان يفض
عليهم فيقع هذا الموقع وليس مراد القوم بالشعر ما توهمه والذى يريدونه بالشعريات كل قياس مخيل يعلم العاقل كذبه
لحرث له مع ذلك قبض اوبسط او اقدام او احجام كما يقال للماكل العسل فانه مرء مقيئة او يقال للحلواء الرطبه
المزعفرة للماكل فانها غائط فالعقل والحس يكذبان هذا الكلام الذى هو فى قوة قياس صورته هكذا كل غائط فهو غير
ماكول وهذه الحلواء غائط فهى غير ماكوله ومع علمه بكذبه ينقبض عن الاكل واكثر اقدام الناس واحجامهم بسبب هذه
التخيلات ولا وهام وهى الاقيسه الشعريه التى يذكرونها وانما سميت شعرية لمشاهتها مقاصد الشعراء فى تخييلاتهم
وترويقاتهم واما توهمه عليهم ان الشاعر يحتاج وقت نظم الشعر الى استعمال مقدمتين وتنتجه وقوله ان ابن سنا وزن
نظم شعرًا ولا رتب المقدمتين وقت نظمه فتوهم بعيد وان كان القوم عنده هذه الصورة وبراهينهم هذه العين فانه لم
يعرفهم قال المص وقد صححت كتاب الخصائص لابى الفتح عثمان رحمه فوجدته قد ذكر فى المجاز شيا تطرق النظر اليه
وذلك انه قال لا نعدل عن الحقيقه الى المجاز الا لمعانى ثلثه وهى الاتساع والتشبيه والتوكيد فان عدمت هذه الثلثه
كانت الحقيقة البته وذلك قوله تعرواد طناه فى رحمتنا وهذا اصبحت فيه المعانى الثلثه المذكورة اما الاتساع فانه
اراد فى اسماء الجهات والمحال اسمًا هو الرحمة واما التشبيه فانه شبه الرحمة وان لم يصح الدخول فيها مما يصح الدخول فيه
واما التوكيد فانه اخبر عما لا يدرك بالحاسه مما يدرك بالحاسه تخيليا لما لم يخبر عنه ويصحمًا له اذا صيرا الى منزله ما ساهد
وبعاين قالوا والكلام عليه من ثلثة اوجه اولها انه جعل وجود هذه المعانى الثلثه سببًا لوجود المجاز وعدمها سببًا
لعدمه وهذا خطا فانه ليس وجود هذه الثلثه سببًا لوجود المجاز بل وجود واحد منها انها كانت سبب وجوده وايضا
فلو كان وجود هذه المعانى الثلثه سببًا لوجود المجاز لكان عدم احدها انها كان سببًا لعدمه كما اذا قلنا لا يوجد الانسان
الا بان يكون حيوانا ناطقا فالحيوانيه والنطق سبب وجود الانسان فاذا عدم واحد منهما بطل ان يكون انسانا
وكذلك كل صفات تكون مقومة لوجود شى من الاشيا فان وجودها يوجب وجود ذلك الشى وعدم واحد منها يوجب

عدمه

عدمه اقول ليس مراد ابى الفتح رحمه الله ما ظنه وكيف يذهب الى ان اللفظه المجازيه متوقفه على اجتماع هذه
الامور الثلثه وقد ضرب امثلة كثيرة للمجاز فى كتابه هذا وكل موضع منها يختص بواحد من هذه الثلثه فقط وانما ذكر
هذه الثلثه ليبين بها انه وجد موضعًا اجتمع فيه الشروط الثلثه التى يوقف المجاز على حصول واحد منها وقول ابى
الفتح رحمه الله لا نعدل عن الحقيقه الى المجاز الا لمعانى ثلثه مثل قوله فى كتاب اللمع الكلام كلمة اشيا اسم وفعل
وحرف فانه لا يريد ان كل لفظه من الكلام فانه يجتمع لها ان تكون اسمًا وفعلا وحرفا وانما مراده ان كل لفظه من الكلام
لا تخلو من هذه الانواع الثلثه لا يكون واحدًا منها ايها كان ولكنه يتسامح من اللفظ اعتمادا على فهم السامع وثقته
بان مثل هذا الكلام لا يزال الناس يستعملونه فى محاوراتهم • فاما قوله فاذا عدمت هذه الثلثه كانت الحقيقة البته
فكلام جيد لا اعتراض عليه لانه لو عدم احدها فقط لم تكن الحقيقة متعينه البته لان احد القسمين الباقيين
يكفى فى حسن المجاز وانما سعين الحقيقه البته اذا عدمت الثلثه كلها ومر هذا الموضع يجب ان نفهم معنى
قوله لا نعدل عن الحقيقه الى المجاز الا لمعانى ثلثه لانه لو كان اراد الا لاجتماع معان ثلثه لما قال فاذا عدمت هذه
الثلثه كانت الحقيقة البته لان الذى لاجله حسن استعماله الا عند اجتماع عده اشيا سفى حسن استعماله عند انتفاء
واحد فقط من تلك الاشيا لانه اذا انتفى احدها فقد زال اجتماع تلك الاشيا التى جعلنا حسن الاستعمال موقوفا
عليه فاما تمثيله بالانسان والحيوانيه والنطق فمثل غير مطابق لما نحن فيه لانا ان حملنا كلام ابى الفتح على ما قد توهمه
ولا حملناه على المحمل الصحيح لان اجتماع هذه الاشيا الثلثه التى اشار الفتح اليها ليس مقومًا للمجاز ولا هى اسباب
وجوده وانما هى شرائط حسن استعماله فكيف يمثل ذلك باجزاء الماهيه المقومه لها قال المص الوجه الثانى
انه ذكر التشبيه والتوكيد وكلاهما شئ واحد على الوجه الذى ذكره لانه لما شبهت الرحمة وهى لا تدرك بالبصر
بمكان يدخل فيه وهو صورة يدرك بالبصر دخل تحت ذلك التوكيد الذى هو اخبار عما يدرك بالحاسه مما يدرك
الحاسه اقول لقوله تعرواد طناه م رحمتنا اعتباران احدهما انه جعل الرحمة ظرفا وصرح بذلك وحسن ذلك
للفظه فى وهى مختصة بالظرفية والرحمة وهى ارادة الثواب والارادة لا تكون ظرفا والثانى ان محتوى الكلام رحمتنا
قد دخل فيها قوم كما تقول دارنا قد دخلها قوم والدخول حركة مخصوصه وكل حركة فهى مرئية بالبصر فقد اخبر عما لا
يدرك بالبصر انه مدرك بالبصر واحد هذين الاعتبارين مغاير للاخر الا ترى ان قولهم فلان قد عظه الدهر فحواه
الدهر قد عض فلانا وهو فى الاصل اخبار عما لا يدرك بالبصر وهو الدهر انه مدرك بالبصر وهو العض وليس
هذا اللفظ الظرفيه كما فى قولنا دخل فلان ع الرحمه فلاجل تغاير هذين الاعتبارين جعلهما ابو الفتح رحمه قسمين
قال المص على ان التوكيد ها هنا لا اعلم ما اراد به فانه لا يوثق به ع اللغه العربيه للمعنيين احدهما ان يبرز اللفظ
مخصوصه نحو نفسه وعينه وكله وغير ذلك مما هو مذكور ع كتب النحاة والامر ان رد على وجه التكرير كقولك قام
زيد قام زيد لفظ التحسين وتوكيدا للمعنى المقصود وابو الفتح لم يرد احد هذين القسمين ولا يكون له معنى الا ان يريد
ابراز المعنى الموهوم الى الصورة المشاهدة وقد عبر عنه بالتوكيد وعلى ذلك هو التشبيه بعينه فلا حاجه الى
افراده بالذكر اقول ما اراد ابو الفتح رحمه شيا مما توهمه هذا الرجل وقد اعترف بانه لم يفهم مراده مع ظهوره وذلك
ان احدا لا عراض الصحيحه ويعدل العقلاء عن موضعها الاصلى الى غيره تاكيد المعنى على وجه تفعل فى نفس السامع
ما لا تفعله الحقيقه كقوله تعرسيفرغ لكم ايها الثقلان ومراده سنقصد ولو نقل ذلك لان ع الفراغ معنى ليس ع القصد
وهو التهديد والوعيد فان قول الملك لصاحب كريمه سافرغ لك سيمر بخلد نفسه ما تضمنه قوله سا قصد لك

وكقوله تعالى فلما سكت عن موسى الغضب ومراده ذهب لكن سكت اكد فيما يريده لان فيه دليلا على توقع عود غضبه
اذا عاود الفكر في عبادتهم العجل كما ان الساكت يتوقع كلامه وكقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا مراده عمدنا لكن قدمنا اكد وابلغ كانه كان بامهاله لهم كالغائب عنهم ثم قدم منهم على ما لا ينبغي فجازاهم
بحسبه فهذا هو مراد الشيخ ابي الفتح رحمه الله قال المص والوجه الثالث انه قال واما الاتساع فانه زاد في
اسماء الجهات والمحال اسما هو الرحمة قال ويلزم على قياس هذا القول ان يكون جناح الذل في قوله تعالى واخفض لهما
جناح الذل هكذا فيكون قد زاد في اسماء الطيور اسما هو الذل وان يكون قول ابي تمام • لست سواه اقرانا •
فكانوا زيادة في اسماء اللباس وهو الانسان اقول ان هذا الذي الزمته ابا الفتح رحمه الله لا يمتنع من الزامه بل هو قياس
يطرد في جميع التوسعات فما الذي انكرت من ذلك وانما يصح اعتراضك ان لو الزمته شيئا لا يقدر على التزامه ويحتاج
الى بيان الفرق بينه وبين المسئلة التي الكلام فيها فاما اذا كان الكل ينساق سياقة واحدة فاي محذور يلزم ابا الفتح
من ذلك قال المص وقد نظرت في كتاب اصول الفقه للغزالي رحمه الله فوجدته قد قسم المجاز الى اربعة عشر قسما قال
وهذه الاقسام الاربعة عشر ترجع الى ثلثة اقسام وهي التشبيه والتوسع والاستعارة قال والتقسيم لا يصح في شيء الا
اذا اختص كل قسم من اقسامه بصفة لا يختص به غيره اقول انا قبل النظر في اعتراضاته على الغزالي نقدم مقدمة
وهي انه لا بد بين سائر المجازات من علاقة بين الاصل المنقول عنه والفرع المنقول اليه والا لم يكن تلك اللفظة مجازا من تلك
الحقيقة بل يكون وضعا جديدا لا تعلق له بغيره وليس الكلام في ذلك فالاصوليون قد اتفقوا على انه لا بد من
علاقة وارتباط في الجملة لكنهم قسموا تلك العلاقة باعتبار كذا وقد يكون باعتبار كذا الى اخر الاقسام فان بين هذا
الرجل ان تلك الاعتبارات التي يذكرونها متداخلة لا بانه قد شملها الامر الاعم وهو العلاقة من حيث هي علاقة بل بين
انها في خصوصياتها التي يدعيها الاصوليون متداخلة فقد صحت اعتراضاته والا فهي ساقطة قال المص فالقسم
الاول من الاقسام التي ذكرها الغزالي هو تسمية الشيء باسم ما يشاركه في الخاصة كقولهم للشجاع اسد وللبليد حمار قال
وهذا القسم اما داخل في الاستعارة ان ذكر المنقول اليه فقط كقولك رايت اسدا وفي التشبيه المحذوف الاداة
ان ذكر المنقول والمنقول اليه معا كقولك زيد اسد اقول انا لا نخالفه في هذا ولكن ننظر فيما نقول بعده قال المص
والقسم الثاني تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه كقوله تعالى اني اراني اعصر خمرا وانما راى انه يعصر عنبا قال وهذا القسم
داخل في القسم المذكور قبله بصفة المشابهة بين المنقول منه وهو من باب الاستعارة بل اوغل في المشابهة منها لان
الخمر من العنب وليس الاسد من الرجل ولا الرجل من الاسد اقول هذا القسم خارج عن القسم الذي قبله لان القسم الذي قبله
هو تسمية الشيء باسم ما يشابهه في خاصيته كتسمية الشجاع اسدا لان الشجاعة من اخص صفات الاسد وكذلك لم يسموا
الابخر اسدا لما لم يكن البخر من صفات الاسد الخاصة فالخمر والعنب ليت شعري في اي الخواص اشتركا حتى نقول ان
هذا القسم داخل في القسم الذي قبله فاما قوله بل هذا اوغل في المشابهة من استعارة الاسد للشجاع لان الخمر من العنب
وليس الاسد من الانسان فانه يقال ليس له كون الخمر من العنب مما يقتضي المشابهة التي ينقل لاجلها اسم احدهما الى
الاخر فان الدقيق من الحنطة ولا يجوز ان يقال انه لما كان منها كان اوغل في المشابهة من استعارة الاسد للشجاع فوجب
ان يطلق على الحنطة لفظة الدقيق وتحقيق هذا الموضع هو ان كون الشيء مقتصرا من غيره او يستحيل الى غيره او
يستحيل غيره اليه لا يقتضي ان يكون بين الامرين مشابهة من امر خاص لاحدهما قد اشتهر به وضرب المثل به فيه كما اشتهر
الاسد بالشجاعة وضربت به الامثال فيها فلذلك نقل اسم الاسد الى الشجاع للمشابهة في ذلك الامر الخاص ولم ينقل اسم

الدقيق

الدقيق الى الحنطة ولا نقل اسم الخمر الى العنب باعتبار الذي به نقل اسم الاسد الى الشجاع بل باعتبار اخر وهو تسمية
الشيء باسم ما يؤول اليه وقد حقق الاصوليون هذا القسم تحقيقا ازيد من هذا فقالوا من اقسام المجاز اطلاق اسم
السبب على المسبب • ولما ثبت في العلوم الحكمية ان العلل اربعة الفاعل والصورة والمادة والغاية كانت انواع هذه
القسم اربعة الاول تسمية الشيء باسم العلة الفاعلة اما حقيقة او ظنا كتسمية المطر سماء الثاني تسمية الشيء باسم
العلة الصورية كتسميتهم اليد بالقدرة الثالث تسمية الشيء باسم العلة القابلة كقولهم سال الوادي يعنون المطر
الرابع تسمية الشيء باسم العلة الغائية كتسمية العقد بالنكاح والعنب بالخمر قال المص والقسم الثالث تسمية
الشيء باسم فرعه كقول الشاعر • وما العيش الا نومة وتسرق • وتمر على راس النخيل وماء • فسمى الرطب تمرا
قال وهذا القسم والذي قبله سواء لان هناك سمي العنب خمرا وههنا سمي الرطب تمرا وهما متساويان والعنب اصل
الخمر والرطب اصل التمر وهما داخلان في القسم الاول قال وهب ان الغزالي لم يحقق امر المجاز وقسمه اقساما لا حاجة
اليها الم ينظر الى هذين القسمين اللذين هما العنب والخمر والرطب والتمر ولم يعلم انهما شيء واحد لا فرق بينهما اقول بل
بينهما فرق ظاهر لو انعمت النظر فيه لان العنب اذا صار خمرا فقد استحال من صورة الى صورة مباينة للاولى في جميع
احوالها الا فيما لا بد من الاشتراك فيه كالجسمية ونحوها فهو كالماء يستحيل هواء والهواء يستحيل نارا والرطب اذا صار تمرا
لم يستحل الى صورة اخرى بل هو ذلك الجسم بعينه الا انه يبس وجف بعد ان كان رطبا كاللحم الغريض يصير قديدا
والتين الرطب يصير يابسا فانما يتغير منه عرض واحد وهو الرطوبة التي تبدلت باليبوسة لا غير فبين الامرين فرق واضح
وبحسب ذلك الفرق جعل احد القسمين غير الثاني • واما قوله وهما داخلان في القسم الاول فقد بينا بطلان دخولهما
تحته وان الامر ليس كما توهمه قال المص والقسم الرابع تسمية الشيء باسم اصله كقولهم للادمي نطفة وهذا ضد القسم الذي
قبله او هو داخل في القسم الاول اقول انه ليس بداخل في القسم الاول لان المشابهة في الوصف الاخص لا مشابهة
بين الانسان والنطفة قال المص والقسم الخامس تسمية الشيء بما يدعوا اليه كقسم الاعتقاد قولا ويقولون هذا يقول
بقول الشافعي اي يعتقد اعتقاده قال وهذا القسم يدخل في القسم الاول ايضا لان بين الاعتقاد والقول مناسبة
كالمناسبة بين السبب والمسبب والباطن والظاهر اقول ان كان يعني بهذه المناسبة الاشتراك في صفة خاصة كاشتراك
الشجاع والاسد في الشجاعة فليس الامر كذلك لان القول اللساني لا يشارك الاعتقاد القلبي بمثل هذه المشاركة
وان اراد مناسبة اعم من هذا اي بينهما علاقة وارتباط وهو الذي اراده لانه مثله بمناسبة السبب للمسبب فهذا مسلم
ولكن نحن لم نمنع ان بين المجاز وبين موضوعه الاصلي مناسبة في الجملة وكيف نمنع ذلك ولولا المناسبة لم يكن مجازا فان
تحاول ان ترد الاقسام كلها الى قسم واحد لاجل ان الاقسام تشترك في ان بين المنقول اليه والمنقول عنه مناسبة ما
فانك لم تفهم مراد الاصوليين في هذا الموضع وما هو الا مثل ان تقول لهم لا تقسموا الحكم الى واجب وندب ومحظور
ومكروه لان هذه الاقسام قد اشتركت في انها اقتضاء امر من المكلف فالواجب ما اقتضى فعله مع تجويز تركه •
والمكروه ما اقتضى تركه مع تجويز فعله فهل يجوز لقائل ان يقول لما كان الاقتضاء يعم هذه الاقسام ويتباين بخصوصياتها
فلا تفصلوها ولا تجعلوها اقساما متعددة قال المص والقسم السادس تسمية الشيء باسم مكانه كقولهم للمطر سماء
لانه ينزل منها قال وهذا القسم ايضا داخل في الاول للمناسبة بين المنقول والمنقول اليه قال وعلى ان تسمية المطر سماء
تغلب على الظن انه حقيقة وليس مجازا اقول قد بينا انه لا بد من مناسبة ما ولكن ليس هذا القسم بداخل في القسم الاول
لان مناسبة القسم الاول هي المشابهة كالحمار والبليد والاسد والشجاع ولا مشابهة بين المطر والفلك فان توهم انه

لاجل العلو فالمطر الذي يمكث في الارض اياما يسمى سماء قالوا ما زلت اطوء السماء حتى جئتك ونحن قد بتنا لم سموا
المطر سماء واما قوله انه حقيقة فيه فقريب ولا يبعد ايضا ذلك عندي قال المص والقسم السابع تسميتهم الشيء
باسم ما يجاوره كقولهم للمزادة راوية وانما الراوية الجمل الذي يحملها قال وهذا القسم من باب التوسع لا من باب التشبيه
ولا من باب الاستعارة لان على قياسه ينبغي ان يسمى الجمل زاملة لانه يحملها اقول انا قد اسطرفنا اعترافه ان هذا القسم
خارج عن القسم الاول باسم الجزء كما يقال الزنجي اسود والمراد سواد البشرة لكن المجاز الاول ادخل من باب المجاز واولى من الثاني
لان الجزء يلازم الكل واما الكل فلا يلازم الجزء قال المص والقسم التاسع تسمية الشيء باسم ضده كقولهم جون للابيض
وهو اسم للاسود قال وهذا ليس من المجاز بل هو حقيقة في الموضعين مثل شمت السيف اذا اغمدته وسللته اقول
ان تسمية الشيء باسم ضده قد ذكره الاصوليون وقالوا انه كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وما رايناهم يذكرون هذا المثال الذي حكاه ولا يبعد عندي ان يكون ما اعترض
به عليه صحيحا فان اكثر اهل اللغة قالوا ان الجون من الاضداد وليس افساد المثال موجبا افساد الممثل عليه ومن الناس
من جعل قوله تعالى فجزاء سيئة سيئة مثلها من باب المجاز للتشبيه وهو الذي يسمى استعارة وهو القسم الاول الذي يجادل هذا
الرجل ان يعيد اليه اكثر هذه الاقسام وقالوا ان جزاء سيئة سيئة السيئة في كونها سيئة بالنسبة الى من وصل ذلك الجزاء
اليه وليت هذا الرجل لما حاول ان يعيد الاقسام الى القسم الاول تنبه في هذا القسم لهذه المشابهة واوردها
فكان ياتي بشيء له ذوق قال المص والقسم العاشر تسمية الشيء بفعله كتسمية الخمر مسكرا قال وهذا القسم داخل في
القسم الاول واي مشاركة اقرب من هذه المشاركة فان الاسكار صفة لازمة للخمر وليست الشجاعة صفة لازمة لزيد
لانه يمكن ان يكون زيد ولا شجاعة ولا يمكن ان يكون خمر ولا اسكار الا ترى انها لم تسم خمرا الا لاسكارها فانها تخمر
العقل اي تسكره اقول ان هذا الرجل لم يعلم المراد بهذا القسم فان المسكر هو الفاعل من اسكر يسكر فهو مسكر
كالضارب فاعل من ضرب يضرب فهو ضارب ولا يكون الانسان ضاربا الا اذا ضرب واما قبل وقوع الضرب منه
وبعد انقضاء الضرب لا يكون ضاربا حقيقة لانه ليس في تلك الحال بضارب والقوم قالوا ان الخمر تسمى مسكرا
قبل ان تشرب وتسكر شاربها فقد سموا الشيء بما من شانه ان يفعله ويؤثره قبل ان يفعله ويؤثره وهذا هو المجاز وليس
يصلح ان يجاب عن هذا بما ذكره من قوله هذا داخل في القسم الاول واي مشاركة اقرب من هذه المشاركة لان الاسكار صفة لازمة
للخمر بخلاف الشجاعة لزيد وذلك ان الاسكار ليس صفة لازمة للخمر وانما الصفة اللازمة لها القوة على الاسكار والقوم
ما قالوا ان المجاز في قولنا الخمر مسكرة هذا بطل قوله لا يمكن ان يكون خمر ولا اسكار وقد يمكن ان يكون زيد ولا شجاعة
فانه ظن ان الاسكار الذي يريدونه هاهنا هو الاسكار بالقوة وليس هو مرادهم بل مرادهم الاسكار بالفعل وباعتباره
جعلوا قولنا الخمر مسكرة مجازا ومما يوضح غلطه في هذا الموضع انه لو كان الاسكار صفة لازمة للخمر لا يوجد خمر الا وهي
مسكرة على الوجه الذي قاله وادعاه لكان اطلاق لفظة المسكر على الخمر حقيقة كاطلاق لفظة الليث على الاسد
فكيف يكون هذا القسم حقيقة داخلا في القسم الاول كقولنا للرجل الشجاع اسد وللبليد حمار واين المماثلة بين هذا
الموضع وبين ذلك القسم فان ذلك القسم عبارة عن شيئين تشابها في صفة خاصة باحدهما فنقل اسمه الى ما شابهه
وليست الخمر مشاركة لشيء اخر يسمى مسكرا في معنى الاسكار فنقل اسمه اليها قال المص والقسم الحادي عشر تسمية الشيء
باسم كله كقولك في جواب سائل سالك ما فعل زيد فقلت القيام فان القيام جنس يتناول جميع انواعه قال وهذا القسم
لا ينبغي ان يدخل في اقسام المجاز لان القيام لزيد حقيقة فان قلت القيام يشمل جميع انواعه من الماضي والحاضر

والمستقبل

فبطل

والمستقبل قلت فهذا امر اقرب اقسام المجاز مناسبة لانه اقامة المصدر مقام الفعل الماضي والمصدر
اصل الفعل وعلى هذا فان هذا القسم داخل في القسم الاول اقول انا قد ذكرنا تسمية الجزء بالكل كيف يكون وضربنا
لذلك مثالا فاما هذا الذي ذكره فانه شيء قاله ابو الفتح عثمان بن جني في كتاب الخصائص ووهم فيه لانه ظن ان
المصدر لفظ يدل على اشخاص تلك الماهية وليس بصحيح بل المصدر لفظ يدل على مجرد الماهية وهو القدر المشترك
بين الواحد والكل فاما الماهية من حيث هي هي فلا تستلزم الوحدة ولا الكثرة لانها لو استلزمت احدهما لما كانت
مجرد الماهية من حيث هي هي وقد فرضناها كذلك فاذا لا المصدر ولا الفعل المشتق من المصدر يدلان على الكثرة
ولا على الوحدة لكن ابا الفتح رحمه الله مثل هذا القسم بمثال مطابق فقال انا اذا قلنا ضربت عمرا فاني انما ضربت بعضه
لا كله فقد اطلقت على البعض لفظ الكل فكان مجازا من هذه الجهة ولو احتاط القائل فقال ضربت راس زيد لم يخرج
ايضا من المجاز لانه لم يضرب كل راسه وانما ضرب بعضه فاما هذا المص فلم يتعرض للكلام كما ينبغي اما اولا فلانه ظن ان
المصدر هاهنا يقوم مقام الفعل الماضي وليس بصحيح لانك اذا قلت فعل زيد القيام فقد افدت انه صدر عنه اثر ما
مفعول حسب صدور الاثار عن المؤثرات والفعل الماضي ليس باثر يصدر عن المؤثر ولا المستقبل ايضا ولا الحاضر لان الفعل
الذي هو قسيم الاسم والحرف لو كان اثر المؤثر لكان اسما لا فعلا واما ثانيا فلانه لو صح ما قاله لما كان هذا القسم داخلا
تحت القسم الاول لان كونه اصلا له لا يقتضي وقوع المشابهة بينهما بحيث ينقل اسم احدهما الى الاخر وقد قررنا ذلك
فيما تقدم قال المص القسم الثاني عشر الزيادة في الكلام لغير فائدة كقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم معناه فبرحمة
من الله قال وهذا خطا اما اولا فان المجاز هو دلالة اللفظ على غير ما وضع له في اصل اللغة وهذه الاية دالة على الوضع
اللغوي المنطوق به في اصل اللغة واما ثانيا فلان لفظة هاهنا غير خالية من المعنى لانها تعطي من الفخامة والفصاحة
والجزالة ما لا تعطي الاية عند فقدها كقول الزباء ولكن شيمة ما اناس قال وهذا شيء لا يعرفه الا اهله والغزالي
معذور في ان لا يعرف ذلك لانه ليس من فنه اقول الذي قاله الغزالي وغيره في هذا الموضع ماخوذ من قول شيخنا
ابي عبد الله البصري المتكلم فانه قال الحقيقة ما انتظم لفظها معناها من غير زيادة ولا نقصان ولا نقل والمجاز ما لا
ينتظم لفظه معناه الا بالزيادة والنقصان او نقل مثال الزيادة قوله تعالى ليس كمثله شيء فانا لو اسقطنا الكاف استقام
المعنى مثال النقصان قوله واسال القرية فانا اذا زدنا فيه لفظة الاهل استقام المعنى ومثال النقل قولنا رايت اسدا
يعني به الرجل الشجاع فانه منقول من السبع واذا اوردنا الكلام على هذا الوجه كان قوله فبما رحمة مجازا لانه لا ينتظم
اللفظ معناه الا بحذف ما وقوله لا نسلم ان هذا مجاز بل هذه الالفاظ دالة على الوضع اللغوي المنطوق به في اصل
اللغة فيقال له اولا فان القوم قد حدوا المجاز بحد موجود في هذا الموضع ولا يجوز ان يقال لمن حد امرا بحد لا نسلم
ان هذا حده لان القوم قد اختاروا ان يضعوا لفظ المجاز لما كان بهذه القضية فالمنازعة بعد ذلك لهم منازعة
لفظية واما ثانيا فلان في هذا الموضع حرف والحروف لا يدخلها المجاز بالذات لانها غير مستقلة بانفسها في المفهومية
بل لا بد ان تنضم الى شيء اخر لتحصل الفائدة فان انضمت الى كلام ترتبط به ويخل اسقاطها بالمعنى المفهوم منه
فالمركب حقيقة والا فهو مجاز ولا شبهة ان ما في هذا الموضع ليست مرتبطة بغيرها ارتباطا مقوما للمعنى
المط واما جوابه الثاني فيلزم عليه ان يكون قوله واخفض لهما جناح الذل حقيقة لانه يعطي من الفخامة والفصاحة
ما لا يعطيه الاية عند حذفه وكذلك القول في سائر المجازات فان قال انني لم اجعل افادة هذه اللفظة الفخامة
والجزالة مخرجة لها من باب المجاز وانما منعت قول من قال انه لا فائدة فيها اصلا قيل فاذا اعترفت بانها من باب المجاز فقد سلمت

قول الغزالى وفلان معنى تنتقصه ونقول هنا معذور ح ان لا يعرف هنا لانه ليس مر فنه والغزالى ما اراد
بقوله ان ما زاده لا معنى لها اصلا ولا فائدة فيها اصلا بل مراده لا معنى لها فى خصوص المقصد المطلوب
غير ذلك **قال المص** القسم الثالث عشر تشبيه الشئ بحكمه كقوله تعالى واماءهن ومنه ان وهبت نفسها للنبى فسمى النكاح
هبة قال وهذا القسم داخل فى القسم الاول للمشاهدة فى الممكن من الانتفاع والتصرف **اقول**
ان هذا الاعتراض الذى ذكره صحيح لا منازعة فيه نعم انا نقول ان تمثيل هذا القسم بهذه الآية غير صحيح على اصل القاعدة
لانه اذا سمى النكاح هبة فلم يسم الشئ بحكمه بل ما افاد مثل حكمه وفرق بين الحكم والمفيد لمثل الحكم على ان اكثر المفسرين
لم يذهبوا الى انه سمى النكاح هبة بل جعلوا لفظة الهبة حقيقة صريحة فى هذه الواقعة **قال المص** القسم الرابع عشر
النقصان الذى لا يبطل به المعنى كحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه نحو قوله تعالى ثم ليرمم به بريا اى بعيرا بريا
كحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كقوله تعالى واسال القرية اى اهلها قال وهذا القسم داخل فى القسم الاول
لان الصفة لازمة للموصوف وقوله واسال القرية دل على اسكار بالمسكر قال فهذه اقسام المجاز التى ذكرها الغزالى وقد
بقيت فيها اقسام نقسمها وانما رجع الى ثلثة اقسام التوسع والتشبيه والاستعارة **اقول** وذكرنا ايضا غلط ح
اعادة هذه الاقسام الى القسم الاول الذى توهم عودها اليه وان الصفة لو لازمت الموصوف لما كانت سببا بالمشابهة
الموجودة فى البعير والشجاع بل كانت بابا آخر وكذلك التشبيه بالمساكن على اسكار هو مجاز باعتبار آخر غير ذينك الاعتبارين
وكل قسم من هذه الاقسام خصوصية تنفرد بها وتمتاز عن غيره ولو ان هذا الرجل يقف على التقسيمات العقلية الدقيقة
من العلوم الحكمية والكلامية التى تمتاز كل قسم منها عن الآخر مما هو اذق من الشعر ولا يفهمه الا الراسخون فى العلم لكانت هذه
التقسيمات وامتياز بعضها عن بعض عنده اجلى من فلق الصباح لانه ليس فى فهم المعقولات ما يوقع فى مثل هذا الغلط على انه
زعم انه قد اعاد الى ثلثة اقسام وهى الاستعارة والتشبيه والتوسع وما رأيناه اعاد الا الى قسم الاستعارة والتوسع
ولم يعد منها الى التسمية شيأ **قال المص** ومن شروط بلاغة التشبيه ان تشبه الشئ بما هو اكبر منه واعظم لا كما قال بعض كتاب
مصر فى تشبيه حصر من حصول الجبال هامة عليها العمامة عمامة وانما حصبها الاصيل وكان الهلال منها قلامة فانه
اخطأ فى قوله انما وفى مقداره للانما بالنسبة الى حصن على راس جبل قال فان قلت فقد قال الشعر مثل نور مشكوة
فيها مصباح فشبه نوره بما هو دونه وقد قال سبحانه فى القمر حتى عاد كالعرجون القديم فشبهه بما هو دونه قلت هذه الآية
تشبيهها لطيف غريب لانه اراد بها النبى ص لان قلبه عليه السلام وما هو عليه من الصفاء والشفافة كالزجاجة التى كانها كوكب
لصفائها واضائتها والشجرة المباركة التى هى لا شرقية ولا غربية هى ذات النبى ص لانه مريض المجاز الى لا يميل الى المشرق ولا الى
المغرب وزيت هذه الزجاجة نضى من عمران تمسه نار معناه ان فطرة صافية من الاكدار منيرة من قبل مصافحة الانوار فيها
هو المراد بالتشبيه من هذه الآية واما الآية الثانية فانه شبه رؤية الهلال بالعرجون فى تحوله واستدارته لا فى مقداره لان مقدار
الهلال اعظم بالنسبة للعرجون اليه لكنه شبهه فى الهيئة والشكل **اقول** ان التشبيه يحسن ويقبح باعتبار الجهة التى وقع
التشبيه منها فاذا شبه العظيم مقدارا بالصغير مقدارا فى المقدارية قبح وكانت الفضة كاذبة وان شبهه به لا فى المقدارية
بل فى امر آخر تناسبا فيه كان حسنا وهنا كقوله تعالى فى صفة الصحابة رضى الله عنهم كزرع اخرج شطاه فان عاد لا
نقول ان التشبيه قبيح لان اجسام الصحابة وجثثهم اكبر واعظم مقدارا من الزرع لانه ما اراد التشبيه فى المقدارية بل فى امر هنا ح
آخر وهكذا قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم لا يريد مقداره بل شكله وكذلك تشبيهه الكافر بالكلب فى قوله كمثل الكلب ان تحمل
عليه يلهث لا يعنى به الصورة والجثة بل معنى آخر وكذلك هذا الكاتب المصرى الذى حمل هذا الرجل حسده له على ان عابه عاما

٥

ه نفسه لم يعلم ان الحصن العظيم على ذروة الجبل الشاهق كالانملة فى مقدارها وجثتها بل منه وسر لانها مشابهة لطفه
وهى الانملة جسم صغير اتى من جسم كبير وهو البدن وكذلك الحصن على الجبل فهذا المعنى الذى اراده الرجل والامر فيه واضح
بين فان تفسيره لاية النور طريف جدا اما اولا سبحانه لو قال مثل نوره كالنور الذى فى قلب محمد عليه السلام كان ركيكا
واما ثانيا فلانه قال مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة فاذا كان قلب النبى هو الزجاجة فلا شبهة ان
المصباح الذى فيها هو النور فالمسكاة ما هى فان زعم ان هذه الذات النبى عليه السلام هى الشجرة المباركة فلا يبقى للمسكاة ما تحمل
عليه واما ثالثا فان لسلم وصف الشجرة بانها زيتونة لا شرقية ولا غربية ونزى هذا المفسر قد فسر قوله زيتونة وقد
كان الواجب عليه ان يفسرها سفسر ذلك واما رابعا فان غلاة الباطنية الذين يقولون ان قوله تعالى وهنا له لسان
صدق عليا المراد به على بن ابى طالب عليه السلام اعذرنى ايها المتأمل واقرأ الى الاذهان من هذا الرجل واما خامسا فانه لم
نفصل من السؤال لانه لو سلم له جميع ما ذكره لم يلزم من كون نور محمد عليه السلام دون نور الله سبحانه وتعالى نقصا فى
نوره وما استفاد من اصل ورد كل الاصل المستفاد منه فقد يوجه الاشكال **قال المص** فاما التجريد فهو انتزاع الخاص
لغرض وانت تريد به نفسك وهو نوعان تجريد بمعنى التوسع فقط وتجريد حقيقة فاما التجريد بمعنى الوسع فكقول الصمة
القشيرى

حننت الى ريا ونفسك باعدت ٭ مزارك من ريا وشعبا كما معا ٭ فانه قال بعد ابيات

واذكر ايام الحمى ثم انثنى ٭ على كبدى من خشيتك ان تصدعا ٭ فانتقل الى ذكر نفسه ولو لم ينقل اذكر
امام الصبا لقضيا عليه بانه تجريد حقيقة ومثال التجريد الحقيقى قول الجعيفى بيض
الى مرا ء المجد فى زى شاعر ٭ وقد حلت شوقا فروع المنابر ٭ فانه لم ينتقل بعد هذا الى ذكر نفسه بل استمر على التجريد
لانه قال بعد هذا البيت كتمت قبيل الشعر علما وحكمة ٭ بعضهما يفاد صعب المفاخر ٭
اما وابيك الخير انك فارس المقال ومجلى الدارسات الغوابر ٭
وانك اغنيت المسامع والنهى ٭ بقولك عما فى بطون الدفاتر ٭ **اقول** انه قد انتقل
بعد هذا الى ذكر نفسه فعدل عن كاف الخطاب الى ياء ضمير المتكلم وقال
بطاول ليلى فابغنى دانساهة ٭ تجلى دجا ظلمائه عن خواطرى ٭
سهرت لبرق من ديار بسعة ٭ ولمع البرق اللوح بساهر ٭ فان كان الصمة القشيرى
لم يات بالتجريد الحقيقى بعد وله بعد ابيات الى الكاف الخطاب فالحق مثله **قال المص** وقد قال ابو على الفارسى رحمه الله
ان العرب كانت تعتقد فى الانسان معنى كامنا فيه كانه حقيقته ومحصوله فيخرج ذلك المعنى الى الفاظها مجردا
من الانسان كانه غيره وهو هو بعينه نحو قولهم لقيت منه اسدا ولقيت منه اسدا ورسالته للسائل البحر وهو عنده اسد
والبحر الا ان هنالك شيأ منفصلا عنه ومميزا منه قال وهنا ليس تجريد بل هو تشبيه مضمر الاداة وتقديره للسائل
منه كالبحر وللقرم منه كالاسد وليس هو من التجريد المشار اليه فى الامثلة الشعرية ولا حقيقة التجريد الموجودة فيه
اقول ان الحد الذى حد هذا الرجل به التجريد لو ثبت قد نص مركب الشعر ولا ورد عن رسوله عليه السلام انما هو حد اختاره هو
وفسر التجريد به فاى حجر على اى على تر حملته ان يجعل التجريد شيأ آخر ومعلوم ان هذه الاصطلاحات والمواضعات
موكوله الى اراء العقلاء واختاراتهم فابو على تر حملته قد اختار ان سمى قولهم اذا سالت زيدا سالت منه البحر تجريدا وقد
شرح ذلك واوضحه بقوله ان ظاهر هذه اللفظة ان المسؤل غير زيد لان الفاظها تقتضى ذلك الا ترى انك تقول
صحبت زيدا فاقتبست منه العلم العلم المصحوب وان السلك غير المنقول فهكذا يقتضى ظاهر قوله سالته فسالت

منه البحر يقتضي ان البحر غيره فابو علي رحمه الله سمى هذا تجريدًا وهو غير مانع لك من اصطلاحك ولا مشاح لك في
حدك الذي ذكرته للتجريد فلذلك انت ولا يجوز لك ان تشاحه وتضايقه في اصطلاحه وتحديده قال المص وايضا
فهذا ينتقض بقول العرب لئن رايت الاسد لترين منه هضبة ولئن لقيته ليلقين منه الموت فاي معنى لتخصيص ابي
علي ذلك بالانسان مع ان العرب تستعمل هذا اللفظ في الانسان وغيره اقول ان ابا علي رحمه الله لم يرد ان هذا
الاستعمال مقصور على الانسان فقط ولا صرح بذلك ولا كنى عنه ولا هو مفهوم من فحوى قوله لان قوله ان العرب
تعتقد في الانسان معنى كامنا فيه لا يدل على نفس الحكم عما عداه وانما مثل بالانسان لانه اشهر ولان استعمالهم
له ودروانه على السنتهم وفي الفاظهم اكثر قال المص وقد سبق القول بان التجريد هو ان يطلق الخطاب على غيرك ولا
يكون هو المراد بل المراد نفسك وهذا لا يوجد في هذا الموضع لان قوله ان لقيته ليلقين منه الاسد لم يجرد عن المنقول
عنه شيا وانما شبهه بالاسد في شجاعته واداة التشبيه مضمرة وما اعلم كيف ذهب هذا عن ابي علي رحمه الله اقول قد
بينا ان المنازعة في هذا الموضع لفظية لا طائل تحتها ولو ان ابا علي رحمه الله اختار ان يسمي المجاز تجريدًا بمعنى انه لفظ قد
جرد عن موضعه الاول اي خلع عنه وجعل لغيره واصطلح هو ونفسه او هو واصحابه على ذلك هل كان لنا ان نخاصمهم
وننازعهم ونقول لهم قد اخطاتم في هذا الاصطلاح وهذه المواضعة وهل المعاني تستحق الاسماء المخصوصة لذواتها
حتى يكون الانسان مخطئًا اذا وضع لفظًا مخصوصًا لمعنى مخصوص وقد فسرنا نحن قول ابي علي رحمه الله والمقصد الذي
قصده قال المص وقول ابي علي ان العرب تعتقد ان في الانسان معنى كامنًا فيه كانه حقيقته ومحصوله فغير العرب
ذلك فان عنى بالمعنى الكامن معنى الانسانية وهو الاستعداد المعلوم والصنائع فكل احد يعرف ذلك ولا خصوصية
للعرب فيه وان عنى بالمعنى الكامن الاخلاق كالشجاعة والسخا فليس هذا مختصًا بالانسان بل جميع الحيوانات يوجد فيها
ذلك كالشجاعة في الاسد والسخا في الديك وما اعلم ما اراد ابو علي بهذا الكلام على ان هذا القسم الاخر ليس عبارة عن
حقيقة الانسان فانه لا يقال في حده حيوان شجاع ولا حيوان سخي بل حيوان ناطق فقد اخطاء ابو علي من وجهين احدهما
انه جعل حقيقة الانسان عبارة عن خلقه الثاني انه ادخل في التجريد ما ليس فيه اقول ان ابا علي رحمه الله لم يلزمه تفسير
ما كانت العرب تتخيله وتوهمه في الانسان ولا هذا من وظيفته ولكن ابا علي قال اننا لما وجدنا العرب الذي صناعتنا البحث
عن مجاري كلامهم يخاطبون في الشعر انفسهم فيقولون قلت لنفسي وقالت لي وقلت لقلبي وقال لي سالت منه ما سالته
البحر فياتون بلفظة منه كما ياتون بها في قولهم غصبت منه السيف واخذت منه الثوب فيفيد ظاهر كلامهم ان المسؤول
منه غيره كما ان المغصوب منه غيره افادنا اكثارهم من هذا وتكرارهم لاستعماله انهم يتوهمون ان في هذه المشاهدة امرًا
كامنًا هو محصول الانسان وهذا الهيكل الظاهر هو كالقالب لذلك المعنى وكالقشر لذلك اللب ومن الجائز ان يكون
هذا المعنى الباطن غير القسمين اللذين قد ذكرهما المص وهما مجرد الاستعداد للعلوم والخلق فلنناظر في نقيض خصوصًا
ومذاهب العقلاء في هذا الموضع كثيرة جدًا وكلها خارجة عن هذين القسمين اللذين قد ظن هذا الرجل انه لا يمكن تفسير ما توهمته
العرب الا بواحد منهما ثم يقال له لم لا تفسر قول ابي علي رحمه الله بالوجه الاول وقولك ان غير العرب ايضا تعتقد ذلك فيقال
لك ان ابا علي ما قال انه لا يعتقد ذلك احد من الامم الا العرب خاصة وانما كانت صناعته وفنه البحث عن مجاري كلام العرب
قال انهم يعتقدون كذا وكذا لانه لا ينظر في لغة امة اخرى غير العرب وانما كتبه وتصانيفه مقصورة على البحث عن لغاتهم
خاصة فلا يدل كلامه على نفي هذا الحكم عن غير العرب وايضا فلو فسر قوله بالتفسير الثاني وان كنا نعلم انه رحمه الله لم يرده لما
توجه عليه ما اعترض به لانه لم يفرد الانسان خاصة من دون سائر الحيوان بهذا الحكم وانما ضربه مثلا لانه النوع الاعرف

ومن

ومن العجب قوله ولا اعرف ما اراده ابو علي بقوله انهم يتوهمون في الانسان معنى كامنا هو حقيقته ومحصوله الا
ان يكون احد هذين القسمين اللذين اشرت اليهما ولا شبهة ان هذا الرجل وقف على اقوال العقلاء في هذا الموضع
فان مذاهبهم في الحي الفعال ما هو كثير وكل منهم يذهب الى ان حقيقة الانسان ومحصوله امر وراء هذه البنية المشاهدة
ولم يذهب منهم ذاهب الى احد هذين القسمين اللذين قد توهم هذا الرجل انه لا يمكن المصير الى غيرهما واما قوله ان ابا علي
اخطا حيث جعل حقيقة الانسان عبارة عن الخلق فان ابا علي رحمه الله ما اخطا ولا قال هذا الكلام عن نفسه ولا
عن غيره اما انه لم يقله عن غيره فلانه قال عن العرب انهم اعتقدوا ان في الانسان معنى كامنا كانه حقيقته ومحصوله فصرح
باداة التشبيه وهي كان وما قال عنهم انهم قالوا ذلك المعنى هو حقيقة الانسان ليقول لهم ذلك المعنى هو خلقه وخلقه
وغيره داخل في حده وحقيقته وينبغي للناس اذا حكوا شيا ثم شرعوا في نقضه ان يتاملوا ما حكوا ثم ينقضوا وبالجملة فمقام
الشيخ ابي علي رحمه الله مقام جليل يقتضي ان يحترم ويصان ولا يستعمل معه التسرع بالتخطئة والرد واذا وجد في كلامه
ما يستدرك استدرك مع استعمال الادب قال المص في الالتفات وهو الانتقال من خطاب الحاضر الى الغائب وبالعكس
وما يجري مجرى ذلك ان الزمخشري قال ان الرجوع من احد هذين النوعين الى الاخر انما استعملته العرب تفننًا في الكلام
وانتقالًا من اسلوب الى اسلوب تطريه لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه قال وليس الامر كما ذكره لان هذا
الكلام يقتضي ان السامع قد يمل من اسلوب واحد فينتقل الى غيره لينشط المستمع للاستماع وهذا قدح في الكلام
لا وصف له لانه لو كان حسنًا لما مل اقول لم قلت انه اذا كان حسنًا لا يمل وهل الملال الا للملذ الا تراهم كيف يقولون
مل فلان التنزه في البستان ويقولون قد مللت من اكل الحلواء ومللت من سماع الاغاني ولان الاشياء الكريهة المولمة لا
يقال لها قد مللتها الا تراهم يستقبحون قول من يقول قد مل المحبوس من الحبس والمضروب من الضرب فالذي ذكره المص
عكس الصحيح قال المص وايضا فلو صح ما قاله لكان الالتفات انما يوجد في الكلام المطول الذي من شانه ان يمله السامع
لطوله والامر بخلاف ذلك لانا قد وجدنا الالتفات في مواضع كثيرة من القران الكريم ومجموع الجانبين معًا لا يبلغ عشرة
الفاظ اقول لما كان مراد الواضع افهام السامع كان الافهام لا تحصل الا بالاصغاء احتال الواضع لتحصيل الاصغا
بكل طريق فكان من تلك الطريق نقل الخطاب من الحضور الى الغيبة وبالعكس ليفجاء السامع ما يوقظه وينبهه على الاستماع
لانه باستمرار الخطاب نمطا واحدًا ربما يذهل فينقل عن اسلوب من الخطاب الى اسلوب اخر مستانف ليطرا على ذلك السهو
الذي عساه حصل فيزيله ثم لفرط العناية بالافهام وقع ذلك في قصير الكلام حسب وقوعه في طويله ولا في كل قصير
منه كما انه لم يقع في كل طويل منه ولكن بحسب ما تقتضيه المصلحة وما يغلب على ظن المتكلم انه مجد ان كان المتكلم واحدًا
منا او ما يعلم من الفاظ المخاطبين ان كان المتكلم هو الله تعالى ولهذه العلة انزل في القران الكريم الفاظ وحروف غير مفهومة المعنى
مثل طسم والمص وغيرهما ليتفاوض المشركون فيها عند سماعها ليكون ذلك استجرارهم الى سماع غيرها من الايات المنزلة
فانها اذا قرعت اسماعهم قرعها امر غريب تنزعج النفس عند سماعه وتتشوف الى معرفته فيبعث الواعي الى سماع ما بعدها
ليفسر به كما يفسر بعض الكلام ببعض فيحصل الفائدة من وقوفهم على فصاحة القران وسر اعجازه ونظير اعتراض المص
وهو قوله لو كان هذا خوفا من الملال لكان في طول الكلام دون قصيره ان يعترض هذا المثال الذي قد مثلناه به فيقال
لو كان هذا هو المراد من هذه الحروف لكانت في جميع السور بل في السورة الواحدة مرات كثيرة ليكون ادعى للمشركين الى تامله
والجواب عن الموضعين واحد ان ذلك انما يكون بحسب ما تقتضي المصلحة تكراره فالمخاطب اعرف بما يخاطب به وادرى
بما يتوصل به الى اجتناء ثمرة المخاطبة سواء كان الباري سبحانه او واحدًا منا قال المص وعلى هذا فيجب اذا وجدنا كلامًا قد استعمل

والبلاغة فلا يلزمه ما ذكرت قيل لعمري ان غرضه البحث في علم البيان ولكنه لم يخرج هذا الفصل والكلام
فيه الا على الاصطلاح النحوي لانزاه قال في اوّل الفصل واعني بوكيد الضمير ان يوكد المتصل بالمنفصل كقولك
انك انت فعلت كذا او المتصل بمثله كقولك انك انك لعالم وذكر الامثلة على قواعد الاصطلاح النحوي فلما اراد
ان يطبق الامثلة والاشعار عليها وقع في الغلط **قال المص** في باب العام والخاص انه تعرفا بمثلهم كمثل الذي استوقد
نارًا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ولم يقل بضوئهم لان الضوء نور وزيادة فلو قال بضوئهم لكان المعنى بعطى
ذهاب تلك الزيادة وبقاء ما اسمه نورًا لان الاضاءة هي فرط الانارة ولذلك قال بعرهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورًا فكل ضوء نور وليس كل نور ضوءًا فعال سبحانه ذهب الله بنورهم لانه اذا ازال النور ازال الضوء اصلا **اقول**
ان هذا الرجل قد شحن كتابه بامثال هذه الترهات واطال فيها واسهب واعجب نفسه وظن انه قد اتى بغريب وهذه
المعاني قد وصفت فيها الكتب الكثيرة وتكلف الناس من قبله استنباط امثالها هذه الوجوه الغامضة والمعاني الخفية
من القرآن لعزيز وانه لو اتى لهذه اللفظة دون تلك ولو قدم هذا واخر هنا وقد قيل في هذا الفن اقوال طويلة عريضة
اكثرها بارد غث ومنها ما تشهد العقول بقرآن الاحوال انه غير مراد وقد ورد انا الى المدينة سرا في سنة اسبع
وثلثين وستمائة رجل من اهل شعاطى هنا ويحاول اظهار وجوه نظرية في هذه الامور وجميع آيات الكتاب العزيز
لنحو ان نقول في قوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم الا استمعوه وهم يلعبون لو قال ما ياتيهم ولم يقل يجيئهم ولو قال من ذكر
ولم يقل من كتاب ولو قال من ربهم ولم يقل من الاهم ولا في حال قال في موضع آخر من الرحمن وما وجه المناسبة في تلك الآية بين
لفظها وسياقة كلامها وبين لفظة الرحمن وما وجه المناسبة بين هذه الآية وسياقتها وبين لفظة ربهم وعلى هذا القياس وكذلك
كان تكلف بتعليل كل ما في القرآن من الحروف التي تسقط في موضع وتثبت في موضع نحو قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم
الم تر الى ما نطق الله اثبت الواو وكما هنا لك واسقطها هاهنا ونحو قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له وقوله ومن
يشاقا لله فان الله شديد العقاب ولم يفكه في موضع ونحو قوله في سورة الشعراء ما اتيتم من آية من الآيات الا كنا عنها معرضين
بالواو وكما يعجب ويستطرفه حتى وصل الينا هذا الكتاب فعلمنا ان فوق كل ذي علم عليم ولو اخذنا ننقضه في هذا
الموضع لاطلنا كما اطال وسبحنا كما سبح ومتى يتسع الوقت لمناقضة هذه الكلمات القبيحة والكلمات وبكلمات في بعض المواضع منها
للايخ كما سنا هناك محاذلة وهذا القرآن الكتيب فيقول لو قلت ان الضوء نور وزيادة امركت اللغة اخذت هذا امر
غيرها فقد تصفحنا كتب اللغة فلم نجد شاهدًا مما ذكرت ولا اصطلاح مساعدك في عرف الناس ومواضعاتهم واذا
لم يكن هذا موجودا في اصل اللغة ولا في الاصطلاح العرفي لم يجز ذلك ان تحمل كلام الله تعالى عليه وتفسر به وقد قال ابن
السكيت في اصلاح المنطق وهو من اجل الكتب اللغوية ومصنفه امام الناس كلهم في اللغة ومن الخلف اثنان في نصه
في باب فعل وفعل باختلاف المعنى النور علم النور والنور الضياء فجعل النور والضياء شيئًا واحدًا وليس في المعنى في باب
الذكر والمانيث كثير مشهور وعلى هذا التحقيق ظهرت مطابقته للآية على احد تفسيريها فاما قوله ان الرواية صحيفة
عنها لا يصح المعنى لها فان بعض المفسرين قال ان هذا البيت محمول على القلب وتقديره وكانما آثامه حسنات
قال ومعناه كان آثامه حسنات غيره لانه من الابرار ولا وليا الدر حسنات الناس سيئات بالنسبة الى عباد انهم ومراتبهم
حسنات الابرار سيئات المقربين بعنوان علو طبقة المقربين على طبقة الابرار والقلب ورد في الكلام كثيرا نحو قولهم ادخلت القلنسوة في رأسي
وادخلت الخاتم في اصبعي والخاتم لان الاصبع هي التي دخلت في الخاتم وقولهم كان الزنا فريضة الرجم وقول الآخر
وبلد عامية اعماؤه كان لون ارضه سماؤه وقد رد في التنزيل شيء من ذلك قال اسخنة فانهم عدو لي اي عدو لهم وعداوته لهم

فنه الانحراف والاضطراب ولكنه لم يقع فنه الصفات لكن كل واحد من الطرفين واقع موقعه ان تقول هذا لبس لحسن اذ لم ينتقل
من اسلوب الى اسلوب وهذا قول فنه ما فيه وما اعلم كيف ذهب على الزمخشري **اقول** ان هذا الاعتراض من اطرف ما يحكى وذلك
ان الزمخشري ما جعل حسن الكلام مقصورًا على الصفات فقط لحث فقد الحسن عند فقد الصفات كالشروطات
التي تعدم عند عدم شروطها ولكنه قال ان الصفات مما استعملها العرب ووجه حسن استعمالها له انه يحصل منه نوع بنية ما
للسامع ويحدث لنشاطه الى سماع الخطاب فلا يلزم من ذلك ان كل خطاب لا صفات فنه فانه لا يكون حسنًا كما آذاقنا
انما حسن استعمال المطابقة والمجانسة في الشعر لكنا ولكنا لا يلزم ان يكون كل شعر لا مجانسة فنه ولا مطابقة عر حسن
وسر هذا الكلام ان محسنات الشعر والخطابة امور كثيرة فاذا فقد بعضها قام عنه مقامه فحصل الحسن المطلوب
لكن لو فقدت كل المحسنات لزم لا محالة ان يكون الكلام حسنا فقد بان ان الموضع ما هذا لان الزمخشري انما ذهب
على ما اعترضه بمر يقال له الستا لقائل قد يعدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الحضور بعطما كقوله تعرفا لك العذر فانه عدل عن
لفظ الغيبة الى قوله الحمد لله رب العرش لان العبادة اعظم من الحمد فجعل العبادة بكاف الخطاب لعظم شانها فكان الخطاب
اصرح وادل من هاء الغيبة فجعل الاعظم للاعظم فيقال لك قد قال سبحانه وتعالى في موضع آخر فاعبدوه واشكروا له اليه ترجعون
فيجب ان يكون هذه الآية عر حسنه لفقد المعنى الذي ذكرته منها كما قلت انه لو كان لا لصفات حسنًا كما قاله الزمخشري لوجب
ان يكون كل خطاب واقعًا موقعه ولا لصفات فنه عر حسن وكل ما يجيب به فهو جواب الزمخشري **قال المص** وقد يوكد الضمير
المتصل بالمنفصل كقولك تعرفا لك انت الاعلى ووكد الضمير المنفصل بالمنفصل وذلك مثل قولك لي تمام
لا انت انت ولا الديار ديار خفّ لهوى وتولت الاوطار ومثل قولك لي المبني
قبل انت انت وانت منهم وجدك بشر الملك لهمام **اقول** ان هذين البيتين لا يصلحان ان يمثل بهما على توكيد
الضمير فوذلك ان التوكيد لو حذف لبقي اللفظ دالًا على المعنى لا انه عر موكد كالآية التي استشهد بها فانه لو حذف انت
لبقي لك الاعلى وهو كلام مفيد للمعنى الا انه عر موكد وكقوله تعرفا لك انت علام الغيوب وكقوله اما ان تلقي واما ان نكون نحن
الملقر ولو حذف انت لما بقي عر تمام ولم يبق المبني لخرج الكلام عن الافادة اصلا وكيف نفيد وهو مبتدأ وخبر وقد
حذف الخبر ومراده اني تمام لست انتهيا المراة كما كنت عهد ولا الديار كما كنت عهد ولو كان قوله انت انت مرارا للتوكيد كان قوله
ولا الديار ديار مرارا للتوكيد وكذلك قوله العامل وما الناس بالناس الذين نودهم ولا الديار الديار التي كنت تعرف
وفي ذلك انتزاج ابواب البيان بعضها ببعض وهو غرار ومراد المبني بقوله اي انت المشهور الذي سمعني عن شرح صفاته
ومدائحه كما تقول قد قتل زيد اسدًا والاسد لا سد وكقوله الراجز اما ابو النجم وشعري شعري هذا معنى آخر عر
التوكيد ولكنه قد اشتبه على المص لا محالة **قال المص** ومثال تاكيد الضمير المتصل بالمنفصل قوله تعرفا لو قال لك لن تستطيع
معي صبرا ثم شرع يبين ما ذا قال لك هاهنا وقال عر قبيل الا قال لك ولم يقل لك **اقول** اما الوجه الذي مر اجله قال في قتيل
الغلام لك ولم يقل لي خرقا لسفنه لك فوجه مشهور قد قاله الناس عر قبيل وذكر مر تعاطى استخراج الدقائق والمعاني
الغامضة من القرآن وليس عر ضنا الان البحث في صحة ذلك وفساده ولكن مثل هذه الآية على تاكيد الضمير المتصل بمثله
عر صحيح لان هذه الآية لو توكد فيها الضمير المتصل اصلا وانما عدي الفعل فيها الى المفعول بحرف الجر لا غير ولو كان هنا توكيد
الضمير لكان قولنا مررت بزيد تاكيدًا للضمير في مررت وهذا لا يقوله احد وكيف تتوهم ان قوله لك تاكيد للضمير في قوله
اقل وان احدهما متاخر بعد لو قال لك انت الا لك كان قوله الا تاكيدا للضمير في قوله اقل وكان يكون تاكيدًا للمتصل
بالمنفصل لا بالمتصل فان قيل لعله لم يتكلم في التاكيد على الاصطلاح النحوي بل على اصطلاح اخر يرجع الى علم البيان

والبلاغة

هذا ان لا نزيد ذكر الفاعل في قوة العلم به على ما تحصل من قوة العلم وهو عرف مذكور كما في الآية والبيت فانه لو ذكر
الشمس والنفس لم تزد قوة العلم على ما تحذف الآن وان لم يذكرهما وهذا هو الفرق بين حذف الفاعل وحذف غيره وان
هذا الضابط غير معتبر في شيء من المواضع الا في الفاعل اذا لم يذكر **قال المص** وقد تحذف الفعل لدلالة المفعول عليه
كقولهم اهلك والليل بنصبهما معًا اي الحق يا هلك وبادر الليل **اقول** ظاهر هذا الكلام انه انتصب اللفظ بإضمار
فعلين وهو خلاف ما نقوله النحاة لانهما عندهم منصوبان بفعل واحد تقديره بادر اهلك والليل ومعناه بادر اهلك
قبل الليل وتحقيق ذلك ان معنى المبادرة مسابقتك الشيء كقولك بادرت زيدًا المنزل كأنك سابقته اليه فلما
عطف الليل على الاهل وجعلهما مبادرين فكأنه امر بمبادرتهما فلما ان يسبقه احدهما الى الآخر **قال المص** وحذف
الفعل يفسر الى قسمين احدهما يطرد لدلالة المحذوف كما ذكرناه من قولهم اهلك والليل وكقول المنبي

ولا ارضى لمقتله لكم ● اذا اسمهت بوهمه استكا ●

ولا الايان اصغي واحكي ● فليتك لا يتيمه هواكا ● فقوله ولا الايان اصغي فيه
محذوف تقديره ولا ارضى الايان اصغي واحكي ● قال والقسم الثاني ما لا يطرد حذف لان هناك منصوبا
يدل عليه بالنظر الى ملاءمة الكلام كقوله تعرو رضوا على ربك صفا لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم وقوله ويوم يعرض
الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وكقوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا واذ اخذنا ميثاق
ذلك كله وقلنا لقد جئتمونا وقلنا اذهبتم طيباتكم وقلنا وان جاهداك **اقول** لا فرق بين هذا القسم وبين قوله ولا الا
يان تصغي واحكي لانه لو اظهر وقلنا لكان ما بعده منصوبا بانه مفعول به كما لو اظهر المفعول بعد ارضى فقال ولا
ارضى بسبا الايان تصغي فالقول بنصب ما بعده اذا كان كلاما مقولا كما ينصب الفعل مفعوله وكما ان موضع لقد
جئتمونا هو منصوب لو اظهر قلنا لا لفظه كذلك موضع يان تصغي هو المنصوب لا لفظه لا فصل بين الموضعين فدعواه
ان هذه الايات على الحذف منهيا بالنظر الى ملاءمة الكلام لايان في الكلام مفعولا يدل على حذف الفاعل وان قوله ولا الا
يان تصغي واحكي لخلاف ذلك دعوى غير مقبولة **قال المص** ومن المحذوف ما لفظه لفظ قول الشاعر ●

لو كنت مرءا دن لم تستبح ابلي ● بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا ● اذن لقام بنصري معشر خشن ● عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا ●

جواب الشرط قد استوفاه في البيت الاول والذي في البيت الثاني هو تقدير لو دفعه بانه اي لو كنت منهم اذن لقام بنصري
اقول ان هذه المسألة مبنية على ان العامل في البدل هو العامل في المبدل منه ام لا فان لو سلمت ذلك لم يصح الكلام هذا
لانه حينئذ يكون قوله اذن لقام بنصري بدلا من قوله لم تستبح ابلي لانه في معناه والفعل يبدل من الفعل اذا كان في معناه نحو
ان ابني احسن الينا اعطاك ما لا واد الم تجئ هاهنا الى بكر لو اردت هذه القاعدة وما ذكره صحيح لا ريب فيه **قال المص**
في باب التكرير التكرير على قسمين تكرير في اللفظ والمعنى جميعًا وتكرير في المعنى دون اللفظ فالاول نحو قولك لمن يستبطئه
اسرع اسرع ونحو قوله تعالى يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا وتعطيل دار الكفر ليحيى الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون وقال
ومسلوب المنبي ● ولو ارى مثل جيراني ومثلي ● لمثلي عند مثلهم مقام ● **اقول** التمثيل بالقطعة المذكورة وبالآية عسير
جدا لانه لم يتكرر فيه اللفظ والمعنى حسب تكرير في الآية وفي القطعة المذكورة لانه لم يذكر في صدر البيت الا نفي رؤية
مثلي ومثل جيراني ولم يعين فيما اولا هذه المماثلة والمشاطهة وأي شيء من الممكن انه كان يعني لو ارى مثلي ومثلهم في حي بعضنا
لبعض وفي حومة الوغى او في شجاعتنا او في ذمامنا فلما قال في عجز البيت لمثلي عند مثلهم مقام كشف ذلك لا محالة وازال ذلك
كل ابهام وابان عن ان مراده لو ارى مثلي مقيما بين ظهراني مثلهم يعني انهم على غاية الشجاعة واساءة العشيرة وانه على غاية الصبر عليهم ولا حملهم

وهو قوله

ثم

الى قوله

قال والواو

هنا

لهم او ان مقامهم عظيم لا يصلح ان يكون مثله مقيما بين هولاء الرعاع فالشاعر لم يكرر كما كرر قولك لمن يستدعيه اسرع
اسرع ولا كما تكررت الفاظ الاية ولا وحدنا اللفظ والمعنى معا مترددين مكررين في هذا البيت ولكن اول الفاظه يعطي
معنى مجملا والثاني يعطي معنى مفصلا هو شرح ذلك المجمل فلم يكن ذلك تكريرا مشتملا على اعادة اللفظ والمعنى فلم يجز
ادخاله في هذا القسم وذكره في جملة امثلته قال المص فاما قوله تعالى فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة
كاملة فليس كما يتوهم من انه تكرير فقط بل المراد به ايجاب صوم الايام السبعة عند الرجوع في الطريق على الفور لا عند الوصول
الى البلد كما ذهب اليه بعض الفقهاء قال لان الامر اذا صدر بلفظ التكرير مجردا عن قرينة تخرجه عن وضعه ولم يكن موقتا
بوقت معين كان ذلك حثا للمامور على المبادرة على الفور كما تقول لصاحبك قم قم فانما يريد بهذا اللفظ المكرر
ان يبادر الى القيام في الحال الحاضرة اقول ان هذا المذهب الذي اختاره مذهب مجاهد والاحتجاج الذي قد احتج
لنصرته ضعيف لان فحوى كلامه انه يذهب الى ان الامر اذا ورد مجردا عن التكرير لم يدل على الفور الا تراه كيف قد
قيد كلامه فقال اذا صدر بلفظ التكرير غير موقت فلو كان ممن يذهب الى ان الامر يقتضي الفور بمجرده لم يحتج الى هذه
القيود واذا كان كذلك فادلة القائلين بان الامر لا يقتضي الفور جميعها موجودة في الامر المكرر الصيغة اللهم
الا ان يقترن بتكرار الامر قرينة يفهم منها الفورية مثل ان يقول له قم قم قول غضب او ارهاق او يشاهد وجهه
او يسمع كلامه فيدرك منهما ما يدل على ذلك او يظهر من حركاته وقرائن احواله امارات تقتضي ذلك فاما مجرد الامر
فقط فلا يدل تكريره على الفورية لان الزمان من ضرورات وقوع الامتثال كما ان المكان من ضروراته ايضا فكما لا يدل تكرار
الامر على وجوب ايقاع المامور به في مكان معين فكذلك لا يدل تكراره على وجوب ايقاعه في زمان معين ولا حيلة في
دفع هذا الا لمن ذهب الى ان الامر يقتضي على الفور سواء كرر او لم يكرر فانه يتكلم على هذا الدليل كلام من اثبت الفورية
للامر حيث كان امرا لا باعتبار التكرير ثم يقال له لو سلمنا ان الامر المكرر اللفظ يدل على الفور لكن ليس قوله فصيام
ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة مثل قول الانسان لغيره قم قم ولا يكمل السبعة والثلثة والحكم بانها
عشرة كاملة كذلك التكرير اللفظي في مبادرة الافهام الى ان المراد منه تعجيل امتثال المامور به وانما نظيره ان يقول
من تمتع بالعمرة الى الحج فقد اوجب عليه ما تيسر من الهدي فان لم يجد فقد اوجبت عليه صيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا
رجع فاما قوله تلك عشرة كاملة لا يعطي هذا المعنى لانه ليس عادة لفظ الامر كقولك قم قم ولا معناه كقولك قم لا تقعد
وانما هو نعت المامور فقط وقد اختلف الناس في فائدة هذا النعت فقال قوم معناه عشرة كاملة ثواب الهدي
اي اذا وقعت بدلا منه استكملت ثوابه وقال قوم غير ذلك المقصود انه ليس قوله تلك عشرة كاملة كتكرير الامر بلفظه
في افادة الفورية ان ثبت انه يفيد الفورية قال المص فان قلت بل الغرض بتكرر الامر ان يتكرر في نفس المامور
انه مراد منه وليس الغرض الحث على المبادرة الى امتثال الامر قلت المرة الواحدة كافية في تعريف المامور به مراد
منه فالزيادة على المرة الواحدة لا غير كان ذلك تطويلا لا فائدة فيه وهو ينافي اعجاز القران وفصاحته وان دلت
على امر زائد فتلك الزيادة ليست الا الحث على المبادرة الى الامتثال والا فليس الخصم معنى هذه الزيادة ولا سبيل
الى ذلك اقول انه قد قال قبل هذا الموضع باسطر ان قوله تعالى وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم
ان هذه الالفاظ كلها بمعنى واحد وانما كررها للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده والزوج عن زوجته وكذلك قوله تعالى
انما اشكو بثي وحزني الى الله وزعم ان ذلك من باب البلاغة فاذا كان هذا قوله فما المانع من ان يكون المراد بالمرة الثانية
والثالثة في الامر بزيادة التقرير في نفس المامور ان المامور به مراد منه فان هذا غرض صحيح لانه لو قال له اعلم ان هذا

الشي

الشي مما اريده منك وكرر هذا مرتين او مرارا لم يكن قبيحا اذا قصد تاكيد تلك الحال وتقريرها في نفس المخاطب فلم
يذهب الى ان المرة الثانية افادت عين ما افادته المرة الاولى من غير زيادة بل افادت زيادة بينة وهي قوة اعتقاد
المخاطب ان ذلك الشي المامور به مراد لا محالة كما افاد قوله وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا زيادة تحسين العفو
كما ذكره فقد بطل قوله فليبين الخصم معنى هذه الزيادة ولا سبيل له الى ذلك وثبت ان للخصم اليها اوضح سبيل
قال المص وقد قال قوم ان الواو ههنا انما اكدت بقوله تلك عشرة كاملة لئلا يتوهم انها بمعنى او قال وهذا باطل
لان الواو انما تجعل بمعنى او مخالفة لاصلها لمرجح يرجح ذلك على كونها عاطفة الذي هو الاصل فيها ولا مرجح
ههنا اقول صاحب هذا القول انما يقوله بعد ثبوت مقدمات منها انه لا بد في كلام الله تعالى من فائدة ومنها انه لا
فائدة اذا جعلناها عاطفة ثم يفسد المحامل التي حملها عليه من قال انها عاطفة فاذا ثبت ذلك له فيجب ح
جعلها بمعنى او ولا نزاع انه اذا ثبت ذلك كانت بمعنى او قال المص وايضا فان القران منتهى البلاغة والفصاحة
فهلا قال فصيام ثلثة ايام في الحج او سبعة اذا رجعتم واستغنى عن التطويل اقول وهلا قال فذلك يومئذ يوم عسير
واستغنى عن قوله غير يسير وهلا قال وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء وهلا قال انما اشكو بثي ولم يقل حزني قال المص
وايضا فان الصوم عبادة يجب فيها الاحتياط والاتيان بها على اكمل صورة فكيف يظن ان الواو ههنا بمعنى او اقول
اليس قد وردت الواو بمعنى او في قوله تعالى مثنى وثلاث ورباع وهو في النكاح والخطا فيه اصعب من الخطا في هذا الصوم
فيجوز ان يكون سبحانه قال وتلك عشرة كاملة ازالة لوهم من يتوهم ان هذه الواو كتلك الواو قال المص وايضا فالسبعة
ليست مماثلة للثلثة التي تجعل في مقابلتها فكيف يجوز ان يتوهم متوهم انه يريد اما ان تصوموا ثلثة ايام في الحج او
سبعة اذا رجعتم اقول ولا اطعام المساكين مماثل في الصورة لكسوتهم ولا لعتق الرقبة فكيف قال فكفارته اطعام
عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فليس من شرط او ان يتوسط بين المتماثلين في الصورة
وهذا كلام ناقص جدا قال المص فاما عطف لفظة على لفظة ومعناهما واحد فكثير كقول المنخل اليشكري
الكاعب الحسناء ترفل في الدمقس وفي الحرير فان الدمقس هو الحرير وكقول اخر من شعراء الحماسة
اني وان كان ابن عمي غائبا لمقاذف من خلفه ووراءه فان الخلف هو الوراء اقول المثال الاول لا باس به
والثاني غير جيد لان الوراء قد وردت والمراد بها القدام في قوله تعالى وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا لانه
لو لم يكن قدامهم لما خافوا منه ولا احتاج الى خرق السفينة وقال لبيد
اليس ورائي ان تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الاصابع ومنه ايضا قوله تعالى ومن ورائهم جهنم وقال اخر
ايرجوا بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاء ورائيا قال المص فاما حد الكناية فهي ما اذا ورد
تجاذبه جانبا حقيقة ومجاز وجاز حمله على الجانبين معا لوصف جامع بينهما كقوله تعالى او لامستم النساء فانه يصح المعنى
ولا يختل بالحمل على كل واحد من المعنيين وهما الجماع والصاق الجسد بالجسد وكذلك ذهب ابو حنيفة والشافعي
رحمهما الله الى كل واحد من القولين وبهذا الحد ينفصل الكناية عن التشبيه والاستعارة وسائر المجازات لانه لا يجوز حمله
الا على المجاز خاصة لانه يستحيل ان يكون زيد سبعا حقيقة قال والدليل على صحة ما قلناه ان الكناية ان يتكلم
بشي وانت تريد غيره فاما ان يكون في لفظ تجاذبه جانبا حقيقة وجانبا مجازا او جانب مجاز وجانب حقيقة والاول باطل
لان ذلك هو المشترك الذي ان اطلق بغير قرينة كان بينهما غير مفهوم وان اضيفت اليه القرينة كان مختصا بشي
بعينه لا يتعداه وهذا خارج عن الكناية لان الكناية ان يتكلم بشي وانت تريد غيره والثاني باطل لان المجاز لا بد له من

حقيقة فاللفظ الدال على المجازين اما ان يكون لحقيقة شركة فى الدلالة عليه اولا يكون فان كان لنا شركة فى
الدلالة عليه كانت اللفظة حقيقة لذلك اللفظ فصارت ملغاة منسية ولا يكون عدم ارادتها موجبا ان يكون
قدح اللفظ الذى تكلم به المتكلم غير دال على ما تكلم به لا لغة ولا خرجت بترك الاستعمال عن ان تكون هى ما تكلم به المتكلم
قال المص فاما حدا للغة والاعجاز والحد لابد لادلة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازا
وللعرض كقول القائل فى الفرس هو صاحب لا امل الدار صحبته • تشقى لنفعى وتسعى معى بمجتهد •
ما ارانى له شخصا فوقعت • عينى عليه فتر قنا فرقة الابد • قال فهذا كلام لا
ظاهر يفهم منه انه الفرس حقيقة ولا مجازا ولا مرطها المفهوم بل هو شئ يحدس ويخرز والخواط لخلف الاسراع والابطا
عند عثور لم عليه اقول هذا يلزم عليه ان يكون كلام الزنجى المعزى اذا تعاطا العزى حزنى معناه مربا للاجاج والغاغ
والصحيح ان يقال عوض هذا هو كل معنى يستخرج لا بد لادلة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازا ولا عرضا بل بالحدس من
صفة او صاف ينبه عليه وعلى هذا فالفرس انما عرف من هذا الشعر حدسا من مجموع هذه الصفات وهى كونه حيوانا
لا تم صحبته وانه تشقى لنفع الانسان وان الانسان لا يراه فاذا راه فقد فر فراق لا بد ومجموع هذه الصفات
ليست الا للفرس فنبه الذهن من هذه الصفات والخصائص على مراد الملغز قال المص ومن الحذاقة فى هذه
الصناعة ان تجعل التحميدات التى فى اوايل الكتب سلطانية مناسبة لمعانى تلك الكتب قال ووجدتنا با اسحق
الصابى على تقدمه فى فن الكتابة قد اخل بهذا الاصل فى مركتبه • من ذلك كتابه فى فتح بغداذ وهزيمة الاتراك عنها الذى
اوله الحمد لله رب العرش الملك الحق المبين ثم ذكر منه نحو عشر اسطر سند كرها والجواب عن كلامه ثم قال وهذه التحميدة
لا تناسب هذا الكتاب ولكنها تصلح ان توضع فى صدر كتاب من مصنفات اصول الدين كالشامل للجوينى والاقتصاد
للغزالى وماجرى مجراهما فاما فى كتاب فتح فلا اقول ان ابا اسحق رحمه لله لم يخل هذه التحميدة من اشارة الى معنى
الكتاب الذى هو مغزاه ومقصده وذلك ان هذا الكتاب كتبه فى انصراف عضد الدولة الى شجاع وعز الدولة الى
منصور على الاتراك الدين تراس عليهم سبكتكين الحاجب الذى كان امر جيوش معز الدولة الى الحسن عز الدولة
الى منصور بعده وبما سلطانا الخضر بغداذ وكان مع هؤلاء الاتراك الطايع لله الخليفة العباسى وابوه المطيع
لله والفتكين المغزى القائد الجليل القدر المشهور بالشجاعة بين الاتراك وبايديهم بغداذ واعمالها فان عضد الدولة
وعز الدولة تظاهرا على المسير الى هؤلاء من فارس والاهواز وصدما الاتراك صدمة عظيمة على ذيالى فطحنوهم والخان
الطايع لله الى تكريت متحصنا بالقلعة وطار الاتراك وتم زياده على عشرة الاف فارس الى الشام ومصر ودخل عضد
الدولة وعز الدولة الى مدينة السلام واستقرا على سرير المملكة بعد ان وقع الياس من ذلك فعند ذلك اسحق الصابى الابدى
بلا انتهاء وقوله الدائم لا الى اجل معدود وصفه لا تخلقه العصور ولا تغيره الدهور وقوله لا تزاحمه مناكب القرناء
ولا تجاريه اقدام النظراء وقوله الصمد الذى لا كفوء له والفرد الذى لا قوام له وقوله الحى الذى لا تاخذه المنون
والقيوم الذى لا تشغله السؤون وقوله القدير الذى لا تؤوده المعضلات والخبير الذى لا يعييه المشكلات كل
ذلك اشارة الى ان الملك لله لا الى غيره وان ملك الشر لا حصة له لسرعة زواله وانقضائه وان كل ملك من ملوك
الارض وان عظم شانه وقهر الملوك سلطانه نزول سريعا وسفضى وشيكا كهؤلاء الملوك الذين طحنهم الدهر بكلكله
فى هذه الواقعة فان منهم من مات كالمطيع لله وسبكتكين وهما خليفة وملك ماتا فى الطريق قبل الوقعة ومنهم
من فر ولاذ بالمعاقل والحصون خوفا على نفسه كالطايع ومنهم من حمله الرعب على ارصار عية وسوقه تحت اندى ملوكا اخرين

كالفتكين

كالفتكين المغزى فانه لم يزل يثور وجهه مصر وصار من جمله رعية المعز بن زيرى بن معد صاحبها ومنهم من شرد فى البلاد
وفارق الاموال والاولاد كالاتراك فجميع ما اوماء اليه الصابى ملائم للواقعة التى كتب هذا الكتاب فيها وعرج عن
مقصده ومغزاها • والعجب قوله ينبغى ان يكون هذه التحميدة فى صدر كتاب من اصول الدين كالشامل للجوينى والاقتصاد
للغزالى وابن الاقتصاد كبير من الشامل حتى يجمع بينهما فى التمثيل والاقتصاد مقدمه لطيفة نحو عشر كراريس والشامل كتاب
كبير اكثر من خمس مجلدات وهذا مثل ان يقال ينبغى ان يكون فى كتاب فقهى كالتنبيه للشيخ ابى اسحق الشيرازى او الحاوى للماوردى
ومثل ان يقال هذا ينبغى ان يكون فى كتاب نحوى كاللمع لابن جنى او شرح سيبويه للسيرافى وهل ان يقال هذا ينبغى
ان يكون فى كتاب لغوى كالفصيح لثعلب او هذيب اللغة للازهرى وقد كان الواجب حيث ذكر الشامل ان يذكر معه سببه
كالهداية لابن الباقلانى او اذا ذكر الاقتصاد ضم اليه ما يجرى مجراه كالارشاد للجوينى وعندنا دل على انه قد سمع هذين
الكتابين ولم يرهما عيانا قال المص فاما المطابقة فى اصطلاح اهل هذه الصناعة عبارة عن الجمع بين الشئ وضده كالليل
والنهار والسواد والبياض قال ولا اعلم مراى شئ اشتقوا هذا الاسم ولا وجه للمناسبة بينه وبين مسماه ولعلهم قد
علموا لذلك مناسبة لم نعلمها نحن اقول الطبق فى اللغة هو المشقة قال الله تعالى لتركبن طبقا عن طبق اى مشقة بعد مشقة
فلما كان الجمع بين الضدين على الحقيقة شاقا متعذرا ومرادهم ان يعطوا الالفاظ حكم المعانى فى انفسها توسعا
سموا كل كلام جمع فيه بين الضدين مطابقة وطباقا قال المص فاما ترتيب المفسر مثل قوله تعالى وجعلنا الليل
والنهار اسن المجنونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة فقدم الليل اتيا لما قدمه اولا وكقوله تعالى فمنهم شقى وسعيد
فاما الذين شقوا ففى النار فابتداء بتفصيل احوال الاشقياء لانه ابتداء بذكرهم اولا قال وذلك قول القائل اذا تمام
وكان لهم عيشا وعلما لمعدم • فيسأله او باحث فيسأله • وقول على حيله •
فتى وقف الايام بالسخط والرضى • على بذل عرف او على حد منصل • اقول انه سعى فى ادخال بيت على حيالى فى حمام هذه
المثل لان الشاعر لما فسر قدم بذل العرف وهو المراد بالرضى واخر حد ولكن هذا البيت نظير قوله تعالى يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم قال المص ومما يوخذ على الاعشى قوله
وما مرتد رحل الفراب • جون عوارضه تلتطم •
ياجود منه بما عونه • اذا ما سماؤهم لم تغم • قال مدح ملكا بالجود بالماعون
والماعون كل ما استعار من قدوم او قصعة او قدر وما اشبه ذلك ومدح الملوك بهذا السوقة بذلك قبيح اقول
ان الماعون ههنا هو الصدقة وذكر ذلك علماء التفسير واشد وا ثبت الزاعى
قوم على الاسلام لما منعوا • ماعونهم ويضيعوا التهليلا • وقال اصاحب ان الادب الماعون الزكوة وقال
ابو عبيدة المنافع كلها قال المص وقد وقفت على كلام لابى اسحق الصابى فى الفرق بين المترسل والشاعر يذكر الفضل
وهو مشهور وبيانى فى حكاية اعراضه عليه وقال فى اخر حكايته وقد محت من ذلك الرجل الموصوف بذلاقة
اللسان كيف نصدر عنه مثل هذا القول الناكب عن الصواب الذى هو فى باب ونقض النظر فى باب اللهم غفرا قال
اما قوله ان خبر الترسل ما وضح معناه واعطاك سماعه فى اول وهلة ما تضمنت الفاظه وخبر الشعر ما غمض
ولم يعطك غرضه الا بعد مطاولة منه وهذا دعوى لا مستند لها بل الامر بالعكس معا انما هو الوضوح والسان فان احتج
ابو اسحق بما قد ذكره فى نصرة ذلك من قوله ان الشعر مبنى على حدود مقدرة واوزان مقدرة وفصلت ابياته فكان كل بيت
منها قائما بذاته ليس محتاجا الى غيره الا لماجاء على وجه الضرورة وهو عيب فلما كان النفس لا تمتد فى البيت الواحد بالكثير

الا و

ومنازل الاحباب والاخوان ويحن الى الاهواء والاوطار ولهذا كانت الكتب الاخوانيات منزله الغزل والتشبيب من
الشعر وكما لكتب الكاتب في اصلاح فساد او سداد ثغر او دعاء الى الفه او نهى عن فرقة او لهنئة او تعزية فكذلك الشاعر
فان شذ عن الصانى قصائد الشعراء في امثال هذه المعانى فكتف خفى عنه قصده الى تمام في استعطاف مالك بن طوق
على قومه • لوان دمرًا ارتد رجع جواب • وقصده الى الطب في الصلح كافور وولد مولاه الى مطلعها •
حسم الصلح ما اشهته لاعادى • وقصده التحرى الى ذكر فهما عزو البحر ومطلعها • المرتجل بس الربع المكرم •
والقصائد التى يجرى هذا المجرى كثيره **اقول** السوال في هذا المقام ويقع عن امرين احدهما ان تقال ما هى الفروق
بين الكتابة والشعر والثانى ان تقال لم كانت منزله الشاعر دون منزله الكاتب واحد هذين السوالين غير الثانى
وكلام ابى اسحق هو في السوال الثانى لانه هكذا انما كانت طبقة الشاعر دون الكاتب لكذا وكذا وهذا جواب صحيح
اما اولًا فلانه بنى الشعر على الاجتداء والطلب حتى ان امرء القيس وهو الملك ابن الملوك اجتدا سعد بن الضباب
بالشعر وقد كان ابن المعتز وهو الخليفة ابن الخلائف يحتدى بالشعر عبد الله بن سليمان بن وهب ومولده العسكر عبيد الله
ويبرى المعتضد والمكتفى وان لم يكن يحتدى مالًا فانه يحتدى جاهًا ولم تبن الكتابة على هذا ولا عرفت لهذا • واما
ثانيًا فلان المراد من الكتابة ومقصدها الذى وضعت لاجله ما ذكره ابو اسحق من سداد الثغور واصلاح الامور
والدعاء الى الالفة والنهى عن الفرقة والاستعار للحرب والاعلام بفتح ولم يوضع الشعر لذلك الا ترى انا ما رأينا
ولا سمعنا ان ملكا من الملوك كتب الى ملك اخر في اصلاح فساد او استنجاد على عدو او اعلام بفتح فقصد الشعر
وانما كتب الرسايل واما القصائد التى ذكرها هنا الرجل فالى عام والى عباده والى الطيب فانا لم نصف كون الشعر
يشتمل على ذلك ولكنا قلنا انه ليس هو الغرض الاصلى الذى وضع الشعر له وقد يجى في الشعر الكونه اصلا
فيه بل عارضا وطارئا والرسايل بخلاف ذلك لان هذا المعنى هو الغرض الاصلى فيها ولذلك يحد هذا الفن
في الديوان الذى حجمه عشرون كراسًا في قصده او قصيدتين ونحوه في الرسايل التى حجمها عشرون كراسًا في
خمسة عشر كراسًا ونحن مما غرضنا الا الفرق بين مقصدى النوعين وقد اتضح • فاما قوله وقد كتب الكتب الاخوانيات
وذكر فيها الهنيء والتعزية فهى في المنثور كالتشبيب في المنظوم فقد قال له ان القصايد التى وضعت للمدح يستحب
ان تكون اولها تشبيبًا وغزلا وهكذا وجدنا الشعر قديمًا وحديثا افيمكنك ان تجد ذا كتابًا في فتح او استنجاد
او تحريض او تحذير قد صدر رسالة اخوانية تتضمن الحسن والبكاء وذكر الاثار والديار فكفى بما اسحق في الفرق بينهما
هذا القدر فقط فان ذلك مراد له ليدل على ان الشعر في الاصل موضوع لهذا المعنى والاجتداء والطلب فلذلك
لم يقبح امتزاج احدهما بالاخر وجعل بنية والرسايل بخلاف ذلك **قال المص** فهذه الفروق كلها ضعيفة والذى عندى
ان الفرق بين النوعين مرتبة واوجه احدها ان هذا منظوم وذاك منثور والاخر ان مرد الالفاظ الفاظ الحسن في
استعمالها في الكتابة والحسن في الشعر كبعض الالفاظ العربية والثالث ان الشاعر اذا اطال في شرح
معان متعدده واحتاج الى ان يأتى بمائتى بيت او اكثر فانه لا يجيد في الجميع بل يجيد في الاقل والكاتب لا يوتى
من ذلك بان يطيل في الرساله الواحدة كراسًا او اكثر وهو يجيد في ذلك جميعه **اقول** قد بينا ان ابا اسحق الصابى
لم يعرض لسان الفرق بين الكتابة والشعر من حيث هما كتابة وشعر وانما تكلم في العلة التى لاجلها كانت مرتبة الكاتب
اعلى من مرتبة الشاعر • فاما الفرق بين الكتابة والشعر فكثير ولست مقصورة على هذه الوجوه الثلثة التى قد
ذكرها هذا الرجل فان من جملة الفروق للشاعر ان نرى لنفسه وعدمها في شعره وليس ذلك للكاتب ومنها ان

من مقدار عروضه وضربه وكلاهما قليل احتيج الى ان تكون الفصول في المعنى فاعمد ان للطف وبدق والترسل
مبنى على مخالفة هذه الطريق اذا كان كلامًا واحدًا لا تخرى ولا تفصل الا فصولا طوالًا وهو موضوع وضع ما
هدو نمرّبه على اسماع ستى مرخاصته ورعيته وذوى افهام ذكية وافهام غبية فاذا كان متسلسلا شاع فيها وقرب
بجميع ما يستحب في الاول ثكرم في الثانى حتى ان المصمر عبيب في الشعر وفضيلة في الترسل فان هذا الذى ذكره
ابو اسحق ليس بجواب وهب ان الشعر كان كلا بيت منه قائمًا بنفسه فلم كان مع ذلك عامضًا وهب ان الكلام المنثور
كان واحدًا لا تخرى فلم كان مع ذلك واضحًا ثم لو سلمنا اليه هذا فاذا نقول في الكلام المسجوع الذى كل فقره منه
بمنزله بيت من الشعر **اقول** ان من اطرف الاشياء ان تحكى جوابا ابى اسحق من اوله الى اخره ثم بعد السوال الاول بعينه الذى
قد حكى جوابه وذلك ان ابا اسحق سال نفسه فقال ولم صار الاحسن في الشعر الغموض وفي الرسايل الوضوح واجاب
عنه بما قد ذكره ومن حكى ذلك الجواب لا يحسن به ان تقول في لا اعتراض عليه وهب ان الشعر كان كلا بيت منه قائمًا بنفسه
فلم كان ذلك غامضا وهب ان الكلام المنثور كان واحدًا لا تخرى فلم كان مع ذلك واضحا وذلك ان الجواب قد انى على
كيفية الفرق بين الموضعين ونحن نعيده فنقول ان الشعر لما كان محصورا على الشاعر ان يزيد فيه او ينقص منه او
يلحق به بيتًا اخر فجعل احدهما مرتبطا بصاحبه بخلاف الرسايل وكان المعنى قد يتساوى في الفاظ البيت تارة ويزيد عليها
تارة وينقص عنها اخرى وكان الاحسن ان يزيد المعنى لان اللفظ الحسن بغير معنًى كامراة مليحة حسنة الصورة وكلما كانت
معانى الكلام اكثر ومدلولات لفظه اتم كان احسن ولهذا قيل خير الكلام ما قل ودل فاذا كان اصل الحسن معلولًا في
الاصل للدلالة كانت زيادة الحسن معلوله لزيادة الدلالة وحيث تتم انتاج الحجة لان المعانى اذا كثرت وكانت الالفاظ لا
تفى بالتعبير عنها احتيج بالضرورة الى ان يكون الشعر بضمر وبامر الاشارات وانواع من الايات والتشبيهات فكان فيه غموض
كما قال البحترى • والشعر لحن كفى اشارته • وليس بالهذر طولت خطبه • ولسنا نعنى بالغموض
ان يكون كاشكال اقلدس والمجسطى والكلام في المحرز والحلبل ان يكون لحن اذا ورد على الاذهان لقت منه معانيًا
غير مبتذلة وحكما غير مطروقة كما قال عليه السلام ان من الشعر لحكما فلذلك البعض الذى قال عليه السلام انه تتضمن حكما هو الذى
نعنيه لا الحسن لان ذلك يخالف قوله عليه السلام فثبت ان الشعر الذى يتضمن الحكم هو الشعر المعنوى كشعر اى تمام
وامثاله فذلك البعض هو الذى يعنيه ابو اسحق لا غير فاما قوله فما ذا نقول في الكلام المسجوع
الذى كل فقره منه بمنزله بيت من الشعر فجوابه ان السجع ليس شرطا في المنثور فقد يكون الرسايل غير مسجوعه ولا يمكن
ان يكون الشعر الا موزونا محدودًا وبعد فالرسايل المسجوعه لا يلزم فيها ما ذكرناه في الشعر فان الفقره الواحده قد
تطولها الكاتب وقد تقصرها وقد يأتى بفقره طويلة بين قصيرتين يأتى بعدهما ما ليس من قصيرتين يأتى بعد ذلك بفقره بين احداهما
قصيره والاخرى طويله فهو يضرب يمنًا وشمالا ويمد بفسحة تارة وبقصيره اخرى وليس كذلك القصيده فان صاحبها
منذ ابتدائه فيها يلزم بعروض واحده لو زاد فيها حرفا واحدًا او نقص لكان شعرا فاسدًا فاين احد النوعين من الاخر •
قال المص قال ابو اسحق والفرق بين المرسلين والشعراء ان الشعراء انما اغراضهم التى يرمون اليها وصف الديار والاثار
والحنين الى الاهواء والاوطار والتشبيب بالنساء والطلب والاجتداء والمدح والهجا واما الكتاب فانما يترسلون
في سداد ثغر او اصلاح فساد او تحريض على جهاد او احتجاج على قبيح او محاذرة له للمة او دعاء الى الفه او نهى عن فرقة او تهنية
بعطية او تعزية برزية قال هذا مراد ابى اسحق لا ستشهاده فضلاء زمنه وابى فرق بين الشاعر والكاتب في
هذا المقام فكما وصف الشاعر الديار والاثار ونحن الى الاهواء والاوطار فكذلك يكتب الكاتب في الاستنا والى الاوطان

للشاعر ان يبالغ ويوغل حتى يدخل في حد المحال وليس ذلك للكاتب ومنها ان الشعر يستحسن فيه الكذب
ولا يستحسن في الكتابة ومنها ان الشاعر يخاطب الملك بالكاف كما يخاطب سوقه ويدعو باسمه وينسبه
الى امه وليس ذلك للكاتب والفرق بين الشعر والكتابة كثير وانما بنيت على بعضها ابطالا لقوله ان
الفرق هذه الثلثة فقط فهذا ما سنح لي ايادني النظر من الاعتراض على هذا الكتاب وقد اعرضت عن مواضع
كثيرة منه للقول فيها بمحال فلم اذكرها ايثارا للايجاز ومواضع يرجع الى كلامه فيها الى الجدال في محض العبارة
لا في المعنى فكان الاشتغال بها والبحث فيها تضييعا للوقت مع ثمرة وراينا ان اختم الكتاب ههنا حامدا لله
ومصليا على خير خلقه محمد النبي الامي صلوات الله عليه وعلى اله واصحابه

على كلام المنسوخ عليها

الكتاب مجلس وعونه وحسن توفيقه وحسبنا الله ونعم
الوكيل نهار الخميس تاسع عشر شهر ربيع الاول من سنة
الجزيرة على صاحبها افضل الصلوة والسلام

SÜLEYMANİYE K. KÜTÜPHANESİ
Kısmı : Yeni Cami
Yer
Eski Kayıt No. 993
Tasnif No. 892.7-8